شرف الدين الشيخ جعفر بن محمد الخطي القطيفي

ديوان أبي البحر الخطي

تحقيق

عدنان السيد محمد العوامي

الجزء الأول



لا نودُّ أن نسبق القارئ في الحكم على الكتاب، أو توجيه عنايته إلى ما بذله المحقق فيه من جُهد، سواء في التقاط الحلقات المفقودة من تاريخ المنطقة ووصلها بعضها ببعض، متجاوزًا الأسلوب التقليدي للتحقيق، محافظًا على المنهجية العلمية والرصانة، بل الذهاب إلى ما هو أعمق في البحث في الحقب الزمانية والمكانية التي أحاطت بالخطي، وأثرت في تكوين شخصيته الأدبية والسياسية، فضلاً عن فك الرموز، وحل مغالق التاريخ، ومجاهل الجغرافيا، غير مقتصر على القواميس وكتب التراجم وأمهات الكتب، وإنما ذهب إلى ما هو أبعد، فتراه يحلل، ويستنتج حتى لتحسبه مغرقًا في الخيال، لكنه يفاجئك بنتائج علمية مسنودة بدعائم المنطق، وركائز التوثيق . فهو يستدعي، بذكاء وشجاعة، الأسباب والشواهد ليحللها بتجرُّد عن أية مسلَّمات أو أحكام واستنتاجات مسبقة بل إنه، على العكس من ذلك، يقف عند تلك المسَلَّمات يناقشها، ويبين مواطن الخلل فيها لافتًا النظر إلى ما غفل عنه سابقوه، أو أهملوه من الجوانب.

شرف الدين الشيخ جعفر بن محمد الخطِّي القطيفي

ديوان أبي البحر الخطِّي

تحقيق عدنان السيد محمد العوامي

الجزء الأول





Arab Diffusion Company

ديوان أبي البحر الخطِّي

شرف الدين الشيخ جعفر بن محمد الخطِّي القطيفي

تحقيق عدنان السيد محمد العوامي



ص.ب 113/5752

E-mail: arabdiffusion@hotmail.com
www.alintishar.com
بيروت-لبنان
هاتف: ٩٦١-١٦٥٩١٤٨-٩٦١ فاكس: ١٦٥٩١٥٠-٩٦١

الطبعة الأولى ٢٠٠٥

تصدير

الأستاذ: محمد رضي الشماسي

﴿التداعي المعرفي في تحقيق الديوان﴾

عالَم الشاعر غيرُ عالَم الباحث. عالم الشاعر في السماء حيث يُحلِّق بخياله في آفاق الإبداع؛ لكي يصطاد الشوارد من المعاني، وعالم الباحث في الأرض حيث يعيش مع الواقع العلمي، مادَّةً وأسلوباً، حيث تكون مصادر المعرفة ولُزوميَّات البحث ومَظانُّ التحقيق.

عالَم الشاعر عالم مُترَفٌ بالكلمة الرقيقة واللحن المنغَّم والجو الإبداعي. أمَّا عالم الباحث فهو عالم جشِب، مُفعم بالخشونة أنَّى اتَّجَه باحثًا عن مادَّة علمية، أو منقِّبًا عن أثرٍ تاريخي، أو قارئًا في مصدر، أو مُفتِّشًا في مخطوط، أو متغرِّبًا لأجل معلومة.

فإذا علمنا أن شاعراً مُبدِعًا، مثلَ السيد عدنان العوامي، دخل في عالَم البحث والتحقيق، فسوف يغشانا شعور بالخوف على موهبته الفخمة أن تكسل في غمرة البحث، أو تهون بسبب الإنغماس في قضايا التاريخ.

الأستاذ العوامي أقدمَ على عمل أعتدُّه عملاً جهاديًا في سبيل العلم؛ إذ وفر نفسه على دراسة وتحقيق ديوان أبي البحر الخطي شاعر عصره في منطقة الخليج العربي، أو ما كان يُعرف قديمًا بالبحرين، دخل في هذا العمل بجلَد الباحث وإحاطة المؤرخ وفكر الأديب وذوق الشاعر، فكان من جُماع هاتيك السِّمات هذا المخضرُ الكبير، حتى بلغ في تحقيق الديوان غايةَ جُهده، وبذل قُصارى طاقته، لكي يصلَ به

حُمَادَى ما يطمح إليه من دِقّةٍ في البحث، ورؤية في التحقيق.

تقف أمام بعض اللافتات، أثناء قراءتك لهذا البحث، أولاها: «التداعي المعرفي» المتمثِّل في الشواهد الكثيرة على شعر أبي البحر؛ فتراه يربط شعر الخطي - ربطًا يكاد يكون شاملاً - بشعر غيره من الشعراء الذين سبقوه، أو عاصروه، أو تأخروا عنه، فيُوردِ الأبياتَ التي تصُبُّ في بَوتَقَةِ قصائده؛ كمثل قوله في قصيدة «كِسرى الملوك»:

جاءتك من عُرب الكلام خَريدةٌ   غرَّاءُ مُسفِرة، ولم تتبرقع

يُعلِّق المحقق على هذا البيت فيقول: «وعجزه تضمين بتصَرُّف لعجز بيت لابن سيناء:

محجُوبةٌ عن كلِّ مُقلة ناظرٍ   وهي التي سَفَرت، ولم تتبرقع »

ثم يضيف: «والمعنى من قول أبي تَمَّام:

جاءتك من نظم اللسان قِلادةٌ   سِمطان فيها اللؤلؤ المكنونُ »

ويقول الخطي في القصيدة نفسها:

«وليُسمِعنَّك إن بقي لك بعدها   ما تستبين لديه ذُلَّ الأشجع»

فينبِّهك إلى أنَّ الشاعر سوف يُكرِّر المعنى في قوله:

«فاستمعها لو أنشدوها أبا الطـ   ـيب ما كاد أن يسيغ الريقا »

ويضيف الأستاذ العوامي: «ومعنى البيت متداول، فمنه قول البحتري:

ومعانٍ لو فصّلتها القوافي   هجَّنت شِعرَ جرولٍ، ولبيد

وقول أبي سعيد الرستمي:

قَوافٍ إذا ما رواها المشـ   ـوُ هزَّت لها الغانيات القُدودا

كَسَونَ عَبيداً ثيابَ العبيـ   ـد، وأضحى لَبيدٌ لديها بليدا

وقول عبد الله الخازن:

فخذ إليك، ابنَ عَبَّادٍ، محبَّرةً   لا البحتريُّ يُدانيها، ولا الطائي »

وفي قصيدة «سليل يافث» يقول الخطي:

«وله يدٌ فيها المَنِيَّةُ والمنى   تُشقي السَّوامَ، وتُسعِدُ الوفَادا »

فيسرد المحقق سيلاً من أبيات الشعراء المتقدِّمين على الخطي، في هذا المعنى، منهم المشهور كالمتنبي في قوله:

« فأنجم أمواله في النحوس   وأنجم سُؤَّاله في السعود »

ومنهم النكرة كابن جابر في قوله:

« كريم شكت أمواله من سماحه   كما قد شكت أعداؤه من سنانه »

ومثل هذا الإستطراد والتَتَبُّع كثيرٌ وكثير في ما بين دَفَّتَي الكتاب، والمحقق يرجع القارئ، في كل ذلك، إلى المصادر التي لملم منها كلَّ ذلك الشتاتِ من الأشعار، ولا يكتفي بهذا وإنما يُصَحِّح ما وقع في تلك المصادر من أخطاء حين يقف على شيء منها كما صنع حين عرَض الأبيات المتداولة في معنى قول الخطي:

« هيهات إن بُلّت بآخرَ مثلِه   أيدي القوابلِ ما حَضَرنَ لِمَولِدِ »

ومن بينها قول الشريف الرضي:

« ثكلتك أرضٌ لم تجد لك ثانيًا   أنّى ومثلك مُعوزُ الميلاد »

وهذا النص الذي اختاره العوامي للبيت هو، في الحقيقة، تصويب لما في ديوان الرضي من تصحيف وقع في كلمة « مُعوِز » وتعني عزيز، أو نادر؛ إذ كُتبت فيه: « معوذ »، وقد شرحها محققه بقوله: « معوذ الميلاد، من أعوذه: دعا له بالحفظ، وقال له أعيذك بالله، والمعنى غامض »، لكن العوامي يضع البيتَ أمامك في صورته الصحيحة الواضحة حيث لا لبسَ، ولا غموض.

الأسلوب الذي انتهجه المحقق في هذا الديوان، وأعني به « التداعي المعرفي »، هو سِمَة هذا الكتاب القيِّم الذي لا يلتقي مع الكثير من الكتب المحققة في مستوى هذا التداعي، فالكتب المحقَّقَةُ، في عمومها، وإن كانت تنحو النحو نفسه، إلا أنها قد لا ترتقي إلى ما ارتقاه الأستاذ العوامي.

يعجبك فيه استقصاء الشواهد الشعرية استقصاءً قد يصل إلى مرتبة الحصر، وهذا يحتاج إلى جُهدٍ مُضنٍ، وتَتَبُّعٍ فريد.

وتأتي اللافتات البارزة، في هذا التحقيق، في الفيض من المعلومات التي تغمر القارئ فتأخذ بحُجزَتِه نحو الإكبار والإعجاب للأستاذ المحقق الذي أوعى المواد الدينية والجغرافية والتاريخية، وخصوصًا تلك الزوايا المنسِيَّة، في تاريخ المنطقة، التي استخرجها؛ إما من مخطوطات مندثرة، أو كتب قديمة نادرة، إلى غير ذلك، مما له

علاقة بالموضوع المطروح في ثنايا التحقيق.

ويأتي في هذا الباب ملحق بِسِيَر الأعلام، يضُمُّ تراجم لشعراء البحرين* خلال الحقبة الممتدة من عصر ابن المقرب العيوني إلى عصر الخطي، والأستاذ الباحث، مع أخذه بجميع الأسباب التي وفر نفسه عليها في سبيل الوصول ببحثه إلى حالٍ يحسن عندها السكوت والرضا، فإنه - على ظَنٍّ مني - قد أطنب في بعض الموارد فأثبت عدداً من القصائد، أو المنظومات، للشاعر الواحد، وحريٌّ بِهِ الإكتفاءُ بالقليل منها، نماذج وأمثلة.

هذه ملحوظة صغيرة لا تقلل من شأن هذا العمل الضخم، والرمي القصير لا يبلغ المرمى البعيد. هذا إذا لم نقبل التبرير الذي تَذرَّع به المحقق بأنه أطنب في تلك القصائد لأنها نادرةٌ، ومستخرجة من كتب قديمة، ومخطوطات عزيزة الوجود، وأنَّ نشرَها، هنا، بمثابة انتهاز فرصة قد لا تتاح في غير هذه المناسبة.

عشتُ مع الأستاذ العوامي على أطراف معاناته في هذه الدراسة، كنت أقرأ ما يكتبه، أثناء قيامي بالمراجعة والتصحيح المطبعي. عشت تجربته، فعرفت فيه شِدَّةَ الرمي وبُعدَ المرمى، في التحقيق والتدقيق؛ لا يكتفي بالوقوف على السطح؛ وإنما ينزل إلى خنادق البحث، ومجاهل التاريخ، وكم في هذه من حفائر وأغوار - إذا أجيز لي التعبير - تحتاج إلى تَتَبُّع جادٍّ، وبصيرة نافذة، يلمَسُ القارئ كل هذا بوضوح، وهو يُوزِّع نظراته الروِيَّة على جنبات الكتاب، خصوصًا عندما يقف على مَواطِنِ المقارنات بين المصادر الأولى المخطوطة، والمصادر الثانوية المطبوعة. والمحقِّق يعتمد، في ذلك، على إحساسه اللغوي، وذوقه الأدبي؛ خذ مثلاً على ذلك ما جاء في مقدمته عن معالجته لتصحيف وقع في البيت التالي في أصوله وفروعه جميعًا، فقد جاء في الديوان المطبوع وأعيان الشيعة هكذا:

«لا شيء أبرح غُلَّة من واردٍ   أدلى «بأدوام الدلاء» وما استقى»

وقريب من هذا النص ما جاء في مخطوطة الظاهرية:

«لا شيء أبرح غُلَّةً من واردٍ   أدلى «بأدوام الدلأ» وما استقى»

أما في مخطوطة مكتبة المرعشي النجفي فقد جاء التصحيف بهذا النص:

«لا شيء أبرح غلة من واردٍ   أدلى «بأرذام الدلا» وما استقى»

وأما مخطوطة الڤاتيكان فنص البيت فيها :

« لا شيء أبرح غلَّةً من واردٍ   أدلى « بأوذام الدلاء » وما استقى »

هنا تتَّضح معاناة المحقق؛ فالدوم واحدته دومة: شجر معروفٌ ثمره المَقل، والدلاء، جمع دلو: وعاء من جلد، ونحوه، يُستَقَى به، والأرذام، جمع رذم: القطر، والسيلان. وأمَّا أوذام فلم يجئ في المعاجم إلا وِذام، جمع وَذَم، ومعانيها بعيدة، وأقربها إلى الدلاء: السيور بين آذانها وعراقيها، ووَذَمَة: الكرش والمعي، ووذماء: العاقر، وآخر ما ورد مما يقرب من هذه اللفظة: وذائم، جمع وذيمة: الهدية إلى بيت الله الحرام، والأموال المنذورة لجهةٍ مخصوصة. ولا معنى للبيت - عندئذٍ - بأي من تلك الألفاظ، وكان ممكنًا أن يُوَفِّر، على نفسه، مَشاقَّ البحث، وعنت التصحيح لو اكتفى بعبارة: « كذا في الأصل »، كما يفعل كثيرٌ من المحقِّقين في مثل هذه الحال، لكنه آثر مكابدة العناء، والأخذ بمبدأ الأشباه والنظائر حتى انتهى إلى ما ظنه تصويبًا لهذا التصحيف مرجِّحًا أن صواب اللفظة هو « أروان »، وهي بئر كانت معروفة في المدينة المنوَّرة، وهذه هي اللفظة التي رآها مناسبة لمعنى البيت فاطمأن لصحتها معتقداً أنها اللفظة التي أرادها الشاعر صاحب الديوان، ولكنَّ النساخ صحَّفوها.

هذا مثال واحد يمكن أن يقاس عليه كثيرٌ مما في طي التحقيق من تصحيحٍ لما في الديوان من التصحيف، والتحريف، والإيطاء، والإقواء، وغيرها مما أوفاها المحقِّق متنًا وحاشية. ثم يأتي دفاعُه عن الشاعر - في ختام هذا السِّفر - بمثابة أحزمة من ضوء تكشف القيمة الفنية لشعر الخطي من خلال بيان الأخطاء التي وقع فيها منتقدوه؛ إمَّا للَبسٍ وقعوا فيه، أو تصحيف في مخطوط اعتمدوا عليه.

ولعل خير ما يقال، في الختام، أن تحقيق ديوان أبي البحر بحرٌ في ذاته، خاض لُجَجَه ملاَّحٌ ماهر، لم تَثنه عَقَبة، ولم تُلنه شِدَّة، ولم يُرخِ عَزمَه بُعدُ الطريق، حتى بلغ شأواً عظيمًا، هذا ما أراه، وللقارئ الكريم الحكم للأستاذ المحقق أو عليه، والحمد لله الذي لا يُحصي نعماءه العادُّون، ولا يَبلُغُ مِدحَتَه القائلون.

* * *

مقدمة المحقق

﴿ بِسْمِ اللهِ وَبِهِ نَسْتَعِين ﴾

لقد أسدى السيد علي الهاشمي (رحمه الله) يداً كريمةً للأدب بمبادَرته إلى طباعة ديوانِ أبي البحر جعفر الخطي في طهران سنة ١٣٧٣هـ ١٩٥٣م؛ فبهذه المبادرة حَفظ الدِّيوانِ عن الضَّياع، وبغيرها ربَّما بقي الشاعر وديوانه قابعَين في زاوية الإهمال، والنسيان، شأنَ كثيرٍ من تُراث الخليج الأدبيِّ المفقود.

ولا يُقلِّل من قيمة جُهد السيد الهاشمي*، عفا الله عنه، ما اعتَوَر تلك الطبعةَ من هَناتٍ كان سبَبَها، على الأرجح، حرصُه على إنقاذ الدِّيوانِ بالسُّرعة الممكنة، فالمُهِمُّ، في تقديره، أن يُخرجَه إلى النور، ففي ذلك حفظه، وهذا صواب، بدون شك، ولكن ليته عمل بدواعي الإستعجالِ، هذه، فدفع بالديوان إلى المطبعة كما هو! لكان ذلك غاية الإحسان، لكنه تَصَرَّفَ فيه تَصَرُّفًا أفقده كثيراً من المزايا؛ فمن ذلك أنَّه:

١- رتَّبَه ترتيبًا هجائيًا خلاف الترتيب الموضوعي الذي كانت مخطوطات الديوان مرتَّبةً به، ولقد كان بوسعه تركُه على حسب ترتيبه الموضوعي والزَّمَني كما صنع جامعُه، والإكتفاء بعمل فهرست هجائي إن كان لا بدَّ من الترتيب الهجائيِّ فذلك أكثر سهولة، وأنفع للدارسين.

٢- حذف الرسالة النثرية التي بعث بها أبو البحر إلى صديقه الغنوي*، بالبحرين[1]، في وصف مدينة شيراز[2]، وكذلك صنع بمقدمات القصائد؛ إذ حذف بعضها مع تواريخها، وصاغ مقدمات من إنشائه لبعضها الآخر، وأقل ما في هذا التصرف تعميَة المناسبة، وطمسها، فضلاً عن حرماننا من معرفة أسلوب الإنشاء النثري في عصر الشاعر.

---

(١) البحرين: أرخبيل جزر في الخليج*، تبعد عن الساحل الشرقي لجزيرة العرب بحوالي ٢٥ كيلاً.
(٢) شيراز: مدينة في جنوب غرب ايران، قاعدة إقليم فارس، تشتهر بصناعة السجاد.

٣- اكتفى بإثبات القصائد، أو الأبيات، والمقطعات التي قالها أبو البحر مساجلاً، أو معارضًا، أو مجيزاً لغيره، وحذَف أبيات الشاعر الآخر، باستثناء مساجلة واحدة بين أبي البحر والسيد ماجد الصادقي*، وهي التي بدأها الخطي بقوله:

توشَّحت السماءُ ببُرد غيم فأجمل بالموشح والوشاح[1]

ولو أنه التفت إلى أهميَّة إثبات شعر المساجِل الآخر لما فيها من فائدة الكشف عن شعراء كاد ذكرهم أن يضيع، وأن هذا الديوانَ، وحدَه، هو المصدر الوحيد لذلك الشعر لما فاته أن يكون السَّابق إلى نشر شعرهم، حفظًا له، كما صنع بِشعر أبي البحر.

٤ - اهتم بمقارنة عدد أبيات القصيدة في نسخته بعدد أبياتها في نسخة السيد محسن الأمين (رحمة الله عليه)، وهذه، وحدها، ليست ذات فائدة تذكر؛ فإنَّ غرض السيد من ترجمة أبي البحر لا يعدو عرضَ نماذجَ من شعره، ولم يقصد تدوين شعره كاملاً.

٥ - لم يهتمَّ بتصويب ما بنسخته من تصحيفات، وأخطاء إملائية، وبإضافة تصحيفات وأخطاء طباعية أخرى صار للديوان المطبوع حظٌّ أكبر من التشويه والتحريف.

٦ - من الغريب أن تأتيَ إحدى مخطوطات الديوان، وهي محرَّرة سنة ١٣١٨هـ ١٩٠٠م، مشتملة على فهرس للقصائد، ويأتي الديوان المطبوع بعدها بخمس وخمسين سنة خلواً من أية فهارس تذكر.

على أنَّ هذه الملاحظات، كما قلت، لا تُقَلِّل من قيمة صنيع السيد في حفظ الديوان، فحسبه أنه اجتهد، ولكل مجتهد نصيب. أما الديوان، بصورته الماثلة بين يدي القارئ، فإنَّني لا أزعم أنَّها خِلوٌ من الخطأ، ولا مُبرَّأةٌ من النقص، فالكمال لله وحده، وحسبي أن بذلت فيه جُهداً لا أدَّعي بلوغ الغاية فيه، وإنَّما حاولت أن يكون متمِّمًا لعمل السيد، فضممتُ إليه ما وجدت من أبيات أو قصائد لم يتضمَّنها الديوان المطبوع، وتركت ترتيبه كما رتَّبه جامعه الغنوي* لاقتناعي بأفضليته على الترتيب الهجائي، فالترتيب الهجائي يغني عنه الفهرست وحده متى رُتِّب ترتيبًا هجائيا يُعِين القارئ إذا أراد الإنتفاع به. إلاَّ أنني، وإن التزمت بالترتيب الموضوعي، زدت في

(١) الديوان جـ ١/٣٧٦.

تقسيم الأبواب ما أوجبته الضرورة، فخصَّصت أبوابًا للدوبيت، والوصف، والمساجلات، والحنين، والرسائل، وهي موضوعات أدرجت في المخطوطات في سياق غيرها من الأبواب، ثم أضفت بابًا آخر خصَّصته للشعر المنسوب للشاعر؛ مما لم يرد في الديوان المطبوع، ولا المخطوطات، سواء ما ورد منه في المصادر، أو ما سمعته دائراً على ألسنة الأدباء القطيفيين، وكذلك حاولت ترتيب القصائد داخل الأبواب بحسب تسلسلها التاريخي ما وسعني ذلك.

ورأيتُ عدداً يسيراً من الأبيات شذَّ عن موضعه في الأصول، أو في بعضها، محدثًا اضطرابًا في سياق القصيدة فوضعته في الموضع الذي اعتقدته مناسبًا حفاظًا على نسق القصيدة، وتسلسل معانيها، كما عُنيت عناية خاصة بالأبيات التي سُبِق الشاعر إلى معانيها، فأثبتُّها مشيراً إلى مضانِّها كي يتمكن القارئ من الرجوع إليها متى شاء، وهذه بادرةٌ لم أجد غيري من المحققين قد اهتم بها، ربما لصعوبتها، أو لأسباب أخرى، لكنني وجدتها أكثر فائدة للقرَّاء؛ لا سيما من يرغب في الوقوف على القصيدة كاملة، وإذ لاحظت ولع الشاعر بتكرار معانيه آثرت لفت النظر إلى مواضعها أيَّان وُجِدت.

وأمَّا اللغة فاكتفيت بشرح القليل من مفرداتها؛ لما وجدته من سهولة لغة الشاعر، ونُدرة الغريب فيها، وما أوجب اللبس، وبدا عليه الغموض فأغلبه آتٍ من التصحيف، والأخطاء الإملائية. وأما ما يلاحظ من الكلمات المشروحة فهو، في الغالب، لتلك التي كانت مصحَّفة في الأصل، وغرضي من ذلك لفت النظر إلى أصل الصواب فيها.

وكان تعاملي مع الأخطاء أن أثبَتُّ الصواب في المتن، وفصَّلت، في الهوامش، صُوَرَ الخطأ كلَّها حسب ما وردت في مواضعها من الأصول، ولم أجد حاجة لذكر المصدر الذي أثبتُّ الصواب منه إلاَّ نادراً؛ معتمداً على ذكره في التخريجات، وصنعت الشيء نفسه في التصويبات التي وضعتُها للأخطاء التي وقَعَت في جميع الأصول، وأهملتُ، أيضًا، ذكرَ المصدر الذي لم يرد فيه ذكر للبيت الذي وقع فيه الخطأ، أو القصيدة التي وقع فيها ذلك البيت، وعلى سبيل المثال: وقع تصحيف في كلمة «أروان»، وهي اسم بئر في المدينة المنوَّرة*، فجاء البيت في نسخة الظاهرية والديوان المطبوع وأعيان الشيعة، بالصيغة الآتية:

لا شـيءَ أبـرحُ غُـلَّـةً مـن واردٍ أدلى بـ «ادوام» الدلاءَ وما استقى

وجاء في نسخة مكتبة المرعشي النجفي:

لا شـيء أبـرح غـلَّـةً مـن واردٍ   أدلى بـ «ارذام الدلا» وما استقى

فأثبت في المتن الصيغة التي احتملت أنها الصواب وهي:

لا شـيء أبـرحُ غلَّـةً مـن واردٍ   أدلى بـ «أروانَ الدلاءَ» وما استقى[1]

وأشرت في الهامش إلى المضان التي وقع فيها التصحيف، ولم أذكر مخطوطة المقابي «أ»، فهذا معناه أن البيت الذي وقع فيه التصحيف ليس في تلك المخطوطة، وفي ذيل الحاشية أشرت إلى تخريجات القصائد والأبيات، ووضعت ما أضفت من أبيات، أو جُمَل، أو كلمات، خَلَت منها الأصول، أو بعضُها، بين معقوفين: {} تكملةً إما للسياق، أو للمعنى. أما هذان الهلالان: () فحصرت بهما الأبيات التي ضمَّنها الشاعر، وهي لغيره، ورمزت بهذه النجمة: (✱) إلى من مرَّت ترجمته، أو ذكره، من الأعلام، وإلى ما سبق شرحه من الكلمات، وغير ذلك؛ مما استوجب التنبيه على سبق ذكره. أما هذه النجمة (*) فأشرت بها إلى من تُرجِم في الملحق، أو في الحاشية.

وإذ لاحظت استعمال الياء المُثَنَّاة عِوَضًا عن الهمزة؛ سواء في الديوان المطبوع، أو في المخطوطات؛ مثل «قايد» بدلاً من «قائد»، و«جيت»، مكان جئت، خلافًا لما نستعمله نحن اليوم في الإملاء، ووجدت أن الإشارة إلى ذلك عند كل موضع سينتج عنه تكرارٌ لا مبرِّر له، فآثرت أن أكتفي بالإشارة إليه بهذه النجمة (*) لتنبيه القارئ إلى أن الهمزةَ مبدلةٌ بياءٍ مثناة في المخطوطات.

وفي تعليقات الحواشي احتجت، أحيانًا، لشرح بعض الكلمات في الهامش فرمزتُ إلى الموضع المقصود بالشرح بهذه النجمة: (✸).

وسيلاحظ القارئ الكريم أنني في تخريج بعض القصائد لم أشر إلى الديوان المطبوع المرموز إليه بعبارة: «الهاشمي*»، وعذري في ذلك أن تلك القصائد ليست موجودة فيه. وأما عذري في الإكثار من التعليقات فهو كثرة الأخطاء، والتصحيفات، والإختلافات بين أصول الديوان، وحرصي على تصحيحها، والتنبيه على صُوَرها ما أمكنني. وأمَّا العناوين التي تصدَّرت القصائد فليست موجودة في الأصول، وإنما اخترعتها اجتهاداً، فأرجو أن أفوز بأجر المجتهد المصيب، وشيء آخر ما يزال موضع

---

(١) الديوان جـ ٢/ ١٤٠.

جدل بين محترفي الأدب، ألا وهو التصرف في تراث الأجيال الغابرة؛ أجائز هو أم غير جائز؟ فإنَّا رأينا كثيراً من ذلك التراث «نهباً صِيحَ في حُجُراتِه» بحجة منافاته للذوق، أو الخُلُق، تارةً، وباختلاف رأي صاحبه عن رأي القائم على تحقيقه، أو عن مذهبه، تارةً أخرى، وقد رأيت أن التراثَ حقٌ عام لا ينبغي لأحد أن ينفرد بالإستحواذ عليه، والتصرف فيه، وعملاً بهذا الرأي لم أتَصَرَّف في ما في الديوان من مُجُون، سواء في شعر الخطي، أو غيره، فأثبته كما هو، وأنطتُ مسؤوليَّته بقائله، وحتى ما أفرط من فحش ، وسمُج من لفظ أبقيت، من حروفه، ما يدل على أصله.

ومما وجدته ضرورياً؛ إلقاء الضوء على الحركة الأدبية في وطن الشاعر، فألحقت بالديوان عرضاً حاولت أن يستوعب مسيرة الأدب منذ عصر ابن المقرب العيوني * حتى عصر الخطي، وخلاله سيطَّلع القارئ على كثير من الشعر لم يهتم به أحدٌ - في ما أعلم - ممن كَتب، أو تَرجم، لأدب المنطقة، فإن صادف أن ألمَّ به أحد فعلى سبيل الإقتضاب، فلا يزيد ما يقدم من نتاج الشاعر على بضعة أبيات لا تكفي لإعطاء ولو صورة بسيطة لمستوى الشاعر، وإلا فالغالب أن يقتصر على ترجمة مختصرة للشاعر تخلو حتى من تلك النماذج البسيطة، فرأيت أن أجمع ما أمكن جمعه، ولا سيما ذلك الشعر الذي ندَرَت مصادره، أو الذي لم يتعدَّ أحشاء المخطوطات.

وبمقدار الأهميَّة التي نظرت بها إلى الجانب الثقافي من تاريخ المنطقة كانت نظرتي للجانبين الأمني والسياسي، فرأيت أن ألِمَّ بهما خلال مدخل حاولت فيه أن أجُوس في تلك الحلقات المشتَّتة من تاريخها حتى عصر الخطي، وسوف يرى القارئ الفاضل أن منها حلقات أهملها مؤرخو المنطقة، كالفترة التي حكم فيها الأشراف الحسنيون آل أبي نمي، والسلطان خدابنده المغولي، وولده أبو سعيد، ولم أنسَ محاولة التحقيق في ما وقع من أخطاء تاريخية، كفترة حكم بني جروان، وكان الهدف الرئيس من هذه الإلمامة بالتاريخ أن نعرف الأسباب الكامنة وراء اندثار معالم الحياة الثقافية، وضياع آثارها، ولا بد من الإشارة، هنا، إلى كتاب قيِّم صدر بعد إنجازي لهذا العمل بزمن يسير، ذلك هو «أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين خلال ١٤ قرناً» للأستاذ سالم النويدري، فقد كان لزاماً أن أقوم بمراجعته، والإستفادة منه بقدر ما تسمح به مقتضيات الإضافة، والتحرير لعمل منجز، لا سيما وأنه وقعت به أخطاء رأيت ضرورة التنبيه إليها.

وبعد ؛ فهذا هو دِيوان أبي البحر جعفر بن محمد بن حسن بن ناصر الخطي ؛ أشهر شُعراء حِقبَةِ الإحتلال البرتغالي للخليج العربي*، أقدِّمه للقارئ الكريم مؤمِّلاً أن أكون قد أدَّيت شيئًا من حق هذا الشاعر المشهور في عصره، المغمور حتى عند من كتب عنه من أهل عصرنا من أمثال الشاعر خالد محمد الفرج.

وكلمة عُرفان صادقة لا بدَّ من تسجيلها، وهي أن هذا الجُهد يقف وراءَه عدد من الرجال الأوفياء للأدب، لم يبخلوا عليَّ بالعون؛ سواء بإمدادي بالمصادر، أو بالرأي والتوجيه، وبدون معاضدتهم ما كان لهذا العمل أن يتم، وأخص بالذكر منهم الوجيه عبد الله بن منصور أبو السعود[1]، رحمه الله، فهو أول من مدَّ إليَّ يده الكريمة بنسخة مصورة من مخطوطة بحوزته كتبها رضوان المقابي القطيفي سنة ١٣١٨هـ ١٩٠٠م، والثاني هو السيد شبر علوي القصاب، مصاحبي في رحلتي مع الديوان منذ البداية، بتقديم كثيرٍ من المصادر والمراجع، من كتب، ومجلات، ومثله الحاج عبد الكريم محمد علي الشيخ علي القديحي، وكذلك الصديق سيد أرشد الحسيني[2] مسؤول الرقابة الأجنبية بإدارة المطبوعات بالدمام، وقد أسدى اليَّ يداً كريمةً بتقديم نسخته الشخصية من مخطوطة المكتبة الظاهرية، فقد اطلع على النسخة التي أرسلَتها لي المكتبة، وقدَّر أنني لن أستفيد منها لعدم وضوحها، فتفضل بنسخة أحسن وضوحًا منها أعانتني كثيراً، ومع هذا الرعيل من المخلصين ابن عمنا، سماحة السيد حسين بن السيد محمد العوامي، وفضيلة الشيخ منصور السلمان الجَشِّي وقد تفضلا عليَّ بأن أوصلا إليَّ، متعاونين، نسخة من مخطوطة مكتبة المرعشي النجفي، وكذا الأستاذ السيد حمزة الحسن، فإليه يعود الفضل في توفير بعض المعلومات عن التراجم التي تضمنها كتاب زهر الرياض وزلال الحياض للسيد حسن بن شدقم المدني، وهو مخطوط محفوظ في مكتبة المتحف البريطاني في لندن، وفضيلة الشيخ حبيب الجميع وقد تكرَّم بتزويدي بصور لبعض الأوراق من مخطوطة الذخائر للشيخ محمد علي العصفور، إضافة إلى صورة كاملة من مقالة الأستاذ عز الدين التنوخي عن الأدب في البحرين*، وكانت النسخة التي لدي منها ناقصة، وكذلك الأستاذ محمد باقر النمر، فلتكرمه بإمدادي

(١) عمل مديراً مساعداً بجمرك القطيف، ثم مديراً لجمرك الخفقة «الخفجي»، يتحلى بسجايا حميدة منها الكرم، والبشاشة، توفي، رحمه الله، في ٢٦ ذي الحجة سنة ١٤١٥ هـ.

(٢) من السادة الحسينيين، نزح أجداده من بغداد، واستوطنوا الهند، تعرّفت إليه يوم كان يعمل في إدارة المطبوعات بوزارة الأعلام في الدمام لعدة سنوات، ثم عاد إلى الهند، تقدم لنيل درجة الدكتوراه من الأزهر، وكان موضوع رسالته شعر أبي البحر الخطي لكن ظروفًا خاصة عاقته عن إتمام الرسالة، وأتمنى أن يتمكن من إتمامها، ونيل شهادتها.

بِصُوَرٍ لبعض المخطوطات يعود الفضل في بعض ما قدمتُه من جديد في تاريخ المنطقة، وما أنس لا أنس الأخوة الأصدقاء: الأستاذ سيد علي سيد باقر العوامي (رحمه الله)، والأستاذ محمد رضي الشماسي، والأخ الأديب جعفر حسن السويكت، وقد تجشّموا مشقة المراجعة، والتصحيح، والأستاذ عبد الله إبراهيم الجشي لِعَونه في المراجعة والمساعدة في الإعداد الألكتروني، والأخ الفاضل زكي حسن الموسى، أيضًا، وكذلك نجلنا العزيز لؤي، فقد منحوا الديوان كثيراً من وقتهم، ووكدهم في التصحيح، والمراجعة، وإسداء النصح، كما أخص بالشكر القائمين على دار المصطفى لإحياء التراث بقم، ممثلين في سماحة الشيخ ضياء سنبل، لتفضلهم بنسخة من مخطوطة ديوان الخطي، المحفوظة بمكتبة الفاتيكان « Biblioteca apostolica vaticana، الشعر العربي Vat Arabo » برقم: ١٧٥٣، المملوكة لمستنسخها محمد بن سلمان بن علي بن زين خليل العاملي لنفسه عام ١٢٧٥هـ، وإن لم أنتفع منها بشيء، لنقصها عما لدي من نسخ الديوان، وأخيراً الأستاذ موسى الرضوان على كرمه بتوفير الطابعة، وهي واحدة من العقبات الكؤود، والمعضلات العنود في طريق طباعة الدِّيوان.

فإلى هؤلاء الأفاضل جميعًا أزجي جزيل الشكر والإمتنان، فبدون عونهم ما كان لهذا العمل أن يرى النور.

القطيف عدنان السيد محمد العوَّامي

مصادر التَّحقيق

اعتمدت في تحقيق الدِّيوان على المصادر التالية:

المخطوطات

أوّلاً - صورة من مخطوطة حديثة، نسبيًا، بخط رضوان بن حسن بن عبد الله المقابيِ القطيفي فرغ من كتابتها في ١٠/٨/١٣١٨هـ الموافق ٢/١٢/١٩٠٠م، تفضَّل عليَّ بها السيد عبد الله بن منصور أبو السُّعود، ورمزت إليها بـ «أ».

الوصف

تتكون المخطوطة من ١٤٦ صفحة خلاف الفهرست، فقد خصِّص له خمسة أعمدة شغلت ثلاث صفحات، وهي مبتورة من أولها، وفقد من الخطبة أولها، وتبدأ من الصفحة الأولى بعبارة: «يضعون أقدامهم إلاّ حيث وضع»، وتنتهي القصائد بالبيت:

من عذيري من سوءِ حظٍّ رماني ‏ ‏ ‏ ‏ من خطوب أوهت قوايَ جسام

وبعد الفهرست كتب اسم الناسخ، وتاريخ فراغه من كتابتها بقوله: «وهذا الديوان مما قاله الشيخ جعفر الخطي، وقد وقف القلم عن جريانه باليوم العاشر من شهر شعبان المعظم سنة الثامنة عشرة وثلاثمائة وألف، على يد الأقل رضوان بن الحاج حسن بن الحاج عبد الله بن الحاج أحمد المقابيِ* أصلاً، وسكنًا بالقطيف*، عفا (١) الله عنه، وعن والديه، والمؤمنين، والمؤمنات آمين ربِّ العالمين».

مقاس الورقة: ١٧ × ٢٤ سم، تشتمل على ٢٠ سطراً في المتوسِّط.

الخط: نسخ متوسِّط الجودة، إلاّ أنَّها كثيرة الأخطاء حتى إنَّ بعض القصائد قد

(١) في الأصل: عفى، ولعل الصواب ما أثبتناه.

تداخل في بعضها الآخر، وأسوأ ما في هذه المخطوطة مقدِّمتها، فهي مبتورةٌ، وبها حذفٌ كثير، وتصحيف شنيع، فمن الأمثلة أنها تبدأ بعبارة تقول: «يضعون أقدامهم إلا حيث وضع، مستبق فرسان البراعة، ومنتضل رماة الأعزاض[1] من ذوي البلاغة»، إلى غير ذلك من الجمل المبعثرة، والمفكَّكة غير المترابطة مثل: «ويناط به على المرعِّث رعات الأماني، ويهني به... وواحد عند اعتذاره المحسن والمسيء والسقيم و... وسواء لو أراد المجون الراهب المتنسك والماجد »[2]، وما شابه ذلك مما يجعل تجبيرَها عبثًا لاطائل منه، ويدل تداخل الجمل في الخطبة، وكثرة البتر، والجمل المحذوفة، والفراغات التي تتخلل الجمل -- على أن الناسخ نقل تلك الخطبة عن نسخة ممزقة، وأنَّه قام بمحاولة غير موفقة لترميمها، فجاءَت آيةً في التشويه.

ثانيًا - صورة عن مخطوطة محفوظة بالمكتبة الظاهريَّة بدمشق[3] برقم: ٣٣٦٥، شعر، لم يذكر اسم ناسخها، وخطبتُها تامَّة، وبدايتها، بعد البسملة: «أمَّا بعد حمد الله الذي جعل الحمد قيداً لأوابد النعم»، وتنتهي بقصيدة يعاتب الشاعر فيها السيد ماجد الصادقي* وآخرها:

وأبتدر الغايات سَبقًا فأنتهي لأبعدها، شأواً، ولستَ أماميا

ثم عبارة: «تمَّ هذا الديوان بعون الملك المنَّان، والحمد لله أولاً وآخراً، وباطنًا وظاهراً، وصلى الله على محمد وآله وسلم»، وقد رمزت إليها بـ: «ب».

الوصف

تتكوَّن المخطوطة من ٢١٦ صفحة في ١٠٨ ورقات.

مقاس الورقة: ٢٥× ١٥ سم، وتشتمل على ١٥ سطراً في المتوسط.

الخط: نسخ متوسِّط الجودة، لكنَّها كثيرةُ الأخطاء، كسابقتها، ولم يذكر كاتبها اسمَه، ولم يشر إلى تاريخ تحريرها، لكنَّ أحدَ متملِّكيها، وهو الشَّيخ محمد بن صالح بن جار الله الصَّيمري[4]، أرَّخ تملُّكَهُ لها في ليلة

(١) لعلَّ صوابَها: الأغراض.

(٢) في ب والهاشمي: الماجن.

(٣) توجد نسخة منها بمركز الوثائق التاريخية بالبحرين* مصوَّرة على مايكرو فيلم رقم ٢٠٦٥/١٤. راجع: فهرست مخطوطات المركز جـ ١/١٨١، وجـ ٢/١٥٣.

(٤) نسبةً إلى صيمرة، وهي ناحية بالبصرة*، بها عدد من القرى، وصيمرة، أيضًا، مدينتان في مهريجان بين الجبل وخوزستان. راجع: معجم البلدان جـ ٣/٤٣٩، ومعجم ما استعجم جـ ٢/٨٤٩، وأدب الطف جـ ٥/١٥.

السَّبت: ٢٤ ذي القعدة سنة ١١٢٤هـ ، الموافق ٢٣ ديسمبر ١٧١٢م.

ثالثًا - نسخة عن مخطوطة بمكتبة آية الله المرعشي النجفي بقُم في ايران رقمها: ٤٩٦٩، قسم كتب خطية، بخط محمد الدليزي، وقد فرغ من كتابتها في يوم الجمعة سنة ألف ومائتين واثنتين وأربعين للهجرة، ولم يذكر الشهر، وخطبتها تامة، وبدايتها بعد البسملة: «أمَّا بعد حمدِ الله الذي جعل الحمد قيداً لأوابد النعم»، ونهايتها: «تم هذا الديوان بعون الملك المنان»، وبعد هذه العبارة يأتي التاريخ، واسم الناسخ، ورمزت إليها بـ: «ج».

الوصف

تتكون المخطوطة من ١٥٦ صفحة في ٧٨ ورقة.
مقاس الورقة: ٢١ × ١٥ سم، وتضم الصفحة ٢١ بيتًا في المتوسط.
الخط: بين الرقعة والنسخ، رديء، لكنه مقروء، وهي كسابقتيها كثيرة الأغلاط.

رابعًا - مجموع شعري مخطوط بخط الشيخ لطف الله بن علي بن لطف الله الجدحفصي البحراني(١)، ويشتمل على عدد من القصائد من بينها قصيدة أبي البحر في رثاء الإمام الحسين (ع)، فقابلتها بالمخطوطات، وأفدت منها أيضًا في بعض ما نقلته منها في الملحق رقم «٢»، وهي مبتورة من البداية والنهاية، وليس لها مقدمة، وتبدأ بأبيات من قصيدة للشريف الرضي في رثاء الإمام الحسين (ع) أوَّلها:

ومَسُوقٍ عاثرٍ يُسعى به   خلف محمولٍ على غير وِطا (٢)

وتَنتَهي المخطوطة بقصيدة للشريف الرضي أيضًا مطلعها:

ألا لله أيُّ هوىً أضاءَ   بَريق بالطويلع(٣) إذ تراءَى

وآخرها: متاعٌ أسلفَتناهُ الليالي   وأعجلنا، فأسرعت الأداءَ

(١) عاش في آخر القرن الثاني عشر، وأوائل القرن الثالث عشر للهجرة. شاعر مجيد، أنيق الخط، أثبت لنفسه في هذا المجموع سبع قصائد طوال، وترجم له السيِّد جواد شُبَّر على أنَّه حفيد الشيخ لطف الله بن محمَّد بن عبد المهدي، ولم يذكر سنده. أمَّا هو، نفسه، فقد أثبت لهذا الشيخ قصيدةً في مجموعه، ولم يُشِر إلى أنه جدُّه. وأمَّا المجموع فيبدو أنه نسخة ناقصة من مجموعه الموجود بمكتبة الشيخ محمد علي اليعقوبي في النجف بالعراق* المؤرخ فراغه من تحريره يوم ١٢رجب سنة ١٢٠١هـ . راجع: أدب الطف جـ ٥/٢٥٥و٢٥٩.

(٢) من قصيدة مطلعها: كربلا، لا زلت كربًا، وبلا   ما لقي عندك آل المصطفى؟
ديوانه جـ ١/٤٤.

(٣) طوَيلع، بدون الألف واللام، مصغَّراً: ماء لبني تميم، ومنهل بالصَّمان، وموضع بنجد، وهضبة بمكة، ولعل الأخيرة هي المقصودة. راجع: معجم البلدان جـ ٤/٥١.

وقد رمزت إليها بـ: «ل».

الوصف

يضم المجموع: ١٧٣، ورقة بها ٣٧٦ صفحة، بمقاس: ٢٢,٥×١٦سم، وتشتمل على ١٥ سطراً «بيتًا».
الخط: ثُلُث، وتتخلَّله بعض حروف الخط الرَّيحاني، وهو جميلٌ جداً، والقصائدُ مؤطرةٌ بإطار ذي خطَّين أحمرين مستقيمين داخل خط ثالث كُحلي يزيِّنُ حوافَّ الورق.

المطبوعات

أوَّلاً - ديوان أبي البحر الشيخ جعفر بن محمَّد الخطِّي العبدي، طبع بعناية السيِّد علي الهاشمي* في المطبعة الحيدرية بإيران* سنة ١٣٧٣هـ ١٩٥٣م، ورمزت إليه بـ: «الهاشمي».

ثانيًا - أعيان الشيعة، وهو سفرٌ جليل ألَّفه العلاَّمة السيِّد محسن الأمين العاملي، يشتملُ على تراجم وسير أعلام الشيعة من العلماء، والأدباء، والأمراء، وغيرهم، وقد اشتمل على قدرٍ كبير من شعر أبي البحر ضِمن ترجمته، وتراجم غيره ممن له بهم علاقة، وقد رمزت إليه بـ «الأعيان».

ثالثًا - سلافة العصر في محاسن الشعراءِ بكلِّ مِصر، ألَّفه العلاَّمةُ الأديب الشاعر السيِّد علي صدر الدين المدني المعروف بابن معصوم: ١٠٥١ - ١١٢٠هـ ١٦٤١ - ١٧٠٨م، مصوَّرة عن الطَّبعة الثانية المطبوعة بمطابع علي بن علي بالدَّوحة في قطر سنة ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م، على نفقة الشيخ أحمد بن علي بن عبد الله آل ثاني، حاكم قطر، وقد رمزت إليه بـ «السلافة».

رابعًا - نفحة الريحانة، وهي ذيل على ريحانة الألباء للشهاب الخفاجي، ألَّفها محمد أمين فضل الله بن محب الدين المحبي ١٠٦١ - ١١١١هـ ١٦٥٠- ١٦٩٩م، إضافة إلى عدد من المؤلَّفات المطبوعة الأخرى مثل: كشكول البحراني

للشيخ يوسف بن عصفور البحراني، ومِنن الرَّحمن للشيخ جعفر النقدي، والحيَوان في الأدب العربي، لشاكر هادي شكر، وسلوة الغريب وأسوة الأريب المعروفة بـ: «رحلة ابن معصوم المدني*»، وخلاصة الأثر للمحبي صاحب نفحة الريحانة، وغيرها مما هو مفصَّلٌ في ثبت المراجع.

* * *

مصادر ترجمة الشاعر

لقد عوَّض الله الشاعر عن التعاسة، والشقاء اللذَين تجرَّعهما في حياته، بذكرٍ جهير حتى بعد وفاته، ولعل أفضل تعويض رزقه الله إياه؛ هو ذلك الحظ المحض الذي حفظ ديوانه من الضياع، دون سائر أقرانه من الشعراء، والأدباء، والعلماء المعاصرين له من أهل بلده القطيف*[1] الذين طواهم النسيان، بكل أسف، وفضلاً عن ذلك فقد اهتم به نفر غير قليل من أرباب السير والتراجم. وفي ما يلي ثبت بالمراجع التي قيِّض لي الإطلاع عليها:

أولاً – مصادر تراثية:

٠١ – أعيان الشيعة، سيد محسن الأمين العاملي.
٠٢ – أمل الآمل، محمد بن الحسن «الحر» العاملي.
٠٣ – أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين، الشيخ علي بن حسن البلادي.
٠٤ – أنوار الربيع في أنواع البديع، علي صدر الدين المدني «ابن معصوم».
٠٥ – بحار الأنوار، الشيخ محمد تقي المجلسي.
٠٦– خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد بن فضل الله بن محب الدين «المحبي».
٠٧ – الذخائر، في جغرافيا البنادر والجزائر، مخطوط، الشيخ محمد علي العصفور.
٠٨ – رياض العلماء، عبد الله الأفندي.
٠٩ – سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، السيد علي صدر الدين المدني «ابن معصوم».
١٠– سلوة الغريب، وأسوة الأريب، السيد علي صدر الدين المدني «ابن معصوم».
١١– الكشكول، الشيخ يوسف بن عصفور البحراني.
١٢– نجوم السماء، محمد علي الكشميري.
١٣– نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، محمد بن فضل الله بن محب الدين

(١) القطيف: واحدة من حواضر ثلاث تؤلف قطر البحرين*، سابقًا، في شرق الجزيرة العربية، هي: القطيف* «الخط*»، وهجر* «الأحساء*»، وأوال* «البحرين*».

«المحبي».

١٤- نيل الأماني، ديوان الشيخ حسن الدمستاني، تحقيق الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي.

ثانيًا – مصادر معاصرة:

أ – كتب:

٩١ – الأزهار الأرجية في الآثار الفرَجية[١]، الشيخ فرج بن حسن العمران.

٠٢- أعراف النحو في الشعر العربي، الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي.

٠٣ – تاريخ الأدب العربي «عصرالدول والإمارات»، الدكتور شوقي ضيف.

٠٤- الحيوان في الأدب العربي، الأستاذ شاكر هادي شكر.

٠٥ – الدر النضيد، السيد محسن الأمين العاملي.

٠٦ – الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الشيخ آغا بزرگ الطهراني.

٠٧ – ساحل الذهب الأسود، الأستاذ محمد سعيد المسلم.

٠٨- شعراء القطيف، الشيخ علي بن الشيخ منصور المرهون.

٠٩ – الرائق، السيد أحمد العطار.

١٠ – رياض المدح والرثاء، مجموع يشتمل على مراثي ومدائح آل البيت (ع) للشيخ حسين بن علي بن حسن البلادي القديحي.

١١- طبقات أعلام الشيعة «أعلام القرن الثاني عشر»، الشيخ آغا بزرگ الطهرانى.

١٢- قيم خالدة في التاريخ والأدب، سيد حسن الأمين.

١٣- معجم رجال الحديث، السيد الخوئي.

١٤ – معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة.

١٥- منن الرحمن في شرح قصيدة الفوز والأمان. الشيخ جعفر النقدي.

١٦- واحة على ضفاف الخليج – القطيف، الأستاذ محمد سعيد المسلم.

* * *

(١) نقل حرفي عن مقال الشيخ علي الخاقاني، وترجمته، من مؤلف مخطوط للأستاذ عبد الرسول الشيخ علي الجشي. راجع: الأزهار الأرجية جـ ٣/ ٤٠، وجـ ٤/ ١٧٤.

ب - مجلاَّت:

١ - أبو البحر الخطي، الدكتور أحمد حاجم الربيعي، مجلة الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة.

٢ - الأدب في البحرين «شاعر الخط»، عز الدين آل علم الدين «التنوخي»، مجلة المجمع العلمي العربي، «دمشق».

٣ - شاعر الخليج، سيد حسن الأمين، مجلة العربي، العدد ١٢٥ ابريل ١٩٦٩م، الكويت.

٤ - الشاعر المغمور، الشيخ جعفر الخطي القطيفي، خالد محمد الفرج، مجلة المنهل.

٥ - قراءَة أولى في شعر أبي البحر جعفر الخطي، محمد رضا نصر الله، محاضرة عن سَمَكة «السبيطية»، مجلة العرب، الرياض.

جـ - مصادر أخرى:

تردَّد ذكر الشاعر عَرَضاً، أو مختصراً، في بعض المصادر كالأعلام للزركلي، الجزء الثاني[١]، وعلي جواد الطاهر في: «عن الكتاب في الخليج العربي»[٢]، وشرح ديوان الحاج هاشم الكعبي، «المقدمة»[٣]، وهدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي[٤]، وهو ذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تأليف مصطفى بن عبد الله الرومي «حاجي خليفة»، وروضات الجنات للخوانساري[٥]، ومجلة صوت البحرين، العدد الأول السنة الخامسة، وفهرس المؤلفين بالمكتبة الظاهرية بدمشق، وتنقيح المقال للشيخ عبد الله المامقاني، نقلاً عن تتمَّة الأمل[٦]، والغدير للشيخ عبد الحسين الأميني[٧]، ومن أعلام القطيف عَبر العصور، عرض تاريخي لأعلام القطيف*، كتبه السيد سعيد الشريف، مجلة الموسم العدد التاسع والعاشر لسنة ١٤١١ هـ ١٩٩١م.

* * *

---

(١) ص: ١٢٤.
(٢) ص: ٤٥.
(٣) ص: ٩١ - ٩٢.
(٤) جـ ٢٥٤/١.
(٥) جـ ١٩٢/٢.
(٦) جـ ١٨٥٠/١.
(٧) جـ ١١/ ٣٢٧.

مدخل إلى عصر الخطي

توطئة

لعل من أغرب الظواهر في الحياة الإنسانية أن تكون أسباب الثروة، والغنى، أو الأهمية الجغرافية، أو الإستراتيجية، لبلد مَّا – على الدوام – مصدرَ كدرٍ، وتعاسةٍ له، بدَلَ أن تكون مصدرَ سعادة وهناء، فيُبتلى، دائمًا، بطمع الطامعين، وعَنَت الجبابرة والغزاة، حتى ليمكن اعتبار هذه الظاهرة هي القاعدة، وخلافها النادر الشاذ، ولم تشذَّ القطيف*، مسقط رأس الشاعر الخطي، عن هذه الظاهرة؛ فلقد جَنَت على هذا البلد أهميَّة موقعه، ووَفرة خيراته، فجَرَّت عليه سُيُولاً من النكبات، والويلات المتواصلة، فتلك الواحةُ الوارفة الفينانة، المستلقية على ضفة الخليج*، يكتنفها القفر من خواصرَ ثلاث، وتستند الرابعة إلى مياه البحر، تغتسل في مدِّها حينًا، وتتنشَّف بجزرها حينًا آخر، يراها الناظر إلى خريطة الخليج جَنَّةً فيحاء تتفرد وسط ساحله الغربي المقفر، وحين يتصفَّح تاريخها المَبعثَرَ، هنا وهناك، سوف يعرف أنها غنيَّة إلى حدِّ البطَر، حتى قيلَ إنَّ أهلها اتَّخذوا، في بعض أزمنتهم، الذَّهبَ آنيةً لموائدهم، وزيَّنوا أسقُف منازلهم بالأحجار الكريمة، والمعادن الثمينة[1]، وقد أتاح لها هذا الثراءَ عُيُونٌ ثرَّة، كالأنهار، جمَّةُ العدد، وأرضٌ خِصبةٌ سَخيَّةُ الحِباء، مع بحرٍ غنيٍّ يُغدق عليها من اللؤلؤ زينةً، وبضاعة، وثراء، ومن السمك غذاءً يَقيها غائلة الجوع، والعَوَز، ناهيك عن تَفَرُّدها في وسط الساحل، إذ وهبها مرفأً فَريداً للسفن جعل منها سُوقًا مهمَّة للتجارة، فكانت، بذلك، المركز الوسيطَ بين موانئ آسيا في الهند، وإيران*، والعراق، والشام، ونظائرها في إفريقيا، كمصر*، والسودان، وزنجبار، وبعضها متَّصل، كما لا يخفى، بأوروبَّا عن طريق البندقية، بَلهَ أهميَّتَها لقلب الجزيرة العربية، وباديتها؛ إذ منها تمتار مؤونتها من الزاد، والملبس، وبها تبيع نَتاجها من النَّعَم، والصوف، والسمن.

فاعجب من مزايا الخير تلك كيف جلبت لها المصائب على امتداد تاريخها الضارب في أعماق الزمن، فكانت مطمعَ الغزاة، وهدف البغاة من كلِّ جنس. نعم، لقد حفظ

---

(١) ساحل الذهب الأسود ص: ٧٥.

لنا التاريخ أخبارَ غزوات كثيرة قديمة قدم تاريخها العريق منذ غَزَاةِ «أنطيوخس» الثالث السلوقي، لها[1]، ربما أثناء حملته على الهند* بين سنة ٢١٢ - ٢٠٥ ق.م[2].

ولو كان غرضنا التاريخ وحده لاحتاج الأمر لإفراد كتاب مستقل، غير أنَّه لا مندوحة لنا من أن نُلقيَ لمحةً عَجلى على تاريخ هذا البلد قبل عصر الشاعر، والإلمام بأحداثه، لكي نفهم، بوضوح، سبب اندثار النتاج الفكري لهذه البقعة من الأرض.

* * *

(١) أنطيوخس الثالث الكبير: حفيد أنطيوخس الثاني، ولد سنة ٢٤٢ ق.م، ملك سوريا، غزا الهند* بين سنتي ٢١٢ - ٢٠٥ ق.م، وفي طريقه إليها أخضع عدداً من الممالك، تحالف مع هنيبعل، انتصر الرومان عليه في مغنيزيا سنة ١٩٠ ق.م، وقتل في عيلام سنة ١٨٧ ق.م، راجع موسوعة المورد، ج ١/١٢٤، والمنجد في الأعلام.

(٢) ساحل الذهب الأسود ص٦٠.

في دوَّامة الأعاصير

تُعَدُّ الحروب التي وقعت بعد وفاة الرسول محمد (ص)، وهي ما دُعيَ بحروب الرِّدة، أوَّل حُروب تتعرَّض لها البحرين* [1] في التاريخ الإسلامي، ثم تلتها فتنة الخرِّيت[2] الذي تمرَّد على الإمام علي بن أبي طالب (ع) بعد حرب النهروان، وأثناء فتنة الخوارج التي امتدت، على فترات ليس هنا محل تفصيلها، إلى سنة ١٢٤هـ ٧٤١م، وتَخَلَّلَ هذه الفترة، من الزمن، عدد من الثورات المحليَّة ضد الأمويين*. فشرع الخوارج* يثيرون المتاعب بدءاً من تحرُّشات نجدة بن عامر قبل مبايعتهم له سنةَ ٦٦ هـ ٦٨٥م، وبعدها بعام هاجم نجدة *القطيف*، وحدث نزاع بين الأزد، الذين خُدِعوا به، وبين عبد القيس وغيرها من قبائل البحرين*، وبسبب هذا النزاع تمكن من إلحاق الهزيمة بعبد القيس*، والإستيلاء على القطيف*، ومنها أغار على عمان واحتلَّها، ثمَّ توجه إلى اليمامة واستولى عليها، كما استولى على اليمن، والطائف، وتَبَالة في تهامة، وبعد عودته خُلِع، وبُويع عبد الله بن ثور «أبو فُدَيك» بدلاً عنه سنة ٧٢ هـ ٦٩١م[3]، ثم جاءت ثورة بني محارب من بني عبد القيس*، في القطيف*، سنة ٧٨هـ ٦٩٧م.

في ذات العام قصد أبو معبد الشني البصرة*، وأشعل فيها ثورة، ثم انتفض الريان النُّكري العبدي، في طاب من الخط* [4] «القطيف*» سنة ٧٩، أو ٨٠ هـ ٦٩٨ - ٦٩٩م، وتبِعَه داود بن مُحرز العبدي فثار في القطيف* في نفس السنة، وبعد ست سنين أغار داود بن النعمان، من أنمار بن وديعة، من عبد القيس*، على البصرة *ثائراً [5]، وفي

---

(١) البحرين هنا: قطر واسع يمتد من البصرة* شمالاً إلى عَمَان جنوباً، ويتّصل باليمامة* غرباً، وأشهر حواضره: هجر* «الاحساء*»، والخط* «القطيف*»، وأوال* «البحرين*».

(٢) هو الخريت بن راشد، من قبيلة ناجية، كان من المحاربين مع الإمام علي بن أبي طالب (ع) في موقعة الجمل، وصِفين، والنهروان، لكنه انقلب عليه فجأة، متذرعًا بأنَّ الإمام، ما دام قد قبل بإجراء التحكيم، لا حق له في رفض نتائجه، فجمع نفراً من المتمردين من قبيلته، ولجأ إلى الأهواز، فلحق به معقل بن قيس التميمي وهزمه عند رامهرمز، ثم تعقبه إلى البحرين* وقتله. راجع: صفحات من تاريخ البحرين جـ ٢/٩٢.

(٣) الكامل في التاريخ جـ ٤/ ٢٠، وتاريخ ابن خياط ص: ٢٦٧، وتاريخ ابن خلدون ١٧٧ - ١٨٠، وفيه العطِف، والصواب: القطيف* كما في المصادر الأخرى.

(٤) الخط: بلد من بلدان شرق الجزيرة العربية، وهو الاسم القديم للقطيف*، والإختلاف في موقعه كثير بين الجغرافيين العرب، وأقربهم إلى الواقع هو من قال بأنه يشمل القطيف* والعُقَير وقطر*، وهو عند بليناس: Regio attene، وعند بطليموس: Atta vicus. راجع: دائرة المعارف الإسلامية جـ ٨/ ٣٦٠.

(٥) تاريخ خليفة بن خياط ص: ٢٧٨، والبحرين في صدر الإسلام ص: ١٣٥ - ١٣٦، ولمعرفة موطن هؤلاء الثائرين. ==

سنة ٩٦ هـ ٧١٥ م، أواخر خلافة الوليد بن عبد الملك، قاد مسعود بن أبي زينب المحاربي، من عبد القيس*، ثورة تمكن بها من طرد عامل الأمويين*، والتغلب على أنصارهم الأزد*، وفصل البحرين* عن الدولة الأموية طيلة ١٩ سنة، وكاد أن ينتزع اليمامة* لكنه قتل أثناء غزوه لها، وبعضهم يذكر خروج مسعود هذا في حوادث سنة ١٠٥ هـ ٧٢٤ م، في خلافة يزيد بن عبد الملك، وبعد حين ثار أخوه سعيد واستقل بالحكم، ثم اختلف مع أحد أتباعه، واسمه عون بن بشر، فانتزع منه القطيف*، وعلى أثر مقتل الوليد بن يزيد، سنة ١٢٦ هـ ٧٤٣م، انتفض المهير بن سلمة، من بني حنيفة، وطرد والي الأمويين* في هجر[١] واليمامة* عليَّ بن المهاجر[٢].

أمّا في العصرِ العبّاسيِّ الأوَّل فلم تصلِنا عنه سِوى أخبارِ ثورتينِ بالبحرين*، قام بالأولى سليمان بن حكيم العبدي، في عهد المنصور، قريبًا من سنة ١٥٧هـ ٧٧٣م، وفي عهد الرشيد ثار رجل آخر من عبد القيس* اسمه سيف بن بكر[٣]، وفي العصر العباسي الثاني بدت مظاهر الوهن تسري في جسد الدولة بفعل الشيخوخة، وتبلورت تلك الشيخوخة والهرم في ضعف الخليفة، وسيطرة زعماء الجند من الأتراك على مقاليد الأمور، وقد أطمع ذلك بعض الشخصيات الطموحة في الإستيلاء على بعض أجزاء منها فظهر، في هجر* سنة ٢٤٩هـ ٨٦٣ م، شخص قدمِ إليها من سامراءَ تَسَمَّى بعليٍّ بن محمد بن الفضل*، وادَّعى بأنه من ذُرِّيَّة العباس بن علي بن أبي طالب، وبسبب ولاء أهل المنطقة لآل البيت النبوي (ع)، وتعلقهم بهم، عاطفيًا، لقيت دعوته تأييداً، في بداية أمره، وانضم إليه الأهالي ضد الوالي العباسي، وجُبِي له الخراج، لكنه سرعان ما كشف حقيقته، وأظهر أنه خارجي المعتقد، فعارضوه، وطردوه من بلدهم، فتوجَّه إلى بادية الأحساء[٤] مع من استغواهم من بعض أهل البحرين*، وأقام في قبيلة بني سعد من تميم[٥]، ويبدو لي أنَّ إخراج الوالي العباسي* من البحرين* في حركة ابن الفضل* زاد في قصور يد الدولة العباسية المنهكة عن الوصول إليها ثانية، فبقيت في حالة فراغ

== راجع: المفصل في تاريخ الإسلام جـ ٤/٤٨٣ - ٤٨٥، ومعجم البلدان ١/١١٠.

(١) هجر: اسم مدينة قريبة من الساحل الشرقي لجزيرة العرب، وأطلق في بعض الأدوار على قطر البحرين*، خرّبها القرامطة*، وأنشأوا بالقرب منها مدينة الأحساء*.

(٢) الكامل في التاريخ جـ ٤/ ١٩٠، ٢٧٢، وتاريخ خليفة بن خياط ص: ٣١٣.

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامي جـ ٧/٥٥٧، ساحل الذهب الأسود ص: ١٢٢.

(٤) واحة واسعة في شرق الجزيرة العربية، تعرف قديمًا باسم هَجر*، إحدى حواضر ثلاث تشكل قطر البحرين* هي: الأحساء* «هجر*»، والقطيف* «الخط*»، وأوال* «البحرين*».

(٥) تاريخ ابن خلدون جـ ٣/ ٣٧٠.

سياسيٍ هيَّأها لاستقبال أيِّ ثائرٍ على الدولة، ففي خلافة المعتز العباسي، سنة ٢٥٢هـ ٨٦٦ م، وبعد أن هُزِم محمد بن يوسف العلوي - الذي خلف أخاه إسماعيل المتغلب على الحجاز - أمام جيش الخليفة المعتز، بقيادة ابن أبي الساج؛ اضطر لترك الحجاز*، وتوجه إلى البحرين*، وتمكن من الإستقلال بها، ثم ضم إليها اليمامة*، وأنشأ فيهما إمارة عرفت بإمارة الأخيضريين[1].

في هذه الأثناء قام ابن الفضل* وأنصارُه الفارِّين معه يساندهم بنو سعد من تميم* بمهاجمة البحرين* لكنه مُنِيَ بالهزيمة من عبد القيس*، وفروعها من بني محارب*، وبني عامر*، ففر إلى الصمان، ثم ظهر، بعد ذلك، ثائراً في نواحي البصرة* سنة: ٢٥٤هـ ٨٦٨م، واستمال إليه العبيد، في ما عرف في التاريخ بثورة الزنج[2]، والظاهر أن اتساع الشِّقَّة بين اليمامة* والبحرين* أضعف قدرة الأخيضريين* على الإحتفاظ بالبحرين* في أيديهم، فبقي الفراغ السياسي والعسكري على ما هو عليه، وبقيت المنطقة مُرَشَّحةً لاستقبال أيِّ طامح جديد، وما أن حل عام ٢٨٦هـ ٨٩٩ م حتى ظهر ما هو معروف من أمر القرامطة، وبسقوط دولتهم، سنة ٤٧٠ هـ ١٠٧٧م في الأحساء، على يد عبد الله بن علي بن محمد بن إبراهيم العيوني، ظهرت فِتَنٌ أخرى قادها يحيى بن العياش «العباس؟» ضد أبي البهلول، المتغلب على القرامطة* في أوال[3]، فقتله، وضم أوال* إلى القطيف*، ثم قضى عبد الله بن علي العيوني[4] على بن العياش «العباس» مؤذنًا، بذلك، بإعادة توحيد أوال* والقطيف* والأحساء* في إمارة واحدة هي إمارة العيونيين، لكن ما أن تُوُفِّيَ عبد الله بن علي العيوني* حتى نشبت الصراعات بين أفراد أسرته، فعاشت المنطقة، بسبب تلك الصراعات، في حروب مستعرة أفضت إلى زوال تلك الدولة على يد عصفور بن راشد، من بني عامر*، في الأحساء* والقطيف* أوَّلاً، ثم في سنة ٦٣٦هـ ١٢٣٨م هاجم أبو بكر سعد السلغري جزيرة البحرين*، وقتل الأمير محمد بن أبي ماجد، آخر الأمراء العيونيين[5].

ويلاحظ المتتبع لديوان علي بن المقرب العيوني* أن قوَّةً فتيَّة بدأت تتحرك على

---

(١) مروج الذهب جـ ٤/١٧٧، و١٨٠.
(٢) تاريخ ابن خلدون جـ ٣/ ٢٧٠.
(٣) أوال: الاسم القديم لأكبر جزيرة في أرخبيل الجزر التي تَكَوِّن ما يعرف اليوم بمملكة البحرين*، وهو علم عليها جميعًا، وكانت قديمًا مرتبطة، سياسيًا، بالقطيف*، والأحساء*.
(٤) ساحل الذهب الأسود ص: ١٣٦ - ١٦٨.
(٥) ساحل الذهب الأسود ص: ١٦٠ - ١٦٧.

مسرح الأحداث منذ دبَّ الخوَر في أوصال الإمارة العيونية* - تلك هي أسرة آل جروان أقرباء العيونيين(١)، وقريباً سنجدها تسترد الزعامة في المنطقة من بني عصفور.

كان بنو عُصفورٍ(٢) مكبَّلين بأغلال ورثوها من أسلافهم العيونيين* بخضوعهم لسلطان جزيرة قيس منذ توقيع الإتفاق الذي أعطى للسلطان بعض جزر البحرين*، مع غلاَّت أهم البساتين فيها، وفي القطيف*، إضافة إلى مصائد الأسماك فيهما (٣)؛ فمنذ ذلك الحين والقطيف* والبحرين* ما زالتا مسرحاً للصراع؛ فخلال سيطرة العصفوريين عليهما لم تكونا بمنأى عن الغزو، فقد هاجم أبو بكر السلغري القطيف* مراراً محاولاً انتزاعها من بني عصفور*، وما لبث أن تمكن سنة ٦٤١هـ ١٢٤٣م من احتلال جزيرة تاروت(٤)، والقطيف* (٥)، ولم يكد بنو عصفور* يستردُّون أنفاسهم، بعد تخلِّي أبي بكر السلغري* عن البحرين*، والقطيف*، بسبب اكتساح المغول للديار الإيرانية، حتى ظهر طامح جديد في جزيرة هرمز؛ هو محمود قلهاتي، فهاجم القطيف* والبحرين*، واستولى عليهما في حدود سنة ٦٧٠هـ ١٢٧١م مستفيداً من الضعف الذي لحق بسلطنة السلغري*، وبعد قُرابَةِ عامٍ واحد هاجمه أسطول حاكم فارس*

(١) ديوان بن مقرب ص: ٣٦٢، ٣٧٦ - ٣٧٧، و٥٦٦، ٦٤١.

(٢) ينسبهم ابن خلدون، والقلقشندي إلى قبيلة عَقَيل، من عامر بن صعصعة، من هوازن، ويصفانها بأنها قبيلة كانت ذات شوكة في بلاد البحرين*. دب النزاع بينها وبين حليفتها تغلب، «ثعلب ؟» فجلت إلى العراق*، وتغلبت على الدولة العباسية،* وأسست لنفسها دولة امتدت من الكوفة إلى الجزيرة، والموصل، وربما كان ذلك في حدود سنة ٣٨٣هـ. أو ٣٨٧هـ، على أنقاض الدولة الحمدانية، ثم أجلاهم السلاجقة عنها سنة ٤٩٠هـ، فعادوا إلى البحرين*، وبقوا فيها إلى أن استولوا على الحكم ممن أجلوهم، ومن المؤرخين من نسب القضاء على القرامطة*، وطرد عُقَيل* إلى رجل يسميه أبا الحسن الأصفر سنة ٣٧٨هـ ، والذي أعتقده أنَّ الصواب لم يجانب الشيخ حمد الجاسر في أن بني عامر* هم من ربيعة، فهذا الرأي يتفق مع ما في ديوان ابن المقرب العيوني*، فواضح أن هذا التخليط نشأ من الحروب التي وقعت بين العيونيين* وبني عامر* المتحالفين مع القرامطة*. راجع: نهاية الأرب ص: ١٠٦، ١٠٧، ٣٣١، ٣٦٦، وتاريخ ابن خلدون جـ ٤/١٩٥ - ١٩٦، وابن الأثير جـ ٧/١٣٦، ودائرة المعارف الإسلامية جـ ٥/٣٣٣، والوثيقة ع ٣ رمضان سنة ١٤٠٣هـ ص: ٧٥، وديوان ابن المقرب ص: ٥٣٣.

(٣) أعطى هذا الإتفاق لحاكم قيس*، وسلطان شيراز* بعض جزر البحرين*، وعائدات نخيل القطيف* والبحرين*، وكذلك مصائد الأسماك فيهما. راجع: دراسة في دولة العيونيين، عبد الله آل خليفة، وعلي أبا حسين: مجلة الوثيقة ع ١ رمضان، ١٤٠٤هـ ص: ٣٠ - ٣١.

(٤) تاروت: جزيرةٌ عامرة في الخليج*، من مدن القطيف* في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية*، تقع قبالةَ القطيف* شرقًا. كانت في الماضي تفصلهما مخاضة يجوزها المشاة أثناء الجَزر، وفي المدِّ تكون السفن الشراعية وسيلة العبور بينهما. أمَّا الآن فقد ربطت بالقطيف* بجسر، وردم البحر الفاصل بينهما، وشيدت المباني في ما كان سابقًا موطنًا للأسماك. من قراها الزور «الثنية»، وسنابس، والربيعية، ودارين. أطلق عليها اليونانيون اسم تاروس، Tarus، أو تارو Taro، ولعله تحريف لاسم البعلة عشتاروت معبودة الفينيقيين. راجع: ساحل الذهب الأسود ص: ٥٢، والمعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية جـ ١/٢٨٥، وجـ ٤/١٨٩٧، ودليل الخليج لوريمر جغر جـ ٧/٢٤٤٥. أمأ في الوقت الحاضر فقد اتسعت، ونشأت بها أحياء جديدة، واتصلت، أو كادت تتصل، بالقطيف.

(٥) الحميدان، الوثيقة ع ٣ رمضان ١٤٠٣هـ ص: ٤٣.

المغولي سوغنجاق مَرَّتَين، ثم تَغَلَّب المغول* عليه في الثانية(١)، وانتزعوا منه البحرين* والقطيف*، وهذا ما يؤكد قول النبهاني بأن المغول* استولوا على البحرين*(٢)، ومنه أيضًا نفهم إشارة مصادر التاريخ إلى دخول القطيف* والبحرين* تحت سلطة ابن السواملي: جمال الدين إبراهيم بن محمد العليبي في سنة ٦٩٢هـ ١٢٩٢م ضمن الإقطاع الذي أنعم به عليه المغول*، ويشمل إقليم فارس* وقطر العراق*، وإن لوحظ اضطراب التواريخ، والظاهر أن المغول*، بعد وفاة ابن السواملي سنة ٧٠٦هـ ١٣٠٦م مرهقًا بالديون التي فرضوها عليه(٣)، أسندوا ولاية القطيف* إلى آل أبي نمي* أمراء الحجاز*، ولعل ذلك كان في أيام دولة السلطان المغولي أولجياتو «خدا بنده» بن أرغون*، ففي أيامه لجأ حميضة بن رميثة بن أبي نمي أمير مكة* المكرمة إليه في العراق* بعد هروبه من سجن المماليك* بمصر*، ويذكر جمال الدين أحمد بن عليٍ الحسني «ابن عنبة» أن خدابنده* وعده بأن يستخلص له الشام* من المماليك*، فأعدّ جيشًا قوامه عشرة آلاف محارب، وسيَّره إلى القطيف*(٤)، وهذه إشارة واضحة يمكن أن نستخلص منها دليلاً على امتداد نفوذ أشراف الحجاز* الحسنيين* إلى القطيف*، لا سيما وأننا أشرنا إلى قيام أحدهم، في وقت سابق، بتأسيس إمارة في البحرين* واليمامة*، كما أننا قريبًا سنرى بعض الطامحين المحليين يستولي على الحكم في القطيف* والأحساء* والبحرين* من آخر أمرائهم، فغير بعيد أن يكون خدابنده* قد أقطعهم هذه البلدان بعد موت ابن السواملي، وبعد موت خدابنده* خلفه على العرش ولده أبو سعيد، ثم تُوُفِّي سنة ٧٣٦هـ ١٣٣٥م دون عَقِب، فاستغل قطب الدين تهمتن، حاكم هرمز*، الفراغ الذي أحدثه موته فاستولى على القطيف* والبحرين*(٥).

برغم شدَّة الغموض المنسدل على تاريخ المنطقة، وخصوصًا في هذه الفترة من الزمن، فثمة إشارات يمكن أن يُستَنتَج منها استمرارُ آل أبي نمي* في حكم القطيف* والبحرين* والبصرة*، وقد يكون ذلك ضمن تبعيتهم لهرمز*، حتى أواخر العقد السابع

(١) نفسه ص: ٤٥ - ٥٤.
(٢) التحفة النبهانية ص: ٦٩.
(٣) نفسه، والدرر الكامنة جـ ١/٥٩ - ٦٠، وشذرات الذهب جـ ٦/١٣.
(٤) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ص: ١٧٤ - ١٧٥.
(٥) رحلة ابن بطوطة ص: ٢٣٣، و٢٤٤، والدرر الكامنة جـ ٢/١٣٧، وشذرات الذهب جـ ٦/١١٣، ويؤيد هذا لوح حجري عثر عليه بجانب مسجد العابدات، في الزاوية الغربية الشمالية من مقبرة العابدات، في القطيف*، منقوش عليه تاريخ تأسيس المسجد في عهد تهمتن هذا، وهو محفوظ في المتحف الإقليمي بالدمام.

من القرن الثامن الهجري، أوائل العقد الثالث من القرن الرابع عشر الميلادي؛ ففي هذه الفترة تمكَّن بنو جروان من انتزاع السلطة في البصرة*، والقطيف*، والأحساء* من آخر أمرائهم، واسمه سعيد بن مغامس بن رميثة بن أبي نمي[1]، وهذا دليل بيِّن على استمرارهم في حكم تلك البلدان إلى ذلك الوقت، ويشبه دور إمارة بني جروان، في المنطقة، دور آل أبي نمي* من حيث ضآلة المعلومات، فكل ما عَرَفنا عنها هو قيام رجل اسمه جروان، أو ابن جروان[2]، بانتزاع الملك من سعيد بن مغامس بن رميثة، وبالتدقيق والبحث عَرَفنا أن سعيداً هذا ينتمي إلى آل أبي نمي* أشراف الحجاز*، ثم يرد ذكر صالح بن جروان، بوصفه صاحب البصرة*، والبحرين*، يتصدَّى لحملة تيمورلنك التي قادها ولده ميرانشاه على البصرة*، وأنه كانت بإمرته أعداد كبيرة من عرب البصرة*، والبحرين*[3]، وينقل إلينا مؤرخان معاصران معلومات غير موثَّقة مؤداها أنَّ آل جروان* بطن من بني معاوية من قبائل المخلف «(المخلاف؟)» في بيشة، وأنهم قدموا الأحساء*، ودخلوا في بني عامر* بالحلف، وأنهم ضموا الحجر واليمامة* إلى إمارتهم[4]، وفي ظني أن هذا تخليط وقع فيه هذان المؤرخان من كون آل جروان* مالكيي النسب، فظناهم من بني مالك في جنوبي المملكة، والحال أنَّ لقب المالكي معروف في بني عبد القيس* في القطيف*[5]، ولعل من المناسب أن أشير هنا إلى أن الدكتور فضل العماري قد تنبَّه إلى نسب بني جروان* في عبد القيس* خلال دراسته

---

(١) حدّدَ ابن حجر العسقلاني تاريخ استيلاء بني جروان على الحكم من سعيد بن مغامس بن رميثة في البحرين* والأحساء* والقطيف* بسنة ٧٠٥ هـ، وهو تاريخ لا يحسن الركون إليه، فرميثة، الجد الثاني لسعيد بن سليمان بن مغامس، توفي سنة ٧٤٦هـ، فكم كان عمر سعيد سنة ٧٠٥ هـ؟ ثم أن ابن بطوطة زعم أنه زار القطيف* والأحساء* في حدود سنة ٧٣٢ هـ ١٣٣١م، ولم يورد أيَّ ذكر لبني جروان، مع أنه أكثر من ذكر رميثة أثناء وفوده عليه في مكة*، وكذلك فإنه أشار إلى استيلاء تهمتن على القطيف* والبحرين* بعد وفاة السلطان المغولي أبي سعيد، وفضلاً عن ذلك فالواضح أن بني عصفور* كانت لهم السيادة في البحرين* حتى منتصف القرن الثامن الهجري، فالأقرب أن يكون حكم بني جروان بعد هذا التاريخ، ويعزز هذا وجود شخص منهم يدعى صالح تذبذبوا في لقبه بين ابن حيلان، وحولان، وجولان، وصيلان، وصف بأنه صاحب البصرة* والبحرين*، وقد تصدَّى، سنة ٧٩٥ هـ، لميرانشاه بن تيمور لنك عند إغارته على البصرة* فهزمه، وأسره، ولا يبعد أن يكون صواب اسمه هو صالح بن جروان. راجع: الدرر الكامنة، جـ ١/٧٣، وصبح الأعشى جـ ٧/ ٣٧٠ -٣٧١، ونهاية الأرب ص: ١٠٦، ورحلة ابن بطوطة ص: ١٦٨ - ١٧٩، ٢٥٩ - ٢٦٢، ٢٤٤، والحميدان، مجلة الوثيقة ص: ٥٨ - ٥٩، وفهرس مراجعه في الهامش: ١١٩، و١٢٠ ص: ٧٣، والضوء اللامع جـ ١/ ١٩٠.

(٢) أشار الدكتور عبد اللطيف الحميدان إلى أن المصادر تختلف في رسم لقب صالح هذا بين حيلان، وحولان، وجولان، وصيلان، وقد اطمأن إلى أن الصواب جولان، وهو لفظ فارسي معناه البدوي، ولم أجد هذا المعنى في ما لدي من المعاجم الفارسية، والأقرب، عندي، أنه ابن جروان، ينتمي إلى أسرة بني جروان التي أخذت البصرة* والأحساء* والقطيف* من بني نمي.

(٣) عبد اللطيف الحميدان، الوثيقة ع ٣ رمضان ١٤٠٣هـ ص: ٥٨ - ٥٩.

(٤) تاريخ عسير ص: ٥١، وإمتاع السامر بتكملة متعة الناظر ص: ١٥.

(٥) تكملة خ.. دة القصر، قسم العراق ص: ٨٦١.

لشعر علي بن المقرب العيوني *[1]، وهو معاصر لبني جروان*، وإن كنت أتحفَّظ على ربطه العيونيين وبني جروان* بعبد القيس*، وإذ سبق أن بحثت نسبهم في غير هذا المكان فإن إعادة الحديث عنه هنا غير مناسبة[2]. أما بنو جروان* فإن علي بن المقرب العيوني* أكَّد نسبتهم إلى عبد القيس*؛ فهو يقول في مدح أبي علي إبراهيم بن عبد الله بن عزيز «غرير» بن إبراهيم بن أبي جروان:

آباؤه من عبد قَيسٍ* خَيرها حَسَبًا، وأكرمها وأوسعها ندى[3]
من يلق إبراهيمَ يلق الأروع الـ ـندبَ الهمام الناسك المتهجِّدا

وفي مدح ابن أخيه أبي أحمد علي بن أحمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عزيز «غرير» يقول:

لُكَيزيُّ المناسب عامريٌّ مليكٌ للملوكِ به اعتصام[4]
وإن تذكر أبا جروان غُضَّت له الأبصارُ، وانقطع الكلام

ولكيز هو ابن أفصى بن عبد القيس* كما لا يخفى[5].

من بني جروان*، هؤلاء، انتقل الحكم في قُطر البحرين* إلى بني جبر، وهذه أوَّل مرة يخضع فيها لحكم أسرة من غير أسره المستقرة فيه، بعد آل أبي نُمَي، أشراف الحجاز*، والقرامطة*، وبقيت السلطة في أيدي بني جبر* حتى وصول البرتغاليين إلى المنطقة سنة ٩١٣ هـ ١٥٠٧م فبدأت اعتداءاتهم على البحرين* والقطيف* منذ ذلك الحين إلى أن انتزعوهما منهم سنة ٩٢٨ هـ ١٥٢١م بعد مقتل زعيمهم مقرن بن زامل، ولم يبقَ في أيديهم سوى الأحساء*، وما لبثت أن انتزعها منهم حاكم البصرة* راشد بن مغامس سنة ٩٣١هـ ١٥٢٤م منهيًا بذلك دولتهم[6]، وهنا يحسن أن نلقي نظرة على مجمل الأسباب التي أوصلت البرتغاليين* إلى الخليج*.

* * *

(١) ابن مقرب العيوني وتاريخ الإمارة العيونية في بلاد البحرين.
(٢) الجديد في قضية ابن المقرب، ع ١٠ و١١ من مجلة الواحة، بيروت.
(٣) ديوانه طبعة بمبي ص: ١٧٨ - ١٧٩، وديوانه تحقيق الحلو ص: ١٧٣.
(٤) ديوانه طبعة بمبي ص: ٤٧٤، وديوانه تحقيق الحلو ص: ٥٦٦.
(٥) تاج العروس.
(٦) لم يذكر متى استولى سيف بن زامل على الحكم من بني جروان*. راجع: الضوء اللامع جـ ١/ ١٩٠، وساحل الذهب الأسود ص: ١٦٨، وأحمد بو شرب، الوثيق، ع ٤ ربيع الآخر، ١٤٠٤هـ ص: ١٢٥.

الغزو البرتغالي للخليج

تسبَّب طردُ الصليبيين من الديار الإسلامية على يد المماليك في مصر والشام نهاية القرن السابع الهجري، سنة ٦٩١هـ، أواخر القرن الثالث عشر الميلادي سنة ١٢٩١م؛ في عرقلة حركة التجارة بين أوروبا والهند*، إذ لا يوجد، حتى ذلك الوقت، سوى طريقين يربطان بينهما؛ أحدهما طريق البحر الأحمر حيث تنقل بواسطته البضائع عبر البحر الأبيض المتوسط، ومصر*، والثاني هو الخليج العربي*، وإليه تصل تلك البضائع من البحر الأبيض المتوسط عَبر الشام*، وشمال الجزيرة العربية، والعراق*، وكلا الطريقين، كما هو واضح، واقعان تحت السيطرة العربية، وهذا يعني حق البلدان التي يَمُرَّانِ فيها في الإستفادة من أجور النقل، والضرائب، وما يتبع ذلك من أوجه الإنتفاع الأخرى. يضاف إلى ذلك تأثُر حركة النقل، لا بماهية العلاقة بين أوروبا* وتلك البلاد، وتقلُّبها وحسب، وإنما بأوضاعها الداخلية أيضًا؛ فاختلال الأوضاع، واضطراب العلاقة بينها وبين الدولة التي تَمُرُّ منها أيٌّ من تينك الطريقين يؤدِّي، غالبًا، إلى غلق إحداهما أو كلتيهما معًا، مما ينجم عنه اختلال التجارة، أو توقُّفها، بين أوروبا* والهند* [1]، علاوة على قطع السبل بينها وبين الحبشة، وتأثُر صِلات المسيحيين بفلسطين، خصوصًا ما يَتَّصل بحجِّهم إلى بيت المقدس[2]، ومع كل الأضرار الماددية التي تعرَّضت لها أوروبا* نتيجة إجلائهم عن البلاد العربية، فإنَّ الأوروبيين فشلوا في فَكِّ الطوق الذي عُقِد حولهم منذ عهد الفاطميِّين، لكنهم لم يَكُفُّوا عن البحث عن مخرج من هذا المأزق بالتفتيش عن بدائل توصلهم إلى الهند*، أو تمكِّنُهم من عرقلة التجارة والملاحة العربية، إلى أن أسفرت جهودهم عن انجازات هامَّة، وخطيرة؛ ففي القرن الرابع عشر تمكَّنوا من استخدام البارود في السلاح [3]، فأتاح لهم هذا الإستخدام الجديد للبارود تفوُّقًا عسكريًا مكَّنهم من العودة إلى استرداد سيطرتهم على مواضع من الوطن العربي، فاحتل البرتغاليون* سبتة، والقصر الصغير، وطنجة في الجزء العربي من شمال أفريقيا عام ٨١٩ هـ ١٤١٦م، وبذلك بسطوا سيطرتهم على

---

(١) دليل الخليج، ت، جـ ١/٩، وتحفة المجاهدين ص، ١٦٢.
(٢) جمال زكريا قاسم ص، ٥١، وتحفة المجاهدين ص، ١٥١.
(٣) موسوعة المورد جـ ٤٧/٥ - ٤٨، وتحفة المجاهدين ص، ١٥٣.

مدن الشاطئ المغربي، وما أن أشرف القرن الخامس عشر الميلادي على النهاية حتى تمكّن الأسبان من إجلاء المسلمين عن الأندلس عام ٨٩٨ هـ ١٤٩٢م، وأسفرت طموحات البحارة البرتغاليين* عن فتوحات في غاية الأهمية بالنسبة لهم، فقد اكتشفوا بين عام ٨٢٤ - ٨٧٣ هـ ١٤٢٠- ١٤٦٨م، عديداً من الجزر، والرؤوس، والمدن في سواحل أفريقيا لم تكن معروفة لهم من قبل، وكان أكثر تلك الكشوفات أهميَّة عثور الملاَّح الإيطالي كريستوفر كولومبس Christopher Columbus، صدفة، على القارة الأمريكية سنة ٨٩٨ هـ ١٤٩٢م، وكان الملاح البرتغالي دياز، Bartholomeu Diaz، قبل ذلك ، قد تمكَّن من الدوران حول أفريقيا، واكتشف رأس الرجاء الصالح سنة ٨٩٢ هـ ١٤٨٦م، أو ٨٩٤ هـ ١٤٨٨م، وقد مهَّد هذا الإكتشاف إلى تعرُّف السفاح البرتغالي فاسكو دي جاما Vascode Gama على طريق الهند* عام ٩٠٤ هـ ١٤٩٨م، بمساعدة الملاح العربي أحمد بن ماجد، وإلى هذين الكشفين يُعزى وصول الأسطول البرتغالي إلى الخليج* بقيادة سَفَّاحٍ آخر هو الفونسو دي البوكرك Alfonso de Alboquerque عام ٩١٣هـ ١٥٠٧م(١).

لم يجد البوكرك مشقة في احتلال مدن الخليج* برغم المقاومة الشرسة التي واجهته من تلك المدن، وذلك لأنَّه لم يواجه دولة مُوَحَّدة، وإنَّما واجه عدداً من المشيخات المتناحرة، والإمارات المتنازعة، وقد مَرَّ بنا عرض سريع، ومختصر لتطاحن تلك الإمارات، وصراعاتها، ومن خلال ذلك العرض تبين أن المدن الثلاث الأحساء*، والقطيف*، والبحرين*، بدءاً من انهيار إمارة العيونيين*، أصبحت خاضعة لمملكة هرمز* التابعة لإيران*، إلاَّ أنه خضوع اسميٌ ينتمي إلى نظام يسمى «الإقطاع»، وهو نظام تقتصر التبعية فيه على ضريبة سنوية يؤديها الحاكم المحلي للشاه، إضافة إلى أمور أخرى لا تتجاوز الدعاء له في صلاة الجمعة، والتعامل بالسكة المضروبة باسمه، وتقديم هدايا تقليدية، وهذه العلاقة لا تمنع من اعتداء حاكم على حاكم، أو استيلاء أمير على بلد أمير آخر، لا سيما إذا ضمن المتغلِّب دفع الأتاوة، وأداء الفروض التي كان يؤديها المغلوب. يضاف إلى ذلك أنَّ ايران*، وهي الدولة الكبرى في المنطقة عند وصول الغزاة البرتغاليين*، كانت يحكمها الصفويون، ودولتهم، آنذاك، في بداية

(١) موسوعة المورد جـ ٣/٦١، ١٢٤، ١٨٩، وجـ ٤/١٨٩ - ١٩٠، وجـ ١٠/٨٠، وتحفة المجاهدين ص: ١٥١ - ١٥٢، وويلسن ص: ٢٠١ - ٢٠٤، ودليل الخليج، ت، جـ ١/١٠ - ١٢، وجمال زكريا قاسم ص: ٤٨ - ٥٠، ووندل فيليبس ص: ٣٥ - ٤٤.

نشأتها، فضلاً عن أنها كانت منشغلة بصدِّ هجمات عدد من الدول، والإمارات المعادية المحيطة بتخومها؛ فمن الغرب العراق*، وفيه مراد بن يعقوب آخر أمراء قبيلة الآق قوينلو، ومن الشمال إمارة البستان، وهي بقية إمارة الآق قوينلو التي قامت الدولة الصفوية على أنقاضها، ومن الشمال الشرقي قبائل الأوزبك، بزعامة محمد شيباني، المسيطر على خراسان، وأجزاء من شمال فارس، وفي الشرق القبائل الأفغانية القوية، وأهم من كل ذلك هجمات الأتراك* العثمانيين المتوالية [1] على حدودها، فلم يمكنها العمل على الجبهة الجديدة التي انضافت بوصول البرتغاليين*، لا سيما وأن اعتداءات أولئك الجيران كانت موجّهة إلى أراضيها كافّة، بينما اقتصر عدوان البرتغاليين* على أطرافها الساحلية، أو على إمارات تَدين لها بالتبعية، وغالبًا ما كانت هذه التبعية اسمية، كما بينًا، ولعل إحجام الايرانيين عن التصدي للبرتغاليين يعود لا إلى ضعف سلاحهم البحري فقط؛ بل إلى قناعتهم بأنَّ ضغط العثمانيين عليهم، وتهديدهم لحدودهم الشمالية أشد خطراً عليهم، فاعتماد البرتغاليين* على السلاح البحري وحده، وإن أعطاهم التفوق، لا يشكل خطراً جدّيا إلاَّ على الموانئ، والمدن الساحلية، بينما امتلاك العثمانيين للقوتين البحرية والبرية، يمثل تهديداً بالغ الخطورة للبلاد الايرانية قاطبة، وقد كشفت الأيام صدق هذه الحسابات باكتساح العثمانيين لأجزاء كبيرة من ايران* بفعل تحالفهم مع الروس، والبرتغاليين* ضدهم[2].

بتأثير هذا الواقع سقطت إمارات الخليج*، واحدة تلو أخرى، في قبضة البرتغاليين*، وما أن حل عام ٩٢٠ هـ ١٥١٤م حتى أحكم البرتغاليون* سيطرتهم على البحرين*، عاصمة إمارة الجبريين، حكام القطيف*، والأحساء*، والبحرين*، ولم تنجح محاولة مقرن بن زامل الجبري للتحرر من سيطرتهم عام ٩٢٨هـ ١٥٢١م، فقتل في المعركة، واستولى البرتغاليون* مباشرة على البحرين*، والقطيف*، وألحقوهما بمشيخة هرمز*، ونصَّبوا عليهما حاكمًا هرمزيًا اسمه شرف الدين[3]، ثم ولَّوا على القطيف* حاكمًا آخر

---

(١) الشعوب الإسلامية، ص: ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٢) العلاقات العراقية الايرانية ص: ٥٦، وأحمد العناني، الوثيقة ع ٤ ص ١٠٢، و١١٢ - ١١٤، وجمال زكريا قاسم ص: ٥١.

(٣) شرف الدين، هذا، هو من سلالة ايرانيّة كانت تحكم في إمارة هرمز*، على البر الإيراني، وعندما غزاها التتار سنة ١٣٠١م حوالي ٧٠١هـ، نزح سكأنها مع حاكمها بهاء الدين، وهو الخامس عشر من سلالة ملوكها، إلى جزيرة قشم، ثم انتقلوا إلى جزيرة جرون في مدخل الخليج*، واستقروا فيها، وأسسوا إمارة أطلقوا عليها اسم هرمز*، تَيَمُّنًا باسم إمارتهم القديمة، وقد أخذت هذه الإمارة في الإزدهار تدريجيًا، وبسطت نفوذها على البلدان المجاورة، ويبدو أنها خضعت للمغول* في وقت ما، ربما في عهد السلطان خذا بنده محمد بن أرغون*، ثم خلفه ولده السلطان أبو سعيد، فلما تُوفِّي، سنة ٧٣٦هـ، أو ==

اسمه عبد الغفور بن عبد الرَّحيم(١)، وبذلك لم يبق في يد الجبريين* غير الأحساء*، ثم انتزعها راشد بن مغامس، حاكم البصرة*، من آخر زعمائهم غصيب بن زامل بن هلال، وكان قد استعان به على أسرته عند ما استفحل بينهم الخلاف، فانتهز الفرصة وأزاحهم جميعًا، واستولى على الزِّمام في حدود سنة ٩٣١ هـ ١٥٢٦م(٢).

* * *

== ٧٣٧هـ، استقل حاكمها من قبَله، آنذاك، قطب الدين تهمتن* بالحكم فيها، وضم إليها البحرين* والقطيف*، واستمر الحكم في عقبه إلى أن وصل المستعمرون البرتغاليون* الخليج* فأخضعوا إمارة هرمز*، وما يتبعها من بلاد الخليج*، لسيطرتهم، وعلى رغم المقاومة التي أبداها حكام هذه الإمارة فإنهم خضعوا للبرتغاليين*، وقبلوا العمل تحت سيادتهم، وقد تقلَّد شرف الدين بعض المناصب، وعندما أعلن مقرن بن زامل الجبري* الإستقلال بالحكم في البحرين* والقطيف* والأحساء*، سنة ١٥٢١م ٩٢٨هـ ،ترأس شرف الدين الحملة التي قادها أنتونيو دي كوريا، Antonio de Corea، ضد البحرين*، وقتل فيها مقرن بن زامل، واستولى على البحرين* والقطيف*، وفي سنة ١٥٢٩م ٩٣٦هـ أصبح هو الحاكم في هرمز*، ويظهر أنَّ البرتغاليين 'ضاقوا، ذَرعًا، بطموحه، ونزعته التحررية فنفوه إلى لشبونة* بالبرتغال*. راجع: دليل الخليج، ت، جـ ١/ ١٥ - ٢٩، وأربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص: ٢٩، وساحل الذهب الأسود ص: ١٧٣، وويلسن ص: ١٨٥ - ١٩٢، و٢٤٤، والدرر الكامنة جـ ١/ ٥٠١، وشذرات الذهب مجـ ٣ جـ ٦/ ١١٣، ورحلة ابن بطوطة ص: ٢٤٤، والوثيقة ع ١ رمضان ١٤٠٢هـ ص: ١٣٤، ١٣٩، وأحمد العناني، الوثيقة ع ٤ ربيع الآخر ١٤٠٤هـ ص: ٩٧، ٩٩، وأحمد بوشرب، نفس المرجع ص: ١٢٥، والخليج العربي، بلدانه وقبائله ص: ١٦٠، والنفوذ البرتغالي في الخليج ص: ١١٨-١١٩.

(١) لم تذكر مصادر التاريخ التي اطلعت عليها عن عبد الغفور هذا شيئًا، لكن وثيقة خطية لوقفية نخل زدّدان بتاروت في القطيف* مؤرخة سنة ٩٣٧هـ قد ورد فيها اسمه مدونًا تحت اسم سلطان هرمز* محمد شاه.

(٢) تحفة المستفيد جـ ١/ ١٢١.

العثمانيون في القطيف

في السنوات اللاحقة حدث تغيُّرٌ كبير في ميزان القوى في المنطقة، فلم يعد البرتغاليون*، وحدهم، أصحاب الهيمنة المطلقة بعد أن دخل الأتراك* منافسًا قويًا لهم في الخليج*؛ فقد احتل السلطان العثماني سليمان القانوني بغداد* سنة ٩٤١هـ، ١٥٣٤م، فخشي شيخ البصرة* راشد بن مغامس* أن تكون إمارته الهدفَ الثاني لجيش السلطان، فأوفد ولده مانعًا إلى بغداد حاملاً مفاتيح إمارته طواعية، وأعلن تبعيَّته للأتراك، فكافأه السلطان بأن أنعم عليه بإقراره في منصب والي البصرة* [1]، وبَدَهي أن يشمل ذلك الأحساء*، ولقد ظن أهل القطيف* أن هذه فرصة ذهبية للخلاص من جور البرتغاليين*، فما كادت تمضي خمس سنوات على دخول العثمانيين البصرة* والأحساء* حتى ثاروا على البرتغاليين* سنة ٩٤٦هـ ١٥٣٩م، وطردوا واليَهم الهرمزي عبد الغفور بن عبد الرحيم*، وأعلنوا ولاءَهم لوالي الأحساء* من قبل الأتراك* منضمِّين إلى أشقائهم الأحسائيين، ووالي الأحساء* آنذاك هو مانع بن راشد بن مغامس[2]، وكان مُعتَمَداً من قبل والده راشد بن مغامس حاكم البصرة*.

كانت ثورة أهالي القطيف* على البرتغاليين*، وانضمامهم للأتراك إيذانًا بعهد جديد من الصراع بين الطرفين، فقد هاجمها الملك محمد، حاكم البحرين*، وأحرق عدداً كبيراً من السفن في مينائها انتقامًا من الأهالي لدخولهم تحت حماية الأتراك*، وما لبث أن استردَّها القبطان البرتغالي برنالدين دو سوزا سنة ٩٥٢هـ ١٥٤٥م، بعد تدمير قلعتها، وسلَّمها إلى نور الدين بن حاكم هرمز* شرف الدين، المنفي في لشبونة عاصمة البرتغال، ويلاحظ أن الأسطول الذي قاده برنالدين دو سوزا[3] قد موَّله تجار

---

(١) يروي المؤرخون أن راشدَ بن مغامس* انتزع القطيف*، والأحساء* من غصيب بن زامل، آخر أمراء بني جبر*، سنة ٩٣١هـ، وهي السنة التي تولَّى فيها الحكم في البصرة*، واستمر في الحكم إلى أن تنازل عن البصرة* للأتراك عند احتلالهم بغداد سنة ٩٤٢هـ، على قول، أو سنة ٩٤٥هـ على قول آخر، فإذا صح هذا فيجب أن يقتصر على الأحساء* وحدها، لأن ما نعرضه يستند إلى وثائق، أو مصادر تستند إلى وثائق أشرنا إليها في موضعها. راجع، تحفة المستفيد ص: ١٢١، والنفوذ البرتغالي في الخليج ص: ١٣٠، وساحل الذهب الأسود ص: ١٧٠، والخليج العربي في العصور الإسلامية ص: ٢٠٢، وجمال زكريا قاسم ص: ٨٤.

(٢) رسالة ركن الدين، ورسالة برنالدين دو سوزا، الوثيقة ع ٤ ربيع الآخر ١٤٠٤هـ ص: ١٣٣- ١٣٩، وويلسون ص: ٢٢٠، والنفوذ البرتغالي في الخليج ص: ١٣١، وأربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص: ٤٠، والتاريخ الإسلامي ص: ٣٠٢.

(٣) نور الدين هذا ترأس الحملة البرتغالية التي قادها برنالدين دوسوزا على القطيف* سنة ١٥٤٥م ٩٥٢ هـ، وتولى الحكم فيها، وقاد أبوه، شرف الدين، الحملة التي جردها البرتغاليون* على البحرين* والقطيف*، واحتلتهما بعد أن قتل حاكمهما ==

من القطيف*، والأحساء*، وفي هذا دلالة على أن سياسةَ البرتغاليين*، في هذه المرحلة، قد تغيَّرت، فمالوا إلى الإعتدال، واللين بعد العنف، والبطش الذين مارسوهما عند بدء احتلالهم للبلاد، ويفهم من رسائل بعض الضباط، والولاة إلى مَلِكهم في لشبونة* أنهم أصبحوا، في هذه الفترة، أجَراءَ لحكام هرمز*، يستأجرونهم لاستخلاص المواقع، والحصون التي تُنتزع منهم، ويبدو أن حكَّام هرمز* اكتسبوا، في هذه الأثناء، خبرة جيدة في سياسة السكان خفَّفن من كُرهِهم[1]، في حين أظهر الأتراك* سوء تصرف، وعجرفة مع الأهالي، وهذا ما يبرِّر تنفس أهالي القطيف* الصعداء بعودة البرتغاليينَ*[2]، ويعطينا تفسيراً لرأي الأستاذ محمد سعيد المسلم* في أنَّ: «الأتراك* أبدَوا نَعرَةً طائفيَّة مع أهالي القطيف*»[3]، وهو أمر مارسه الأتراك* في أماكن أخرى كالعراق* ولبنان*، بل وفي تركيا* نفسها، لا سيما بعد أن كلَّفوا وعَّاظهم بإصدار الفتاوى بإباحة دم الشيعة، فكان من نتائجها أن أطلقوا لأنفسهم العنان في التنكيل بالشيعة، والفتك بهم في تركيا* قبل غيرها من البلدان التي طالتها أيديهم[4]، وبذِا أصبح وقوع القطيف* في قبضتهم تأكيداً لقول ابن عرادة السعدي[5]:

عتبت على سلمٍ فلمَّا فقدته وصاحبت أقوامًا بكيت على سلم

إذ سرعان ما أصبحوا أضرَّ عليهم من البرتغاليين*، فقد أرهقوهم بالضرائب، وأثقلوا كواهلهم بالعسف، والجور، كمصادرة الأراضي والممتلكات، والغلاء الفاحش، وبلغ الأمر أن صار جنودهم يحصلون على طعامهم، وعلف دوابهم من الأهالي مَجَّانًا[6]. يضاف إلى هذا إجبار التجار على شراء الأطعمة الفاسدة من الحكومة بأفحش الأثمان، وبيعها للناس. أمَّا السفن التي تَرِدُ على ميناء القطيف* فإن الولاة يستولون على نصف ما بها من البضائع، كما فرضوا على كل قرية دفع حمل خمسين حماراً من المؤَن يؤدى إلى الحاكم يوميًا. على أن ما لا يمكن تصديقه من الممارسات التي امتُحِن بها

== مقرن بن زامل الجبري، ثم اختلفوا معه فنفوه إلى لشبونة*، وهو أبو ركن الدين محمود ممدوح الشيخ جعفر الخطي. راجع: الوثيقة ع ٤ ربيع الآخر سنة ١٤٠٤هـ ص: ١٣٧، والديوان الهامش «٥» ج ١/١٥٣.

(١) رسالة ركن الدين، ورسالة برنالدين دو سوزا، الوثيقة، ع ٤.

(٢) نفسه، ص: ١٣٨.

(٣) ساحل الذهب الأسود ص: ١٧٤.

(٤) البلاد العربية والدولة العثمانية ص: ٣٢، و٤٠، والشعوب الإسلامية ص: ١٥٣، ٢٤١، والغدير ج ١١/٢٨٢، ومقدمة كشكول البهائي تحقيق السيد بحر العلوم ج ١/١٠.

(٥) خزانة الأدب ج ٥/٢٥٥، والمستطرف في كل فن مستظرف ج ١/٢٠٦.

(٦) بنو خالد وعلاقتهم بنجد ص: ١٣٠.

السكان هو قيام الوالي بالإستيلاء على تركة من يُتَوفَّى حتى لو كان له ورثة[1]، ومع أن السلطة المركزية أصدرت «قانون نامة لواء القطيف*» بمنع هذه المظالم؛ إلا أنه لا يبدو أن الولاة تَقَيَّدوا به، بدليل وقوع الإضطرابات، وقيام الأهالي بالعِصيان المسلَّح منذ زمن مُبَكِّر جداً من دخول الأتراك* البلد، واستمرار هذا النمط من العلاقة بينهم وبين السكان طيلة حكمهم لها، كما سنرى لاحقًا، فأول بادرة عصيان كشفت عنها الوثائق؛ هي تلك التي قام بها أهالي القطيف* والأحساء* عندما اعتزم حاكم الأحساء* من قبل الأتراك*، مانع بن راشد غزو البحرين*، ونشب بينه وبين أهالي الأحساء* خلاف بسبب معارضتهم له، وتضامنهم مع أهل البحرين*، فلم يُفَوِّت أهل القطيف* الفرصة فأعلنوا الثورة على مانع مساندة لأشقائهم الأحسائيين* والبحرانيين، وكان من نتائج تلك الثورة أن اضطُرَّ مانع إلى اللجوء إلى البصرة* في ظروف غامضة، بينما لجأ بعض أعيان القطيف* والأحساء* الثائرين إلى البحرين* بزعامة الشيخ محمد بن مسلَّم، وحسين بن رحال، طلبًا للحماية، وهناك بذلا محاولات أسفرت عن تجهيزهم الأسطول البرتغالي الذي أسلفنا الإشارة إليه بقيادة برنالدين دو سوزا* يرافقه الرئيس نور الدين بن شرف الدين*، فتمكن من الإستيلاء على القطيف*، وقد أحجم مانع من التعرض له، وهكذا عادت القطيف* إلى تبعيَّتها لهرمز* من جديد.

لئن لم تسعفنا مصادر التاريخ بمعرفة الفترة التي قضاها نور الدين واليًا على القطيف* قبل أن يستردَّها الأتراك*، إلاَّ أنَّ تلك المصادر تخبرنا بأنه في سنة ٩٥٧هـ ١٥٥٠م هاجم البرتغاليون* القطيف*[2]، مما يعني خروجَها من أيديهم، فلعلَّ الأتراك* قد تمكَّنوا من استرجاعها منهم بعد طردِهم راشد بن مغامس من البصرة*، وإدارتهم لها مباشرة أواخر سنة ٩٥٤هـ ١٥٤٧م[3].

هكذا أصبح قدَر هذا البلد المنكوب أن يظلَّ دُولة بين تلك القوى المتَجَبِّرة؛ ففي سنة ٩٦٦هـ ١٥٥٨م بلغت ممارسات الولاة العثمانيين* ذروتها في التسلط، ففَرَّ عدد

---

(١) قانون نامة لواء القطيف لعام ٩٥٩هـ، د. فيصل الكندري، المجلة العربية للدراسات العثمانية ص: ٣٥٧.

(٢) لوريمر، ت جـ ١/١٧.

(٣) التحفة النبهانية ص: ٣٠٧، وتحفة المستفيد ص: ١٢١، وساحل الذهب الأسود ص: ١٧٠-١٧١، والخليج العربي في العصور الإسلامية ص: ٢٠٣، والنفوذ البرتغالي في الخليج ص: ١٣٠ - ١٣١، والعلاقات العراقية الايرانية ص: ٣٥، ٣٦، وإمارة المشعشيين ص: ٧٩، والخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة، ص: ٤٣، والشعوب الإسلامية ص: ١٤١، وصفحات من تاريخ البحرين ص: ٩٩، والعراق في التاريخ ص: ٥٧٣، وأربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص: ٤٠، وقلعجي ص: ٢٧٣، وأطلس التاريخ الإسلامي ص: ٣٥٩، ودليل الخليج، ت جـ ١/١٦، وويلسن ص: ٢٢٠.

من التـجّار، وغـواصي اللؤلؤ بالقطيف*، بزعامة جمعة بن رمال «رحّال؟» إلى البحرين* محتمين بالبرتغاليين*[1]، ويبدو أن طيف الأسطول الذي موّله الشيخ محمد بن مسلم وحسين بن رحال بقيَ شبحًا يقلق الأتراك*، فخافوا من تكرار الهزيمة ثانية، فأقدم وإليهم على الأحساء*، مصطفى باشا، سنة ٩٦٧ هـ ١٥٥٩م، على مهاجمة البحرين* متعقبًا اللاجئين فيها من آل مُسلّم، وأعوانهم من الأحسائيين*، وآل رحال، ومؤيِّديهم من أهل القطيف*، لكنه مُني بالهزيمة، فعُزل، فانهى حياته منتحراً[2]، ونتج عن تدهور الأوضاع استيلاء حاكم لواء البادية سعدون بن حميد على السلطة، فاستحوذ على الأراضي من الأهالي، ووزَّعها على أتباعه من البدو، واحتجز بعض القادة الأتراك رهائن، وتلا ذلك استيلاء البدو على المحاصيل الزراعية في القطيف* والأحساء*، وإتلاف المزارع، ولم يُفَوِّت البرتغاليون* هذه الفرصة فهاجموا ميناء القطيف*، وأحرقوا ما بها من سفن، وبعد لأي تمكن الأتراك* من السيطرة على الوضع، وتبين من التحقيقات أن لبعض الضباط يداً في هذه الأحداث[3]، ومنذ ذلك التاريخ بدا وكأنَّ العثمانيين* انفردوا بالسيطرة على القطيف*، فأخذت أنباء صداماتهم مع البرتغاليين* تختفي، لا سيما بعد أن تحالفوا معَهم[4]، ثم أخذت أنباء المقاومة الشعبية في القطيف* تطفو على السطح، إمَّا ردَّ فعل لتصرفات الولاة، أو مساندةً لشقيقتها الأحساء*، ومع ما سلف الإيماء إليه من تصرف زعيم بني خالد، سعدون بن حميد، فقد انضم أعيان القطيف* إليه في ثورته على السلطة المركزية عام ٩٦٨هـ١٥٦٠م، فالظاهر أن تحالفهم مع سعدون يعود إلى نفورهم من الأتراك* بوصفهم دخلاء، ولدوافع غير معروفة انضم إليهم عدد من القادة الأتراك*[5]، وغير بعيد أن يكون بينها تلك الدوافع استرضاء الأهالي طمعًا في الإستقلال بالحكم، مستفيدين من بعد الشقة بينهم وبين مركز الدولة في اسطنبول، أوخوفًا من العواقب إذا ما كتب للأهالي النجاح في الثورة، أو لأسباب أخرى.

(١) علي أبا حسين، وب، ك، نارين، الوثيقة ع ١٠ جمادى الأولى ١٤٠٧هـ ص: ١٢٠ - ١٢٢.
(٢) الوثيقة ع ١ رمضان سنة ١٤٠٢هـ ص: ١٤٥ - ١٥٠.
(٣) الوثيقة ع ١ رمضان سنة ١٤٠٢هـ ص: ١٤٣ - ١٤٨، وبنو خالد وعلاقتهم بنجد ص: ١٢٧، ١٢٩.
(٤) يحاول البعض تصوير التحالف بين العثمانيين* والبرتغاليين* بأنه تحالفٌ بين راشد بن مغامس* حاكم البصرة* ضدّ مبارك بن مطلب المشعشعي حاكم الحويزة، متجاهلاً أن راشدَ بن مغامس* مولًى على البصرة* من قبل العثمانيين*، ومباركًا والي الحويزة خاضع للصفويين*. راجع: الشعوب الإسلامية ص: ١٣٨، وصفحات من تاريخ البحرين ج ١١٩/٢ -١٢٠، وويلسون ص: ٢٢٠.
(٥) بنو خالد وعلاقتهم بنجد ص: ١٢٩.

تلك كانت صُورة الوضع في البلد الذي ولد فيه أبو البحر الشيخ جعفر الخطي، وأمضى فيه باكُورَةَ عمره، عرضتها موجزة دون تفصيل، مراعاة للإيجاز؛ فإذا مررت بدور من الأدوار اكتفيت بذكر بدايته ونهايته، وأعرضت عن تفصيل الأحداث التي تحدُث في داخل الدَّور، فلم أفصِّل أحداث ما سُمِّيَ بحروب الردة، ولا حروب الخوارج*، ولا تفاصيل الحروب التي دارت في عهد القرامطة*، ولا ما وقع بين الأمراء العيونيين*، سواء بينهم، أنفسهم، أو بينهم وبين جيرانهم، ولا ما وقع من منازعات بين أمراء بني عصفور*، ولا بين الجبريين*، فقد تكفَّلت المصادر التي اعتمدتها بتلك المهمة، وللقارئ أن يرجع إليها، إن أراد تفصيلاً، فلم يكن إلمامي بتلك الأحداث إلاَّ لغرض واحد فقط، ألا وهو تمثُّل الأسباب التي حجبت ثقافة القطيف*، وطمست معالمها.

ولقد كان من المفترض أن يُسَجِّل الغنوي*، جامع ديوان أبي البحر، تفاصيل الأحداث التي عاشها، كما فعل جامع ديوان ابن المقرب، لكنه لم يفعل شيئًا من ذلك بكل أسف، على الرغم من أن أحداث تلك الحقبة لا تقل خطورة عن الحقبة التي سجلها جامع ديوان ابن المقرب، بل إن الشبه بين الفترتين كبير جداً بالنظر إلى وقوع القطر في قبضة حكم أجنبي شرس في كلتا الحقبتين؛ ففي الأولى استولى القرامطة*، وهم فئة وافدة غريبة عن القطر في كل شيء حتى الفكر والمعتقد، وفي الثانية عانى من تسلط حكمين أجنبيين شبيهين بالأول، أحدهما غريب عنه غربة جنس، ولغة، وثقافة، وعقيدة، ذلك هو العدو البرتغالي، وثانيهما الحكم التركي، وهو يلتقي وإياه في الدين، إلا أنَّه، كالأول، غريب عنه جنساً، ولغة، وثقافة، ومع ذلك فلم تخلُ مخطوطة الديوان من إشارات مفيدة عن دور الأهلين في مقاومة ذينك الدخيلين، إذ حملت لنا إشارات غنيَّة، وإن كانت غير صريحة؛ فمن ذلك إشارتها لنزوح أبي البحر برفقة أعيان القطيف* منها [1]، وربط الحادثة هذه بِمُعاصِراتِها من الحوادث يكشف لنا عنف الهلع من العثمانيين*، ثم تأتي إشارات أخرى تنبئ باتصال أعيان البحرين*، ومنهم صاحب الديوان، بإمام قلي خان حاكم شيراز*، وبالشيخ البهائي* في إصفهان* [2]، وبالشاه عباس الصفوي في شماخي[3]، وبالسادة المشعشعيين حكام الحوَيزَة[4]، وهي إشارات

(١) الديوان جـ ١/٢٦٨، والهامش «٢» منها.
(٢) الديوان جـ ١/٢٠٧، والهامش «٣» منها، وجـ ١/٣٩٩.
(٣) الديوان جـ ٢/٨٧.
(٤) الديوان جـ ١/١٧٧، و ١٩٨ - ١٩٩، و٢/٩١، وهوامش تلك الصفحات.

تحمل كثيراً من الرموز الدلالية، والإيماءات الموحية، وتلتقي بإشارات الشاعر، وإيماءاته في متن قصائده؛ فتكوِّن صُورَةً قابلةً للتفسير عن الوضع في تلك الفترة على الرغم من أنها باهتة يكتنفها الغموض، فربما حمل هذا الغموض، في ثناياه، أمارات واضحةَ الدلالة على شدَّة ما تعرَّض له أهل القطيف*، في ذلك العصر، من قهر. وإذلال، وإرهاب وصل حداً عجز فيه الناس حتى عن التعبير عن أوجاعهم، أو الجهر بشكاواهم، ولو في قصيدة يهمس بها شاعر لأهله وذويه.

أما الوضع في البحرين* فقد بقي مستقراً لصالح الهرمزيين، ولاة البرتغاليين*، لا يُعَكِّر صَفوَه عليهم إلاَّ بعض تحرُّشات الأتراك*، أحيانًا، بمثل الحملة التي فشل فيها وإليهم على الأحساء*، مصطفى باشا*، إلى أن تغيَّرت الأحوال في ايران* بصعود شاب طموح إلى عرشها سنة ٩٩٦ هـ ١٥٨٧م، ذلك هو الشاه عباس الأوَّل الصفوي* الملقب بالكبير، فأعاد لايرانَ قُوَّتَها، وهيبتها، وتمكَّن من استعادة العراق* من الأتراك*، ووصل بفتوحاته إلى بلخ، وقندهار، جنوبًا، وجرجان، وبخارى، شرقًا، والموصل*، وديَار بكر، غربًا، وإقليم الكَرج «جيورجيا Georgie حاليًا»، شرقي البحر الأسود، شمالاً، إلى شماخي*، ودربند، في داغستان، وهو ما عُرف عند الجغرافيين العرب بباب الأبواب، شمال غرب بحر قزوين «الخزر»(١)، ولعل أهل البحرين* سوف لن تتاح لهم فرصة أثمن من هذه الفرصة التاريخية للإتصال بهذا القائد المظفَّر، ومفاوضته في شؤون بلادهم، والتماس مساعدتهم على الخلاص من قبضة البرتغاليين*، وولاتهم الهرمزيين. أقول: فرصة تاريخية؛ لأن شيخ الإسلام في دولة الشاه*، وهو الشيخ محمد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي «البهائي*»، كان على صلة بعلماء البحرين*، وبعضهم تتلمذ عليه، كالشيخ أحمد بن عبد الصمد*، والشيخ علي البحراني(٢)، وغيرهما، فضلاً عن أنَّ أباه قد توطَّن بالبحرين*، وبها توفي، سنة ٩٨٤هـ، وغير بعيد أن يكون البهائي*، نفسه، قد أقام مع والده فيها، ممَّا أتاحَ لبعض علمائها ووجهائها تكوينَ علائقَ، وروابط معه، فلم يكن متعذِّراً عليهم أن يتَّخِذوه وسيطًا لدى الشاه يقنعه بإنقاذ البحرين* من البرتغاليين*.

من حق فرضيَّة إقامة البهائي* بالبحرين*، على هذا النحو، أن تُثيرَ الإستغراب، إن

(١) أطلس التاريخ الإسلامي ص: ٣٦٠، و٢٣٠ خ: ١٢٠، والشعوب الإسلامية ص: ٢٢١، و٢٤٤ - ٢٤٩، ومعجم البلدان ج ٢/٤٤٩، وج ٣/ ٣٦٠، ودائرة المعارف الإسلامية ج ٩/١٨٨، وج ١/٣٢ - ٣٣، والمنجد في الأعلام.
(٢) أنوار البدرين ص: ٩٣، و١١٩.

لم تقابل بالإستنكار، فإن أحداً من الباحثين لم يقل بدخول البهائي* البحرين*، ولكن الإطمئنان لهذه الفرضية آت مما سلف ذكره من تتلمذ بعضهم عليه، مضافًا إلى استقرائنا لِنَصَّين شعريَّين ورد أُحدُهما عند الشيخ البهائي* في قصيدة كتبها رداً على شخص دعاه السيدَ الأجلَّ، ولم يصرح باسمه، وكان ذلك السيد قد رثى الشيخ حسين بن عبد الصمد*، والد البهائي*، بقصيدة، فشكره البهائي* بقصيدة جاء فيها [1]:

يا نُزولاً بِذي الأراك إلى كم تَنقَضي، في فراقِكم، أعوامي!؟
ما سَرَت نَسمَةٌ، ولا ناحَ في الدَّو حِ حَمامٌ إلا وحانَ حِمامي
أين أيامُنا بِشَرقِيِّ نجدٍ يا رعاها الإلهُ من أيَّام
حيث غُصنُ الشباب غَضٌّ، وَرَوضُ الـ ـعيشِ قد طرَّزته أيدي الغَمام

وورد الثاني عند الشيخ جعفر الخطي في قصيدته التي جارى فيها البهائي*، ومدحه فيها. يقول الخطي [2]:

هي الدار تستسقيكَ مدمعَكَ الجاري فسَقيًا، فأجدى الدمع ما كان للدار
وأنت امرُؤٌ قد كنت، بالأمسِ، جارَها وللجار حقٌّ، قد علمت، على الجار
عَشَوتَ إلي اللَّذات فيها على سَنا شُمُوسٍ وُجُوهٍ، ما يَغِبنَ، وأقمارِ
فاصبَحتَ قد أنفقتَ أطيَبَ ما مضى من العُمر فيها بَينَ عُونٍ، وأبكَارِ

والحقيقة أن فهم هذين النصين لا يتأتَّى من دون الإحاطة بالظروف التي أوجبت هجرة الشيخ حسين، والد البهائي، إلى البحرين*، وقد كان من أهم المقربين لدى الشاه طهماسب بن إسماعيل الصفوي.

اختزل المؤرخون سبب تلك الهجرة في رؤيا رآها في المنام حاصلها أن البحرين* قد رفعت إلى الجنة، لكن وقائع التاريخ تنبئنا بأسباب أخرى مرتبطة بالأوضاع السياسية في ايران*، فقد تُوُفِّيَ الشاه طهماسب في ١٥ صفر سنة ٩٨٤ هـ، فخلفه ابنه حيدر، ولكنَّه اغتيل في نفس اليوم الذي اعتلى فيه العرش بتدبير من أخته بري خانم، وكان أخوها إسماعيل الثاني، معتقلاً في قلعة أَلَمُوت مدَّة حكم أبيه، فأخرجته من سجنه، وأجلسته على العرش، ويبدو أن السجن قد ملأ نفسه نقمة على أبيه، ومتعلقيه،

(١) كشكول البهائي، تحقيق الزاوي جـ ١/١٢٩ - ١٣٠.
(٢) الديوان جـ ١/ ٢٠٨.

فأعمل في أهله السيف، فقتل من إخوته ثمانية، مع ثلاثمائة من الشبَّان من أقربائه وذويه، منهم ابن عمه إبراهيم بن بهرام، واتخذ لنفسه فلسفة تقول: « إذا جُدِّد رأسُ الخيمة فلا بدَّ من تجديد الأطناب »، فلم يسلم من القتل حتى أخته التي أوصلته إلي سدة الحكم، ويقال إنه قتل، فضلاً عن هؤلاء، ثلاثين ألفًا من جيش أبيه لشكه في علاقتهم بسجنه، وأربعة وأربعين ألفًا من عامَّة الناس، وقد تعرض العلماء للمضايقة، والمطاردة، فسجن السيد حسين بن حسن العاملي الكركي في حمام شديد الحرارة[1].

تلك هي الأوضاع التي هاجر بسببها والد البهائي* من ايران*، ولجأ إلى البحرين*، وتُوُفِّيَ بها، في الثامن من ربيع الأول سنة ٩٨٤هـ، فهل يُتَصَوَّر أن يبقى البهائي* في ايران* في هذه الظروف، وأن لا يكون مِن المعرَّضين للقتل، بسبب مكانته في دولة الشاه طهماسب*؟

فإذا عدنا للنصين الشعريين السابق الإشارة إليهما، وأمعنَّا النظر فيهما على ضوء تلك الأحداث في ايران*، وإقامة والد البهائي* في البحرين*، فلا يبعد أن يفتح ذلك أمامنا احتمال أن يكون « السيد الأجل » هو من سادة البحرين*، فوالد البهائي* تُوفِّيَ عندهم، ومن المستغرب ألاَّ يرثِيَه أحدٌ من شعرائهم، وتَذَكُّر البهائي* أيَّام شبابِه في « شرقي نجد* » يمكن أن يحمل على أنه تلميح إلي تَوطُّنه في البحرين* مع أبيه. ويأتي نَصُّ الخطي سنداً لهذا الإفتراض، ويعطي المسوِّغَ لحمل « الدار » التي يستدرُّ لها الخطيُّ دموع البهائي* بأنها البحرين*، وحمل تلميحه على هذا النحو بأنه استغاثة لنصرة تلك « الدار »، وعندي أن الخطي اختار عبارته: « كنت جارها » بعناية؛ فالجار يمكن أن يفسر بأنه الحامي، والمجاور، وكلا المعنيين يحملان دلالة الإقامة والإستيطان.

يضاف إلى تلك الصلة بالبهائي* ما كان بين الشيخ جعفر الخطي والسادة المشعشعيين*، حكَّام الحويزة[2]، من علائق حميمة، واتصالاته بهم تَدُلُّ على نجاحه في توسيطهم لدى الشاه، فجهَّز حملة بقيادة الأمير كمال الدين بن يحيى الكردي الفيروزابادي فأجلى البرتغاليين* عنها بسهولة، ويسر.

* * *

---

(١) راجع: أعيان الشيعة مج ٩/٢٣٤، والغدير ج ١١/٢١٨، و٢٨٢، ومقدمتي كشكول البهائي، شرح بحر العلوم.

(٢) مدينة في وسط البطائح، شرقي دجلة*، بين واسط والبصرة* وخوزستان. راجع: معجم البلدان ج ٢/٣٢٦، ودائرة المعارف الإسلامية ج ٨/١٥٢.

أبو البحر الشيخ جعفر الخطي

نسبه[١]:

هو أبو البحر، شرف الدين[٢]، جعفر بن محمد بن حسن بن علي بن ناصر بن عبد الإمام، الخطي، العبدي[٣]، الشهير بأبي البحر، أحد بني عبد القيس* بن شَن[٤] بن أفصى[٥] بن دعمي بن جديلة بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان «جدُّ قريش»[٦].

ولادته:

لا نعرف، على وجه التحديد، مكان ولادته في القطيف*، إلاَّ إذا أخذنا بما قاله الشيخ علي البلادي أنه ولد في قرية التوبي[٧] إحدى قرى القطيف*، ولعله اعتمد في ذلك على تسمية الشيخ إبراهيم آل عرفات القديحي إياه بالتوبي في كشكوله[٨]. أمّا هو فلم يقابلنا في شعره ما يشير إلى أية صلة له بتلك القرية سوى قصيدة واحدة هازلة يستنجد فيها ببني شيبان، يقول في مطلعها:

يا خليلَيَّ من ذُؤابة شيبا نَ، ويُدعى، لما ينوب، الخليل[٩]

فعلى ما نعلمه، شياعًا، من نسبة أهل قرية التوبي أنفسهم إلى تلك القبيلة؛ يكون

---

(١) من مقدمة «أ»، و«ب»، والهاشمي ص: «و»، والسلافة ص: ٥٢٢، ونفحة الريحانة جـ ٣/٢٠٤، وخلاصة الأثر جـ ٤٨٣/١، والأعيان جـ ١٥٧/٤، وأدب الطف جـ ٧٦/٥ مختصراً.

(٢) عند خالد الفرج: كمال الدين.

(٣) في السلافة: العبيدي، مصغَّراً.

(٤) مكانها في أ بياض.

(٥) في ب والسلافة: قصي، وفي أ: أقصى، والتصويب من الهاشمي* مقابلاً على القلقشندي*.

(٦) أنكر الشيخ علي الخاقاني، في مقال له في مجلة الغري النجفية، أن تكون هذه السلسلة مُتَّصلة بعدنان جدّ قريش*، واهماً أن ذلك تشابه في الأسماء، وهذا غريب، إذ لا أظنه يعلم قبيلة أخرى تدعى عبد القيس* غير هذه القبيلة، وهي عدنانية، لاتصالها بعدنان* جد قريش*، لكن يبدو أن روح الإستعلاء المستبدَّة بأهل العواصم، تستكثر على أهل الأطراف أيّة عراقة، أو أصالة، وتتجاهل أن أصول سكان العواصم تعودُ، في الأصل، إلى قبائل الأطراف المهاجرة إليها. راجع: الأزهار الأرجية جـ ٤٠/٣، ونهاية الأرب للقلقشندي ص: ٣٨٠، و ٣٣٨، و٤٣٠، و٣٥٢.

(٧) أنوار البدرين ص: ٢٨٨، وخالد الفرج، ومجلة المنهل، العدد: ٢، مجـ ١٠، صفر ١٣٦٩هـ.

(٨) كشكول العرفات ص: ٢٣٦، و٢٦٧.

(٩) الديوان جـ ٥٢/٢.

لقول الشيخ إبراهيم آل عرفات ما يُؤَيِّده؛ فبنو شيبان بطنٌ من بكر بن وائل(١)، وبكر من القبائل المتوطنة في القطيف*. أمَّا تاريخ ولادته فمع أن مترجميه لم يفيدونا بشيء عنه؛ فإن بالإمكان الإستدلال عليه من استقراء شعره، ومن مقدمات الأبيات التي كتبها في صباه سنة ٩٩٩هـ ١٥٩٠م، وغيرها، كتلك التي يقال بأنه قالها مبتهلاً إلى الله في مسجد المسهَلَة(٢) «المسألة؟»، وكذلك قصيدة «السبيطية» التي كتبها سنة ١٠١٩ هـ ١٦١٠م(٣)، والأبيات التي أجاب بها على أبيات بعث بها إليه ولده حسان، «أبوالفرج»، سنة ١٠٢٣هـ ١٦١٤م(٤).

إننا إذا تأملنا جزالة شعره، ومتانة سبكه سنة ٩٩٩هـ ١٥٩٠م، كقوله(٥):

لَمَّا رأيتُ وُشاةَ الحَيِّ تَرصُدُنا بأعيُنٍ لا عداها غائلُ الرمَدِ
جعلتُ، لا عن قِلى منِّي، أزورُكُمُ آنًا، وأهجُرُكم بعضًا من الأبَدِ

وما شابه - لا يسعنا إلقاء التبعة، في حظوته بتلك الشاعريَّة، على الموهبة وحدها؛ إذ لا بُدَّ أن يكون لطول المِراسِ يَدٌ في صقلها، وتنميتها، وتضيف بعض الإيماءات مستَندًا آخر لهذا التقدير، منها قوله سنة ١٠٠٥هـ، متأسِّفًا على مفارقة الشباب(٦):

أيُّ غُبنٍ تراه لي غيرَ ندبي طيبَ عيشٍ، قبلَ الثلاثين، زالا؟

إن أسفه على زوال طيب العيش «الشباب» قبل الثلاثين في هذا الوقت - سنة ١٠٠٥هـ - يساعد على التكهن باقترابه منها. وأمَّا قصيدته «السبيطية» التي كتبها سنة ١٠١٩ هـ، فإنَّ قوله فيها(٧):

تلجَّجت خور القريتين مشمِّراً وشبلي معي، والماء في أوَّل الجزر

يبيح لنا أن نفترض بلوغ شبله مبالغ الرجال، في ذلك الوقت، إذ إنَّ الشبل، لغةً، هو ولد الأسد إذا أدرك، ولعله، لهذا السبب، استخدم هذه الكلمة دون كلمة «طفلي».

(١) نهاية الأرب ص: ٢٨٣.
(٢) كذا وردت تسميته في أنوار البدرين ص: ٢٩٤، وهي التسمية الشائعة على الألسن، وأظنها من تحريفات العامة، ولعل صوابها المسألة، وهذا المسجد ما يزال موجود إلى الآن، وهو يقع في أقصى الغرب من القلعة، أمام بوّابتها المعروفة بدروازة باب الشمال، وقد أزيلت، أولا، مع الحائط الغربي والجنوبي لسور القلعة، ثم أزيلت القلعة بكاملها، ولم يبق منها سوى خمسة مساجد، منها هذا المسجد، وحسينيتان، وبعض المنازل. راجع المقطوعة في الديوان جـ ٢/٧٣.
(٣) الديوان جـ ٢/٤٥.
(٤) الديوان ٢/٩٤.
(٥) الديوان جـ ١/٣٣٩.
(٦) الديوان جـ ١/٣٥٧.
(٧) الديوان جـ ٢/٤٧.

ومما يُقوّي هذا الإفتراض أن ولدَه لوكان طفلاً لما وسعه تركُه يخوض البحر إلاّ أن يُحمل، ولو حدث ذلك للحقه بعض الأذى جرّاءَ سقوطه، ولربما لم تفته الإشارة إلى مشهد الطفل مُعفّراً بجانبه، ملطّخ الثياب. إن هذا ما خلت القصيدة منه على كل حال.

ثم تأتي إجابته لأبيات ولده حسّان سنة ١٠٢٣هـ ١٦١٤م، لتقول لنا إن ذلك الذي كان شبلاً سنة ١٠١٩هـ ١٦١٠م؛ صار الآن أبًا، وشاعراً، وأصبحت كنيته «أبا الفرج»، وهذا يعني أنَّ أبا البحر قد أصبح جَداً له حفيدٌ اسمه «فرَج».

ولعل الأوضح من هذا كلّه ما تضمّنته أبياته التالية من قصيدة كتبها سنة ١٠٢٤هـ ١٦١٥م يمدح فيها الشريفَ جعفر بن عبد الجبار بن حسين العلوي الموسوي، وهو الذي جُمع ديوانه بأمره[١]:

يا جزى الشَّيبَ ما جزاه، وأثوا ... هُ مكانًا، من البلاد، سحيقا
سرق العُمرَ من يديَّ اختلاسًا ... فقصاراي أن أقُصَّ السروقا
شان وجهًا ما كان في وسع وجهٍ ... أن يضاهي جماله، أو يفوقا
أبيضٌ شان أبيضًا، وسنا المصـ ... ـباح يشكو ضوءَ الصَّباح شُروقا

ففي هذه السنة قارب أن يودِّع الكهولة، دالفًا إلى كآبة الشيب، ووهن الشيخوخة، والشيخوخة، كما لا يخفى، لا تُحتسب قبل مشارفة الخمسين.

وتأسيساً على ما تقدّم بوسعنا أن نفترض عمر ولده حسّان، حينَما نظم بيتيه، بأربع وعشرين سنة، وذلك هو العمر المعتاد لقطع مرحلة متوسطة في التعلُّم، ثم الزواج، والإنجاب، وذات الفترة، أو قريب منها، يفترض أن يحتاجها أبو البحر لذات الأغراض، فيكون عمر شاعرنا في سنة ١٠٢٣ هـ ثمانية وأربعين عامًا، وبطرح الرقم ٤٨، عمر الشاعر، من الرقم ١٠٢٣، تاريخ نظم البيتين، تكون النتيجة: ١٠٢٣ - ٤٨ = ٩٧٥ هـ، وهي ذات المدة التي فوجئ بمداهمة الشيب له فيها سنة ١٠٠٥ هـ. فعلى هذا الإفتراض يسوغ لنا تحرِّي ميلاده في منتصف العقد الثامن من القرن العاشر الهجري، أي في سنة ٩٧٥هـ ١٥٦٧م، أو قريبٍ منها[٢].

* * *

(١) الديوان جـ ٢٥٧/١.
(٢) قريب من هذا رأي خالد الفرج، ولكنه لم يبرر احتمالاته. راجع: المنهل، مرجع سابق.

الوضع الأمني في عصر الشاعر

اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي وصل فيها العثمانيون* إلى القطيف*، فبعضهم يرى أنها سنة ٩٥٠ هـ ١٥٤٣م[١]، وبعضهم يؤخِّرها إلى ٩٥٧هـ ١٥٥٠م[٢]، بينما يقدمها آخرون إلى سنة ٩٤٢ هـ ١٥٣٤م، ويربطون ذلك باحتلال السلطان سليمان القانوني بغداد[٣]، وهذا التاريخ تؤيِّده وثيقة ركن الدين بن شرف الدين[٤]، ولا حاجة بنا إلى تكرار الحديث عن هذه المسألة، ولا عن المآسي التي قاست منها القطيف* جرَّاء الإستبداد، والتسلط العثماني، فقد استوفيناه آنفًا حيث واصلنا عرض تلك المآسي، ولم نتوقف إلاَّ عند سنة ٩٦٨هـ ١٥٦٠م، وتوقُّفُنا عند تلك السنة له سبب، وهدف؛ فأما السبب فهو همود الأحداث، بعد تلك السنة، أعوامًا يسيرة تقرب من ثمانية عشر عامًا لم تذكر مشاركة القطيف* خلالها في أحداث المنطقة بالاسم. وأمَّا الهدف فهو أننا، في هذه الفترة، في انتظار مولد الشاعر، فلعل الأنسب أن يأتي عرض أحداثها أثناء استعراض عصره، ولكن قبل أن نصل ما انقطع من سلسلة الأحداث؛ ينبغي أن نحاول التعرف على عقلية الدولة التي كانت تحكم البلد الذي ولد فيه الشاعر، وهي الدولة العثمانية، وماهِيَّة الحكم عندها، والجيش الذي تستخدمه في إخضاع البلدان، وكيفية تعامل ذلك الجيش مع البلاد التي يفتحها.

تفيدنا مصادر التاريخ أنَّ العثمانيين* ليسوا أهلَ فكر، ولا ثقافة، ولا رسالة روحية، وإنما هم أصحاب بطولات، وقوَّة، وتقاليد قبَلِيَّة. وأما الحكم عندهم فهدفه الفتح، وأداته الجيش، وقائده السلطان صاحب الأمر المطلق، فيكفي أن يتفوَّه بأمر بإعدام الأشخاص، ومصادرة أموالهم لتطير الرؤوس دون سؤال. بل لا تقتصر هذه السلطة على السلطان وحده؛ فإن الولاة والباشوات، أيضًا، يشاركونه فيها، وهذا الحاكم المطلق يمارس سلطانه بمباركة وُعَّاظٍ تحت الطلب، لم يبخلوا بالفتاوي الجاهزة حتى مكَّنوا بعضهم من قتل جميع إخوته يوم اعتلائه العرش بدعوى «منع الفتنة»،

(١) خالد محمد الفرج، مجلة المنهل، العدد الثاني، المجلد العاشر، صفر، سنة ١٣٦٩هـ
(٢) دليل الخليج، ت، جـ ١/١٦، وويلسون، الخليج العربي ص: ٢٢٠.
(٣) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، لونكريك ص: ٤٠.
(٤) مجلة الوثيقة عدد ٤ ربيع الآخر سنة ١٤٠٤ هـ.

فكيف يكون الحال مع الناس؟ وأما سلوكُهم وتصرفاتهم في شؤون البلاد التي تقع تحت سيطرتهم فهو استبداد مطلق أقلُّه أن تُقَسَّمَ أراضي الناس وممتلكاتهم بين الولاة والجنود[1]. ناهيك عن الضرائب، والإتاوات. وأمَّا الجيش فإنَّ القوة الضاربة فيه، التي يعتمد عليها السلطان، هي الإنكشارية، وهو جيش أَلَّفه العثمانيون* من اللقطاء، والأطفال الذين يختطفونهم خلال غاراتهم على البلاد المجاورة، ويسترقُّونهم مدى الحياة، وقد أنشأوا مؤسسات خاصة تتولَّى تربية هؤلاء الأطفال الصغار، وتقوم بتنشئتهم تنشئة عسكرية ذات صبغة مذهبية، فينشأون غير عارفين بأصولهم، ولا أنسابهم، ولا يشعرون بأيِّ ارتباط، إلا بالجيش الذي ينتمون إليه، فلا يشعر الفرد منهم بأيَّة غاية من وجوده إلا الحرب التي هُيِّءَ لها منذ صغره[2]، فلك أن تتصوَّر، بعد هذا، ما يمكن أن تعانيه بلد يختلف سكَّانه عنهم مذهبيًا؛ لتدرك الأسباب الكامنة وراء الثورات المستمرة ضدهم في القطيف* والأحساء* على النحو الذي بيَّنَّاه.

ولقد كان من سوء حظ الشاعر أن ولد في ظل عهد هذه عقلية الحكم فيه، فلا غرابة أن طغت فيه الإضطرابات، واضطرمت الفتن، وتفاقمت الفوضى، وعلى رغم سكوت الوثائق عن ذكر القطيف* ، بالاسم، إلى جنب الأحساء* خلال الأحداث التي عاشتها المنطقة في الفترة التي ولد ونشأ فيها الشاعر، إلا أنه ليس من السهل استبعاد مشاركتها فيها لاعتبارات عدَّة منها أن البلدين، في واقعهما الأسري والجغرافي، يُعتبران بلداً واحداً، ومن البدَهي أن يقفا متكاتفين في الملمات، ومنها أن اعتمادنا في التأريخ لهذه الفترة هو على الوثائق العثمانية، وهي كثيراً ما تستخدم اسم الأحساء* دلالة على القطيف* حينًا، وعلى القطر كلِّه حينًا آخر، وهو ما تواضع عليه الأتراك* في تسمية المنطقَة[3]، ولذلك يصعب تمييز القطيف* أو فصلها عن الأحساء* في الوثائق العثمانية، وسيأتي من الشواهد ما يؤيد هذا قريبًا.

على أية حال فإن الأوضاع قد استمرت في تدهورها من سيء إلى أسوأ، ومع أنه لم يظهر من الوثائق ما يعين على معرفة مزيد من أخبار الثورات التي حدثت بعد سنة

---

(١) البلاد العربية والدولة العثمانية ص: ٣٣، والعلاقات العراقية الايرانية ص: ٢٧.

(٢) يسمي بعض الكتاب هذه التنشئة تنشئة إسلامية، وما هي في الحقيقة إلاّ تنشئة مذهبيّة مقيتة دافعها التعصب، والذين يضفون عليها الصفات الإسلامية إنما يعبرون بذلك عن غلبة روح التعصب عليهم. راجع: البلاد العربية والدولة العثمانية ص: ١٦ -١٧.

(٣) علي شاكر علي، التنظيمات الإدارية العثمانية لإيالة البصرة ص: ١٢٩، وانظر: مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني.

٩٦٨هـ ١٥٦٠م فإن الظاهر أنها لم تتوقف، فقد بلغت الفوضى مداها حتى لم تعد الدولة نفسها تطمئن إلى ولاء موظفيها؛ نلمح ذلك من توالي الأوامر المركزية مؤكِّدة على الإستمرار في حبس القادة، والموظفين الأتراك* المشتركين مع الأهالي في الثورات، وصدور التعليمات بكيفيَّة التصرُّف مع الأغوات المتعاونين مع أهالي القطيف* في سنة ٩٦٨ هـ ١٥٦٠م، وإلى أن نصل إلى نهاية سنة ٩٧٥ هـ ١٥٦٧م، وشاعرنا الوليد يكاد يدلف إلى الثانية من عمره، نجد أنَّ الأوضاع قد ازدادت تدهوراً حتى عجزت الدولة عن إنفاذ حكم صادر بصلب رئيس المتطوعين لتحريضه على الثورة والعصيان في القطيف*، وتكرُّر تضامن بعض القادة الأتراك* مع الثوار، فضلاً عن عجز خزينتها المحلية عن سداد نفقات الجند، واضطرارها إلى الإقتراض من خزينة ديار بكر*.

مع استمرار التوتر، والإضطراب اضطر الوالي المعيَّن حديثًا، سنة ٩٨٢هـ ١٥٧٤م، إلى أن يطلب من اسطنبول إمداده بقوَّات ضخمة لمواجهة المصاعب التي يتعرَّض لها في المنطقة، وقد بلغ من ضخامة الإمدادات أن أصبحت البصرة*، نفسها، تعاني نقصًا كبيراً في الجند؛ مما اضطر الحكومة المركزية إلى إمدادها بجيوشٍ من بغدادَ وشهرزُور(١)، ومع ذلك لم تَلُح في الأفق أيَّة بادرة تدل على استتباب الأمن، فقد نجح زعيم بني خالد، سعدون بن حميد، في فرض هيمنته، واضطر العثمانيون* إلى إعادة تعيينه حاكمًا للواء البادية سنة ٩٨٣ هـ ١٥٧٥م، وأنيطت به مهمة تأديب البدو، وقد أطمعت هذه الفوضى زعيم المنتفق «مانع». المتحالف مع حاكم «لار»، بالإغارة على سفن الأحسائيين* في موسم الغوص سنة ٩٨٦هـ ١٥٧٨م، فطلب من حاكم البصرة* إمداد القطيف* بعدد من السفن الحربية لمواجهة اعتداءَات مانع، وغني عن البيان أن مصطلح الأحسائيين*، هنا، يراد به القطيفيُّون*.

وبتقدم الزمن عَمَّ التمرُّد عسكر الأتراك* أنفسهم سنة ٩٨٨هـ ١٥٨٠م، وعندما أمكن إنهاؤه كان العديد من الجند قد التحق بالثوار العرب*، ثم تكرَّرت الصورة نفسها سنة ٩٩٢هـ ١٥٨٤م، فقد تواطأ محمد بك موسى، وداود آغا مع البدو*، وعجزت السلطة المركزية عن مَدِّ الحاكم العام للمنطقة بالجند لمواجهة حشود البدو*

(١) بنو خالد وعلاقتهم بنجد ص: ١٣١- ١٣٢، وشهرزور: منطقة سهول واسعة بين إربيل وهمذان في ايران*؛ قصبتها تسمَّى باسمها. راجع: معجم البلدان جـ ٣/٣٧٥، ومعجم ما استعجم جـ ٣/٨١٢، والمنجد في الأعلام، وأطلس التاريخ الإسلامي الخارطة: ٦٣.

المتقاطرة على المنطقة في موسم صرام التمور، تاركة له مواجهة مصيره بنفسه(١).

ولا يبدو أن الحال قد تغيرت في السنوات التالية، فقد بلغت الإضطرابات ذروتها سنة ٩٩٨ - ٩٩٩هـ ١٥٨٩ -١٥٩٠م، ولعدم كفاية القوة المرابطة في القطر، وعجز الحاكم العام عن السيطرة، أسندت إدارة القطر إلى بغداد مباشرة، وتم تعزيز الجيش بقوات كبيرة من عدد من الولايات العثمانية، ثم تلا ذلك تكليف الحاكم العام في البصرة* بقيادة الجيش فضمت إليه قوات إضافية من بغداد(٢).

وعلى الرغم من سكوت الوثائق العثمانية عن ذكر ما حدث، بعد ذلك (٣)، عدا خروج الأحساء * من سيطرة الأتراك*، وتمكنهم من إحكام السيطرة على القطيف* (٤)، فإنَّ مخطوطة ديوان أبي البحر تتكفل بإخبارنا بالنتائج بما تضمنته من الإشارة إلى فرار أهالي القطيف* وزعمائها إلى البحرين* برفقة زعيمهم الأكبر عبد الله بن المقلد، ومعهم شاعرهم أبو البحر الخطي(٥).

وهكذا فسَّرت لنا الوثائق الثعمانية ما أراد جامع ديوان الخطي ستره عنا، ملغزاً بقوله: «واتَّفَقَ خروج أعيان القطيف* منها لأمرٍ، وسكنوا البحرين*للسنة التاسعة والتسعين والتسعمائة»، فعرفنا أن «الأمر» المقصود هو حرب بين القيادات الأهلية والجيش العثماني.

* * *

(١) بنو خالد وعلاقتهم بنجد ص، ١٣٥ - ١٣٧.
(٢) نفسه ص ١٢٨- ١٣٩.
(٣) أحياناً لا يرد ذكر القطيف* صريحًا في الوثائق العثمانية، فحتى أحداث هذه السنة لم تذكر القطيف* فيها رغم أن تلك الأحداث تركزت فيها، وتسبَّبت في نزوح أهاليها منها. راجع، الديوان جـ ٢٦٨/١.
(٤) بنو خالد وعلاقتهم بنجد ص، ١٣٨ - ١٣٩.
(٥) الديوان جـ ٢٦٨/١.

نشأة الشاعر وأحواله

في هذا الجحيم المضطرم منَ الحروب والفتن، وفي ذلك البلد المنكوب بالغزاة والبداة؛ ولد شاعرنا، وترعرع، وأمضى زهرة شبابه، وأحلى سنِيّ عُمره، فكان قد دلف إلى غَضَارة العقد الثالث يوم أن اقتلعت الكوارث جذوره من تربتها لتتقاذفها العواصف، وتُطَوِّح بها الأعاصير. فهل يلام، بعد ذلك، إذا ما استبطن تلك الخطوب وراء شعوره ليصوغها شعراً يَتَحَسَّر فيه على وطنه فيقول(١):

من ناشِدٌ لي بالعقيقِ حُشاشةً　　طاحت وراء الركب ساعةَ قوَّضوا

لم تَلو راجعةً، ولم تَلحق بهم　　حتى وهت مما تَطيح، وتنهض

ولكن لماذا يتغمغم شاعرنا بالرمز؟ أيظن أنه يلبس علينا فلا نفهم أن عقيقه هو وطنه؟

نشأته وسبب هجرتِه

كل ما كشفته لنا مصادر التاريخ من حياته، هو أنه ولد في التَّوبي*، إحدى قرى القطيف*، ويُعتَقَد بأنَّه نشأ في بيت مظلَّل بالعَوَز والفاقَة حتى ظُنَّ بأن سبب هجرته منها سنة ٩٩٩ هـ ١٥٩٠م إلى أوال* «البحرين*» هو عجزه عن الوفاء بديون ضئيلة كانت عليه، وتروى في ذلك خرافة حاصلها أنَّه أصابه دَين في بلده أوجب عليه الخروج منها، وكان في مُسَوَّرة القلعة بالقطيف* عازمًا على الخروج والسفر، فدخل المسجد المعروف بمسجد المسهلة* «المسألة؟»؛ القائم عند بوَّابةِ باب الشمال(٢)، فأنشد الأبيات التي مطلعها(٣):

مولاي لو قرع امرؤ باب امرئٍ　　بيد الرجاء وآب بالخسرانِ

فلما أتَمَّها نزلت على رأسه، من السماء، صُرَّة دنانير في خِرقة سوداء بقدَر دَينه؛ بلا زيادةٍ، ولا نُقصان، ولكنَّه تشاءَم من سواد الخِرقة، ففَرَّقها على الفقراء،

---

(١) الديوان جـ ١/٤١٨.

(٢) باب الشمال: قرية صغيرة، ملاصقة للقلعة من جهة الغرب، ولعلها سميت باسم الباب الشمالي للقلعة لأنه يقابلها. كانت في الماضي يسكنها صيادو الأسماك، وهي اليوم من أحياء مركز المدينة بالقطيف*. راجع: ساحل الذهب الأسود ص ٤٨٠، والديوان جـ ٢/٧٣.

(٣) الديوان جـ ٢/٧٣.

والمساكين[1].

ومن الغريب ان نجد الأديب الشاعر خالد الفرج يجهد نفسه فيعتسف لهذه الأسطورة تعليلاً واهيًا حاصله أنَّ المسجد مجاور لقصور آل المقلد، زعماء القطيف*، وأبو البحر من المقربين لديهم، فيجوز أن يكون قد سمعه زعيمهم الشيخ عبد الله بن المقلد*؛ فرمى له بالصُّرَّة حفظًا لماء وجهه، وهذا التعليل، في ذاته، يحتاج إلى معجزة تمكِّن الصُّرَّة من اختراق سقف المسجد، والهبوط إليه، وليت أن منشئَ الرواية ومُعَلِّلَها تنبها إلى ما فيها من إساءة لذمة الشاعر حين ينسبان إليه التهرب من أداء حقوق الناس حتى بعد أن قدر على أدائها! وهو الفقيه المتعفف.

ومهما يكن من أمر فينبغي ألاَّ يعزب عن البال أنَّ التحَوُّل من القطيف* إلى البحرين*، أو من البحرين* إلى القطيف* سهل مألوف لأنهما بلد واحد، فهو ليس محتاجًا إلى الخوارق والمعاجز، ومع ذلك فلدينا إلى تفنيد هذه المعجزة وتعليلها قرائن:

الأولى - أن الحكاية تقول إن الصُّرَّة لُفَّت على مقدار دَينه، بلا زيادة ولا نقصان. فكيف علم الشيخ عبد الله بن مقلد بمقدار ذلك الدين؟ ثم كيف بلغ صوت أبي البحر مسامعه، وهو في قصره، وقد يكون مستغرقًا في نومه؟ لا بُدَّ أن أبا البحر كان يصرخ بأعلى صوته، فليس هو، إذن، في مناجاة، والأهم من ذلك هو كيف لم يُحس ابن المقلد بحال صاحبه فيبادر لوفاء دينه وهو خدنه المقرب، ورفيقه الأثير؟

الثانية - أنَّ أبا البحر أملى ديوانه بنفسه على صديقه الغنوي*، ومعظم الديوان ضم مقدمات تُبَيِّن مناسبة كل قصيدة، بما في ذلك أبيات المناجاة تلك، فلو وقع له مثل هذه الكرامة فما هو مبرره لإغفالها؟ لا سيما وأنه ذكر أشياء أقل شأنًا منها؟

الثالثة - أن المعلومات التي اشتمل عليها ديوانه المخطوط تحمل من الإشارات والإيماءات ما يكفي للقطع بأن الرجل له شأن غير ما ذكر مترجموه، وأنَّ خروجه من القطيف* لم يكن دافعه الديون، فمخطوطة الديوان تشير بوضوح إلى أنه خرج مع أعيان القطيف* برفقة أكبر زعمائها الشيخ عبد الله بن مقلد سنة ٩٩٩هـ ١٥٩٠م لأمر، ولئن لم تفصح المخطوطة عن سبب ذلك الأمر؛ فإنَّنا علمناه من مصدر آخر، وقد مر بنا ما كشفته الوثائق العثمانية التي أميط عنها اللثام من أنباء ثورة كبرى في

(١) أنوار البدرين ص: ٢٩٤، وخالد الفرج، المنهل.

الأحساء* والقطيف* ضد الأتراك* في تلك السنة؛ تمكَّن فيها أهالي الأحساء* من دحرهم بينما أحكم الأتراك* قبضتهم على القطيف*، ومن إشارة مخطوطات الديوان إلى وجود الشاعر بين زعماء القطيف*، في فرارهم من وجه الأتراك* إلى البحرين*، نَتَبَيَّن أنَّ شاعرنا لم يخرج من بلده تواريًا من الديون، بل هو شخصية سياسية لا يبعد أن تكونَ قد شاركت في صنع الثورة، وإذا كان ثمَّة عذرٌ نلتمسُه لمبتدع الحكاية ولمعللها الأستاذ خالد الفرج؛ فهو أنهما لم يُتح لهما ما اتيح لنا اليوم من معلومات وفَّرها الكشف عن بعض الوثائق؛ فقد توضحت لنا بعض الصور عن الوضع في القطيف* خلال تلك الحقبة من الزمن؛ مما لم يتَح لهما الإطلاع عليه، وقد مر بنا شريط المآسي التي كابدتها القطيف* جرَّاء الصراع بين قوىً عديدة، ورأينا، أيضًا، أنَّ الغزو البرتغالي للمنطقة لم يكن البلاءَ الأوحد؛ فإلى جانبه وقفت قبائل البدو المتنقلة في صحرائها متربِّصة بها الدوائر، تُغير عليها كلما أينعت الثمار، وأزف القطاف، فإن لم تكن ثمارٌ ركبت البحر تنهب السفن، وتسلب ما فيها من بضاعة، ومؤن، ولؤلؤ، ثم جاء الأتراك* فضاعفوا من ويلاتها ومعاناتها، وأصبحوا «ضِغثًا على إبَّالة» كما يقول المثل، فكان نصيب شاعرنا منها قضاء ثلاثة عقود من عمره في جحيم الفتن، وأتون القلاقل، وفجائع الحروب؛ ارتوى من مرارها، واصطلى بنارها وليداً، وصبيًا منذ ولادته في الثلث الأول من العقد الثامن من القرن العاشر الهجري، وما أن أدرك مدارك الرجال حتى تجرَّع مرارة الغربة؛ بنزوحه عن موطن صباه إلى البحرين*. فعصره، كما رأينا، امتدادٌ لما تميَّز به العهد التركي من فتن واضطراب؛ ففيه بلغت الثورات والأزمات مداها.

ويعجب المرء من هؤلاء الأتراك* المسلمين الذين سعى إليهم إخوتهم في الدين، أهل القطيف*، لينجدوهم من العدو الصليبي[1] كيف صاروا أشدَّ من ذلك العدو قسوةً وجلافة إلى الحدِّ الذي أجبر الناس على ترك أوطانهم مراراً، واللجوء إلى البرتغاليين* في البحرين* طلبًا للحماية، فصدق عليهم قول التكلام الضبعي:

المستجير بعمرٍو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار

* * *

(١) ويلسون ص: ٢٢٠، والنفوذ البرتغالي في الخليج ص: ١٣١، وأربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص: ٤٠، والتاريخ الإسلامي ص: ٣٠٢.

حياته الأدبيَّة والعلميَّة ورحلاته

١ ـ في القطيف

ما من شك في أن ما عرضناه من اضطرابات وقلاقل في القطيف*، خلال ما يقرب من قرن، كفيل بأن يَطمِسَ رسوم الحياة الثقافيَّة، ويُعَفِّي معالمها تحت سنابك الخيل، وقَتَام الجند، ودخان البارود، فلم يصلنا من حياة الشاعر ما نتبين به نشأته، ولا كيف نال حظَّه من المعارف، ولا على يد من نالها، وحتى إجادة اللغة الفارسية لم تنكشف لنا كيفية نيله إياها، وبجريرة هذا الإغفال بقينا نجهل المكان والكيفية التي تَعَلَّم بها تلك اللغة تعلُّماً مكَّنه من ترجمة بيتين من الشعر الفارسي قبل أن يقوم بأيَّة رحلة إلى البلاد الفارسية[1]؟ اللهمَّ إلا إذا أغفل شيئًا من القصائد التي نظمها فيها.

وليس علمنا بحياة الشاعر بأحسنَ حالاً منه بالحياة العلمية في وطنه في هذه الحقبة من الزمن، ومع ذلك فبالوسع أن نلمح، خلف ذلك القتام، شعاع حياة علميَّة وثقافيَّة ناهضة، نستشفها من نبرات شاعرنا الأولى التي لثغ بها في صباه، فلا مراء في أنها نبرات عذبة تتناغم مع أحلى نغمات شاعر أموي جهير هو العرجي[2] المشهود له بمنافسة أعذب شعراء الغزل في العصر الأموي، ألا وهو عمر بن أبي ربيعة. أقول هذا وأنا أعلم أنه لم يقل تلك الأبيات مبتدعًا، وإنما هو مجارٍ وحسب، لكنني أكاد أجزم بأن تلك المجاراة قد طُلبت منه امتحانًا لشاعريَّته، فذلك أمر كان مألوفًا في عصره، مرغوبًا في بيئته، فهو يبدو جليًا في كثرة ما يقوله الشاعر استجابة لما يُطلب منه من معارضة هذا الشاعر، أو مجاراة ذاك، أو إجازة ذلك، ولا ننسى أنَّ المجاراة، والمعارضة والإجازة، هي من فنون الشعر القديمة عند أجدادنا، بل إن الإتِّباعيَّة ذاتها مدرسة قديمة لها أنصارها، ورادتها، حتى إنهم عابوا على أبي تَمَّام* ابتكاراته، وإبداعه، فقالوا له: «ما أشد ما تَتَّكِئُ على نفسك[3]!». يعنون أنه لا يسلك مسلك الشعراء قبله، وإنما يستقي من نبعه نفسه، أي إنه مبدع حسب تعبيرنا اليوم.

---

(١) البيتان الفارسيان وترجمتهما في الديوان ج ١/١٦٤.
(٢) الديوان ج ١/٣٣٩.
(٣) الموشح ص ٤٠٣.

وعلى الإجمال فإن إقرارَ رجل كالشريف حسين بن حسن الغريفي* له بالتفوّق على العرجي* رغم فضيلة سبق الإبتداع، يمدُّنا ببعض ملامح ازدهار هذا الفن في عصر الشاعر. نعم، إنّ تقويمنا اليومَ لمثل هذه المهارات يختلف عن تقويم أولئك الأجداد؛ فإجادة الشاعر عندهم فضيلة تبرئه من شُبهة السرقة(١).

وبعد. هل يجوز لنا الجزم ببلوغ الشاعر هذه المرتبة في الشعر نبوغًا لا كسبًا؟ ولا تعلُّمًا؟ فبأيَّة ذريعة نتذَّرع؟ وإلى أيِّ مبرِّر نستند؟ أفيكفي أن نتعلل بعدم عثورنا على أسماء معروفة نستدل منها على سمات الحركة الأدبية في وطن الشاعر للجزم بانعدام تلك الحركة أو خمودها؟ ألا يسوغ لنا أن نلتفت إلى ما في الديوان من إشارات فنستنتج منها، على ضآلتها، دليلاً على وجود شعراءَ غيره ربَّما أسهموا في انتعاش حركة علمية، وأدبية في ذلك الوطن؟ لنأخذ قصيدته الهازلة في الحشيشة، وقد أجاب بها شاعراً من القطيف* إعجابًا بقصيدة قالها ذلك الشاعر، كذلك فرحه العظيم، واحتفاله بالأبيات التي بلغته من ولده حسان*، ولنُضِف إلى هذين الشاهدين نقدَه المرَّ لمتشاعر آخر من القطيف* لم ينل شعره حظوةً لديه؛ ألا تدلُّ هذه كلها على ملامح وسمات لحركة أدبية لم يُقَدَّر لنا الوقوف على أخبارها بصورة جليَّة بكل أسف؟ مما يجعل القول بتفرُّد أبي البحر في وطنه في غاية الوهن، لا سيما عند النظر إلى قرب عصره من عصر عالم شهير من بلده هو الشيخ إبراهيم بن سليمان القطيفي(٢) المعروف بجدليَّاته، ومناظراته مع الشيخ علي الكركي، وليس بين وفاته ومولد أبي البحر إلاَّ ربعُ قرن؟ ومن قبله الشيخ يوسف بن أبَي، فضلاً عن انتعاش حركة العلم والأدب في مراكز أخرى مجاورة، كالبحرين*، والعراق*، وايران*، ولوطن الشاعر بتلك البلاد صلات وثيقة. فالقول ببقاء القطيف* بمعزلٍ عنها يصعب تبريره.

وأما ما قرَّره الأستاذ المرحوم محمد سعيد المسلم* عن انعزال المنطقة عن العالم المتحضر طيلة ثلاثة قرون أثناء سيطرة القبائل البدوية الجاهلة، ثم عودة الحياة العلمية

---

(١) الوساطة ص: ١٨٣ - ٢٠٤، وكتاب الصناعتين ص: ٢١٧ - ٢٤٨.

(٢) ولد في القطيف*، وبها نشأ، وأخذ مبادئ علومه، ثم هاجر إلى العراق* سنة: ٩١٣ هـ، وتُوفّيَ بها سنة ٩٥٠هـ. فقيه، وجدلي. من أقوى المعارضين للشيخ علي الكركي شيخ الإسلام في دولة الشاه طهماسب الصفوي*، خصوصاً في مسألة أخذ جوائز الحكام، له عدد من المؤلفات منها تعيين الفرقة الناجية، ونفحات الفوائد ومفردات الزوائد، والرشاد في شرح الإرشاد، والمسالة الحائريَّة في تحقيق المسألة السفريَّة، والتحفة في مسائل العبادات الشرعيَّة، والسراج الوهاج. راجع: أعيان الشيعة مج ٢/١٤١، ومعجم المؤلفين جـ ١/٣٦، والكنى والألقاب جـ ٣/٧٦، وروضات الجنات جـ ١/٢٥، وأمل الآمل جـ ١/٨، وأنوار البدرين ص: ٢٨٢.

إلى الإنتعاش بعد سيطرة البرتغاليين*، والأتراك* في أوائل القرن العاشر(١) فأمر لا يصح أن يؤخذ على إطلاقه، بل الأقرب إلى الصواب هو ما قاله هو نفسه قبل ذلك: «إن هذا شيء لا يمكن تصوُّره، ولا يمكن أن نعلِّله إلاَّ بإهمال المؤرخين لتاريخنا الأدَبي» (٢). وأنا، وإن كنت متردِّداً في قبول تعليله ذلك بأنه نتيجة للوضع الإنعزالي الذي كانت تعانيه المنطقة، فليس في وسعي إلاَّ أن أصافقه على ما يعتقده من «ضياع كثير من التراث العلمي والأدبي نتيجة الأوضاع السياسية في المنطقة(٣)»، فهذا هو ما يصح الإطمئنان إليه سبباً أساسيًا من أسباب طمس ملامح الحياة العلمية والأدبية.

ولكي لا يؤخذ هذا على أنّه فرض تنظيري محض؛ يحسن أن أشير إلى شخصية معاصرة لشاعرنا هو الشيخ بدر الدين حسين بن علي بن عبد النبي من آل عبد المحسن القطيفي؛ فهذا الشيخ بقيَ مخبوءاً في ذاكرة مكتبة المتحف البريطاني في مقر وزارة الهند* في لندن* إلى أن عثر الأستاذ حمزة الحسن* على الجزء الثالث من كتاب «زهر الرياض وزلال الحياض» للسيد حسن بن شدقم المدني؛ فأوصل لي أرجوزة للشيخ حسين هذا (٤)، وهي أرجوزة بعثها الشيخ حسين من مهجره في المدينة المنورة* إلى السيد حسن بن شدقم في الهند*، وقيمة هذه الإرجوزة هي في ما تبيِّنه من صلات أدبية بين القطيف* والهند*، فضلاً عن صلتها بالمدينة المنوّرة*، ومكة المكرمة*، وإضافة هذه الأرجوزة وناظمها إلى قصيدة أبي البحر الخطي في مدح الشيخ عبد الله بن محمد بن إبراهيم آل عبد المحسن القطيفي تعد بمثابة إزاحة الستار عن واحد من البيوتات العلميَّة والأدبية في القطيف*، وهذا البيت ما زال، حتى يومنا، معروفًا، به شخصيَّات علمية بارزة كالشيخ فرج العمران (رحمه الله)، ونجله الشيخ حسين العمران أطال الله بقاءَه؛ فكيف نجزم بعدم وجود كثير من مثيلات هاتين الشخصيتين قد فقدت آثارها في ما فقد من الآثار؟

٢ ـ في البحرين

كما لم نتبيَّن الكيفيَّة التي بلغ بها الخطيُّ مرتبته العلميَّة في مسقط رأسه القطيف*

(١) ساحل الذهب الأسود ص: ٢٧٩ - ٢٨٩.
(٢) نفسه ص: ٢٦٩.
(٣) واحة على ضفاف الخليج «القطيف» ص: ٣٦٢، ومجلة الموسم ع: ٩و١٠ مقالات للسيد سعيد الشريف ص: ٢١٦، والشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي ص: ٣٨٧، والشيخ حسين المصطفى ص: ٤٢٧، والشيخ مهدي العوازم ص: ٤٥٦.
(٤) ترجمته مع الأرجوزة في الملحق الثاني جـ ٢/٢٨٥ - ٢٩٦.

لم تسعفنا المصادر بشيء من ذلك أيضًا في مهجره في البحرين*، وكلُّ ما وصلنا عنه أنَّ له يداً في العلوم، وله إجازة رواية من الشيخ البهائي*[1] لكنَّ الشعر غلب عليه. فإذا ما دققنا في شعره وجدناه يعترف فيه بالأستاذيَّة لاثنين لا يبعد أن يكون درس عليهما، أحدهما يسمِّيه: «ماجداً»، والثاني: «حسنًا» فيقول[2]:

إذا شئت جاراني بمضمار مدحكم   جوادان لا يشأهما الدهرَ طارد
إذا ركضا كان المصلِّيَ منهما   الفتى حسنٌ، والسابقَ الفحلُ ماجد
هما أرضعاني دَرَّةَ الرشد يافعًا   فها أنذا، والحمد لله، راشد

ولم يصلنا عمن له صلة به من معاصريه من تسمَّى بحسن سوى «الغنوي» حسن بن محمد بن غنيَّة*، ومَن اسمه ماجد إلاَّ الشريف السيد ماجد بن هاشم الصادقي الجدحفصي*، وكلاهما من البحرين*. فأمَّا الغنوي* فعلى كثرة ما تردَّد ذكره في الديوان من مساجلاته، ومداعباته، فإنَّه لم يصفه إلاَّ بـ «أخيه، وصديقه، وشريكه، أو ندِّه في الفنون الأدبية»، ولم ترد أية إشارة إلى أنَّ أيًا منهما تتلمذ على صاحبه، فيبقى لنا احتمال واحد، وإن كان ضعيفًا، وهو أنَّ حسنًا هذا ربَّما كان الشريف السيد حسين بن حسن الغريفي* آنف الذكر، فهو أول من اتصل به من علماء البحرين* بعد هجرته من القطيف* سنة ٩٩٩هـ ١٥٩٠م، وهو، يومئذ، في صباه. فغير بعيد أن يكون قد درس عليه فترة من الزمن، وربَّما ألجأته ضرورة الوزن في الشعر إلى تسميته حسنًا بدلاً من حسين.

بعد وفاة السيد حسين الغريفي* في سنة ١٠٠١هـ ١٥٩٢م توثَّقت صلة شاعرنا بالشريف السيد ماجد الصادقي*، وطالت صحبته له، فلازمه، وسامره، وتنقل وإياه بين البحرين* والديار الأعجمية حتى استقر بهما المقام معًا في شيراز*.

ترك الشاعر وطنه، في من تركه من الأعيان والوجهاء، كما سبق أن ذكرنا، ويبدو أنه نعِم بالدَّعة والإستقرار في البحرين* نحو سبع سنين كان خلالها من أبرز المشاركين في الحياة الأدبية فيها؛ فمدح، ومزح، ورثى، وهزل، وتغزَّل، ولعلِّي لا أعدو الحق إذا قلت بان ديوان أبي البحر هو المرآة الحقيقيَّة للحياة الأدبية، والإجتماعية في ذلك العصر، بل والسياسيَّة كذلك؛ ففي الجانب الأدبي نرى ازدهاراً لشعر جزلٍ رصين،

(١) أنوار البدرين ص ٢٨٩، وأمل الآمل جـ ٢/٥٤ - ٥٥.
(٢) الديوان جـ ١/٢٨٢.

تتصادى ألحانُه في مجالس السَّمَرِ، ومحافل الأنس، وتتعالى أشجانه في مآتم العزاء، ولقد بلغ من شغف القوم به أن زينوا به رسائلهم، وطرّزوا به هداياهم، وتهنئاتهم، وتبَلّوا دعاباتِهم، ومزاحَهم، وظرفهم، حتى اهتم به من لا يحسنه، بل ربما تمنّاه الأمي ممن لا يحسنون الكتابة، ولا القراءَة.

كلُّ ذلك تشي به صفحات الديوان؛ ففيه من القصائد ما كتبه الشاعر على لسان بعضهم ليبعثه إلى أخيه، أو صديقه، أو أهله، ويخبرنا الشاعر أنَّ بعضهم طلب منه أن ينظم في مدح بعض الأشخاص ممن لا يراهم أهلاً للمدح فقال(1):

وحقِّك ما تركي مديحك ضِنَّةٌ ... عليك بتقريضي، ولا بثنائي
ولا ترك من كلَّفتني بامتداحه ... وإن كان محقوقًا بفَرط هجائي

ففي هذا دلالة على أنَّ ذوي النفوذ يكلّفون الشعراء بمدح من يريدون مدحهم.

وإن ننس من شيء، فلن ننسى شعر المطارحات والمساجلات، فهو من أبرز سمات ذلك العصر، وذيوعه على تلك الصورة البارزة في الديوان يكشف لنا مبلغ اهتمام القوم بالشعر، وإجادتهم له، ولئن تجاوزنا عما يقوله البعض عن انحطاط الأدب في البحرين* في عصر الشاعرِ(2)، متذرِّعًا بحجة هيمنة السجع، وغلبته دليلاً على همود الإبداع فيه، فمن غير المقبول التسليم بانحطاط الشعر، فالإحتكام إلى النماذج اليسيرة التي بين أيدينا من شعر أولئك الشعراء أمثال الشريف عبد الرؤوف الجدحفصي* «قاضي القضَاة»، والسيد ماجد بن هاشم الصادقي*، والسيد أحمد بن عبد الصمد*، ونظرائهم، يبرِّر الجزم بنهوض قامة الشعر، وإنه لمن الإجحاف وصف عصرٍ كان فيه مثل ذلك الشعر يُرتجَل في الأسواق، وردهات المساجد، ونواصي الطرق، بالإنحطاط.

على كل حال، أقام الشاعر في البحرين* مُدَّةَ سبع سنين لم يغادرها إلى أيِّ مكان، وكان في تلك السنوات الست متّصلاً بوزير البحرين* ركن الدين محمود بن نور الدين بن شرف الدين(3) فمدحه بأربع قصائد؛ الأولى نظمها سنة ١٠٠١هـ ١٥٩٢م، والثانية نظمها سنة ١٠٠٢هـ ١٥٩٣م، والثالثة نظمها سنة ١٠٠٤هـ ١٥٩٥م،

---

(١) الديوان جـ ١٢٥/٢.
(٢) ناقشت هذا الموضوع في الملحق «١» جـ ١٦١/٢ بعنوان: دفاع عن أبي البحر.
(٣) ترجمته في الديوان الهامش «٥» جـ ١٥٣/١.

وللقصيدة الثالثة هذه مناسبة تتلخص في أنه عُرِض على ذلك الوزير بيتان من الشعر الفارسي منظومان في ذكر خمسة أشياء، وهي يوم من الأيام الأربعة: ما قبل أمس، وأمس، واليوم، وغد، وشيء من الرياحين، وشيء من الجواهر، وشيء من السلاح، وأحد العناصر الأربعة من النار، والتراب، والماء، والهواء، فامتحن بعضَ الشعراء بأن ينظم على منوالها، وأعرض عن أبي البحر، فلم يطلب منه مثل ذلك، ويبدو أنَّه تأثر من هذا الإعراض تأثُّراً شديداً اتضحت شدته من ردَّة فعله باستهجان البيتين، ونقده اللاذع لهما؛ إذ قال في تمهيده للقطعة التي نظمها ترجمة لهما مبرراً سبب نظمه: «ولو لا لحوقُ الغيرة على العرب أن إذا امتُحِنوا بمثل هذا من خرافات العجم التي لا تدل على قريحة في النظم ذكية، ولا يد فيه قويَّة، لما سلكت هذا السبيل، وكنت بمعزل عن هذا القيل، فلا يؤخذ عليَّ ما وجد لي من هذا الهذيان، وأحيل عليَّ من هذا الشان، فالعذر من ذوي الإنصاف مرجو مأمول، والعفو منهم مطلوب مسؤول، والحمد لله رب العالمين». أمَّا القصيدة الرابعة فنظمها في سنة ١٠٠٩هـ ١٦٠٠م، وهي آخر مدائحه في هذا الوزير، بل لم يرد في ديوانه أيُّ مدحٍ لحاكمٍ آخر سوى ثلاث قصائد نظَم واحدة منها مواساة للسيد خلف بن مطلب المشعشعي* يسلِّيه عما وقع عليه سنة ١٠١٣هـ ١٦٠٤م من أخيه مبارك[١] من سمل عينيه، وأنشده إياها عندما التقى به في شيراز* سنة ١٠١٦هـ ١٦٠٧م، وفيها أنحى باللائمة على أخيه السيد مبارك*.

والثانية كتبها بطلب من زعيم البحرين* الشريف السيد حسين بن قاضي القضاة عبد الرؤوف الحسيني* في مدح الأمير بدر بن مبارك المشعشعي[٢]، فقالها على لسانه، وسيأتي الكلام على سبب مدحه له، والثالثة قالها مادحًا مهنا بن محمد بن هديف حاكم صحار[٣]، وبعث بها إليه سنة ١٠١٧هـ ١٦٠٨م.

٣ - رحلته إلى الدورق والعراق

يبدو أنه حنَّ، بعدئذ، إلى التجوال؛ فزار الدورق في خوزستان[٤]، واتصل بأميرها السيد بدر بن مبارك بن مطلب المشعشعي*، أحد السادة المشعشعيين المار ذكرهم،

(١) ترجمة السيد خلف وأخيه السيد مبارك في الديوان الهامش «٢» و «٣» جـ ١/١٩٨.
(٢) ترجمته في الديوان الهامش «٣» جـ ١/١٧٧.
(٣) ترجمته في الديوان الهامش «٣» جـ ١/٢٢٩.
(٤) الدورق، بفتح الأول والثالث، ثم سكون الثاني؛ بلد في ايران* مقاطعة خوزستان، هو قصبة كورة سرق على الساحل الشرقي للخليج. راجع؛ معجم البلدان جـ ٢/٤٨٣، ودليل الخليج جغ جـ ٢/٦٣٣.

وقد توطَّدت بين الشاعر وبينهم علائق متينة لعلها بدأت بعلاقته بأخوالهم بني تميم في جنوب العراق*، والحق أنني لا أنكر على من يستغرب ورود ذكر العراق* في عرض حياة الشاعر، مع أنه لم يرد له ذكر صريح في ديوانه؛ لكن يُخَيَّل إليَّ أنَّ ثمَّة إشارات تُؤيِّد القائلين بزيارته لهذا البلد[1]؛ بل ربما تساعد على تحديد زمن تلك الزيارة بعد خروجه من البحرين* سنة ١٠٠٧هـ ١٥٩٨م، فلعل من المفيد الإلمام بها؛ فأول تلك الإشارات: الأبيات التالية التي قالها وهو مريض[2]:

يا من إذا وقف الوفود ببابه ولووا أكُفَّهمُ على أسبابه
رجعوا وقد ملأوا حقائب عيسهم مالا يَهُمُّ الفقرُ أن يحظى به
ارحم غريبًا أفردته يد النوى فشكا اليك، وأنت تعلم ما به

ولم تتفق نسخ الديوان على تسمية المكان الذي قِيلت فيه الأبيات، فقد أهمل الهاشمي* مقدمتها [3]، وفي مخطوطة «أ» أثبتت المقدمة بهذا النص: «وقال أيضًا، وهو مريض في بعض نواحي الغربة، فكانت مُذهِبَةَ دائه، وداعية دوائه» [4]، وفي «ب[5] وج[6]»: «القرية» مكان الغربة، ومكانها بياض في النسخة الڤاتيكانية، ويبدو أن تصحيفًا لحق بهذه المقدمة أوجب لبسًا في حقيقة اسم الناحية المقصودة، فقد يكون صوابها: «القرنة»، إذ إن منهج جامع الديوان قد التزم تسمية المكان الذي قيلت فيه القصيدة، أو الأبيات، في الأغلب. فلو كان المقصود بالعبارة «الغربة»، أو «القرية»، لما كان ثمة حاجة إلى قوله: «في بعض نواحي»؛ إذ لا الغُربة ولا القرية يَصحُّ أن تكون لها نواحي، ثمَّ إنَّ قوله «أفردته يدُ النوى موحٍ بالبعد والإغتراب، ومناف لوجوده في البحرين، مع الإعراض عن أن القرية اسم لثلاث قرى في البحرين*، وكان المفترَضَ بيانُ أيها المقصود، الأمر الآخر: أن سفره من البحرين* إلى الدورق* يستلزم المرور بشط العرب، والقرنة قريبة منه. ثم إن الرجل، قبل ذلك وبعده، قطيفي مقيم في البحرين*، ومظنَّة دراسته الفقه مؤكدة إذا نحن أخذنا بقول الحر العاملي* بحصوله على إجازة الرواية عن البهائي*، فالإجازة يستوجب أن تسبقها دراسة الفقه أولاً، ودراسة الفقه في العراق* مما تعارف عليه القوم، ويأتي في آخر الملاحظات وضع

(١) الأزهار الأرجيّة جـ ٤/١٧٧ عن مقالة للأستاذ الشاعر عبد الرسول الجشي.
(٢) الديوان جـ ٢/٧٤.
(٣) ص: ١٢.
(٤) ص: ١٢٠.
(٥) ص: ١٨١.
(٦) ص: ١٢٩.

العراق* في تلك الفترة حيث بدأ الوجود التركي فيه يضعف بسبب انحدار الدولة العثمانية، وتدهورها[1]، فلا يبعد أن يشجعه ذلك على زيارة العتبات المقدسة.

وثانيها: إشارته إلى نيله صلات بني تميم*، أخوال السيد خلف المشعشعي*، وهم زعماء قبيلة كربلاء؛ وهي من قبائل العراق* المشهورة في ذلك الوقت، وفي القصيدة التي مدحه فيها حيث يقول[2]:

سَقى اللهُ حيًّا من تميمٍ فإنَّهم   سَقَونا بأيديهم من النائل الغَمر
هُمُ أمطأونا غارب اليُسر بعدَ ما   أزلَّت خُطَى أقدامنا عَثرَة العسر

فليس لقوله هذا من تفسير إلاَّ اتصاله المباشر بهم، إذ لم يصلنا عنه شعر أرسله إليهم فاستحق منهم تلك الصلات.

وثالثها: انفردت مخطوطة «ج» ببيتين لم يدوَّنا في المخطوطتين الأخريين، وهما[3]:

يا سيد الشهداء جعفرُ وافدٌ   فيحاجةٍ، وعليك عولٌ فاقضها
قد ظَنَّ بي خيراً فحَقِّق ظَنَّه   ورجايَ فِي سُنَن الأمور وفرضها

كُتِب هذان البيتان على ورقة زائدة أضيفت إلى المخطوطة بخط يختلف عن خطها، ولم ينسبهما إلى أحد، فقد يُرجِّح وجودهما في المخطوطة أنَّ الذي أضافهما يعلم بنسبتهما إليه، وأنَّه غفل عن التنبيه على ذلك، أو أنه لم يَرَ حاجةً للتنويه لشهرتهما.

٤ - بين البحرين وشيراز

عاد إلى البحرين*، ولبث بها نحو سنتين: ١٠٠٨- ١٠٠٩هـ ١٥٩٩- ١٦٠٠م، ولأمر، لم نعلم ما هو، تركها غاضبًا إلى شيراز* في سنة ١٠٠٩هـ ١٥٩٩م كما يظهر من أبيات يعاتب فيها السيد ناصر بن سليمان القاروني في تلك السنة يقول فيها[4]:

نبت بي أرضكم فرحلت عنها   فخير من إقامتي الرحيل

ويغلب على الظن أن لموت ركن الدين محمود، وزير البحرين*، علاقةً بمغادرة الشاعر البحرين*، ويقال إن البرتغاليين* ولَّوا على البحرين*، في هذه الأيام، رجلاً

(١) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص: ٦٤ والعراق في التاريخ ص: ٥٧٨.
(٢) الديوان جـ ٢٠١/١.
(٣) الديوان جـ ١٥٥/٢.
(٤) الديوان جـ ١٣٣/٢.

ظلومًا متسلّطًا، بلغ من تسلطه واستبداده أنه أقدم، في عام ١٦٠٢م ١٠١١هـ، على قتل أحد التجار الوجهاء بدون سبب، واستولى على أمواله، وكان لهذا التاجر أخ اسمه ركن الدين، عمل على قتل الحاكم، واستولى على القلعة بمعاونة الأهالي، واستنجد بالشاه عباس الصفوي* لحمايته من البرتغاليين* (١)، وأثر الخيال، في هذه الرواية، بيِّنٌ، فقد كان حاكم البحرين، في تلك الفترة التي احتل فيها الشاه عباس* البحرين* اسمه ركن الدين*، فعلاً، لكنه لم يستول على الحكم، وإنما ورثه عن والده نور الدين بن شرف الدين* الذي استولى على القطيف* عام ٩٥٢ هـ ١٥٤٥م، في حملة برنالدين دوسوزا *(٢)، وهو من أسرة تولّت الحكم في القطيف* والبحرين* بالتعيين من قبل سنطان هرمز الخاضع للبرتغاليين*، وقد بقي في منصبه منذ عُيِّن فيه، بعد وفاة والده نور الدين*، إلى أن تُوُفِّي، هذا إذا لم يكن هو الذي انتزع الشاه عباس* البحرين* منه، وفي ديوان أبي البحر مدائح له بين سنة ١٠٠٢ و١٠٠٨هـ سماه في بعضها «الوزير بن الوزير»، ولم تتضمّن أية إشارة لهذه الأقصوصة، والذي يغلب على الظن أنه تُوُفِّي، وعين مكانه شخص لم يرض به الأهالي، ففكّروا في التخلّص من البرتغاليين*، ومن المحتمل أنَّ أبا البحر الخطي، بعد زيارته السابقة للدورق*، توطد بينه وبين حكامها المشعشعيين* قَدر من الصلة يسمح بمفاوضتهم في الشؤون السياسية، فشجّعه ذلك على توسيطهم لدى السلطات الإيرانية في أمر البحرين*، وشاهدُنا على ذلك أنّنا سنجده، قريبًا، بصحبة السيد حسين بن عبد الرؤوف* مرافقًا للقائد الايراني الذي حرَّر البحرين* من البرتغاليين*: جمال «كمال» الدين الكردي الفيروز أبادي(٣).

وما يحملنا على الإعتقاد بأن للوضع السياسي في البحرين* صلةً بعودة الشاعر إليها هو ما أسلفناه في الحديث عن بروز الشاه عباس الصفوي* بقُوَّته، وطُموحه، وما حققه من انتصارات، وكذلك صلات أهل البحرين* بمستشاره البهائي*، الأمر الذي شجَّع أعيان البحرين* على الإستعانة به لطرد البرتغاليين* من بلادهم.

* * *

---

(١) جزر البحرين ص، ٦٤.
(٢) راجع جـ ١/٤٣.
(٣) لم أقف له على ترجمة.

نشاطه السياسي

يقول الغنوي*، جامع الديوان، في مقدمة إحدى القصائد، عن سبب اتِّصال الشاعر بشيراز: «وكان سبب اتصاله بمحروسة شيراز* أنه بعد أن فتح الأمير الكبير جمال الدين[1] بن يحي الكردي الفيروزأبادِي، بُلَّ ثراه، البحرين*، وكشف عنها من كان فيها من الإفرنج، ومن انضم إليهم من الأعراب، وقفل الأمير راجعًا، عرض من أهل البحرين* رفع ما جرى من الأمور التي ينغِّص ذكرها، إلى الجهة الخانية [2]، فتوجَّه الشريف أبو عبد الله الحسين بن عبد الرؤوف*، هو والمشار إليه، صحبة ذلك الأمير حتى شيراز*، وعرضوا على الجهة الخانية ذلك، فبلغهم السول، وأنالهم المأمول، وتوجه الشريف إلى ناحية الدورق*، وتأخر أبو البحر، فتشوَّق إلى سكنه، وترح إلى وطنه فقال...» [3]. أمَّا علة اختيار الشاعر لمشاركة السيد حسين بن عبد الرؤوف الحسيني* للقيام بهذا الدور فأغلب الظن أنها تعود إلى ما سبقت الإشارة إليه من صلته بالسادة المشعشعيين حكام الحويزة*، وخصوصًا السيد خلف بن مطلب المشعشعي*، وابن أخيه السيد بدر بن مبارك* الذي يعمل سفيراً لوالده لدى البلاط الصفوي، كما أنَّ إقامته السابقة في شيراز* ربما مكَّنته من الإتصال بواليها «إمام قلي خان»، وتكوين علائق معه، فأهَّله ذلك للقيام بمساع لديه، ولذلك اختاره الشريف السيد حسين رفيقًا له في هذه المهمَّة، وكما هي العادة لم يفصح جامع الديوان، ولا غيره، عن تفاصيل الأحداث، لكننا نستنتج - من إشارته إلى مرافقة أبي البحر للسيد حسين، والأمير جمال الدين بن يحيى الكردي الفيروزأبادي إلى شيراز*، وتحقيق الخان للمطالب التي حملاها نيابة عن أهل البحرين* - ما يُرَجِّح أن وراء هذه السفرة هدفًا سياسيًا لا يبعد أن يكون ذا صلة بترتيب الأوضاع في البحرين* بعد طرد البرتغاليين* منها، ويلاحظ أن القصيدة التي اقتبسنا النص السالف من مقدمتها لا تحمل تاريخًا، لكن هذا لا يثير أية إشكالات إذا التفتنا إلى أن جامع الديوان استدرك

---

(١) في أ: كمال الدين.

(٢) المقصود هو إمام قلي خان والي شيراز* في عهد الشاه عباس الصفوي* الأول، الملقب بـ «الكبير»، قاد الحملة التي أنهت الوجود البرتغالي في جزيرة هرمز* في ٢٣ ابريل سنة ١٦٢٢م، وأنشأ المدرسة المعروفة بمدرسة الخان في شيراز*، وأوقفها، وأوقف بعض الموقوفات للإنفاق عليها، وقد حرر وثيقة تلك الأوقاف السيد ماجد الصادقي*، وسماها «وقف نامة». راجع: ويلسن ص: ٢٥٠ - ٢٥٥، وأنوار البدرين ص: ٨٧.

(٣) الديوان جـ ١/٣٩٩.

فنبه، في مقدمة القصيدة التي تليها، بالعبارة التالية: «وقال، وهو بشيراز* من قابل تلك السنة، وهي الثانية عشرة بعد الألف، حين عاد متوجِّهًا إلى خراسان*، وبعث بها إلى أهله بالبحرين*»(١)، فهذه إشارة واضحة إلى أنَّ القصيدة التي سبقتها كتبت في سنة ١٠١١هـ ١٦٠٢م، وهي توافق السنة التي طرد فيها الشاه عباس الصفوي* البرتغاليين* من البحرين*.

١ - عودته إلى القطيف

يحتمل الباحث عبد الكريم المنيف الوهبي أن الوجود العثماني في القطيف* والأحساء* بدأ في الإنحسار منذ مستهل القرن الحادي عشر الهجري(٢)، وهو وإن لم يوضِّح، تحديداً، السنة التي بدأ فيها ذلك الإنحسار، فإن من المرجَّح أن ذلك حدث في مُستهل العقد الثاني منه، أي في أعقاب احتلال الشاه عباس الصفوي العراق*، سنة ١٠١١هـ ١٦٠٢م، حيث انتهى الوجود العثماني فيه، ولهذا أهمية بالغة في إضعاف قبضة الأتراك* على القطيف*، ذلك أن سيطرة الشاه عباس امتدت حتى ديار بكر*، مما يعني ضرب طوق يحجز تركيا عن البلدان الواقعة جنوب العراق*، ويُؤدِّي بالنتيجة إلى قطع الإتصالات بين القطيف* واسطنبول، خصوصًا العسكرية منها، وهذا وحده كاف لتمكين القوى المحلية المناوئة للأتراك من السيطرة على الأوضاع، ولعل هذا السبب ذاته هو الذي اضطر والي البصرة* التركي، قبل ذلك، إلى بيعها إلى كاتب الجند إفراسياب(٣).

وقد علمنا أنَّ الشاعر هاجر من بلده سنة ٩٩٩هـ ١٥٩٠م فراراً من الأتراك*، فمن غير المتصوَّر أن يعود إليها قبل أن يضمن قُصُورَ أيديهم عن الوصول إليه، ولهذا فإنَّ وجوده في القطيف* سنة ١٠١١هـ ١٦٠٢م يحمل على الإعتقاد بانحسار سيطرة الأتراك* عليها، وعودة القوى المحلية إلى الظهور، وربما فهمنا من هذا عودة الإستقرار إلى المنطقة بعد فترة من الإضطرابات دامت أكثر من نصف قرن، فالملاحظ أنه، بعد عودته من شيراز* سنة ١٠١١هـ ١٦٠٢م، أقام في القطيف* حتى سنة ١٠١٢هـ ١٦٠٣م فكتب سنة ١٠١١ هـ ١٦٠٢م قصيدة هزليَّة يداعب فيها شاعراً قطيفيًا

(١) الديوان جـ ١/٤٠٣.
(٢) بنو خالد وعلاقتهم بنجد ص: ١٤١.
(٣) البلاد العربية والدولة العثمانية ص: ٤٢، والعراق في التاريخ ص: ٥٧٧.

مطلعها: شعرت فرق شعرك يا محمد فعاود نظمه فالعود أحمد [1]

لكننا بعدها نقرأ له قصيدة أخرى بعث بها من القطيف* إلى عبد القاهر بن عبد الرؤوف الحسيني* في البحرين* سنة ١٠١٢هـ ١٦٠٣م مطلعها [2]:

يا نسيم الشمال أدِّ رسالا تي، وبلِّغ تحيَّتي، وسلامي

تكاد تفصح عن ضيقه بالأتراك*، وكراهيته لهم، فقد حشاها بإشارات ورموز تكاد تقترب من الوضوح، فمن ذلك قوله:

أيُّ غبنٍ تراه لي غيرَ مكثي في أناس لا يفقهون كلامي
ما مقامي فيهم، وحاشاك، إلا كمقام اليقظان بين النيام
تجتلي العينُ منهمُ صُوَرَ الأنـ ـسِ وهم من هوامل الأنعام
ليت أني بدِّلتُهم، وهم البيـ ـضُ لسام، بالسودِ من نسل حام!

فهم أعاجم لا يفقهون كلامه، وهم بيض تأنس العين برؤيتهم، لكنهم من هوامل الأنعام، لئام، أغبياء، عديمو المروءة، لا يميِّزون بين الإكرام والإيلام، مما يحمل على الظن بعودة الأتراك* للظهور في المنطقة من جديد، ولعل ما يُفَسِّر لنا هذه الإيماءات تلميح الغنوي*، جامع الديوان، في تقديمه للقصيدة، إلى أنَّه قالها يذكر غرضًا له، فمثل هذا التلميح قلَّما نجد له مثيلاً في العبارات التي تضمنتها مقدمات القصائد، ويعزز هذا التَّفسير أيضًا قول الشاعر، بعد سبع سنين، في رسالة بعث بها إلى الشيخ عبد الله بن محمد بن إبراهيم آل عبد المحسن [3]:

ولو لا وجوهٌ في القطيف* أخافها لما طال في البحرين* عنك ثوائي

وهو حين يضع كلمة «وجوه» مكان كلمة: «رجال» لا يعني بها «الوجهاء»، وإنما لإعطائها شحنة من الرمز شبيهة بتلك التي زخر بها رمزه السابق: «صور الأنس».

٢ - هجرة ثانية إلى البحرين

يبدو أنه لم يتمكن من البقاء طويلاً في القطيف* بعد عودته تلك، فغادرها في أواخر سنة ١٠١٢هـ ١٦٠٣م عائدًا إلى البحرين*، ثم تختفي أخباره مدة سنتين - ١٠١٣-١٠١٤هـ ١٦٠٤ - ١٦٠٥م - لم نقرأ له فيهما شيئًا على الإطلاق، ويلفت

(١) الديوان جـ ٢/٣٣.
(٢) الديوان جـ ١/١٩٤.
(٣) الديوان جـ ٢/١٢٦.

النظر، حقًا، إحجام الشاعر عن النظم طيلة هاتين السنتين حتى أن أحد أعز أصدقائه، وهو السيد خلف بن مطلب المشعشعي* من الزعماء المشعشيين حكام الحويزة*، قد نُكِب على يد أخيه السيد مبارك* بسمل عينيه سنة ١٠١٣هـ ١٦٠٤م، فكتب إليه يشكو ما أصابه من أخيه، ويستقدمه إليه، ولكنه اعتذر عن السفر إليه، مكتفيًا بإجابته بشعر من المواليا لم تصلنا سوى الإشارة إليه، ولم تسنح له الفرصة لملاقاته إلاَّ سنة ١٠١٦هـ ١٦٠٧م في إصفهان حيث انشده قصيدة نظمها في مواساته، وتسليته، ومنها نفهم ان ظروفًا عصيبة عاقته عن المبادرة إليه، فهو يقول(١):

وإنَّ قعودي عنك حين ابتغيتني إليك، على قرب المكانين، من عُذر
أمورٌ لو انِّي سُمتُها الحصرَ لم يكن ليأتي على معشار معشارها حصري

وكالعادة لا بُدَّ أن يحوجنا الشاعر، أو جامع ديوانه، إلى الإستقراء والتخمين للكشف عما يرميان إليه من وراء التلميح والإيماء، ومصادر التاريخ التقليدية لا تفيدنا بشيء عن حوادث هذه السنة، لكن مخطوطة حديثة التأليف(٢) ربما قرَّبت لنا صورة واقع الحال، فقد تضمنت فحوى رسالة بعث بها أحد علماء البحرين* إلى الشاه عباس الصفوي سنة ١٠١٤هـ ١٦٠٥م يشكو فيها سوء الوضع في البحرين*، ومع أن الرسالة قد مُلئت بالسجع، والرموز، إلاَّ أنها ختمت بعبارات تنبئ باختلال الأوضاع في البحرين* بصورة أدت إلى أن يغادرها الوالي المعين من قبل الشاه عباس. يقول النص: «لأنه بعد أن هدأت في البحرين* شقشقتها «الشيعة»، وأطفئ من سائر الآفاق نورها؛ لم يسمو «كذا» لها ذكر، ولم يظهر لها صيت إلاَّ في هذين البلدين: القطيف* والبحرين*، فأما البحرين* فقد صاح فيها صائح القوم، ونعق ناعقهم، فاستحلمت (٣) عقول الهمج الرعاع، واستمالت قادة المسلمين في الجملة...»، وبعد عبارات مسجوعة مكررة ينتهي إلى قوله: «وأما كاتب الوقائع فقد تذكَّر عهود أوطانه، ورجع إلى مكانه، فليس منكم فيها مرشد، ولا مساعد. وأما الخوانين «كذا» فخانوا العهد، وحلوا العقد، وجلسوا في زاوية الخمول؛ إما خوفًا من سلطان البرتقالية «البرتغاليين*»، أو طمعًا في دنياهم الدنية، ولعمرك إنهم في سكرتهم يعمهون، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم».

(١) الديوان جـ ١/ ٢٠٢.
(٢) الذخائر في جغرافيا البنادر والجزائر ص: ٤٢ - ٣٤.
(٣) وجدتها ذات حلم.

نص الرسالة قد قدم لها بعبارة: «ومما كتبه بعض مشايخنا إلى الشاه عباس الصفوي نفسه سنة ١٠١٤هـ بعد أن غلبته البرتقالية...»، وهذه العبارة إذا أضيفت إلى عبارات الرسالة ستفيدنا بأن الأوضاع في البحرين* لم تستتب للشاه بعد احتلاله لها، وأن البرتغاليين* قد تمكنوا من استردادها منه، وتأتي الرسالة مؤكِّدةً ما ذكره أحد المؤرخين أن خلافًا وقع بين أعيان البحرين* فلجأوا إلى الشاه عباس، وإن لم تتفق معه في تخليطاته؛ خصوصًا تأريخه لتلك الأحداث(١). أمَّا أسباب الخلاف بين أولئك الأعيان فيمكن تلمّسها في ما سبق ذكره، وهو أن البرتغاليين* قد تخلوا عن السيطرة المباشرة، وأوكلوا شؤون الإدارة إلى الحكام المحليين، وغير بعيد أن يستميلوا إليهم بعض الشخيصات الطامعة في الحكم، وهو ما نلمسه في ما تضمَّنته الرسالة من تلميحات وغمزات، وعلى كل حال؛ فإن الشاه لم يلب استغاثة الشيخ، وأغلب الظن أن سبب إحجامه عن التلبية هو انشغاله بالإعداد لاستعادة مقاطعة «أران» في الكرج* كما سنرى لاحقًا.

٣ - إلى شماخي

إذا صح تفسيرنا لنص الرسالة سالفة الذكر، وصلتها بالإشارات الواردة في الديوان؛ فأغلب الظن أنَّ تدهور الأوضاع في البحرين* قد بلغ ذروته بعد عودة البرتغاليين* المفترضة، ومغادرة الحاكم الصفوي، ونكاد نلمس حراجة الوضع رغم الغموض المهيمن على تلك الحقبة، وهنا نرى شاعرنا يكرر محاولاته في أداء دور الوسيط في التمهيد لوفد من وجهاء البحرين* وعلمائها سنة ١٠١٦هـ ١٦٠٧م، لكن ليس لدى خان شيراز* هذه المرة، وإنما لدى الشاه عباس الصفوي نفسه، إذ ربما لم تسفر مساعيهم لدى الخان عن نتيجة مُرضيَة لهم، فقرروا الصعود إلى إصفهان* للإجتماع بشيخ الإسلام البهائي* لتوسيطه في هذه المهمة، ويغلب على الظن أن إحجام الخان عن الإستجابة لهم، هذه المرة، ربما عزي لخوفه من تكرر الخلافات التي نشبت بين أعيان البحرين* في المرة السابقة التي تم فيها تحرير البلد.

ويلاحظ أن الجانب الأدبي من هذا الإجتماع قد استأثر باهتمام المؤرخين؛ فرُويت فيه قِصَّةٌ مؤدَّاها أن البهائي* عرض على الخطي قصيدته «الفوز والأمان في مدح

---

(١) التحفة النبهانية ص: ٧٣ - ٧٤.

صاحب الزمان »، وطلب منه مجاراتها، وأمهله شهراً، لكن أبا البحر استمهله يوماً واحداً، ثم كانت المفاجأة بأن انتحى من فوره جانباً من المجلس، ونظم المجاراة[١]. أمّا القراءة المتأنّية للقصيدة فتكشف أنها كتبت شكراً للبهائي* على مطلب حقّقه له، وأوضح الأدلة على هذا أنّه، بعد ما وفد على البهائي* في اصفهان*، توجّه مع رصفائه أعيان البحرين* إلى شماخي* حيث كان الشاه عباس موجوداً فيها، وربما كان ذلك لأجل تقديم الشكر له، كذلك، على تحقيق ذلك المطلب؛ فشماخي* ليست عاصمة دولة الشاه*، ووجوده فيها، آنئذ، عارض، وقد لا يعدو الغرض منه ترتيبَ الأمور في الكرج* بعد أن استعادها من الروس، فلو لم يكن الهدف من سفرهم متعلّقاً بأمر جدّ خطير قد يكون متّصلاً بمصير البلد؛ لم يتجشّم أولئك النبلاء مشاقَّ السفر إلى هناك، على ما هو معروف من بعد المسافة، ووعورة الدرب، وتواضع وسائط النقل آنذاك. أفليس الأيسر لهم تحيُّنُ عودة الشاه* إلى عاصمته إصفهان* لو كان الغرض مجرّدَ السلام عليه أو تهنئته؟ وإذا كان لا بد من الإستدلال بنصوص الشاعر لتقوية هذا الإحتمال، وتعزيزه، فلدينا منها اثنان أحدهما قوله يخاطب البهائي*[٢]:

أساغ على رغم الحوادث مشربي ... وأعذب وِردَ العيش لي بعد إمرار
وأنقذني من قبضة الدهر بعدما ... ألحَّ بأنيـاب، عليَّ، وأظفـار
جهلت على معروف فضلي فلم يكن ... سواه من الأقوام يعرف مقداري

ويبدو، للوهلة الأولى، أن الشاعر يشكر الشيخ على هبة أو جائزة كفاه بها عادية الدهر، لكننا إذا قرأنا النص بعناية، سنجد أنَّ الرجل يشكو مرارة جهل القوم به على ما له من فضل معروف، ولم يقدّره حق قدره إلاّ الشيخ البهائي*، ولكن ما معنى أن يشير الشيخ إلى رصفاء الشاعر البحرانيين فيقول: « وهؤلاء سيعرفون مقدارك إن شاء الله » لولا انَّ فضل الرجل يشملهم؟ ولكي لا يعجل أحد بالحكم عليَّ بالتعسف، أو تحميل النص ما لا يحتمل بقصد تطويعه لغرضي قسراً؛ أسوق بيتاً آخر يؤيد ما ذهبت إليه. يقول بعد بيتين ذكر فيهما نفسه[٣]:

متى بُلَّ بي كفٌّ فلستُ بآسفٍ ... على درهم، إن لم أنله، ودينار

---

(١) منن الرحمن جـ ١/٤١.
(٢) قلنا، في موضع سابق، أن هذه القصيدة استنائة بالبهائي* لتحرير البحرين*. راجع: جـ ١/٤٨ - ٥٠، والديوان جـ ١/ ٢١١.
(٣) الديوان جـ ١/٢١١.

وبعد عدد من الأبيات يقول[1]:

لاثقلت ظهري بالصنيع فلم أكد ... أنوء بأعباء، ثقُلن، وأوقار

أية كفٍّ تلك التي بُلَّت به؟ وأيُّ صنيع أثقَل ظهرَه حتى أنساه آلامه وأعباءَه التي ينوء بها، وهو، مع ذلك، لم ينل درهمًا، ولا دينارا؟ أتراه يبعد أن يكون ذلك مسعى قام به البهائي* لدى الشاه عباس الصفوي* استجابة لوساطة الشاعر وجهوده لإنقاذ قومه، أهل البحرين*، من خطر محدق؟ صحيح أن هذه الإشارات لا تكفي لاستخلاص نتائج قاطعة؛ لكنّني أضيف إليها ما يسندها من الشواهد، والأدلة فلنقرأ[2]:

نزلت به والدهر حربٌ كأنما ... تطالبنا أحداثه بذحول
فكان نزولي بابن عمٍّ، ووالدٍ ... وصنوٍ، ومولى، صالحٍ، وخليل
أساغ على رغم الحوادث مشربي ... وبلّغني مما أحاول سولي
وقر، بما أولاه، أعين أسرتي ... وأكمد حسادي، وأفرح جيلي
فأتبع شكري شكر قومي فليفز ... بشكري موصولاً بشكر قبيلي

هذه الأبيات نظمها الخطيُّ بطلب من السيد حسين بن عبد الرؤوف الحسيني*، وبعث بها إلى حاكم الدورق*، السيد بدر بن مبارك المشعشعي*، وتعكس شعور الشاعر تجاه الإثنين حتى لتكاد ألفاظها تتشابه بل تختلط بالأولى لولا اختلاف القافية، وفي ظني أن السبب، في هذا، هو وحدة الموضوع، فربما كان لكل منهما دور في تلك المساعي التي أقنعت الشاه عباس* بضرورة إنقاذ البحرين* من قبضة البرتغاليين*، ولكن ما الحاجة إلى أبي البحر بالذات ليكون وسيطًا لأهل البحرين* لدى الشيخ البهائي*؟ ولما ذا لم يختاروا العلاَّمة السيد ماجد الصادقي* وهو المرجع الديني الأعلى لأهل البحرين*؟

إنّ المتتبع لأحوال البحرين* في تلك الفترة ليرى أن أبا البحر هو أنسب الشخصيات لهذه المهمة؛ فنحن نستشف مما تذكره المصادر أن السيد ماجد الصادقي*، عند لقائه البهائي*، كان يقتضب حديثه «تأدُّبًا»، وأن البهائي* استدرجه للحديث مشجِّعًا إيَّاه على الإسهاب، منشداً بيتًا لعبد الصمد بن منصور «ابن

(١) الديوان جـ ٢١٣/١.
(٢) الديوان جـ ١٧٩/١ - ١٨٠.

بابك[1]» :

حمامةَ جرعا دومة الجندل اسجعي   فأنت بمرأى من سعاد، ومسمع

فهذه دلالة واضحة على أنه لم تكن له سابق صلة بالشيخ البهائي*، بينما مر بنا ما أشارت إليه مصادر أخرى من أن أبا البحر تتلمذ عليه، وله منه الإجازة، مما يعطينا مبرِّراً للإعتقاد بسبق اتصاله بالبهائي* على السيد، وإذا كان لنا أن نحتكم إلى نص يسعفنا في هذه المسألة فهو قول الخطي يعاتب السيد ماجد*[2]:

أعيذك أن أصفو وتكدر، أو أفي   وتغدر، أو أدنو وتصبح نائيا
وأبتدر الغايات سبقًا فأنتهي   لأبعدها شأواً، ولست أماميا

إن هذا النصَّ خطير في زعم أبي البحر التقدم على السيد ماجد*، وهو من هو في عالم الشهرة، والجاه، والمكانة العلمية؟ فأي غايات تلك التي انتهى أبو البحر لأبعدها شأواً، وتقاصر عنها شوط السيد إن لم يكن سبقه في مساعيه، ووساطاته؟ إنَّني كلما حاولت أن أقنع نفسي بعفَوِيَّة قصد الشاعر، وبراءَته؛ ينازعني الشك، ويغلبني الظن بأنهَ يذكِّر السيد بدوره في الوساطة لدى الشيخ البهائي* من أجل إقناع الشاه* باستخلاص البحرين* من البرتغاليين*، وبوصيته لأهل البحرين* بأن يعرفوا مقداره، ويُحلُّوه المكانة التي يستحقها، ولذا فهو يومئ إلى بعضهم بكثير من الزهو والتباهي[3]:

فديتك، والناس الذين تراهم   إذا حُمَّ ما لا بدَّ منه فدائيا

«إذا حم ما لا بد منه»، أي إذا عصبت الأمور. واشتدت الأزمات، وهذا الذي حُمَّ أزفت ساعة الإستغاثة فيه بأستاذه، واستنهاضه باستدرار دموعه لأجله:

هي الدار تستسقيك مدمعك الجاري   فسقيًا فأجدى الدمع ما كان للدار
فأنت امرؤٌ بالأمس قد كنت جارها   وللجار حقٌّ، قد علمت، على الجار

ليست عفَوِيَّةً هذه الإشارة، أبداً، ولكن لم يتح لها من يفسِّرُها من الدارسين[4].

٤ – طلاق بعد مراجعة

لم تتوفَّر لديَّ معلومات عمَّا آل إليه الحال بعد هذا في القطيف* والبحرين*، والقصائد التي كتبها طيلة السنة التالية: ١٠١٧هـ ١٦٠٨م انحصرت في القطيف*،

(١) أنوار البدرين ص: ٨٦.
(٢) الديوان جـ ١٤٦/٢.
(٣) الديوان جـ ١٤٣/٢.

وليس فيها، ولا في مقدماتها، ما يشير إلى شيء غير عادي، وبعودته إلى البحرين* سنة ١٠١٨هـ ١٦٠٩م انقطعت أخباره من القطيف* نهائيًا، فلم نقرأ له منها أيَّة قصيدة منذ ذلك التاريخ، ثمَّ انحصرت القصائد التي نظمها في الفترة من ١٠١٨ إلى ١٠٢١هـ ١٦٠٩ - ١٦١٢م في البحرين*، وكان في هذه الأثناء يسكن بالتل من سار، عند بعض محظياته، ويتردَّد على منزل صديقه الغنوي* في سار لإملاء ديوانه عليه، وحدث أن أبطأ أبو البحر عليه في شهر رمضان سنة ١٠١٩هـ ١٦١٠م، فكتب إليه قصيدة هازلة يمازحه فيها، وأجابه أبو البحر بقصيدة متجهمة يطل العبوس من بين حُروفها، وعلَّة ذلك، في تقديري، تكمُن في ما قيل من أنَّهما تواردا على خطبة إحدى العقائل، فاستوهبها أبو البحر منه متوسِّلاً إليه بكل عزيز، لكنَّ الغنوي* رفض التخلي عنها بإصرار، فكان هذا الإصرار طعنةً أصابته في الصميم، ولم يُخَفِّف ظَفَرُه بقلب تلك المحظية، واختيارها له دون غريمه الحميم الغنوي*، من وطأة إحساسه بالألم، والخيبة في صديق العمر، فلم يكن له من ملاذ غير الشعر يُطفِئ به حرقتَه، ويَبُثُّ به الشكاية من حظِّه العاثر، فنظم قصيدة مطلعها[1]:

من عذيري من سوء حظٍّ رماني   بخطوب أوهت قواي، جسام

ينعى فيها الوفاءَ، والأصدقاءَ، ثم بدأت تظهر له قصائد من شيراز* والبحرين* سنة ١٠٢٢هـ، ١٦١٣م، لكنه منذ سنة ١٠٢٣هـ ١٦١٤م لم يظهر له شيء، لا في القطيف* ولا في البحرين*، ولم يرد في شعره من ذكرهما إلاَّ ما تثيره كوامن الشوق والحنين، فلعله آثر الإستقرار في شيراز*، فاستوطنها رفقة السيد ماجد الصادقي* منذ ذلك الحين، على أنَّه في سنة ١٠٢٧هـ ١٦١٧م حدث ما عكَّر صفو تلك العلاقة الحميمة بينه وبين السيد ماجد*، ومع أنَّ أحداً ممن ترجم لهما لم يشر إلى ذلك من قريب أو بعيد؛ فإنَّ قصيدة نظمها الخطي في هذه السنة يعاتب فيها السيد تكاد حروفها تتَّقد أسى، وتنطق بالحرقة، والألم، مطلعها[2]:

أمولى الورى إني جعلتك في الذي   جرى أمسِ ما بيني وبينك قاضيا

ونفهم من نصِّ القصيدة أن أبا البحر تعرَّض في مجلس السيد لإهانة من أحد الجلساء، ويظهر أن السيد مالأ ذلك الجليس، متغاضيًا عن إساءته لأبي البحر، وربما اعتمد، في موقفه هذا، على ما بينه وبين أبي البحر من صحبة ومودة، فأحب أن

---

(٤) الدياون جـ ١ /٢٠٨.
(١) الديوان جـ ٢/١٣٥.

يجامل خصمه، ولكن هذه الممالأة جرحت مشاعر أبي البحر، فتفجَّرت عواطفه في تلك القصيدة فجاءت طافحةً بِمُرِّ الشكوى، ومُوجع الألم في مثل قوله:

أيحسن إنعاليك خدِّي كرامةً ... وتتركُني أمشي على الشوك حافيا؟
وتشرب من كَفَيَّ ما يقتل الصدى ... وأشرب منك ما يزيد ظمائيا
ألم ترني استقبلت أوجُه شقوتي ... لديك وخلَّفت النعيمَ ورائيا
وجوه أحبَّاء تبدَّلت دونهم ... وجوهَ رجالٍ، يُتَّقَونَ، أعاديا
وأفلاذَ أكباد تلوب عليهم، ... وراء دموعي، قطعةٌ من فؤاديا
ينال الجفا والضر منهم مراده ... وهان لو اني نلت منك مراديا
وحادثة أنزلتها بي لو انَّها ... برضوى لخوَّى جانباه تداعيا
وهب أنَّها لم تأت منك، وإنما ... رماني بها من شلَّه الله راميا
فما لك قد أغضيتَ عند مساءتي؟ ... وهان عليك عند ذاك هوانيا ؟

تضيف هذه القصيدة إلى علمنا بتوطُّن ولده حسان في القطيف*؛ أنه ترك زوجًا وأولاداً في البحرين*، ولم يصطحبهم معه إلى مهجره في شيراز*، ومهما كان من أمر تلك الزوبعة فلا نظنُّها قد أثَّرت في عشرة عُمُر جاوزت ربعَ قرن من الزمن، ولذا نراه يقول في نفس القصيدة:

ولا تَدَّعي، والصدقُ قولُك، أنني ... أحلت ودادي، أو قلبت ثنائيا
رمى الله بالبعد البعيدَ مودة ... وأدنى امرءاً ما كان للود دانيا
دعاء على نفسي لإبرار مقسمي ... وأنت فتنجو، سالمًا، من دعائيا

ثم يؤكِّد له هذا الود والإخلاص بقوله:

فطلِّق، وراجع، بعد حين، مودَّتي ... تجدها، على كثر الطلاق، كما هيا

ونحن لا نعلم حقيقةً إن كانت هذه الحادثة قد تركت ظلالَها على العلاقة بينهما حتى النهاية أم لا، لا سيمَّا عند ما نلتفت إلى خلو ديوان أبي البحر من قصيدة يرثي بها السيد ماجد*، إذ لم نقف فيه إلاّ على بيتين بعث بهما إلى ابن خاله السيد حسين بن عبد الرؤوف الحسيني* يعزيه فيهما بوفاته(١).

* * *

(٢) الديوان جـ ٢/١٤٣.
(١) الديوان جـ ١/٣٣٦.

وفاته

أجمع مترجموه على أنّه تُوفِّي سنة ١٠٢٨هـ ١٦١٨م، إلاّ الشيخ آغابزرگ الطهراني[1]؛ فإنَّه شكَّ في هذا التاريخ معتمداً على شُبَهٍ لا أدري كيف وقع فيها.

الأولى - «أن ابن معصوم*، صاحب السلافة، صرَّح بأنه في سنة ١٠٠١هـ كان في أوان صباه، فلو كان توفي سنة ١٠٢٨هـ لكان من المختطفين، وكان يصرح بذلك»، فلعل الشيخ بزرگ غفل عن أن الصِّبا يمتدُّ إلى الثلاثين، وحتى لو افترضنا أن عمره كان أقل من ذلك فلن يكون أقل من خمسة وعشرين عامًا، وقد مرت الأبيات التي يلمح فيها إلى مشارفته الثلاثين من عمره في قصيدة قالها سنة ١٠٠٥هـ، وأبيات أخرى يشكو فيها الشيبَ مؤرخة بسنة ١٠٢٤هـ، فكيف يكون من المختطفين؟

الثانية - أنه اطَّلع «على مصدر ذكر أن السيد خلف المشعشعي*، الذي صار واليًا بعد موت أخيه السيد مبارك* في سنة ١٠٢٥هـ[2]، طلب من الشيخ جعفر «أبي البحر» أن يقدمِ إلى حضرته، فلم يقبل منه الذهاب إليه، ولما أُسمل السيد منصور عيني أخيه السيد خلف في سنة ١٠٣٨هـ، عمل أبو البحر قصيدة، وأخذها معه إلى أن تلاقى السيد خلف بشيراز* فقرأ عليه القصيدة في التسلية بما وقع عليه من الأذى من أخيه السيد منصور، فيظهر أنه كان حيًا في سنة ١٠٣٨هـ»، وهذا وهم آخر من الشيخ، فالسيد منصور هو ابن أخي خلف، وليس أخاه، والذي سمل عيني خلف هو أخوه مبارك*، وليس منصوراً، وهذا واضح من مقدمة القصيدة التي أشار إليها الشيخ، ومن القصيدة ذاتها، فأبو البحر قد صرح فيها باسم مبارك* في قوله[3]:

خليليَّ، إن ألمما بمبارك* ثمالِ اليتامى، في المحول، أبي بدر

إنَّ هذا تصريح باسم مبارك* لا مرية فيه، كما لا مرية في أن القصيدة تحمل تأنيبًا لمبارك* على ما فعله بأخيه خلف*. وأمَّا السيد منصور فالمعروف أنَّه بعد أن آل إليه الحكم سمل عيني السيد محمد بن مبارك، والشيخ بزرگ نفسه أشار لذلك في

(١) الذريعة القسم الأول جـ ٩/٣٥، ٣٦، وطبقات أعلام الشيعة «أعلام القرن الحادي عشر» ص: ١١٣.
(٢) ترجمتهما في الديوان الهامش «٢» و «٣» جـ ١/١٩٨.
(٣) الديوان جـ ١/٢٠٣.

طبقات أعلام الشيعة في موضعين[1]: الأول في ترجمة مبارك* عند ذكر ولده محمد، والثاني في ترجمة أخيه منصور، وحادثة سمل عيني السيد خلف* وقعت سنة ١٠١٣هـ، وليس سنة ١٠٣٨. وأمّا إنشاد ابي البحر القصيدة ففي سنة ١٠١٦هـ، وتوفي السيد مبارك* سنة ١٠٢٥، على قول أو سنة ١٠٢٦هـ على قول آخر، قبل وفاة أبي البحر.

الثالثة - «إن الحر العاملي المولود في سنة ١٠٣٣هـ، وصفه بالمعاصرية، وهو وصف لم يستعمله لغيره، مما يدل على أنه أدرك شطراً من حياته»، وهذا أيضاً عدم التفات من الشيخ، فالواضح أن المعاصر هو من تجتمع وإياه في عصر واحد، وليس إدراكه شرطاً للمعاصرة. وأمّا أنَّ الحُرَّ لم يستعمل هذا الوصفَ لغير أبي البحر فينفيه أنه استعمله لغيره؛ مثل السيد عبد الجبار بن حسين الحسيني*، أخي السيد عبد الرؤوف* قاضي القضاة. يقول الحر في ترجمة هذا السيد: «فاضل عالم جليل شاعر أديب ماهر معاصر»[2]، ولا جدال في أنه يقصد بقوله: «معاصر» أنه من أهل عصره، وإلاَّ فالمتيقن أنَّه لم يدركه، إذ إنَّه تُوفِّيَ قبل أبي البحر، كما هو واضح من بيتيه اللذَين كتبهما، في الأصل، لينقشا على قبر أخيه السيد عبد الرؤوف* سنة ١٠٠٦هـ لكنهما نقشا على قبره لقرب وفاتيهما[3]، وشيء آخر مهم لا ينبغي للباحث أن يغفله؛ هو أن شعره لم ترد فيه ولا قصيدة واحدة أرخت بعد سنة ١٠٢٨هـ، وهو دليل آخر على أنه توفي في هذه السنة.

وممن أشار إلى تاريخ آخر لوفاته غير هذا؛ الشيخ علي الخاقاني في مقال له بمجلة الغري في العدد «٩١»، إذ ذكر أنه مات سنة ١٠٢٣هـ، ولم يبين السند الذي اعتمد عليه في هذا التاريخ[4]، ولعل من المناسب التنبيه إلى أن الأستاذَ محمد سعيد المسلم* قد أرخ لوفاته سنة ١٠٢٩هـ، وواضح أن ذلك خطأ طباعيٌ، وقد صححه في كتابه «القطيف»، ثم عاد فكرَّره في «واحة على ضفاف الخليج»[5].

* * *

(١) طبقات أعلام الشيعة «أعلام القرن الحادي عشر» ص: ٤٨٦، ٥٨٦، وراجع أيضاً: أعيان الشيعة مج ٦/ ٣٣١.
(٢) أمل الآمل جـ ٢/ ١٤٢.
(٣) الديوان جـ ١/ ٢٩٠.
(٤) الأزهار الأرجية جـ ٣/ ٤٠ - ٤٤، ولم يذكر تاريخ إصدار العدد، وإنما اكتفى بذكر تاريخ اطلاعه عليه، وهو يوم السبت الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة ١٣٦٧هـ.
(٥) ساحل الذهب الأسود ص: ٢٨، وهذه بلادنا «القطيف» ص: ٢٢٦، وواحة على ضفاف الخليج ص: ٣٦٨.

شعره

يمكن اعتبار ما تركه أبو البحر مصداقًا لقولهم: «الشعر ديوان العرب»، فديوانه، بحقٍّ، صُورة ناطقة لأدب عصره، بما احتواه من ملامحَ جَلِيَّة نَتبيَّن منها صُور الحياة الأدبية، والإجتماعية على السواء، وسيأتي الكلام عنهما في موضعه بإذن الله. أمَّا هنا فتكفي الإشارة إلى أن الديوان قد ضَمَّ بين دَفَّتَيه لونين من الشعر، أوَّلهما: الشعر الفصيح المسكوبُ في عَرُوض الخليل بن أحمد، وثانيهما الدوبَيت، وهو من الأوزان المبتدعة. أمَّا اللون الثالث، وهو الموَّاليا «الموَّال»، فبكُلِّ أسف لم نجد في الدِّيوان غير الإشارة إلى أنه نظم فيه، وذلك في رسائل تبادلها مع السيد خلف بن عبد المُطَّلِب المشعشعي*، والموَّاليا، كما هو معروف، نوعان: أحدهما تُزَوَّجُ فيه العاميَّةُ بالفُصحى، وكانوا يَنظِمونه في أشطرٍ أربعة مُقفَّاة، ومن أمثلته قول صفيِّ الدين الحلِّي[1]:

يا طاعن الخيل والأبطال قد غارت   والمخصب الربع والأمواه قد غارت
هواطل السحب من كفَّيك قد غارت   والشهب مذ شاهدت أضواك قد غارت

أما الصنف الثاني فينظمونه بالعاميَّة خالصًا، ومن أمثلته قول الصفي الحلي أيضًا:

سل مقلتيك الكحالَ عن سلاسلها   ومرشفيك من رشف منها سلاسلها
وعارضيك التي مدَّت سلاسلها   كم من أسُودٍ ضواري في سلاسلها

وقول غيره:

قد أوعدونا الغضايا إننا نخلو   في ظل بستان حافف بالتمر نخلو
والطل من فوقنا قد بَلَّنا نَخلو   ومن كلام الأعادي قط ما نخلو

وكما هو معروف؛ فإن اللون الأخير ما زال سائداً في المشرق العربي، وإنما الفرق بينه وبين القديم أنهم الآن يكتبونه بالعامية الخالصة، ويطيلون فيه. أمَّا الأهمية الأخرى للديوان فهي اشتماله على مقدِّمات نثريَّة تُؤرِّخ للقصيدة ومناسبتها، وتُعين على معرفة أسلوبهم في صياغة النثر في عصر الشاعر؛ بل الأكثر من ذلك أنه اشتمل على كلمة طويلة نوعًا مَّا من إنشاء الشاعر تكفي لمعرفة الأسلوب النثري لأهل ذلك العصر.

---

(١) المستطرف جـ ٢/٥٥٤، وراجع ترجمة صفي الدين في جـ ١/٣٩١.

أغراضه ومعانيه

طَرقَ أبو البحر كلَّ الأغراض المتداولة في الشعر العربي منذ القدم؛ كالمدح، والرثاء، والهجاء، والغزل، والنسيب، والعتاب، والإعتذار، والهزل، والوصف، والحنين إلى الوطن، والمجون، والموعظة، وغير ذلك من الأغراض[1]، ولست هنا بصدد دراسة أغراض الشاعر، خصوصاً وأنها مبوَّبَةٌ في الديوان تبويباً قُصِد به سُهُولة وصول القارئ إليها، فيحسن أن تُترك له فُرصةُ التعرُّف على تلك الأغراض بنفسه، بدلاً من أن أثقل عليه بتفاصيل قد يكون أدرى مني بها، ولكن لا بأس بأن نُلِم بها إلمامة تتبيَّن بها شيئًا من حسنات الشاعر، وعيوب شعره، وآمل أن أوفَّق لمحاكمة شاعرنا بمقاييس عصره، فهذا أدعى للإنصاف، وأقرب للعدل.

لقد امتاز شعر أبي البحر على شعر معاصريه بجزالة ممتزجة بالسلاسة، والعذوبة والوضوح، وسهولة في التناول، تحلِّيها فصاحة لغة تتكئ على رصيد ثَرٍّ من الثقافة، وسعة الإطلاع، فلا غرو أن يَنفَحك شعره بأنفاس عدد كبير من شعراء العصر الجاهلي، وصدر الإسلام، والعصر الأموي، والعباسي، حتى لتحسب، إذا عجلت في الحكم، أنَّ الرجل قد أدمن السرقة والسطو. أمَّا إذا تريَّثت متأمِّلاً فسترى أن تلك النفحات لا تتجاوز المعاني المطروقة المتدوالة، مما يَعُدُّه النقاد من الحقوق العامَّة المشاعة للشعراء، وشيءٌ آخرُ يَلفت النظر في شعر الرجل؛ أنّه يوقفك بإزاء نسَّابة متبحِّر في علم الأنساب، يَدلُّك على ذلك نسبُه لوزير البحرين* ركن الدين محمود بن نور الدين بن شرف الدين*[2]؛ فقد ربط نسبه بالعرب* لإصهار إسرته في النبهانيين في عمان[3]؛ رامزاً إليه بقوله:

أحنفُ الحلمِ، أكـثم الرأيِ، زيد الـ ... ـثأر، قسُّ البيان، كعب السماح[4]

وفي مكان آخرَ يُبيِّن أصلَه الفارسيَّ المنحدر من العِرق التركي، فيقول:

من مـعـشـرٍ سَنَّ المكارمَ يافثٌ ... لهم، وأسَّس مجدَهم، وأشـادا[5]

---

(١) أجمل الفنوي*، جامع الديوان أغراضه بهذه العبارات: «إن شبَّب، فالخليُّ شجيٌّ، وإن عَزَّى فالداني الرحمِ قصي، وإن ندبَ فالقصي الرحم دني، وإن أدلى بالمعذرةِ سلَّ السخيمة، وامتص الضغائن القديمة، فسيَّانِ عند تغزّله العِزهاة والغزِل».

(٢) راجع ترجمته في الديوان في الهامش «٥» جـ ١/١٥٣.

(٣) جي سي. ولكنسون. الوثيقة ع ١١ ذو القعدة ١٤٠٧هـ ص: ٨١. وأحمد العناني. الوثيقة العدد ٤. ربيع الآخرة. ١٤٠٤هـ ص: ٨١.

(٤) الديوان جـ ١/١٨٦.

(٥) الديوان جـ ١/١٦٠، و١٦٢، ويافث: ابن نوح (ع). شخصية توراتية ذكرت في سفر التكوين، الإصحاح العاشر، ==

نالت بهم هام السهى* يدُ يافثٍ* طولاً لكونهمُ له أولادا

وفي موضع آخر:

كِسرويُّ العدالة، اسكندريُّ الـ فتحِ، والعزم، رُستُميُّ الكفاح (١)

فكسرى أنو شروان كانت مملكته تشمل أنطاكية التي فهم الشاعر أنَّها أرض تركيَّة في زمنه، فقد كانت كذلك منذ استولى عليها السلطان العثماني سليم الأول، مع ما استولى عليه من بلاد الشام سنة ٩٢٢هـ ١٥١٦م، ورستم دستان، البطل الأسطوري الفارسي، متزوِّج من امرأة تركيَّة طُورانية، يضاف إلى ذلك علم شاعرنا بأنَّ الترك منحدِرون من قبيلة فابي، وهي إحدى القبائل الغُزية القاطنة شمال بحر قزوين؛ فهي فارسية الأصل، والإسكندر الكبير، امبراطور مقدونيا العظيم، آلَ ميراثه إلى تركيا باحتلالها لأراضي مقدونيا منذ سنة ٧٧٤هـ ١٣٧١م(٢)، وعلى هذا يكون ممدوحه قد امتزجت فيه دماء أمم ثلاث فورث كلَّ أمجادها.

ويجذب نظرك أيضًا سعة اطلاعه في علم الأماكن والبلدان في مثل قوله:

لا شيء أبرحُ غُلَّةً من واردٍ أدلى بأروان الدلاءَ وما استقى(٣)

وأروان ليست علمًا شائعًا مثلَ سائرِ المواضع التي تغنَّى بها القدماء كنجد، وزرود، وسلع، وإنَّما هي بئر في المدينة المنوَّرة*، وقد استخدمها الشاعر استخدام العارف بها، ولأن الكلمة اسم لموضع غير شائع في الشعر العربي لم يهتد إليه نسَّاخ الديوان فكتبوها مصحَّفة بصُوَرٍ شتَّى، هكذا: «أدوام»، و«أرذام»، و«أوذام».

بين الأصالة والتقليد

ما يلاحظ على شعر أبي البحر هو سيره في سبيل عبَّدها أسلافه من الشعراء من أمثال أبي تمام*، والبحتري*، والمتنبي*، وغيرهم؛ لكنَّ من نافلة القول التذكير بأنَّ ذلك وليدُ مُحيط أدبيٍّ مُتخمٍ بالرغبة في المحاكاة. فلا يُسلِّم لِذي براعة ببراعته إلا في الإقتداء بالسابقين، واقتفاء خطاهم، وسلوك شاعرنا هذا المسلك لا يعدو استجابة منه لمطالب ذلك المحيط، ولذا نراه، أكثر ما نراه، مقلِّداً محتذيا في مواقف الرثاء، والمدح، والمعارضة، والمجاراة، وهي مواقف توجب، بطبيعتها، الإتكاء، والإحتذاء لأسباب

== فقرة «٢». من نسله ينحدر الأتراك، والفرس. راجع: لسان العرب، والقاموس المحيط، وتاج العروس، والمنجد في الأعلام، وموسوعة المورد جـ ٧/٦، والكتاب المقدس.

(١) الديوان جـ ١/١٨٥.

أهمها فتور العاطفة، وفقدان الباعث الحقيقي المحرِّض على إثارتها؛ إذ لا يكفي، لإيقاد قريحة الشاعر، أن يجهدها إرضاءً لممدوح، أو مجاملة لصديق في موقف عزاء؛ بل لا بدَّ من أن ينبجس ينبوعها من انفعال وإحساس حقيقيين منبعثين من ضمير الشاعر، مما يظهر أثره جليًا عند شاعرنا في مواقف الإثارة الصادقة؛ فها أنت تراه، في أغلب مضامير شعره الوجداني، يَشُقُّ طريقَه مستقلاً بأسلوبه، وديباجته، ومعانيه؛ فحيثما تصطخب في صدره أمواج الحنين إلى وطنه وأهله، أو عندما تُجرَح كرامتُه بإساءة أو نحوها، نراه يتدفَّق بشعرٍ عذبٍ، مُتَوهِّج، يختلف، تمام الإختلاف، عن ذلك الذي نقرأه له في المدح، أو الرثاء، والمعارضات، والإجازات، مما لم يكتَفِ باحتذاء غيره فيه؛ بل رأيناه يستلف من مخلاته، هو نفسه، إن عزَّ ما يقترضه من غيره، وهو كثير سيلاحظه القارئ في مواضعه، إذا أحب متابعة تنبيهاتنا في هوامش الديوان؛ فلنأخذ مثلاً ذكرياته للقطيف* حيث تثير فيه الكوامن، وتوقظ اللَّواعج:

إنَّ القطيف* وإن كلِفت بحبِّها ... وعَلَت على استيطانها زفراتي
لأجَلُّ ملتمسي، وغاية منيتي ... أنِّي أقيم بتلكم الساحات
إذ أين جزتُ رأيتُ فيها مَدرجي ... طفلاً، وأترابي، بها، ولِداتي
فسقى الغمامُ، إذا تحمَّل رَكبُه، ... تلك الرحابَ الفيحَ، والعرصاتِ

وهذه الأنَّات المتأسِّفة على فراقها:

لم أنسَ أيَّامًا جنيت، مبكِّراً، ... ثمرَ المنى، فيها، ولا ليلات
أوقات لذات مضت، فسقى الحيا ... ما فات من هاتيكم الأوقاتِ
لا شيءَ أوجَعُ للحشا، وأمضُّ من ... عيشٍ مضت لمضيِّه لذَّاتي
ذهبت بشاشته، وبات شجاه لي ... في الحلق بين ترائبي، ولهاتي

وحنينه إلى البحرين* يتسلسل بهذه النغمات:

أكذاك كلُّ مفارقٍ؟ أم لم يكن ... قبلي محبٌّ فارق الأحبابا؟
إنَّي لأعجب من مراجعة النوى، ... عن ربعكم، لي جيئةً، وذهابا
ما ذقت عذب القرب إلاَّ ردَّه ... وشكُ التفرُّقِ والبعادِ عَذابا
لا تحسبِ البحرين* أنِّي بعدها ... مُستَوطنٌ داراً، ولا أصحابا
ما أصبحتَ شيراز*، وهي حبيبةٌ ... عندي، بأبهجَ من أوالَ جنابا
ما كنت بالمبتاع دارَ سُرورها ... يومًا بفاران، ولا بمقابا

---

(٢) المنجد في الأعلام، وموسوعه المورد جـ ٦/٥١، واطلس التاريخ الإسلامي ص، ٢٥٦، و٢٥٨ - ٢٥٩.

(٣) الديوان جـ ٢/ ١٤٠.

وعندما يُجهش بأشواقه إلى حادي المطايا المترحِّلة تَلقاء بُوري؛ يستحلفه الوقوف بها، نيابةً عنه، لا يحمِّله كلمات، بل نزفًا وريديًا لذيذاً يتقطَّر بين ثنايا الحروف:

وأطِل بها، عنِّي، الوقوفَ فما أرى ... شوقًا يحرِّكني لها بقصير
واستنشِ ريَّاها؛ ففي عَرَصاتها، ... عند العبور بهنَّ، نشرُ عبير
واستَوص نشرَ عبيرها بيَ إنَّه ... قَمِنٌ بنشر عبيريَ المقبور
لا أمطرت ديَم الربيع بساحتي ... إن لم أحُلَّ بربعِها الممطور

فمن ذا الذي يلومه على هذا الوجد واللوعة لبوري، وله فيها زوج، وحبيبة، وفلذات كبد؟

إن يُصبِنِي ذكر الديار فإنَّه ... لإناثِ أصبِيَةٍ، بها، وذُكُور
وجدي الصغير بها لأصغر صبيَتي ... وكبير أشواقي بها لكبيري
وكريمة الطرفين جُرَّ على التُّقى ... والدِّين فاضل ذيلها المجرور
ومهفهف زُرَّت غلائلُه على ... غُصنٍ، يميل به النسيمُ، نضير
رشأ جراحاتي جبار عنده ... أبَداً، وكسري ليس بالمجبور
أنا أسعد الثقلين إن أدناهمُ ... منِّي رواحي نحوهم، وبكوري

وعندما تتظافر الغربة والوحدة، ويلحُّ عليه هاجس الخيبة في وفاء الأوداء، ويجرحه خذلان صديق كالسيد ماجد الصادقي* عندما يسيء له، مناصراً أحد جلسائه؛ تتفجَّرُ المرارة من شعره هكذا:

فديتك، والناس الذين تراهمُ ... إذا حُمَّ ما لا بدَّ منه فدائيا
أيحسنُ إنعاليك خدِّي كرامةً ... وتتركني أمشي على الشوك حافيا؟
ألم ترني استقبلت أوجه شَقوَتي ... لديك، وخلَّفتُ النعيمَ ورائيا؟
وجوهَ أحباءٍ تبدَّلتُ دونَهم ... وجوهَ رجالٍ، يُتَّقَون، أعاديا
وأفلاذَ أكبادٍ تَذُوب عليهمُ، ... وراء دموعي، قطعةٌ من فؤاديا
ينال الجفا والضُّرُّ منهم مُرادَه ... وهانَ لو أنِّي نلتُ منك مُراديا
وحادثة أنزلتَها بي لو انَّها ... بِرَضوَى لَخَوَّى جانباه تداعِيا
وهب أنَّها لم تأت منك وإنَّما ... رماني بها من شلَّه الله رامِيا
فما لك قد أغضيت عند مساءَتي ... وهان عليك، عند ذاك، هوانيا

فها أنت تقرأ شعراً عذبًا متألقًا يتجلَّى فيه كلُّ ثراء الجزالة، وروعة الإبداع،

والتفرُّد، ولا يسعنا، بطبيعة الحال، أن نستوعب، هنا، ما في الديوان من تلك النماذج فهي كثيرة، فنتركها لعناية القارئ. وأمَّا الأغراض التي اشتمل عليها الديوان فقد سبقت الإشارة إلى بعضها وهي تلك الأغراض المألوفة التي درج الآباء على تناولها من مدح، ورثاء، وهجاء، وغزل، ووصف، واعتذار، وعتاب.

الظرف والمجون والخمر

مع ما عرف من اشتغاله بالعلوم الدينيَّة، الموجبة للصرامة، والورع، لم يخلُ ديوانه من المجون، والخمريات؛ فأمَّا الخمريات فتأتي عرَضًا في قصائد المدح والوصف باستثناء قصيدتين؛ إحداهما نظمها مجاريًا لأبي نواس، والثانية نظمها لذاتها في الخمر. أمَّا المُجون فنلاحظ أنَّه يأتي به على سبيل المظارفة والمزاح، وهو - وإن أسفَّ فيه، أحيانًا، فبلغ حد السماجة والفحش - إلاَّ أنَّه، في الغالب، لا يتجاوز التلميح الظريف كقوله يسأل السيد حسين بن عبد الرؤوف الحسيني* صداقًا:

أشكو إليك مـهنَّداً ... هجر الغُمُودَ وظل فردا
فَقِني ذَلاقةَ حَدِّهِ ... وأَبِح له - بنداك - غمدا

ولم ينس أن يعتذر عن تماجنه بمثل قوله مجيبًا شاعراً قطيفيًا:

وإن تصفِ الحشيش فأنت أنأى، ... محِلاًّ، عن تناوله وأبعد
ولكن القريضَ إذا امتطاه ... أخو هزل أغار به وأنجد

وهو اعتذارٌ يصدِّقه اعتذار العباس بن الأحنف عن أولئك الظرفاء الأتقياء بقوله:

أتأذنون لصبٍّ في زيارتكم؟ ... فعندكم شهوات السمع والبصر(١)
لا يُضمرُ السوءَ إن طالَ الجلوس به ... عفُّ الضمير، ولكن فاسقُ النظر

ومن بعده قول السيد محمد سعيد الحبوبي(٢):

إنَّ لي من شرفي برداً ضفا ... هو من دونِ الهوى مرتهني
غير أني رُمت نهجَ الظرفا: ... عفَّة النفس، وفسق الألسن

وتأكيداً لتلك الإستقامة، والبعد عن الرذيلة، لم ينس أن يذكِّرنا بأنه سلك نظم المجون مزاحًا وظرافة لا أكثر، فيقول في قصيدة يجيب فيها صديقه الغنوي* على قصيدة اتَّهمه فيها هازلاً:

---

(١) ديوانه ص: ١٧٢.

(٢) ديوانه ص: ٣٥٠.

صـــــدَقت، إنـي رجلٌ ربمـا مـالَ بيَ الودُّ لبـعض الحـرم
وإنّني أعــتـــد أنسي بأد ناهنٌ عندي من أجلِ النعم
لكنني لو برَّح الشــوقُ بي وأفضت العشقة بي للعدم
ثم توقَّــــقت لإدراك مَن تهون عندي فيه حمر النعم
لا أتعاطى مـا ينافي التقى في خلوتي، لا ، وحياتي، قسم
مـا حصلت كفِّي على ريبة إلاّ وراحت من يميني سلَم
زُمَّت بتقوى الله نفسي وما غـايَة نفس بالتـقى لا تُزَم
فقوِّ ظهراً بي فإنِّي امرؤٌ أجتنب الإثمَ وأخشى اللمَم

وتتجلّى روح المرح والدعابة عنده في عدد من القصائد، كهجَائه للسبيطية، وهجائه لمتشاعر قطيفي وقع فيه منتقداً شعره، ومن طرَفه، أيضًا، مقطوعة يتهزَّأ فيها بالسيد رضي الدين القاروني، وكان قد أرسله في أمر فتأخَّر عن إنجازه:

علامَ جرى فلم يستَولِ يومًا على الأمد القَصيِّ ولا الدَّنيِّ
ولم ينعته واصفه بشيءٍ فلا هو بالسريع، ولا البَطيِّ

وهذا يذكرنا بقول أحد الظرفاء:

ولقد نزلت على زياد مرَّةً فظننته شيخًا يضرُّ، وينفع
فإذا زيادٌ في الديار كأنَّه مشطٌ يقلِّبه خصيٌّ أصلع

وهذا النوع من السخرية أجاد فيه مسلم بن الوليد، فمنه قوله:

وشُمتك إذ أقبلت في عارض الضحى فأقلعتَ لم تنبض برَيٍّ ولا محل

وفي هجائه لشاعر يدعى ميَّاساً، وقيل هو دِعبل الخزاعي:

ميَّاسُ، قل لي أين أنت من الورى؟ لا أنت معلومٌ ولا مجهول

وللخطيِّ مزيَّة فنية نلاحظها شائعة في غالب شعره؛ تلك هي وَحدة القصيدة، والترابط العضوي في نسيجها؛ حتى لترى البيت آخذاً بتلابيب سابقه، ممسكًا بكتف لاحقه، في انسجام يطوِّر بناءَ القصيدة حتى يوصلها إلى ذروة النضج والإكتمال. خذ مثلاً الأبيات التالية:

سلامٌ إذا استعبقتَ ريَّاه أجلبت عليكَ مساريه برائحة العطر
وخالصُ شكرٍ لا يغبُّ كما صفت ورقَّت، على راووقها، نُطَفُ الخمر
يؤدِّيهما مولى وقَفتَ ثناءه عليك فلم يهتف بزيدٍ ولا عمرِو
تملَّكت، بالبِرِّ المضاعف، رقَّه فأصبح عبداً، وهو في جلده الحُرِّ

وينهي إليك الحـال: إنَّ قـعـوده، على فَرط ما استسعيتَه لك، من عذر
زكام لو استسقى المعاطسَ صوبَه، أخو المحل، لاستغنى نداه عن القَطر
توخَّى دمـاغي لا يزايل سـاعـةً كما عكفت أمُّ الفـراخِ على الوكـر
ولو لاه لم أقعد، ولو حال بينكم وبينيَ أطرافُ المثقَّفة السمر

فلو حاولنا أن نغير موضع بيت من أبياتها لاختل تسلسلها، واضطرب انسجامها.

الغزل

لعلَّ معاناة الشاعر من زمنه، وأهل زمنه لم تترك مكانًا في قلبه للحب. فما وجدناه في شعره من الغزل ليس أكثرَ من نظم بارد تكلَّفته عاطفةٌ فاترة لا يمكن مقارنتها بتلك العاطفة الملتهبة في نظمه في الحنين للأهل والوطن، وفي ظنِّي أنَّه ما كان ليتكلَّف النظم في هذا الباب لو لم يطلب منه. اقرأ هذين البيتين:

سواد فرع التي هام الفؤاد بها وحظ عاشقها في اللون سِيَّان
ليلان ضاع صباح الوصل بينهما فايأس إذا اكتنف الإصباح ليلان

ثم أضف إليهما بيتين آخرين هما:

وشادن مرضت أجفانُه فغدا قلبي له عائداً فانصاع معلولا
فمات قلبي، وما ماتت لَواحظِهُ ﴿لِيَقضِيَ اللَّهُ أمراً كانَ مَفعُولا﴾[1]

وانظر كيف أن الشاعر ينتحي بوجدانه ركنًا قَصِيًا لا يصل إليه دفء الحب، ولا وهج العاطفة؛ كما في قوله متغزلاً:

حسَّنت غيَّه له، وفساده واستباحت صلاحه، ورشادَه
وأتاحت له الشقاوة خود سمِّيت، وهي كاسمها، بسعادَه
ذات وجهٍ أهدى سناه إلى البد ر، وفرعٍ أهدى الظلامَ سوادَه

فإذا واصلت قراءَة القصيدة لن تقابلك غير أوصاف جوفاء لسعادة: فرعها ليلٌ أطل فوق نهار، على بانة ميَّادة، وثناياها في انتظام كأنَّها القلادة التي على جيدها، أمَّا إحساسه ومشاعره هو فلن تظفر لهما بأي وهجٍ في هذه الأبيات؛ فالواضحُ أن الرجل قد تكلَّف هذه القصيدة حتى طفحت بالثقل، والعجز، وكلل القريحة كما في قوله:

لم تناغي العشرين، عمراً، ولم تر ضع جنينًا، بل ما درت ما الولاده

---

(١) هذا اقتباس من الآيتين ٤٢، و٤٤ من سورة الأنفال.

قل لهـا، ياكـتـابُ، عَنِّي، ولا تـخـ ـشَ انتـــهـــاراً، تُـريكـه، أو زراده

فكيف أساغت ذائقته هذه «الزرادة» في قصيدة غزل وهو الشاعر المطبوع؟ ربما التمسنا له العذر بحداثة تجربته الشعرية، لا سيما وأن القصيدة غير مؤرخة، وليس بين أيدينا ما نستدل به على زمن نظمها بصورة قطعية، لكن معرفتنا بالترتيب الزمني للديوان تعلمنا بأنه نظمها بعد سنة ١٠١١هـ، وهذا، وحده، كاف للحكم بأنه نظمها في ذروة نضجه الأدبي، ولعل الأغرب، حقًا، هو تكلف السيد ماجد الصادقي* مجاراة هذه القصيدة.

الحنين إلى الوطن

أما ما امتزج من غزله بالحنين إلى الأهل والوطن فشيءٌ مختلف تمام الإختلاف:

لأجـشِّـمنَّ الناجـيـات إليـهـمُ والسـفـنَ قطعَ مـفـاوزٍ وبحـور[1]
ولألـقَيَنَّ بحُـرِّ وجـهي نحـوهـم حَـرَّين؛ حَرَّ جَوىً، وحَرَّ هَجِير
إنِّـي إذا هـابَ الـزيـارةَ وامـق يُدلي بدعـوى، في المحـبَّـةِ، زُورِ
خاطرت بالنفس الخطيرة في هوى ظبيٍ كَلِفتُ بـه، هنـاك، غـريـر
إن عـاقني التـفـتـير عنه فلا رُمي قلبي بسـهمٍ رِيشَ بـالتـفـتـيـر
يا من أسـيِّـر كلَّ يومٍ نحـوَهم كـتُـبي إذا أُعـيى عليَّ مسـيـري
لا تحـسـبـوها أنَّهـا كـتـبت لكم بسـوادِ حبري، بـل سواد نظيري
آهٍ! وقـلَّ، عـلـى أوالَ*، تـأوُّهـي فـإذا جُنِنتُ بهـا فـغـيـرُ كـثـيـر

إنه هنا يتنفَّس بوَلَهٍ وشوق صادقٍ لا نحسُّ بشيء من دفئه عند قراءتنا لغزله المجرد، وحتى السواد الذي نراه هنا هو سواد طبيعي خفيف الظل، لا ذلك السواد المقيت الذي طُليَ به حظُّه، وحتى غلطه المعنوي في استعمال «نظيره» بمعنى سواد العين غطته زقة الصياغة، ورشاقة المفردة.

الوصف

ولا يحسن أن نخرج من هذا العرض، لشعر الرجل، دون أن نُلِمَّ بالوصف وهو فيه مبدع محسن، فمن لطيف وصفه قوله واصفًا هيئة نفسه بعد أن ضربته السبيطية[2]:

(١) الديوان جـ ١/٤١٢.
(٢) الديوان جـ ٢/٤٨.

ووافـيتُ بيـتي مـا رآني امـرؤٌ ولم يقل أوَ هذا جـاء من مُلتـقَى الكَرِّ ؟
فـهـا هوَ قـد أبقى بوجـهي عـلامـةً كما اعترضت بالطرس إعرابة الكسر

وقوله:

ومَـجرِّ أرسان الجيـاد كـأنهـا فوق الصعيد مساربُ الحيَّات(١)

ومنه يصف طوالع ورق اللوز:

أشار بأغصانٍ كأنَّ فروعها أكُفٌّ تَصدَّت للدعاء، ومُدَّت(٢)

وهذا المعنى، وإن كان قد سُبق إليه، كما بيَّناه في موضعه من الديوان، ينبغي أن نسلم له بالإجادة فيه، ومنه ما وصف به نفسَه لابسًا أثوابًا ملوَّنة أهداها إليه الشيخ البهائي*:

فلو رآنيَ أدرى الناس بي لقـضى عليَّ أنِّيَ من بعض الطواويس(٣)

على أن أروع وصف له هو ذلك الذي ختم به قصيدته في مدح السيد خلف المشعشعي* بتصوير السفن مشبِّها إيَّاها بالنياق(٤):

فـهل تُبلغُنِّيـه، على نأي داره، قَـلائصُ يُعـفِين الحُـداةَ من الزَّجـر
تُسـابقَ أخـراها الألى فكأنما تَرى اليَمَّ، فيما بينها حلبةَ، المُجري
إذا هُنَّ سـابقن النجـوم لغـاية سَبَـقن، وخلَّفن النجوم على الأثر
أمـا وترامـيـهـا، إليك، مُشـيـحـةً تَصَـوُّبَ فَـتـخـاءِ الجناح إلى وكـر
كـأنَّ تمطِّيـهـا إذا الريح أعـصـفت بهـا، وتعـالى تحتـهـا ثبج البحـر
إذا أبتـعـثتـهـا الريح زفَّت كـأنَّمـا ينوء طويلاها بقـادمـتي نسـر
ظليمٌ رعى حـينًا فـأوجس خـيـفـةً فـأقـحم يعلو نشـر أرض إلى نشـر

وهذه الصور أيضًا ليست من مبتدعاته لكنَّه أحسن فيها غاية الإحسان.

أثر البيئة في شعره

من عجبٍ أن يكون أثر البيئة في شعره ضئيلاً حتى في تلك القصائد التي نظمها في وصف القُرى، والبساتين، إذ لا تجد فيها إلاَّ وصفًا عامًّا ينطبق على أي مكان، وما

---

(١) الديوان جـ ١/٢٣٢.
(٢) الديوان جـ ٢/٧.
(٣) الديوان جـ ٢/٦٣.
(٤) الديوان جـ ١/٢٠٤ - ٢٠٥.

نجد فيه من أثر للبيئة كقوله:

إلى أن ثَوَوا في الأرض صرعى كأنَّهم ... نخيلٌ أمالتهنَّ أيدٍ عواضد

أو قوله:

التارك الأبطالِ صرعى في الوغى ... فكأنَّهم أعجازُ نَخلٍ مُنقَع

يَذَرُ الجماجمَ في المكرِّ سَواقطًا ... سقط الثمار من المهبِّ الزعزع

وقوله: فبادر به فالوقت كاد لقربه ... يريك على قنوانه يانعَ البُسر

فأثر البيئة فيه ظاهر في تشبيه الأبطال المصرعين بالنخيل المقطعة، ورؤوسهم المتناثرة بالثمار، وهي من المناظر المألوفة في القطيف* والبحرين*، ولكنَّ هذه الصورة قد سبقته إليها شاعرة قديمة، لعلها عاشت نفس بيئته البحرانية، هي الخرنق بنت بدر بن هفَّان البكرية؛ أخت طرفة بن العبد البكري، فهي أوَّل من قال:

ومالَ بنو ضُبَيعةَ حول بشرٍ ... كما مال الجذوع من الحريق[1]

تريد بالحريق ريح السموم، وينسب إليها أيضًا:

ألا من رأى قومي كأنَّ سراتَهم ... نَخيلٌ أتاها عَاضِدٌ فأمالها

وقول أبي البحر بالبيت الأخير أشبه، وهو في قوله ذاك متبع لا مبتدع.

وما نقصده بأثر البيئة، هي تلك الخصوصية التي تميِّز بيئةً مَّا عن غيرها، كما تتميز البيئة الريفية بسواقيها، وجداولها، وأشجارها، وما يلحق ذلك من مشاهد، وصور، ومن البيئة البدوية ذات الرمال، والخيام، والظباء، وما شابه، مما يفترض علوقه بخيال الشاعر، وتسرُّبه، بسبب ذلك، إلى صُوره ومفرداته، وقد علمنا أن أبا البحر ابن بيئة ريفية، فمولده ونشأته الأولى في قرية التوبي* بالقطيف*. وما أدراك ما القطيف*! عيونٌ جارية عذبة، ونخل باسق، وشجر وارف ظليل، وأديم سندسيٌّ مطرَّز بكلِّ ألوان الزهر والنجيل[2]. هذه الصور أدهشت الغزاة حتى أن القائد البرتغالي برنالدين دوسوزا*، حين احتلها سنة ١٥٤٥م، فكتب إلى ملكه في لشبونة* يصفها له بهذه العبارة: «إنه لا يمكن رسم مكان أجمل من هذا في العالم كلِّه[3]»، ومهما عددنا

(١) ديوانها ص: ٤٠ - ٤١.

(٢) هكذا كانت الطبيعة في القطيف* كما رأيتها في صباي حين كانت بكرًا لم تمتد إليها يد الدمار الذي لحق ببيئتها، فأنضبت عيونها الكثيرة، وغوَّرت مياهها الغزيرة، وحوَّلتها إلى خرائب تثير الأسى والألم.

(٣) رسالة برنالدين دوسوزا. مجلة الوثيقة ع ٤ ص ١٣٨.

برنالدين* مبالغًا في وصفه القطيف*، فما بالغ الأمريكان، عند مجيئهم إليها، في تسميتها «كليفورنيا البلاد العربية»[1].

من هنا يأتي العجب من صدوف شاعر قضى شطراً من شبابه في أحضان هذه البيئة، ومع ذلك لا نجد من أثرها في شعره إلاّ لُمَع يسيرة، هنا وهناك، مثل قوله:

وبقيت بعدهمُ كأنّي نخلةٌ قدَ أفردوها، بعدُ، عن أصنائها

أو: ولو غدا وهو أعلى من أبي كربٍ شأنًا، وأصبحت، من فقرٍ، أخا كرَب

أو: روض يرفُّ عليك ناجم زهره كالصحف بين نواصف وعشور

والماء منهُ مُطلَق، ومقيَّد يلقاك بالممدود، والمقصور

يستوقف الأسماعَ بين تدفُّقٍ، كرجيع قهقهة، وبين خرير

أو: والماء ترسله جداوله كما جاريتَ بين الخيل في الحلبات

أو: يا مورداً لا يُغيضُ النزحُ جَمَّته ولا يُلِمُّ بصافي وِرده كدَر

فالنخلة المنتزعة منها أصناؤها، وأخو الكرب[2] صاحبه، أو بائعه ويسمّى، في اصطلاح القطيفيين: الحطّاب، والماء المطلَق والمقَيّد، والمتدافع كالخيول في حلبات السباق، والمورد الذي يَكلُّ النزح عن تجفيف جمته؛ كلُّها من صُور الريف التي أدركناها في القطيف*. وأمّا ما عدا ذلك، من الوصف، فمشترك عام في كل البيئات الزراعية، وهذه الإيماءات، على أيَّة حال، لا تعادل شيئًا عند مقارنتها بصور الصحراء عنده، بل الأغرب أنَّ ولهَه بالصحراء يهاجمه حتى عند تذكُّرِه القريةَ الريفيَّة؛ مثال ذلك قوله:

قف بالمطيِّ على معالم بوري* بمحلِّ لذَّاتي، وربع سروري

و: فأما وفتلاء المرافق جَسرة تخدي بمشبوح الذراع جسور

و: فأما وجائلةِ النسوعِ تخالُها للضمر، مما أهذبت، هدَّابا

و: ومجرُ أرسان الجياد كأنها فوق الصعيد مساربُ الحيَّات

و: يمينًا بأديهنَّ تذَّرع الفلا كما صيح في أعقاب أجلٍ مشرَّد[3]

و: نجائبُ مقطوعٌ بها كلُّ شقَّة تروح بها الأرواحُ حسرى، وتغتدي

---

(١) التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية ص، ٢٢٤.

(٢) الأصناء، جمع صنو: الفسيل يخرج من أصل واحد، والكرب، جمع كرَبَة: الكرانيف، وهي أعرض الأجزاء في أصول السعف.

(٣) في البيت حذف اكتفاء تقديره قسما بالنياق، والمراد القسم بخالقها، والإجل: القطيع من بقر الوحش والظباء.

و: نواحلُ كـالسـيـقـان مما تعسَّـفوا ... بهـا كلَّ تيـهـاء المعـالم فـدفـد
و: لهنَّ، إذا ما استـرفض الآلُ سمتَه ... على الأينِ، إجفـالُ النَّعـامِ المطرَّد
و: عـوامـدُ للبـيت الحـرام بفـتـيـة ... ثقـالِ الأداوي من تُقىً، وتَعَـبُّـد
و: ألا هل تجـاوزت الخـبـاء المطنَّبـا ... بحيث ظباءُ الأنسِ تحجُبُها الظبى
و: هذي القلوب على شجاها أوكِيَت ... أفمـا على الأجفـان حلٌّ وكائـها

فمـا له وللمطي، ولوكـاء القربة يعتـاض به عن مغـالق السـواقي، وسُـدَد الجداول والأنهار المتسبسة قَيدَ بصره ليل نهار؟ ولقائل أن يقول: إنَّ القطيف* حاضرةٌ لواحة تكتنفها الصحراء، وتحتضنها بادية شاسعة يقرب طولها من سبعمائة كيلو متر، من كاظمة شمالاً - الكويت حاليًا - حتى الرَّبع الخالي جنوبًا، وتمتدُّ في مثل نصف هذه الأكيال في الغرب حتى اليمامة، فلا عجب أن ترى فيها الجِمال، والخِيام، والظباء، وأقول هذا حق، فحتى نحن، المتأخرين عصراً عن أبي البحر، رأينا مبـاركَ الجمال في سوق «الجبلة»[1]، ورأينا مضـارب البدو في بَرِّ القطيف* صيفًا، ودمِنَ إبلِهم غِبَّ ارتحالهم عنها، شتاء، في عنك، وبَرِّ البَدراني[2]، وشاعرنا غيرُ مؤاخذ على تلك المزاوجة بين صُور البادية ومشاهد الريف، أو البحر، فقد صوَّرها لنا ببراعة نادرة في قوله:

ومُجـدِّفـات السـفن تُدنِي بَرَّها ... من بحرِها، ومَبَارك الهَجَمات[3]
حيث المسـامع لا تكاد تُفيق من ... ترجـيـع نُوتيٍّ، وزجـر حُـداة

ومن تلك المزاوجات البديعة قوله:

فـهـل تبلغُنِّيـه على نأيِ داره ... قلائصُ يُعفِين الحُداة من الزجر؟

---

(١) الجَبَلة: ساحة وسط سوق القطيف*، تلاصق الطرف الجنوبي من السوق القديمة المسماة بـ «السكة» من جهة الشرق، كانت تباع فيها التمور، والسلوق، والسعف، والحطب، وما يجلبه البدو من البادية من إبل، وأغنام، وسمنٍ، وإقط، وفحم، وجلود، وأخشاب، كما تباع فيها الطيور التي يصطادها الصبية في بعض المواسم، ومنها المهاجرة عندما تَمُرُّ بواحة القطيف، أواخر الخريف، في هجرتها من برد الشمال إلى المناطق الدافئة في افريقيا، وشرق آسيا، وكذلك البلابل، والعصافير، والسمن «الدج Thrush»، والجراد، وفي الأعياد تتحوَّل إلى «كرنڤال» شعبي حيث تتحول إلى سوق تباع فيه لعب الأطفال، وأشهر ما يجري فيه لعبة البيض المسلوق، وتجرى هذه اللعبة بأن يضرب أحد اللاعبَين، ببيضته، بيضة اللاعب الآخر، فإذا كسرها أخذها، وإذا انكسرت بيضته أخذها منافسه، وقد أزالت البلدية سوق السكة بين سنة ١٣٨٣- ١٣٨٤هـ ١٩٦٣ - ١٩٦٥م، ثم أتبعت ذلك بإزالة سوق الجبلة سنة ١٣٩٥هـ١٩٧٥م، وضمت إليها بعض ما استملكته من منازل حيِّ الشريعة المجاور لهما من الشمال، وحولتها إلى موقف للسيارات، ثم أجِّرت طرفيها الغربي والجنوبي لأحد التجار فأنشأ عليهما متاجر.

(٢) كانت عنك، كما رأيتها، قرية صغيرة على ساحل البحر، خارج بساتين القطيف* في الزاوية الجنوبية الشرقية منها، في الفضاء الفاصل بين سيهات والقطيف*، بها بعض منازل الصيادين من عائلة العليوات، وفي الصيف يفد إليها بعض قبائل البدو، كبني خالد، هربًا من جفاف الصحراء، ويرتحلون عنها في نهاية الخريف، حتى استقروا بها بعد تخليهم عن حياة البداوة، وهي في الوقت الحاضر مدينة عامرة.

(٣) الهجمات، جمع هجمة، القطعة من الإبل.

تسابق أخراها الألى فكأنَّما   تَرى اليمَّ فيما بينها حَلبةَ المُجرِي

هذه الصُّورة المَزجيَّة تُرينا سباقًا فريداً للهجان؛ مضماره البحر، وهجَّانته النوتية والنهَّامون[1]، ونظنُّه تعلَّم رسم هذه الصورة من ابن عمه طَرَفة بن العبد البكري، فقد سَبقه إليها بقوله في معلَّقته[2]:

كـأنَّ حـدوجَ المالكيَّـة غـدوةً   خلايا سفين بالنَّواصف[3] من دَد
عَدُوليَّة، أو من سَفِين ابن يامنٍ   يَجُور بها الملاَّح، طوراً، ويهتدي
يشُقُّ عُبابَ الماء حَيزومُها بها   كمـا قَسَم الماءَ المُفـايِلُ باليـد

وهي، بعدُ، ليست مما ننكره على شاعرنا، لكن ما نندهش منه هو خلوُّ ديوانه من مشاهد البيئة الريفيَّة؛ كالعِشش، والأكواخ، ومشهد الراعي العائد، أصيلاً، بقطيعه، ثم منظر الساقية المترقرقة، والعيون الثرة المتدفِّقة، وما ماثل هذه من صور الريف التي تزخر بها القطيف*، والبحرين*، وهما مسرحُ حياته الفسيح، ويضاعف من دهشتنا منه ذلك الهاجس العنيف الذي يثير فيه الإحساس بالعطش حتى لكأنَّه يعيش في صحراء الرَّبع الخالي، وليس في جِنان الخط*، أو خمائل أوال*، هذا الهاجس نراه يطارده، ويُلِحّ عليه في معظم ما طرق من المواضيع، ففي الرثاء نرى إشفاقَه منه ماثلاً في طلب السُّقيا للمرثي حيث يقول:

فاذهب، فما زال هامي الغيث يصحبه   من فيض دمعي، على مثواك، منسفكا
و: ما استعبرت والهات السحب باكيةً   حيًا، وما افتر ثغر الزهر، وابتسما
و: حيًا متهزِّم الأطبَاء إن لم   يكن دمعي على الأجداث يجدي
و: يا قبره، لا عداك، الدهرَ، منسجمٌ،   من المدامع، هامٍ يُخجِل الدِّيَما
و: سُقي قبرُه من واكف الغيث ريَّه   وجُرَّت عليه، للنسيم، ذيول
و: فزارك من رب العباد سلامُه   وجادك مرزامُ العشيِّ هَطُول
و: فسقاك نائله؛ فلسنا بعدَه،   ياقبرُ، نستسقي لك الأمطارا
و: سقى الأجداثَ شَرقيَّ المصلَّى   وإن رُفِعَت إلى جنَّات عَدنِ
و: خليلَي ازجرا السحب الغوادي   على ما تشتكيه من الكَلال
بطيئات تنوء إذا استُثِيرت   من السُّقيا بأعباء ثِقال

(١) النهَّام: المصوِّت، شخص يوظف في سفينة الغوص للغناء، لتحميس الغواصين. فصيحة، كالنحَّام.

(٢) ديوانه ص: ٢٠.

(٣) النواصف: السواقي.

إذا جاوزن سيفَ أوال* صبحًا وشـارفن القطيف* مع الزوال
فصَبَّا ما حملن من الروايا على قبرٍ بجَرعاء الشمال
وتحبس نفسها، أبَداً، عليه عكوف المرضعات على الفصال

وفي المدحِ في قوله يستسقي للممدوح:

سَقى ورعى الله الأولى ما أشدَّهم وفـاءً، وأدناهم وِداداً، وأقـربا
و: فحيَّاه عنِّي، حيث ما حطَّ رحلَه، من الأرض، محلولُ النِّطاقين، مُرزم
و: وجهلٌ بنا استسقاؤنا صيِّبَ الحيا لدارٍ يُغادي ساحتيها حياكُما
و: سحائب إن تزر ناديك تُقلع مَواطِرُهنَّ عن أحواض شَهد
و: سَقى الله حيًا من تميم* بقدر ما شربنا بأيديهم من النائل الغمر
و: سَقى الله بالجرعاء حيًا، وإنَّني، بذاك، قد استسقيته لحياتيا
و: سقى الوسميُّ وجهَ أبي عليٍّ وعاقر دارَه صَوبُ الوليِّ

ولمنازل الأحبة في قوله:

سَقى جدَّحفصَ الغيثُ سحًا، ولو سما لها الدمع أغناها عن الغيث راشحُه
و: سقى منحنى الدارات من سفح عاقلٍ حيا مبرقٍ داني الشآبيبِ مُرعد
و: فسقى الغمام إذا تحمَّل ركبه تلك الرحابَ الفيحَ، والعرصات
و: واجتازت المُزنُ العشارُ، وطبَّقت بالسَّقيِ من عَنَك* إلى نَبَكات (١)
و: أوالُ*، سُقيت صَوبَ كلِّ مجلِّل من المزن هامٍ، لا يَجفُّ له قَطر
و: سقتك برغم المحل أخلافُ مُزنة تلفُّ، إذا جاشت، سُهولاً بأوعار
و: يا جادَ أرضًا تبوَّأتم معالمها وطفاءُ ينحلُّ من دمعي عزاليها
و: ياجادها الهتِن الملثُّ، وأصبحت غرَضًا لمحلول النطاق غزير

والسقيا، التي يدعو بها لأحبابه ومنازلهم، يتمنَّاها مطراً غيثًا كأنَّه لا يقنع بما حبا الله به تلك الديار من عيون وينابيع وفَّرت الرِّيَّ للرمال بله النباتَ والأحياء، ولم يقف به هاجس العطش عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى حدٍّ تصوَّر فيه المرثي، أو الممدوح، سيلاً متدافعًا، أو سحابة نديَّة، فاقرأ قوله:

إنَّ الجنابَ الرحبَ ضاقَ، وصوَّح الـ ـمرعى الخصيبُ، وجفَّ سيل الوادي
و: ويا سَحابَ ندىً إن شمتَ بارقَه لم تثن طَرفَكَ حتى بلَّك المطر
و: كالغيث لم ينأ عن أرضٍ ألمَّ بها حتَّى يُغادرَ فيها النَّبتَ قد نَجَما

(١) عنك: مرَّ بيانها، ونبكات: يأتي شرحها في مكانها من القصيدة جـ ١/٢٣٣، الهامش «٢».

و: كـالغـيث؛ لا يسطيع يملك قطره حـتى لقـد خلناه مـخـروق اليـد
و: وأنداهم إذا مـا كـان عـامٌ تجفُّ بـه ضـروع الغـاديات

ومن عجب أن نرى شاعراً بدويًا كلبيد بن أبي ربيعة* ينغرس في ذاكرته مرأى النهر، وقد لا تكون عينه اكتحلت به؛ فنقرأ له هذا التشبيه العجيب:

فـتـولّوا فـاتراً مـشـيُـهمُ كـروايا الطِّبع همَّت بـالوحل

ولا نرى مثل هذه الصورة، إلا نزراً، عند شاعر عاش حياته بين السواقي والجداول. لكنَّ أغرب ما يقابلنا، في هذا السياق، دعاءه بالسقيا مطراً لبستان القميعيات:

يا غاديات السحب، لا تتجاوزي في السـقيِ دولابَ القـمـيـعـيَّـات

فكأنَّه لا يدري أن البستان، لغةً، لا يسمَّى بستانًا إلاَّ إذا كان ريُّه من عين أو نهر، وهو ما انتبه إليه فيما بعد في وصفه لجداوله وسواقيه؟ أما ما نتوخَّاه عنده من أثر بيئته كالعَين، والساقية، والجمَّة؛ مثل قوله:

وأنت الذي لم تُبقِ في منهل الندى لمن جاء يسخو، بعد، سُؤرَ إناء
و: يا مورداً لا يُغيضُ النزحُ جَمَّته ولا يُلِمُّ بصـــافي ورده كــدَرُ
و: هذي مـــــواهبك الـتي سقت الورى نهلاً، وعلّت

فلا نكاد نظفر منه إلا بالنزر اليسير.

إنَّ هذا التعلُّق بالسحاب، والمطر لو صدر من شاعر بدوي قضى العمر في الفيافي يَشيم البرق، ويترصَّدُ الغيم، وينتجع مساقط المطر لكان مستنكراً، فكيف إذا جاء من شاعر يعيش على أرض وارفة الظلال، وتتدفَّق في سُوحها عيون الماء أنهارا؟ تَرى، هل لنا أن نلتمس له سببًا يبرِّر هُيامَه بالغيم، والأمطار؟ وصُدُوفه عن السواقي، والأنهار؟ فنتصوَّر أنَّه استبطانٌ للغيب نَضَحَت به شفافية روحيَّة فيه، فأوحت له بما سيؤول إليه حال تلك العيون من النضوب، وهو ما وقع فعلاً بعد ما يقرب من أربعة قرون من عصر الشاعر؟

يتعذَّر، بطبيعة الحال، أن نتوهَّم تمتع الرجل بهذه الملكة الغيبية، لكن الأقرب إلى التصوُّر أنَّ آباءَنا لم تخلُ معارفهم مما نعرفه، نحن اليوم، بأن المياه المتدفقة في أرضهم هي أمطار تسرَّبت إلى جوف الأرض، ثم اندفعت خارجها بفعل الضغط المتولّد من قوة اندفاع المياه، واستمرار المطر هو سبب ديمومتها في التدفق، وما من شكٍّ في أنَّ أجلَّ تلك المعارف وأصدقها هو القرآن الكريم، وقد وردت فيه إيماءاتٌ تشعر بمثل هذا،

كقوله عز وجل: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾[1]، فلعل دعاءه بهطول المطر توجُّسٌ، أو إشفاقٌ، من نُضوب تلك المياه كأنَّه يخشى عليها انقطاع المدد، فدعاؤه للمطر بالديمومة، إذن، هو دعاء لتلك العيون المترقرقة بالنماء، والسخاء.

على أنه لا ينبغي أن نفهم من هذا أنَّ الشاعر قد خلا شعره من تسجيل لصور الحياة في زمنه، فرائيَّته التي بناها على مطلع لصديقه الغنوي* تزخر بصور صادقة للحياة بما تضمَّنته عن الحُرَف السائدة في زمنه، وهي: الحدادة، والنجارة، والصياغة، والصفارة - صناعة النحاس - وصناعة الأزرار، والقصارة، وهي غسل الملابس وتبييضها، والبزازة، وهي تجارة الأقمشة، والإشتغال بدراسة العلوم، ومنها الكيمياء، وهي، في المفهوم القديم، علم يبحث في كيفية تحويل النحاس إلى ذهب، وكذلك علم البيطرة - علاج الحمير، والبقر خاصة - وصناعة الخَزَف، ولم يغفل عن أن يخبرنا بعناية أهل بلده بالغناء، والموسيقى، والرقص، كما لم ينس أن يعرِّج على بعض المهن الإجتماعية، كالقيامة على المساجد؛ من أذان ونحوه، وكذلك التكسُّب بإنشاد مدائح أهل البيت (ع)، وشيوع ذلك حتى في الأسواق، وهو يسوق ذلك كلَّه في سخرية مُرَّة تعكس حقارة تلك المهن، وتَقَهقرها عن مقام الشعر والأدب، فيقول في ختامها:

ولا تَلُمَّ بربع الشعر إنَّ له ... ظعنًا تأخرتَ عن مَسراه إذ سارا
قد حلَّقت بنفيس الشعر، طائرةً، ... عنقاء مُغرِب فاقعُد عنه إذ طارا

ولم تخلُ قصائد أخرى من مثل تلك الإشارات كقوله:

ولو غدا وهو أعلى من أبي كربٍ ... شأنًا، وأصبحتُ، من فقرٍ، أخا كرَب

وأمَّا الحياة الإجتماعية فلها، أيضًا، نصيب، وإن كان يسيراً، مثال ذلك قوله:

أو فاتبع ابنَ مُهنَّا في بزازته ... أو فامشِ خلف فتى شُنصَوه قصَّارا

فشنصوه نبز يراد به التصغير تحقيراً، وكأنَّ أصله الشِّنص، وهو في اصطلاح أهل القطيف* السِّنُّ الطويلة، ويسمُّون صاحبَها المشنِّص، وله أصل في اللغة، وهو شناص: الطويل من الخيل، ومن ذلك أيضًا قوله:

أو عالج الأتن من أدوائهنَّ، وكن ... شروى خميسِ بن خضَّاموه بيطارا

وخضَّاموه: لقب، فصيحه خضَّام، لكنَّهم أضافوا له الواو والهاء فحوَّلوه إلى نبز، وأصله

---

(١) ٢٢ الحجر.

من الخضامة، وهي حُرفة سنِّ السيوف، أو صنع الخضمان، وهي جيوب الثياب، وصاحبها الخضَّام.

وصُورة أخرى من صور الحياة الإجتماعية نقلها لنا الخطيُّ بأمانة؛ ألا وهي صُورة النشاط النسوي، فقد أرانا أن المرأة، في عصره، لم يكن ينكَرُ عليها أن ترفع صوتها بترتيل القرآن الكريم، وهو ما نفتقده الآن؛ إذ إن آخر صوت نسوي كنا نسمعه يتلو القرآن الكريم هو صوت رُقَيَّة العطَّار، وقد كانت تسجيلاتها تذاع من الإذاعة العربية بدلهي في الأربعينات الميلادية من القرن الماضي.

الدم والحرب

في حديثي عن حياة الشاعر عرضت صورةً للحالة المضطربة في عصره، وأشرت إلى أنَّ تحاشي الشاعر التصريح بها ربَّما أوحى لنا بمدى الخوف المسيطر على الناس بسبب فظاظة الحكام، وجورهم، ووضع رهيب كهذا لا بدَّ أن يختزنه وجدان الشاعر فيطفو، لا إراديًا، في همسه الشعري، ولقد تنبَّه الأستاذ محمد رضا نصر الله إلى هذا عندما لاحظ تكرار صور الدماء، وآلات الحرب في قصيدة الخطي، «السبيطية»، أثناء محاضرته عن القصيدة[1]، والمتأمل في شعره سيجد أمثال تلك الملاحظة في غير قصيدة، وأخشى أن أزعم أنَّها تكاد تشكل ظاهرة في شعره، فمنها قوله متغزِّلاً:

عارضتنا، فما علمنا أسلِمٌ ... نحن، أم لاقت الجنودَ الجنود؟
فطعينٌ ما إن يُبلُّ، وعانٍ، ... لا يُفادَى من أسره، وشهيد
عارضٌ أقلعت بوارقُه عن ... أنفسٍ عارضته وهي همود
فالأمانَ! الأمانَ! من نظرات ... لا يَقينا، من بأسهنَّ، الحديد
عجبٌ عيشُهنَّ فينا. ولا عُـ ... ـدَّةَ إلاَّ مَجَاسدٌ، وبُرُود!

و:

وأجفانًا دوامي ساهراتٍ ... لها عن خاطب الغمض امتناعُ
وظبيٍ من ظباء الأنس حالٍ ... يروعُ القانصين، ولا يراع
يبارزني بألحاظ مراضٍ ... فتصرعني، له، وأنا الشجاع
ذكرت جمالَه، والخيلُ حسرى ... عوابسُ قد أضرَّ بها القراع
وسمر الخط* مركزها التراقي ... وبيض الهند* مغمدها النخاع

---

(١) قراءَة أولى في شعر أبي البحر الخطي، محاضرة عن «السبيطية» ألقاها في مقرِّ جمعية الثقافة والفنون بالدمام، مساء الأربعاء ١٥ رمضان ١٤٠٧هـ. ١٣ مايو ١٩٨٧م، ونشرت في مجلة العرب، ج ٣ و٤ س ٢٣ رمضان وشوال ١٤٠٨هـ مايو ويوليو ١٩٨٨م. ص، ٢٤٤ - ٢٦٣، الرياض.

و: يعرِّض للتقبيل خداً كما جلت ... يدا صيقلٍ متنَ الحسامِ المهنَّدِ
و: رشأ جراحاتي جبارٌ عنده ... أبداً، وكسري ليس بالمجبور
و: يا قد رضيت بما أراقوا من دمي ... عمداً، على رغم القبيل، فهل رضوا؟
و: يدمي القلوبَ بألحاظٍ مجرَّدة ... قد وُكِّلت بدم العُشَّاق تسفكه
و: وغزاني عسكر الشوقِ فلم ... يك عن شيءٍ، سوى قتلي، يخلِّي
و: ما لها تحمل أعباءَ دمي ... وهي لا تستطيع من ضُعف قياما؟
يا عُرَيبًا حلَّلوا سفك دمي ... إنَّما حلَّلتمُ شيئًا حراما

وفي الوصف:

كأنما اللوز إذ أودى الشتاء به ... فظلَّ يَحمرُّ منهُ أخضر الورق
عذراءُ في حُلَّة خضراءَ فاجأها ... خَوفٌ، فحاضت، فغشَّاها من العَلَق

وفي الحنين، والتشوق إلى الأهل والوطن:

وأدمعٌ إن جرت حُمراً فلا عجبٌ ... فقد مررن بأجفان مجاريح
و: قد جرَّد التفريق سيفًا بيننا ... أفما يُتِيحُ له اللقاء قِرابا؟

ومن اشتياقه إلى البحرين*:

يشنُّ عليَّ البعدُ غاراتِ جَوره ... وتهتف بي من كلِّ فجٍّ صوائحه
له الغلب، فليَثنِ الأعنَّة مُبقِيًا ... عليَّ، فما عندي جنودٌ تكافحه
ولا المفرد العاني يهزُّ رماحَه ... لطعنٍ، ولا تُنضى لضربٍ صفائحه

وفي المدح:

التارك الأبطالِ صرعى في الوغى ... فكأنَّهم أعجازُ نخل منقع
و: أو لون بيضِكُمُ إذا ما استنضيت ... ورجوعها محمرَّةَ الشفرات
و: وحدود السيوف تُمهى[1] لتمضي ... حيث ما وجِّهت حدود السيوف
والقنا اللدنُ لا تسدَّد للطعـ ... ـنِ بغير التقويم، والتثقيف
و: وسيوفُ عتبِك، يا أعَـ ... ـزَّ العالمين، عليَّ سُلَّت

وهكذا استأثرت مشاهد الدماءُ، وآلات الحرب بحواسه، واستحوذت على مشاعره حتى شملت جلَّ أغراض شعره تقريبًا، فحتَّى الرثاء طغى عليه مَشهَدٌ تكرَّر حتى صار مألوفًا؛ ألا وهو مشهد الفرسان على صهوات جيادهم شاكي السلاح متهَيِّئين للإنتقام، وأخذ الثار للمرثي؛ كقوله:

---

(١) تُمهى، بالبناء للمجهول: تُسنُّ، وتشحذ، وتُسقى الماء، محميَّةً، لزيادة قوتها.

لكادت أن تسـوخ الأرضُ مما تَظَلُّ بـهـا جِـيـادُ الخيـل تَردي
عليها الشوس من عليا قريش* أولي النجدات، والعزم الأشدِّ
إذا استصرختهم وافوا غضاباً كما هَجهَجتَ في غابات أسد
بكلِّ مـثـقَّف الأنبـوب لدن الـ ـمَـهـزِّ، وكلِّ مَصقُول الفِرَند

و: لألفيتموني في رجالٍ كأنَّهم ليوثٌ بِمُستَنِّ النزال حوارد
بأيماننا بيض كـأنَّ مُتونَهـا، إذا اطَّردت أمواهُهنَّ، مبارد
وخَطِّيَّة مُلس المتون كأنَّما أسنَّتها، مما شُحِذن، مفاصد
نطاعنكم عنهم بهذي، فإن نبت عـواملهـا ملنا، بتلك، نجـالد

و: في فتية ضمنت لهم عزماتهم رَيَّ القنا في كلِّ يوم جـلاد
طالوا بأيديهم عواليَ سُمرهم فـغنوا، بهنَّ، عن القنا الميَّـاد
قوم إذا سلُّوا الصوارمَ أغمدت بِمَقـرِّ تاجٍ، أو مَناط نِجـاد
وإذا همُ شرعوا الرماحَ تبوَّأت أطرافُـهنَّ مكامنَ الأحـقـاد
يتسابقون على السوابق للوغى كـسـبـاقـهـا بـهمُ على الآمـاد

و: وأقسم لو لا موتُه في فراشه لجرِّدت البيض المهنَّدة البتـر
وأرعشت الملد المثقَّفة السمر وأقبلت الخيل المسوَّمة الشقر
عليـهنَّ من آل المقلَّد* غلمـة مساعير حرب لا يضيع لهم وِتر

و: لأوجفنا عليه الخيلَ شُعثًا تَعادى، في الأعنَّة، كالسَّعالي
إذا أرسلتَـهنَّ وراء نبـل تجـاوزن المدى قبـل النبـال
عليـهـا كلُّ ضُرغامٍ إذا مـا استطال السِّلم حَنَّ إلى القتال

هذه النماذج وكثير غيرها نشاهدها مفرَّقةً هنا وهناك في قصائد الديوان، وهي تنبئ بتَشَبُّع خيال الشاعر بصُوَر مرعبة ترعُف بالدم، وتضُجُّ بصليل السلاح. ترى هل هي انعكاس لواقع معاش؟ أم رؤى لخيال؟

علاقاته الإجتماعية

يكشف لنا شعرُه كثيراً من ملامح حياته الخاصة والعامَّة، وصلاته بمجتمعه، وعلاقاته بمعاصريه، وقيَمه، وأخلاقه، وآرائه في الناس؛ فمنه ما تحدَّث فيه عن تعرضه للوقيعة؛ إذ وُشيَ به عند أحد المتنفِّذين في الديوان، واسمه خميس بن ناصر، فكتب إليه ينفي عن نفسه تلك الفرية:

ألا أبلغـا عنِّي خـميسَ بن نـاصرٍ مقالَ امرئٍ، في وُدِّه، غير كاذب

لقـد جـاءَك الأعـداء عنِّي بِفِـريَةٍ ... ولستُ لها، ما دُمتُ حيًا، بصاحب

وبرغم تلك العلاقة الحميمة التي ربطت أواصرها بينه وبين السيد ماجد الصادقي* وابن خاله السيد حسين بن عبد الرؤوف* ، فإنَّ شيئًا من الفُتور كان يعتري تلك العلاقة بين الحين والحين، ولا يجدُ الشاعر ملجأ يلوذ به إلاَّ الشعرَ يُطفئُ به جَذوة غضبه؛ فمن ذلك قوله مشيراً إلى جفاء السيد حسين* :

لـم أدر أيَّ خطيـــئــةٍ ... عثرت بها قدمي، وزلَّت

وتَعُوقُه الأشغال عن زيارة صديق لم يشأ أن يذكر لنا اسمه، فوجدها المترَبِّصون به فرصة للوقيعة بينهما، وحين بلغه نبأ تلك السعاية كتب إليه مفنِّداً، ومعتذراً :

فلعـمـري لقـد مُنِيت بأمـرٍ ... شـاب رأسي له أوانَ شـبـابي
إنني، واليـمين جُـهدي، وبالمر ... صـاد ربي للحـالف الكذَّاب،
لبـــريءٌ مما تـعـــاطاه أهل الـ ... ـزُورِ عنِّـي، وطـاهـر الأثـواب

وكتب مرَّة إلى السيد ماجد* يشكو من صديق تغيَّر عليه بعد أن نال حظًا من الثروة، ويعترف بأنَّ كلاً منهما أساء إلى الآخر، لكنَّ الصديق نسي ما اقترفه بحقه، فيقول :

ظنَّ قـــربي منه رجـــاء غناه ... فـتناءَى عنِّي مخـافـة فـقـري
كنت شـاطرتـه الإسـاءَة يومًـا ... فـمـحـا شطرَه، وأثبت شطري
مـا لعـمـري هذا بـذنبي، ولكن ... يُسـرُه، لا أطير عنه، وعُسـري
غـيـرَ بِدعٍ فـهكذا كلُّ من يُعـ ... ـدِم، حـينًا من دهره ثم يُثـري

ولا يكتفي بإبلاغ شكواه من ذلك الصديق إلى السيد ماجد الصادقي* وحسب؛ بل ينعطف بذات الشكوى، وفي نفس القصيدة على المشكي إليه نفسه بسبب انقطاع صلاته عنه فيقول :

أوَ ذنـبـي أنِّـي أريـك، عـلـى رِ ... قَّـةِ حالي، وجـهَ الغنيِّ المُثـري؟
أين قُربي منك الذي حسدتني ... بوصولي إليـه أعيانُ عصري؟

وقد كشف لنا، في قصيدة أخرى كتبها سنة ١٠١٩هـ، أمر ذلك الصديق الذي غَيَّره المال عليه، فعرفَنا بأنَّه السيد ناصر بن سليمان القاروني* . فهو يخاطبه صراحة

فيقول:

أحين ملأت الراحتين اطّرحتني ؟ أشار بذا، يومًا عليك، مشير؟
فإن أطّرَح، بعد الكمال، فإنّما تَحامى العيونُ البدرَ وهو كبير

وهو بهذا يفيدنا أنّه الآن شخصية ساطعة البريق، وصديقه إنّما تحاشاه لشدة لمعان ضوئه، وهذه الصراحة في عتبه - أو قل في هجائه - على السيد ناصر القاروني* سوّغتها له صحبة وثيقة سابقة حسبه فيها معقد آماله؛ فصرّح له بهذا في قوله:

إنّي لأعجب، والأيّام ما خُلقت إلاّ لتُحدثَ أطواراً من العجب
من ضامنٌ لي أن لو غِبتُ عن وطني، أو مُتُّ، أعقبني بالخير في عقبي
وها أنا في مجال العمر أسأله ما لا يقال له شيئًا فلم يهب

ومثل هذا التبدُّل شاب علاقته بآل المقلد*، أيضًا، بعد صلته الوثيقة بهم، وهي صلة أوجبت عليه ترك بلده مع عميدهم عبد الله بن حسين بن ناصر* عندما نزح عنها بعد فشله في الصمود أمام الأتراك سنة ٩٩٩هـ، والغنوي*، صديقه وجامع ديوانه، لم يشذَّ أيضًا عن سائر أصحابه؛ فقد عَرَفنا قِصَّة خلافهما بسبب تواردهما على إحدى العقائل، والقصيدة التي سجَّل فيها الشاعر هذه الحادثة صُورة ناطقة بشعوره بالخيبة من الأصحاب:

أصحب الماجد الكريم من النا سِ فيَثنيه في ثياب اللئام
وإذا ما نَضَت يميني حُسامًا، لجلاد، أغاب فيَّ حُسامي
فلو أنّي أوليت ناشية المز نِ إخائي أحلت طبع الغمام

ومرَّة أخرى يشعرنا بارتباط ذِهنه بآلات الحرب، وبالغيم، والمطر.

وفي الديوان كثير من شكاواه من الأصحاب والأصدقاء، بعضه بسبب عدم الوفاء، وبعضه بسبب السعاية والدس؛ فمن ذلك ما خاطب به الخواجة إبراهيم بن محمد بن تقي* «نقي؟» يشكو أصدقاءً تنكروا له برغم قصائده التي نظمها فيهم:

شكوت إليك إخوان الليالي جُزوا شراً بما صنعوه عندي
أبَوا إلاّ مجانبتي، ورميي، على ودِّي لهم، بقلىً وصدٍّ
أكانَ جزاءَ ما سَيَّرتُ فيهم من الكَلِم التي يَبقَين بعدي؟
فقد فَنِيَت قوافي الشعر مما أنير بها مدائحَهم، وأسدي

هذا التلوُّن في علاقته بأصدقائه، وأودَّائه طبعت شعره بالشكوى، والألم، والشك في الناس:

ومـــبـــتـــسـمٍ بـالـودِّ يُـبطِـن ضِـــدَّه   وأضــــيـع شـيءٍ خـلطـكَ الحُلوَ بـالمرِّ
أدافع عنـه، مـــا اســـتطعت، وإنَّـه   ليخذلني، مـا شـاءَ، إن سِمـتُه نـصري
أرى قـــربَـه غُـنمـي، ولـم أدر أنَّـه،   على عكس ما عندي، يرى غُنمَه هجري
سلكت بـه نـهجَ الوفـــاء فـــعـزَّني   ونكَّب منحــازاً إلى جــانب الغَــدر

و: أنا الذي ضاق بي دهري، وضقت به   فنحن، عند اتحـاد الوصف، مـثـلان
مـا سـرَّني فـرآني ضـاحكًا، أبداً،   كـلاً، ولا سـاءَني، يومًـا، فـأبكاني
بلوت هذا الورى، طرّاً، فما حصلت   يدي على غـيـر بادي الغـدر، خوَّان

و: وإخوان سوء إن رمى الدهر سهمَه   فـأخطأني كـانوا سِـداد يدِ الدهر
أزيرُهم عُـــونَ الثناء فـــأنثني،   مـقـــايضـــةً منهم، بحــادثـة بِكـر
وأتبعُ تسليـمي، إذا مـا لقـيـتـهم،   ببشـري، فأجزى بالعبوس عن البِشر
برغـميَ أن ألقى بني الدهر بعـدهم   قـذىً، وشـجى للعين، منِّي، وللصدر
لك الخير، إن لم تدر ما خلق الورى   تعالَ فـسل، عـمـا جـهلت، المجرِّبا
أنبِّـئك أنّي مـا شكوت لصـاحب   فأشكى، ولا استعتبت خلاً فأعتبا

و: أمستجلِبًا وُدَّ الرجال بعتبهم   أظنُّك علَّمت الطمـاعـة أشعـبا

و: كلَّمـا قلت آن أن يَقـضيَ الدهـ   ـرُ حقـوقي، قـضى عليَّ حُقُـوقا

و: ولحا الله معشـراً أشـربَوا الغد   رَ قلوبًا، وأوجـــروه حلوقــــا
كلَّ مُـسـتـنكفٍ عن الوُدِّ لا يَعـ   ـلَقُ حَبـلاً، من الوفـاءِ، وَثيـقـا

و: تبَّ للدهر ليسَ يُرضيه حتى   تتـســاوى كـرامُـه، واللئـام
غيـر بدعٍ، فمـا رأينا كـريمًا   لم تغـيِّـــر أخـلاقـه الأيَّام

ويبدو أنَّنا سنضطر لتصديقه في ما قاله عن هجره لداره وأهله بسبب ألسن الناس، فقوله:

مـا وقـــوفي عن أن ألمَّ بمغنا   ه لهـجـرٍ يظنُّه، واجـتناب
غير أنِّي سمعت من ألسن النا   سِ كـلامًـا فـرى عليَّ إهابي
ودعـاني إلى مـفـارقـة الدا   رِ، وهجر الأهلين، والأصحاب

يكشف لنا سبب تَوَجُّسِـه من إطالة المكث في القطيف*، على الرغم من أنَّ أحد السادة الرؤساء القطيفيين، واسمه عبد الحميد، قد عرضَ عليه الإقامة في القطيف* عندما زارها سنة ١٠١١هـ، فعلى رغم ما يظهر من نفوذ عبد الحميد هذا، وسعة جاهه. إلاَّ أنه لم يستجب لضغطه وإلحاحه، واضطر للجوء إلى شخصٍ يَعرِف أن له تأثيراً

عليه، وهو السيد عبد القاهر بن عبد الرؤوف الحسيني*، فكتب إليه مستنجداً، ومُلحّا عليه بأن يُقنعَ عبد الحميد* بالسماح له بالعودة إلى البحرين*، وألاّ يكرهه على البقاء بين أناس يمقتهم على رغمِ إكرام عبد الحميد له، وفي ظنّي أنَّ أولئك القوم ليسوا من أهل بلده القطيف* لما يلوح به من صفات لا تنطبق عليهم؛ كعدم فهمهم للغته. فلعلهم خصومه الأتراك* الذين هَجَر وطنه بسبب احتلالهم له:

يا أخا هاشمِ بنِ عبدِ منافٍ — دعوةً من أخي رجالٍ كرام
أيُّ غبنٍ تراه لي غيرَ مكثي — بين قوم لا يفهمون كلامي؟
ما مقامي فيهم، وحاشاك، إلاّ — كمقام اليقظان بين النيام
تجتلي العين منهمُ صُورَ الأنـ — ـسِ، وهُم من هوامل الأنعام
ليت أنّي بُدِّلتُهم ، وهم البيـ — ـضُ لسام*، بالسودِ من نسل حام*!
مِن غبيٍّ لا يُدرك الفرق في ما — بين وسطى يديه والإبهام
ولئيم واهي المروءَة لا يفـ — ـرقُ بين الإكرام والإيلام

وبعد أبيات يطيل فيها مدح السادة الذين أكرموه في القطيف*، وينتهي فيها إلى عبد الحميد فيثني عليه بهذا الثناء:

من كعبد الحميد* إن نكصَ الذِّمْـ — ـرُ، وحُرَّت مواطئ الأقدام؟
يُوجِر القِرنَ كلَّ فوهاءَ تُبدي — لك ما خلف ظهره من أمام
مذ رأى النقص في السيادة بالما — لِ؛ قلاه، وساد بالإعدام

يخلص إلى غرضه وهو الإستنجاد بالسيد عبد القاهر* ألاّ يتخلى عنه:

غير ألاّ سلوَّ عن تلكم الدا — رِ، ولا عن أولئك الأقوام
لا تكلني إلى انتقالي، ومكثي — في أناسٍ، سواكمُ، ومقامي
فعلوقي بكم، وإن نأت الدا — رُ، علوقُ الأرواح بالأجسام
إنّها خطّةٌ أجاء لها الحـ — ـظُّ، فعفواً عن زلّة الأيام

والبيت الأخير، في تقديري، نبوة أفلتت من قلمه عفواً، فلا أظنّه انتبه إلى ما يحمل مدلول البيت من معنى لا يَليق أن يفوه به للممدوح، إذ إنَّ المتبادر إلى الذهن أنه ينعى حظّه الذي قسم له بأن يعيش منفيًا عن بلده، ولا محيص له عن هذا التغرُّب، والتشرد، وهذا يعني أنَّ إقامته التي يريدها بجانب الممدوح هي إقامة غير مختارة بل مفروضة قَسراً.

ويبدو أن هذا هو واقع الحال في إحساسه بالحب لوطنه الأول، وتشوُّقه لملاعب صباه. نعم، فحبُّ الأرض شيءٌ لا يؤثِّر فيه ما يُلاقي الإنسان فيه من أذى، وفي ظنِّي أنَّ هذه النقمة التي تَغلي بها حفيظته لم تكن، أبداً، على أهل بلده القطيف*، وإنَّما على أناس لا يفهمون كلامه، هم أولئك الأغبياء، اللئام، عديمو المروءَة، ونستطيع أن نبحث بينهم عن أولئك الأغراب المغتصبين، فهو، وإن لم يُسَمِّهم صراحةً، إلاَّ أننا نفهم من استغاثته بالسيد أنه يعنيهم، وقد تحدَّثنا عنهم في ترجمته، وعَرَفنا أن سبب نُزُوحه من موطنه هو استيلاؤهم عليه. إنَّ ما يؤكد هذا ما نراه عنده من اللوعة والشوق لبلده وأهلها عندما يخاطبها بقوله:

يا جاد أرضًا تبوَّأتم معالمها	وطفاءُ تَنحَلُّ من دمعي عَزَاليها
يا هل ترون لمحنيِّ الضلوع على	ذكر الديار وقُوفًا في محانيها
يَبُلُّ نفساً إذا استسقته وصلكم	وعزَّ؛ ظلَّ بكأس اليأس يَسقيها
كادت تُقيم على أرجاء مصرعها	لو لم تجده بلقياكم يُرجِّيها

فهو ما زال يُرجِّي نفسه ويمنِّيها العودة إليها، وما تزال طُيوفها تغازله حيثما ذهب:

إنَّ القطيف*، وإن كلفت بحبِّها	وعلت على استيطانها زفراتي،
لأجلُّ ملتمسي، وغاية منيتي	أنِّي أبيت بتِلكُم الساحات
إذ أين جزتُ رأيت فيها مَدرجي	طفلاً، وأترابي، بها، ولداتي

أخلاقه

قلنا إننا نصدقه في ما ذكر من أسباب زهده في بلده، لكن لا يسعنا تصديقه في خصامه له، وبوسعنا أن نحرجه بما لا يملك له دفعًا، فقوله:

قسمًا بخُوص كالحَنيِّ ضَوامرٍ	وصلت بتدآب السُّرى الإسآدا
يَحملنَ شُعثاً من ذُوابة وائلٍ	شُمَّ المعاطس، سادةً، أنجادا
لأفارقن الخط* غيرَ مُعَوِّلٍ،	فيها، على من ضَنَّ أو من جادا
بلدٌ تهين الأكرمين للؤمها	شروى الزمانِ، وتكرم الأوغادا

كذبٌ غير بريءٍ من التناقض؛ إنَّه يحبُّها بعنف. والحب العنيف يولِّد غضباً أعنف، وإلا فكيف قفز إلى وجدانه وصفُ أهلها بأنَّهم «ذؤابة وائل، شُمُّ الأنوف، وسادة أنجاد» في سياق قسمه على فراقها لأنها كالزمن تهين الأكرمين، وتكرم الأوغاد؟

وينبغي أن نأخذ مسألة الكذب هذه بحذر شديد مخافة أن نظلم الرجل، فكذبه

هنا هو نتيجة صراع يتجاذبه بين حبِّه لوطنه وسخطه على الظروف التي تصدُّه عن الإستقرار فيه، وقد يكون شعورٌ بالإحباط مما توهَّمه تخاذلاً من مواطنيه عن مقاومة المحتلِّين الأتراك* قد استحوذ عليه فحمله على مثل تلك النفثة، وإلاّ فخلقه يأبى مثل ذلك الهجاء، فهو لا يَذُمُّ أحداً حتَّى الأوغاد:

فما ذَمُّ أوغادِ الرجال بِشيمتي　　فكيف بأرباب العلى والمراتب؟

وكذلك ما يبدو من تناقض بين ما يزعمه لنفسه من أنفة، وترفع عن السؤال كما في قوله:

ما كنت أحسبُ، والأيَّام مولعةٌ　　بخفض شأن ذوي العلياء والحسب
أنّي أمدُّ لأندى العالمين يدي،　　يومًا، لأعلق ما أوتيه من نشب
ولو غدا وهو أعلى من أبي كربٍ　　شأنًا، وأصبحتُ من فقرٍ أخا كرَب

وقوله:

فأنا وإن عضَّ الزمان بغاربي　　أو فلَّت الأيَّام حدَّ شباتي
لأصون عن مدح اللئام ترفُّعًا　　شعري، وأقصر دونهم خطواتي

وأمَّا ما يبدو تهالكًا منه على الصلات، والهبات كقوله:

هذي مواهبك التي　　سقتِ الورى نهلاً، وعلَّت
ما بالها كثرت على　　غيري وعنِّي اليومَ قلَّت

و: علامَ تعُمُّ هذا الناس فضلاً　　وإحسانًا، وتعرض عن صلاتي؟

وقوله يستوهب السيد ناصر القاروني*:

أبا هاشم، إنِّي إلى ما يناله　　بنو الوُدِّ مثلي، من نَداكَ، فقير
كفى بك أن خلَّيتني لمعاشرٍ　　عظيمهم، حاشى علاك، حقير
سئمت مقامي بين أظهرهم فرِش　　جناحي لعلي حيث شئتُ أطير
إلى الله أشكو، أو لكم، جَورَ ريحكم　　وهل لي عليها، إن شكوت، نصير؟
أراها على غيري تهبُّ، إذا سرت،　　قَبُولاً، ومسراها عليَّ دَبُور

وعتابه للسيد ماجد الصادقي*:

وأطيل عتبي في تأخر مَوعدِ　　لك يا أبرَّ القائلين، وأصدقا
أنفقت ما عندي عليه، ومن رنا　　يومًا إلى الخَلَف المعجَّل أنفقا

فيبرره عندي ثلاثة أمور، الأول: أنَّ دراستنا لهؤلاء الذين يسعى لصلاتهم تبيِّن أنَّهم أصدقاء وأخدان لا يرى بأسًا من أن يكشف وجهه لهم بالسؤال، وهذه النتيجة هي ما

يوصلنا إليها ختام القصيدة السابقة فهو يقول:

لو لا وداد أحكمَت أسبابه ... ما بيننا، ووسائل لن تخلقا
ما فُهت بالشكوى إليك، ولم أكن ... يَومًا بحرف، في العتاب، لأنطقا

والثاني: أنَّ هؤلاء الأصدقاء ليسوا حكَّامًا. ولا تُجّاراً أثرياء، وإنَّما هم فقهاء وقضاة، يتولَّى بعضهم الحسبة، وبعضهم تجبى له الحقوق الشرعية فينفقها في الوجوه الشرعية المخصصة لها، ومنها الإنفاق على الحوزات العلمية، ومن يَدرُس، أو يُدَرِّسُ بها، وما دام الشاعر واحداً من المنتَمين إلى تلك الحوزات فطلبه المال ليس استجداءً، بل طلبًا لحق مشروع، هذا ما نستنتجه من عتابه لهم حتى لو لم يصرح به. وأمَّا الثالث فهو أنَّ الحاجة المادية هي، أيضًا، دافع على هذا السلوك؛ فللضرورة أحكام، كما يقولون، ولذا نراه يجاهر، دون مواربة، بأنَّ الضرورة هي التي ألجأته، فهو يشير إلى ذلك كثيراً، فمنه قوله:

سعة في السؤال ضيق، ويُسرٌ ... فيه عُسرٌ، والربح رأس الخسر
فلخير فيه من الشبع الجو ... عُ، وأسنى من اللباس التعرِّي
موقف يؤثِر الشجاع أخو الكـ ... ـر، إذا ضمَّه، ركوبَ الفَر
وسلوكي هذا السبيل من العتـ ... ـب، ومدِّي لسان هذا التجرِّي
خطَّة لو ملكت فيها اختياري ... ما تجشَّمتها بقاء العمر
أركبتني طريقها الوعرَ أيَّا ... مٌ تسوم الفتى ركوبَ الوعر

وحتى نتأكَّد من هذا ينبغي أن نلاحظ أنَّ مثل هذا الإستعطاء لا وجود له بتاتًا في شعره الذي مدح به الحكام؛ كركن الدين محمود* وزير البحرين*، ومهنا بن هديف*، حاكم صحار، وخلف بن مطلب المشعشعي*، وأخيه مبارك* حاكم الحويزة، وابنه بدر بن مبارك* حاكم الدورق*، فبتأمل القصائد التي مدح بها ركن الدين محمود*، وهي أربع، بلغت الأولى منها خمسة وثلاثين بيتًا استغرق اثني عشر بيتًا منها في المقدمة الطللية المعهودة، والباقي في صفات الممدوح، وبالتدقيق في تلك الصفات نجدها استغرقت من القصيدة ثلاثة وعشرين بيتًا لم يشر فيها إلى كرم الممدوح إلاَّ ببيت يتيم، والقصيدة الثانية انتظمتها أربعون بيتًا استغرقت مقدمتها الغزلية ثمانية أبيات، وأربعة منها في ذمِّ القطيف*، وباقي القصيدة في صفات الممدوح من شجاعة، وشرف، ونجابة، أمَّا الكرم فاقتصر إيماؤه إليه على ثلاثة أبيات متفرِّقة في القصيدة، ولثالثة تلك القصائد قصة أشرنا إليها في مكانها من الديوان، وخلاصتها أن الوزير أعجب ببيتين

من الشعر الفارسي، فطلب من بعض الشعراء أن ينظموا على منوالها، ولم يطلب ذلك من أبي البحر؛ فكتب تلك القصيدة متحدِّيًا فيها الوزير وشعراءَه، وقد بلغ طولها ستين بيتًا، قدم لها بمقدمة مزج فيها بين الغزل وذكر الأطلال في ثمانية وعشرين بيتًا، وباقي القصيدة استغرقه في سرد القصة، وخص الوزير ببعض أبيات لمح إلى كرمه في أربعة منها.

أمَّا القصيدة الرابعة فبلغ طولها ثمانية وأربعين بيتًا، تسعة عشر منها خَصَّصَها لمقدمة خمرية، وباقي القصيدة خصصها لصفات الوزير، وتعد الأبيات التي ذكر كرم الممدوح فيها أكثر الأبيات مقارنة بباقي القصائد؛ إذ بلغت عدَّتها ستة أبيات، ولا تختلف بقية القصائد عن ذلك في شيء؛ فالقصيدة التي مدح فيها السيد بدرَ بن مبارك المشعشعي* لم يشر إلى صفة الكرم إلاَّ في المطلع:

إلى الملك الوهاب ما في يمينه ولكنَّه بالعِرض جِدٌ بخيل

والقصيدة التي مدح بها أباه مباركًا*، وعمَّه خلفًا*، حظيت منها صفة الكرم ببيت واحد ذكر فيه كرم السيد خلف*:

وأنتَ الذي يُعدي على المحل جُودُهُ ويُعشِبُ، من معروفه، يابِسُ الصَّخر

بعد بيتين أثنى فيهما على فضل أخواله بني تميمٍ*، وإنعامهم عليه.

والقراءَة المتفحِّصة لتلك الأبيات، على قلَّتها، ترينا أنها لا تتجاوز التلميح، والإشارة، على استحياء، وأحيانًا لا تجاوز شكر الممدوح على هبة، أو عطية، أنعم بها عليه؛ فلعله يذكرها اتِّباعًا لتقاليدَ ألفها الممدوحون، وأنسوا بها، وكأنه، بحِدَّة ذهنه، نفذ إلى أعماق ممدوحيه، ففهم دخيلتهم فهمًا جيِّداً مكَّنه أن يصف ما يثيره المدح بتلك الصفات في نفوسهم من ارتياح، وسرور، كما في قوله:

ومعاطف تفتَرُّ، عند المدح، عن حركات مطَّرد الكعوب مسدَّد

فلو كان الرجل متطلِّبًا للهبات، مترصِّداً للعطايا لما وقف عند أبواب العلماء، وله من أبواب الملوك والأمراء ما يُغنيه، ويُرضيه لو أراد الإستفادة من شُهرته العريضة التي وصفها بقوله:

أنا الرجل المشهور ما من محلَّة من الأرض إلاَّ قد تَخلَّلها ذِكري

فإن أمسِ في قطرٍ من الأرض إنَّ لي بريدَ اشتهارٍ في مناكبها يسري

* * *

محاكمة لشعر أبي البحر

السرقة الأدبية:

درجَ، عند أدباء هذا العصر، مصطلح «الإبداع»، وهم يعنون به ذلك النوع من المعاني المبتكرة التي يخترعها الشاعر دون أن يقتفي فيها أحداً غيره، ويقابل هذا المصطلحَ مصطلح آخر هو «التناص»، وهو لغةً: التزاحم، ولكنه عندهم: «التناظر»، أي تشابه المعنى عند شاعرين أو أكثر، وهو ما يعرف عند بعض النقاد القدماء بالسرقة الأدبية، وإن كان بعضهم لا يَعدُّه كذلك، وغرضنا هنا هو البحث عما عساه قد وقع في شعر أبي البحر من «الإبداع» أو «التناص»، وبطبيعة الحال فإن العدل يقتضي أن تستند مرجعيَّتنا، في محاكمته، على معايير النقاد القدماء لا معايير عصرنا الحاضر، ومقاييسه.

إذا أردنا تصنيف المعاني، وتبويبها فسنجد منها المبتكر، وهو النادر، وسنُلمُّ بأمثلة له عند الكلام على ابتكارات أبي البحر، وهو لا يصل إلى مدى تشكيل الظاهرة في الديوان العربي، قديمه وحديثه، ومنها ما هو منقول من موضعه إلى موضع آخر كقول الشاعر:

وقد كتب الشيخانِ لي في صحيفتي ... شهادةَ عدلٍ أدحَضَت كلَّ باطل

يريد أن والديه خلَّفا سيماءَهما في وجهه، فنقل ابن الرومي هذا المعنى إلى الذم، وفَرَّقَهُ في بيتين فقال:

لك وجهٌ، كآخر الصكِّ، فيه ... لمحات كثيرة من رجال

فخطوط الشهود مختلفاتٌ ... شاهدات أن لست بابن حلال

ومنها المنقوض كقول الشريف الرضي*:

رأوا ورق البيض الخفاف هشائمًا ... وشَوكَ الأعالي فازعًا، ومُنَزَّعا

فهو نقض لقول ابن هانئ الأندلسي:

وجنيتمُ ثمر الوقائع يانعًا ... بالنصر من ورق الحديد الأخضر

وكلاهما متصرِّف في معنى قول البحتري*:

حملت حمائلَه القديمة بقلةٌ، ... من عهد عاد، غضَّة لم تذبل

فالبقلة الغضة، في سيف البحتري، ظلت كما هي عند ابن هانئ، لكنَّها تحوَّلت إلى ورق

هشيم عند الرضي*، ومن المعاني ما هو مولَّد، يستلُّه الشاعر من قول شاعر آخر، فَيُوَلِّدُ منه معنى آخر كقول عبد الجبار بن يزيد الكلبي:

نفُرُّ، فرارَ الشمسِ، ممن وراءَنا   ونَدلُج في داجٍ، من الليل، غيهب

فقد تناوله المتنبي، وتصرف فيه مولِّداً منه معنى آخر فقال:

وألقى الشرق منها في ثيابي   دنانيراً تفرُّ منَ البنان

ومنها «توارد الخواطر»، وهو أن يتوارد شاعران على معنى واحد دون سابق علم لأحدهما بقول الآخر، وهذا، غالبًا، ما يقع في المعاني الشائعة المشتركة، وهو ما يلتبس، أحيانًا، على كثير من النقاد فيحسبونه سرقةً، وليس بالسرقة، وإنما هو، على رأي ابن رشيق: «اتفاق قرائح، وتحكيك من غير أن يكون أحدهما أخذ من الآخر»[1]، وقد لا يكون آخر تلك الفنون ما يستبطنه الشاعر أثناء قراءاته المتعمِّقة، فيتخلَّق منه نسيج ثقافته، وقوام ديباجته، ومِزاجُ أسلوبه، ثم يستدعيه وعيه الباطن حين يعتاده مخاض الشعر، وتلك الصور، والمعاني المستبطنة حين تتداعى على الشاعر، ساعة تجلِّياته، يكون انثيالها عَفواً من غير أن ينتبه إلى ذلك، وهذا ما يسميه ابن رشيق: «النسيان»، وهو عنده ليس في عداد السرقة؛ فهو يقول: «إمَّا نسيانًا يمر الشعر بمسمعَي الشاعر لغيره فيدور في رأسه، أو يأتي عليه الزمان الطويل فينسى أنه سمعه قديمًا، أمّا إذا كان للمعاصر فهو أسهل على أخذه إذا تساويا في الرقة والإجادة»[2].

ولا ننسى أن نضيف إلى ما تقدم ما يلتقطه الشاعر من أفواه الناس من أقوال ليست منظومة في الأصل، لكن الشاعر، بموهبته، ربما أدخلها في شعره، وفي ذلك تروى أقاصيص منها: أن امرأة من أهل البصرة قالت لبشار بن برد: «أيُّ رجل أنت؟ كنت أسود الرأس واللحية»، فأجابها: «أما علمت أن بِيض البزاة أثمن من سود الغربان؟»، فأدخل البحتري* هذا المعنى في المدح فقال:

فبياض البازي أحسن لونًا   إن تأمَّلتَ، من سواد الغراب[3]

ومثل ذلك ما قيل أنه كان لأبي الأسود الدؤلي جيرانٌ يؤذونه برجمه بالحجارة

---

(١) قراضة الذهب. ص: ٧٨.

(٢) قراضة الذهب. ص: ٧٨.

(٣) ديوانه جـ ٢/١٨٧، وقراضة الذهب ص: ٨٥.

ليلاً، فشكاهم، فقالوا: «لسنا نرجمك، وإنما يرجمك الله»؛ فقال: «كذبتم، لو رجمني الله لما أخطأني، وأنتم تخطئون»، فوجد هذا المعنى في قصيدة أبي تمام* في مدح المعتصم بفتح عمورية، وهو قوله:

رمى بك الله بُرجَيها فهدَّمها   ولو رمى بك غيرُ الله لم يُصبِ [1]

ومثل هذا كثير، ولا سبيل إلى استقصائه. فهل لدى شعراء هذا العصر إبداعٌ خارج عن هذه الموارد؟

لا أظن أن بالإمكان إخراج الشعر المعاصر من تلك الدائرة إلا إذا قطعنا صلته بالحياة. أمَّا إذا اعترفنا بأن الشعر - كغيره من الفنون الإنسانية - نَتاج مؤثِّرات ثقافية متراكمة تكوَّنت لدى الشاعر بفعل احتكاكه بعوامل التأثير في بيئته ومحيطه، فمن الطبعي أن تتمازج ثقافات الشعراء بقدر ما يتاح لهم من اطلاع بعضهم على نتاج البعض الآخر.

من هنا تأتي صعوبة التسليم بخلو مصطلحي «الإبداع، والتناص» من التحفُّظ، ولعلنا نجد مبرراً لهذه النتيجة في ما سوف نقدمه من نماذج شعريَّة لأشهر شعراء النهضة في عصرنا الحديث، فشاعر كبشارة الخوري «الأخطل الصغير» يمكن أن يعدَّ مبتكراً مبدعًا في قوله:

ما كان أحلى قُبُلاتِ الهوى   إن كنت لا تذكر فاسأل فَمَك
لو مرَّ سيفٌ بيننا لم نكن   نعلم هل أجرى دمي أم دمك؟

لكن كتب الأدب تنبئنا بأن هذا المعنى تداوله كثير من الشعراء قبله، ومنهم بشار بن برد في قوله:

فبتنا معًا لا يخلص الماء بيننا   إلى الصبح دوني حاجب وستور

وتابعه علي بن الجهم فقال:

فبتنا جميعًا لو تراق زجاجة   من الخمر فيما بيننا لم تسرَّب

ومثلهما قول أحمد بن يحيى بن أبي فنن:

كأنَّا وثوب الدجى مسبلٌ   علينا لمبصرنا واحد

---

(١) ديوانه. ص: ١٦٠، وقراضة الذهب ص: ٨٧.

ومثل هذا كثير لا يتَّسع المجال لسرد المزيد منه، وما يقال عن بشارة الخوري يقال عن عمر أبي ريشة، فقوله:

أمَّتي، كم صنمٍ مجَّدتهِ لم يكن يحمل طُهر الصنمِ

قريب النسب من بيت المتنبي*:

أسيرُها بين أصنام أشاهدها ولا أشاهد فيها عفَّة الصنم

وقد يُظنُّ أنَّ إيليا أبا ماضي أبدع معانِي قصيدته «ابنة الفجر»: التي ضمنها وصاياه لحبيبته بعد موته، ومنها قوله:

فاهجري المخدع الجميلَ وزوري ذلك القبر ثم حيِّي قطينه

غير أننا نرى أنه استوحى معناه من رثاء مالك بن الريب المازني لنفسه خصوصًا قوله:

إذا مت فاعتادي القبورَ، وسلِّمي على الرِّيم، أسقيت السحاب الغواديا

ولو أردنا تتبع أخذ أبي ماضي من غيره لطال الحديث. فهو من المتأثرين كثيراً بأبي العلاء المعري كما في قصيدته «موكب التراب»، ومطلعها:

من أين جئت وكيف عُجت ببابي؟ يا موكب الأجيال، والأحقاب

ففكرتها الرئيسة مأخوذة من رثائيَّة أبي العلاء الداليَّة:

غير مجد في ملَّتي واعتقادي نَوح باكٍ، ولا ترنُّم شاد

وأما قصيدته «ليل الأشواق» فيحسن أن ننقل بعضًا من أبياتها، وأبيات من قصيدة لأبي العلاء لنرى ما في القصيدتين من تشابه. يقول أبو ماضي:

رُبَّ ليل نجومه ضاحكات مثلَ أحلام غادة في صباها
لمست أصبع السكينة أشوا قي فهبت مذعورة من كراها
أبق النوم فاستبقت إلى النهـ ـر بنفس كادت تسيل دماها
ومعي صاحب رقيق الحواشي تجد النفس في رؤاه رؤاها
قال: ما أجمل الكواكب! ما أحـ ـلى سناها! فقلت: ما أحلاها!

ويقول أبو العلاء:

رب ليل كأنه الفجر في الحسـ ـن، وإن كان أسود الطيلسان
هرب النوم عن جفوني فيها هرب الأمن عن فؤاد الجبان
قال صحبي في لجتين من الحنـ ـدس والبيد إذ بدا الفرقدان

فها هي صورة الليل، والنجوم، والصاحب، وهرب النوم، عند كلا الشاعرين واحدة وإن افترقا في الغاية، والمرمى، والإنشاء، وحال أبي ماضي هي حال الأستاذ الشاعر محمد سعيد الخنيزي في قصيدته «إليها»، فهي أيضًا منسوجة على نول قصيدة إيليا أبي ماضي «ابنة الفجر»؛ فكلا القصيدتين تحملان وصايا الشاعر لحبيبته بعد الموت، يقول أبو ماضي:

أنا إن أغمض الحمام جفوني ... ودَوَى صوت مصرعي في المدينه
ورأيت الصحاب جاثين حولي ... يندبون الفتى الذي تعرفينه
وإذا زرتِني، وأبصرت وجهي ... قد محا الموت شكّه، ويقينه
زايل النور مقلتيه، وغابت، ... تحت أجفانه، المعاني المبينه
زوِّدي الراحل الذي مات وجداً ... بالذي زوَّد الغريقَ السفينه
وانثري الوردَ حولَهُ، وعليه ... واغرسي عند قبره ياسمينه

هذه الصُّوَر مُفَرَّقة عند أبي ماضي، وجمعتها لمقابلتها بصُوَر الخنيزي التالية:

أنا إن مِتُّ في غدٍ وتحوَّلـ ... ـتُ خيالاً يطوف بالأذهان
وتحوَّلتُ هامدَ الحِسِّ كالأحـ ... ـجار غاب الشعاع في أجفاني
القضا جَهَّمَت يداه محيا ... ي، وأمسيتُ طُعمة الديدان
نفرَ الصحب خائفين كأن لم ... أكُ، بالأمس، زينة الندمان
زوِّديني بنظرة من فؤادٍ ... نظرة للوداع، والحرمان
واقطفي وردةً، وميلي على القبـ ... ـر، وروِّيه بالدموع القواني

وثمة صور أخرى مفرَّقة في القصيدتين لكنها لا تضلل القارئ؛ إليك بعضها:

وتمشى في الإرض داراً فداراً ... فسمعتِ دَوِيَّه، ورنينه
افتحيه إذا سمعت صدى النا ... عي يدوي بصوته الرنان
غالبي اليأس، واجلسي عند نعشي ... بسكون، إني أحب السكينه
إن بدا نعشي الذي جللته ... كبرياء الممات والأحزان
فاهجري المخدع الجميل وزوري ... ذلك القبر ثم حيي قطينه
ثم زوري المساء ضفتي الخضـ ... ـرا كهمس النسيم في الأفنان
حيث أقسمت أن تدومي على العهـ ... ـد، وآلى بأنه لن يخونه
هل تصونين عهدنا يوم كنا ... كطيور الربيع في الأغصان؟
حيث علَّمته القريض فأمسى ... يتغنى كي تسمعي تلحينه

حين كنا نستلهم الحب شعراً   في ظلال الغرام عند المحاني

فها أنتَ تَرى وتيرة التناظر واحدة في القصيدتين دون أن يترك التباين، في فحوى الوصية، أيَّ فرق في الصور، والأفكار؛ بل ولا حتى في سرد الذكريات.

وفي هذا السياق يأتي نزار قباني، وهو من أشهر من وصف بالتجديد، والإبداع في هذا العصر، فهل خلا شعره من معان سُبِق إليها؟ لنأخذ مثلاً قوله:

وكان الوعد أن تأتي شتاءً   لقد رحل الشتا، وأتى الربيع

ونقيسه على قول شاعر قديم:

وعدتَنا موعداً تأتي لنا عجلاً   لقد مضى الحول عنا ما رأيناكا

وقوله: حبيبتي، إن يسألوك عني،   يومًا، فلا تُفَكِّري كثيرا

قولي لهم بكل كبرياء   يُحبُّني، يُحِبُّني كثيرا

فهو أشبه بقول تقي الدين السروجي:

بالله إن سألوكَ عنِّي قل لهم   عبدي، وملك يدي، وما أعتقته

أو قيل: مشتاق إليك فقل لهم: أدري بذا، وأنا الذي شوقته

ولعل خازن عبود كان أسبق من نزار إلى أخذ هذا المعنى في قوله:

فإن سألوك عن حبِّي   وعن شعري، وألحاني

فتيهي، وانتشي طرباً   وقولي: كان يهواني

وأحمد شوقي، وهو من سمِّي أميرَ الشعراء بلا استثناء، وفضَّله بعضهم على المتنبي*، وعَقَد لذلك مقارنة استغرقت مؤلفًا كاملاً[1]، سأقف معه وقفة متأنية أثناء مناقشتي لنقد السيد عز الدين التنوخي لشعر أبي البحر[2]. أمَّا هنا فسأكتفي بقوله:

وخططنا في نقى الرمل فلم   تحفظ الريح، ولا الرمل وعى

فهو مأخوذ من قول ذي الرمة:

أخط، وأمحو الخط ثم أعيده   بكفَّيَّ، والغربان في الدار وقع

وقوله: أتيتَ والناس فَوضى لا تمرُّ بهم   إلاَّ على صنم قد هام في صنم

فقد أخذه من قول محمد بن وهب الحميري:

---

(١) أفرد شوقي ضيف كتاباً كاملاً لإثبات تقدم أحمد شوقي على المتنبي* أسماه: بين شوقي والمتنبي.

(٢) دفاع عن الخطي الملحق «١» جـ ٢/١٦١، وما بعدها.

أيَّامَ تُتَّـخَـذ الأصنامُ آلهـةً   فلا ترى عاكفًا إلاّ على صنم

وخلاصة القول إن القدماء وضعوا قواعد لتمييز الشعر المسروق، مرّ بنا بعضها، وبعضها الآخر سيأتي الحديث عنه في مناقشتنا لنقد الأستاذ عز الدين التنوخي في الملحق « ١ ».

فإذا نحن أخضعنا شعر أبي البحر الخطي لهذه القواعد فسنجد أن السرقة فيه ضئيلة جداً، بل نكاد نجزم ببراءته منها حتى في قوله:

أعلمت من حملوا على أعوادهم؟   ألمجدَ قد حملوا على الأعواد

مع ما فيه من إغارة صريحة على قول الشريف الرضي*:

أعلمتَ من حملوا على الأعواد؟   أعلمتَ كيف خبا ضياء النَّادي[1] ؟

لو لا تأخره عنه في جودة الصياغة. أمّا المعنى فهو متداول، فقبل الرضي قال محمد بن بشير الخارجي:

أقول، وما يدري أناس غدوا به   إلى اللحد ما ذا أدرجوا في السبائب؟[2]

وعنه أخذ عبد الله بن أيوب التيمي، وقيل مسلم بن الوليد، قوله:

أتدري من نعيت؟ فكيف فاهت   به شفتاك؟ كان به الصعيد[3]

وجاء ابن الجوزي بعدهم فنقل المعنى بقوله:

أتراها علِمَت من حملت ؟   ليتها قد عرَفت من في ذراها[4] !

على أن معظم معانيه التي أخذها من غيره مزيج من الشائع المتداول، وماكان منه غير متداول فقد أجاد فيه بحسن الصياغة، وجميل اللفظ كقوله:

وحظًا لو استسريتُ ناسِمةَ الصَّبا   شتاءً لأسراها أحرَّ من الجمر

فمع أنَّ معاكسة الحظ معنى قد تعاقب عليه عدد من الشعراء منهم إسماعيل بن حمدويه الحمدوي «الحمدوني؟» في قوله:

قد قلت إذ خرجوا لكي يستمطروا   لا تقنطوا، واستمطروا بثيابي[5]

---

(١) ديوانه جـ ١/٣٨١.

(٢) السبائب، جمع سبيبة؛ شقق رقيقة من الكتّان. يريد: الكفَن.

(٣) أمالي القالي جـ ٢/٨٦، ووفيات الأعيان جـ ٦/٣٣٨.

(٤) المدهش ص: ١٤١.

(٥) ديوانه، وزهر الآداب جـ ٣/٥٥٦.

لو في حـيـزرانٍ همـمت بغسلهـا　　غطَّى ضـيـاءَ الشـمس جوٌّ سـحاب

وهذا من قول الشاعر:

ولو انِّي أردتُ غسـل ثِيـابي　　في حُيزران كـان يومًا مطيرا

فالخطي نَقَل المعنى من المطر إلى البرد، واختصر بيتي إسماعيل في بيت واحد، وجاء بديباجة شعرية أرقَّ نسجًا منهما، وأكثر إشراقًا، وأرقى صياغة.

* * *

عيوب شعره

بعد هذه الرحلة في شعر أبي البحر نعرض لما وجدناه في شعره من عيوب مع ما نعلمه من أن المآخذ والعيوب لم يخل منها شعر أحد من الشعراء قبله حتى أعاظم الشعراء كامرئ القيس، والمتنبي، وأندادهما. فمما وجدناه من عيوب في شعره استعماله لتعبيرات المناطقة كقوله:

أنا الذي ضاق بي دهري وضقت به فنحن، عند اتحاد الوصف، مثلان

و: ردُّوه أحي بردِّه، أو فالحقوا كلِّي به، فالحي لا يتبعَّض

و: أصبحَت أثقلَ منِّي نملةٌ فزِنُوا بي بعضَها يرجح بكُلِّي

ومن أثر الفلاسفة:

كيف نسلو، والتسلِّي عنهمُ كُلفةٌ تحدُث، والوجدُ جِبلِّي؟

إلاَّ أنَّ هذا مما ندر في شعره؛ مثله، في ذلك، مثل أثر العروضيين؛ إذ لم نقف على شيء منه سوى قوله:

ومشحُوذ عَزمٍ لم يُصِب وزنَ فاعلٍ من الخطب، إلاَّ ارتدَّ وزن فعيل

ومن صنعة الخطاطين:

فوقه حاجبٌ كما حقَّقَ الكا تبُ نُونًا في طِرسِه تحقيقا

العامية

وقفنا له على يسير من الكلمات العاميَّة الدارجة في بلده؛ مثل قوله:

تجوسُ خلالَ البحر تطفح تارةً وتَرسُو رُسُوَّ «الغَيص» في طلب الدرِّ

وقوله: له «دُربنكةٌ» تُوليك بَهراً إذا ظلَّت تُقَهقه حين تُجلَد

وقوله: لَبدرٌ غاب قبلَ تمام نَورٍ وغُصنٌ جَفَّ قبل تمام «دَرز»

وقوله: أو فاتخذ لك منشاراً و«قشترة» وكن كنوحٍ، نبيِّ الله، نَجَّارا

وقوله: تغيَّر ودُّ هذا الناس جَمعًا فلا أدري، بلومي، من أبدِّي

ولكن هذه العاميَّة، على نُدرتِها، تُرى غالبًا في شعره الهزلي كأنما هو يقصدها قصداً إمعانًا في الفكاهة والتظرف؛ وإلاَّ فاستبدالها بألفاظ فصيحة سهل غير

مستصعب. فالدربنكة: من آلات الطرب صغيرة تشبه الطبل. وكان بوسعه استبدالها بكلمة قيثارة. والقشترة: من آلات النجارين صغيرة تسمَّى المسحج «Spokeshave». ولو استعمل مكانها كلمة مقشرة لوفت بالغرض. ومن ذلك أيضًا:

وادَّعى رتبة البلاغة في القو ... ل غَبيٌّ لم يَدرِ «أيش» يقول

فهل ندَّ عن باله أنَّ كلمة «كيف» الفصيحة تقوم مقام «أيش»؟ يقينًا لا. ومثل هذه الألفاظ العامية أمسكنا به مختلسًا بعض تعبيرات بلده العاميَّة مثل:

فاسلموا، وانعموا، وإن رغم الأعـ ... ـداءُ، في رِفـعـةٍ، وعـزِّ جناب

فهذا من دعائهم: «سالمين غانمين» وهو إتباع. ومن ذلك، أيضًا، قوله:

والعتيق المصري، في ألسن الأ ... مَّةِ طرًا، ولا الجديد البصري

فهو من أمثالهم الشائعة: «العتيق المصري ولا الجديد البصري» يضربونه للمفاضلة بين الشيئين، ومنه قوله:

قم «غير مأمورٍ عليك» وجدَّ في ... تقصير عمر الوعد طالَ لك البقا

مأخوذ من قولهم: «بدون أمرك عليك». و قوله:

إن دُعي مـاجـداً سواك من النا ... سِ فمن «سائر الكلام» الهذر

وكلمة سائر فصيحة لكنَّ التعبير هنا من عاميَّة بلده.

اللغة الفارسية

وصاحبَت هذه الألفاظ، والتعبيرات العاميَّة، على ندرتها، بعض ألفاظ فارسية تجدها في ديوانه مثل:

يحكي خدودِ البيض سائر لونها ... و«كنارها» في حمرة الوجنات

كنار: فارسيَّة معرَّبة، معناها الحاشية. ومنه قوله:

فظلَّ، ولا عَـلاة القَين تحكي ... قساوتَه، ولا متن «الطبرزد»

الطبرزد: الفأس، والسكر الذي قُطِّع بالفأس. وهنا: رأس القند، وهو مخروط يصنع من سُكَّر القَصَب. وقوله:

روح جسم الكمال. «شاهين» ميزا ... نِ المعـالي. إنسـان عين الدهر

والشاهين لسان الميزان. فارسية معرَّبة، وقوله:

فما ضَرَّ المَنِيَّة لو أصابت   أخاه فافتـدت شاهًا بفرز

والشاه: الملك في لعبة الشطرنج. أمَّا الفرز فأصلها فرزين، وقد عربت إلى فرزان، وهو في أحجار الشطرنج: الوزير. ولا غرابة في استعمال شاعرنا ألفاظًا من اللغة الفارسية؛ فالرجل يجيدها، وقد ترجم منها إلى العربية، شعراً، بيتين سنقرؤهما في ديوانه[1]. ثم إنه ينبغي ألا ننسى أنَّ تمازج الحضارات، وتساقي الثقافات أمر حتمي. وصاحبنا ليس بدعًا من الشعراء. وله واسع العذر في إدخال المفردات الأعجمية ما دامت مما أدخله العرب في لغتهم، واشتملت عليه معاجمُهم. بل إن ما وجدناه في شعره، منها، أخف وطأة على الذوق مما نجده في الشعر الجاهلي كقول امرئ القيس* في معلقته:

مهفهفة بيضاء غير مفاضةٍ   ترائبها مصقولة كالسجنجل[2]

وقول أوس بن حجر، أو النابغة الذبياني:

وقاربت، وهي لم تجرب، وباع لها   من الفصافص والنُّمِّيِّ سفسير[3]

أو قول الأعشى:

فذاك، وما أنجى من الموت ربَّه   بساباط حتى مات وهو محزرق[4]

وقول المثقب العبدي:

فأبقى باطلي والجِدُّ منها   كدكَّان الدرابنة المطين[5]

وقول أبي دؤاد:

فسرونا عنه الجِلالَ كما سُـ   ـلَّ، لبيع اللَّطيمة، الدخدار[6]

* * *

(١) راجع البيتين في الديوان في تقديم قصيدة يمدح فيها وزير البحرين "ركن الدين محمود" جـ ١/١٦٤.

(٢) السجنجل: المرآة بالرومية. راجع: ديوانه ص: ١٥.

(٣) ورد البيت في ديواني النابغة، وديوان أوس بن حجر منسوبًا لكليهما. والفصافص. جمع فصفصة: الرَّطب من القَتّ «علف للماشية»، وأصلها الفارسي: اسفست، والنميُّ: فلوس الرصاص، «رومية»، والسفسير: فيه كلام طويل نختار منه المقصود هنا وهو القيم على شؤون الإبل والعناية بها. راجع ديوان النابغة الذبياني ص: ٥٠، وديوان أوس بن حجر ص: ٤١. والتاج، واللسان.

(٤) ساباط: ناحية بمدائن كسرى، ومحزرق، ويروى: محرزق: مُضَيَّق عليه. راجع: ديوانه ص: ١١٧، ومعجم البلدان جـ ٣/١٦٦، والمزهر جـ ١: ٢٨٩، وفيه كثير من هذا.

(٥) الدرابنة، جمع دربان بالفارسية: البوابون. راجع: أدب الكاتب ص: ٣٨٩ - ٣٩٠، والمعجم الذهبي.

(٦) الدخدار: معرب تخت دار: الثوب أو الملاءة. فارسية. راجع: أدب الكاتب ص: ٣٩٠، والمعجم الذهبي.

تساهله في اللغة

وقرأنا له، أيضًا، شيئًا من التجاوزات تساهل فيها باللغة تساهلاً يَنِمُّ عن ذكاء وحذق؛ حتى لا يكاد يُحَس، معه، بذلك التساهل، فمنه قوله:

إن يُصبِنِي ذكرُ الدِّيار فإنَّه   لإناث «أصبية»، بها، وذكور

فاستعمل الأصبية جمعًا لصَبِيَّة، والصواب أنَّها جمع لصَبِيٍّ، وقوله:

أترى النعاةَ درت بمن هتفت به   أو من عنت لما نعت «بنعائها»

وقوله: فظلنا حين جدَّ بنا نُعاه   وقد ضاقت بنا سعة المجالِ

والنعاء: صوت السِّنَّور، والصواب نعيها في البيت الأول، ونعيه في البيت الثاني، ولمن يريد أن يلتمس له عذراً أن يحتجَّ بقول أبي تمام*:

نعـاء إلى كل حيٍّ نعـاء   فتى العرَب اختطَّ ربعَ الفناء (١)

ومن تساهله باللغة قوله:

لهفي على كوكبٍ حلَّ الثرى، وعلى   بدرٍ تبوَّأ، بعد الأبرج، الرُّجُما

فجاء بالأبرج جمعًا لبُرج، والصواب: أبراج، وبروج، ومن ذلك التساهل قوله:

والفعال التي نطقن فأفصحـ   ـنَ بما طبن عن أصولٍ طيابِ

فأتى بـ «طياب» غير مشددة الياء، والصواب طُيَّاب؛ بتشديدها، ومن ذلك قوله:

أو فاتخذ لك مزماراً، ودبدبةً   وعش، لك الخيرُ، طبَّالاً، وزمَّارا

والدبدبة صوت الطبل، واستعمله للطبل؛ من قبيل تسمية الشيء بمتعلقه، ولعل تساهله بأمر اللغة هو الذي قاده إلى الوقوع في أخطاء لغوية لم نجد له عذراً في الوقوع فيها، وإن سترها برقيق الصياغة، ورشاقة المفردة؛ كقوله:

لا تحسبوها أنَّها كتبت لكم   بسوادِ حبري بل سوادِ نظيري

والنظير: النِّد، والمثيل، ومراده: الناظر، أي العين.

التضمين

التضمين، عند نقدة الشعر القدماء، أربعة ضروب؛ ثلاثة منها جيدة، والرابع عدُّوه من أقبح عيوب الشعر، فأما الجيد الأول فيسمى: «الإستعانة»، وهو أن يستعين

(١) ديوانه ص ٣٠٨.

الشاعر ببيت لغيره على سبيل التمثُّل، ويشترطون لهذا الضرب أن يمهِّد الشاعر للبيت المراد الإستعانة به تمهيداً لطيفًا يدل على أن البيت ليس له، كي يتَّقِيَ مَضَنَّةَ السرقة إذا كان البيت غير مشهور، وينبغي أن يتجنَّب الشاعر هذا التمهيد إذا كان البيت مشهورا وإلاَّ عَدُّوه سارقًا، أو قليل الإطلاع، وهذا غريب، ومع ذلك فإنهم يُجيزون له التصرف بتغيير بعض أجزاء البيت الذي استعان به، والضرب الثاني أن يُضمِّنَ الشاعر بيتًا من نظمه هو، ويسمى هذا الضرب: «التشهير»، والثالث: أن يُضَمِّنَ ألفاظًا تكون لأخبارٍ أو قصص سالفة، ويُسَمُّون هذا النوع: «العنوان». وأمَّا الضرب الرابع من التضمين فقسموه إلى قسمين: الأول منهما يسمونه: «الإقتضاء»، وهو أن يتعلَّق المعنى في بيت بمعنى مرتبط به ارتباطًا عضويًا في البيت الذي يليه، أي أن في البيت الأول اقتضاء للبيت الثاني، كقول عمر بن أبي ربيعة *:

فلما تَقضَّى الليلُ، إلاَّ أقلَّه، وكادت توالي نجمه تَتَغوَّر
أشارت بأنَّ الحيَّ قد حان منهمُ هُبُوبٌ، ولكن مَوعدٌ لك عَزورُ (١)

أما الثاني فعدُّوه من أقبح عيوب الشعر، وهو أن يُعَلِّق المعنى في قافية بيت فلا يتمُّه إلاَّ في البيت الثاني(٢) كقول النابغة *:

وهم ورَدُوا الجفار على تميمٍ* وهم أصحاب يوم عكاظَ، إنِّي(٣)
شهِدتُ لهم مَواطِنَ صادقاتٍ أتيتهمُ بِرَدِّ الصدر منِّي

فإذا نظرنا إلى شعر الخطي فسنجد فيه ترديداً للضروب الثلاثة الحسنة، فمن تضمين الإستعانة قوله مضمنًا بيتين لأبي تمام*:

سأقول، والأمثال يرسلها الفتى، في ما يشاء، مقالة المتمثِّل
(نقِّل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحبُّ إلاَّ للحبيب الأول
كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى وحنينه، أبداً، لأول منزلِ)

وقوله مضمنًا بيتين للحريري صاحب المقامات:

إنِّي لأنشد، إذ خيَّبتما أملي، بيتًا لبعض ذوي الألباب، والفطَن
(ما كنت أوَّل سارٍ غرَّه قمر ورائد أعجبته خضرة الدِّمَن)

ومن تضمين التشهير قوله لنفسه:

---

(١) ديوانه ص: ١٢٤.
(٢) التعريفات ص: ٨٤، والعمدة جـ ١/١٧١، وجـ ٢/٨٤، ومعاهد التنصيص جـ ٤/١٥٢ - ١٦٦، والموشح ص: ٥٢.
(٣) ديوانه ص: ١٣٨، والجِفار: مواضع عدة، والمراد هنا ماء لبني تميم*. راجع: معجم البلدان جـ ٢/١٤٤.

تشاركني الورى في الشعر ظلماً   على أنّي المبرِّز فيه وحدي

وقوله في قصيدة أخرى:

تشاركني الورى في الشعر دعوى   على أنّي المبرِّز فيه وحدي

وقوله:

أساغ، على رغم الحوادث، مشربي   وأعذب ورد العيش لي بعد إمرار

وقوله في قصيدة أخرى:

أساغ، على رغم الحوادث، مشربي   وبلّغني، مما أحاول، سولي

وسيجد القارئ أمثال هذه التضمينات في مواضعها من الديوان مؤطرة بحواصر مميزة تريحه من مشقة البحث، وعناء التنقيب.

أمّا الضرب الثالث، وهو «العنوان»، فشواهده في الديوان كثيرة، منها قوله:

فإن قراري عندها واستكانتي   على خجلي منها وفرط حيائيا
يرد على ابن العاص عمروٍ حياءَه   ويلبس عرضي عنه تلك المخازيا

وأكثر ما وجدناه له من هذا الضرب ما اشتملت عليه رائيّته التي يشكو فيها السيد ناصر القاروني* إلى السيد ماجد الصادقي* كقوله:

واحتجاج يلقى به ماقا   بل موسى به رجال السحر
وقريض لو اجتلاه امرؤ القيـ   ـس* تمنّاه والداً دون حجر

وقوله في نفس القصيدة:

لا تَكِلني إلى بني زمن أنـ   ـتَ بإقبالهم على الشُّح تدري
فأكن في استغاثتي بك من أيّـ   ـام دهري كالمستغيث بعمرو*

ومن القسم الأوّل، من الضرب الرابع، وهو الإقتضاء، قوله من قصيدته السبيطية:

أيرضيكما أنّ امرءاً من بنيكما   وأي امرئ للخير يدعى وللشر
يراق، على غير الضُّبى، دم وجهه   ويُجرى على غير المثقّفة السمر

وقوله: فظللنا، حين جدّ بنا نعاه   وقد ضاقت بنا سعة المجال؛
كشَرب طوّحت بهم شمولٌ   فطاحوا لليمين وللشمال

ومع ما لاحظناه من تردد تلك الضروب المستجادة من التضمين في شعره فإننا لم نجد من الضرب الرابع القبيح إلاّ مورداً واحداً يتيماً هو قوله من قطعة هزلية يجيب بها

السيد ناصر القاروني* على أبيات كتبها في سمك يعرف بالكسكوس:

لا ترى الآكلَ منه ألفَ رطلٍ يتملاَّ
ما تراءى من بعيد لي يومًا قطُّ إلاَّ
سلَّم القلب عليه وعليه البطنُ صلَّى

الغلو

الغلو قديم قدم الشعر العربي، اقترفه امرؤ القيس*، والمهلهل، وعمرو بن كلثوم، وزهير بن أبي سلمى، وحسان بن ثابت، وبعدهم تبارى فيه الشعراء قصداً للتعجيز، ومباهاة بالقدرة، فما أن يظن شاعر أنه غلب سابقيه في معنى؛ حتى يأتي غيره محاولاً التفوُّقَ عليه، وهكذا دواليك، ولقد صالوا في هذا الباب وجالوا، فمنهم من تظرَّف في خفة روح، ورشاقة عبارة كالشريف الرضي* في قوله:

يا ليلةً كاد من تقاربها يعثر فيها العشاء بالسَّحَر[1]

ومنهم من المفرط الفكه؛ مثل المؤمل في قوله يصف رشاقة حبيبته:

من رأى مثلَ حبَّتي تشبه البدر إذ بدا[2]
تَدخُل اليَومَ ثمَّ تد خل أردافُها غدا

ومنهم من سرف، واشتطَّ في الإسفاف؛ كإبراهيم بن سيَّار النظام في قوله:

نظرت إليه نظرةً فتحيَّرت دقائق وهمي في جليل صفاته[3]
فأومى إليه الوهم: إني أحبه فأثَّر ذاك الوهم في وجناته

ومهيار الديلمي في قوله[4]:

بكيت على الوادي فحرَّمتُ ماءَه وكيف يحلُّ الماء أكثره دم؟

وابن الجوزي في قوله:

رُدُّوا المطايا وإلاَّ ردَّها نَفَسي وأدمعي؛ فهما سيلٌ ونيران[5]

ومثل هذا كثير، لكنه، وأمثاله من المبالغات، لا يعدو تلاعبًا بالمعاني يُقصَدُ لذاته بَرهَنَةً على المقدرة في الإبتداع، إلاَّ أنَّ بعضهم قد تعداه حتى تجاوز إلى الرقَّة في

(١) ديوانه جـ ٥١٨/١.
(٢) أحسن ما سمعت ص ١١٣.
(٣) أنوار الربيع جـ ٢٤٢/٤.
(٤) ديوانه جـ ٣٤٤/٣.
(٥) المدهش ص: ٣٧٠.

الدين، وسوء الأدب، فوصل بهم الأمر إلى التجانف على الأنبياء؛ كأحمد البلاذري المؤرخ في قوله يمدح المستعين العباسي:

ولو أنَّ بُردَ المصطفى إذ لبستَه   يَظُنُّ لظنَّ البُردُ أنَّك صاحبه[1]
وقال، وقد أعطيتَه ولبسته: نعم؛ هذه أعطافُه، ومناكِبُه

بل بلغ ببعضهم الحال أن أقام ممدوحَه مقام الخالق، جلَّ وعلا، كما فعل أبو القاسم محمد بن هانئ الأندلسي في قوله يمدح المعزَّ لدين الله الفاطمي:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار   فاحكم فأنت الواحد القهار[2]
وكأنما أنت النبيُّ محمد*   وكأنما أنصارك الأنصار

ومثل كلثوم بن عمرو العتَّابي في مدح جعفر بن يحيى البرمكي:

ولم تزل، دائبًا، تسعى بلُطفك لي   حتى اختلست حياتي من يَدَي أجلي[3]

وأيُّ شيء أعجب من إفراط هؤلاء الشعراء حتى أن بعضهم لا يبالي أن يجازف بحياتِه ثمنًا لمغالاته؛ كعلي بن جبلة المعروف بـ «العكوَّك»، حيث استحل المأمون العباسي دمه بذريعة أبيات قالها في أبي دُلَف، القاسم بن عيسى العجلي، منها[4]:

أنت الذي تُنزِل الأيامَ مَنزِلَها   وتنقُل الدهرَ من حالٍ إلى حالِ
وما مددتَ مدى طَرفٍ إلى أحد   إلاَّ قضيتَ بأرزاقٍ، وآجالِ

وكابن الرومي في قوله يمدح إسماعيل بن بلبل:

في كفه قلمٌ ناهيك من قلمٍ   نُبلاً، وناهيك من كفٍّ بها اتشحا
يمحو، ويثبت أرزاقَ العبادِ به   فما القاديرُ إلا ما وحى ومحا

وابن بلبل، هذا الذي لا تجري المقادير إلاَّ بأمره، عجز أن يجريَها كي تجنِّبَه مصيره البشع الذي انتهى إليه في سجن المعتضد العباسي، حيث قتل أبشع قتلة[5].

رقة الدين هذه جرَّت أولئك الشعراء إلى التهاون بقدسية الذات الإلهية، والرسول الأعظم* (ص)، ومن العَجَب أن يخضع أبو البحر لتقاليد منحطَّة لأدب عصره المولع أهله بالمجاراة، والمعارضات إلى حَدٍّ حمله على مجاراة سابقيه حتى في الإغراق، والمبالغة

---

(١) نفسه ص: ٢٤٢.
(٢) ديوانه ص: ١٤٦.
(٣) معجم الأدباء جـ ٢٧/١٧.
(٤) ديوانه ص: ٥٩،
(٥) راجع قصة قتله في نشوار المحاضرة جـ ١٥١/١.

السمجة، والغلو الفاحش، والإحالة؛ ففي ديوانه قصيدة يتشوّق فيها إلى بلده القطيف* مطلعها:

يا ساكني الخط*، في قلبي لكم خُطَطٌ   معمورةٌ، بمعانيكم، مغانيها

هذه القصيدة أثقلها بالغلو على الرغم مما يجيش في أبياتها من حرارة الشوق والحنين إلى الأهل، ويظهر التكلف والتعمل جليًا في بعض أبياتها بسبب تعمده تصيد معاني المبالغة، والغلو بقصد مجاراة أولئك الشعراء كقوله:

ومُستميتُ السُّرى لو مَرَّ ناسِمُهُ   بِشَعرَةٍ لم يَكَد مسراه يَثنِيها

وقوله:

لقد تضاءَل حتى لو قذفت به   في مقلة ما أحسته مآقيها

وقوله:

وعبرة لو دُعِي نوحٌ ليسلكها   بفلكه قال: بسم الله مجريها

فلو بحثنا عن هذه المعاني عند سابقي الخطي؛ فسنجد أن المعنى الأول من قول الأعشى:

ولو أنَّ ما أبقَيتِ مِنِّي معلَّقٌ   بعود ثُمام ما تأود عودها

أمَّا الثاني فهو من قول ابن العميد محمد بن الحسين البويهي:

لو أنَّ ما أبقيت من جسمي قذىً   في العين لم تمنع من الإغفاء

وقول سعيد بن هاشم الخالدي، أبي عثمان:

وأنحلني بالهجر حتى لو انني   قذىً بين جفنَي أرمدٍ ما توجَّعا

وقول الخبزارزي:

وذبت حتى صرت لو زُجَّ بي   في مقلةٍ النائم لم ينتبه

وأمَّا المعنى الثالث فمن قول عبد الله بن المعتزّ:

مررت على الفرات وليس تجري   سفائنه لنقصان الفرات
فلمَّا أن ذكرتُكِ فاض دمعي   فأجراهنَّ جري العاصفات

وأبيات الخطي هذه، كما ترى، مع ما فيها من الإتباع والإحتذاء، تخلو مما نلاحظه في عموم شعره من الجودة، والرقة، والعذوبة.

ويزداد ثقل المعاني وسماجتها، أكثر فأكثر، في الأبيات التي جارى فيها بعض سابقيه في رقة دينهم؛ رغمًا عما نجده في ديوانه من شعر طافح بعمق الإيمان،

والتقوى؛ كالذي كتبه في المناجاة، والموعظة؛ فليته نأى بنفسه عن هذا الغُلُوِّ المسفِّ! ولاسيَّما أنَّ موضوع القصيدة من المواضيع الوجدانية التي أبدع فيها الشاعر، وأجاد أيما إجادة؛ ألا وهي الحنين إلى الأهل والأرض، فقد أساء لنفسه، ولشاعريته في هذه القصيدة إساءَة يصعب تلمُّسُ العذرِ له فيها؛ خصوصاً في قوله:

وزفرة لو ثَوى، اليومَ، الخليلُ بها   أودى، ولم يُغنِ عنه بَردُه فيها

أو قوله:

تلقي لكم جسداً لو أن عِلَّتَه   يُدعى المسيحُ لها ما كان يُبرِيها

ولم يقتصر غلوه عند هذا حتى اشتطَّ موغلاً بعيداً واصفًا اقتداره في الشعر:

حتى تمطَّى على العلاَّت ذو مرحٍ،   من فطنَتي، سابقٌ في كلِّ مَيدان

لا ينثني دون أن يسمو لغايته   كأنَّه وقضاء الله سِيان

وشبيه بهذا قوله يمدح السيد بدر بن مبارك المشعشي*:

قريعُ وغىً لو بارز الموتَ لم يكن   ليرجعَ إلاَّ في ثياب قتيل

وقوله في وزير البحرين* ركن الدين محمود بن نور الدين بن شرف الدين*، ومولوده:

مَحَوا آية النهارِ فعادت   آية الليل ما لها من ماحي

وحتى غزله لم يخل من الغلو، كقوله:

تمجُّ ألحاظها حتفًا تولَّد عن   سحرٍ يشقُّ عصا موسى بن عمران

وقوله:

أورثننا سَقمًا ما للمسيح يدٌ   ببرئه، لا ولا للشيخ لقمان

وينبغي أن نتفَّهم سبب ترديد ذكر المسيح عنده على هذه الصورة؛ كما في قوله:

أحدثت في الدين كلمًا لو أتيح له   عيسى بن مريم يأسوه لما التحما

فغيرُ بعيدٍ أن تكون لذلك صلَة بتأثُّر نفسيَّة الشاعر مما يشاهده من فظائع ارتكبها أتباع المسيح (ع) في بلده، ومع ذلك يبقى مثل هذا الشطط غير مستساغ، وما كان ينبغي لشاعر مثل أبي البحر أن يُسفَّ إليه بأيَّة ذريعة.

* * *

إبداعاته

قضيَّة الإبتكار والتقليد في الشعر العربي قضية حُسِمت منذ أن سأل عنترة العبسي[١] : « هل غادر الشعراء من مُتَرَدِّمِ؟ » ، وأجابَه كعب بن زهير[٢]:

« مـا أرانا نقـول إلاَّ مُـعـاراً   أو مُعاداً، من قولنا، مكرورا »

فإنَّ ما يلاحظ في ديوان الشعر العربي من أبيات تضمَّنت معانيَ، أو صوراً، متفرِّدة لم يتداولها أحد قبل ناظمها الأول؛ هي كالكبريت الأحمر، أو أقلُّ نُدرَةً؛ فإنَّ معنىً مثلَ قول ذي الرمَّة:

يقطِّع موضونَ الحديث ابتسامُها   تقطُّعَ ماء المزن في نُزَف القطر[٣]

أو قول الراعي النميري[٤]:

وحديثُها كالقطر يسمعه   راعِي سنِينَ تتـابعت جَدبا

أو قول الشريف الرضي:

وتَلَفَّتَت عيني، فمذ خَفِيَت   عنِّي الطُلُول تَلَفَّتَ القلب

أو قول أخيه المرتضى[٥]:

وخذا النوم من جفوني فإنِّي   قد خلعت الكرى على العشاق

أو قول عشرقة المحاربي[٦]:

جَـرَيتُ مع العُـشَّاق في حَلبة الهوى   فـفُـتُّـهمُ، سَبقًـا، وجِئت على رَسلي
وسُـربِلتَ ثوبَ الحبِّ مُـذ أنا يافعٌ   ومُـتِّـعت منه بـالصُّـدود، وبالوصل
فـمـا لبس العـشـاق من حُلَل الهـوى   ولا خلعـوا إلاَّ الثـيـابَ التي أبلي
ولا شـربوا كـأسًـا، من الحب، مُـرَّة   ولا حُلوةً إلاَّ شـرابُـهُـمُ فَـضلِي

أو صورة كالتي يرسمها عدي بن الرقاع بالحروف في قوله:

---

(١) ديوانه ص ١٥١.

(٢) يَنسِب بعض الأدباء هذا البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في ديوان ولده كعب من قصيدة مطلعها:

إن عُرسي قد آذنتني أخيرا   لم تعرِّج، ولم تُؤمِّر أميرا

راجع الهامش «٩» جـ ١/٢٥٨- ٢٥٩، و ديوان كعب بن زهير ص ٢٦١.

(٣) ديوانه ص ٤٤١.

(٤) أمالي القالي جـ ١/٨٤.

(٥) ديوانه جـ ٢/٢٠٣.

(٦) سمط الآلي جـ ١/١٣١.

وسنان أقصده النعاس فرنَّقت   في عــينه سِنةٌ وليس بنائم

ومثل تلك التي رسمها العتبي بقوله:

وكنَّ إذا شاهدنني أو سمعن بي   سعينَ فرقَّعن الكُوى بالمحاجر

أو التي رسم بها أبو الطيب المتنبي* سيف الدولة الحمداني في شجاعته:

وقفتَ، وما بالموت شكٌّ لواقف   كأنك في جفن الردى وهو نائم

هي أبياتٌ يَعِزُّ نَظيرُها في الديوان العربي، فهل لأبي البحر شيءٌ من هذه الصور والمعاني المبتكرة؟

لا أشك في أن الجواب بنعم مجازفة قد تضع قائلها موضع المتهم بالمحاباة حتى أمام القارئ المتسامح، فشاعرنا قليل الإهتمام بالمعانى، وربما عُزِي ما نجده عنده من التقليد والإتباع إلى هذا السبب. أمَّا الصورة فواضح أنه مبدع فيها، وفي ديوانه كثير من ذلك الإبداع، ولو استعرضناها لطال الحديث، هاك مثلاً تصويره لتغريد البلابل في بستان القميعيات:

ألِفَت بلابِلُه الصفِيرَ فردَّ ذا   ما قال ذاك؛ تسابُبَ الجارات

هذه صُورة مستلَّة من واقع البيئة، فيها ابتداع وطرافة، وانظر أيضًا إلى تصويره جو ذلك البستان في قوله:

لا شيءَ أبهجُ منظراً من صَحوه   والشمسُ فيه كدارة البَلُّور
وإذا أغام أراك خيمة سُندُسٍ   غَشَّى سماوتَها دُخانُ بَخُور

فأنت هنا أمام خيمة من السندس متموِّجة بعَبَق البخور، ومن صُوَره المبتكرة قوله: ومَجَرُّ أرسانِ الجياد كأنها   فوقَ الصعيد مساربُ الحيَّات

وقوله يصف الخمرة:

مزجوها فقيَّدوها فلو تُتـ   ـرك صرفًا طارت بغير جناح

فهذه ليست صورة فنيَّة وحسب؛ وإنما هي لفتة علمية تخبرنا بمعرفة القوم بخاصة التبخر في الكحول، ومن صُوَره البديعة تصويره عدو الكلاب خلف طرائدها:

إذا أرسلتهن وراءَ صيدٍ   فجاذبهن أهدابَ النجاء
علقن به ولو كانت يداه   تُشدُّ بذيل عاصفة الهواء

فالعاصفة لها ذيل تشد إليه أيدي الطريدة، وفي الديوان كثيرٌ من هذه الصور لا يجمل أن نحصيها عداً في هذه المقدمة.

ومع قلة عناية أبي البحر بابتكار المعاني، واعتماده فيها على الشائع المتداول، فلا يمكن المجازفة بتجريده منها تمامًا؛ فإليك مثلاً قوله:

ولست بمرضيهم فما كانت العلى   لتعطى، ولا كان الفخار ليوهبا

فواضح أنه ليس من جنس قول محمد بن عتيق السوارقي، وإن كان ينظر إليه:

يحاول نيل المجد والسيف مغمدٌ   ويأمَل إدراك العلى وهو نائم

وهو البيت الذي أخذ أحمد شوقي* منه معنى قوله:

وما نيل المطالب بالتمنِّي   ولكن تُؤخذ الدنيا غِلابا

ونختم الكلام على مبتكَر معانيه بقوله:

أمستجلبًا ودَّ الرجال بعتبها   أظنك علَّمت الطماعةَ أشعبا

فهذا المعنى وإن كان قريب الشبه من قول منصور النمري:

أقلل عتاب من استربت بودِّه   ليست تنال مودَّةٌ بقتال

فإن أبا البحر تناوله تناولاً ذكيا أضفى عليه جمالا، ولطفًا لم يحظ بهما بيت النمري.

وأما الأمثال؛ فلم يخل شعره منها، وإن كان حظه متواضعًا جدًا، فمنها قوله:

بعثته فأتى بالنُّجح من كَثَبٍ   إنَّ الجنى لقريبٌ من يد الجاني

ومنها البيت المار ذكره آنفًا:

ولست بمرضيهم فما كانت العلى   لتعطى، ولا كان الفخار ليوهبا

ذلك هو عرض لمجمل ملاحظاتنا على شعر الخطي: سماته، ومزاياه، والمآخذ عليه. أمَّا التفاصيل فتركتها لثاقب نظر القارئ حيث يلاحظها في ثنايا الديوان، والله ولي التوفيق.

* * *

الـديـوان

٢

هيهات ان تلد بآخر مثله ... ايدي القوابل ما حضرن لمولد

من دوحة لبقت فتلجا فرعها ... هام السماك وحك فرق الفرقد

ومضت مخايله لنا فنفرن عن ... نفس مؤيدة وعزم ايد

ويد صناع بالجميل وهمة ... طماحة لسداد ثغر السؤدد

ومعاطف تهتز عند المدح عن ... حركات مطرد الكعوب مسدد

يا غلطة الدهر التي ما عودت ... لمجوده نعطيتها المتعمد

فهمتني وانا الغبي وانثني ... لينوب عن عمل الصوارم مذود

امعاشر الشعراء ضاق اخوكم ... بمديح سيده فهل من مسعد

يا ايها المدلي بوفر ثنائه ... قابل به نعمى حسين يفند

والشكر يقصر عن مطاولة امرء ... ان يشكر وا ماضي نداه يجدد

لا زلت محسودا على ما فيك من ... نبل وما قد رام لم يحسد

ان العلى افقا متى استجليتها ... الفيت انجمها عيون الحسد

لا عذر للعلوي ان ابصرته ... بعد الفطام رئيت غير محسد

فليهن والدك الخلود وان قضى ... فالمرء ما ادلى بمثلك مخلد

وقال في اخيه عبد القاهر ابن عبد الرؤف وهو يومئذ بالقطيف

وبعث بها اليه بالبحرين يتشوق اليه ويذكر غرضا في نفسه

وذلك في السنة الثامنة عشرة بعد الالف

يا نسيم الشمال ازرها الا ... ت وبلغ تحيتي وسلامي

واحتقب عبأة ما انبتك من ... فرط اشتياق ولوعة وغرام

لفتى هاشم اخا السود العواد ... وربت الهبات والانعام

ان دهما

ورقة من مخطوطة عبد الله بن منصور أبي السعود بخط المقابي بالقطيف

واهدت الى اهل القبور مسرة ... وساء خليل بعدها وسليل
وعاينة من حجها لم يكن لها ... على غير اصحاب القبور نزول
كأن لم تأب بعد المغيب ولم يكن ... لها بعد ازماع الرحيل قفول
لاسرع ما وافت وفاتت كأنما ... عليها مآب لا تستقر كفيل
وما قابل البشرى النعي وقبحت ... يد الحزن وجه البشر وهو جميل
وساءت كما سرت وابعد عن حجز ... لعقبها رزء الم جليل
لعمر ابي المسرور بالشي انه ... الى الحزن فيما بعد سوف يؤول
رأت ابويها طال عهد لهما بها ... فزارتهما ان المحب وصول
فيا ابنة من لو كان بعد محمد ... رسول لما امسى سواه رسول
وزوجة من لو فتش الخلق لم يكن ... ليلفى له في العالمين مثيل
واخت الذين استفرغوا الجهد في ... العلى فاثرى بهم عاف وعز نزيل
وام الذي والتي حسن جرى الى ... مدى لذوي الحسنين عنه نكول
واحد النساء اللاتي هن لفاطما ... كسين من اخلاق البتول بتول
عفائف ما زرت لهن على الخنا ... جيوب ولا جرت عليه ذيول
جمعن الى عقل علا حاجب فخرها ... لهن علي ذو العلا وعقيل ٥
واثرين من هذي البتول وارثا ... فمن شيمها منهن فهي بتول
ومن لا يعزى عفة ونجابة ... على مثلها طول الزمان خليل
لهونت ارزاء الحوادث فلتقل ... خلافك من لاث العصابة معول
فان قل بعد العود لبث فالاسى ... عليك وان طال الزمان طويل
فزارك من رب العباد سلامه ... وجادك من ركام الغيث هطول

ورقة من مخطوطة عبد الله بن منصور أبي السعود بخط المقابي بالقطيف

صدقت اني رجل ربما   مال بي الود لبعض الحرم
واني لعذر لنسي بادنا هن   عذري من اجل انهم
لكنني لو برح الشوق بي   وافضت العشقه بي المغرم
ثم ترفعت لادراك من   تهوون عندي فيه حمر النعم
لا اتعاطى ما ينافي التقى   في خلوتي لا وحياتي قسم
ما حصلت كفي على ريبة   الا وراحت من يدي تسلم
لا غرو فالسرحان قد ربما   عاف لامر افتراس الغنم
رعت تبعوني نفني وما   عاتبت نفسي بالتقوى لا اتهم   الله
ما رمضان يبرى وما   كنت لاضحي عنه باري النسم
فقط ابي فاني امرؤ   اجتنب الاثم واخشى اللمم
او ان تاصرت لامر وما   زلت به عندك عين القلم
حملتني ظنا على خطة   شنعاء تزاور عنها الشيم
فاستغفر الله لامر جرى   به على لاحق اليوم منك القلم
ودم دوام الدهر يا خير من   يحمد بالاقوال ويسعى نعم

وكتب ابو البحر هو واضع الفنوكيا مختفيا تاتي الفنوكيا اتان الفنوكي واكرمته من خلال فعجب لها الفنوكيا واستنكر ذلك منها فقال ابو البحر مداعبا له بهذا التاريخ

اتعجب من اتانك حين انت   براكبها وزايلها النشاط
لاضغطها ركوبك فاستاتت   تخيط الطفل اضغطه القماط
فلا تستنكرن ضراط اتن   حملتك ان غايتها الضراط
ثقلت فلو كسوت الرحل ظهري   الصراط الية ضرط الصراط

ولو

ورقة من مخطوطة الدليري بمكتبة المرعشي النجفي بقم

وانت احق هذا الناس فضلا ... واحسانا وتعرض عن صلاتي

فان انت اتكلت على سوالجيا ... فلم تحظى به حتى الممات

فلم يكشف لعزك من وجهي ... ولم تفتح بنالك لها لحي

وقال ايضا

ابا هاشم ان الذي كنت واصفا ... لها امس والاخرى لسوف تحول

وقفت على اشياء منها تريبني ... وقد يستصح الجسم وهو عليل

مخايل ولتني ظواهرها على ... بواطن طرفي دونهن كليل

مفاجاة ماء الفكر منها برايدي ... اذا الفكر في الامر المريب دليل

اما انه لولا الذي يلزم الفتى ... لصاحبه والصدق حين يقول

لالفيتني من علم ذلك جاهلا ... فاحسن من دار بذاك جهول

فان فؤادي اذا حدثت بالذي ... رايت شجاع والبليغ ذليل

وما انا عن ستر العباد بباحث ... ولا عن امور العالمين سؤول

فما نسب الاعتذار

كان قد رقى عليه الى بعض خواص الديوان لبعض الجهات فبعث اليه بنذر من عتاب على يد بعض اصحابه من اهل البحرين فكتب معتذرا اليه واسمه اسلم واصحكم

خليلي من عليا لوي بن غالب ... امدكما ربي باسنى المواهب

ولازلتما خدني سمو ورفعة ... تنيف على هام النجوم الثواقب

الا ابلغا عني حنيس بن ناصر ... مقال امرء في وده غير كاذب

لقد جارك الاعداء عني بفرية ... ولست لها ما دمت حيا بصاحب

وما ذاك الا انني كنت غايبا ... وما حاضر عند الخصوم كغايب

ولو

ورقة من مخطوطة الدليري بمكتبة المرعشي النجفي بقم

ديوان الأديب الأريب الشاعر المفلق
الشيخ جعفر بن محمد الخطي
البحراني رحمه الله تعالى

ورقة من مخطوطة الظاهرية

صورة من مخطوطة الظاهرية

المقدمة (١)

الغنوي جامع الديوان (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ومنه التوفيق(٣) ﴾

أمَّا بَعدَ حَمدِ اللّهِ الَّذي جَعَلَ الحَمدَ قَيداً لأوابِدِ(٤) النِّعَم، وزِمَامًا لِشَوارِدِ القِسَم، ومِجَنًّا (٥) عَن عَوارِضِ النِّقَم، ورَضِيَ بِالبَخسِ(٦) مِنَ الثَّنَاءِ ثَمَنًا لِجَزِيلِ العَطَاءِ، وإن لَم تَمتَدَّ إليهِ يَدُ الإحصَاءِ، وَمَهراً (٧) لِكَرِيمَةِ النَّعمَاءِ، وإن زُفَّت إلى غَيرِ الأكفاءِ(٨)، نَحمَدُهُ عَلَى ما أسبَلَ مِن عَطَاءٍ صَافٍ، وَأسدَلَ مِن غِطَاءٍ(٩) ضَافٍ، وَنَشكُرُهُ عَلَى مَا وَهَبَ مِن كَرَامَةٍ لا تَترَنَّقُ مَشَارِعُها(١٠)، وَمَنَحَ مِن سَلامَةٍ لا

(١) تخريج هذه المقدمة من الهاشمي وب وج، واكتفيت من مخطوطة «أ»، والنسخة الفاتيكانية بما اقتضته الضرورة؛ بسبب كثرة الأخطاء، وتداخل العبارات، والنقص، والإختلاط، وكثرة المحذوف من الفِقَر في هاتين النسختين.

(٢) يرد في الديوان بعنوان الحسن بن محمد بن ناصر بن علي بن غنيّة الهذلي*، وهو شاعر، وكاتب جيّد الخط. خفيف الظل، ظريف، صديقٌ حميم لأبي البحر، ويفهم من مخطوطة الديوان أنه يسكن قرية سار* من البحرين*، وفيها أملى أبو البحر ديوانه عليه، وكان أبو البحر يسكن بالتل من سار*. لم أقف له على ترجمة.

(٣) ليست في الهاشمي.

(٤) الأوابد، جمع آبدة: الدائمة.

(٥) المِجَنّ: الترس، يتّقي به المحارب سلاحَ خَصمه.

(٦) البخس: المنقوص، يريد القليل.

(٧) في ب وج: ومهر الكريمة.

(٨) الأكفاء، جمع كُفء وكُفُؤ: النظراء، والمساوون، وفي الهاشمي: الاءكفاء، الهمزة الوسطى على السطر، وفي ب وج: الاكفاء، بدون همزة على الألف المتوسطة.

(٩) في ج: عطاء، بعين مهملة.

(١٠) تترنّق: تتكدّر، والمشارع، جمع مَشرعة، ومَشرع: موارد الماء.

تَتَقَلَّصُ مَدارِعُها(١)، ونُصَلِّي عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّد، ذِي المَقَامِ السَّنِيِّ، والحَوضِ الرَّوِيِّ، المُعلِمِ بأداء(٢) الرِّسَالَةِ {مِن}(٣) بين أبناء لُؤيٍّ(٤)، وَالمستَولي عَلَى الأمَدِ الأقصَى دُونَ سَائِرِ قُصَيٍّ(٥)، وعَلَى آلِهِ المُتَفَيِّئِينَ(٦) ظِلَّ عَبَائِه، وَسَائِرِ خُلَفَائِه، المُستَقِلِّينَ بِحَمل(٧) أعبَائِهِ، وعَلَى أصحَابِهِ الَّذِينَ لا يَنتَجِعُونَ إلاَّ ما انتَجَعَ(٨)، ولا يَضَعُونَ أقدَامَهُم إلاَّ حَيثُ وَضَع، ونُسَلِّمُ. فإنَّ الشِّعرَ مُستَبَقُ(٩) فرسَانِ {البَرَاعَة، وَمُنتَضَلُ(١٠) رُمَاةِ الأغرَاضِ(١١) مِن أولِي}(١٢) البَلاغَةِ، بِمَيدَانِ رِهَانِهِ(١٣) تَركُضُ الخَيلُ العِرابُ(١٤)، وَإيَّاهُ يَنتَجِعُ عِلمُ الإعرَابِ(١٥)، وإلَيهِ يَفزَعُ(١٦) تأويلُ السُّنَّةِ والكِتابِ، لم تَزَلِ الجَاهِلِيَّةُ يُجِيلُونَ(١٧) فِيهِ قِدَاحَ(١٨) المُفَاضَلَةِ، ويَنثِلُونَ(١٩)، مِن كِنَانَتِهِ(٢٠)،

---

(١) المدارع، جمع مَدرعة: الدَّرَّاعة، وهي جُبّة من صوف مشقوقة من الأمام.

(٢) في ج: برواء.

(٣) ساقطة من الهاشمي.

(٤) هو أبو قريش: لؤيّ بن غالب بن فِهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهو الجد الثامن للنبي محمد (ص)، وفي ج: لوى، وفي الهاشمي وب: لوي. راجع: لسان العرب، ومخططات الأنساب في أطلس التاريخ الإسلامي.

(٥) هو قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي؛ المار نسبه في الهامش «٤» أعلاه.

(٦) في ب: المنتفئين، وفي ج: المنتغبئين.

(٧) في ج: نجهل.

(٨) ينتجعون، أصلها: يذهبون لطلب الكلأ في موضعه، ثم تُوسّع فيها فاستعيرت لطلب الرزق أو العطاء.

(٩) المستبَق: ميدان السباق.

(١٠) المنتَضَل: ميدان النضال، وهي المباراة بالسهام.

(١١) الأغراض، جمع غَرَض: الأهداف التي تُرمى، وفي أ: الأعزاض، بعين مهملة وزاي معجمة، وفي ج: الأعراض، بعين وراء مهملتين.

(١٢) ما بين المعقوفين ساقط من الهاشمي، وفي ب وج: اولى، مكان أولي.

(١٣) في ج: رهانة، الهاء الأخيرة معجمة، والصواب إهمالها لأنها ضمير.

(١٤) العِراب: الكرائم من الخيل، السالمة من الهجنة.

(١٥) يريد علوم العربية.

(١٦) يفزع إليه: يَستغيث به، ويَلجأ إليه، وفي ب وج: يفرغ، براء مهملة وغين معجمة، وفي الهاشمي وأ: وإياه يفزع، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(١٧) في ج: يحيلون، بحاء مهملة.

(١٨) القِداح، جمع قِدح: سهم الميسر، وفي ب وج: اقداح.

(١٩) يَنثِلون، السهام خاصة: ينثرون، وفي الأصول: ينثرون، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢٠) الكِنانة: جَعبَة السهام، وهي وعاء من جلد أو خشب، وفي الهاشمي: كنانة، غير مضافة.

سِهَامَ المُنَاضَلَةِ[١]، وإنَّ فِي تَعليقِهِم السَّبعَ، حَيثُ تُعلَّقُ أربَابُهُم[٢]، وَنَصبِهِم لَها، حَيثُ تُوضَعُ أنصَابُهُم[٣]، واجتِماعِهِم بِعُكَاظ[٤] يَمرُونَ فيهِ أخلافَ المُمَاراة[٥]، وَيَبرُونَ[٦]، لَهُ، سِهَامَ المُبَاراةِ؛ لَشَاهِداً[٧] عَلَى غُلُوِّهِم[٨] فيهِ مُعَدَّلا[٩]، وَقَاضِيًا بِعُلُوِّهِ، عِندَهُم، مِسحَلا[١٠].

وَلَمَّا جَاءَ الإسلامُ لَم يَستَحِلَّ دَمَهُ، وَلَم يَنتَهِك حَرَمَهُ، عَلَى أنَّهُ شَدِيدُ الحِرصِ عَلَى نَقضِ مَرائِرِهِم المُستَمِرَّةِ[١١]، وَافِرُ الرَّغبَةِ فِي هَدمِ قَواعِدِهِم المُستَقِرَّة. وَنَاهِيكَ بإعدَادِهِ، صَلَّى اللّهُ عَلَيهِ، حَسَّانَ[١٢] لذلكَ؛ شَاهِدَ صِدقٍ أنَّه، فِي الإسلامِ، غَيرُ وَعِرِ المَسَالِك، وَلاَ مَهجُورُ الجَوَانِبِ هُنَالِك، وَلَقَد كَانَ فِي أيَّامِ الدَّولَتَينِ، وَإبَّانَ الخِلاَفَتَينِ[١٣] مَعرُوفَ المَرَاسِمِ، مَشهُودَ المَوَاسِمِ، يُستَنزَلُ بِهِ جَودُ الجُودِ[١٤].

(١) المناضلة: المباراة في رمي السهام.
(٢) أراد المعلّقات أو المذهبات، وتُسمّى السّموط أيضًا، وهي سبع قصائد، وقيل عشر، قيل إنّها كتبت بماء الذهب، وعلّقت على جدار الكعبة، والبعض يشكك في ذلك. وأمّا أصحابها فهم: امرؤ القيس الكندي*، وطرفة بن العبد البكري*، وزهير بن أبي سُلمى*، وعمرو بن كُلثوم التغلبي، ولبيد بن أبي ربيعة*، وعنترة بن شداد العبسي*، والحارث بن حلزة، والنابغة الذبياني*، والأعشى*، وعَبيد بن الأبرص، وقد كان الجاهليون يتّخذون أصنامًا وأوثانًا يعبدونها، ومنها ما وضع على الكعبة. راجع: موسوعة المورد جـ ٧/٧٤، وشرح المعلقات العشر للزوزني، والعمدة جـ ١/٩٦، ودائرة المعارف الإسلامية جـ ١٤/٣٥٦.
(٣) الأنصاب، جمع نُصُب: الأصنام، أو هي حجارة كانت حول الكعبة يَهِلّ عليها الجاهليون، ويذبحون قرابينهم.
(٤) عكاظ: موضع بين نخلة والطائف، كانت تقام فيه سُوقٌ من مطلع ذي القعدة، وتستمرّ عشرين يومًا، وقيل شهراً، تجتمع فيه القبائل فيتعاكظون؛ أي يتفاخرون، ويتناشدون الأشعار، يقال إنّها هُدمت في الإسلام، ويقال إنّها استمرّت إلى آخر العصر الأموي. راجع: المنجد في الأعلام، ومحيط المحيط، وموسوعة المورد جـ ١٠/٤٩.
(٥) يَمرون: يستدرّون، والأخلاف، جمع خِلف: حلمة ضرع الناقة، أو طرفه، أو المؤخّر من الأطباء، وهو للناقة كالضرع للشاة، والمماراة: المجادلة.
(٦) يَبرون: ينحتون.
(٧) في ب والهاشمي: لشاهد.
(٨) في ب: علوّهم، بعين مهملة.
(٩) المُعدّل عند أهل الهيئة: منطقة الفلك الأعظم.
(١٠) المِسحَل: اللسان، والخطيب المفوّه، وفي الهاشمي وب وج: مسجلا، بجيم معجمة.
(١١) المرائر، جمع مَرير ومريرة: ما دَقّ، وطال، واشتدّ فتله من الحبال، أو هو الحبل المفتول على أكثر من طاق، والمستمرّة: المستحكمة.
(١٢) هو حسان بن ثابت شاعر النبي (ص)، من المخضرمين، اتصل بالغساسنة في الجاهلية ومدحهم، له ديوان مطبوع، توفي سنة ٥٥هـ.
(١٣) الدولتان، والخلافتان: الأموية والعباسية.
(١٤) في ج: المراسم.، مكان المواسم› والجَود الأولى، بفتح الجيم، وسكون الواو: المطر، والجُود الثانية، بضم ==

وَيُستَمطَرُ بيُمنهِ في السَّنَةِ الجَمُود[1]، وَيَستَرسِبُ[2] بهِ كُلُّ مَن خَفَّت حَصَاتُهُ[3]، وَتُستَكَفُّ[4] بهِ {عَادِيَةُ}[5] مَن تُرهَبُ شَدَّاتُهُ[6]، وَيُستَحصَفُ[7] بهِ نَاقِصُ المِرَرِ[8]، وَيُراشُ[9] بهِ سَاقِطُ الوَبَرِ، وَتُقَامُ بهِ الأعنَاقُ الصُّورُ[10] وَيُهصَرُ بهِ الأسَدُ الهَصُورُ، وَيُنَاطُ بهِ عَلَى المُرعَّث رُعاثُ[11] الأمَاني، وَيُهنَّأُ[12] بهِ الحَسَنُ بنُ هَانِي[13]، وَيُؤسَى[14] بهِ أوسُ[15] المَجِيدُ، وَتَلَذُّ الرَّغَائِبُ بيَدِ الوَلِيدِ[16]، وَيَتَنَخَّلُ[17] بهِ أبُو الطَّيِّبِ

== الجيم: الكَرَم.

(١) السنة الجَمُود: التي لا مطر فيها.

(٢) يستعين على الرسوب.

(٣) الحصاة: العقل، والرزانة.

(٤) في الهاشمي وأ وج: ويستكف.

(٥) ساقطة من الهاشمي.

(٦) في الهاشمي: تزهب، بزاي معجمة مكان ترهب، بالراء المهملة، والشدّات، جمع شدّة: الحملة في الحرب، وفي الهاشمي: سداته، بسين مهملة مكان شدأته بالشين المعجمة.

(٧) يستحصف: يستحكم، وفي ب: يستحضف، بضاد معجمة مكان الصاد المهملة، وفي الهاشمي: يستصحف، بتقديم الصاد على الحاء، وفي ج: يستخصف، بخاء معجمة مكان الحاء المهملة، والتصويب من أ.

(٨) المرر، جمع مِرّة: العقل.

(٩) يُراش: يُجعل له ريش، كناية عن المال، وحُسن الحال.

(١٠) الصّور، جمع صَوراء: المائلة، وفي ب وج: أعناق الصور، وفي أ: الأعناق السور.

(١١) تُناط: يعلق، والمرعّث: المقرّط، والرّعاث: القرط، وهو الشّنف: حلقة، أو نحوها، يُعلق في الأذن، والعامّة تسمّيه الحلق، وفي عاميّة أهل القطيف*: «التركيّة».

(١٢) في الهاشمي: ويهنى.

(١٣) هو أبو نواس، أشهر شعراء المجون في العصر العباسي، وُلد في الأهواز* سنة ١٣٦، أو ١٤٠هـ، وتعلم في البصرة*، ثم انتقل إلى بغداد*، واتصل بالرشيد*، واتخذه الأمين نديمًا وشاعرًا، اتصل بالبرامكة، وتنسّك آخر عمره، وفي تاريخ وفاته أقوال تتأرجح بين سنة ١٩٥ - ١٩٧. راجع ديوانه المطبوع.

(١٤) في الهاشمي وب وج: ويوسى.

(١٥) هو أوس بن حجر بن عتاب، من بني نمير بن تميم، من شعراء البحرين*، غزل، مغرم بالنساء، متقن لوصف الطرد والخمر والرثاء، والحكمة، وفد على عمرو بن هند في الحيرة، وحرّضه على الثأر من الحارث بن جبلة الغساني لقتله أباه المنذر بن ماء السماء يوم حليمة، وسبب هذا التحريض أن الحارث قتل حجرًا والد أوس في ذلك اليوم. راجع: تاريخ الأدب العربي، فروخ. جـ ١ / ١٧٠.

(١٦) في الهاشمي: وتلد، بدال مهملة مكان تلذ بالذال المعجمة، وفيه أيضًا: ليد، مكان بيد، والوليد هو أبو عبادة البحتري الطائي*، الشاعر. في الهاشمي: وتلد، بدال مهملة مكان تلذ بالذال المعجمة، وفيه أيضًا: ليد، مكان بيد، والوليد هو أبو عبادة البحتري الطائي*، الشاعر.

(١٧) يتنخّل: يُصفّي، أو يَنتقي، ويختار، وفي الأصول مكانها: ويتنحل، بحاء مهملة بدل الخاء المعجمة، ولعل الصواب ما أثبتناه.

أطائبَ المَزيدِ[1]، ثُمَّ طَارَت بتِلكِ الغَضَارَةِ عَنقاءُ مُغرِبٍ[2]، وَرُمِيَ، بَعدَهُم، باللُّكنَةِ اللَّسنُ المعربُ[3]، وهَدأَت، بَعدَهُم، فَورَةُ المُهدرِ المشَقشِقِ[4]، وَأَوضعَ، خِلافَهُم، المخبُّ المعنقُ[5]، وَأَغَارَ[6] فيلَقُ الزَّمَانِ عَلَى الشَّاعِرِ المُفلقِ[7]، وَأَسلَمَهُ الدَّهرُ إلى قَومٍ لا يَعشُونَ[8] إلَى قَبَسٍ سَاطِعٍ، وَلا يَعَضُّونَ عَلَى الأدَبِ بِضِرسٍ قَاطِعٍ، المُمتُّ[9] برَحِمِ الأدَبِ، مَعَهُم، أجنَبُ[10]، وَذُو الفَضلِ مَهجُورُ الجَوَانِبِ، مُتَجَنَّبٌ، وَالعَالِمُ كَأَنَّهُ مَطليٌّ بالقَارِ[11] أجرَبُ، حَشوُ أذهَانِهِمُ[12] السُّكرُ، وَمِلءُ آذانِهِمُ الوَقرُ، يَتَعلَّلُونَ، عَن إفَاضَةِ الرِّفدِ[13]، بحَدَاثَةِ العَهدِ، قَد ألجَأَهُم[14] سُوءُ بَلاءِ الطَّبعِ[15] وَرَثَاثَتِهِ، إلَى تَفضِيلِ قِدَمِ الزَّمَانِ عَلَى حَدَاثَتِهِ، وَهَل يَدخُلُ فِي حَيِّزِ[16] الأُمورِ المُمكِنَةِ أن تَتَفَاضَلَ[17] الرِّجَالُ بالأَزمِنَةِ؟

---

(١) أبو الطيب هو: المتنبي*، والمزيد عند الصرفيين: كلمة دخلتها زيادة عن حروفها الأصلية.

(٢) الغَضَارة: النعمة، والسعة، وطيب العيش، وعنقاء مُغرب: طائر مجهول، أو طائر عظيم، يبعد في طيرانه، أو هو طائر الـ «Phoenix»: طائر خرافي بحجم العقاب، ذو ريش ذهبي وقرمزي، زعم قدماء المصريين أنه يُعَمَّر خمسة أو ستة قرون، فإذا أحسَّ بدُنُوِّ أجَلِهِ أعد لنفسه محرقة جنائزيّة وأحرق نفسه فيها، ثم ينبعث من رماده وهو أتمُّ شبابًا، يضرب به المثل في الشيء يُسمع به ولا يُرى. راجع: محيط المحيط، وموسوعة المورد جـ ٨/٢٧.

(٣) اللُّكنة: العيّ والعجمة، وثقل اللسان، واللسن المعرب: ذو اللسان الفصيح.

(٤) المتكلّم المنطيق.

(٥) أوضَع: سار سيراً بطيئًا، والمخبّ: الذي يسير خَبَبًا، وهو ضربٌ من عدو الفرس، دونَ العنَق، فسيح الخطو، ينقل فيه الفرس أيامنَه وأياسرَه سويًا، أو يراوح بين يديه، والمعنق: الذي يسير العَنَق، وهو سير فسيح، واسع للإبل والدواب.

(٦) في ج: فاغار.

(٧) الفيلق: الجيش، أو هو الجيش العظيم، والمفلق: الشاعر المجيد يأتي بالعجاب في شعره.

(٨) يعشون إليه: يقصدونه طلبًا للهدى أو القرى.

(٩) الممتّ: المتّصل.

(١٠) الأجنب: الغريب.

(١١) القار: الزفت، أو الـ «Asphalt»، مادّة سوداء تذاب بالتسخين فتطلى بها السفن والأسطح لمنع تسرب الماء، وتستخدم كذلك في تعبيد الطرق، وفي الأصول: مطلي به القار، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(١٢) في الهاشمي: ادهانهم، بدال مهملة.

(١٣) الرِّفد: العطاء والصلة.

(١٤) في الهاشمي وج ومتن ب: اجاءَهم، والتصويب من أ، وحاشية ب.

(١٥) في ب: سؤ بلاء الطبع، وضعت همزة سوء فوق الواو، وفي الهاشمي: الطمع، مكان الطبع.

(١٦) الحَيِّز، بفتح الأول وكسر الثاني مشدّداً: المكان، والفراغ الموهوم الذي يشغله الشيء، وفي الهاشمي مكانها: خير، بخاء معجمة، وراء مهملة.

(١٧) في ب وج: يتفاضل.

يُفَضِّلُونَ قَدِيمَ الشِّعرِ مِن سَفَهٍ والفَضلُ فِي الفَضلِ لا فِي العَصرِ وَالدَّارِ(١)

وَهَل يَعلُو السُّهَى عَلَى سُهَيلٍ بِبُرُوزِه(٢) فِي أَوَائِلِ اللَّيلِ؟ أَم هَل يَسمُو الغُثاءُ(٣) وَإِن جَاءَ فِي مَقَادِيمِ السَّيلِ؟ وَمَا زَالَ الأَدَبُ قَوسًا لا تُعطَى بَارِيَها(٤)، وَزَنداً لا تَجِدُ(٥) مُورِيَها؛ حَتَّى تَلافَى(٦) اللهُ ذَمَاءَهُ(٧) البَاقِي، وَاستَنقَذَ رُوحَهُ، وَقَد بَلَغَت التَّرَاقِي(٨)، بِيُمنِ الأَدِيبِ الَّذِي جَمَعَ بَينَ نَجَابَةِ العِرقِ، وَدَمَاثَةِ الخُلقِ، وَحَصَلَ، مِن كَرِيمِ النَّسَبِ، وَجَمِيلِ الحَسَبِ، عَلَى أَسنَى مُلكٍ، وَأَنفَسِ عِلقٍ(٩). {فِي}(١٠) الدَّوحَةِ مِن رَبِيعَةَ عُرُوقُهُ تَنشَبُ(١١)، وَإِلَى الجُرثُومَةِ مِن عَبدِ القَيسِ أُصُولُهُ تُنسَبُ(١٢)، تُرجُمَانِ العَرَبِ، {وَ} قَهرَمَانِ(١٣) الأَدَبِ: أَبِي البَحرِ، شَرَفِ الدِّينِ

---

(١) في الهاشمي: الفضل، مكان والفضل، وفي متن ب: في الأصل، مكان في العصر، ولم أقف على قائله، وأظنه الغنوي*، منشئ هذه المقدمة. أمّا المعنى فهو من قول عبد الرحيم العباسي:

ليس التقدم في الزمان مقدِّمًا أحداً، ولا التأخير فيه يؤخّر

معاهد التنصيص جـ ٢ /٢٣٩.

(٢) السُّهى: كوكب خفي من بنات نعش الصغرى، الدب الأصغر «Ursa Minor» ، يختبر الناس به أبصارهم لشدة خفائه، وبنات نعش الصغرى هي سبعة كواكب صغيرة منها: النجم القطبي «Polaris»، وهي قريبة من بنات نعش الكبرى الدب الأكبر «Ursa Major»، وسُهيل «Canopus»، من كوكبة الجوْجؤ: نجم شديد اللمعان يُعدُّ أسطع نجم بعد الشِّعرى اليمانية، يطلع على بلاد العرب* في آخر الصيف عند نضج الثمار. راجع المنجد في اللغة، و.New Webster's Dictionary، وفي ب: في نيروزه، مكان ببروزه.

(٣) الغُثاء: الزبَد، والفتات، والبالي من ورق الشجر، ونحوه، المخالط لزبد السيل، وفي الهاشمي وب وج: الغثا، بدون همزة.

(٤) في ب وج: يعطى، مكان تعطى، و القوس، مؤنثة: حَنيّة نصف دائريّة يَشُدّ بين طرفيها وَتَرٌ، ترمى بواسطتها السهام، وباريها: الذي يبري سهامها، أي ينحتها، وتوسع في الكلمة إلى من يحسن الرماية بها، وفي المثل: اعط القوس باريها، وأصله من قول الشاعر:

يا باريَ القوس بريًا لست تحسنه أفسدت قوسك، إعط القوس باريها

(٥) الزّند: العود الذي تقدح به النار، وفي ب: وزنداً لا يجد، بياء مثناة تحتية، مكان تجد، وفي ج: لا يحيذ.

(٦) تلافى: تدارك، وفي ج: تلاقى، بقاف مثناة.

(٧) الذّماء، بالذال المعجمة: بقية الروح في المذبوح، وبقية النفس أو القلب، وفي الهاشمي وج وب: دماءه، بدال مهملة، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٨) التراقي، جمع تُرقوَة: عظم يصل بين ثغرة النحر والعاتق، أو هي أعالي الصدر حيث يترقّى النفَس.

(٩) العِلق: النفيس من كل شيء.

(١٠) ساقطة من الهاشمي.

(١١) تنشب: تعلق، وفي أ مكانها: تنتسب، وفي ب وج: تنتشب.

(١٢) في أ وب وج: تنتسب.

(١٣) القهرمان: الوكيل، أو أمين الدخل والصرف، فارسية معربة.

جَعفَرِ بن مُحَمَّدٍ بن حَسَنِ بن عَليٍّ بنِ نَاصرِ بن عَبدِ الإمَامِ؛ الشَّهِيرِ بالخَطِّيِّ، العَبديِّ، أحَدِ بَنِي عَبدِ القَيسِ بن شَنِّ بنِ أفصَى[1] بنِ دُعمِيِّ بنِ جَديلَةَ بنِ أسَدِ بنِ رَبِيعَةَ بنِ نزَارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدنَانَ، فَإنَّهُ المُستَولي عَلَى أقَاصِيه، والآخذُ بأقدامِه وَنَواصِيه، وَالقَائدُ* لطَيِّعهِ وعَاصِيه، وَالمُنتَقدُ لجَيِّده[2] وَرَديِّه، وَالعَارفُ بصَريحه ودَعِيِّه، إلَيه يَرجعُ عَقلُهُ وَقَودُه[3]، وَمِنهُ يُعرفُ قَوامُهُ وَأودُه[4]، وَهُوَ المُفتَلذُ أنَاسيَّ عُيُونه، وَالمُهتَصِرُ أفنَانِ فُنُونه[5]، إن شَبَّبَ فَالخَليُّ شَجيٌّ، وإن عَزَّى فَالدَّاني الرَّحمِ قَصيٌّ، وإن نَدَبَ فالقَصيُّ الرَّحِمِ {دَنيٌّ}[6]، وإن أدلَى بالمَعذِرَةِ سَلَّ السَّخيمَةَ[7]، وَامتَصَّ الضَّغائنَ* القَدِيمَةَ، فَسيَّان[8]، عَندَ تَغزُّلِه[9]، العِزهَاةُ والغَزِلُ[10]، وَمِثلانِ، عِندَ إغرَائهِ*، {المِقدَامُ}[11] والفَشِلُ[12]، وَوَاحِدٌ، عِندَهُ، المُحسِنُ وَالمُسِيءُ، وَالسَّقيمُ وَالبَرِيءُ، وَسَواءٌ، لَو أرَادَ {المُجُونَ}[13] الرَّاهِبُ[14] المُتَنَسِّكُ، والمَاجِنُ المُتَهَتِّكُ.

وَعَلَى الجُملَةِ فَكُلُّ ضَربٍ، مِنَ الشِّعرِ، مَضرُوبٌ بِسكَّتِه[15]، وَكُلُّ صِنفٍ، مِنَ النَّظمِ، مَجذُوبٌ بِمَسكَتِه[16]، وَقَد مَنَّ، سُبحَانَهُ، فِي هَذَا الدَّهرِ الجَائرِ*، عَلَى هَذا

(١) في ب وج: قصي.
(٢) في الهاشمي وب وج: بجيده، ولعل الصواب ما أثبتناه.
(٣) العقل: الدِّية، والقَوَد: القصاص.
(٤) القوام: الإعتدال، والأَوَد: الإعوجاج.
(٥) المفتلذ: المقتطع فلذةً، أي قطعة، والأناسي، جمع إنسان: المثال يُرى في سواد العين، أو هو سواد العين، والمهتصر: اسم فاعل فعله مطاوع – إهتصر، من الهصر، وهو عطف الغصن، أو كسره، والأفنان، جمع فَنَن: الغُصُون، والفُنُون، جمع فن: الضرب من الشيء، والنوع، وتوسُّعًا: صناعة العلم، وأساليب الكلام، وأصنافه.
(٦) دني: قريب، والكلمة ساقطة من متن ب.
(٧) السخيمة: الحقد، والضغن، والموجدة في النفس.
(٨) في ج: منسيّان.
(٩) في ج: تعزله، بعين مهملة.
(١٠) العزهاة: العازف عن النساء، وضدّه الغزل: المحب لمحادثتهنّ، ومراودتهن، المتغزّل بهنّ.
(١١) ما بين المعقوفين ساقطة من متن ب.
(١٢) الفشل: الكاسل، والضعيف.
(١٣) ما بين المعقوفين ساقطة من الهاشمي.
(١٤) في الهاشمي: الذاهب.
(١٥) السكة: آلة سَكّ النقود، وفي الهاشمي وأ: مصروف، مكان مضروب.
(١٦) المسكة: المقبض.

العلقِ[١] البَائرِ* أن ألقَى في رَوعِه أن يُنيرَ مَا طَمَسَهُ، وَيُثِيرَ مَا دَرَسَهُ، ويؤنسَ وَحشَةَ مَا تَأَبَّدَ، وَيُؤوي[٢] غُربَةَ[٣] مَا تَشَرَّدَ، ويَرُدَّ هَذِه الصِّناعَةَ بَعدَ استِيحَاشِهَا إلى استئهَالِهَا[٤]، ويَزِيدَها أنسًا بإلفةِ أمثالِها؛ فَقَرَضَ[٥] الشِّعرَ، وألَّفَهُ، مُرتَّبًا لَهُ حَسَبَ تَلاحُقِهِ في الإسنَانِ[٦]، ووَفَّقَ[٧] اطِّرادَهُ، في العُمُرِ، كَكُعُوبِ السِّنانِ، لِيَعلَمَ[٨] المَاهِرُ المُتَوَسِّمُ، وَالنَّاظِرُ المُتَرَسِّمُ؛ كَيفَ كَانَ تَدَرُّجُهُ مِنَ الفَتَاءَةِ[٩] إلى الكُهُولَةِ، وَمِن إبَّانِ الغَضَاضَةِ إلى الفُحُولَةِ، خَتَمَ اللَّهُ، لَنَا وَلَهُ، بالحُسنَى، ورَزَقَنا، وَإيَّاهُ، مِن {حُسنِ}[١٠] {العَاقِبَةِ}[١١]، الحَظَّ[١٢] الأسنَى.

* * *

(١) العلق: النفيس من كلّ شيء، والبائر: الكاسد.

(٢) في الهاشمي وب وج: يونس مكان يؤنس، وتأبّد: توحّش، أو أقفر فألفته الوحوش، وفي الهاشمي: يئوي، مكان يؤوي، وفي ب: يؤي، وفي أ: يوءي، وهذا الفعل فيه رأيان، فمن قال إنّه لازم كتبه يأوي، ومن قال إنّه متعد أثبته بضمّ أوله وكتبه يؤوي كما أثبتناه. راجع: اللسان، ومحيط المحيط، والمرشد في الإملاء ص: ٢١.

(٣) في ب: عَزّبة، بعين مهملة مضمومة، وزاي معجمة مشدّدة مكان غربة، وفي أ و ج كذلك، لكن بدون شكل.

(٤) استيحاشها: الشعور بالوحشة فيها، وفي الهاشمي مكانها: استحياشها، واستئهالها: عمرانها بالأهل، وفي الأصول مكانها: استيهالها، بياء مثناة تحتية مكان الهمزة، واعل الصواب ما أثبتناه.

(٥) قرض الشعر: نظمه.

(٦) الإسنان، مصدر أسنّ: يريد تقادم السنين.

(٧) في الأصول: فوفق، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٨) في الهاشمي: وليعلم.

(٩) الفَتاءَة: مؤنث الفتاء: الشباب.

(١٠) ساقطة من الهاشمي.

(١١) ساقطة من ج.

(١٢) في ب وج: بالحظ.

المديح

كسرى الملوك (١)

قال { في }(٢) صباه يمدحُ وزيرَ البحرين*، وهو الصاحب المعظَّم ركن الدين(٣) محمود بن نور الدين بن شرف(٤) الدين*(٥)، وهي أول قصيدة أثبتها في المدح(٦)، وأنشَدَهُ إيّاها يومَ عيد الفطر للسنة الحادية بعد الألف، وأملاها عليَّ:

مـا ذا يُفيـدُك من سُـؤالِ الأربُعِ وهي التي إن خُـوطِبَت لم تَسـمَعِ

(١)تخريجها مفرّقة في أ ص: ٣، و٤، و٥، وفي ب ص: ٦ - ٨، وج ص: ٧ - ٩، والهاشمي ص: ٧٢ - ٧٤، ومنها في أعيان الشيعة مج ١٠/١١١ «٢٢» بيتًا، وفي سلافة العصر ص: ٥٣٥ - ٥٣٧، وفي نفحة الريحانة ج ٣/٢٠٩ -٢١٣ «٢٢» بيتًا كذلك.

(٢)ليست في ج.

(٣) في ج: ركن في الدين.

(٤)في الهاشمي: اشرف الدين.

(٥)ستأتي ثلاث قصائد أخرى في مدحه ج ١/١٥٨، ١٦٤، ١٨٢، والممدوح هو ركن الدين محمود بن نور الدين بن شرف الدين*، كان جده شرف الدين واليًا من قبل ايران* في قلهات*، فعقد صلحًا مع القائد البرتغالي البوكرك* عندما غزا الخليج* سنة ١٥٠٧م ٩١٣ هـ. وفي سنة ١٥٠٨م ٩١٤ هـ قام بثورة على البرتغاليين* في قريات في عمان*، وقد حاول البوكرك* خداعه باستدراجه إلى سفينته لكنه فشل، تولّى بعض المناصب للبرتغاليين* في هرمز*، وترأس حملتين لهم على البحرين* انتهت الأولى بقتل حاكمها مقرن بن زامل الجبري* سنة ٩٢٨هـ -١٥٢١م، والإستيلاء على البحرين* والقطيف*، ويقال إنَّ شرف الدين* هذا هو الذي أعترض السفينة التي تحمل جثمان مقرن*، واحتزَّ رأسه، وفي هذه الحملة احتل القطيف* والبحرين*، منهيًا بذلك حكم بني جبر* فيهما، أما الحملة الثانية على البحرين* فكانت بقيادة سيماوكونها*، وقد باءَت بالفشل بسبب ما زُعم من إصابة الجنود بالمرض، واتهمه البرتغاليون* بتنظيم الثورات ضدهم، وكذلك بتسلم الجزية من ملك هرمز*، وقد تولّى الحكم في هرمز* برهة، ثم نفاه البرتغاليون* إلى لشبونة*، وأمّا ولده نور الدين*، أبو ركن الدين محمود*، فقد ترأس الأسطول البرتغالي في الحملة التي قادها برنالدين دوسوزا* على القطيف سنة ٩٥٢هـ، ١٥٤٥م واحتلها، وتولّى الحكم فيها، ثم تسلّمها منه الخواجة عبد الغفور بن عبد الرحيم*، ولا نعلم على وجه التحديد متى ولا كيف تولّى ركن الدين محمود الحَكَمْ* في البحرين*، لكن الظاهر أنّه بقي فيه إلى سنة ١٠١١هـ ١٦٠٢م، أو قبلها بقليل، عندما احتلها الصفويون*. راجع: النفوذ البرتغالي في الخليج ص: ١١٨ - ١١٩، والخليج العربي بلدانه وقبائله ص: ١٦٠، ومجلة الوثيقة، ع ١ ص: ١٣٤ - ١٣٥، وأحمد العناني، مجلة الوثيقة ع ٤ ص: ٩٧، ودليل الخليج، ت، ج ١/١٥، وويلسون ص: ٢١٨ - ٢١٩، وشيء عن الوثائق، بحث للمحقق، مجلة الواحة ع ٢ ربيع الثاني ١٤١٦هـ.

(٦)في أ: في المديح.

سَــفَـهٌ وقُــوفُك في رُسُــوم ٍ رَثَّـةٍ(١)   عَـجـمـاءَ لا تَدري الكلامَ، ولا تَـعي
اللَّهُ جَـــارُكَ! هل رأيتَ مَـنازلاً   عَطِلَت فحلَّـتها عُقُـودُ الأدمُعِ؟(٢)
فَـذَرِ الوُقُـوفَ على مَـحَـاني مَنزِلٍ   عَـافٍ لِمُـخْـتَلَفِ الرِّيَـاحِ الأربَعِ(٣)
وامـسِكْ عِنانَ الدَّمعِ عن جَـرَيانِهِ   في دِمنَـةٍ لا تَحمَـدُنكَ، ومَربَعِ(٤)
واستَبقِ قلبًـا(٥) لا تَعيشُ بِغَيـرِهِ   وشُـعَـاعَ نَفسٍ إن يَغِب لم يَطلُعِ
واصـرِف بِصِـرفِ الرَّاحِ هَمَّك إنَّـهـا   مَـهـمـا تَفَرَّقَ من سُرُورٍ(٦) تَجمَعِ
كَـرمِـيَّـةٍ تَذَرُ البَـخِـيلَ كَـأنَّـمَـا   نَزَلَ ابنُ مَـامَـةَ، من يَدَيه، بإصبعِ(٧)
فَـهِيَ التي آلَت إليَّـةَ صَـادِقٍ   ألاَّ تُجـاوِرَها الهُـمُـومُ بِمَـوضعِ(٨)
{ مَع } كلِّ سَـاحِـرَةِ اللِّحَـاظِ كـأنَّمـا   تَرنُـو بِناظِرَتَي مَـهَـاةٍ مُـرضِعِ(٩)
وكـأنَّمـا تَثني على شَـمسِ الضُّحَى   إمَّـا هِيَ انتَـقَـبَت حَـواشِي البُـرقُعِ
وكـأنَّمـا وُضِعَ البُـرَى منها على   عُـشَـرٍ تَعـاوَرَهُ الحَـيـا، أو خِروَعِ(١٠)

---

(١) رثَّة: بالية، وفي الأعيان: دوارس أربع.

(٢) جارُك: ناصرك، وعقود، جمع عِقد: القِلادة، شبَّه الدمع بتمائمها على الإستعارة، وترتيب البيت في الأصول: الخامس، وأثبتُّه هنا مراعاةً للسياق.

(٣) في أ: فدع، مكان فذر، والمَحَاني، جمع مَحناة ومَحنيَة: مُنعطَف الوادي، وفي نفحة الريحانة مكانها: مخافي، بخاء معجمة وفاء، والرياح الأربع: الشمال، والجنوب، والصَّبا، وهي التي تهب من الشرق، وتسمَّى أيضًا القبول، وتقابلها الدبور، وهي التي تهب من الغرب.

(٤) في ب: ولا مربع، ومكانها في أ: بياض.

(٥) في نفحة الريحانة: قلبك.

(٦) في الأصول: سرورك، والمثبت هنا من الأعيان، والمعنى من قول أبي نواس*:

إذا خطرت فيك الهموم فداوها   بكأسك حتى لا تكون هموم

ديوانه ص: ١٣١.

(٧) في الأعيان: في يديه، وابن مامة: هو كعب بنُ مالك الإيادي*، أحدُ أجواد العرب المشهورين، يُضرب به المثلُ في الإيثار لإنه سقى صاحبَه نصيبه من الماء ساعة العطش فمات.

(٨) في أ: وبليتي، مكان فهي التي، وآلت إليَّة: حلفت حلفةً، وأقسَمت قسمًا.

(٩) ما بين القوسين مكانه في أ: بياض، وفي الهاشمي ترنوا، بزيدة ألف.

(١٠) مكان «وكأنَّما» في أ بياض، والبُرى، شرحها في الهاشمي: «جمع بُرَيَة، حُلَيقة توضع في أنف البعير لاقتياده»، والصحيح أنها جمع بُرَة: الخلخال، وفي نفحة الريحانة، وأ: البري؛ بياء مثنَّاة، والعُشَر، جمع عُشَرَة: نبات من الفصيلة الصقلابيَّة فيه حُرَاق لم يُقتدح بأحسن منه، وتَعاوَرَه: تداوله، والحيا: المطر، والخروع: نبات عشبي أو شُجَيري، يُستخرج منه زيت يعرف باسمه فيه قوة مسهلة.

يا مَن يَفِرُّ من الخُطُوبِ، وصَرفِها أنّى أراهُ يَفِرُّ عنها يَتبَع[(١)]
لُذ بالوَزيرِ بنِ الوَزيرِ فإنَّما تأوي إلى الكَنَفِ الأعَزِّ الأمنَع[(٢)]
ملكٌ[(٣)] رَقِي درَجَ الفَخار فَلَم يَدَع فيها لِراقٍ، بَعدَهُ، من مَطمَع
وتَناوَلَت كَفّاهُ أشرَفَ رُتبَةٍ لو قامَ يَلمَسُها السُّهى* لم يَسطَع[(٤)]
أندَى من الغَيثِ المُلِثِّ إذا اجتُدي أحمَى من اللَّيثِ الهِزَبرِ إذا دُعِي[(٥)]
التّارِكُ الأبطالِ صَرعَى في الوَغَى فَكأنَّهُم أعجَازُ نَخلٍ مُنقَع[(٦)]
يَذَرُ الجَماجِمَ في المَكَرِّ سَواقِطًا سَقطَ الثِّمارِ من المَهَبِّ الزَّعزَع[(٧)]
أفديهِ، وهوَ على أغرَّ مُحَجَّلٍ ظامي الفُصُوصِ سَليم سبرِ الأكرُع[(٨)]
نَهدِ المَراكِلِ، واللَّبانِ، بَعيدِ ما وُضعَ العِنانُ بِهِ، عَصِيٍّ طَيِّع[(٩)]
فَكَأنَّهُ لمَّا استَقامَ تَليلُهُ مُصغٍ تَلَقَّفَ نَبأةً مِن بِرقِع[(١٠)]

---

(١)في أ والهاشمي: عن، مكان من، وفي أ ونفحة الريحانة: رآه، مكان أراه.

(٢)في ج: تاتي، مكان تأوي، ونصُّ البيت في السلافة:

لذ بالوزير فإنما تأوي إلى الكنف الأعز الأمنع بن الأمنع

(٣)في الهاشمي وأ: ملكًا.

(٤)في أ: وتطاولت، مكان وتناولت، وفي الهاشمي: تسطع، بتاء مثنّاة فوقية، مكان يسطع، بياء مثناة تحتية.

(٥)الملِثُّ: المطر يدوم أيامًا لا ينقطع، وفي ج: المثلث، واجتدي، بصيغة المجهول: سُئل الجدوى؛ أي العطاء.

(٦)في أ: صرعا، مكان صرعى، والوغى: أصلها الصوت والجلبة، ومنها قيل للحرب الوغى لما فيها من الضوضاء، ومنقع: مُقطَّع، وقد دار المحبي وأطالَ الشرح في معنى منقع، فقال: « منقع، من الإكتفاء، وله معنى بدون الإكتفاء؛ بأن يكون مأخوذا من أقعى فرسه، إذا ردّه القهقرى فيزاد ياءً، أو من أنقع الميت أي دفنه، والمراد دفنها بعشيَّة القتال »، وفسر الشارح معنى الإكتفاء: « أي منقعر »، وهذا كله بدون طائل.

(٧)في الهاشمي: بدر، بباء موحدة ودال مهملة، مكان يذر، وفي أ: يدر، بدال مهملة، وفي السلافة: المحب بحاء مكان المهب بالهاء.

(٨)الفُصُوص، جمع فص: كل ملتقى عظمين، وظامي: ليس فيه رَهَل، وهي من الصفات المحمودة في الخيل، وفي الهاشمي: طامي الفصوص، وفي السلافة: ظامي الفصوص، والسبر، بكسر الأول وسكون الثاني: حُسن الهيئة والجمال، وفي نفحة الريحانة: سير، بياء مثناة، وهو من تصرف محققها، والأكرع، جمع كراع: الوضيف، وهو مستَدَقُّ الساق.

(٩)النهد: « المملوء، والمراكل: القوائم، واللبان: الصدر، أي مملوء المراكل واللبان » الشرح من الهاشمي، وأظن المناسب هنا: الفرس الحسن، الجميل، اللحيم المشرف، المرتفع؛ بدليل قوله: « بعيد ما وضع العنان » كنايةً عن علوِّه وإشرافه.

(١٠)التاء والقاف في استقام غير منقوطتين في ج، وتليله: عنقه، وفي السلافة مكانها: تليه، والياء في ج غير منقوطة، وفي السلافة: مضغ، بضاد معجمة مكان مصغ، بالصاد المهملة، والنبأة: الصوت الخفي، وبرقع، ==

فِي جَحْفَلٍ كَاليَمِّ، إلاَّ أنَّهُ   لا ماءَ فِيهِ غَيرُ لَمعِ الأدرُعِ(١)
حتى تَرَجَّلَ لِلصَّلاةِ(٢)، ولم نَجِد   أسداً يُصلِّي، قَبلَه، في مَجمَعِ
بَينَاهُ أفتَكُ فاتِكٍ أبصرتَهُ   في النُّسكِ أخشَعَ خاشعٍ مُتَخَشِّعِ
{حُيِّيتَ يا كِسرَى المُلُوكِ، تَحيَّةً   تُربِي على كِسرَى القَديمِ، وتُبَّعِ}(٣)
يا بنَ الأولى جَعَلُوا مَراكِزَ سُمرِهِم   حَبَّ القُلُوبِ بِكُلِّ يومٍ مُفظِعِ(٤)
واستَبدَلُوا بالبِيضِ من أغمادِها،   في الحَربِ، هامَةَ كُلِّ لَيثٍ أروَعِ(٥)
النَّازِلِينَ منَ العُلى في رُتبَةٍ   هامُ السُّهى*، منها، بأدنى مَوضعِ
ما حَدَّثَت نَفسُ امرِئٍ بِبُلوغِها   إلاَّ وماتَ بِغُلَّةٍ لم تُنقَعِ
جاءَتكَ من عُربِ الكَلامِ خَرِيدَةٌ   غَرَّاءُ مُسفِرَةٌ، ولم تَتَبَرقَعِ(٦)
عَذراءُ أوَّلُ ما جَلاهُ(٧) لِناظِرٍ   نَظمِي، وأوَّل ما تَلاهُ لِمَسمَعِ

== بكسر الباء والقاف: اسم السماء الدنيا، وفي نفحة الريحانة مكانها: بُرقع بضم الباء.

(١) الأدرع، جمع درع: قميص من زرد الحديد يلبس قديمًا في الحرب.

(٢) في الهاشمي وأ وب وج: الصلوة، وهي صورة التفخيم أي الإمالة إلى مخرج الواو، الأ إذا أضيفت، والمثبت هنا من السلافة، ونفحة الريحانة على الشياع.

(٣) البيت ساقط من الهاشمي، وكسرى: معرَّب خسرو، اسم لامبراطورين فارسيين الأول حكم بين سنة ٥٣١ – ٥٧٩ م، يعتبر أعظم ملوك الأسرة الساسانية، وسَّع امبراطوريته حتى البحر الأسود وجبال القوقاز، رعى الحركة الثقافية، عرف بـ «أنو شروان»، أي الروح الخالدة، والثاني عرف باسم: «أبرويز»، أي المنتصر، حكم بين سنة ٥٩٠ – ٦٢٨م، غزا أرمينيا والعراق، وحارب البيزنطيين، هزمه هرَقل، حُكِم عليه بالموت فأعدم، وفي السلافة ونفحة الريحانة: كسرى الملوك، مكان كسرى القديم، وتُبَّع: واحد التبابعة، ملوك اليمن، نشأت دولتهم بعد دولة سبأ الحِميَرِيَّة، آخر ملوكهم ذو نؤاس صاحب الأخدود الذي أجبر نصارى نجران على اعتناق اليهودية، وأحرقهم عندما رفضوا، وذلك سنة ٥٢٣م، مات سنة ٥٢٤م. راجع: المنجد في الأعلام، وموسوعة المورد جـ ٦/٥١.

(٤) في نفحة الريحانة: يا ابن الألى، وفي الهاشمي: يا بن الاؤلى، وفي الأعيان والسلافة وب وج: يا ابن الاولى، بدون همزة، وحبة القلب: سويداؤه، أو مهجته، أو هي هَنَةٌ سوداء فيه، وفي أ و ب: مفضع بضاد مكان مفظع بالظاء المشالة.

(٥) في الأصول للبيض، مكان بالبيض، والمثبت بتصرف، والهامة، جمعها هام، من كل شيء: رأسه.

(٦) في السلافة ونفحة الريحانة: وإليك، مكان جاءتك، وفي الهاشمي: غرب، بغين معجمة مكان عرب بالعين المهملة، وعجزه في أ والهاشمي: «هركولة تزهو بغير تصنع»، وفي الأعيان بياض، وعجزه تضمين بتصرف لعجز بيت لابن سينا*: مَحجوبةٌ عن كلِّ مُقلَةِ ناظرٍ   وهي التي سَفَرَت، ولم تَتَبَرقَعِ
والمعنى من قول أبي تمَّام*:
جاءتك من نظم اللسان قِلادةٌ   سِمطان فيها اللُّؤلُؤُ المكنونُ
وفيات الأعيان جـ ٢ / ١٦٠، وديوان أبي تمام ص: ٢٩٣.

(٧) في نفحة الريحانة: جناه، وفي البيت إشارة إلى أنها أولى قصائده في المدح.

مِن شَاعرٍ ذَرِبِ اللِّسانِ مُفَوَّهٍ طَبٍّ بتَركِيبِ القَوافي مِصقَعِ[1]
فاضمُم عليه يَدَيكَ تَحظَ بآخِرٍ أذكَى مِنَ المُتَقدِّمينَ وأبرَعِ[2]
وليُسمِعنَّك، إن بَقِي لَكَ بَعدَها ما تَستَبِينُ لَدَيهِ ذُلَّ الأشجَعِ[3]

* * *

(١) طب : حاذق ، ماهر في علمه، وفي الأعيان: المعاني، ومصقع: بليغ.

(٢) آخر : متأخِّر في عصره ، وفي السلافة : آحظ، والبيت ينظر إلى قول أبي العلاء المعرِّي:

وإني، وإن كنت الأخير زمانه، لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل

سقط الزند ص: ٥٦ .

(٣) في نفحة الريحانة: يستبين ، بياء مثنَّاة تحتيَّة مكان تستبين، بالتاء المثناة الفوقية، وأشجع هو: ابن عمرو السلمي، أبو الوليد، من ولد الشريد بن مطرود السلمي، شاعر فحل، ظريف، سائر الشعر، ولد باليمامة* وانتقلت به أمُّه إلى البصرة*، بعد موت أبيه، فنشأ بها، وتأدب على شيوخها ، اتصل بجعفر بن المنصور حينما كان واليًا على البصرة* أيَّامَ الرشيد*، ثم وفد إلى الرقَّة، وكان الرشيد* فيها فاتصل بجعفرٍ البرمكي* فأوفده عليه، فأصبح من ندمائه ومُدَّاحه، ثم انقطع إلى جعفر فولَّاه، لكنَّه ما لبث أن صرفه عنه لتذمُّر الناس منه، تُوفِّي سنة ١٩٥هـ ٨١١ م. راجع: أعيان الشيعة مجـ ٣/٤٤٧، وأخبار الشعراء المحدَثين من كتاب الأوراق : ٧٤، وتاريخ الأدب العربي جـ ٢/١٤٤، والأغاني جـ ١٨/٢١٢، وسيكرر المعنى في قوله جـ ١/٢٢٦:

فاستمعها لو أنشدوها أخا وقـ ـرٍ كفت مسمعيه أمرَ الوقر

وقوله جـ ١/٢٥٩:

فاستمعها لو أنشدوها أبا الطَّـ ـيبِ* ما كادَ أن يُسيغَ الرِّيقا

ومعنى البيت متداول ، فمنه قول البحتري*:

ومعانٍ لو فصَّلتها القوافي هجَّنت شعر جرولٍ* ولبيد*

وقول أبي سعيد، محمد بن محمد الرُستُمي:

قوافٍ إذا ما رواها المشو قُ هزَّت لها الغانيات القدودا
كسونَ عَبيداً ثيابَ العبيـ ـدِ، وأضحى لبيدٌ* لديها بليدا

وقول عبد الله بن أحمد الخازن*

فخذ إليك ابنَ عبَّادٍ* محبَّرةً لا البحتريُّ* يدانيها ولا الطائي*

ديوان البحتري جـ٢/٣٢٩، ودلائل الإعجاز ص : ٣٥٠ ، وفقه اللغة ص: ٨ ، ومعاهد التنصيص جـ ٤ / ١١٥، وخاص الخاص ص: ١٧٤ .

* - الإصبهاني ، أبو محمد من مادحي الصاحب بن عباد . راجع ترجمته في يتيمة الدهر جـ ٣ / ٣٧٩ .

سليل يافث(١)

وقال فيه(٢)، أيضًا، وأنشدَه
إيَّاها(٣) بعيد الفطر للسنة الثانية
بعد الألف، وأملاها عليَّ:

لَعِبَت بعِطفَيهِ الشَّمُولُ فمادا ... كالغُصنِ حَرَّكَهُ الهَوا فانآدا(٤)
رِيمٌ أعَارَ مَهَا الصَّرِيمِ لواحِظًا ... نُجلاً، وآرَامَ الحِمَى أجيَادا(٥)

(١)تخريجها في ب ص: ٨-١١، وج ص: ٩٠ - ١١، والهاشمي ص: ٤٣ - ٤٥، ومنها في أ ص: ٤، الأبيات الثلاثة الأولى مع شيء من مقدمتها، ومنها في أعيان الشيعة مج ١٠/١١١ - ١١٢ «٣٦» بيتًا، وفي السلافة ص: ٥٤٠ «١٢» بيتًا.

(٢)هو ركن الدين محمود بن نور الدين بن شرف الدين، وزير البحرين من قبل سلطان هرمز، مرت قصيدة في مدحه جـ ١/١٥٣، وفي الهامش «٥» منها ترجمته، وستأتي في مدحه قصيدتان أخريان جـ ١/١٦٤، و١٨٢.

(٣)في ج: إياه.

(٤)الشمول: الخمرة، أو الباردة منها، وفي الهاشمي والسلافة وأ وب وج: الهوى، مكان الهوا، ولعل الصواب ما أثبتناه، وانآد، مطاوع أوَد: انثنى، وفي الهاشمي مكانها: فنادا، و نص العجُز في الأعيان:

.... وثنى النسيم قوامه فانآدا

وهو من قول صفي الدين الحلّي*:

عَبثَ النسيم بقَدِّه فتأوَّدا ... وسرى الحياء بخدِّه فتورَّدا

ديوانه ص: ٤٣٥.

(٥)المها، بفتح الميم، جمع مهاة: البقرة الوحشيَّة، وفي الأصول: مهى، ولعل الصواب ما أثبتناه، أما المُهى فجمع مُهاة بالضم: ماء الفحل، وإن ورد رسمها هكذا في بعض المعاجم، والصَّرِيم: الأرض السوداء لا تنبت شيئًا، والقطعة من الرمل، وفي بعض الأصول الصرايم أعينًا، والمثبت من السلافة والحِمى: الحيُّ لأنَّهم يحمونه، وفي أ، وب، وج مكانها: الحما، وسوف يكرر المعنى في قوله جـ ١/٣٥٥:

وأعارت مها الفلا النظر الفا ... ترَ والجيدَ أتحفته الغزالا

وهو معنىً متداول، فمنه قول أبي الحسن التهامي:

ألا يا غزالاً أعار الغزالا ... جمالاً، وأعطى القضيب اعتدالا

وقول آخر: علقت بمن يشبِّه قرنَ شمس ... وعيناه استعارهما غزالا

وفي هذا مناقضة لقول الحسن بن علي بن مطران الشاشي:

ظباء أعارتها المها حسن مشيها ... كما قد أعارتها العيونَ الجآذر

وقول عديّ بن الرقَّاع*: وكأنَّها بين النساء أعارها ... عينيه أحور من جآذر جاسم

وقول يزيد بن الحكم:

كأنَّ أحورَ من غُزلانِ ذي بقر ... أهدى لها شبهَ العينين والجيدا

وقول ذي الرمَّة*: وتحت العوالي والقنا مستظلَّةً ... ظباءٌ أعارتها العيونَ الجآذر

راجع: ديوان التهامي ص: ٤٥٧، ويتيمة الدهر جـ ٤/١٣٥، وزهر الآداب جـ ٣/٦٥١، وأمالي القالي جـ ٢/١٧٠، وشرح ديوان المتنبي جـ ٢/٩، وشرح ديوان ذي الرمَّة ص: ٤١، والأغاني جـ ٩/٣١١، والشعر ==

خَنِثُ اللِّحَاظِ، وإنَّها لأشَدُّ مِن بِيضِ الظُّبَى، يَومَ القِراعِ، جِلادا[1]
{هاتيكَ جاوَرَت الجُفُونَ، وهذهِ أبتِ الجُفُونَ، وحَلَّتِ الأكبادا}[2]
نَازَعتُهُ رَاحًا كَبَرْدِ رُضَابِهِ طَعمًا، وجَذوَةَ خَدِّهِ إيقَادا[3]
فانقادَ كالمُهرِ الجَمُوحِ جَذبتُهُ رِفقًا، بِثَني عِنانِهِ فانقَادا[4]
واللَّيلُ زِنجيٌّ المُلاءَةِ، ناشِرٌ لِمَمًا كأحدَاقِ الحِسانِ جِعَادا[5]
فَنَضَا دُجَاهُ {بِغُرَّةٍ} أربَى بهَا، حُسنًا، على البَدرِ المُنِيرِ، وزَادا[6]
قَسَمًا بِخُوصٍ كالحَنِيِّ ضَوامِرٍ وَصَلَت بِتَدآبِ السُّرَى الإسآدا[7]
يَحمِلنَ شُعثًا من ذُؤابَةِ وائلٍ شُمَّ المَعاطِسِ، سَادَةً، أمجَادا[8]

== والشعراء ص: ٤١٦، وأمالي المرتضى جـ ١/ ٥١١، وخاص الخاص ص: ٨١، ١٠٦.

(١)الخَنِثُ: مَن فيه لين النساء وغُنجُهنَّ، والظُّبى، جمع ظُبَة" حدُّ السيف، أو السنان، ونحوهما، وفي أ والهاشمي مكانها: الضبا، وفي السلافة وب وج: الظبا، والقِراع: الضرب، في الحرب خاصة، وفي السلافة مكانها: القراح.

(٢)البيت ليس في ج.

(٣)الرُّضاب: الرِّيق، وفي السلافة: جمرة، مكان جذوة.

(٤)المهر: ولد الفرَس، وفي السلافة: ثنى لعنانه، مكان بثني عنانه.

(٥)المُلاءَةُ بالضمِّ والمدِّ: الرَّيطة، وهي المِلحَفَة، أو كل ثوب لين رقيق، وفي السلافة مكانها: الملاة لناشر، وفي ب: الملاة، واللِّمم، جمع لِمَّة: الوفرة، وهي شعر الرأس إذا ألَمَّ بالمنكِب، أو جاوز شحمةَ الأذن، وفي الأعيان مكانها: لما، وفي البيت نظر إلى قول أبي العلاء المعرِّي*:

ليلتي هذه عروس من الزنـ ـج عليها قلائدٌ من جُمان

راجع: ديوانه سقط الزند ص: ٩.

(٦)الغُرَّة في الإنسان: بياض الوجه، والكلمة ساقطة من متن ج، وفي الأعيان مكانها: بغمرة، بزيادة عين، وفي السلافة: أوفى، مكان أربى.

(٧)الخُوص، جمع خَوصاء، من الإبل: ما ضاقت عيناها وغارتا، والحَنِيُّ، جمع حنيَّة: القوس لأنّها محنيَّة، والتدآب: الدأب، وهو السَّوق الشديد والطرد، والسُّرى: السير بالليل، والإسآد: الإغذاذ في السير، وأكثر ما يستعمل في سير الليل، أو سير الليل والنهار بدون تعريس، وفي ب، والسلافة مكانها: الآساد، ومعنى البيت والذي يليه مأخوذ من قول ابن دريد في مقصورته:

إليكَ باليعملات يرتمي بها النجاء بين أجواز الفلا
خوصٍ كأشباح الحنايا ضُمَّرٍ يَرعفنَ بالأمشاج من جَذب البُرى
يحملنَ كلَّ شاحبٍ محقوقفٍ من طول تدآب الغدُوّ والسرى
بارٍ برى طول الطوى جثمانهُ فهو كقدح النبع محنيُّ القرا

جواهر الأدب جـ ٢/ ٤٠٥ - ٤٠٦.

(٨)شُعثًا، جمع أشعث: المغبرُّ الرأس، المتلبِّدُ الشعر، والمنتشِرُهُ لقلَّة تعهُّدِهِ بالدّهن، والذُّؤابة، من العزِّ والشرف: أعلاه، ووائل مختصرًا: بن قاسط، قبيلة عربية، بطن من ربيعة بن نزار من العدنانية، أشهر فروعها بكر* وتغلِب، وشُمٌّ، جمع أشَم السيد الكريم ذو الأنفة، والمعاطس، جمع مَعطس: الأنوف، والأمجاد، جمع ==

لأفــارِقَنَّ الخَطَّ غَـيــرَ مُـعَـوِّلٍ فـيهـا على مَن ضَنَّ أو مَن جَادا[1]

بَلَدٌ تُهينُ الأكـرَمينَ للؤمِـهـا، شَروَى[2] الزّمانِ، وتُكرِمُ الأوغادا

ولأذكُرُنَّ[3]، على النَّوى، فيها امرءاً غَمرَ النَّوالِ مَتَى استُميحَ أجادا

ولأخبِطَنَّ حَشا[4] الظَّلامِ مُيَمِّمًا مَلِكًا، بِمـا مَلَكَت يَداهُ، جَـوادا

لا يَقتَني غَيرَ السَّوابغِ، والقَنا والبِيضِ، والخَيلِ العِتَاقِ عَتَادا[5]

مِن مَعشَرٍ سَنَّ المَكارِمَ يافثٌ*[6] لَهُمُ، وأسَّسَ مَجدَهُم، وأشَادا

ما سُيِّرَت رَاياتُهُ في مَوكِبٍ إلاَّ رَجَعنَ؛ وقد مَلَكنَ بِلادا

يَقتَادُ مِ الأملاكِ[7] مَهما شَاءَهُ قَسراً، ولا يُعطي المُلوكَ مَقادا

تَثني مَعَاطِفَها المَنابِرُ باسمِهِ وتَهُزُّ، من طَرَبٍ بِهِ، الأعـوادا[8]

== نَجد: الشجاع الماضي في ما يَعجز غيره، السريع إجابةً إذا استُنجد به، وفي السلافة مكانها: أمجادا.

(١) في السلافة: الحظ، وقد اختلف في تعريف الخط*، فبينما يمتدُّ طولها عند بعض الجغرافيين فيشمل ساحل الخليج* بما فيه البصرة* وعمان*، أو يقصر كثيراً فلا يتجاوز الساحل من القطيف* إلى قطر* حتى يتقلَّص، عند البعض الآخر، إلى محلّة لعبد القيس*، وفُرضة بالبحرين*، لكن الظاهر أنه اسم مرادف للقطيف* استناداً إلى الجذور القديمة للإسمين: Atta vicus، أو Chatine، أو Attene، أو Atta، أو Cateus، أو Cateni، أو Katti. راجع: معجم البلدان، ومعجم ما استعجم، ودائرة المعارف الإسلامية ج ٨ / ٣٦٠، وواحة على ضفاف الخليج ص: ١٧، وضنَّ: بخل، وفي الهاشمي وج مكانها: ظن، بظاء مشالة معجمة.

(٢) في السلافة: بلومها، مكان للؤمها، وفي ب وج: للومها، والشروى: المثل، وفي السلافة مكانها: تروى.

(٣) في ب: لادكرن، بدال مهملة وبدون همزة الألف.

(٤) الحشا: ما انضمَّت عليه الضلوع كالقلب والكبد، وفي الهاشمي وب وج: حشى.

(٥) السوابغ: جمع سابغة الدرع الواسعة، والقنا، جمع قناة: الرمح، والعتاق جمع عتيق: الفرس النجيب، وفي البيت نظر إلى قول بشار بن برد*:

إذا خزن المالَ البخيلُ فإنما خـزائنهم خطّيـةٌ ودروع

ديوانه، ت العلوي ص: ١٥٢.

(٦) يافث*، شخصية توراتية: ثالث أبناء النبي نوح عليه السلام، إليه تنسب الشعوب الآريَّة والهندوأوروبيَّة.

(٧) في الهاشمي: من أملاكها، وفي ب وج: ملأملاك مهما، وعلق في حاشية ب العليا يقول: «أي من الأملاك، وأدغم نون من، ومثله في الشعر كثير، ومنه قول عمر بن ابي ربيعة*: يا خليليَّ م الملام دعاني، ونص أبو حيان على فصاحته، واطِّراده»، وبيت عمر المقصود كما في ديوانه:

يا خليليَّ من مـلامٍ دعـاني وألمَّا الغـداة بالأظعـان

ديوانه ص: ٤١٦.

(٨) المعاطف، جمع مَعطف: العنق كالعطف، يقال ثنى عِطفه بمعنى عُنقه إذا تكبَّر، والأعواد لعلها قوائم المنابر، والمراد هنا: المنابر ذاتها أخذت من العودين، وهما اسم منبر النبي محمد (ص)، ومعنى البيت مأخوذ من قول الشاعر الأموي: ==

وَلَهُ، كَمَا اطَّرَدَت لآلِئُ تاجِهِ، كَلِمٌ تَرُوقُكَ مَبدَءاً ومَعادا[1]
وَلَهُ، كَمَا حَلَّ الرَّبيعُ نِطاقَهُ، سَيبٌ يُبَخِّلُ صَوبُهُ الأجوادا[2]
وَلَهُ يَدٌ فيها المنِيَّةُ، والمُنَى تَشقِي السَّوامَ، وتُسعِدُ الوُفَّادا[3]

== إذا ولد المولود منا تَهلّلت له الأرض، واهتزّت إليه المنابر

وهو الثاني من بيتين نسبهما الإبشيهي، والثعالبي إلى الحكم بن عبد الرحمن المرواني في رواية حاصلها انه بعث بهما إلى صاحب مصر، بينما نسبهما المقري التلمساني إلى محمد بن عبد الملك بن الناصر اعتماداً على رواية الحجاري صاحب المسهب فقال: انه بعث بهما إلى العزيز صاحب مصر، فلعله أراد العزيز بالله: نزار بن المعزّ، والبيت الأول:

ألسنا بني مروان كيف تبدلت بنا الحال أو دارت علينا الدوائرُ

راجع: المستطرف ص : ١٥١، ونفح الطيب جـ ٥ / ١٢٤، والحماسة البصريَّة جـ٢/ ١٨، ويتيمة الدهر جـ ١ / ٣٦١.

(١) اطَّرَدت: تتابعت، أي رُؤِيَ بعضها في أثر بعض، يريد نظامها واتِّساقها، وفي ب وج: يروقك، مكان تروقك.

(٢) الباء والياء في كلمة الربيع في ج غير منقوطتين، والنطاق: ما شُدَّ به الوسط، يريد الوكاء، يشبِّه كرم الممدوح بمطر الربيع، والسيب: العطاء، والصَّوب: المطر أو نزوله.

(٣) في ب، وج: المنا، مكان المنى، والسَّوَام، جمع سائمة: الإبل الرَّاعية، يريد بشقائها: ذبحها للقِرى، وفي الأعيان: الوافادا، مكان الوُفَّادا، ومعنى البيت متداول بين الشعراء فينسب إلى أبي تمام* قوله وهو ليس في ديوانه: طلعتَ على الأموال أنحسَ طلعةٍ وعُدتَ على الآمال وهي سعود

وقول مسلم بن الوليد*:

تَظلَّمَ المال والأعداء من يَده لا زال للمال والأعداء ظلاَّما

وقول المتنبِّي*: حسَنٌ في عيونِ أعدائه أقـ ـبح من ضيفهِ رأته السَّوَامُ

وقوله أيضًا: فأنجم أمواله في النحوس وأنجم سُؤاله في السعود

وقوله أيضًا: ملك إذا امتلأت مالاً خزائنه أذاقها طعمَ ثكل الأم للولد

وقول أبي نواس*: إلى فتىً أمّ ماله أبداً تسمى بجيب، في الناس، مشقوق

وقول ابن جابر*: كريم شكت أمواله من سماحه كما قد شكت أعداؤه من سنانه

ويروى لدعبل الخزاعي*، وبكر بن النطَّاح:

فتىً شقِيَت أمواله بسماحه كما شقيت قيسٌ بأرماح تغلب

وقول ابنة ذي الإصبع العدواني:

ألا ليته يُكسى الجمال نديُّه(*)! له جفنة تشقى بها المعز والجزر(*1)

ولابن هرمة: إنِّي إذا ما البخيل آمنَها باتت ضموزاً منِّي على وجَل(*2)

وقول سلَمة بن يزيد:

فتى كان يعطي السيفَ في الروع حقَّه إذا ثوَّب الداعي، وتشقى به الجزر

وقول علي بن جبلة «العكوك*»:

تَزورُ سُخطًا فتمسي البِيضُ راضيَةً وتَستَهِلُ فتبكي أعينُ المال

وقول الخرنق بنت هفان*:

لا يَبعُدن قومي الذين هُمو سمُّ العداة، وآفة الجزرِ

الوساطة ٢٨٥، وديوان المتنبي ص٥٣، و٦٥، و١٦٥، وشرحه جـ٢/٦٥، و٧٢، وديوان أبي نواس ص: ٤٥١، وزهر الآداب جـ ٤/١٠٨٧، و ١٠٨٨، وديوان دعبل الخزاعي ص: ٢٦، وأمالي المرتضى جـ ١/٢٤٦، ==

وَمَـرَابِعٌ خُـضْـرُ المَحَـانِي لَـم تَـزَل عَـرَصَاتُهـا لِلمُـعـتَـفِينَ مَـرادا (١)
وعَـزَائِمٌ تَذكُـو ، وآراءٌ كَـمـا أورَت أكُـفُّ القَـادِحِينَ زِنـادا (٢)
فَليَـفـدِ رُكنَ الدِّينِ* كُلُّ مُـبَـخَّلٍ لا يَـسـتَلِينُ لَهُ الثَّنـاءُ قِـيـادا (٣)
جَعدُ اليَدَينِ ، يَعُدُّ خَزنَ ثَرائِهِ رَشَداً ، وإسداءَ الجَميلِ فَسـادا (٤)
ولَهُ إذا سَـمِعَ الثَّناءَ أو اجتُـدِي وَجـهٌ يُنيلُ شَبا اليَـراعِ مِـدادا (٥)
يَابنَ الأولى بَذُّوا جِـيَـادَهُمُ إلى أمَدِ العُلَى، يَومَ السِّباقِ، طِرادا (٦)
شَادُوا مَناقِبَهُم بِسَيبٍ غَامِرٍ وَظُبىً ألِفنَ طُلَى العِدَى أغمَـادا (٧)
فَـالنَّاسُ بَينَ اثنَينِ: إمَّا مَـادِحٌ لَهُمُ ، وإما مُـضـمِـرٌ أحـقَـادا
نَالَت بِهِم هامَ السُّهَى* يَدُ يَافِثٍ* طُولاً لِـكَـونِـهِـمُ لَـهُ أولادا

== وأمالي القالي جـ ٢/٧٥ و ١٦٠ ، وديوان المعاني جـ ١/ ٢٨ ، و١١٧ ، ومجمع الأمثال جـ ١/ ٣٢١ ، والكامل في اللغة والأدب جـ ١/٤٤٧ ، وجـ ٢/ ٢٨ ، و٥٥ ، وديوان « العكوّك » ص : ٩٥ ، وديوان الخرنق ص : ٤٣ ، وشعراء النصرانية « قبل الإسلام » ص: ٣٢٤ ، ومعاهد التنصيص جـ ٣ / ٩١ .

* - في الكامل : بدينة . وفي مجمع الأمثال : بديهةً .

(* ١) - في الكامل: النيب .

(* ٢) - الضموز الناقة الممسكة بجرّتها في فيها من الفزع فلا ترغو .

(١)في ج : حصر ، مكان خُضر ، والمحاني ، جَمع محناة ومحنية : منعرج الوادي ومنعطفه ، والعرَصات، جمع عَرصة : البقعة الواسعة بين الدُور، التي ليس فيها بناء ، والمعتفين، جمع معتفي : كلُّ طالب فضل أو رزق، والمراد : مكان رياد الإبل، أي اختلافها في المرعى مقبلة ومدبرة.

(٢)في ج : غرايم، بغين معجمة، وراء مهملة، وياء مثناة مكان عزائم ، وفي ب وج : وارآه ، مكان وآراء .

(٣)المبخَّل : الشديد البخل والطمَّاع ، وفي الهاشمي وب : مبجَّل ، والمعنى من قول أبي تمام :

يفـدي أمينَ الله كل منافق شنـآنه بين الضلوع كمين

وقول غيره : فداك من الأقوام كل مبـخَّل يحولق إمَّا ساله العرفَ سائل

ديوان أبي تمام ص ٣١٢ ، وديوان علي بن جبلة «العكوّك» ص : ٩٥ ، وأمالي القالي جـ ٢/٢٧٢ .

(٤)جعد اليدين : بخيل ، وضدُه سَبطهما وهو الكريم، وفي الأصول : تراثه، مكان ثرائه، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٥)اجتُدي، على المجهول : سُئل الجَدى، أو الجدوى، وهي العطاء ، وفي ب وج والهاشمي : اجتدى بصيغة المعلوم، والشَّبا ، جمع شَباة : حدُ الشيء وطرفه ، واليراع، جمع يَرَاعَة : القَصَب ، ويُسَمَّى به القلم لأنّه يُتّخذ منه، والمداد : النِّقس، وهو الحبر، وترتيب البيت في الأصول: السابع والعشرون، وقدمته هنا لمناسبة السياق.

(٦)بذُّوا : غلبوا وفاقوا ، وفي الأعيان مكانها : بدوا ، بدال مهملة ، وفي ج: نذلوا ، وفي ب وج والهاشمي : العلا ، مكان العلى.

(٧)السَّيب : العطاء ، والظُبى ، جمع ظُبَة : حدُّ السيف أو السِّنان ، وفي الأصول: ظبا ، والطُلى : الأعناق ، وفي الأصول : طلا، والعِدى : الأعداء ، وفي ب وج : العدا .

قَومٌ إذا استَنهَضتَهُم لِمُلَمَّةٍ والْيَومُ، كالْلَّيلِ الأحَمِّ، سَوادا[١]
رَكِبوا مُنيفَاتِ الهَوادي ، وانتَضَوا بيضًا ، كألسنَةِ الصَّباحِ، حِدادا[٢]
واستَلأموا قُمُصَ الحَديدِ، وجَرَّدُوا سُمراً ، كأرشِيَةِ الرُّكِيِّ ، صِعَادا[٣]
وتَفَيَّأوا ظِلَّ العَوالي، واحتَسَوا عَلَقَ النَّجيعِ، وعَانَقُوا الآسَادا[٤]
في مَأقِطٍ وصَلَت جَماجِمُ صيدِهِ بيضَ الصِّفَاحِ، وعَافَت الأجسادا[٥]
وافاكَ عِيدُ الفطرِ طَلقَ المُجتَلَى فاستَجلِ عِيداً ، بالسَّعَادَةِ، عَادا
ومَضَى الصِّيامُ، وقَد حَشَوتَ عِيابَهُ ورَعًا ، ونُسكًا أبهَرَ العُبَّادا[٦]
فاستَجلِ مِن كَلِمي عَرُوسًا قُلِّدَت دُرَرَ المَعَاني تَوأمًا[٧]، وفُرادا
واسلَم ودُم وانعَم وعِش في دَولَةٍ تُرضِي الوَلِيَّ ، وتُكمِدُ الحُسَّادا

* * *

(١)الأحَمُّ : الأسوَد .

(٢)المنِيفات ، جمع مُنيفة: الإبل العالية ، والهوادي : أوّل رعيل يطلع من الإبل ، والمراد هنا الخيل، وفي ب وج والهاشمي : كالسنة ، بدون همزة ، مكان كألسنة.

(٣)استلأموا: لبسوا اللأم، جمع لأمة ، وهي الدروع، وفي ب وج: استلاموا ، بدون همزة الألف الوسطى، والقُمُص، جمع قميص، مؤنثة: الدرع ، وجرّدوا : سلّوا ، وفي الأعيان : جرّروا ، والسُّمر: الرماح، والأرشية، جمع رِشاء : حبل الدلو ، وفي ب وج : كارشية ، بدون همزة الألف، والرُّكي ، جمع رَكيّة : البئر ذات الماء ، وصِعادا: طويلة مستقيمة، وسوف يكرر هذه الصورة في قوله جـ ١/٢٧٩:

وشِمن رؤوسًا كالبُدور تُقِلُّها رماحٌ كأشطان الرِكي موائد

وهو من قول مهلهل بن ربيعة*:

كأن رماحَهم أشطانُ بئرٍ بَعيدٍ بين جاليها جرور

راجع: أمالي القالي جـ ٢/١٣٤، والحماسة البصرية جـ ١/٢٤، وعجزه فيها: مخوف هدم عرشيها جرور.

(٤)في أ وب وج والهاشمي : تفيئوا ، مكان تفيّأوا، وفي الأعيان : تفيؤا ، ولعل الصواب ما أثبتناه، والعوالي ، جمع عالية : الرماح، وأعلى القناة، أو رأسها، أو النصف الذي يلي السنان، والعَلَق ، جمع علقة : الدّم عامّة، أو الشديد الحمرة منه ، والغليظ ، وما كان إلى السواد .

(٥)المأقط : موضع القتال ، أو المضيق في الحرب، وفي ب وج والهاشمي : ماقط ، ولعل الهاشمي قد اشتبه في قوله بأنها : « الحبل المفتول ، يُتّخذ لصيد الطيور » ، فهو بعيد ، والبيت ينظر إلى قول علي بن الحسين الشفهيني الحلّي :

هجرت رؤوسَهم الجسومَ فواصلت زُرقَ الأسِنَّةِ والوشيجَ الذُبَّلا

أعيان الشيعة مجـ ٨ /١٩٣ وأدب الطف جـ ٤/١٧٥ .

(٦)العِياب ، جمع عَيبة : الزنبيل من أدم ، وما تجعل فيه الثياب كالصندوق .

(٧)التّوأمُ : المولود مع غيره في حَمل واحد ، وفي ب وج : توما .

واحدٌ في الناس[1]

وقال، أيضًا، فيه[2] يُهَنِّيه بعيد الأضحى للسنة الرابعة بعد الألف، ويَذكُرُ {فيها}[3] قِصَّةً جرَت، وهي[4] أنَّ هذا الوزير وَقَع في يَدِه بيتان أعجميّان في كلِّ مِصراعٍ ذِكرُ خَمسَةِ أشياء، وهي: يوم من الأيّام الأربعة، وهي: ما قبل أمس، {وأمس}[5] واليوم، وغدٌ، وشيء من الرياحين، وشيء من الجواهر، وشيء من السلاح، وأحد {العناصر}[6] الأربعة من النّار، والتراب والماء والهواء، والتَمَس ممن {له}[7] أنسٌ بالنَّظم أن يأتيَ بمثلهما، فقال في ذلك. ولم يَلتمِس من أبي البحر شيئًا، فقال أبو البحر قدَّس الله، رُوحَه ونوَّر ضَريحَه:

قبل أمسِ كسا الوردُ الثرى دُرعُ عَقيق لعلُ أمسِ أسال دِماءَه[8] سَيفُ شَقيق[9]
واليومَ قَنا النَّرجِس شَذرٌ وهوا[10] ياقُوتُه كلُّ نارِ غدٍ سَهم حَريق

والبيتان الأعجميّان هما: گل داد مرمر درع فيروز پياده[11]
دمكاه جوش لعل لاله مرخاك أفتاده[12]

---

(١) تخريجها في ب ص: ١١ – ١٦، وج ص: ١١ – ١٥، والهاشمي ص: ١١٥ – ١١٨، ومنها في أعيان الشيعة مج ١٠/١١٢ – ١١٣ «٥٣» بيتًا.

(٢) هو ركن الدين محمود بن نور الدين بن شرف الدين*، وزير البحرين* من قبل سلطان هرمز*، مرت قصيدتان في مدحه ص: ١٥٣، وفي الهامش «٥» منها ترجمته، وص: ١٥٨، وستأتي قصيدة أخرى في مدحه ص: ١٨٢.

(٣) ساقطة من متن ب، والإضافة من حاشيتها وج.

(٤) في ب ج: وهو.

(٥) ساقطة من ج وأضفتها من ب.

(٦) غير موجودة في الأصول، والسياق يوجبها.

(٧) ساقطة من متن ب وأضفتها من حاشيتها، وج.

(٨) في ب، وج: ماؤه، والمثبت بتصرف.

(٩) الشقيق: نبات زهره أحمر مبقَّع بنقط سوداء كبيرة، والجمع: شقائق، ويعرف بشقائق النعمان، يقال إنَّ النعمان بن المنذر ملِك الحيرة أمر بحمايته فنسب إليه، وفي ج مكانها: شفيق بفاء موحدة.

(١٠) هوا: مُسهَّل هواء، وفي ب وج: هوى.

(١١) گل، بضمِّ الأوَّل: الورد، ولون أحمر، وفي ب وج مكانها: كل، وداد: نبرة تأوه تعني: آه، ومرمر، ودرع، وفيروز مُعرَّبة معروفة، وپياده: جوهر، ونوع من الورد الأحمر، ومكانها في الأصول: بياد، بباء موحدة، وحذف الهاء. راجع: المعجم الذهبي، والمعجم الفارسي الكبير.

(١٢) دمكاه: كير، أو موقد، وفي الأصول مكانها: رمك، وجوش: حرارة، أو غليان، وفي الأصول: جوشن، ولعل: ياقوت، ولاله: مصباح ذو قاعدة، أو زهرة، وخاصة: شقائق النعمان، ومر، تقوم مقام علامة المفعول به المباشر، وخاك: تراب، وفي ب، مكانها: رخاك، وأفتاده: واقع، أو ساقط، ومكانها في الأصول: أفتاد، والظاهر أن ==

قال أبو البحر (قدّس سرُّه): ولو لا لُحُوق الغيرة على العرب أن إذا امتُحِنُوا بمثل هذا من خُرافات العجم التي لا تَدُلُّ على قَرِيحَة في النظم ذَكيَّة، ولا يَدٍ فيه قويَّة، لما سَلَكتُ هذا السَّبيل، وكنت بمعزلٍ عن هذا القِيل[1]، فلا يُؤخَذ عليَّ ما وُجِد لي من هذا الهَذَيان، وأحِيلَ عليَّ من هذا الشأن، فالعُذرُ من ذَوي الإنصاف مَرجوٌّ مأمُول[2]، والعَفوُ منهم مطلوب مسؤول، والحمد لله رب العالمين:

أَهَبتُ بالدَّمع، إذ بَانُوا، فَلَبَّاني ... حتَّى لقد خِفتُ أَنَّ الدَّمعَ يَغشاني[3]
وانهَلَّ من أحمَرٍ قانٍ، ومن يَقَقٍ ... كالدُّرِّ فُصِّلَ، مَنظُومًا، بِمَرجانِ[4]
دَمعٌ يُذِيبُ أدِيمَ الخدِّ سائلُه* ... لِفَرطِ ما صَعَّدَتْه نارُ أحزاني[5]
ساروا، وما أوقَرُوا أحداجَ عِيسِهِمِ ... إلاَّ كَرايَ، على رَغمي، وسُلواني[6]
نَبَت بِيَ الدارُ حتَّى ضاقَ أرحبُها، ... يومَ النَّوى، ونَبا بالرُّوحِ جُثماني[7]
مالي بِهَجرِهِمُ، والدَّارُ جامِعَةٌ، ... يَدٌ، فكَيفَ بِنَأيٍ بَعدَ هِجرانِ[8]

== المثبت هو بيت واحد ذو مصراعين؛ لأن الكلمات: قبل أمس وأمس واليوم والغد والماء والهواء غير واردة في هذين المصراعين، فلعلها في البيت الآخر المحذوف. راجع: المعجم الذهبي، والمعجم الفارسي الكبير.

(١) القِيل: إسم ومصدر من قال، وفي ج: القبيل.

(٢) في ج: مومول.

(٣) عجزه في الأعيان: «من أبيض يقق أو أحمر قاني».

(٤) اليقق: شديد البياض، ناصعه.

(٥) في الأصول: احزان، مكان أحزاني، والمثبت بتصرف.

(٦) الأحداج، جمع حِدج: الحمل، وشيءٌ كالمحفَّة، أو الهودج، يُتَّخَذ لركوب النساء على البعير.

(٧) نبت به: اضطربت، وقلقت فلم توافقه.

(٨) سيكرر المعنى في قوله جـ ١/٣٤٦:

أهيم بكم أسىً وأضيق وجداً ... وما بيني وبينكم ذراع
فكيف وبيننا آذيُّ بحر ... وبيدٌ في مفاوزها اتِّساع؟

وقوله جـ ١/٤١٤: من لا يطيق فراق يومٍ واحد ... لكمُ فكيف يكون بعد شهور؟

وهذا المعنى متداول، قال سحيم عبد بني الحسحاس:

أشوقًا ولمَّا تمض لي غير ليلة ... فكيف إذا سار المطيُّ بنا عشرا؟

وينسب إلى جميل بن معمَّر وليس في ديوانه:

أشوقًا ولمَّا تمض لي بعض ليلة ... رويد الهوى حتى تغبَّ لياليا

وقال أشجع السلمي*: فها أنت تبكي وهم جيرةٌ ... فكيف تكون إذا ودَّعوا؟

وقال محمد بن الحسن بن الحرون: ==

يا صَاحِبَيَّ ، أَلِمَّا بِي على دِمَنٍ أَقوَت مَعالِمُها من أمِّ عُثمانِ[1]
وأوقِفانِيَ فيها ، ثمَّ لا تَسَلا لها السَّحابَ الغَوادي بعد أجفَاني[2]
عَلَّ الوُقُوفَ، ولو لَوثَ الإزارِ بها ، يُزيلُ بَعضَ صَباباتي ، وأشجَاني
فَوَقفَتي في مَحانِي كلِّ مَنزِلَةٍ خَيرٌ لها مِن مُلثِّ الوَدقِ هَتَّانِ[3]
حَلَفتُ لم أدرِ ما وادِي العَقِيقِ ، ولا دَارٌ تأبَّدَ مَأواها بِمَاوانِ[4]

== لقد كنت أبكي قبل أن تشحط النوى فكيف إذا ما غبتُ عنك أكون ؟
و الشفهيني* : وقد كنت أبكي والديار أنيسةٌ وما ظعنت للظاعنين قفول؟
فكيف وقد شط المزار وروّعت فريق التداني فرقة ورحيل؟
ولآخر : قد كنت أبكي وما حنّت لهم إبلٌ فما أقول إذا ما حُمّل الثقل؟
وقال آخر : أألآن تبكي والنوى مطمئنّةٌ فكيف إذا بارحت من لا تبارح؟
وقال المتنبي* : أريَ أسفي وما سرنا قليلاً فكيف إذا غدا السير ابتراكا؟
وقال غيره : فهذا ولمّا تمض للبين ليلة فكيف إذا مرّت عليكَ شهور؟
راجع: الأغاني جـ ٢/٣٠٦ ، ومحاضرات الأدباء جـ ٢/ ٦٨ - ٦٩ ، والوساطة ص: ٢٣٥ ، وديوان المتنبي ص: ٥٦٧ ، وأنوار الربيع جـ ٤/٤١ ، والعقد الفريد جـ ٦/٢٥٥ ، وأمالي القالي جـ ١/ ٤١ ، و جـ ٢/ ٢٧٠ ، وأدب الطف جـ ٤ /١٤٩ - ١٥٠ ، وتزيين الأسواق ص: ٥٢٩ .

(١) الدِّمَن، جمع دِمنة : آثار المنازل بعد تركهم لها، وأقوت: خلت، والمعنى أخذه من قول الشريف الرضي* :
قِف بي ولو لَوثَ الإزار فإنّما هي مهجة عَلِقَ الهوى بفؤادها
ديوانه جـ ١ /٣٦٠ ، وفي الهاشمي: لي ، مكان هي .

(٢) سوف يكرر المعنى في قوله جـ ١/ ١٧٣ :
وجهلٌ بنا استسقاؤنا صيِّبَ الحيا لدار يُغادي ساحتيها حَياكُما
وقوله جـ ١/٢٧٤ :
فسقاكَ نائله فلسنا بعده يا قبر نستسقي لك الأمطارا
والمعنى مأخوذ من قول دعبل الخزاعي* :
لا أبتغي سُقيا السحاب لها في مُقلتي خَلَفٌ عن السُّقيا
ديوانه ص: ٩٩ ، ومحاضرات الأدباء جـ ٢ /٧٨ ، وأمالي القالي جـ ١/٢١٢ ، وفيه سقي، مكان سقيا، وعوض، مكان خلف.

(٣) في الأعيان: فوقفني، بنون مفردة، مكان فوقفتي ، بالتاء المثناة، والمحاني ، جمع محناة ومحنية : منعطف الوادي، وصوّبها في حاشية ب: صحاني، والصواب ما في المتن، والملثُّ : المطر يدوم أياما لا ينقطع، والودق بدال مهملة ساكنة : المطر ، وهو في الأصل لشيء يشبه الغبار في وسط المطر ثم استعمل للمطر تجوزاً، وهتّان: مُنصبٌ ، وهو فوق الهطل أو الضعيف الدائم أو مطر ساعة ثم يفتُر ثم يعود .

(٤) في الهاشمي والأعيان: خلقت، مكان حلفت، والعقيق: كل مسيل ماء شقّه السيل، وفي جزيرة العرب* عدد من هذه الأودية منها عقيق اليمامة* ، والبصرة* ، وبالمدينة المنورة* أيضًا عدد منها، لكنّ أشهرَها اثنان: الأصغر، ويقع شمالها غربي جبل أحد، والأكبر، ويقع إلى الجنوب منها، وتأبّد : أقفر وألفته الوحوش، وماوان : إمّا ماوان السنّور، وهي قرية في أودية العلاة من أرض اليمامة*، أو واد بين النقرة والرَّبَذَة، وفي ب وج: بماواني، راجع ياقوت جـ ٤ /١٣٨ - ١٣٩ ، و٥ / ٤٥ ، والبكري جـ ٣/٩٥٣ - ٩٥٤ ، و٤/١١٧٨ ، وأطلس التاريخ ==

ولا الوُقُوفُ على الدَّاراتِ من أَرَبي ... ولا مُخاطَبَةُ الأطلالِ مِن شَاني[1]
ولا زَجَرتُ غُرَابًا في تَعَرُّضِهِ ... ولا أَهبتُ بِحَادٍ خَلفَ أظعَانِ[2]
ولا وقَفتُ لغَادي المُزنِ أسألُهُ ... سَقيَ المَنازِلِ أقوَت بَعدَ سُكَّانِ[3]
حتَّى عَلِقتُ بأعرَابيَّةٍ ألِفَت ... رَملَ الحِمَى حَيثُ تَهوِي الرِّيحُ بالبانِ[4]
فاعتَضتُ بالأهلِ وَحشًا، والدِّيارِ فَلاً ... فالوَحشُ والبِيدُ أخداني، وأوطاني[5]
هَيفاءُ تَثنِي وِشاحَيها على غُصُنٍ ... تَهفُو بِهِ نَسَمَاتُ الدَّلِّ رَيَّانِ
غُصنٍ يَنُوءُ بحُقفٍ فَوقَهُ قَمَرٌ ... يُضِيءُ في جُنحِ جَثلِ النَّبتِ فَينانِ[6]
تَمُجُّ ألحَاظُها حَتفًا تَوَلَّدَ عن ... سِحرٍ يَشُقُّ عَصا[7] مُوسَى بنِ عِمرانِ
نَواظِرٌ نالَنا من فَتكِهِنَّ بِنا ... أضعافَ[8] ما نالَ، في الدارِ، بنَ عَفَّانِ
أورَثَننا سَقَمًا ما لِلمَسِيحِ يَدٌ ... بِبُرئِهِ، لا، ولا لِلشَّيخِ لُقمانِ[9]
تَفتَرُّ عن مَوردٍ عَذبِ النِّطافِ على ... أرجائِهِ من نَفِيسِ الدُّرِّ سِمطانِ[10]
يَثنِي المُلِمَّ بها عن ضَمِّ قَامَتِها ... حُقَّانِ، في الصَّدرِ، من عَاجٍ نَقِيَّانِ[11]
تِلكَ التي أورَثَتني بَعدَ عافِيَتي ... سُقمًا ألَحَّ على جِسمي فأخفاني

== الإسلامي خ ٣٢ مكرر، و ٤٠، و٤٢، ومع الشعراء ص: ١٩٤.

(١) الدارات، جمع دارة: مواضع بجزيرة العرب* ذكر منها ياقوت* سبعين دارة. معجم البلدان جـ ٢/٤٢٤ - ٤٣١.

(٢) لا يريد بزجر الغراب هنا العيافة؛ بل الترحُّل، وهو من قول الحريري*: «في غدٍ أزجر غراب البين»، أي أرتحل. راجع: «محيط المحيط»، وفي الهاشمي: أضعان، مكان أظعان.

(٣) أقوت: خلت.

(٤) في الأعيان: علقتا، مكان علقت، والحمى: الحيُّ لأنّهم يحمونه، وفي ب وج: الحما.

(٥) في ب والهاشمي: والوحش، مكان فالوحش، وفي الأعيان: اخواني، مكان أخداني.

(٦) ينوء: ينهض بمشقة، والحقف: الكثيب المتقوّس، والجثل، من الشجر والشعر: الكثيف الملتف، وفي الأعيان: «حقف ينوء بغصن»، وفي ج: قينان، بقاف مثنّاة مكان فينان، بالفاء المفردة.

(٧) في الأصول: عصى، والمثبت بتصرُّف.

(٨) في ب و ج أضغاف بغين معجمة، مكان العين المهملة.

(٩) في الأعيان: اورثنا، مكان أورثننا، وفي ب وج والهاشمي: ببرءه، مكان ببرئه، وفي البيت غلوٌ كان له عنه سعة.

(١٠) النطاف، جمع نطفة: الماء الصافي، والسمطان، مثنَّى سمط: قلادة طويلة.

(١١) الحُقّان، مثنّى حُقّ: وعاء الطيب.

وحَارَبَت بَينَ جَفنِي والرُّقادِ فمـا ... ألقى الدُّجى بِسِوى أجفـانِ سَهرانِ

وطَالما بِتُّ أحيِي اللَّيلَ مُرتَشِفًا ... رِيقَ المُدامِ على تَرجِيعِ ألحانِ[1]

يَسعَى بهـا ثَمِلُ الأعطافِ وجنَتُه ... كَراحَةٍ ، إذ كِلا لَونَيهُما قانِي[2]

إذا علاها نَميرُ الماءِ أولَدَها ... دُرًا تَخَلّص عن أحشَاءِ عِقيانِ[3]

أنا الّذي ضاقَ بي دَهري، وضِقتُ به ... فَنحنُ، عند اتِّحادِ الوَصفِ، مِثلانِ[4]

إن شاء لم أعطِهِ، والجُودُ من شِيَمي ... والحَزمُ ذاك، ولا إن شِئتُ* أعطاني

مـا سَرَّني فرآني ضَاحِكًا أبدًا ... كَـلاً، ولا سَاءَني يَومًا فأبكاني

بَلَوتُ هذا الوَرَى، طُرًا، فما حَصَلَت ... يَدي على غَيرِ بادي الغَدرِ خَوّانِ

إلا الوَزِيرَ، أدامَ اللّهُ دَولتَهُ ... فَواحِدٌ ما لَهُ، في النَّاسِ، من ثاني[5]

أهابَ بي جُودُهُ من بعد ما وُقِرَت ... عن استِمَاعِ مُنادِي العُرفِ آذاني

وشَدَّ أزري بِمـا ضاقَ الثَّناءُ بهِ ... ذَرعًا، فَفَهَّهَنِي، عَجزًا، وعَيَّاني[6]

---

(١) في ب والهاشمي : احي ، مكان أحيي ، وفي ج : احى، وفي الأعيان : ترجيح ، مكان ترجيع.

(٢) قاني : شديد الحمرة ، وفي ب وج ، والهاشمي: قان ، وهي صحيحة في غير قوافي الشعر.

(٣) العقيان : الذهب الخالص، وهذه من تشابيه أبي نواس* مثل قوله:

فإذا الماء شَجَّها خلتَ فيها ... لؤلؤاً فوق لؤلؤٍ مسلوكا

وقوله: ثم شُجَّت فاستضحكت عن لآلٍ ... لو تجمَّعن في يد لاقتنينا

وقوله: كأنها بزُلال المزن إذ مُزِجَتْ ... شُبَّاك دُرٍّ على ديباجِ ياقوتِ

وقوله: إذا شَجَّها الساقي بماء رأيتَها ... مكلّلةَ الأعلى بطوق جُمانِ

وقوله: كأنَّ صُغرى وكُبرى من فَواقِعها ... حَصباءُ دُرٍّ على أرضٍ من الذَّهبِ

وقوله: صاغَ المِزاجُ لها مِثال زَبرجَدٍ ... مُتألقٍ بِبَدائع الأضواء

وقد أسرف الشعراء في هذه التشابيه، فمن ذلك قول أبي القاسم علي بن إسحق الزاهي:

كأنما الماءُ حين خالطَها ... أهدى إليها غَلائلَ الشَّفَق

وقول ابن طباطبا (*): إذا ما الماء مازجها تراءت ... كما زوِّجت بالتِّبر اللُّجَينا

وقول عبد الله بن المعتزّ* : راحٌ كأنَّ حُبابَها ... دُرٌّ يَجُولُ مُجَوَّفا

ديوان أبي نواس ص: ٢٣، ٣٠، ٣٩، ٨٥، ٤٠٧، ومحاضرات الأدباء جـ ٢/ ٦٩٠، وديوان عبد الله بن المعتز ص: ٣٢٦.

(٤) في الهاشمي: صدري، مكان دهري.

(٥) في الأصول: ان الوزير، والمثبت بتصرُّف، وفي الهاشمي وب وج: ثان، مكان ثاني، وهي صحيحة في غير قوافي الشعر.

(٦) الفهاهة: العيُّ، والعجز.

(*) - راجع ترجمته في جـ ١/ ٣٨٥.

تُثنِي العُفاةُ على عِيسٍ وَقَفنَ بِهِم[1] … على نَدَى أريَحِيٍّ غَيرِ مَنَّانِ
لم يَرضَ بِالمجدِ مَورُوثًا فأحرَزَهُ … كَسبًا، وأوَّلُهُ يُغنِي عن الثَّاني
فَلا مَزِيدَ على ما أتحَفَتهُ بِهِ … أيدِي مَساعِيهِ من عِزٍّ وسُلطانِ[2]
ما أقربَ الشِّبهَ منه[3] في جَلالَتِهِ … ومُلكِهِ بابنِ داودٍ سُليمانِ
ما سارَ في مَوكِبٍ إلاَّ وَحَفَّ بِهِ … مِن الوُحُوشِ وطَيرِ الأُفقِ جَيشانِ[4]

---

(١) في الأعيان: يثني مكان تثني، والعُفاة، جمع عافي: كلُّ طالب فضل، أو عطاء، والعِيس، جمع عَيساء: الإبل البيض يخالط بياضَها شُقرة، وفي الأعيان وج: عيسى.

(٢) في ب وج: وسلطاني.

(٣) في الهاشمي: مني.

(٤) إشارة لكثرة القتلى التي يُخلِّفُها وراءه، وقد تداول هذا المعنى عددٌ من الشعراء، وأوَّلهم الأفوه الأودي في قوله:

وتَرى الطيرَ على آثارِنا … رَأيَ عَينٍ ثِقَةً أن سَتُمارا

وتبعه النابغة الذبياني* فقال:

إذا ما غَزَوا بالجيشِ حلَّقَ فَوقَهم … عَصائبُ طَيرٍ تَهتَدي بِعَصائب

وقال الحُطيئة*: تَرى عَافياتِ الطير قد وثِقَت لها … بِشَبعٍ من السَّخلِ العِتاقِ مَنازِلَه

وقال الكُمَيت بن معروف:

وقد سَتَرَت أسِنَّتَه المواضي … حُدَيًّا الجوِّ والرَّخَمَ السِّغابا

وقال حميد بن ثور الهلالي يصف ذئبًا:

إذا ما غدا يومًا رأيتَ غَيايَةً … من الطيرِ يَنظُرنَ الذي هو صَانع

وقال عبيد الله بن قيس الرقيَّات:

والطيرُ إن سار سارت فوقَ مَوكِبِه … عَوارِفًا أنَّه يَسطُو فَيَقرِيها

وقال أبو نواس*: تَتَأيَّا الطيرُ غَدوَتَه … ثِقَةً بالشِّبعِ من جَزَرِه

وقال مسلم بن الوليد*:

قد عوَّد الطيرَ عادات وثِقن بها … فَهنَّ يتبَعنَه في كلِّ مُرتَحَلِ

وقال أبو تمام*: وقد ظُلِّلَت عُقبانُ أعلامِهِ ضُحًى … بِعُقبانِ طيرٍ، في الدماء، نَواهِلِ
أقامت مع الرايات حتى كأنها … من الجيشِ إلاَّ أنها لم تُقاتِلِ

وقال المتنبي*: له عسكرا خَيلٍ وطيرٍ إذا رمى … بها عَسكرًا لم تَبقَ إلاَّ جَماجِمُه

وقال أيضًا: يُطَمِّعُ الطيرَ فيهم طُولُ أكلِهِمُ … حتى تَكادَ على أحيائهم تَقَعُ

وقال بكر بن النطاح*: وترى السِّباعَ، من الجوا … رح، فوقَ عسكرِنا جَوانح
ثِقَةً بأنَّا لا نزا … لُ نَميرُ ساغِبَها الذبائح

وقال مروان بن يحي أبي الجنوب:

لا تَشبَعُ الطيرُ إلاَّ في وقائعه … فأينما سار سارت خلفه زُمَرا

وابن نباتة السعدي: إذا حوَّمَت فوق الرماح نُسُورُهُ … أطار إليها الضربُ ما تَتَرَقَّبُ

ومن شعراء الأندلس عبد الملك بن جهوَر:

تَرى جوارحَ طيرِ الجوِّ فَوقَهُمُ … بين الأسنَّة والراياتِ تَختَفِقُ

وابن شُهَيد الأندلسي: ==

كَـأنَّ عِـمَّـتَـهُ لِيثَت على قَـمَـرٍ ... دَاني التَّـألُّقِ يُعشِي مُـقلَةَ الرَّاني(١)

أنامَ سِربَ الرَّعَـايا في ذَراهُ فَمَـا ... تَنفَكُّ نائِمَـةً في ظِلِّ يَقظَانِ(٢)

لم يَرضَ أن غَـمَـرَ الأحيـاءَ نَائِلُهُ ... حتَّى كَسا، بالصَّنيعِ، الهالِكَ الفاني(٣)

أحيَى مَـآثِرَ مَن أودَى الزَّمَانُ بِهِ ... فظَلَّ يَنشُرُ ما يَطوِي الجَديدانِ(٤)

إنِّي لأحسُدُ بَيتَي شَاعِرٍ لبِسا، ... بذِكرِهِ لَهُما، أثوابَ إحسانِ

كَساهُما بَهجَةً إعجابُهُ بِهِما ... فأكمَلا، بَعدَ أن هَمَّا بِنُقصانِ

لله ما وَسِعا(٥) مَع ضِيقِ وَزنِهِما ... من جُملَةٍ لم يَسعها، قَطُّ، بَيتانِ

في كُلِّ مِصراعِ بَيتٍ منهما جُمِعَت ... أشياءُ يَعجَز عنها كُنهُ تِبياني

عَناصِرٌ، ومِنَ الأيَّام أربَعَةٌ ... وجَوهَرٌ(٦)، وسِلاحٌ، واسمُ رَيحانِ

وألزَمَ النَّاسَ أن يَأتُوا بمِثلِهِما ... مَعنىً، وَوَزنًا، مِنَ القاصِي(٧) إلى الدَّاني

فَظَلَّ يُرسِلُ كُلُّ طِرفَ فِطنَتِهِ ... فمِن عَثُورٍ، عَنِ الغَايَاتِ، أو وَاني(٨)

== تَطيرُ جياعًا فَوقَـهُ، وتَرُدُّها ... ظُباهُ إلى الأوكارِ وهي شِباعُ

خزانة الأدب جـ ٤/٢٨٩ -٢٩٢، وتاريخ الأدب العربي جـ ١/٣٤، و٢٨٨، وديوان النابغة الذبياني ص: ٣٠، وديوان الحطيئة ص: ٧٩، وديوان عبيد الله بن قيس الرقيَّات ص: ٣٩، وديوان أبي نواس ص: ٤٣١، وديوان أبي تمَّام ص: ٢١٩، وديوان المتنبي: ٢٥٩، و٣١٢، ومعاهد التنصيص جـ ٤/٩٩، وديوان ابن شهيد ص: ٩١.

(١) العِمَّة بكسر العين: أصلها الإعتمام، أي الهيئة التي تُلَفُّ بها العمامة، وليثت: لُفَّت، وفي ج مكانها: ليتت، بتائين مثنَّاتين، وفي ج: مقله، بهاء مهملة مكان مقلة، بالتاء المربوطة، ويعشي: يصيب بالعشا، أو العشاوة، أي العمى، وفي الأصول: يعشى، بالمقصورة، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) ذراه: كَنَفُه، وحِماه، وفي ب: ينفك، بياء مُثَنَّاة تحتية، مكان تنفك، بالتاء المثناة الفوقية، وفي ب وج والهاشمي: يقضان بضاد مكان الظاء المشالة.

(٣) أخذ المعنى من قول النابغة الذبياني*:

حِباءُ شَقيقٍ فَوقَ أعظُمِ قَبرِهِ ... وما كان يُحبَى، قَبلَه، قبرُ وافِدِ

ديوانه ص: ٣٨.

(٤) في الأصول: احي، وأودى به: أهلكه، وفي ب وج: أوذى، بذال معجمة، مكان الدال المهملة، والجديدان: الليل والنهار.

(٥) في الأعيان: وثعا.

(٦) في ب: جومر، مكان جوهر.

(٧) في الأعيان: القاضي، بضاد معجمة.

(٨) الطِّرف: الكريم من الخيل، استعاره لسرعة الخاطرة، وفي ج ومتن ب: فكرته مكان فطنته.

حتَّى تَمَطّى على العِلاَّتِ ذُو مَرَحٍ من فِكرَتي سَابقٌ في كُلِّ مَيدان[1]
لا يَنثَنِي دُونَ أن يَسمُو لِغَايَتِه كأنَّه وقَضَاءُ اللَّه سِيَّان
بَعثتُهُ فأتَى بالنُّجحِ من كَثَبٍ إنَّ الجَنَى لَقَرِيبٌ مِن يَدِ الجَاني[2]
أنا الَّذي هَزَّ بِي دَهرِي مَعَاطِفَهُ عُجبًا، فلم أبتَسِم عن ثَغرِ جَذلان[3]
ما افتَرَّ عن مِثلِ ما أرسَلتُ من حِكَمٍ فَمٌ، ولا ضَمَّ قَلبِي صَدرُ إنسانِ
ولا تناولَ شَأوِي كَفُّ مُلتَمِسٍ أنَّى، وقد قَصُرَت عنه السِّمَاكانِ[4]
إن قُلتُ شِعراً فَلِي في كُلِّ جَارِحَةٍ نَظمٌ يُنِيفُ على إحسَانِ حَسَّانِ[5]
ما زال يَكحُلُ، لَمَّا رَاحَ يُعنِقُ بِي، طِرفِي ثَرىً طَرفَ من في الشِّعرِ جاراني[6]
أولانِيَ اللهُ ما أولَى فَفُهتُ[7] بِهِ فَالحَمدُ لله، لا لِي، حَيثُ أولاني

* * *

---

(١) تَمطَّى: تمدَّد، وتبختر، ومدَّ يديه في المشي، وفي الأعيان مكانها: تمطي، بياء مثناة تحتية، والعِلأت، هنا، جمع علَّة: الأحداث تَشغل صاحبها عن وجهته، أو هي الحالات المختلفة، والشؤون المتنوِّعة.

(٢) الجَنى: ما يُجنى من الثمار كالرطب ونحوه والعسل، وفي ب وج والهاشمي: الجنا، والعجز يجري مجرى الأمثال، وفيه نظر إلى قول عمرو بن عدي، وقد تمثل به الإمام علي بن أبي طالب (ع):

هذا جَنايَ وخيارهُ فيه إذ كل جان يده إلى فيه

معجم الشعراء ص: ١٥.

(٣) في الأعيان: هز لي، مكان هزَّ بي، والمعاطف، جمع معطف: الأعناق.

(٤) في الأعيان: انِّي، بياء مثنَّاة مكان أنَّى بالمقصورة، وفي الهاشمي: انا، والسماكان: كوكبان نيِّران، أحدهما في جهة الشمال، أمامه كوكب صغير يقال له راية السماك، ورمحه، ولذلك يقال له السماك الرامح، والآخر جهة الجنوب ليس أمامه شيء، ولذلك يقال له الأعزل، أي الذي لا سلاح له، قيل كلاهما من منازل القمر، وقيل الأعزل فقط، ويسميان - أيضًا - رجلي الأسد. راجع: محيط المحيط.

(٥) هو حسَّان بن ثابت شاعر النبي محمد (ص).

(٦) يَكحُل: يضع الكُحلَ في العين، ويُعنِق: يَسيرُ العَنَق، وهو ضرب من سير الفرس، والطِّرف: الكريم من الخيل، والثرى: التراب النديُّ، أو الذي إذا بُلَّ لم يَصِر طينًا لازبًا، وفي الأصول: ثرا، بالألف الممدودة، ويجوز أن تكون طرف الثانية بكسر الأوَّل، فيكون معناه أنَّ حِصانَه يُغبِّر في وجه حِصان مُجاريه، أو أنَّها طَرف: بفتح الأوَّل، أي عَين، فيكون المعنى أنَّ حصانه يملأ عين مجاريه غباراً، وفي البيت شبه بقول الطرمي:

لقد سَارَ لي شرقًا وغربًا قَصائدٌ تُغبِّر، حُسنًا، في وُجوه القَصَائد

وقول المتنبي: إذا شاء أن يلهو بِلِحية أحمَقٍ أراه غُباري ثم قال له: الحقِ

محاضرات الأدباء مج ١ /٨٨، وديوان المتنبي ص: ٣٤٧.

(٧) فهت به: نطقت.

سقيًا لتاروت(١)

وكان بَينه وبينَ الشَّيخينِ الجليلين (٢)، كَهفَي العرب، ومَعقِل بني الأدب: أبي عبد الله الشيخ خميس، وأخيهِ(٣) الشيخ إبراهيم إبني(٤) سالم بن أبي سرور التميمي؛ ما يَربُو(٥) على وَشائج(٦) الأرحام، فخرجا من مَقَرِّهما بالبحرين* إلى تارُوت* {بـ} القطيف* لأمر ذكرُه يُغَبِّر(٧) في وجه المروءَة، ويَفُتُّ في عَضُد الفُتُوَّة، والدهر عدوُّ الأحرار، فقال يمدحهما، ويُعَرِّض بمن سعى بهما، في السنة السادسة بعد الألف:

خَليلَيَّ، حَالَ البُعدُ دُونَ لِقاكُما   فمَن لِيَ، يَابنَي سَالمٍ، أن أراكُما(٨)
فـو اللّهِ مـا إن حَـالَ، لَمَّا نَأيتُما،   بعادُكُما بَيني وبينَ هَواكُما
ولا حُلتُ عَمَّا تَعلَمانِ من الوَفا   ولا ألِفَت رُوحي بَديلاً سِواكُما
ودِدتُّ، لوَ انَّ الدَّهرَ أسعَفَ، أنَّنِي   تَجَرَّعتُ كَأسَ الحَتفِ(٩) قَبلَ نَواكُما!

(١)تخريجها في أ مفرَّقة في ص ٦ و٧، ومقدِّمتها مع الأبيات الستة الأولى في ص: ٣٧ – ٣٨، وفي ب ص: ٢٣ – ٢٥، وفي ج ص: ١٩ – ٢١، وفي الهاشمي ص: ١١٤ – ١١٥، وفي أعيان الشيعة مج ٢/١٣٩.

(٢)لم أجد لهذين الشيخين أيَّ ذكر في ما رجعت إليه من المصادر، سوى ما ذكره السيد الأمين رحمه الله مخرَّجًا من هذه المقدمة. راجع الأعيان مج ٢ /١٣٩، ويظهر من توصيف الشاعر لهما أنهما من ذوي الزعامة الدينية والسياسية، وستأتي للشاعر جـ ٢/١٢٩ قصيدة أخرى بعثها مع كتاب من البحرين* إلى تاروت* لأحد هذين الأخوين، وهو الشيخ خميس يَعتَذِرُ له فيها عن تأخُرِه عن عيادته في مرض ألَمَّ به، وهي غير مؤرَّخة، ولكن يمكن الإستدلال من ترتيبها؛ على أنها كتبت في سنة ١٠١٨هـ أو بعدها، ويُستَنتَجُ، من هذا، أن الأخوين بقيا في تاروت* حتى ذلك التاريخ، فلعل موطنهما الأصلي هو تاروت*، إذ لو كانا من أهل البحرين* لعادا إليها بعد أن تَغَيَّر الحُكم فيها بدخولها تحت الحكم الصفوي ١٠١١هـ.

(٣)في أ: ابن الشيخ إبراهيم، مكان وأخيه الشيخ إبراهيم.

(٤)في أ: ابن، وفي الهاشمي وب وج: بن، والمثبت بتصرف.

(٥)في الأصول: يربي، والمثبت بتصرُف.

(٦)في أ: وشايح، بياء مثنأة تحتيَّة مكان الهمزة، وحاء مهملة مكان الجيم المعجمة.

(٧)في ب والأعيان: يغير، بياء مثنأة تحتيَّة مكان الباء الموحدة.

(٨)في ج ومتن ب: بعد.

(٩)الحتف: الموت، والنوى: البعد.

فَبِالرَّغمِ مِنِّي أن يَرُوحَ ويَغتَدي ... يُنَاوِحُ أمواجَ الرِّياحِ حِماكُما[1]
لَحا اللَّهُ هذا الدَّهرَ في ما أتَى بِهِ ... ولا سَالَمَت أيدي الزَّمانِ عِداكُما[2]
وخَصَّ[3] رِجَالاً، حَيثُ كانُوا، فإنَّهُم ... سَعَوا جُهدَهُم، لا قُدِّسُوا، في أذاكُما
أبَى اللَّه، والبَيتُ التَّميميُّ أن يَرَى ... عَدُوُّكُما من وصمَةٍ[4] في عُلاكُما
ألا فَسَقَى «تاروتَ»* جَمَّةَ مائِهِ ... لأجلِكُما صَوبُ الحيا، وسَقَاكُما[5]
وجَهلٌ بنا استِسقاؤنا صَيِّبَ الحيا ... لِدَارٍ يُغَادي ساحَتَيها حَياكُما[6]
لَعَمرِي لأضحَى لَيلُها كَنَهارِها ... لِما انبَثَّ، في أرجائِها، مِن سَناكُما
وإنَّ قُرَى البَحرَينِ* أضحَى نَهارُها ... دُجىً بَعدَ ما فارَقتُماها كِلاكُما[7]
لَعَمرِي لَنِعمَ المُستَجيبَانِ أنتُما ... لِمَن سَاوَرَتهُ نَكبَةٌ فَدَعاكُما[8]
ونِعمَ حُسَامَي نِقمَةٍ أنتُما لِمَن ... تَكَنَّفَهُ أعداؤُهُ فانتَضاكُما[9]
ونِعمَ مَناخُ الطَّارِقِينَ إذا ارتَمَت ... بِهِم نُوَبٌ، فاستَعصَمُوا بِنَداكُما

---

(١) يناوح: يقابل، من تناوح الجبلان تناوحًا، أي تقابلا، وفي الأصول: أفواج، مكان أمواج، والمثبت بتصرُّف.

(٢) لحا الله: قبَّح ولعن، وفي أ مكانها: لحى، وفي ب: اتا، مكان أتى.

(٣) في أ: وحض، وفي ب: وخض.

(٤) الوَصمَةُ: العار، والنقص، والعيب.

(٥) الجَمَّةُ: البئر الكَثيرَةُ الماء، أو المكان الذي يَجتمع فيه ماؤها، والصَّوب: نزول المطر، وانصبابه، والحيا: المطر.

(٦) في ج: استسقاءنا، والصَيِّب: السحاب ذو الصَّوبِ، أي المطر، ويُغادي: يَجيء غُدوةً، أي باكراً، وفي ب: يعادي، بعين مهملة مكان الغين المعجمة، وقد مرَّ المعنى، ونقلُه في قوله جـ ١/١٦٦:

وأوقِفاني فيها ثُمَّ لا تَسَلا ... لها السَّحابَ الغَوادي بعد أجفاني

وسوف يكرره في قوله جـ ١/٢٧٤:

فسقاك نائلُه فلسنا بعدَه، ... يا قبر، نَستَسقِي لكَ الأمطارا

والمعنى مأخوذ من قول دِعبِل الخزاعي*:

لا أبتَغِي سُقيا السَّحابِ لها ... في مُقلتي خَلَفٌ عن السُّقيا

ديوانه ص: ٩٩، وأمالي القالي جـ ١/٢١٢، وفيه سقي، مكان سقيا، وعوض، مكان خلف، وانظر، أيضًا، محاضرات الأدباء جـ ٢ /٧٨.

(٧) في أ: دجا، بألف ممدودة، وفي ج: دجي، بياء مثنَّاة تحتية.

(٨) في أ: اينما، مكان أنتما، وساورته: واثبته، يريد: داهمته.

(٩) نِعمَ: فعل مدح مضمر، وتفسيره: حُسامي، وهو نكرة منصوبة، وفي أ وب وج والهاشمي: نعمة بعين مهملة مكان نقمةً بالقاف المعجمة، وتكنَّفه: أحاط به، وانتضاكما: سلَّكما وجرَّدكما، وفي ب: انتصاكما، بصاد مهملة مكان الضاد المعجمة.

{ وكَهفَي حِمَىً يَغشَى الأنَامُ ذُراكُما ... ويَعصِمُ مِن رَيبِ الزَّمانِ ذَراكُما }[1]

فأقسِمُ لو أنّي أسَائلُ واحِداً ... مِنَ النَّاسِ مَن خَيرُ الوَرَى ؟ ما عداكما[2]

ألا رَضيَ اللّهُ المُهَيمِنُ عنكُما ... وبَارَكَ في أصلٍ كَريمٍ نَمَاكُما

ولا زالَ، ما استَصحَبتُما سَرمَدَ البَقا ، ... على هَامِ مَن عادَيتُماهُ، خُطاكُما[3]

* * *

(١) الحِمى، بكسر الأوّل وفتح الثاني: الحي لأنّهم يحمونه، وفي أ: حما، وذُراكما الأولى، بضم الأوّل، جمع ذُروة: أعلى موضع في الجبل، وذَراكما الأخيرة، بفتح الأوّل: الدِّفء، والكنَف، وكل ما يُستتر خلفه، والبيت ساقط من ج.

(٢) الورى: الخلق، وفي أ وب وج: الورا.

(٣) السرمد: الدائم الطويل.

المورد العذب[1]

وقال يشكُر إنعامَ الشّريفِ العلويِّ ناصر[2] بن {سُليمان}[3] الحسيني القارُوني *، وكان له به مَزِيد خُصُوصيَّة، وذلك في سنة ثمان بعد الألف:

يا مَـورِداً لا يُغـيضُ النَّزحُ جَـمَّـتَـهُ ... ولا يُلِمُّ بِصَـافِي وِرْدِهِ[4] كَـدَرُ
ويا سَحَـابَ نَدىً إن شِـمتَ بارِقَـهُ ... لم تَثْنِ طَرفَكَ حَتَّى بَلَّكَ المَطَرُ[5]
ودَوحَـةً مـا زَكَت أعـراقُـهـا ونَمَت ... إلاَّ وَقَد طَابَ منها الظِّلُّ، والثَّـمَـرُ[6]
مـا ذا عَسَى يَبلَغُ المُثني بِمِـدحَـتِـهِ ... على امرِئٍ أبواهُ الشَّـمسُ والقَمَـرُ؟[7]
لَقَـد رَفَـعتَ أبا حَـسَّـانَ مَنزِلَـةً ... شَمَّـاءَ يَخسأُ عن إدرَاكِها البَصَرُ[8]

---

(١) تخريجها في أ ص: ٦، وب ص: ٢٠، وج ص: ١٧ - ١٨، والهاشمي ص: ٤٦، ومنها في أعيان الشيعة مج ٤/ ١٥٩ «٤» أبيات.

(٢) في ج: السيد ناصر.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) يُغيضُ: يُنقِص، أو يُنضِب، والنَّزح: أخذُ الماء من البئر حتى يَنفَد أو يَقِل، وفي الهاشمي: النَّزخ، بالخاء المُعجمة، والجَمَّة: البئر كثيرة الماء، ومكان مجتمع الماء، والوِرد، بكسر الأول وسكون الثاني: الماء الذي يُقصَد للإستقاء، وفي أ وب وج مكانها: وده.

(٥) الندى: الجود، والكرَم، وفي الهاشمي وأ: ندا، بألف ممدودة، وشِمتَ السحابَ: نظرتَ إليه مرتقبًا أين يقصد وأين يمطر، وفي الهاشمي كفك، مكان طرفك، وفي البيت نظر إلى قول علي بن جبلة «العكوك*»:

ما شِمتُ بَرقَك حتى نِلتُ رَيِّقَهُ ... كأنَّما أنت بالجدوى تُبادِرُني

ديوانه ص: ١١٠.

(٦) الدَّوحة: الشجرة العظيمة المتَّسعة، والأعراق، جمع عرق، من كلِّ شيءٍ: أصله.

(٧) في متن ب وج: ابن من، وفي أ وحاشية ب: امرء، يريد بالشمس: الإمام علي بن أبي طالب*، وبالقمر: فاطمة الزهراء (ع) إشارة إلى أنَّ الممدُوحَ علويُّ النسب.

(٨) في ج: رفضت، بضاد معجمة، مكان رفعت، بالعين المهملة، وأبو حسَّان كنية الشاعر، ويخسأ: يكلُّ ويعجز، وفي الهاشمي: يخسؤ.

لَو لا تَقَـــدُّمُ آباءٍ تَـمُتُّ بِهِم لَكُنتَ أكـرَمَ مَن أدلى بِهِ مُضَـرُ[1]
فَــشُكرُهُ لَكَ مَــوصُــولٌ بِمُــدَّتِهِ لا يَنتَهِي الشُّكرُ حَتَّى يَنتَهِي العُمُر

* * *

(١) تمُتُّ بهم: تتصل بهم نسبًا، وأدلى: أتى بالشيء، وهنا بمعنى: أنجب، ومضر هو: ابن نزار؛ الجد الأعلى لفريق من القبائل العربية العدنانية.

البـدر[1]

وقال على لسان الشريف العلوي، أبي عبد الله[2]، الحسين بن قاضي القضاة عبد الرؤوف بن حسين الحسيني الموسوي* ، وقد اقترحها عليه، وبعث بها إلى الأمير بدر بن السيد مبارك خان[3]، وكان، يومئذٍ، يلي عمل الدَّورق[4]، وكان بينه وبين السيد المشار إليه من روابط المحبة وأواصر[5] الصحبة ما يوجب ذلك، وذلك في السنة الثامنة بعد الألف[6]:

إلى المَلِكِ الوَهَّابِ ما في يَمِينِهِ ... ولَكِنَّهُ، بالعِرضِ، جِدُّ بَخِيلِ
يَمُتُّ، إذا استَنسَبْتَهُ، بِأُبُوَّةٍ ... تَمُدُّ بِبَاعٍ، في الفَخَارِ، طَوِيلِ[7]

(١) تخريجها في الهاشمي ص: ٩٨ - ٩٩، وأعيان الشيعة مج ٣/٥٤٧، وب ص: ٢٠ - ٢٣، وج ص: ١٨ - ١٩، أمّا في أ فبعض مقدمتها في ص: ٦ ، وباقي المقدمة مع القصيدة كاملةً في ص: ٣٦ - ٣٧.

(٢) في أ: أبي عبد الرؤف الحسين ابن قاضي القضاة عبد الرؤف، وفي ب: أبي عبد الروف الحسين بن قاضي القضاة عبد الروف، وفي ج: ابي عبد الروف الحسين بن الحسين، وهذه الكنية ترد بهذا العنوان أحيانًا، ولكنّها في أغلب المواضع تأتي بعنوان: أبي عبد الله، ولذا فقد اعتمدتها هنا وفي ما سيأتي لاحقًا من المواضع.

(٣) كان والده مبارك بن مطلب المشعشعي* «ترجمته في الهامش «٣» ص: ١٩٨» حاكمًا للحويزة*، فولاّه حكم الدورق، ثم وقع بينهما خلاف أدّى إلى المنافرة، فاحتال عليه أبوه، وأرسله بهدايا إلى الشاه عباس الصفوي*، وطلب منه، سرا، أن يسجنه، فسجنه الشاه ثلاث سنين، ثم أستبقاه في بلاطه، وبعد أن تصالح مع أبيه عيَّنه سفيراً له عند الشاه، ثم عاد فولاّه عمل الدورق، وبقي فيها إلى أن طرده أفراسياب الديري منها، لكنَّ أباه عاد فولاه عليها بعد أن استعادها، وبقي فيها حتى توفي أبوه سنه ١٠٢٥هـ، ولعل سبب خلافه مع والده هو قيامه بالإستيلاء على الحكم من جده مطلب، وسجنه مع الشيخ محمد بن نصار سنة ١٠٠٣هـ. راجع: أعيان الشيعة مج ٣/٥٤٦ - ٥٤٧، وإمارة المشعشعيين ص: ١٩.

(٤) الدورق: بلد بخوزستان، قصبة كورة سرق، يقال لها دورق الفرس، راجع معجم البلدان ج ٢/٤٨٣، ولوريمر جغ ج ٢/٦٣٣.

(٥) في ج: أوامر، بميم مكان الصاد.

(٦) أرجح أنَّ خطأً وقع في تاريخ القصيدة ربما كان صوابه سنة ١٠١٨، فالشاعر يلمح إلى أمور يستشف منها أنها أياد للمدوح على أهل البحرين*، فلعل وراء هذه الإشارات مساعدة أو مسعى قام به لدى الشاه عباس الصفوي* له صلة بتخليص البحرين* من البرتغاليين* سنة ١٠١١هـ، أو عند دخول أعيان البحرين* على الشاه عباس* في شماخي* سنة ١٠١٦هـ.

(٧) يمُتُّ: يتصل بنسب، وفي الأعيان: بابوه، مكان بأبوَّة.

يَضُمُّ عَلِيًّا ، في الفَخَارِ ، وطَالِبًا إلى جَعفَرٍ ، أكرِم بِهِ ، وعَقِيلِ[1]
فَيُحرِزُ غَايَاتِ العُلا بِعُمُومَةٍ مُعَرَّقَةٍ، في هَاشِمٍ، وخُؤُولِ[2]
إذا استُصرِخُوا كانُوا لُيُوثَ وقَائِعٍ أوِ استَسمَحُوا كانُوا غُيُوثَ مُحُولِ[3]
أولئكَ قَومٌ لا يُناغَى وَلِيدُهم، على مَهدِهِ، إلا بَرَجعِ صَهِيلِ[4]
لَهُ، عند مَسمُوعِ الثَّنا[5]، أرِيَحِيَّةٌ تَرِفُّ على عِرضٍ أغَرَّ صَقِيلِ
ومَشحُوذُ عَزمٍ لم يُصِب وَزنَ فاعِلٍ من الخَطبِ إلاّ ارتَدَّ وَزنَ فَعِيلِ[6]

---

(١) هم: عليُّ بن أبي طالب (ع)، وأخوته: طالب، ومن خبره أنّ قُرَيشًا* أكرهته على الخروج معها يومَ بدر لقتال الرسول (ص)، فَفُقِد، ولم يُعرَف خَبَره، وفي رواية أنّها ردَّته إلى مكة* لرَجَزٍ قاله، وجعفر، وهو من الفُرسان المعدودين، قاد جيش المسلمين* في غَزوة مُؤتة سنة ٨ هـ ، ولم يَترُك اللواء حتى قُطِعَت يَداه، واستشهد، وعَقِيل، وهو صحابي، عالِم بالأنساب، أكرِهَ على الخروج مع قُرَيش* في بَدر، وأسِر، فافتكَّه عمُّه العباس ، أسلم بعد صلح الحدَيبِيَة ، توفي سنة ٦٠هـ .

(٢) في الهاشمي وأ ، خؤل ، بواو واحدة مهموزة .

(٣) استَسمَحوا : جادُوا، وأعطَوا .

(٤) أخذ المعنى من قول الشريف الرضي*:

عُصَبٌ تُقَمِّط بالنِّجادِ وليدَها ومُهُودُ صِبيَتِها ظُهُورُ جِيادها

ديوانه جـ ١ / ٣٦٣ .

(٥) في أ وب وج : الثناء .

(٦) أخذ المعنى من قول أبي الطيب المتنبي*:

إذا كان ما يَنوِيه فعلاً مُضَارِعًا مضى قبل أن تُلقَى عليه الجَوَازِم

وقبله قال أبو تمام*: خرقاء يَلعَبُ بالعُقُول حَبَابُها كَتَلَعُّب الأفعال بالأسماءِ

ومن تلاعب أبي نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي*:

ويرفع وصلي وهو مَفعُولٌ في الهوى ويَنصِبُ هَجري، عامِدًا، وهو فاعِلُ

ومثله لابن أبي الإصبع:

جَعلتُكَ للتَّمييزِ نَصبًا لناظري فهلاّ رَفَعتَ الهَجرَ، والهَجرُ فاعِل؟

وللشاب الظريف: عَجَبي لِطَرفِكَ، وهو ماضٍ، لم يَزَل فَعَلامَ يُكسَرُ عندما تَتَكلَّم ؟

وقول أبي إسحاق الأندلسي:

وقَرأنا بابَ العِناقِ مُضَافًا وحَذَفنا الرَّقِيبَ كالتَّنوين

وربما كان ابن نباتة المصري من المسرفين في هذا الباب ، فمن ذلك قوله :

ولا تأمَنَنَّ عَرُوضَ الزَّمانِ فإنَّ الزَّمانَ فَعُولٌ، فَعُولُ

وقوله : لا كَمَن تَنتَحي بِمَعشُوقَةِ النَّحـ ـوِ، فَمِن فاعِلٍ، ومن مَفعُولِ

ومن تلاعبه قوله :

إن لم يَعُد لي فلا صادُ الحُرُوفِ ولا لامٌ مُعانِقَةٌ، فيها، ولا حَالي

ومن لعبهم بالنحو قول ابن مماتي :

عَلامَةُ التأنيثِ في لحظِه وأحرُفِ العِلَّةِ في طَرفِهِ ==

سَلامٌ كما افتَرَّت مَباسِمُ رَوضَةٍ ... فَجاءَ برَيَّاها نَسيمُ قَبُول[1]
وصَفوُ ثَناء، ما يَغُبُّ، كما صَفا ... على صَفَحاتِ الكأسِ وجهُ شَمُول[2]
نَزَلتُ بِه والدَّهرُ حَربٌ كأنَّما ... تُطالِبُني أحداثُهُ بِذُحُول[3]
فكانَ نُزُولِي بابنِ عَمٍّ، ووالِدٍ ... وصِنوٍ، ومَولىً صالحٍ، وخَليل[4]
(أساغَ، على رَغم الحَوادِثِ، مَشرَبِي) ... وبَلَّغَنِي، مِمَّا أحاوِلُ، سُولِي[5]

== وقول أبي جعفر الأندلسي:

ولَقَد مَدَدتُ من النَّوى مَقصُورَه ... إنَّ الخَليلَ يَراهُ غَيرَ جَمِيلِ

وتجاوز لعبهم النحو إلى العروض كقول ابن جابر الأندلسي:

شَوقي مَديدٌ، وحُبِّي كامِلٌ أبداً ... لأجلِ ذلك قَلبي فيه مَوقُوصُ

وقوله: سَبَبٌ خَفيفٌ خصرُها ووراءَها ... من ردفِها سَبَبٌ ثَقيلٌ ظاهِرُ

وقول ابن نباتة المصري*: بَسيطُ بَحرِ النَّدى مَديدُ ... كامِلُ بَحرِ الثنا طَوِيلُ

وإلى النقد، كقول أبي جعفر الأندلسي*:

أتبَعتَ في ذا مَذهبًا لا يَرتَضِي ... نَقداً، وليس الرأي فيه بِصالحِ

وفي علم الحساب، كقول ابن جابر الأندلسي:

قَسَمَ القلبَ في الغَرامِ بِلَحظٍ ... يَضرِبُ القلبَ حين يُرسِلُ سَهمَه
هذه، في هَواه يا قَومُ، حَالِي ... ضَاعَ قَلبي ما بين ضَربٍ وقِسمَه

وفي صناعة الخط يقول عبد الله بن محمد القيسراني:

بوَجهِ مُعَذِّبِي آياتُ حُسنٍ ... فَقُل ما شِئتَ فيه ولا تُحاشِي
فَنُسخَةُ وجهِهِ قُرِئَت فَصَحَّت ... وها خُطُّ الكَمالِ على الحَواشِي

وهذا الباب واسع، فقد نظموا في الفقه، والتفسير، وغيرهما، وسيأتي بعض منه في الهامش «٤» جـ١/٢٥٥.

راجع: المستطرف ص: ٤٠٤/ ٤٠٧، وديوان المتنبي ص: ٩٨، وديوان أبي تمام ص: ١٨، وديوان ابن نباتة السعدي جـ ٢/٦٢٤، وديوان ابن نباتة المصري: ٤١٤/ ٤١٨/ ٤٢٠، وديوان الشاب الظريف ص: ٢١٦، وأنوار الربيع جـ ٣/ ١٦٢، والنجوم الزاهرة جـ ٨/ ١٦٧، ومعاهد التنصيص جـ ٤/ ١٥٠ - ١٥٢، وفيه كثيرٌ من هذا الباب.

(١) الريَّا: الريح الطيبة، والقَبُول: الرِّيحُ التي تَهُبُّ من الشرق، وتُسَمَّى الصَّبا، وتُقابِلُها الدَّبُور، وهي التي تَهُبُّ من الغرب.

(٢) يَغُب: يأتي يومًا ويتخلَّف يومًا أو أكثر، والشَّمُول: الخمر، أو الباردة منها.

(٣) في الهاشمي: تطالبنا، مكان تُطالِبُني، والذُّحُولُ، جمع ذُحل: الثأر، أو العداوة، والحقد.

(٤) في الأعيان: مكان، بدل فكان، والصِّنوُ: بكسر ثم سُكون: الأخ الشقيق، والإبن، والعم، وفي البيت والذي قبله نظر إلى قول منسوب لبُكير بن الأخنس، وهو في ديوان أبي الهندي:

نَزَلتُ على آلِ المُهَلَّبِ شاتِيًا ... غَرِيبًا عن الأوطانِ في سَنَةٍ مَحلِ
فما زال بِي إكرامُهُم وافتِقادُهُم ... وألطافُهم حتى حَسِبتُهُمُ أهلِي

راجع: وفيات الأعيان جـ ٥/٣٥٧، وأمالي القالي جـ ١/ ٤٢، والحماسة البصرية جـ ١/ ١٦٣، والبيان والتبيين جـ ٣/ ٢٣٣.

(٥) سيأتي صدر هذا البيت مكرَّراً في البيت «٢٢» من قصيدته في مدح البهائي جـ ١/ ٢١١، والسؤل بهمزة ==

{وقَـرَّ بما أولاهُ أعـيُنَ أسـرَتِي وأكمَـدَ حُسَّادِي وأفرَحَ جِيلِي}(١)
فـأتبِعُ شُكرِي شُكرَ قَـومِيَ فَلَيَـفُـز بِشُكرِيَ مَـوصُـولاً بِشُكرِ قَـبِـيلِي(٢)
ويُعقِبُ مَدحِي، فِيهِ، مَدحَ ثَلاثَةٍ مَـرَوا دَرَّ أخلافِ البَيـانِ فُحُـولِ(٣)
إذا استَـرسَلوا في حَلبَةِ النَّظمِ أحرَزُوا مَـدَاها فَلَم يُعلَق لَهُم بِذُيُولِ(٤)
كَـرِيمٌ؛ مَـتَى ألقَى العَـصَـا بِفِنائِهِ أخُـو العُـدمِ لم يَأذَن لَهُ بِقُـفُـولِ(٥)
وإن أعـثَـرَ الدَّهرُ امـرَءاً فـاستَـقـالَهُ لِعَـثـرَتِهِ؛ ألفَـاهُ خَـيـرَ مُـقِـيلِ(٦)
مُضِيءُ نَواحِي السُّبلِ؛ ما أمَّـهُ امـرُؤٌ فَـأحـوَجَـهُ، في قَـصـدِهِ، لِدَلِيلِ(٧)
وإنَّ الَّذِي سَـمَّـاهُ بَدراً لَصـادِقٌ على أنَّهُ لَم يُكسَ ثَوبَ أفُـولِ(٨)
صَلِيبٌ على عَـجمِ الحَـوادِثِ عُـودُهُ جَـرِيءٌ على الأعـدَاءِ، غَـيـرُ نَكُولِ(٩)
إذا اكـتَنَفَـتـهُ النائِبـاتُ نَكَصنَ عَن نَهُـوضٍ، بِأعـبَـاءِ الخُطُوبِ، حَمُـولِ(١٠)

== ويدونها: الحاجة، والملتمس.

(١) أصلها: أقرّ، أي جعلها تبرد سروراً، وحذف ألف التعدية ضرورة، وفي الأعيان مكانها: أقر، والبيت ليس في الهاشمي، وفي ج: والمد، مكان أكمد، بلام مكان الكاف.

(٢) في الأصول: واتبع، مكان فأتبع، ولعل الصواب ما أثبتناه، والقبيل: القبيلة.

(٣) الثلاثة هم: والده السيد مبارك*، وعمه السيد خلف*. راجع ترجمتيهما في الهامش «٢ و٣» ص: ١٩٨، والثالث هو أخوهما منصور*، ترجمته في إمارة المشعشعيين ص: ٢٢، وطبقات أعلام الشيعة ص: ٥٨٦، وأعيان الشيعة مجـ ١/١٤٣، ومَرَوا: استخرجوا، واستدروا، والدرُّ: اللبن، والأخلاف، جمع خلف: هو للناقة كالضرع للشاة.

(٤) الحلبة، بسكون اللام، أصلها، الدفعة من الخيل في الرهان، ثم استعملت لميدان السباق تَوَسُّعًا، وفي ج مكانها: حلية، بياء مثناة تحتيّة، وفي ج: احزروا، بتقديم الزاي على الراء مكان أحرزوا.

(٥) في أ و ب وج: العصى مكان العصا، والعُدمُ: فقد المال، والفقر، والقُفُول: الرجوع.

(٦) استقاله لعثرته: استنجد به ليرفعه من سقوطه، وفي ب وج: فاستقاله، مكان فاستقاله.

(٧) السُّبل، جمع سَبِيل: الطُّرُق، وفي أ وب و ج: السيل، بياء، مثنّاة مكان الباء الموحّدة، وفي أ: ما امثل امرء، مكان ما أمه امرؤٌ، وأمَّه: قصده، وفي ب وج: ما أمه امرء.

(٨) أخذ معناه من قول ابن الرومي*:

كـأنَّ أبـاه يـومَ سـمـاه صـاعـداً رأى كـيف يـرقى في المعالي، ويصعد

وقول المتنبي*: في رتبة حجب الورى عن نيلها وعـلا فـسـمـوه علي الحـاجـبـا

ديوان ابن الرومي جـ٢ /٥٩١، وديوان المتنبي ص: ١١١.

(٩) الصَّلِيب: الصُّلب، شديد القوّة، وعَجم: مصدر عجم العودَ: عضّه ليختبر صلابته، وفي أ: أجرى، مكان جري، وفي ب، والهاشمي: جرى، ونكول: من نكَل: بمعنى: نَكَصَ، أي تَقَهقَرَ، وجَبُن.

(١٠) اكتنفته: أحاطت به، وفي ج مكانها: اكشفته.

قَـرِيعُ وَغَىً*، لو بَـارَزَ المَوتَ لم يَكُن ... لِيَـرجعَ إلاَّ في ثِيـابِ قَـتيـلِ[1]
أخُـو زَرَدٍ مَـوضُـونَةٍ، ومَـغـافِـرٍ ... ورَبِّ قَنًا، عَـسَّـالَةٍ، ونُصُـولِ[2]
إذا ضَاقَ بالخَيلِ المَجالُ مَشَى بها ... على مِـثلِ حَـدِّ المَشـرَفِيِّ زَلِيلِ[3]
وإن حُـرَّ بالضِّغنِ استـراحَ إلى الوَغَى* ... كَـأنَّ هَجِيرَ الكَرِّ بَردُ مَقِيلِ[4]
أخُـو مَنعَـةٍ، لو تُصبحُ الأسـدُ عُوَّداً ... بِذِمَّتِهِ لم يَعتَصِمنَ بغِيلِ[5]
ألا هَل أتَى بَدراً، على النَّأيِ، أنَّني ... أُكـابِدُ وَجداً، فيـه، غَيـرَ قَليلِ
وأنِّيَ ما[6] استَحدَثتُ، بعد فِراقِهِ، ... خَليـلاً، ولا استَبـدلتُهُ بِبَديلِ
فَـصَـافَـحَـهُ عَنِّي، على بُعـدِ دَارِهِ، ... بِمَـدحِيَ كَـفَّـا[7] غُـدوَةٍ وأصِيلِ

* * *

(١) القريع: الغالب في المقارعة.

(٢) الزَّرَدُ، جمع زَرَدَة: الحلَق، والدرع اللينة يتداخل بعضها في بعض للينها، وموضونة: مضاعفة النسيج، متقاربة، أو متداخلة الحلق، بعضها في بعض، والمغافر، جمع مغفر، ومغفرة: زَرَدٌ يُنسجُ من الدُّرع تلبس تحت القلنسوة، أو يتقنع بها المتسلح، والقنا، جمع قناة: الرماح، وعَسَّالة: الرِّماح، أو اللَّيِّنَةُ منها، تهتز لينًا، ونُصُول، جمع نَصلَة، ونَصل: حَدِيدة الرمح، والسَّهم، والسيف، ورُبما سُمِّيَ السيفُ نصلاً.

(٣) في ب: الزجال، مكان المجال، والمَشرَفي: منسوب إلى المشارف، وهي قُرى من أرض اليمن *أو من أرض العرب تَدنو من الرِّيف تُنسَبُ إليها السُّيُوف المَشرَفية، وزَلِيل: زَلِق، وفي الهاشمي وج مكانها: ذليل.

(٤) في الأصول: إذا، مكان وإن، والمثبت بتصرف، والوغَى في أ مكانها: الوغا، والمَقِيل: مكان القيلولة، وهي النوم في القائلة، أي الظهيرة.

(٥) المَنَعة، كالأنَفَة، والعظَمة: العز، ولا يجوز تسكين النون إلاَّ في الشعر، والغيل: الشجر الكثير الملتف، والأجمة، وهنا مأوى الأسد.

(٦) في أ: متى.

(٧) في ج: فصافحنه، مكان فصافحه، وفي أ: كفًا، بالتنوين مكان كفَّا بدونه.

مولد النيِّرين[1]

وقال يُهنِّيه[2] بمَولود، ولم يكن له غيرُه، وأنشَدَه إيَّاها بعِيدِ الفِطرِ للسنة التاسعة بعد الألف:

عـاطِنيـهـا قَـبلَ ابتِـسـامِ الصَّبَـاحِ ... فَـهيَ تُغنيكَ عن سَنا المِصـبـاحِ
أنتَ تَـدري أنَّ المُـدامَــــةَ نـارٌ ... نـاقـتَـدِحـهـا بـالصَّبِّ في الأقـداحِ
فَـهيَ تَـمحُـو بِضَـوئِهـا صِـبغَـةَ اللَّيـ ... ـلِ فَيَغدُو وَجهُ الدُّجَى وهوَ ضاحِي[3]
وإذا مـــا أحَــاطَ بي وَفْـــدُ هَمٍّ ... مُـــهــدِيًا لي طَرَائفَ الأتـراحِ[4]
فَـــأسِلهـــا وَرديَّـةً كَــدَمِ الكَبـ ... ـشِ أسـالَتـهُ مُـديَةُ الذَّبَّاحِ[5]
فَـهيَ تُقصِي، إمَّا[6] دنَت، وارِدَ الهَـ ... ـمِّ، وتُدنِي شَـوارِدَ الأفـراحِ

(١) تخريجها في الهاشمي ص: ١٩ - ٢١، و ب ص: ١٦ - ٢٠، وج ص: ١٥ - ١٧، والستة الأخيرة من أبياتها في أ ص: ٥ - ٦ مختلطة بقصيدة أخرى في الممدوح نفسه، ومنها في أعيان الشيعة مج ١٠/١١٣ «٢٧» بيتًا، ومج ٤/١٦٩ «٨» أبيات عَدُّها في الخمريات، وفي السلافة ص: ٥٤٠ - ٥٤١ «١٩» بيتًا، وعنها نقلها المحبي في نفحة الريحانة ج٣/٢٠٤ - ٢٠٥، ومنها في ساحل الذهب الأسود ص: ٢٨٢ «٦» أبيات.

(٢) هو وزير البحرين ركن الدين محمود بن نور الدين بن شرف الدين، وقد مَرَّت ثلاثُ قصائد في مدحه ص: ١٥٣، وفي الهامش «٥» منها ترجمته، و١٥٨، و١٦٤.

(٣) في ب وج: بضوها، مكان بضوئها، وفي ب: ويعدو، بعين مهملة مكان فيغدو بالغين المعجمة. وفي السلافة: بها الدجى، وفي ب وج: وجه الدجا، وضاحي: مُنير، وفي الهاشمي: صاح، وفي نفحة الريحانة: ضاح.

(٤) في السلافة: وقد، بقاف مثنّاة، مكان وفد، بالفاء الموحدة، وفي السلافة: إلى، مكان لي.

(٥) في الأعيان جـ ٤: فاهدها لي، مكان فأسلها، وفي نفحة الريحانة: فارسلنها، وفي ج وحاشية ب: فاسكبنها، وفي ساحل الذهب الأسود: وأسلها، وفي نفحة الريحانة: كدم الظبي، مكان كدم الكبش، وفي البيت نظر إلى قول أبي نواس:

كأنّهـا، والمزاج يقرعـهـا ... في قَعرِ كأس، نَجيعُ أجواف

وقول أبي طاهر محمد بن حيدر بن شعيبان البغدادي:

ومدامة كدم الذبيح سخا بها ... للشَّربِ من لَهَواتِه الإبريقُ

وقوله أيضًا:

لستُ أدري أمن خُدُودِ الغَوَاني ... عَصَروها، أم من دَمِ العُشَّاقِ؟

ديوان أبي نواس ص: ١٤٨، وخريدة القصر جـ ٢/ ٢٢٠. وراجع أيضًا الديوان جـ ٢/٢٦.

(٦) في السلافة: إذا.

أَلحَفتَ في السُّؤالِ؛ هَل مِن فكاكٍ ... لأسيرٍ ما {إن} لَهُ من سَراحِ؟[1]
مَزَجُوها فَقَيَّدُوها؛ فَلَو تُتـ ... ـرَكُ صِرفًا طَارَت بغَيرِ جَناحِ
ياخَليلِي، ولا أرَى[2] لِي مَن، النّا ... سِ، خَليلاً إلاّ فَتىً غَيرَ صَاحِي
يَتَلَقَّى عَذلَ العَذُولِ بِهَيهَا ... تِ، ويَحثُو في أوجُهِ النُّصَّاحِ
أَلِفَ الرَّاحَ؛ فَهوَ بَينَ اغتِباقٍ ... لا يُنادَى وَلِيدُهُ، واصطِباحِ[3]
رِحِ على الرَّاحِ بِي فَلَيسَ على الأجـ ... ـسَامِ عَارٌ في السَّعيِ للأرواحِ[4]
واسقِنيها صِرفًا فلِلنَّارُ أنأى[5] ... جانِبًا عن وِصَالِ مَاءٍ قَرَاحِ
خَيرُ ما تُشرَبُ المُدامُ عليه[6] ... وَجهُ خَودٍ، من الحِسانِ، رَداحِ
ذاتِ قَدٍّ تَثني الغُصُونُ عليه ... حِينَ يَهفُو بهِ نَسِيمُ الرِّياحِ[7]
فَوقَهُ طُرَّةٌ تُظِلُّ مُحَيًّا ... جائلاً مَاؤُهُ، مُضِيءُ النَّواحِي[8]
فَهيَ مِن نُورِ وجهِهَا وظَلامِ الـ ... ـشَّعرِ في حَالَتَي مَسًا، وصَباحِ

---

(١) ما بين المعقوفين ساقطة من ب، وألحفت: ألحّت، وفي الهاشمي مكانها: ألحقت، بقاف مثناة مكان الفاء المُوَحَّدَة، وفي الهاشمي: صحيح، مكان فكاك، وفي نفحة الريحانة والأعيان: براح، مكان سراح.

(٢) في الهاشمي: أرا.

(٣) في الهاشمي والأعيان: فهي، مكان فهو، والإغتباق، افتعال، من الغَبُوق: الشَّرابُ بالعَشيِّ، والإصطِباحُ: شرب الصَّبُوح، وهو الشَّراب صَباحًا، وقوله: «لا يُنادَى وليدُهُ» مَثَل يُضرب للإنشغال في الخير أو الشر؛ أي إنهم اشتغلوا بالأمر حتى لو مَدَّ الوَليدُ يَدَهُ إلى أعزِّ الأشياء لم يَجدُوا مُتَّسَعًا لِندائه، أي زَجرِه.

(٤) الراح: الخمرة، وفي ج: راح على الراح، مكان رح على الراح، وفي نفحة الريحانة: رح على الرأس، وفي السلافة ونفحة الريحانة: عيب، مكان عار، وفي البيت نظر إلى قول ابن خَرُوف، علي بن محمد الأندلسي:

أنا جِسمٌ للحُمَيَّا ... والحُمَيَّا لِيَ رُوحُ
بَين أهلِ الظَّرفِ أغدُو ... كُلَّ يَومٍ، وأرُوحُ

فوات الوفيات جـ ٣/٨٥.

(٥) في السلافة: انائى، وفي نفحة الريحانة: نأت، وفي الهاشمي: أنا ا، وفي ب: آنا، وفي ج: آنأ، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٦) في نفحة الريحانة: يشرب، مكان تشرب، وفي الأعيان: خي مكان خير، والخود: المرأة الحسنة الخَلق، الشابَّة الناعمة، والرداح: المرأة العجزاء، ثقيلة الأرداف، وفي السلافة مكانها: قراح.

(٧) في السلافة، ونفحة الريحانة: عليها، مكان عليه، وفي السلافة: تجفو، مكان يهفو.

(٨) الطُرَّة: الناصية، وأن تَقطعَ الجاريَةُ في مُقَدَّمِ ناصِيَتِها كالعلم، أو كالطُرَّةِ، تحت التاج، وفي ب: مضى، مكان مضيء.

وثُغُــورٌ يُخَلنَ، في بَارِدِ الظَّلْـ ـمِ[1]، حَبابًا يَطفُـو على وَجـهِ راحِ
ما تَرَى الدَّهرَ كَيفَ رَقَّت لَيالِيـ ـهِ فَـشَـفَّت عن أوجُـهِ الأفـراحِ؟[2]
أيُّ شَيءٍ أقـوَى دَلِيـلاً على الخَيْـ ـرِ، وأهدَى[3] إلى سَـبِيـلِ الصَّـلاحِ
مِن وَلِيـدٍ وافَى مع البَـدرِ في التَّـ ـمِّ فجاءَا مَعًا كَطرِفي مَـراحِ؟[4]
كَمَلا[5] بالضِّياءِ حتى أعادا الـ ـلَيلَ أبهَى من مُستَنِيرِ الصَّباحِ
مَحَـوا آيَةَ النَّهـارِ فَـعَادَت آيَةُ اللَّيلِ ما لَهـا من مَاحِي[6]
حَبَّـذا اللَّيلُ، مـا أطَلَّ[7]، فَلِلإمْـ ـسـاءِ حَظٌّ ما كـانَ للإصـبَـاحِ
ما رَأينا النَّهـارَ أطلَعَ شَـمـسَـيْـ ـنِ، على أنَّهُ المُنِيـرُ الضَّـاحِي[8]
ورَأينا اللَّيلَ اسـتَـقَلَّ بِبَـدرَيْـ ـنِ تَمَـامَينِ، وَهوَ وَحفُ[9] الجَناحِ
فَـثَنَت رُتبَـةُ الوِزارَةُ عِطفَـيْـ ـها ابتِـهاجًا بالأبلَجِ[10] الوَضَّاحِ
شَدَّ أزرَ المُلكِ العَقِيمِ كمـا يَكْـ ـنِفُ نُورَ الهِـلالِ ضَـوءُ بَرَاحِ[11]
جَاءَها بَعدَ ما استَمَرَّت على العُقْـ ـمِ ، وضَـاقَت أمُّ المُنَى باللِّقَـاحِ
فـاجـتَلَى النَّاسُ غُـرَّةً بَيَّـضَت وَجْـ ـهَ زَمَانٍ غِـفـلاً من الأوضَـاحِ[12]

(١) الظَّلْم، بفتح الأول، وسكون الثاني: ماء الأسنان، وبريقها كالسواد داخل عظم السن من شدَّة البياض، وفي شرح الهاشمي: الثلج، ولعله اشتباه.

(٢) في الأعيان: راقت مكان رقَّت، وفي نفحة الريحانة: فشقت، بقاف مثناة مكان فشفَّت بالفاء الموحدة.

(٣) في ج: أهدا.

(٤) التِّمُّ، مُثلَّثةً: التَّمامُ، والكَمالُ، وطِرفَي، مُثنَّى طِرف، خُفِضَت بكاف الجرِّ، من الخيل: الكريم «العتيق»، ومن الإنسان: الكريم الطَّرَفَين من الأب والأم، والمراح، الاسمُ من مَرِح: شدَّةُ الفَرَح، والنَّشاطِ.

(٥) في ب وج، والهاشمي: كفلا، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٦) في ب وج: ماح.

(٧) في ب وج: أظل، بالمعجمة.

(٨) في الهاشمي والأعيان وج: الصاحي، بصاد مهملة.

(٩) الوَحفُ: الجناح الكثير الريش، والأسود، وفي ب: وخف بالمعجمة.

(١٠) الأبلج: الواضح، المشرق.

(١١) براح: من أسماء الشمس.

(١٢) الغرَّة: بياض الوجه، والغِفل: من لا يُرجَى خيره، ولا يُخشَى شرُّه، وهنا: مجهول، لا سِمَة عليه، والأوضاح، جمع وَضَح: الغُرَّة، وبَياض الوجه.

لا أغبَّ[1] الوَزِيرَ سَعدٌ يُناجيـ ـهِ بِهِ كَـرُّ غُـدوَةٍ، ورَواحِ
أريَحِيٌّ مـا جَـادَ إلاَّ وأغنَى وأعـادَ المُمتَـاحَ، رَبَّ ارتبَـاحِ[2]
قِف على بَحـرِ جُـودِه بِي؛ فَـرَيِّي منهُ، لا مِن قَـارُون، والجَـرَّاحِي[3]
ما طَوامِي الفُراتِ* تَقذفُ بالسُّفـ ـنِ، وتُـلـوِي بِـآلَـةِ المَـلاَّحِ[4]
كَـسَـرَت مَـوجَـتَـاهُ جَانِبَي الشَّـ ـطِّ، سُـمُـوّاً، فَـسَـاحَ كُلَّ مَـسَـاحِ
منهُ أندَى كَـفَّـا إذا سَلَكَ المَحـ ـلُ بأهلِ السَّمَاحِ سُبلَ النَّجَاحِ[5]
حَـازَ أوفَى السِّـهـامِ حَظّا من المَجـ ـدِ؛ فَـسَـائِل به مُـجِيلَ القِـدَاحِ[6]
كِـسـرَوِيُّ العَـدَالَـةِ، اسكَندَرِيُّ الـ ـفَتحِ، والعَـزمِ، رُستُمِيُّ الكِفَـاحِ[7]

---

(١) أغبَّ: زار يومًا وتخلَّف يومًا أو أسبوعًا.

(٢) الممتاح: شرحها في الهاشمي: «كناية عن الطالب، من متح الدلوَ أي استخرج الماء»، ولعلَّ الأقرب أنها من الميح أي العطاء، وارتباح: افتعال من الربح، وفي ب وج والهاشمي مكانها: ارتياح، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) في ب: لا كارون ولا الجراح، وفي ج: لا من كارون ولا من الجراح، وفي الهاشمي: الجراح، مكان الجراحي، وقارون: أكبر نهر في إيران، صالح للملاحة، ينبع من جبال بختياري في الجزء الجنوبي الغربي من اصفهان، ويجري غربًا وجنوبًا مارًا بسهول عربستان، وينتهي في شط العرب، يبلغ طوله حوالى ٨٢٩ كيلاً، ويقال إنَّ اسمه في الأصل دُجيل، وفي الأصول: كارون حسب اللسان الفارسي، والجراحي: أيضًا نهر في ايران في منطقة خُوزستان، وهو صغير نسبيًا، يصلح للملاحة بالقوارب، وفي الأصول: الجراح. راجع: دليل الخليج، جغ جـ ٢/ ١١٢٣، و١٢١٦. وراجع أيضًا: عن الكتاب العربي ص: ١٣٩، وياقوت جـ ٢ /٣٤٤، وفيه أيضًا مادة «دُجَيل»، و«تُستُر»، وموسوعة المورد جـ ٦/ ٤٠.

(٤) الطوامي، جمع طامية: المياه المرتفعة، يريد الأمواج، وفي ب، وج: ما صواغي الفراة، وفي الهاشمي: ما ضواحي الفرات، ولعل الصواب ما أثبتناه، وفي البيت نظر إلى قول النابغة الذبياني*:

فما الفُراتُ إذا جاشَت غَوارِبُهُ تَرمي أذاوِيُّه العِبرَينِ بالزبَدِ
يَـومًا بأجوَدَ منه سَيب نافِلَةٍ ولا يَحُولُ عَطاءُ اليومِ دُونَ غَدِ

وقول الأعشى*:

وما مُزبِدٌ من خَليجِ الفُرا تِ جَـونٌ غَـوارِبُه تَلتَطِمِ
يَكُبُّ الخَلِيَّةَ ذاتَ القلا عِ قد كادَ جُؤجُؤها يَنحَطِمِ
تَكَأكَأَ (*) مَلأَّحُها وسطَها من الخَوفِ كَوثَلَها يَلتَزِمِ
بأجـوَدَ منه بما عنده إذا مـا سَـمـاؤُهُمُ لم تَغِمِ

ديوان النابغة ص: ٩ - ١٦، وديوان الأعشى ص: ١٩٨ - ١٩٩

(٥) في الهاشمي: اسلك، مكان سلك،، وفي ج: الشتحاح، مكان النجاح.

(٦) السِّهام، جمع سَهم: الحظ، والنصيب، وأيضًا قِدح الميسر «القمار»، والقِداح، جمع قِدح: سَهمُ الميسر، ومُجيلها: مُديرُها في الخريطة، فإنَّهم يقُولون في لعب القمار: أجِلِ السِّهام أي أدِرها.

(٧) كِسرَوِي: نسبة إلى كسرى أنو شروان*: امبراطور ساساني ٥٣١ - ٥٧٩ م اشتُهر بالعدل، واسكندري: نسبة إلى الإسكندر الكبير*: امبراطور مقدونيا* ٣٥٦ - ٣٢٣ ق. م الملقب بذي القرنين، اشتهر بفتوحاته التي بلغ فيها حتى نهر السند، ورُستُمي: نِسبةٌ إلى رُستم دستان*: بطل اسطوري فارسي ٣٠٠ ق. م. راجع: المنجد ==

أَسَدُ الفَتكِ، أجدَلُ الخَطفِ، ذيبُ الـ ـكَرِّ، فهدُ الوُثُوبِ، كَبشُ النِّطاحِ(١)
أحنَفُ الحِلمِ، أكـــثَمُ الرَّأيِ، زَيدُ الـ ـخَّارِ، قسُّ البَيانِ ، كَعبُ السَّماحِ(٢)
مـا شَكَى الحَيفَ عِندَهُ أعـزَلُ النُّصـ ـرَةِ إلاَّ وَعــادَ شَـاكِي السِّلاحِ(٣)
يابـن من شَيَّـدُوا مَبـانِي العُلَى بـالـ ـسَّـعيِ لا بـالآجُـرِّ ، والصُّفَّـاحِ(٤)
قَـــوِّضَ الصَّـــومُ راحِـــلاً، وأتَاكَ الـ ـفطرُ يُهدِيكَ عِيدَهُ ، وامتِداحي(٥)
فـاغـتَنِمِ أجـرَ مـا تَحَـمَّل عَنكَ الـ ـصَّـومُ من نُسكِ عـابِدٍ سَيَّـاحِ(٦)
ذَابَ مِن فَرطِ ما استَمَرَّ على التَّسـ ـبيحِ، في كَفِّهِ، حَصَى المِسباحِ

== في الأعلام، وموسوعة المورد جـ ١/٧٣، و٦/٥١.
(*) تكأكأ: جَبُنَ ونكص، وكوثلها: مؤخَّرها.

---

(١) الأجدَلُ : الصَّقر، والكَرُّ: رُجُوعُ الفارسِ على قرنِهِ، وفي ب وج: المكر.
(٢) في الهاشمي وب : الحكم، مكان الحلم ، وهو يشير بالتوالي إلى الأحنف بن قيس* «أبي بحر» بن صخر بن معاوية السعدي التميمي، زعيم تميم في البصرة*، ولد سنة ٣ ق. هـ في البصرة*، وبها نشأ، حثَّ قومه على اعتناق الإسلام، وشهد فتح نهاوند وقم*، وتولى مقدمة جيش المسلمين* بقيادة عبد الله بن عامر في فتح خراسان* فأظهر مهارة فائقة في القيادة، احتل هراة وبلخ* ومرو ، وقف على الحياد في معركة الجمل، ولكنه انحاز إلى جانب الإمام علي (ع) في صفين ، حكَمه وأشعاره مبسوطة في البيان والتبيين ، توفي سنة ٦٨ أو٧٢ هـ، وأكثم بن صيفي* ، أحد حكماء العرب في الجاهلية ، كان سَدِيدَ الرأي ، قال عنه كسرى أنو شروان* : «لو لم يكن للعرب* غيره لكفى» ، عُدَّ من المعمَّرين ، قصد المدينة* لِيُسلِمَ فتوفي في الطريق سنة ٩ هـ ٦٣٠م، وزَيدُ الخيل بن مُهَلهِل* ، شاعر من أبطال الجاهلية سُمِّي زَيدَ الخيل لكثرة خيله، وسَمَّاهُ النبي* (ص) زَيدَ الخَير، مات بالحمى سنة ١٠ هـ، ٦٣١م، وفي الهاشمي: زبير، وفي ب : زين ، وفي ج: زير ، ولعل الصواب ما أثبتناه ، وقس هو ابن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك الإيادي*، خطيب جاهلي يضرب به المثل في البلاغة والحكمة والموعظة، كان من نصارى نجران* ، ويقال إنه من أحبارها ، كان يحضر سوق عكاظ* ، ويقال إنه أوَّل من اتكأ على سَيف، أو عصا ، عند الخطبة، وأوَّل من علا فوق شَرَف وخطب، وأول من قال في كلامه: أمَّا بعد ، وكعب هو ابن مامة الإيادي من أجواد العرب مرَّ ذكره ص: ١٥٤ ، الهامش: ٧. راجع: المنجد في الأعلام ، وتاريخ الأدب العربي لفروخ جـ١/١٧٣ ، و٢٠١ ، و٢٧٨ ، و٣٤٤.
(٣) الحيف : الجور، والظلم ، وشاكي السلاح : ذو شوكة ومضاء في سلاحه .
(٤) الآجُرُ، مُفرَدُ آجُرَة، مُعرَّب أكور بالفارسية: طَبِيخ الطين، وهو تراب يحكم عجنه، وتقريصه، ثم يحرق فيبنى به، والصُّفَّاح: حِجارَةٌ عَرِيضة رَقِيقة، وصدر البيت في الهاشمي: « يا مزين شيدوا مباني العلا بالـ »
والمعنى من قول أبي كدراء العجلي:
بَنَى البُنَاة لنا مَجداً ومَكرُمَةً لا كـالبِناءِ من الآجُرِّ والطِّين
راجع: ديوان الحماسة، شرح التبريزي ص: ٣٣٥ ، وشرح ديوان المتنبي جـ ١/١٥٧ ، وفيه تبني، مكان بَنَى.
(٥) في الهاشمي : وامتداح .
(٦) في الأعيان: احجر ، مكان أجر، والسَّيَّاح: كثير السياحة ، والصائم ، والملازم للمسجد ، والضارب في الأرض بقصد العبادة ، وفي أ: سباحي.

واجتَلِ العيـدَ سَافِـراً لَكَ عَن غُـ ـرَّةِ[1] يُمنٍ ، وعَن مُحَيَّا فَلاحِ
وتَهَنَّا الثَّناءَ مِن مُـعــرِقٍ بِالنَّـ ـظمِ يُدلِي[2] بالسَّـائرات الفِـصَاحِ
وابقَ تَستَخدِمُ الزَّمانَ، كما شِئـ ـتَ ، وتُعـدِي[3] على القَضاءِ المُتَاحِ

* * *

(١) غرَّة الشيء : أوله، وأكرمه، وغرَّة الشهر : ليلة استهلال القمر لبياض أوَّلها، وفي الهاشمي وب : «عن يمن عزَّة».

(٢) في الهاشمي و أ : وتهنى ، مكان وتهنا ، وفي الأعيان : وتهن، وأصلها وتهنأ، وإنما حُذِفَت الهمزة للتَّسهِيل، ويُدلِي : يرسل ، من أدلى بحجته أرسلها ، وأتى بها صحيحة.

(٣) تُعدي : تُعين، وتَنصر، وفي ب وج مكانها : تعدى، بالمقصورة .

غلطة الدهر[1]

وكـان للشـريف العلويِّ، أبي عبـد الله[2]، حُسين بن قاضي القضاة، أبي جعفر، عبد الرؤوف الحسيني الموسوي* من حُسنِ الصَّنيعِ لديه ما يُوجِبُ الشكرَ، فقال يَشكُرُهُ، ويُثني عليه، ويَعتذِرُ إليه من تأخيرِ مَدحِهِ، للسنة التاسعة بعد الألف:

حَتّامَ أمطُلُ سَيِّدي شُكرَ اليَدِ؟ وإلامَ[3] يُمهِلُني التقاضي سَيِّدي؟

وأنا الذي أوجَبتُ، من كَرَمٍ، على نَفسي، وإن مُوطِلتُ، شُكرَ المَوعِدِ

فلأشكُرُنَّ له، وأشكُرُ بَعدَهُ دَهراً أرانيهِ، وبَلَّ به يَدي

ولأحمَدُنَّ مُلِمَّةً صَرَفَت له وجهي، ومهما جَرَّ نفعًا يُحمَدِ

ولأجلُوَنَّ عليه كُلَّ خَريدَةٍ عَذراءَ تَهزأ بالعَذارى الخُرَّدِ[4]

ولأفرِغَنَّ على مُقلَّدِ مَجدِهِ دُرراً يَهِشُّ لَهُنَّ كُلُّ مُقلَّدِ[5]

مِن كُلِّ مَن لم يَسخُ راويها بها فَيَكادُ يَمسُكُها لِسانُ المُنشِدِ

ما زال يَكنُفُني بِغُرِّ صِلاتِهِ حتى أنارَ ظَلامَ حَظِّيَ الأسوَدِ

ويَرُمُّ من حالٍ لَوى بِصَلاحِها دَهرٌ تَعاوَرَها بِكَفَّي مُفسِدِ

(١) تخريجها في أ ص: ٧ - ٩، وب ص: ٢٥ - ٢٨، وج ص: ٢١ - ٢٣، وأعيان الشيعة مج ١٥٩/٤، والهاشمي ص: ٢٧- ٢٩.

(٢) في أ: أبي عبد الرؤف، وفي ب وج: أبي عبد الروف.

(٣) في أ: ويلام، وفي الهاشمي: والى م.

(٤) الخَريدَة: اللؤلؤة لم تُثقَب، والعَذراء، وفي أ: تهزءا، مكان تهزأ، وفي ب وج تهزؤ.

(٥) مُقلَّد الأولى: مَوضعُ القِلادَة، وهو العُنُق، ومَوضعُ نِجادِ السيف على المَنكِبَين، ومُقلَّد الثانية: السيد قُلِّد أمور قومه، وهذا ما يُسمِّيه البَديعيُّون بـ «التَّصدير»، أو «ردّ العَجُزِ على الصدر»، والبيت يُشبِهُ قولَ عليِّ بنِ مُقرَّب العُيوني*، وإن لم يَكُن من جِنسِه:

سَبَقَ الملوكَ، وفاتَ سَبقَ مُقَلَّدٍ بِمُقلَّدٍ طرف نَماهُ مُقلَّدُ

وأعَزُّ حَيٍّ، من رَبيعَةَ*، حَيُّهُ كلٌّ يُقِرُّ له، بِذاك، ويَشهَدُ

ديوانه ص: ١٦٤.

فَسَما بِضَبعِ فَتىً أسَفَّ بِعَزمِهِ ذُلُّ الخُمولِ إلى الحَضيضِ الأوهَدِ[1]
وأعَزَّ بالإكرامِ نَفسًا طالما كانت تَروحُ، على الهَوانِ، وتَغتَدي
أسدى إليّ يَدًا يَضيقُ بها الثَّنا ذَرعًا، ولم أبسُط يَدَ المُسترفِدِ[2]
كَرَمٌ أراحَ من السُّؤالِ عُفاتَه حتى ابتدا بالعُرفِ مَن لم يَجتَدِ[3]
أعطى فما أبقَى على مُستَطرَفٍ عَلِقَت يَداه به، ولا مُستَتلَدِ[4]
كالغَيثِ لا يَستطيعُ يَملُكُ قَطرَهُ حتى لقد خِلناهُ مَخروقَ اليَدِ[5]

---

(١) في ج: قسما، بقاف مُثنّاة مكان فسما، بالفاء الموحدة، والضبع بفتح فسكون: العَضُد، وفي أ مكانها: بضنع، بنون مكان الباء، وفي ب وج والأعيان: بصنع، بصاد مهملة ونون فوقية مفردة مكان الضاد المعجمة، والباء، والحَضيضُ: قَرارُ الأرض عند أسفل الجبل، وفي ب مكانها: الخصيص، بخاء مُعجَمَة، وصادَين مُهمَلَتَين، والأوهَد، أفعل، من الوَهْد: الأرض المنخفضة، وفي متن ب مكانها: الاوهد، بدون همزة، وفي حاشيتها وج: الأدعد.

(٢) في أ: يدا.

(٣) العُفاةُ، جمع عافٍ: طالب الفضل والرزق، وفي الهاشمي: ابتدى، وفي الأعيان ابتدأ، بهمزة، ولعل الصواب تسهيلُ الهمزة ضرورة، كما أثبتناه، والعُرف: المعروف والجود، ولم يَجتَدِ: لم يَسأل الجدوَى أي العَطاء، وفي ب مكانها: يحتدى، بحاء مهملة مكان الجيم المعجمة، وفي أ وج: يجتدى، بالمقصورة، وسوف يكرر المعنى في قوله ج ١/ ٢٤١: لَعَمري لقد أولى الجَميلَ تَبرُّعًا وما سيمَ شَيئًا من نَداهُ المُجَدَّدِ
وقوله ج ٢/١٠٥: لَعَمري لَقَد أبدى الجَميلَ تَبرُّعًا وبادَرَ بالمَعروفِ قَبلَ سُؤالِهِ
وقوله ج ٢/١٠٧: ومُبتَكِرُ المعروفِ إن جاءَ غَيرُهُ بِعُونِ الأيادي جاء بالفِعلَةِ البِكرِ
وهذا من قول علي بن جبلة «العكوك*»:
أعطَيتَني، يا وَليَّ الحَمدِ(*)، مُبتَدِئًا عَطيَّةً كافأَت حَمدي، ولم تَرَني
ديوانه ص: ١١٠، وشرح ديوان المتنبي ج ٢/٧٩.

(٤) المُستَطرَفُ: المال المُستَحدَث، والمُستَتلَدُ: التّالِدُ، أي المال القديم الأصلي الذي وُلِد عند مالِكِه، وفي الهاشمي: متلدد، وفي ب وج: مستلدى.

(٥) في أ: يستطيع، مكان يسطيع، وفي ب: يملك، بالباء الموحدة مكان يملك، وقريب من هذا المعنى قول أبي الأسد نُباتة الحِمّاني الدِّينَوَري يمدح الفَيضَ بنَ صالح(*١):
أرادَت لِتَثني الفَيضَ عن عادَةِ النَّدَى ومن ذا الذي يَثني السحابَ عن القَطرِ
وقول آخر: يا عُيونَ السَّماء، دَمعُكِ يَفنَى عن قَريبٍ، وما لِدَمعِي فَناءُ
أنا أبكي طَوعًا، وتَبكِينَ كُرهًا ودُموعِي دَمٌ، ودَمعُكِ ماءُ
وقول ايليا أبي ماضي*: إن هذا الغَيثَ يَهمي حينَ يَهمي مُكرَهًا
وزُهُورُ الرَّوضِ تُفشي مُجبَراتٍ، عِطرَها
راجع: ديوان المعاني ج ١/٣٠، و ٦٣، ومعاهد التنصيص ج ٢/٣٠٢، وقصيدة الطلاسم، إيليا أبو ماضي، ديوان الجداول ص: ١٦٨.

(*) - في ديوانه: ولي الحق، والمثبت من شرح ديوان المتنبي.

(*١) - أبو الأسد، نُباتة بن عبد الله الحِمّاني الشيباني الدينوري، شاعر مطبوع من شعراء العصر العباسي، شعره متوسط الجودة، مليح النوادر، مزّاحٌ، كان نديمًا لعلويّةَ المُغَنّي، وكان منقطعًا إلى الفيض بن صالح وزير ==

قَـد قُلتُ للسَّـاعِي لإدراكِ الغِنَى بتَـربُّصِ الأوشَـالِ عن أمَلٍ صَـدِ[1]
يَطوِي المَفاوِزَ داخِلاً في فَدفَدٍ، بيَدِ المَطيِّ، وخَـارِجًا من فَدفَدِ[2]
طَوراً تَخبُّ به القِـلاصُ، وتَارَةً يَرمِي به آذيُّ بَحـرٍ مُـزبِدِ[3]
هَذِي وُفُودُ الحَمدِ صادِرَةٌ فَخُذ بطَرِيقِها تُبلِغْكَ أعذَبَ مَوردِ[4]
يَدعُو الظِّماءَ إليه صَفوُ جِمامِه وتَقُـولُ للصَّـادِي عُـذُوبَتُـه: رِدِ[5]
حَاشَى نَدَى العَلَوِيِّ إن طَلَبَ امرُؤٌ مَعَهُ الثَّراءَ ومَدَّ كَفَّ المُجتَدِي[6]
هُوَ مَن إذا أفوقتَ سَهمَكَ رامِيًا غَرَضَ المُنَى، وذَكَرتَهُ، لم يَصرُدِ
ومَتى جَمَعتَ يَدَيكَ مُقتَدِحًا به زَندَ الرَّجـا أورَى ولَمَّا يَصلِدِ[7]
ومَتى أظَلَّكَ ليلُ نَحسٍ فاستَنِر بوَضِيءِ غُرَّتِه صَباحَ الأسعَدِ[8]
يا أيُّها السَّاعِي لِيُدرِكَ شَأوَهُ أسرَفتَ في إخفاقِ سَعيِكَ فاقعُدِ[9]

== المهدي العباسي. راجع الأغاني جـ ١٤/١٣١ - ١٤٣.

(١) في أ وب وج: الغنا، مكان الغنى، والتربُّص: الإنتظار وتَحَيُّن الفُرَص، وفي الهاشمي مكانها: يتربص، وفي أ وب وج والأعيان: يتربض، ولعل الصواب ما أثبتناه، وصد: عطشان، وفي الهاشمي والأعيان: صدي.

(٢) المفاوز، جمع مَفازَة: البَرِّيَّة.

(٣) تَخبُّ: تمشي الخَبَبَ، وهو ضَربٌ من العَدوِ دُونَ العَنَق، فسيح، وفي ب وج مكانها: تحث، والقِلاص، جمع قَلُوص: النَّاقة الصُّلبة، أو الباقية على السير، والطويلة القوائم، والآذِيّ: الموج، وفي أ مكانها: اذي، بألف غير ممدودة، وفي ب والهاشمي: آذى، بالمقصورة.

(٤) في ب: فخد بطريقهم، بدال مهملة، وفي باقي الأصول: فخذ بطريقهم، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٥) في أ وب وج: يدعوا، بزيادة الف، والظِّماء، جمع ظامي: العطاشى، وفي الأصول: الظماة، والجِمام، جمع جَمَّة: البئر كثيرة الماء، والمكان الذي يجتمع فيه الماء.

(٦) في الهاشمي: حاشا، والمثبت من باقي الأصول مقابلاً على اللسان، وفي أ وب وج: امرء، وفي ب: الثرا، وفي ج: الثرآ، والمجتَدي: المستَجدِي، طالب الجداء أي العطاء، وفي أ: المحتدي، وفي ج: المجتدى، بالقصر.

(٧) يَصلِد: يُصَوِّتُ ولا يُوري.

(٨) في الهاشمي: فاستن، مكان فاستَنِر، وفي أ: بوضى غرته، مكان بوضيء غرَّته، وفي ج: يوضي عزته، والمعنى من قول أبي تمّام*: خابَ امرُؤ بَخَسَ الحوادِثُ رزقَه وأقامَ عَنك، وأنت سَعدُ الأسعَدِ
ديوانه ص: ١٠١.

(٩) شأوُه: سَبقُه، وتَفَوُّقه، وفي ب مكانها: شاؤه، وفي أ: شأوه، وفي ج: شاوه، وسوف يكرِّر المعنى في قوله جـ ١/ ٢٩٣: فليس يَلحَقُـه إن خَبَّ أو بَرَكـا يَربَع، على ظَلعه، السَّاعي، لِيُدرِكَهُ
وهو مأخوذ من قول مروان بن أبي حفصة:
قُل للجَـوادِ الذي يَسـعَى لِيُـدرِكَـهُ اقعُد، فما لك إلاّ الفَـوت، والطلَب
ولابن أبي العميثل: ==

أوَ يُمكِنُ السَّاعِي المُجِدَّ لحوقُ مَن ... يَجري بأقدام النَّبيِّ محمَّد* ؟
أو تَستَطِيعُ يدٌ مُطاوَلَةَ امرِئٍ ... رَمَت السَّمَاءَ به مَناكبُ أحمَدِ[1] ؟
هَيهَاتَ إن بُلَّت بآخَرَ مِثلِه ... أيدِي القَوَابِلِ ما حَضَرنَ لمَولِدِ[2]
مِن دَوحَةٍ بَسَقَت فَنَاجَى فَرعُها ... هامَ السِّماك، وَحَلَّ فَرقَ الفَرقَدِ[3]
وَمَضَت مَخَايِلُهُ لنا فَسَفَرنَ عن ... نَفسٍ مُؤَيَّدَةٍ، وعَزمٍ أيِّدِ[4]
ويَدٍ صَناعٍ بالجَمِيلِ، وهِمَّةٍ ... طَمَّاحَةٍ لِسَدادِ ثَغرِ السُّؤدَدِ[5]

== يا من يُؤمِّلُ أن تَكُونَ خِلالُه ... كَخِلالِ عَبدِ الله، أنصِت، واسمَعِ

ديوان مروان بن أبي حفصة ص: ٢٩، وديوان المعاني جـ ١/٥٣.

(١)في ج: يستطيع مكان تَستَطيع، وفي ب: بد، بباء موحدة مكان يَدٌ، بالياء المثناة، وفي أ و ب وج: امرء، وفي ج: مطاوله، مكان مُطاوَلَة.

(٢)سوف يكرر المعنى في قوله جـ١/ ٢٤٠:

فما سَوَّد النُّسَّابُ وجهَ صَحيفَةٍ ... بأبيَضَ منه وجهَ أصلٍ ومَحتِدِ

وقوله جـ ١/٢٤٣: لأعوزَ أن يأتي أبٌ بِشَبِيهِهِ ... سَمَاحَةَ نفسٍ في طَهَارَةِ مَولِدِ

وقوله جـ ١/ ٢٤٧: لأعوز أن يأتي أبٌ بشبيهه ... وإن كَثُرَ الأبناءُ يومًا وأنجَبا

وقوله جـ ١/٢٨٤: هَيهَاتَ إن وَلَدَت له الدُّنيا أخًا ... أنى، وقد عَقِمَت عن الميلادِ ! ؟

وهو معنىً متداول، فمنه قول أبي تمام*:

هَيهاتَ لا يأتِي الزَّمانُ بمِثلِه ... إنَّ الزَّمَانَ بمِثلِه لَبَخِيلُ

وقول البحتري*: كُلُّ الذي تَبغي الرِّجالُ تُصِيبُهُ ... حتى تُبَغِّي أن تَرَى شَرواهُ

وقوله: ولئن طَلَبتُ شَبِيهَهُ إنِّي إذًا ... لمُكَلَّفٌ طَلَبَ المُحالِ رِكابِي

وقول المتنبي*: وما عَزَّ فيها من مُرادٍ أرادَهُ ... وإن عَزَّ إلاَّ أن يَكُونَ له مِثلُ

وقوله: أمُرِيدَ مِثلِ محمد في عَصرِنا ... لا تَبلُنا بِطِلابِ مَالا يُلحَقُ

وللشريف الرضي*: ثَكِلَتكَ أرضٌ لم تَجِد لكَ ثانيًا ... أنى، ومِثلُكَ مُعوِزُ المِيلادِ

وقوله: يا طالبًا من ذا الزَّمانِ شَبِيهَهُ ... هَيهاتَ كَلَّفتَ الزَّمانَ مُحالا

وقول القاضي الفاضل:

مَضَتِ الدُّهُورُ وما أتَينَ بِمِثلِه ... ولقد مضى فَعَجِزنَ عن نُظَرائِهِ

فقه اللغة ص: ٦٠، وديوان أبي تمام ص: ٣٣٥، وديوان البحتري جـ ١/٣٣٦، و٣٣٨، وديوان المتنبي ص: ٢٩ و٤٦، وديوان الشريف الرضي جـ ١/٣٨٣، وفيه معوذ، بذال معجمة مكان مُعوِز، بالزاي، وهذا التصحيف عمّى المعنى على مُحَقِّقه فظنها من: «أعوَذه: دعا له بالحفظ، وقال له: أعيذك بالله، والمعنى غامض»، ولو فطن إلى أن الصواب: مُعوِز، أي عزيز نادر لانتفى الغموض، وانظر معاهد التنصيص جـ ٤/٤٩.

(٣)في أ: فناجا، مكان فناجي، والسِّماكُ: أحد السِّماكَين مرَّ شرحها في الهامش «٢» جـ ١/١٧١، وحلَّهُ: نزل به، وفي الأصول مكانها: وحك، ولعل الصواب ما أثبتناه، والفَرقُ: مَوضعُ المفرق من الرأس، أي هو وسط الرأس.

(٤)ومَضَت: لَمَعَت، والمَخايِلُ، جمع مَخيلَة: الفِطنة، ومن السُّحُبِ: المُبَشِّرَةُ بالمطر، ومنه: ظهرت فيه مخايل النجابة، أي سِماتُها، وعلاماتُها، والأيِّدُ: القوي.

(٥)صَناعٌ: ماهِرَة حَاذِقَة في الصَّنعة، وفي ب و ج: السودد، مكان السُّؤدُد.

ومَعاطِفٍ تَفتَرُّ ، عند المَدحِ، عن   حَركَاتِ مُطَّرِدِ الكُعُوبِ مُسَدَّدِ[1]
يا غَلطَةَ الدَّهرِ التي مـا عَـوَّدَت   يَدُ جُودِهِ بِعَطِيَّةِ المُتَـعَـمَّـدِ[2]
فَـهَـهتَني؛ فـأنا العَـيِيُّ ، وإنَّني   لَيَنُوبُ عن عَمَلِ الصَّوارِمِ مِذوَدي[3]
أمَعاشِرَ الشُّعَراءِ ، ضاقَ أخُوكُمُ   عن مَدحِ سَيِّدِهِ، فَهَل من مُسعِدِ[4]
يا أيُّهـا المُدلي بِوَفـرِ ثَنائِهِ   قَابِل به نُعمَى حُسَينٍ* يَنفَدِ[5]
فالشُّكرُ يَقصُـرُ عن مُطاوَلَةِ امرِئٍ   إن يَشكُرُوا مـاضِي نَداهُ يُجَـدِّدِ[6]
لا زِلتَ مَحسُوداً على ما فِيكَ من   نُبلٍ، وما قَدر امرِئٍ[7] لم يُحسَدِ
{إنَّ العُلَى أُفُقٌ مَتَى استَجلَيتَها   ألفَيتَ أنجُمَها عُيُونَ الحُسَّدِ}[8]

---

(١)المَعَاطِفُ، جمع مَعطِف: الأعناق، وفي ج: لكعوب، مكان الكعوب.

(٢)المُتَعَمِّد: القاصِد، يُرِيد أنّه لا يَتَعَمَّد العطاءَ تكلُّفًا؛ بل يَجُودُ سَجِيَّةً، وعَفواً.

(٣)فَهَّهتَنِي، من الفَهَاهَةِ: العَجزُ عن النُّطق، والعَيِيُّ: العاجِزُ عن النُّطقِ، وفي ب وج والهاشمي مكانها: الغبي، بغين معجمة وب موحدة، والمِذوَدُ: اللِّسَان، وفي أ وب مكانها: مدود بالمهملتين، وفي ج: مذود.

(٤)ضَاقَ عنه: كَلَّ وعَجِز، وفي الهاشمي وأ: بمديح، مكان عن مدح، والمسعد: المعين.

(٥)المُدلِي: إسم فاعل من أدلى بِحُجَّته: أحضَرَها، واحتَجَّ بها، وأصلها من أدلى الدلوَ، إذا أرسلها في البئر ليملأها، والنُّعمى هنا: اليَدُ البَيضاءُ الصالحة، والإحسان، وفي الهاشمي مكانها: نعما.

(٦)في الهاشمي والأعيان وأ: الشكر، بدون فاء، مكان فالشُّكرُ، وفي أ و ب وج: امره، مكان امرئ، وفي الهاشمي: امرءي.

(٧)في أ و ب و ج: امره، والشَّطر الأوَّل من البيت ينظر إلى قول زُهَير بن أبي سُلمى*:

مُحَسَّدُونَ على ما كان من نِعَمٍ   لا يَنزِعُ اللّه عنهم ما به حُسِدُوا

وقول أبي محمد، عبد الجبار العتبي*:

إنِّي نَشَأتُ وحُسَّادي ذَوو عَدَدٍ   يا ذا المعارجِ لا تُنقِص لهم عَدَدا

وقول محمد بن عبد الله بن طاهر:

إن يَحسُدُوني فإنِّي غيرُ لائمِهم   قَبلي من النَّاسِ أهلِ الفَضل قد حُسِدُوا
فَـدامَ لي ولَهُم مـا بي ومـا بِهِم   ومـات أكثَـرُهم غَـيظًا بما يَجِدُ

وقول أبي تمام*: أضحى ابن داودَ محسوداً لِسؤدُدِهِ   لا زالَ مُكتَسِيًا سِربالَ مَحسُودِ

أما الشطر الثاني فينظر إلى قول عبد الملك الحارثي:

وأسوأ أيَّامِ الفَتَى يَومُ لا يَرَى   له أحداً يُزري عليه، ويُنكِرُ

راجع: ديوان زهير بن أبي سُلمى ص: ٢٦، والموشَّى ص: ١٢، ومحاضرات الأدباء جـ١/٢٥٥، وديوان أبي تمام ص: ١٢٤.

(٨)في أ وب والهاشمي: أفقًا، مكان أفق، والبيت ليس في ج، وهو ينظر إلى قول البحتري*:

ولن تَستَبِينَ، الدهرَ، مَوضِعَ نِعمَةٍ   إذا أنت لم تُدلَل عليها بِحاسِدِ

ديوانه جـ ١/٦٥.

لا عُـذرَ لِلعَلَويِّ إن أبصَـرتَه،   بَعدَ الفِطَامِ، يَشِبُّ غيرَ مُحَسَّدِ[1]
فَليُهنِ والدَكَ الخُلُودُ ، وإن قَضَى   فـالمرءُ مـا أدلى[2] بمِـثلِكَ يَخلُدِ

* * *

(١) ينظر إلى قول محمد بن إبراهيم القارئ:

ما ضَرَّني حَسَدُ اللِّئامِ، ولم يَزَل   ذُو الفَضلِ يَحسِدُهُ ذَوو النُّقصانِ

وقول محمد بن عبد الله بن طاهر*، وقد مرّ:

إن يَحسِدُونِي فإنّي غَيرُ لائمِهِم   قَبلِي من الناس أهلُ الفَضلِ قد حُسِدُوا

وقول الشاعر: أنَّ العَرَانِينَ تَلقَاها مُحَسَّدَةً   ولن تَرى لِلِئامِ النَّاسِ حُسَّادا

وهذا بيت اختلف في نسبته بين المغيرة بن حبناء، شاعر آل المهلّب، وعمر بن لجأ، وسليمان بن معاوية المهلبي، وبعضهم ينسبه إلى أحد المهلبيين مطلقًا، وهو صِلَة لبيتٍ قبله هو:

آلُ المُهَلَّبِ* قَومٌ إن مَدَحتَهُمُ   كانُوا الأكارِمَ آباءً وأجدادا

ولعل أول من طرق هذا المعنى هو حاتم الطائي بقوله، وهو ليس في ديوانه:

يا كَعبُ، ما إن تَرَى مِن بَيتِ مَكرُمَةٍ   إلاَّ لَه من بُيُوتِ الشَّرِّ حُسَّادا

الموشَّى ص: ١٢ - ١٣، ومحاضرات الأدباء جـ ١/ ٢٥٤، والمستطرف جـ١/ ٢٢٠، والحماسة البصرية جـ ١/ ١٤١، والعقد الفريد جـ ٢/ ١٧٤، وقول على قول جـ ٥/ ٨٤، وجـ ٧/ ١٦٦.

(٢) في ج: ما أدلي، بياءٍ مثنّاة تحتيّة.

يقظان بين النيام[١]

وقال في أخيه عَبدِ القاهرِ بن عبد الرؤوف[٢]
وهو يَومَئذٍ بالقطيف*، وبَعَثَ بها إليه بالبحرين*
يَتَشَوَّقُ إليه ، ويَذكُرُ غَرَضًا في نَفسِه، وذلك في
السنة الثانية عشرة بعد الألف[٣]:

يا نَسِيمَ الشَّمَالِ، أدِّ رِسَالا   تِي، وبَلِّغ تَحِيَّتِي، وسَلامي[٤]
واحتَقِب عِبءَ ما أبُثُّك من فَر   طِ اشتِيَاقٍ، ولَوعَةٍ، وغَرام[٥]
لِفَتَى هاشِمٍ أخِي السُّؤدُدِ العَوَّ   ادِ، رَبِّ الهِبَاتِ، والإنعام[٦]

---

(١)تخريجها في الهاشمي ص: ١٠٧ - ١٠٩، وأ ص: ٩ - ١١، وب ص: ٢٨ - ٣٠، وج ص: ٢٢ - ٢٤، ومنها في أعيان الشيعة مج ٤/١٥٩ - ١٦٠ «٢٨ بيتاً».

(٢)هو ابن السيد عبد الرؤوف بن حسين الحسيني الجدحفصي* ، قاضي القضاة، ولم نعثر له على ترجمة، وفي ب وج: الروف، مكان الرؤوف، وفي الهاشمي مكانها: الرؤف.

(٣)تاريخها في الهاشمي: ١٠١١، والمثبت من أ وب و ج.

(٤)النسيمُ، دائمًا، هو رَسُول الشُعراء، أو البَريد المؤتَمَن، وقَلَّما تَجِدُ شاعراً لم يُحَمِّله وجدَهُ، وأشواقَه، يقول ابن الجوزي*:

يا نَسِيمَ الشَّمالِ، بَلِّغ خِطابي   واشفِ مِنِّي الجَوَى بِحَملِ الجواب

ويقول أيضًا:

يا نَسِيمَ الشَّمالِ، بالله بلِّغ   ما يقول المتيَّم المستهام

ولصفي الدين الحلي*:

يا نسيمَ الشمال، إن جُزت بالزَّو   راءِ، يومًا، مُعَطِّرَ الأنفاس
زُر حبيبًا لنا بدرب حبيبٍ   واتلُ شَوقِي، وما أبِيتُ أقاسِي

ولطاهر السوداني:

يا نسيمَ الشَّمالِ بالله بلِّغ   أهلَ نجدٍ تحيتي وسلامي

ولنافع الخفاجي:

يا نَسِيمَ الشَّمالِ، هُبَّ فقد آ   نسَ قَلبِي من طَيِّ نَشرِكَ عَرفا

ولأبي شُجاع الواعظ:

يا نسيمَ الشَّمالِ من إرض نَجدِ   خَبِّر الظَّاعِنِينَ شَوقي ووجدي

ولابن علوي الحداد:

حَيِّ ظَبيَ الرِمَالِ والأطلالِ   بسلامي واشرح لهم كيف حالي
يا نَسِيمَ الشمالِ إن جُزتَ وهنًا   بِرُباهُ وقد غفا كلُّ خالي

راجع: المدهش ص: ٢٢٠، ٢٢٣، وديوان صفي الدين الحلي ص: ٣٠٨.

(٥)احتقب: احتمل، والإحتقاب: حَمل الشيء من خلف، وفي أ: عبآء، مكان عبء، وفي الأعيان: عبأ، وفي ب: غب، وفي ج: عبئا، وفي أ: عزام، مكان غرام.

(٦)في الهاشمي و أ: أخا، مكان أخي، والسؤدد: السيادة، والعوَّاد أصلها: ضارب العود، آلة الطرب المعروفة، ==

إنَّ دَهراً قَـضَى بِبُـعـديَ عن نا ديهِ أولى مُـقَـصِّـرٍ بِمَـلام
وحَـشًـا ألهَبَ الفِـراقُ حَـواشِـيـهـا لأحـرَى حَـشًـا بِبَلِّ الأوَام[1]
ومُـحِـبًّـا عـانَى الفِـراقَ ولم يَقـضِ لأقـوَى امـرِئٍ على الآلام[2]
أشـخَـصَـتني عنه النَّوى بَعـدَ مـا طَالَ ثَـوائي بِجَـوِّهِ ، ومَـقَـامي[3]
زَحـزَحَـتني عن غَـابِهِ، والعَـفَـرنَى ذُلُّه في مُـزايَـلِ الآجَـام[4]
خَـرَطَتني من سِلكِهِ، ويَتِـيـمـاتُ الَّلآلِي جَـمـالُهـا بالنِّظَام[5]
حَـلأتني عن ورِدهِ، فـاقضِ بالحَـتـفِ لِمُلَقًّى، دُونَ الشَّـريعَـةِ، ظَامِي[6]
وصَلَتنِي بِغَـيـرِهِ، وأخُـو الصِّـحَّـةِ يَدري مـا قَـدرُها في السَّـقَـام[7]
يا أخَـا هاشِمِ بن عَـبـدِ مُنافٍ دَعـوَةً من أخِي رِجَـالٍ كِـرام
أيُّ غُبنٍ تَـراهُ لي غَـيـرَ مَكثِي بَينَ قَـومٍ لا يَفـقَـهُـونَ كَـلامِي؟[8]
مـا مَـقَـامِي فِـيـهِمِ - وحَـاشَـاك - إلاَّ كَـمَـقَـامِ اليَـقظَانِ بينَ النِّيَـام
تَجـتَـلِي العَينُ مِنهُمُ صُـوَرَ الأنـسِ، وهُـم مـن هَوامِلِ الأنـعَـام[9]

== ومراده: المعاود، وهو الشجاع لأنه لا يملّ المراس، وفي الهاشمي مكانهما: السؤدد العرب، وفي أ: السود العواد، وفي ب: السود العود، وفي ج: السودد الفرد.

(١)الحشا: ما انضمّت عليه الضلوع كالقلب، والكبد، وكلتاهما في الأصول: وحشى.

(٢)في ج: عاني، بياء مثنّاة تحتيّة، مكان عانى، وفي أ وب وج: امره، مكان امرئ، ومعنى البيت من قول قيس بن الملوّح:

أَأَتركُ لَيلى لَيسَ بَيني وبينها سِوى ليلةٍ؟ إنّي، إذَن، لَصَبُورُ!

ديوانه ص: ٩١

(٣)الجَوُّ: المُنخَفِضُ من الأرض، يُرِيد كَنَفَ المَمدُوح، وما به من خَفضٍ ورَخاء، وفي ب مكانها: نحوه، وفي ج: بحوه، وفي ج: مقام، مكان مقامي.

(٤)العَفَرنَى: الأسد، وفي أ: العفرنا، وفي ب وج: ذلة، بتاء مربوطة مكان ذُلُّهُ، ومُزايَل، الاسمُ من زايَلَهُ مُزايَلَةً: فارَقَه، وفي ب وج مكانها: مزابل، بباء موحدة، وفي أ: مزائل، والآجام، جمع أجَمة: الشجر الكثير الملتف، والغابة.

(٥)في الهاشمي: في النظام.

(٦)حَلأتني: طَرَدَتني، ومَنَعتني، والوِردُ: الماء الذي يُستَقَى منه، وفي ب: لوردة، مكان عن وِردِهِ، وفي ب: لملقي، بياء مثناة، مكان لملقىً، وفي ب وج: ظام، مكان ظامي.

(٧)في ب: قذرها، بالذال المعجمة.

(٨)في الهاشمي: عين، بعين مهملة، وياء مثناة، مكان غبن، بالغين المعجمة، والباء الموحدة، وفيه، وفي ب: يفهمون، مكان يفقهون.

(٩)هَوامِل، جمع هَامِل: الإبلُ المترُوكَة سُدى، أي مُسَيَّبَة ليلاً ونهاراً، وفي الأعيان مكانها: عوامل، وفي البيت ==

لَيتَ أنِّي بُدِّلتُهُم ، وهُمُ البِيـ ضُ لِسامٍ*، بالسُّودِ من نَسلِ حامِ*[1]!

من غَبِيٍّ لا يَملِكُ الفَرقَ في ما بَين وُسطَى يَدَيهِ ، والإبهام

ولَئيمٍ واهِي المُروءَةِ[2]، لا يَفـ ـرِقُ بين الإكرام ، والإيلام

غير أنَّ السُّراةَ من هاشمٍ الغُـ ـرِّ رَعَوا حُرمَتي، وحَاطُوا ذِمامي[3]

أوسَعُوني كَرامَةً الحَقَتني بِهِمِ ، مَعَ تَبايُنِ الأرحام

مَعشَرٌ آثَرُوا السَّماحَ على الما لِ ، وحَاطُوا أعراضَهُم بالحُطام

تلك أبياتُهم فَلِجها ، فَهَل تُبـ ـصِرُ فيها سِوى عِيابِ اللأمِ ؟[4]

ألِفُوا بَذلَةَ النَّفائسِ* في السِّلـ ـمِ ، وبَذلَ النُّفُوسِ في الإقدامِ

فَهُمُ المُطعِمُونَ والعامُ حامٍ وهُمُ المانِعُونَ واليومُ دامي[5]

أخَذُوا عن عَلِيِّهِم ، حِينَ تَنبُو الـ ـبِيضُ، قَطَّ الطُّلى، وقَدَّ الهام[6]

رَفَضُوا الخَيلَ، رُبَّما استَشعَرُوا فِيـ ـها ، لَدَى الكَرِّ، عَارِضَ الإحجامِ[7]

== نظر إلى قول السيد الحميري:

قَد ضَيَّعَ الله ما جَمَّعتُ من أدَبٍ بين الحَميرِ، وبين الشَّاءِ، والبَقَرِ

وقول المتنبي*: أرَى أناسًا، ومَحصُولِي على غَنَمٍ، وذِكرَ جُودٍ، ومَحصُولِي على الكَلِمِ

راجع: ديوان السيد الحميري ص: ٢٣٧، وديوان المتنبي ص: ٣٧.

(١) سام، شخصية توراتية: ابن النبي نوح (ع)، منه انحدرت الشعوب السامية، وحام أخوه، أب لعدد من القبائل التي استوطنت العراق*، والشام*، «سفر التكوين ١٠: ١- ٣١»، تَوَهَّمَت بعضُ المصادر أن التوراة تَعُدُّه أبًا للزنوج، والظاهر أن هذا قول النسابين العرب. راجع، تاج العروس، واللسان، والمنجد في الأعلام، والسود: الزنج، وذوو اللون الأسود، وفي ج مكانها: بالسوء.

(٢) في أ وب وج والأعيان: المروة بدون الهمزة.

(٣) السُّراة، جمع سَرِيٍّ: السَّادَة، والرؤساء، والغُرُّ، جمع أغَرّ: كِرام الأفعال، والشُّرَفاء، وفي ج: رعو، بدون ألف الجماعة، مكان رَعَوا، والذِّمام: الحَقُّ، والحُرمَة.

(٤) في متن ب: فلم، مكان فهل، وفي ج: فلا، والعِياب، جمع عَيبَة: زَبِيل من أدُم، وما يُجعَلُ فيه الثِّياب، واللام، مُسَهَّلَةُ الهَمزة، جمع لأمة: الدُّرُوع، وفي أ، مكانها: اللئام، وفي الهاشمي: الاءم، وفي ج: اليلام.

(٥) حام: أسود، أي من الشِّدَّة، والضَّنك، وفي ج: السابقون، مكان المانِعُون، وفي ب: البوم، بباء موحدة، مكان اليوم، بالياء المثناة.

(٦) تَنبُو: تَكِلُّ وتَرتَدُّ، ولا تَمضِي، وفي الهاشمي و أ وب و ج: تنبوا، بزيادة ألف، والطُّلَى، جمع طَلاة: الأعناق، وفي الأصول: الطلا، والمثبت بتصرف، وفي ج: وقط، مكان وقَدّ، وأراد بعليهم: جدهم علي بن أبي طالب (ع)*.

(٧) في ج: منها، مكان فيها، وفي الهاشمي: لذى، بذال معجمة، والكَرُّ: انعطاف الفارِسِ على قِرنِهِ، ورُجُوعه إليه في القِتال، وفي ج: الكو، بواو مكان الراء.

فَـــهُمُ ، في المَكَرِّ ، أســرَعُ منهُـ ـنَّ، وثُوبًا ، ومِن مُـرُوقِ(١) السِّـهام
مَن كَـعَبدِ الحَمِيدِ*، إنْ نَكَصَ الذِّمـ ـرُ، وحُـرَّت مَـوَاطِئُ الأقــدام؟(٢)
بطلٌ يُسخِنُ العُيُونَ القَرِيرا تِ بِضَـربٍ يُقِـرُّ عينَ الحِمَـام(٣)
يُوجِرُ القِرنَ كُلَّ فَـوهاءَ تُبـدي لكَ ما خَلفَ ظَهـرِهِ من أمَـام(٤)
مُـذ رَأى النَّقصَ في السِّيادَةِ بالما لِ قَـلاهُ ، وَسَـادَ بالإعـدام(٥)
غَـيـرَ ألاَّ سُلُوَّ عن تِلكُمِ الدَّا رِ ، ولا عن أولئكَ الأقـوام
يا أخا(٦) الفَضلِ، والنَّبَاهَةِ، والسُّؤ دُدِ ، والذِّكـرِ، والأيادي الجِسَـام
لا تَكِلنِي إلى انتِقَـالِي، ومَكثِي في أناسٍ ، سِـواكُمُ ، ومَـقامِي
فـعُلُوقي بِكُم ، وإن نَأت(٧) الدَّا رُ ، عُلُوقُ الأرواحِ بالأجسَـام
إنَّهـا خُطَّةٌ أجاءَ لهـا الحَـ ـظُّ ، فَـعَفـوا عن زَلَّةِ الأيَّام(٨)

* * *

(١) في أ: مزوق، بالزاي المعجمة مكان مروق، بالراء المهملة.

(٢) نَكَصَ: أحجم، ورَجَع القَهقَرى، ومكانُها في ب: نأص، والذِّمر: الشُّجاع، ومكانها في أ وب: الدم، وفي ج: الدر، وحُرَّت: سخُنَت، وفي أ وب مكانها: جرت، بجيم معجمة، وفي ج: جرَّت، بجيم معجمة مشددة، ومواطئ الأقدام: مواضع الوطء، وفي ج: مواطي، بدون همزة، ولم يتضح من هو عبد الحميد، ولكن وصف الشاعر له يحمل على الظن بأنه حاكم القطيف*، أو أحد زعمائها، والظاهر أن الشاعر، هنا، يذم الأتراك.

(٣) في ج: يضرب، بياء مثنَّاة، مكان بضرب، بالباء الموحدة، ويقرُّ، نقيض يُسخِن، والحِمام: الموت، يريد: يسخن عيون الأبطال بقتلهم، ويقر عين الموت بما يفعله بهم.

(٤) يُوجِرُهُ: يَطعَنُهُ بالرُّمح في صَدرِهِ، والقِرنُ: الكُفءُ، والنَّظِير في الشجاعة، والفَوهاء: الطعنة الواسعة، وفي ج: فوهاً.

(٥) قَلاه: أبغَضَه، وكَرِهَه غاية الكَرَاهَة فَتَرَكَه، وفي أ: تلاه، والبيت ينظر إلى قول المعذل بن غيلان:

ولستَ بمَيَّـالٍ إلى جـانبِ الغِنَى إذا كانت العلياء في جانب الفَقرِ

وقريب منه قول أبي تمام*:

يَصُدُّ عن الدُّنيا إذا عَنَّ سُؤدُدٌ ولو بَرَزَت في زِيِّ عَذراءَ ناهِدِ

معاهد التنصيص جـ ٣٧٩/١، وديوان أبي تمام ص: ١٠٤.

(٦) في ج: يا أخي.

(٧) نأت: بَعُدَت، وفي أ: نتات، وفي ج: نات، بدون همزة.

(٨) الخُطة: الأمر العظيم المشكل الذي لا يهتدى إليه، وأجاء: ألجأ، واضطر، وفي ج، مكانها: اجالها، وفي ب و ج: الخط، مكان الحظ.

العقوق[1]

واتَّصَلَ خَبَرُ أبي البحر بالشريف العلوي السيد خلف بن السيد عبد المطلب[2]، ملك الدورق*، فبعث إليه، من الدَّورق*، عدَّةَ كتب يَستَقدِمُه، فأجابه يعتذر إليه، عن التَّوَجُّه إليه، بشعرٍ على لسان أهل تلك الأطراف يُسَمَّى الموَّاليا، لا يَجمُل إيرادُه هنا، ثمَّ وقع على الشريف المشار إليه من أخيه، أبي بدر، السيد مبارك خان[3] ما وقع من إسمال عينيه[4] حين ناجاه ظَنُّه فيه أنَّه يَتَرَشَّحُ للمُلك، فانتقل، بعد ذلك، السيد خلف إلى الهنديجان[5] من أرض فارس*، فكتب إلى أبي البحر يشكو ما جرى عليه، ويَستَقدِمُه إليه، ويُعاتِبُه في عدم تَعزِيَتِه على ما جرى عليه، فَعَرَضَ إلى أبي البحر سَفَرٌ

---

(١) تخريجها في الهاشمي ص: ٥٩ - ٦٢، وأعيان الشيعة مج ٦/٣٣٢ - ٣٣٣، و ب ص: ٣٠ - ٣٥، وج ص: ٢٥ - ٢٨، وأ ص: ١١ - ١٤، ووقعت الأبيات الخمسة الأخيرة منها في ص: ١٣٩ من أ.

(٢) أو «مطلب» اختصاراً، ابن حيدر بن السلطان محسن بن محمد، الملقب نفسه بالمهدي، بن فلاح، الموسوي، المشعشعي، والمشعشع لَقَبُ جَدِّه علي بن محمد بن فلاح، ومحمد، هذا، تتلمذ على الشيخ أحمد بن فهد الحلي بالمدرسة «الشرعية» بالحلة بالعراق*، وقد أفضى به الطموح إلى أن أسس إمارة في إقليم عربستان* على الساحل الشرقي للخليج* عرفت بالإمارة المشعشعية نسبة إليه، واستمرت منذ نشأتها سنة ٨٤٤ هـ حتى سنة ١١٤٢هـ، والسيد خلف، هذا، من أهل العلم والفضل، شاعر، وأديب، تولّى الحكم في عهد أبيه عبد المطلب «مطلب» ولكن التنافس بينه وبين أخيه مبارك* دفع الأخير إلى أن سَمَلَ عينيه، فاستأثر بالسُّلطَةِ دُونَه، وتفرغ السيد خلف للتأليف شعراً، ونثراً، فترك تسعة عشر مؤلفاً. وديواني شعر. راجع: أعيان الشيعة مج ٦/٣٣٠ - ٣٣٤، وأمل الآمل جـ ٢/١١١، وروضات الجنات جـ ٣/٢٦٣، ومعجم المؤلفين جـ ٤/١٠٥، وإمارة المشعشعيين ص: ٥ - ١٣.

(٣) نشأ مبارك هذا نشأة غير مَرضِيَّة، حيث اتَّبَعَ، في فتاءَته، شِرذِمَةً من قُطَّاع الطُّرق، ولم تُجدِ محاولة والده، في تقويم سلوكه، بتزويجه، فطرده من الدَّورَق*، فانتَقَل إلى شَطِّ العمارة عند جماعة من آل غزي تحترف قطع الطرق، إلى أن جرت محاولة من أعراب الحويزة لانتزاع الحكم من أبيه، وكان خاله سعد بين المتآمرين، فتحركت فيه نوازع الحميَّة على أبيه، فاستنجد بسلطان الأفشار، ميرزا علي خان، فلم يأبه له، فعقد النية على الإنتقام، وما لبث أن تَمكّن من اغتيال السلطان، ثم تَسَلَّلَ إلى الدَّورَقِ*، فقتل خاله سعداً، ونجح في استمالة قبيلة خاله بالأموال التي استولى عليها من خزائن خاله، فتمكن من إلحاق الهزيمة بباقي المتآمرين، وتوطيد الحكم لأبيه على الرغم مما تخلل ذلك من انتكاسات تمكّن فيها خُصُومُه من اعتقال أبيه، وتَخَلّى جُنُودُه عنه في بعض الأحيان، وكذلك الخلافات مع حلفائه آل غزي، وقد دَخَلَ، حتى مع الشاه عباس الصفوي*، في صراع بعد وفاة والده، واستقلاله بالحكم، وعلى الرغم من ذلك فقد أقرّه في منصبه إلى أن توفي سنة ١٠٢٦هـ. راجع: أعيان الشيعة مج ٩/٤٢، وإمارة المشعشعيين ص: ١٨- ١٩، وقبيلة الفضول ص: ١٠٣- ١٠٥.

(٤) في ج: غيبته.

(٥) الهنديجان: ناحية في أقصى الطرف الشرقي من عربستان* الجنوبية «خوزستان*»، يحدُّها الخليج* من الجنوب، ومن الغرب منطقة الخيط. راجع: معجم البلدان جـ ٥/٤١٨، ودليل الخليج جغ جـ ٢/٩١٣.

إلى فارس*، فأنشأ قَصِيدَةً، واستَصحَبَها معه، فتوافَيا في مَحرُوسَةِ شِيراز*، فأنشده [1] إيَّاها، وذلك في السنة السادسة عشرة بعد الألف:

أبا هاشِمٍ*، أنهِي إليكَ تَحِيَّةً ... تُحَيِّيكَ رَيَّاها بِرائِحَةِ* العِطرِ [2]
وأشكُو لكَ الدَّهرَ الذي عَضَّ جاهِداً ... فأدمَى، وَسَامَ [3] العَظمَ نَازِلَةَ الكَسرِ
وأنحَى [4] على عُودِي فما زَالَ عَابِثًا ... بأوراقِهِ حتَّى ألَحَّ على القِشرِ
وحَظًّا لو استَسرَيتُ ناسِمَةَ الصَّبا ... شِتاءً لأسراها أحرَّ من الجَمرِ [5]
وإخوانَ سُوءٍ إن رَمَى الدَّهرُ سَهمَهُ ... فأخطأني، كانُوا سِدادَ يَدِ الدَّهرِ [6]

---

(١) في ب: فأنشذه، بذال معجمة.

(٢) في ب: يجيئك، مكان تُحَيِّيكَ، وفي أ: نجيك، وفي ج والأعيان: يحييك، والرَّيَّا: الرائحَةُ الطَّيِّبَةُ، وفي ب: ربَّاها، بباء موحدة مكان ريَّاها.

(٣) سامه الأمر: كلَّفه إيَّاه.

(٤) أنحى عليه: أقبل عليه، وفي الأعيان: انحنى، وفي ج: والحَى.

(٥) استَسرَيتُه: حَمَلتُهُ على السُّرَى، أي السَّير ليلاً، وفي أ، مكانها: استقريت، وسوف يُكَرِّرُ هذا المعنى في قوله جـ٢/١٣٥:
فلو انِّي أولَيتُ ناشِئَةَ المُز ... نِ إخائي أحلَتُ طَبعَ الغَمامِ
وهو معنى متداول، فمنه قول الشاعر:
ولو انِّي أردتُ غَسلَ ثِيَابِي ... في حُزيرانَ عاد يَومًا مَطِيرا
وقول الشافعي: وإذا سَمِعت بأنَّ مَحرومًا أتَى ... ماءً لِيَشرَبَهُ فَغاضَ فحَقِّقِ
وقول اسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه الحمدوي «الحمدوني*؟»:
قد قُلتُ إذ خَرَجُوا لِكَي يَستَمطِروا: ... لا تَقنَطوا، واستَمطِروا بِثِيابي
لو في حُزَيرانٍ هَمَمتُ بِغَسلِها ... غَطَّى ضِياءَ الشَّمسِ جَوُّ سَحابِ
وقول الحكم الأسدي:
ولو خِفتُ شَرًا فاستَتَرتُ بِظُلمَةٍ ... لأقبَلَ ضَوءُ الشَّمسِ من حَيثُ تَغرُبُ
وقول الجزار السرقسطي:
لو وَرَدتُ البِحارَ أطلُبُ ماءً ... جَفَّ، عند الوُرُود، ماءُ البِحارِ
ولأبي الشمقمق: لو رَكِبتُ البِحارَ صَارَت فِجاجًا ... لا ترى في مُتُونِها أمواجا
ديوان الإمام الشافعي ص: ١٠٧، وديوان الحمدوي، وزهر الآداب جـ ٥٥٦/٣، ومعاهد التنصيص جـ ١٥١/١.

(٦) في ج: سؤ، مكان سوء، وفي البيت نظر إلى قول البحتري*:
فإذا عَدا، والدَّهرُ ذُو غِيَرٍ، ... دَهرٌ عليك عَدا مع الدَّهرِ
وقول ابن الرومي*: تَخِذتُكُمُ دِرعًا وتُرسًا لتَدفَعُوا ... نِبالَ العدَى عنِّي فكُنتُم نِصالَها
ولابن سناء الملك: أعدَدتُكُم لدِفاعِ كُلِّ مُلِمَّةٍ ... عَونًا فكُنتُم عَونَ كُلِّ مُلِمَّةِ
وتَخِذتُكُم لِيَ جُنَّةً فكأنَّما ... نَظَرَ العَدُوُّ مَقاتِلِي من جُنَّتِي
راجع: شرح ديوان البحتري جـ ٥٩٩/١، وأمالي القالي جـ ٣٠٨/٢، ومعاهد التنصيص جـ ٣٠/٤، وديوان ابن الرومي جـ ٩٧/٥.

أزيرُهُمُ عَــونَ الثَّناءِ فــأنثَني، مُـقَـايَضَـةً منهم، بحـادِثَةٍ بِـكرِ[1]
وأتبعُ تَسلِيـمِي إذا مـا لَقِـيتُـهُم بِبِشـرِي، فأجزَى بالعُبُوسِ عن البِشـرِ[2]
تَعَوَّضتُـهُم عن مَعشَرٍ لو دَعَوتُهُم لَحـاوَلَ كُلٌّ في النُّهُـوضِ من القَـبـرِ[3]
أطالُوا يَدِي، فالشِّبرُ بَاعٌ، فَمُذ قَضَوا تَقـاصَـرَ بَاعِي عن مُطاوَلَةِ الشِّـبـرِ[4]
ثَكِلتُــهُمُ ثَكلَ الحَـوائمِ* وِردَها وقـد نَازَعَت أحشـاءَها غُلَّة العِـشرِ[5]
عَـقَـقـتُـهُمُ إن لم أكـاثِرِ بأدمُـعِي عليهِم غُمـارَ البحـرِ، أو سَبَلَ[6] القَطرِ
بِرغـمِيَ أن ألقَى بَنِي الدَّهرِ بَعـدَهُم قَـذَىً، وشَجًـا لِلعَينِ، مِنِّي، ولِلصَّـدرِ[7]
وتُثـرِي بِهِمِ أهلُ القُـبُـورِ، وإنَّني أرُوحُ وأغــدُو[8] مِنهُمُ بِيَــدٍ صِــفـرِ

(١)في الهاشمي وأ وب: أزرتهم، مكان أزيرُهُمُ، والعُونُ: النَّصَفُ من كُلِّ شَيء، وهي بين الحدثة والمسِنَّة، وفي البيت نظر إلى قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي في ابن أخته قيس بن مكشوح المرادي:

أريد حِبـاءَه، ويُرِيدُ قَـتـلِي عَذِيرَكَ من خَلِيلِكَ من مرادي

ويروى: أريد حيـاتَه. راجع: الديوان المنسوب للإمام علي بن أبي طالب (ع) ص: ٦٤، وخزانة الأدب جـ ٦/ ٣٦١، وجـ ١٠/ ٢١٠، وأمالي القالي جـ ١/١٥، والأغاني جـ ١٥/٢٢٧، وديوان زياد الأعجم ص: ٩٧.

(٢)البِشرُ، بِكَسرٍ ثمَّ سُكُون: المَسَرَّة والفَرَح والبَشَاشَة، والياء فيها ضمير، والأولى في ب و ج والهاشمي: ببشرى، والبشر الأخيرة في أ: الشر، وفي البيت نظر إلى قول معن بن أوس:

إذا سِمتُهُ وَصلَ القَرَابَةِ سَامَنِي قَطِيعَتَها تِلكَ السَّفَاهَةُ، والإثمُ

أمالي القالي جـ ٢/١٠٤.

(٣)نصُّ البيت في الأعيان:

تعوضتهم عن معشرٍ حال بيننا وبينهم ريب الزمان إلى الحشر

وقد نقل المعنى من قول القاضي الفاضل*:

وأنا الذي لو مَرَّ بِي من نَحوِكُم دَاعٍ، وكُنتُ بِحُفرَتِي، لبَّيتُهُ

والسابق إلى هذا المعنى هو توبة بن الحمير:

ولو أن ليلى الأخـيَلِيَّـةَ سلَّمَت عليَّ ودُونِي جَندَلٌ، وصَفَائحُ
لسلَّمت تَسلِيمَ البَشَاشَةِ أو زَقَا إليها صَدَىً، من جانِبِ القَبرِ، صَائحُ

راجع: المستطرف جـ ٢/٤٠٦، ومحاضرات الأدباء مجـ ٢/٤٨.

(٤)في الأعيان: أيدي، مكان يدي، وفيه أيضًا: مضوا، مكان قضوا.

(٥)الحَوَائمُ، جمع حَائِمَة: الإبِلُ العَطشَى، وفي أوب وج: أحشائها، مكان أحشاءها، والعِشرُ، بكسر ثمَّ سُكُون: وِردُ الإبِلِ اليوم العاشِر، فإنَّهم يُظمِئونَها تسعةَ أيامٍ، ويَسقُونَها في اليوم العاشر.

(٦)السَّبَلُ: المطر، وفي ج: سيّل، بياء مثنَّاة مُشَدَّدَة.

(٧)القَذَى: ما يَقَعُ في الأكلِ، أو الشَّرَابِ، من تِبنٍ وغيره، وما تُخرِجُهُ العين من غَمَصٍ، ورَمَصٍ، وفي الهاشمي وأ وب وج: قذا، والشجا: الحزن، وما اعترض في الحلق من عظم وغيره، وفي الهاشمي والأعيان: شجى، وفي ج: شبحا.

(٨)في ب: وأغدوا.

قَضَى مَن قَضَى مِنهُم، وأصبَحَ مَن بَقِي　　أخـا نَكَبـاتٍ يَسـتَـقِيلُ من العُـمـرِ
تَقَسَّـمَـهُم رَيبُ الزَّمَانِ فـأصبَـحُوا　　فَـرِيقَينِ في[1] نابِ الحَـوادِثِ، والظُّفـرِ
أسِـفتُ لهـذا الشَّطرِ مِنهُم، وإنَّني　　لَذو كَـمَـدٍ باقٍ على ذلك الشَّطرِ[2]
ومُبتَسِمٍ بالوُدِّ[3] يُبطِنُ ضِدَّهُ　　وأضـيَعُ شَيءٍ خَلطُكَ الحُلوَ بالمُرِّ
أدافع عنه، ما استَطَعتُ، وإنَّهُ　　لَيَخذُلُني، ما شاءَ، إن سِمتُهُ[4] نَصرِي
أرى قُـربَه غُنمِي، ولم أدرِ أنَّه،　　على عَكسِ ما عندي، يَرَى غُنمَه هَجرِي
سَلَكتُ به نَهجَ الوَفـاء فَـعَـزَّني،　　ونَكَّبَ، مُنحازاً، إلى جَانِبِ الغَدرِ[5]
سَقَى اللّهُ حَيّاً من تَمِيمٍ بِقَدرِ ما　　شَـرِبنا بأيدِيهِم مِنَ النَّائِلِ* الغَـمـرِ[6]
هُمُ أمطَأونا غَـارِبَ اليُسـرِ بعـد مـا　　أزَلَّت خُطَى أقـدامِنا عَـثـرَةُ العُسـرِ[7]

---

(١)في متن ب: من.

(٢)في أ: بهذا، مكان لهذا، والكَمَد: أشدُّ الحزن، وفي ج مكانها: كملٍ.

(٣)في الهاشمي وب وج: ومتسم بالود، وفي متن الأعيان: ومتسم بالبر، وفي حاشيتها عن الأصل: ومتسم بالبرد.

(٤)سُمتُه: أوليتُه، وفي أ: سنمته، والمعنى مأخوذ من قول ابن الدُّمَينة:

ما بالُ مَن أسعَى لأجبِرَ عَظمَهُ　　حِفظًا، ويَنوِي من سَفَاهَتِهِ كَسرِي

وقول معن بن أوس*:

ويَعتَدُّ غُنمًا، في الحَوادِثِ، نَكبَتِي　　ومـا إن له فيـهـا سَناءٌ، ولا غُنمُ

راجع: أمالي القالي جـ ٢/١٧٤، والكامل في اللغة والأدب جـ ١/٢٢٦.

(٥)عَزَّني: غَلَبَني، وتمَنَّع عليَّ، وفي الأصول: غرني، ولعل الصواب ما أثبتناه، ونَكَّبَ: عَدَلَ، وتَنَحَّى، وفي الأعيان مكانها: فنكب، وفي ج: منحاداً، مكان منحازاً.

(٦)تميم: قبيلة عربية، قوية، كبيرة، تنتشر بين نهر قارون* وشط دجلة*، ومنهم فرع يقيم على نهر الجرّاحي*، وتعرف باسم «آل بو كاسب»، وبعضها يقيم في حاضرة نجد*، وجبل شمَّر، وغالب أسر العراق*، من هذه العشيرة، من بني سعد*، ما عدا بني نهشل، ومنهم العتايبة، وعيد من مازن في أنحاء البصرة*، فإنَّهم أحفاد بني تميم الآخرين، ومما يذكر، بهذا الصدد، أنَّ تميمًا من القبائل المستوطنة في الأحساء*، ويظهر من مدائح الخطي لبعضهم - جـ١/١٧٢ وجـ ٢/١٢٩ - أن لها وجوداً في القطيف* والبحرين*. راجع: دليل الخليج، جغر جـ ٧/٢٤٢٤، وكنز الأنساب، ودائرة المعارف للبستاني جـ ١١/٥٩٢، ومعجم القبائل العربية جـ ١/١٢٦، والنَّائل: النَّيل، أي ما يَنالُهُ المرء.

(٧)مطأ المرأة، بالهمز: وطأها، والألف فيها للتعدية للمفعول الثاني، ومراده: أمطونا، بالقصر، بمعنى جعلوه لنا مَطيَّة وأركبونا إيَّاه، أي إنَّ هِباتِهِم أركَبَته غاربَ اليسر، وفي أ: امطاؤنا، مكان أمطأونا، وفي ب وج أوطاؤنا، وفي الهاشمي: أوطأونا، ولعل الصواب ما أثبتناه، والغارب: الكاهل أو ما بين السنام والعنق، ومن كل شيء أعلاه، ومكانها في متن الأعيان بياض، كما هي في أصل مخطوطة السيد محسن الأمين* حسب شرحه، وأثبتَّها في الهامش: ساحة، وفي الهاشمي وأ وب وج: خطا، مكان خطى، والبيت ينظر إلى قول طُفَيل الغنوي:

هُمُو خَلَطُونا بالنُّفُوسِ، وألجأوا　　إلى حُجُراتٍ أدفَأت، وأظلَّتِ ==

فَلَم تَبلُغِ الأمُّ الرَّؤُومُ بِبِـــــرِّها   بَنيهــا مَـدى مـا أسلَفُـونا مِن البِـرِّ[1]
وأنـتَ ابنُ أختِ القَــومِ والخَــالُ والدٌ   وإن كـانَتِ الأعمـامُ من ضِئضِئِ النَّضرِ[2]
وأنتَ الذي يُعديِ[3] على المحلِ جُودُهُ   ويُعشِبُ، من مَعرُوفِه، يابِسُ الصَّخرِ
وإنَّ قُـعُـودي عنكَ، حِينَ ابتَـغَـيتَني[4]   إليكَ على قُـربِ المكانينِ، من عُــذرِ
أمُورٌ لو انِّي سِمـتُهـا الحَصرَ لم يَكُن   لِيـأتي على مِعشـارِ مِعشـارِها حَصـري
وإلاَّ فَـفِي نَفسِي إلى «هِندجَانِكُم*»   تَبَـارِيحُ يَصـدَعنَ الجَـوانحَ لو تَدرِي[5]
فَــمَن لِيَ أن تَأتِيكمُ بِرَســائلِي،   على النأيِ، أنفاسُ الصَّبا والقَطا الكُدرِي[6]
وشَكوَىً أناخَت بي فَضِقتُ، تَجَلُّداً،   بِنازِلِهـا، واستَـرحَلَت قـاطِنَ الصَّبـرِ[7]
هَرَقتُ لهـا كـأسَ الكَرَى، وتَجـرَّعَت   لهـا النَّفسُ مـا تَحلُو له جُرَعُ الصَّبـرِ[8]

== معاهد التنصيص ج ١/٢٣٣.

(١)الرَّؤوم: العَطُوف، التي تَعطِفُ على ولدها، وفي الهاشمي و أ وحاشية ب مكانها: الرؤم، وفي متن ب: الرؤف، وفي ج: الرءوم، والمدى: الغاية، والمنتهى، وفي الهاشمي مكانها: مدا.

(٢)الضِّئضِئُ: الأصل، والمعدِن، وفي أ مكانها: ضيئضي، وفي ب وج: ضيضي، والنضر: هو النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، أبو قريش خاصَّة، ومن لم يلده النضر فليس منها، ويقال بأنَّ اسمه قيس، وهو الجدُّ الثالث عشر للنبي محمد (ص). راجع: تاج العروس، وفي الهاشمي: النصر، وفي الأعيان النظر.

(٣)يُعدي: يَنصُر، ويُعين.

(٤)في أ: انتعشتني، وفي ب: ابتعثتني، وفي ج اتبعثني، وفي الأعيان: بعثتني، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٥)يُشير إلى الهنديجان*، وهي ناحية في عربستان* في ايران*، وقد مر شرحها في الهامش «٥» ص: ١٩٨، وفي ج: هندجاتكم، بتاء مثناة مكان النون الموحدة، والتباريح هنا: تَوَهُّج الشوق وعنفه، والجوانح، جمع جانِحَة: الأضلاع التي تحت الترائب مما يلي الصدر، وفي ب: الجوارنح، وفي ج والهاشمي: الجوارح.

(٦)في الهاشمي: يأتيكم برسائلي، مكان تأتيكم برسائلي، وفي ب وج: يأتيكم برسالتي، وفي أ: النـاى، مكان النأي، وفي ب وج: الناى، والصَّبا: ريحٌ مَهَبُّها الشرقِ من مَطلَعِ الثُرَيَّا إلى بنات نعش، وتُقابلها الدَّبُور، والقَطا، جمع قَطاة: طائر في حجم الحمام، وهو نوعان جُونيٌّ، وكُدرِيٌّ، يُضرب به المثل في الإهتداء، فيقال: أهدى من القطا، والكُدرِيُّ: مَنسُوبٌ إلى الكُدرَة، وهو اللون المائل إلى السَّواد والغُبرَة، وفي أ وب: والقطا الكدر، وقد نقل المعنى من قول مجنون ليلى، أو العباس بن الأحنف*:

أسِربَ القَطا، هل من مُعيرٌ جَناحَه   لَعَلِّي إلى مَن قـد هَوِيتُ أطيــرُ

راجع: ديوان مجنون ليلى ص: ١٠٦، وديوان العباس بن الأحنف ص: ١٦٨.

(٧)أناخَت: أقامت، واستَرحَلَتهُ: حَمَلَتهُ على الرَّحيل، والقاطِن: المُقيم، والصَّبـر: التَّجَلُّد، وعدم الشكوى، وفي الهاشمي مكانها: الصدر.

(٨)هَرَقتُ، أصلها أرقت: أبدلت الهمـزة هاءً، أي صَبَبتُ، والجُرَع، جمع جُرعَة: مـا يُجتَرَعُ من الماء ونحوه، وفي الأعيان مكانها: جرعة، وعَلَّقَ في حَاشية ب: «الصبر في قوله: قاطن الصبر: نقيض الجزع»، والصَّبِرُ، أصلها بفتح الصاد، وكسر الباء، ولا تسكَّن الأ في الشعر، جمع صبِرة: عُصارَة نبات من فصيلة الزَّنبَقيَّات له أوراق ==

شَكَوتَ أخًا عَقَّ الإخاءَ، وحَسَّنَت ... لَهُ زَهرَةُ الدُّنيا القَبِيحَ مِنَ الأمرِ[1]

لَعَمرُ أبي إن عَاقَ عَينَيكَ لم يَعُق ... جَنانَكَ عن إعمالِ رَأيٍ، ولا فِكرِ

ولا قَبَضَ الكَفَّ التي هي والغِنَى[2] ... جَوادا رِهانٍ يَجرِيانِ على قَدرِ

خَلِيلَيَّ إن المُتَمَا[3] بِمُبارَكٍ ... ثُمالِ اليَتامَى، في المُحُولِ، أبي بَدرِ

أخِي الجَفَناتِ الدُّهمِ تَنزُو جَواثِمًا ... جُثُومَ القَطا* من فَوقِها جَزَرُ الجُزرِ[4]

ورَبِّ القنا الرجَّافِ تَندَى[5] فُرُوعُهُ ... إذا غَصَّ بالرِّيقِ الجَبانُ من الذُّعرِ

وطاعِنِ أولى الخَيلِ، لا تَستَكِفُّهُ ... بِشَيءٍ سِوَى إبدالِها الكَرَّ بالفَرِّ[6]

فَقُولا له عن «شاعِرِ الخَطِّ*» قَولَةً ... يُداوَى بها سَمعُ الأصَمِّ مِنَ الوَقرِ

أحِينَ صَرَفتَ العُمرَ في طَلَبِ العُلَى ... وسَيَّرتَ ما سَيَّرتَ مِن صَالحِ الذِّكرِ[7]

وأصبَحتَ سُلطانَ الزَّمانِ، وأعمَلَت ... لكَ العِيسُ من نَزوَى عُمَانٍ* إلى الشِّحرِ[8]

عَمَدتَ إلى مُعطِي الأخُوَّةِ حَقَّها ... ومُستَعمِلِ الإخلاصِ في السِّرِّ، والجَهرِ

== لحمِيّة تُشبه ورق السَّوسَن إلاّ أنّها أطول وأعرض وأثخن، زهره أنبُوبِي ضارِبٌ إلى الحُمرَة أو إلى الصُّفرة، يَنبُت في البلدان الحارة، تُستَخرَجُ منه عُصارَةٌ مُرَّة مُسَهِّلَة، وفي حاشية ب: «وقوله جرع الصبر عصارة شجر مُرّ، وأصله الصبر ككَتِف، لكنه سكنه لضرورة الشعر، قال في القاموس: «والصبِر كَكَتِف، ولا يسكن إلاّ في الشعر، ضرورة».

(١) يعود ضمير «شكوتَ» على الممدوح، وفي ج: الاخآ، مكان الإخاء، والحاء من حسَّنت في ب مطموسة.

(٢) في أ: الغنا.

(٣) في ج: المِمتا.

(٤) في أ والأعيان وب وج: اخا، وفي الهاشمي: اخو، والمثبت بتصرف، والجَفَنات، جمع جَفنَة: إناء كبير للطعام، وتَنزُو: تَغلِي، وفي الهاشمي وب: تنزوا، وفي ج: تثروا، ويريد بالجزر: الأباعر المجزَّرة أي المقطَّعة، وجاء في حاشية الأعيان: «الذي في الأصل: جزر الخبر، ولعل الصواب ما أثبتناه، والجزر بفتحتين القطع من الجزر وهو القطع، والجزر بضمتين جمع جزور: البعير» اهـ.

(٥) في ج: شد.

(٦) تَستَكِفُّه: تسأله الكَفَّ عنها، يريد أنّها لا تَنجُو منه إلاّ بالهرب.

(٧) في الهاشمي وأ وب وج: العلا، مكان العُلى، وفي ج: الدكر، بدال مهملة، مكان الذِّكر بالمعجمة.

(٨) في أ: سلطان الزمان الشمال، مكان سلطان الزمان، وفي باقي الأصول: الشمال، ولعل الصواب ما أثبتناه، وأُعمِلَت، بالبناء للمَجهُول: حُثَّت وسِيقَت، والعِيس جمع عَيساء وأعيَس: الإبلُ البيض يُخالط بَياضَها شُقرة، ونَزوَى من أهمِّ مُدُن عُمانٍ*، تقع في وسطِها، والشِّحر: بلاد ساحلية في حضرموت «اليمن الجنوبي».

ومَن لو شَراهُ المستَسيِمُ، مُغاليًا، ... بما نَسلَت حَوَّاءُ ما كان ذا خُسرِ[1]
فأوجَرتَه كأسًا يَضيقُ بمُرِّها ... يَداً، ولو استَسقَى لها نُطَفَ الغُدرِ[2]
وأسملتَ عَينَيه، فأجثمتَ ضَيغَمًا ... إذا تُركَ اختارَ الوُثوبَ على الخِدرِ[3]
وأثكلتَ أيَّامَ الوغى*، وبَني الوغى* ... - إذا التَفَّتِ الخَيلانُ - بالبَطَلِ الذِّمرِ[4]
أخِي الضَّربِ ما أغنى الحُسامُ فإن نَبَت ... مَضارِبُهُ فالطَّعنُ بالأسَلِ السُّمرِ[5]
(فهَل تُبلِغَنِّيهِ، على نأيِ دارِهِ)، ... قَلائصُ يُعفِينَ الحُداةَ من الزَّجرِ[6]

---

(١) المستَسيِمُ: الذي يَستام السِّلعَةَ، أي يُغالِي في طَلَب شرائها، ونَسَلَت: ولدَت، كأنسَلَت.

(٢) أوجَرتَه: سَقَيتَه الوَجُورَ، وهوالدَّواء يُوجَرُ، أي يُصَبُّ في الفَم، والنُّطف جمع نُطفة: الماء الصافي قلَّ أو كثر، والغُدر، جمع غَدير: النَّهر، أو بعضٌ من الماء تَخلَّف عن السَّيل، وفي أ: الغَدر، بفتح الغين.

(٣) أسمَلتَ عَينَيه: فَقَأتَهُما، بحَديدَة أو بغيرها، وفي الأعيان مكانها: أسلمت، والضَّيغَمُ: الأسد، ويريد بقوله: «تُرك»: تُرِكَ له الخيار، وفي الأصول الخطِّيَّة مكانها: نزل، والخِدر: أجمة الأسد، وفي الهاشمي: الى الخدر، مكان على الخدر.

(٤) في أ وب وج: الوغا، مكان الوغى، والخَيلان، بكَسر ثم سكُون، جمع خال: اللواء يُعقَدُ في الحرب، والذِّمر: بكسر ثم سكون: الشجاع.

(٥) في الأصول: اخا الضرب، والمثبت بتصرف، والأسَلُ: الرِّماح على التَّشبيه بالأسَل في اعتدالِها، وطولها، ودقَّة أطرافها، والسُّمر، جمع أسمَر: الرِّماح، أقام صِفَتَها مَقامَها.

(٦) ما بين القَوسَين تَضمين لصدر بيت للكُمَيت بن زيد الأسدي، ونَصُّه:

فهل تُبلِغَنِّيهم على نأي دارهم، ... نَعَم ببلاغ الله، وجناءُ ذِعلِبُ (*)

وفي الأصول: باب، مكان نأي، وقلائص، جمع قَلوص: الناقة الشَّابَّة، أو الباقِيَةُ على السَّير، أو أوَّل ما يُركَبُ من إناث الإبل، والنَّاقَة الطَّويلَة القَوائم، وقد تداول الشعراء تَشبيهَ السفينة بالناقة، فمن ذلك قول الفرزدق:

وراحلة قد عَوَّدُوني رُكُوبَها ... وما كُنتُ رَكَّابًا لها حين تُرحَلُ
قَوائمُها أيدي الرجال إذا انتَحَت ... وتَحمِل مَن فيها قُعوداً، وتُحمَلُ
إذا ما تلقَّتها الأواذيُّ شَقَّها ... لها جُؤجُؤٌ لا يَستَريحُ، وكَلكَلُ
إذا رَفَعُوا فيها الشِّراعَ كأنَّها ... قَلوصُ نَعامٍ أو ظَليمٌ شَمَردَلُ

وللبحتري*: ورَمَت بنا سَمتَ العِراق* أيانِقٌ ... سُحمُ الخُدُود لُغامُهُنَّ الطُّحلُب
مِن كُلِّ طائرةٍ بخمسٍ خَوافِقٍ ... دُعجٍ كما ذُعِرَ الظَّليمُ المهذِبُ
يَحمِلنَ كُلَّ مُعَرَّقٍ في هِمَّةٍ ... فَضلٍ يَضيقُ بها الفَضاءُ السَّبسَبُ

ولأبي الشيص:

وبَحرٍ يَحارُ الطَّرفُ فيه قَطَعتُهُ ... بمَهنُوءَةٍ من غيرِ عَرٍّ، ولا جَرَب
مُلاحَكَة الأضلاع مَحبُوكَة القَرَى ... مُداخَلَة الرَّايات بالقار، والخَشَب
مُوَثَّقَة الألواح لم يُدمِ مَتنَها ... ولا صَفحَتَيها عَقدُ رَحلٍ ولا قَتَب
عَريضَة زَورِ الصدر، دَهمَاءَ، رَسلَة ... سِنَاد، خَليع الرأس، مَزمُومَة الذَّنَب
جَمُوح الصَّلا، مَوَّارَة الصدر، جَسرَةٍ ... تَكادُ، من الإغراق في السَّير، تلتَهِب
مُجَفَّرَة الجَنبَين، جَوفاء، جَونَةٍ ... نَبيلَة مَجرَى العَرض في ظَهرها حَدَب ==

تُسـابِقُ أخـراها الأولَى فَكَأَنَّمـا ... تَرى اليَمَّ، فيمـا بينها، حَلبَةَ المُجري[1]
إذا هُنَّ سـابَقنَ النُّجـومَ لِغـايَةٍ ... سَبَقنَ، وخَلَّفنَ النُّجومَ على الإثرِ
حَوامِلُ لا تَشكُو الخِداجَ ورُبَّما ... رَمَت بِبَنِيها مَرَّتَينِ مِنَ الشَّهرِ[2]
أمـا وتَرامِيهـا إليكَ مُشيحَـةً ... تَصَوُّبَ فَتخاءِ الجَناحِ إلى وَكـرِ[3]

== مُعَلَّمـة لا تَشتَكي الأينَ، والوَجَى ... ولا تَشتَكي عَضَّ النُّسوعِ، ولا الدَّآب
ولم يُدمِ، من جَذبِ الخشاشَةِ، أنفَها ... ولا خـانَهـا رَسمُ المَناسِبِ، والنَّقب
مُـرَقَّـقَـةَ الأخـفـاف، صُمٌّ عظامُـهـا ... شَديدة طَيِّ الصُّلب، مَعصُوبَة العَصَب
يَشُقُّ عُـبـابَ الماءِ حَـدُّ جِـرانِهـا ... إذا مـا تَفَرّى عن مَناكِبِـهـا الحَبَب
إذا اعـتَلَجَت والرِّيحَ في بَطنِ لُجَّـةٍ ... رَأَيتَ عَجاجَ الموت، من حَولِها، يَثِب
تَرامى بهـا الخلجانُ من كُلِّ جَـانِبٍ ... إلى مَتنِ مُـقـتَـرٍّ المَسـافَـةِ مُنجَذِب
ومَشقُوبَةِ الأخـفـاف، تَدمى أنوفُـهـا ... مُـعَـرَّقَـةَ الأصـلاب، مَطويَّةَ القُـرَب
صَـوادع للشِّـعبِ الشَّـديدِ التِـيامُه ... شَـواعِبَ للصَّدعِ الذي ليس يَنشَـعِب

ولأبي نواس*:
سَـخَّـرَ اللَّهُ للأمينِ* مَطايا ... لم تُسَـخَّـر لِصاحِبِ المِحـراب
فـإذا مـا رِكـابُهُ سِـرنَ بَرًّا ... سـارَ، في الماءِ، راكبًا لَيثَ غـاب
أسَـداً باسِطًا ذِراعَـيـه، يَعـدُو ... أهرَتَ الشِّـدقِ، كـالحَ الأنيـابِ
لا يُعـانيـه باللِّجام، ولا السَّـو ... طِ، ولا غَـمـزِ رِجلِه في الرِّكـابِ
ذات زَورٍ، ومِنسَـرٍ، وجَناحَـيـ ... ـنِ، تَشُقُّ العُبابَ بعـد العُبـاب

وهذا التشبيه منقول من تشبيه طرفة بن العبد البكري* حدوج حبيبته بالسفينة في قوله في معلّقته:
كـأنَّ حُـدُوجَ المالكيَّـةِ*، غُـدوَةً، ... خَـلايا سَفِينٍ بالنَّواصِفِ من دَدٍ*
عَـدَولِيَّـة، أو من سَـفِينِ ابن يامِنٍ* ... يَجُورُ بهـا المَلاَّحُ طَوراً، ويَهـتَـدي
يَشُقُّ عُـبابَ الماءِ حَـيزُومُـها بهـا ... كمـا قَسَمَ التُّربَ المفـايِلُ باليَـدِ

راجع: هاشمـيـات الكمـيت ص: ٨٨، وديوان الفـرزدق جـ ٢/٧٩، وديوان البـحـتري جـ ٢/٣١٨، وديوان أبي الشيص ص: ٣٨-٣٩، وديوان أبي نواس ص: ٤١٤، وديوان طرفة بن العبد ص: ٢٠.

(*) الوجناء: الناقة الشديدة، شبهت بالوجين من الأرض، وهو شط الوادي، أو العارض من الأرض ينقاد ويرتفع قليلاً، وقيل: هي العظيمة الوجنتين، والذِّعلب: الناقة السريعة، قال المتنبي*:
لم يتركوا لي صاحبًا إلاَّ الأسى ... وذَمِـيلَ دِعلِبـةٍ كـفـحل نَعـامِ
ديوانه ص: ٤٢٦.

---

(١) أراد: الأولى، فحذف الحركة تخفيفًا لإقامة الوزن، والتخفيف في مثل هذا جائز، فمن ذلك قول الأسود بن يعفر:
هُما خَيَّباني كلَّ يومِ رَغِيبَةٍ ... وأهلكتُـهم لو أنَّ ذلك نافع
فألحقت أخراهم طريق ألاهُمُ ... كما قيل نجمٌ قد خوى متتابع
راجع خزانة الأدب جـ ١١/ ٣٠٥، وفي الهاشمي: اخراهن الاؤلى، وفي أ: اخراهن الاولي، وفي ب وج: اخراهن الاولى، وفي أ وب وج: وكأنما، مكان فكأنما، و متتائع: ذاهب، أي فان.

(٢) في الهاشمي وب وج: تشكوا، بزيادة ألف، مكان تشكو، والخِدَاج: الوِلادَة قبل التَّمام، وفي أ مكانها: الحداج بحاء مهملة، مكان الخاء المعجمة، وفي أ: نينيها، مكان ببنيها.

(٣) تَرامِيها: تَتابُعُها، ومُشيحَة: مُقبِلَةٌ مُجِدَّة، والتَّصَوُّبُ: الإنحدار، يريد انقضاضها من عَلٍ، وفَتخاءُ الجَناح: ==

كَأنَّ تَمَطِّيهـا إذا الرِّيحُ أعصَفَت ... بِها وتَعالَى، تَحتَها، ثَبَجُ[1] البَحرِ
إذا ابتَعثَتها[2] الرِّيحُ زَفَّتْ كَأنَّما ... يَنُوءُ طَوِيلاها بِقادِمَتَي نَسرِ[3]
ظَلِيمٌ رَعَى، حِينًا، فَأوجَسَ خِيفَةً، ... فَأقحَمَ يَعلو نَشرَ أرضٍ، إلى نَشرِ[4]
وما حَمَلَت مِن مِدحَةٍ عَرَبِيَّةٍ ... تُرِيكَ[5]، إذا ما أنشِدَت، عَمَلَ السِّحرِ
لأنتَ، على قُربِ المَكانِ وبُعدِهِ، ... إلى القلبِ أدنَى من سِخابٍ إلى نَحرِ[6]

* * *

== لِيَنته، لأنّها إذا انحَطّت كَسَرَت جَناحَيها، وغَمَزَتهما مِن اللّين، يُشبِّه السَّفِينَةَ بالعُقاب.

(١) ثبج البحر: علو وسطه إذا تلاقت أمواجه، وفي ج: ثنج، بنون موحدة فوقية مكان الباء الموحدة التحتية.

(٢) ابتعثتها: بعثتها، أي أهبّتها، وأثارتها، وفي الهاشمي: انبعتها.

(٣) زفّت: أسرعت، أو ترامت بنفسها باسطةً جناحيها، وطويلاها: صارِيَتاها.

(٤) الظَّلِيمُ: ذَكَرُ النَّعام، وأقحَمَ: طوى، من اقتحم منزلاً بعد منزل يطويه فلا يمكث فيه، والنشر: ما تنبت الأرض، أو هو الكلأ خاصّة.

(٥) في الهاشمي: تريد.

(٦) السِّخابُ: شرحها في الهاشمي: «قلادة من قرنفل، ونحوه ليس فيها لؤلؤ، ولا جوهر»، ولعل السِّخاب هي القلادة مطلقًا، وفي الأعيان: من سحاب الى بحر.

مَغشيُّ الرواقين[1]

وفي هذه السَّفرة دخل إصفهان*، واتصَل بحَضرَةِ شيخ مشائخ الإسلام، وسَفير الأئمة عليهم السلام: بهاء الملّة والدين، محمد بن الحسين بن عبد الصمد* العاملي الحارثي {نسبة}[2] للحارث الهمداني[3]، وعَرض عليه أدبه، فاقترح عليه إجازَة قَصيدتهِ المسمّاة بروح الجنان في مدح صاحب

(١)تخريجها في أعيان الشيعة مج ٤/١٦٠ - ١٦١، ومِنن الرحمن ج ١/٤١ -٤٥، والهاشمي ص: ٦٣ - ٦٥، وكشكول البحراني ج ٢/٢٦٦ - ٢٧٢، وأ ص: ١٤٠ - ١٤٤، وب ص: ٣٥ - ٤١، وج ص: ٢٨ - ٣٢، ومنها في سلافة العصر ص: ٥٣٢ - ٥٣٤ «٤٣ بيتًا»، وفي نفحة الريحانة ج ٣/٢٠٦- ٢٠٨ «٣٥ بيتًا»، وخلاصة الأثر ج ١/٤٨٣ - ٤٨٥ «٣٤ بيتًا»، وشعراء القطيف ج ١/١٦ - ١٨ «٥٢ بيتًا»، وأعيان الشيعة مج ٩/٢٣٤ «٨ أبيات»، وأنوار البدرين ص: ٢٩٠ «٥ أبيات».

(٢)ليست في الأصول، وأثبتها لتمام المعنى.

(٣)فقيه، وشاعر، ورياضي، ومهندس شهير، له عدد من المخترعات منها منارتان متحركتان في إصفهان*، أكثر مترجميه يقولون إنه ولد في بعلبك بلبنان* سنة ٩٥٣هـ، وبها نشأ، وفي سنة ٩٦٦هـ بلغ الإضطهاد العثماني للشيعة* ذروته، فكان والده ممن فَرَّ من لبنان* إلى ايران* مع أسرته بمن فيهم البهائي*، فاستَقَرَّ في قزوين، وفيها قلّده الشاه طهماسب* منصبَ شيخ الإسلام، فكان البهائي* يتلقّى الدروس على والده، وعلى الشيخ عبد الله بن حسين اليزدي، وغيرهما، ثم انتقل والده إلى هراة، فلحق به، وتُبَسِّط مصادر ترجمته سبب خروجه في أن والده ترك ايران قاصداً أداء فريضة الحج، ثم قصد البحرين* لرؤيا رآها في المنام، وبها توفي في الثامن من ربيع الأول سنة ٩٨٤هـ، أما هو فعزت تلك المصادر خروجه من ايران* إلى رغبته في السياحة، فزار الحجاز*، ومصر*، وأقام بها حتى سنة ٩٩٦هـ، وهي السنة التي اعتلى فيها الشاه عباس الصفوي* الأول الملقب بالكبير عرش ايران*، فغادر مصر* إلى بيت المقدس*، وأقام برهة توجَّه بعدها إلى ايران* ماراً بدمشق*، فنال حظوة لدى الشاه عباس*، فأصبح صاحب الكلمة لديه إلى أن توفي سنة ١٠٣٠هـ، أما أحداث التاريخ فتُرشِّحُ سببًا آخر لخروجهما لعله اضطراب الأوضاع في ايران* على أثر وفاة الشاه طهماسب* في ١٥ صفر سنة ٩٨٤ هـ، إذ خلَفه على العرش ابنه حيدر*، ولكنَّه اغتيل في اليوم الذي اعتلى فيه العرش بتدبير من أختِه بري خانم*، وكان أخوها، اسماعيل الثاني*، معتقلاً في قلعة ألَمُوت* مدّة حكم أبيه، فأخرجته من سجنه، وأجلسته على العرش، ويبدو أن السجن قد ملأ صدره نقمة على أبيه، وذويه، وحاشيتهما، فأعمل في أهله السيف، فقتل من إخوته ثمانية، مع ثلاثمائة من الشبان من أقربائه، وذويه، منهم ابن عمه إبراهيم بن بهرام*، واتخذ له فلسفة تقول: إذا جدد رأس الخيمة فلا بد من تجديد الأطناب، فلم يسلم من القتل حتى أخته التي أوصلته لسدة الحكم، فضلاً عن قتل الآلاف من جيش أبيه، ومن عامّة الناس لشكه في علاقتهم بسجنه، ولم يسلم العلماء من الملاحقة، فسجن السيد حسين بن حسن العاملي الكركي* في حمام شديد الحرارة، هذه، على الأرجح، أسباب خروج البهائي* ووالده، من ايران*، له مؤلفات كثيرة منها المخلاة، والكشكول. راجع: لؤلؤة البحرين ص: ١٦، ومنن الرحمن، جزءان، وأعيان الشيعة مج ٩/٢٣٤، والغدير ج ١١/٢١٨، وسلافة العصر ص: ٢٨٩، وأمل الآمل ١/١٥٧، ونفحة الريحانة ج ٢/٢٩١، وخلاصة الأثر ج ٣/٤٤٠، وريحانة الألباء ج ١/٢٠٧، وكشف الظنون ج ١/ ٧٣٠، وتاريخ بعلبك ج ٢/٤٥٠، وسانحات دمى القصر ج ٢/٣٨، ومقدمتي كتابه الكشكول شرح بحر العلوم، وشرح الطاهر الزاوي، ومقدمة كتابه المخلاة، والغدير ج ١١/٢٨٢، وتراث العرب العلمي ص: ٤٧٤، وروضات الجنات ج ٧/٧٩، والكنى والألقاب ج ١/١٠١، ولمزيد من المراجع: معجم المؤلفين ج ٩/٢٤٣.

الزمان* عليه السلام[1]، ومطلعها[2]:

شرَى[3] البَرقُ من نَجدٍ* فَهَيَّجَ تَذكاري عُهوداً[4] بِحُزوَى، والعُذَيبِ، وذِي قارِ[5]

فقال أبو البحر رحمه الله:

هِيَ الدَّارُ تَستَسقِيكَ مَدمَعكَ الجَارِي فَسقيًا فأجدى الدَّمعِ ما كانَ للدارِ[6]

فلا تَستَضِع دَمعًا تُرِيقُ مَصُونَهُ، لِعِزَّتِهِ، ما بَين نُؤيٍ، وأحجَارِ[7]

فأنتَ امرُؤ قد كُنتَ بالأمسِ جارَها وللجارِ حَقٌّ، قد عَلِمتَ، على الجارِ[8]

---

(١) تسمى أيضا: «وسيلة الفوز والأمان»، وقد شرحها الشيخ أحمد المنيني، وطبعت في آخر الجزء الثاني من كشكول البهائي* تحقيق الطاهر الزاوي، ووضع الشيخ جعفر النقدي* في شرحها كتابًا من جزئين أسماه: «منن الرحمن في شرح المنظومة المسماة وسيلة الفوز والأمان». وراجع أيضا: زهر الربيع ص: ٢١١، وكشكول البهائي تحقيق السيد محمد بحر العلوم جـ ٢٩١/١، وتحقيق الطاهر الزاوي جـ ١٧٦/١ - ١٧٩، وأعيان الشيعة مج ٢٤٥/٩.

(٢) ذكر الشيخ جعفر النقدي* أنه: «نُقِل أنَّ الشاعرَ لما دخل إصفهان*؛ اجتمع بالشيخ البهائي*، وعرض عليه أدبَه، فاقترح عليه البهائي* معارضة قصيدته، وقال له: «قد أمهلتك شهراً ...»، وكان أبو البحر بَدَهِيَّ النظم، فقال: «بَل يومًا واحداً، بل في مجلسي هذا»، ثُمَّ اعتزل ناحيةً، وأنشأ القصيدة». أقول: لعله نقل هذه الحكاية عن أنوار البدرين، إذ إن الكتاب كان متداولاً قبل طبعه بزمن، أمَّا نسخ الديوان الخطية جميعها فلم تُشِر لهذا الإستمهالِ من قريب ولا من بَعيد، وأمَّا استهلال القصيدة فيحمل تلميحًا واضح الدلالة على أن الشاعر يستنهض البهائي* لنجدة البحرين*، ويُذكِّره بحُقُوق مُجاورته بها. راجع: مناقشتنا لهذه المسألة، وشواهدها الأدبية في جـ ٤٨/١ - ٥٠، و ٧٨ - ٨٠، وأيضًا: منن الرحمن جـ ٤١/١، وأنوار البدرين ص: ٢٩٠.

(٣) شَرَى البَرقُ: لَمَعَ وتتابع في لَمَعانِه، والصواب: شَرِيَ، بالياء، فأبدلها ألفًا مقصورة، وفي أغلب الأصول: سرى، بسين مُهملة وألف مقصورة، والمثبت من الهاشمي وب.

(٤) عُهُوداً، هنا، مَنصُوبٌ للمصدر: تذكار، أو لنزع الخافض، وفي الهاشمي: عهود.

(٥) حُزوى: عِدَّةُ مَواضِع، منها موضع بنجد*، وآخر باليمامة*، وجبال، أو رمال، في الدهناء، والعُذَيبُ، مُصَغَّراً، موضع بين القادسِيَّة والمُغيثَة، وقِيل واد لبني تميم*، وهو من منازل الطريق القديمة لحاج الكوفة*، أو حد سواد العراق*، على حافة البادية*، وذو قار: موضع قريب من الكوفة*، اشتهر بموقعة انتصر فيها العرب* على الفُرس*. راجع: معجم البلدان جـ ٢٥٥/٢، و جـ ٩٢/٤، و٩٣، وفي ج مكانها: قارى.

(٦) في أ: يستسقيك، مكان تَستَسقِيكَ، وفي نفحة الريحانة: مدمعها، مكان مَدمَعَكَ، وفي أنوار البدرين ونفحة الريحانة والسلافة: فخير، مكان فأجدَى، وفي خلاصة الأثر: وخبر.

(٧) في ج: فلا ستضع، مكان فلا تَستَضِع، وفي السلافة: ولا تستطع، وفي خلاصة الأثر ومنن الرحمن ونفحة الريحانة: ولا تستضع، وفي السلافة: عيونه، مكان مَصُونَهُ، وفي منن الرحمن: مصونة، بتاء مربوطة، وفي ب: لغرته، بإعجام العين وإهمال الراء، مكان لعزَّته، والنُّؤيُ: حُفَيِّرٌ صغير يُشَقُّ حول الخيمة يمنع دخولَ المطر إليها، وفي أ مكانها: نوى، بدون همزة، وفي خلاصة الأثر والسلافة ونفحة الريحانة: نوء، وفي الكشكول: نوبا، وفي شعراء القطيف: نو، وفي الهاشمي: نؤى، بالمقصورة، وفي منن الرحمن: نؤي.

(٨) في أ وب وج ومنن الرحمن والسلافة وشعراء القطيف والكشكول: امره، مكان امرُؤ، وفي الكشكول، و ==

عَشَوتَ إلى اللَّذاتِ فيها على سَنا شُمُوسِ وُجُوهٍ، ما يَغِبنَ، وأقمارِ[1]
فاصبَحتَ قد أنفَقتَ أطيَبَ ما مضى من العُمرِ فيها بَينَ عُونٍ، وأبكَارِ[2]
نَواصعَ، بيضٍ لو أفَضنَ على الدُجَى سَناهُنَّ لاستَغنَى، عن الأنجُمِ، السَّاري[3]
حَرَائرَ* يَنصُرنَ الأصُولَ بِأوجُهٍ تَغُصُّ بِأمواهِ النَّضَارةِ، أحرَارِ[4]

== خلاصة الأثر ومنن الرحمن وشعراء القطيف ونفحة الريحانة: بالأمس قد كنت، مكان قد كنت بالأمس.

(١) عَشَوتَ: قَصَدتَ ليلاً مُستَضيئًا، وفي نفحة الريحانة وشعراء القطيف وخلاصة الأثر: على، مكان إلى، والسنا: الضوء، كالسنى، وفي شعراء القطيف ومنن الرحمن والسلافة والكشكول وأ وب و ج: سنى، وفي نفحة الريحانة وشعراء القطيف والسلافة وخلاصة الأثر ومنن الرحمن والكتنكول: سناء شموس، مكان شُمُوسِ وُجُوهٍ.

(٢) في نفحة الريحانة: طيب، مكان أطيَبَ، وفي شعراء القطيف: اطلب، وفي متن ب: أكثر، وفي ج: اطـت، والعُون، جمع عَوان: النَّصَفُ في سنِّها، ومن النساء: من كان لها زَوج، وضدُها الأبكار، جمع بِكر: التي لم تُوطأ بنكاح.

(٣) في الكشكول: أفـضين، مكان أفضن، وفي ب وج: الدجا، مكان الدُجى، وفي منن الرحمن وشعراء القطيف: القمر، مكان الأنجم، وفي خلاصة الأثر مكانها: الكوكب، والسَّاري: السَّائرُ ليلاً، وسيكرر المعنى في قوله جـ ٢/١٠٧:

وذي الغُررِ {البيض} التي لو أفاضَها ... على اللَّيل لاستَغنَى عن الأنجُمِ الزُهرِ

والمعنى متداول، فمن ذلك قول مُزاحم العقيلي:

وُجُوهٌ لو انَّ المدلجِينَ اعتَشَوا بِها ... صَدَعنَ الدُجَى حتى نَرَى اللَّيلَ يَنجَلي

وقول أشجع السلمي*: مَلِكٌ بِنُور جَبِينِه ... يُسرَى وبَحرُ اللَّيلِ طَامي

وقوله: إذا غَابَ ضَوءُ الفَجرِ خُضنا بِوَجهِهِ ... دُجَى اللَّيلِ حَتَّى يَستَنِيرَ لنا الفَجرُ

وقول العباس بن الأحنف*:

ومَحجُوبَةٍ، في الخِدرِ، عن كُلِّ ناظرٍ ... ولو بَرزَت في اللَّيلِ ما ضَلَّ من يَسرِي

وقول أبي الطمحان القيني:

أضَاءَت لهم أحسابُهُم، وَوُجُوهُهُم ... دُجَى اللَّيلِ حتى نَظَّمَ الجَزعَ ثاقِبُه

وقوله، ويروى لابن أبي السمط:

فَتىً لا يُبالِي المدلِجُونَ بِنُورِهِ، ... إلى بَابِه، ألاَّ تُضيءَ الكَواكِبُ

وقول الحطيئة*: نَمشي على ضَوءِ أحسابٍ أضأنَ لنا ... كما أضاءت نُجُوم اللَّيلِ للسَّاري

وقول خارجة: ويُسفِرُ لِلسَّاري إذاً جَنَّ لَيلُهُ ... سَبِيلُ المطايا بالوُجُوهِ السَّوافِرِ

وقول آخر: إذا أشرَقَت، في جُنحِ لَيلٍ، وجُوهُهُم ... كَفَى خَابِطَ الظَّلماءِ ضَوءَ المَصابِحِ

وقول أبي تمام*: وُجُوهٌ لو انَّ الأرضَ فيها كَواكِبٌ ... تَوَقَّدُ لِلسَّاري لَكانَت كَواكِبا

الوساطة: الوساطة ص: ٣٥٥، والشعر والشعراء ص: ٥٦٧، وديوان العباس بن الأحنف ص: ١٦١، وديوان المعاني جـ ١/٢٢، و٦٣، وأشعار اللصوص ص: ٨٢، والأغاني جـ ١٣/٣ - ١٤، وخزانة الأدب جـ ٣/٤٢٦، وأمالي المرتضى جـ ١/١٨٥ - ٢٥٧، وديوان الحطيئة ص: ٩٠، ومعاهد التنصيص جـ ١/١٢٧، وديوان أبي تمام ص: ٢٢.

(٤) في نفحة الريحانة وخلاصة الأثر: خرائد، مكان حَرائر، وفي الهاشمي: ينظرن، مكان يَنصُرنَ، وفي خلاصة الأثر وشعراء القطيف ومنن الرحمن: يبصرن، وفي نفحة الريحانة: يقصرن، وفي الكشكول: يبصون، يريد بقوله يَنصُرنَ الأصُول: أنَّهنَّ يُعَزِّزنَ طِيبَ الأصلِ بِجَمالِ الوُجُوه.

مَعاطيرَ لم تُغمَس يَدٌ في لَطيمَةٍ لَهُنَّ ، ولا استَعبَقنَ جُونَةَ عَطَّارِ[1]
أَبحَنكَ مَمنوعَ الوِصَالِ نَوازِلاً على حُكمِ نَاهٍ، كَيفَ شَاءَ[2]، وأَمَّارِ
إذا بِتَّ تَستَسقي الثُغُورَ مُدامَةً أَتَتكَ فَحَيَّتكَ[3] الخُدُودُ بأزهارِ
أَمَوسِمَ لَذَّاتي ، وسُوقَ مَآربِي ومَجنَى لُباناتِي، ومَنهَبَ[4] أوطارِي
سَقَتكَ برَغمِ {المَحلِ} أخلافُ مُزنَةٍ تَلُفُّ ، إذا جَاشَت ، سُهُولاً بأوعَارِ[5]
وفَجٍّ، كما شَاءَ المَجالُ، حَشَوتُهُ بِعزمَةِ عَوَّادٍ ، على الهَولِ ، كَرَّارِ
تَمَرَّسَ بالأسفَارِ حَتَّى تَركنَهُ، لِدِقَّتِهِ ، كالقِدحِ أرهَفَهُ البَارِي[6]
إلى مَاجِدٍ يُعزى، إذا انتَسَبَ الوَرَى، إلى مَعشَرٍ بِيضٍ أماجِدَ أخيارِ

---

(١) مَعاطير، جمع معطار: العَطِرَة، ذات الرائحة الطيبة، وفي شعراء القطيف ومتن الرحمن والسلافة: يدا، مكان يَدٌ، واللَّطيمَةُ: المِسكُ، ونافِجَتُه، أي وِعاؤه، واستَعبَقنَ: سَألنَ - طَلَبنَ - العَبَقَ، وهو رائحَةُ الطِّيب، وفي السلافة ونفحة الريحانة مكانها: استعقبن، والجُونَةُ: سُلَيلَة مُغَشَّاةٌ بالأَدَمِ عند العَطَّارين، وسوف يكرر المعنى في قوله ج ١/ ٢٥٦:

فِطرَةٌ لا بِخَلطِ طِيبٍ، وإن لم تَخلُ منهُ، وخِلقَةٌ لا خَلُوقَا

وأَوّل من طرق هذا المعنى امرؤ القيس* بقوله:

أَلم تَرَياني كلَّما جِئتُ طارِقًا وَجَدتُ بها طِيبًا، وإن لم تَطَيَّبِ ؟

وعنه أخذ أبو الطيب المتنبي* قوله:

أَتَت زائرًا ما خامَرَ الطِّيبُ ثَوبَها وكالمِسكِ من أردانِها يَتَضَوَّعُ

وقريبٌ منه قوله: أَفدي ظِباءَ فَلاةٍ ما عَرَفنَ بها مَضغَ الكَلامِ، ولا صَبغَ الحَواجِيبِ

وقوله: أَتَراها لِكَثرَةِ العُشَّاقِ تَحسِبِ الدَّمعَ خِلقَةً في المآقي ؟

راجع: ديوان امرئ القيس ص: ٤١، وديوان المتنبي ص: ٣٠، و٢٣٦، و٤٤٩.

(٢) في السلافة: شا، بدون همزة.

(٣) في ب وج: فلبتك.

(٤) في السلافة: ومهبط.

(٥) ما بين المعقوفين ساقطة من متن ج، ومثبتة في حاشيتها، ورجح شارحها في نفحة الريحانة أنَّها: «المزن»، ولم يظهر لي وجه الترجيح، فالرجل يدعو لبلده بالسُّقيا رغم المحل المُطبق عليها، ولا وجه للدعاء بالسقيا رغم المزن، والأخلافُ، جمع خِلف: حَلَمَةُ ضَرعِ الناقة، القادمان والآخران، وقيل الضرع نفسه، وفي السلافة والكشكول مكانها: أخلاق، بقاف مثناة مكان الفاء الموحدة.

(٦) في ب: تركته، بتاء مُثَنَّاة مكان تركنه، بالنون الموحدة، وفي متن ج: كأنه، وفي شعراء القطيف: بدقته، مكان لدقته، والقِدح، بكسر ثمَّ سكون: السَّهم قبل أن يُراشَ ويُنصَل، أي قبل أن تُركَّب فيه الحديدة، والباري: ناحِتُ السهام، والمعنى مأخوذ من قول ابن دريد*:

بارٍ برى طولُ السُّرى جثمانَه فهو كَقِدحِ الزَّندِ مَحنيُّ القَرا

راجع الهامش «٧» ج ١/ ١٥٩، و«٧» ٢٢٢.

ومُضطَّلِعٍ بالفَضلِ زُرَّ قَميصُهُ   على كَنزِ آثارٍ، وعَيبَةِ أسرَارِ[1]
سَميِّ النَّبيِّ* المُصطَفَى، وأمينِهِ   على الدِّينِ في إيرادِ حُكمٍ، وإصدار
بِهِ قامَ، بعد المَيلِ، وانتَصَبَت بهِ   دَعائمُ قد كانت على جُرُفٍ هارِ[2]
فلمَّا أناخَت بي، على باب دَارِه،   مَطايايَ لم أذمِم مَغَبَّةَ أسفَارِي[3]
{نَزَلتُ بِمَغشيِّ الرِّواقَينِ دارُهُ   مَثابَةُ طُرَّاقٍ، وكَعبَةُ زُوَّارِ}[4]
فكانَ نُزُولي، إذ نَزَلتُ، بِمُغدِفٍ،   على المجدِ، فَضلَ البُردِ، عَارٍ مِنَ العَارِ[5]
(أسَاغَ، على رَغم الحَوادِثِ، مَشرَبي)   وأعذَبَ وِردَ العَيشِ، لي، بعد إمرارِ[6]
وأنقَذَني من قَبضَةِ الدَّهرِ بعد ما   ألَحَّ، بأنيابٍ، عَليَّ، وأظفَارِ
جُهِلتُ، على مَعرُوفِ فَضلِي، فلم يَكُن   سِواهُ، من الأقوامِ، يَعرِفُ مِقدارِي[7]
على أنَّهُ لم يَبقَ، في ما أظُنُّهُ،   من الأرضِ، شِبرٌ[8] لم تُطَبِّقهُ أخباري

---

(١) في أ: ومضطع، مكان ومضطلع، وفي الهاشمي وأ وب وج: زرت، مكان زرَّ، والعَيبَةُ: زَنبِيلٌ من أدُم، وما يوضع فيه الثياب، ومن الرجل، على الكناية: موضع سِرِّه، والمعنى الأخير هو مراد الشاعر.

(٢) الدَّعائم، جمع دِعَامَة، ودِعام: عِمادُ البيت، وفي خلاصة الأثر مكانها: دعائم، والجُرُفُ: الجانِب الذي أكَلَهُ الماء من النهر، وهارٍ: ضَعِيف.

(٣) المَغَبَّةُ: العاقِبَةُ، وفي أ مكانها: مغبه، بهاء مُهملة مكان التاء المربوطة، وفي الهاشمي والسلافة وج: أسفار، مكان أسفاري.

(٤) المَغشِيُّ: المأتِيُّ الذي يَقصِدُهُ الناس، والرِّواقانِ، مُثَنَّى رِواق: بيت كالفِسطاط، وسَقفٌ في مُقَدَّم البيت، ولعله أراد بهما المدرسة والبيت رمزاً للعلم والكرم، والمثابة: مُجتَمَعُ الناس بعد تَفَرُّقِهم، والطُّرَّاق، جمع طارِق: الزائر، أو الضَّيف، الآتي ليلاً، وفي نفحة الريحانة وخلاصة الأثر وشعراء القطيف والكشكول ومتن ب مكانها: طواف، والبيت ساقط من الهاشمي والسلافة.

(٥) «يقال: أغدف الستر أي أرخاه»، من حاشية ب، وفي نفحة الريحانة وشعراء القطيف والسلافة والكشكول وخلاصة الأثر وب وج مكانها: بمغدق، بِقافٍ مُثَنَّاة، والبُردُ: ثَوبٌ مُخَطَّط، أو هي البردة، وفي نفحة الريحانة وخلاصة الأثر مكانها: البر.

(٦) أساغه، هنا، بِمَعنَى صَيَّره سَائغًا، أي هَنِيئًا، وفي ج: اساع، بعين مهملة مكان الغين المعجمة، والحوادِثُ، جمع حَادِثَة: النَّوائب، وفي نفحة الريحانة وخلاصة الأثر، مكانها: الحواسد، وقد مرَّ صدر البيت جـ ١/١٧٩.

(٧) قال الغنوي*: «ولما أنشَدَ الشيخ هذا البيت - وكان عِندَه جَمَاعَةٌ من أعيان البحرين*، وساداتِهِم - قال الشيخ: «وهَؤلاء يَعرِفُونَ مِقدارَك إن شاءَ الله تعالى»، وأشارَ {إليهم} بيده الشريفة، والله أعلم بالصواب»، وفي ج: مقدار.

(٨) في الأعيان وأ: قطر.

ولا غَروَ ؛ فالإكسير أكبَرُ شُهرَةً وما زال، من جَهلٍ به، تحت أستارِ[١]
مَتى بُلَّ بي كَفٌّ فَلَستُ بآسِفٍ على درهَمٍ، إن لَم أنَلهُ، ودينارِ[٢]
فيابنَ الأولى أثنَى الوَصيُّ عَلَيهِمُ بما ليس تَثني وجهَهُ يَدُ إنكارِ[٣]
بصِفِّينَ إذ لَم يَلفَ من أوليائِهِ وقد عَضَّ نابٌ للوغَى*، غيرَ فَرَّارِ[٤]
وأبصَرَ منهُم جِنَّ حَربٍ تَهافَتُوا على المَوتِ إسراعَ الفَراشِ إلى النَّارِ[٥]
سِراعًا إلى داعِي الحُرُوبِ يَرَونَها على شُربِها الأعمارَ مَوردَ أعمارِ[٦]
أطارُوا غُمُودَ البيضِ، واتَّكَلُوا على مَفارِقِ قَومٍ فارَقُوا الحَقَّ فُجَّارِ[٧]
وأرسَوا، وقد لاثُوا على الرُّكَبِ الحُبَى، بُرُوكًا كَهَديٍ أبرَكُوهُ لِجَزَّارِ[٨]
فَقالَ، وقَد طابَت هُنالِكَ نَفسُهُ رِضًا، وأقَرُّوا عَينَه، أيَّ إقرارِ[٩]

---

(١) في شعراء القطيف: فلا، مكان ولا، والإكسير: شيءٌ زَعِمُوا أنَّه إذا وُضِعَ على الفِضَّة ونحوها يُحيلُها إلى ذهب خالِص، يَونانيَّة، وفي السلافة: استاري، مكان أستار.

(٢) في الهاشمي والأعيان: بل بي كفا، بصيغة المعلوم، مكان بل بي كف بصيغة البناء للمجهول، وفي خلاصة الأثر ونفحة الريحانة: بل لي كف، وفي الهاشمي والكشكول والسلافة والأعيان وأ وب: فليس، مكان فلست.

(٣) في منن الرحمن وخلاصة الأثر ونفحة الريحانة وب وج والأعيان والكشكول: فيا ابن، مكان فيابن، والأولى، هكذا رسمها في المعاجم: الذين، وفي خلاصة الأثر ونفحة الريحانة مكانها: الألى، بدون واو.

(٤) صِفِّين*: مَوضعٌ على شاطِئ الفُرات* الأيمَن، بين الرقة* واسكي مسكنة على الحدود السورية، عنده وقعت الحرب التي عُرِفَت باسمه بين الإمام علي بن أبي طالب* (ع) ومعاوية بن أبي سفيان سنة ٣٧ هـ ٦٥٧م، وفي ج: إن، مكان إذ، وفي نفحة الريحانة، وخلاصة الأثر مكانها: للورى، وفي الكشكول: للوغا، وفَرَّار، مُشَدَّدَةُ الراء: فاعل الفرار، وفي ج مكانها: قرار، بِقاف مُثَنَّاة مكان الفاء الموحدة.

(٥) في السلافة: حرب جن، مكان جِنَّ حَرب، وفي شعراء القطيف: جند حرب، وفي الهاشمي وشعراء القطيف وخلاصة الأثر ومنن الرحمن: على النار، مكان إلى النار.

(٦) في خلاصة الأثر: دعوى المنون، مكان داعي الحروب، وفي أ وب وج: منهل، مكان مورد، وفي الكشكول: اعماري، مكان أعمار.

(٧) في ب وج: غموض، مكان غُمُود، وفي خلاصة الأثر ونفحة الريحانة: كفار، مكان فُجَّار.

(٨) الحُبَى: جمع حُبوَة: ثيابٌ يُحتَبَى بها، من الإحتباء، وهو أن يَضُمَّ الإنسان رجليه إلى بَطنِه بثَوبٍ يجمعهما به مع ظهره، ويشدُّه عليهما عوضًا عن الإستناد إلى جدار ونحوه، وفي السلافة: الجثى، وفي شعراء القطيف والأعيان والهاشمي: الحبا، وقد علَّق الغنوي يقول: «ورد في الآثار أنَّ همدان، وهم حيٌّ من اليمن*، كانوا ممن صبر يومَ صفِّين، فروي أنهم في بعض أيامها حين(*) استحرَّ القتل، ورأوا فرار الناس: عمدوا إلى غُمود سيوفهم فكسروها، وعقلوا أنفسهم بعمائهم، وبركوا للقتال، والحبى(*١) جمع حُبوة وهي سبتة(*٢) يشدُّ بها الظهر والرُّكَب».

(٩) في أ: فقالت، مكان فقال، وفي الهاشمي والأعيان وشعراء القطيف والكشكول وأ وب وج، رضى، مكان رضًا، وفي السلافة: رضي.

(فلو كنتُ بوَّابًا على باب جنَّةٍ) كمـا أفصَحَت عنهُ صحيحاتُ آثارِ[1]
لأثقَلتَ ظَهري بالصَّنيعِ فَلَم أكَد أنوءُ بأعـبـاءٍ ، ثَقُلنَ ، وأوقـارِ[2]
ورَوَّضتَ فكري بعد ما صاحَ نَبتُهُ بمُنبَـعِقٍ من مَـاء فَـضلِكَ مـدرارِ[3]
وكلَّفـتَنِي جَـريًا ، وراءَك ، بعـد ما بَلَغتُ مَكانًا دُونَهُ يَقِفُ الجـارِي[4]
فَجَشَّـمتَنِيهـا خُطَّةً لا يَنالُهـا تَوَثُّبُ مُسـتَوفِي الجَناحَينِ ، طَيَّـارِ[5]
وأينَ مُجاراةُ الكُمَيتِ، مُجلِّيًا ، تَناوَلَ شَـأوَ السَّبقِ في كُلِّ مِـضمـارِ
والزمتَني مَدحَ امرِئٍ لَو مَدحتُهُ بشِعرِ {بَني} حَوَّاءَ ، دَع عَنكَ أشعارِي[6]

(*) – في ب وج : حتى.

(* ١) – في ب : الحبي، بياء مثنَّاة.

(* ٢) – السِّبْتَةُ ؛ مُؤنَّثُ السِّبت : القطعة من الجلد المدبُوغ.

---

(١) عَلَّقَ الغَنَوِيُّ* عليه بقوله : «هذا تضمين لقول علي* عليه السلام فيهم». يريد همدان* :

فلو كنت بوابًا على باب جنَّةٍ لقلت لهمدان* : ادخلوا بسلامِ

وهمدان بميم ساكنة ودال مهملة : القبيلة، وبالمعجمة : البلد، وهي أول عراق العجم»، وأضيف : إنَّ بيت الإمام من قصيدة مطلعها : ولمَّا رَأيتُ الخيلَ تَرجُمُ بالقنا نَواصِيَها حُمرَ النُّحُورِ دَوامِي

راجع : الديوان المنسوب إليه ص : ٢٢، وثمة بيتان آخران ذكر ابن عبد ربه أنَّهما للإمام علي* (ع) قالهما في صفِّين، وذكر في منن الرحمن وخلاصة الأثر ونفحة الريحانة أنَّه تمثل بهما في حَرب الجمل وهما :

نَادَيتُ هَمدانَ*، والأبوابُ مُغلَقَةٌ، ومِثلُ هَمدانَ* سَنَّى فَتحَةَ البابِ
كـالهِندِوانِيِّ لم تُفلَل مَضـارِبُهُ وجهٌ جَمِيلٌ، وقَلبٌ غَيرُ وَجَّابِ

وسنَّى : فتح، والهندواني : السيف المصنوع من حديد الهند*، ووجَّاب : مضطرب، والبيتان ليسا في الديوان المنسوب للإمام علي (ع) وفي أ : الاثار، مكان آثار، وفي خلاصة الأثر : أخبار.

(٢) أنُوءُ، بالحِمل : أنهَضُ به مُثقَلاً مُجهَدًا، وفي شعراء القطيف : أبوء، وفي الكشكول : أبواء، وأوقار، جمع وقر : الحِملُ الثقيل، وأكثر ما يُستَعمَلُ في حِملِ الحِمارِ، والبَغلِ.

(٣) روَّضتَ فكري : صَيَّرتَهُ رَوضَةً، وفي ب مكانها : وروضة، وصاحَ، في الأصل : شَقَّ، وأراد بها صَوَّح، بمعنى : يَبِسَ، وتَشَقَّقَ، وفي الهاشمي مكانها : صاخ، بخاء معجمة مكان الحاء المهملة، وفي الكشكول : صح، وفي متن ج : طاح، واستدرك في الحاشية : «انطاح»، واستدراكه خطأ أيضًا، وسَحابٌ مُنبَعِقٌ : مُنبَعِجٌ بالمطر، وفي الهاشمي والكشكول وب مكانها : بمنعبق، وفي ج : بمنعيق.

(٤) في الهاشمي : عنده، مكان دُونَهُ، وفي شعراء القطيف : الجار، مكان الجاري.

(٥) جَشَّمتَنِيها : كلَّفتَنِيها، وفي ب مكانها : وفجشمتنيها. بزيادة واو، والخطة : الأمر العظيم، وفي الكشكول : مستوف، مكان مُستَوفِي.

(٦) في أ وب وج وشعراء القطيف والكشكول : امرء، مكان امرئ، وفي أ : بشعري، مكان بشعر، وما بين المعقوفين ساقط منها، وفيها حوآء، مكان حواء، وفي الكشكول : حوى، وفيه : ودع، مكان دَع، بدون الواو.

لَقَصَّرتُ عن مِقدارِ[1] ما يَستَحِقُّهُ عُـلاهُ، فـإقـلالي سَـواءٌ ، وإكـثـاري
إمامُ هُدَىً ، طُهرٌ، يَفيءُ ، اذا انْتَمَى ، إلى سَـادَةٍ غُـرِّ الشَّـمَـائلِ، أطهـارِ[2]
وبَرٌّ لِبَرٍّ ، ما نَسَبتَ[3] ، فَصاعِداً إلى آدمٍ لَم يَنمِـهِ غَـيـرُ أبرارِ
ومُنتَظَرٌ[4] مـا أخَّـرَ اللّهُ وقـتَـهُ لِشَيءٍ سِـوى إبرازِ حَقٍّ ، وإظهـارِ
له عَـزمَـةٌ تَثني القَـضـاءَ وهِمَّـةٌ تُؤلِّفُ بَينَ الشَّـاةِ والأسَدِ الضَّارِي[5]
وعَضبٌ أغبَّتهُ الغُمُودُ، ويُنتَضَى لإدراكِ ثاراتٍ، سَـبَـقنَ ، وأوتـارِ[6]
أبا القاسمِ، انهَض، واشفِ[7] غِلَّ عِصابَةٍ قَـضَى وَطَراً، من ظُلمِـهـا ، كُلُّ كَـفَّـارِ
إلامَ ؟ وحَـتَّـامَ المُنَى ؟ وانتِظارُنا سَحَـائِبَ* قـد أظلَلنَنا دُونَ أمطارِ؟[8]
ذَوَت نُضرَةُ الصَّبرِ الجَميلِ ، وآذَنَت بيُبسٍ ، لإمهـالٍ تَمَادَى ، وإنظارِ[9]
أبِحْ حَـرَمَ الجَورِ المَنيعَ جَنَابُهُ بِجَرِّ خَميسٍ، يَملأ الأرضَ، جَرَّارِ[10]
بِهِ كُلُّ مَـسجُورِ العَزيمَةِ مُظهِرٌ - على خَشيَةِ الجَبَّارِ - هَيبَةَ جَبَّارِ[11]
اذا انحَطَمَ الرُّمحُ انتَضَى السَّيفَ مُعمِلاً لأسـمَـرَ عَـسَّـالٍ ، وأبيَضَ بَتَّـارِ[12]

---

(١) في ج ومتن ب: إدراك.

(٢) في متن ب: بر، مكان طُهرٍ، كما في الحاشية، ويَفيءُ: يَرجعَ، يُرِيدُ نَسَبَه، ومكانها في ب وج: تقى، بالمقصورة، وفي الهاشمي والأعيان والكشكول: تقي.

(٣) في الهاشمي: لو نسبت.

(٤) في أ: ومنتظراً.

(٥) الضاري: الذي يعتاد الصيد، وفي الكشكول: الضار.

(٦) العَضب، بفتح الأول وسُكُون الثاني: السَّيف القاطع، وفي الكشكول مكانها: وغصب، وأغبَّته: من الغِبِّ، وهو أن تَزُورَ يَومًا وتَترُكَ يوماً، أو أسبُوعاً بعد آخر، ومُرادُهُ: غَبَّته، أي سَتَرَته، وأخفَته، و يُنتَضَى، على المجهول: يُسَلُّ من غِمدِهِ، وفي ب مكانها: وتنتضى، وفي أ والكشكول: وينتضي.

(٧) في متني ب وج: اقض.

(٨) في أ والكشكول و شعراء القطيف: الى م، مكان إلامَ، وفي الهاشمي: حتى م، مكان حتامَ.

(٩) في أ: دوت، بدال مهملة، مكان ذَوَت، بالذال المعجمة، وفي شعراء القطيف بيأس واهمال، مكان بيُبسٍ لإمهَالٍ، وفي الكشكول: بيأس لاهمال، وفي الأعيان وب وج: بيبس لاهمال، وفي أ: بيبس لأمهال.

(١٠) الخَمِيسُ: الجَيشُ في التَّشكِيلُ القَديم، وهو يَتَألَّفُ من خَمسَةِ أجزاء هي المقدمة، والقلب، والميمنة، والميسرة، والساقة، وفي الهاشمي: يملؤ، مكان يملأ.

(١١) مَسجُور: مَشبُوب، ومُوقَد، والتاء في خشية وهيبة في ب وج مهملتان بلا نقط.

(١٢) في أ وب وج والهاشمي والأعيان: حطم، مكان انحَطَم، والأسمَرُ: الرُّمح، وعَسَّال: يَهتَزُّ لِينًا.

أزرَتُكَ مَنزُورَ الثَّناءِ فَلَم يَكُن جَزائي على مِقدار شِعرِي، ومِقداري[١]
فَدُونَكَها عَذراءَ لَم تَجلُ مِثلَها على أحَدٍ، إلاَّكَ، أَستارُ أفكَاري[٢]
ولا زَالَ تَسلِيمُ المُهَيمِنِ واصِلاً إليكَ به سَيرَا عَشيٍّ، وأبكَارِ[٣]

* * *

قال الحسن بن[٤] محمد الغَنَوِي الهُذَلي* (قُدِّس سره): كُنتُ قد تَولَّيتُ إنشادَ هذه القصيدة على الشيخ[٥] المشار إليه بداره المحرُوسَةِ بإصفَهان، في شهر رجب في السنة السادسة عشرة بعد الألف للإلتماس[٦] الصادر عن أبي البحر (قُدِّس سره) فاستحسنها، واستجادَها، وكَتَبَ له رُقعَةً بِيَدِه المُباركَة ما هذا لَفظُهُ: «أيُّها الأخُ الأعَزُّ الفاضِلُ الألمَعيُّ، بَدرُ سَماءِ أدَباءِ الأعصَارِ، وغُرَّةُ سِيما بُلَغاءِ الأمصارِ، وأيمُ اللّهِ إنِّي كلَّما سَرَّحتُ بَرِيدَ نَظَرِي في رِياضِ قَصِيدَتِكَ الغَرَّاء، ورَوَّيتُ رائدَ* فِكَري من حِياضِ خَرِيدَتِكَ العَذراء؛ زادَ بها وُلُوعِي وغَرامي، واشتَدَّ بها وَلَهي وأوامِي، فكأنَّما عناها من قال:

قَصِيدَتُكَ الغَرَّاءُ يا فَردَ دَهرِه تَنُوبُ عن الماءِ الزُّلالِ لِمَن يَظمَا
فَنروَى مَتَى نَروِي بَدائعَ لَفظِها ونَظما إذا لم نَروِ يَوماً لها نَظما[٧]

ولَعَمرِي لا أراكَ إلاَّ آخذاً فيها بأزِمَّةِ أوابدِ[٨] اللَّسَنِ، تَقُودُها حيث أرَدتَ، وتُورِدُها أنَّى شِئتَ وارتَدتَ، حتى كأنَّ الألفاظَ تَتَحاسَدُ على التَّسابُقِ إلى لِسانك، والمَعاني تَتَغايَرُ في الإنثِيَالِ على جَنانِكَ، والسلام[٩]»، وكَتَبَ عُنوانَها ما هذا لَفظُهُ: «مُحِبُّكَ الإخلاصي: بَهاء الدين محمد العاملي».

* * *

(١) المنزُور: القَليل، وفي أ: منزوز، بزايين معجمتين مكان منزور، بالزاء المعجمة، والراء المهملة، وفي أ وب وج: فلا، مكان فلم، وفي الهاشمي وأ وب وج: جزاي، مكان جزائي.

(٢) في جميع الأصول: ودونكها، مكان فَدُونَكَها، والمثبت بتصرُّف، وفي الكشكول: يجل، مكان تَجلُ، وفي الكشكول ومنن الرحمن: أسار، مكان أستار.

(٣) سَيرا، مُثنَّى سَير: الذَّهاب، والإبكار: الصَّباح الباكر، يُرِيدُ جَرَيان اللَّيل والنَّهار، وفي أ: سيراً عشي وأبكاري، وفي منن الرحمن: ويسرى في عشي وابكار، وفي الكشكول: يسري عشياً وابكاري.

(٤) في أ وج: ابن، بزيادة ألف.

(٥) في ج: الشخ.

(٦) في أ: لالتماس.

(٧) نصه في ج: فتروى كما تروي بدائع لفظها ونفما اذا لم ترو يوما لها نظما

(٨) الأوابد: القَوافِي الشُّرَّد.

(٩) في ب وج: والسلم.

واسطة العقد[1]

قال في الشريفِ العلويِّ، علاَّمةِ الزمان، ونادرَةِ الأوان[2]، نَوعِ عينِ الإنسان، َقيِّمِ رباط الشريعة الغرَّاء، وبقيَّة البقيَّة من بني الزهراء، الغنيِّ، بالشهرةِ، عن الإطراء، أبي علي ماجد بن هاشم بن علي بن المرتضى الحسيني العلوي العريضي* ، أحيى[3] الله تعالى به رَمَقَ الفِرقَةِ الناجية، وحَرَس به معالمَ العترةِ الهادية، وكأنَّما يَستَمدُّ من إفادَتِهِ، ويَتَصرَّف، في الأدبِ، عن إرادته، واستَشعَر بعضَ ما أنكره من مألوف العنايةِ من[4] بعض الأعزةِ، فقال، وأودعها عتابين، وضمَّنها خطابين في السنة السادسة عشرة بعد الألف:

قُل لِكَنزِي، في النَّائبـاتِ، وذُخـري ... وجَـمَـالِي، بين الأنام، وفَـخـرِي[5]

ولِسـانـي الـذي أرِيقُ، إذا مـا ... حُمِد القَولُ، منه نَثري، وشِعري[6]

ويَـمِـيـنِي الـتـي[7] أطاوِلُ أبـوا ... عَ البـرايا، منهـا، بِدُونِ الشِّـبـرِ

ونَسِـيـمِي، إن شَبَّ وَقـدَتَهُ الحَـ ... ـرُّ، ودِفـئِي[8] إن عَضَّ نابُ القَـرِّ

ونَعِـيـمِي، إمَّـا تَعَـرَّض لي بُؤ ... سٌ، ونَفعِي إن هَمَّ بي مَسُّ ضُـرٍّ[9]

وغِـيـاثِي، ومن إليـه رُجُـوعِي، ... بعدَ رَبِّي، في حال عُسري، ويُسري

(١) تخريجها في الهاشمي ص: ٥٥ – ٥٩، وب ص: ٤١ – ٤٩، وج ص: ٣٢ – ٣٧، والبيت الأول منها مع المقدمة في أ ص: ١٤٤ مع أبيات أخرى من غير القصيدة، وباقيها في ص: ١٤ – ١٩ مختلطة بقصيدة يمدح فيها السيد خلفاً* ، وأخاه السيد مبارك* إبني السيد عبد المطلب المشعشعي*، مرَّت ترجمتهما في ج ١/١٩٨.

(٢) في أ: الأمان.

(٣) في الأصول: احي، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٤) في أ وب وج: ومن.

(٥) الذُخرُ ما تَذَّخِرُهُ – تَحتَفِظُ به – لوقت الحاجَة، أو تُعِدُّه لِدُنياك وآخرتك، وفي أ وب مكانها: ودخري، بدال مهملة.

(٦) في الأصول: جمد، بجيم معجمة، مكان حُمِد بالحاء المهملة، وفي ج: العول، بعين مهملة مكان القاف المثناة، وفي الهاشمي: نظمي، مكان نثري.

(٧) في الهاشمي: الذي.

(٨) في أ وب: ودفيء.

(٩) في الهاشمي: إذا، مكان إمَّا، وفي أ و ب وج: بوس، مكان بُؤس.

رُوحُ جِسمِ الكَمالِ، شَاهِينُ مِيزا — نِ المعَالي، إنسانُ عَينِ الدَّهرِ[1]
طاهِرُ الأصلِ، باهِرُ الفَضلِ، وافِي الـ — ـعَقلِ، غالي[2] المِقدارِ، عالِي القَدرِ
طَودُ حِلمٍ خِضَمُّ عِلمٍ لَظى فَهـ — ـمٍ ضُحَى شُهرَةٍ يَلَنجُوجُ[3] ذِكرِ
كَرَمٌ في زَهادَةٍ، وحَياءٌ — في وَقارٍ، وعِفَّةٌ في صَبرِ[4]
الشَّريفُ الذي أرانا بِراضِي — هَديِهِ سِيرَةَ النَّبيِّ* الطُّهرِ[5]
وأعادَ القَديمَ من شَرَفِ الأصـ — ـلِ حَديثًا، ورَدَّ ماضِي[6] الذِّكرِ
بِصِفاتٍ تَفِرُّ[7] من شَرَكِ العَـ — ـدِّ، ويَنبُو بها نِطاقُ الحَصرِ
فَضلُ عِلمٍ، ما حَطَّ في شِعبِهِ الشِّعـ — ـبِيُّ، يَومًا، ولا اجتَناهُ الزَّهرِي[8]

---

(١) الشَّاهين: لِسانُ الميزان، فارسية مُعَرَّبة، وفي الهاشمي: المعاني، مكان المعالي، وإنسانُ العَين: ناظِرُها، وهو النقطة السوداء فيها.

(٢) في ب: عالي.

(٣) في أ: علم، مكان حِلم، واليَلَنجُوجُ: عُودُ الطِّيب، وهو خَشَب البَخُور المعروف.

(٤) ترتيب البيت في الأصول « ١١ » وقدَّمته مُراعاةً لِمُقتضى السياق، وهو يشبه قول أبي الطيب المتنبي*:
كَرَمٌ في شُجَاعة، وذَكاءٌ — في بَهاءٍ، وقُدرَةٌ في وَفاءِ

(٥) ترتيب البيت في الأصول « ١٠ »، وأخَّرته مراعاةً لمقتضى السياق.

(٦) في الهاشمي: ماحي.

(٧) في ج: تقر، بقاف مثناة مكان الفاء الموحدة.

(٨) في الأصول: ما انحط، مكان ما حط، ولعل الصواب ما أثبتناه، وفي ج: شعب مكان شعبه، والشعبي. حسب شرح الهاشمي: «أبو عامر بن شراحيل»، ولعل الصواب أنه أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الحميري، ولد في سنة ١٩هـ، في ما يروى عنه، وتوفي في سنة ١٠٣ هـ، نسب إلى شعب أو شعبان، بطن من همدان*، تابعي، مُحَدِّث، راوية، حافظ، ولد ونشأ وتوفي في الكوفة*، اتصل بعبد الملك بن مروان، وكان نديمَه وسميره، ورسوله إلى ملك الروم، أخذ عنه الإمام أبو حنيفة، من مؤلفاته: الكفاية، في العبادة والطاعة، والزهري، حسب شرح الهاشمي أيضًا: «هو محمد بن مسلم بن الحارث بن شهاب بن زياد بن كلاب، عامي»، لكنَّ قول الشاعر: «ولا اجتناه» يوحي بعلاقة الزُّهري هذا بالنبات، فالأقرب أن يكون المقصود هو أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج بن عبد الله بن أبي الخليل الأموي، مولاهم، الأندلسي، الزُّهري، الإشبيلي، النباتي، المعروف بالعَشَّاب، وابن الرُّومِيَّة، ولد سنة ٥٦١ أو ٥٦٧هـ في إشبيلية، افتتح فيها دُكَّانًا للأعشاب، كان يَحتَرِفُ الصيدلة لمعرفته بالنبات، مُحَدِّث، حافظ، مؤرخ، فقيه، شاعر، عارف بالنبات والأعشاب، زار مصر* سنة ٦١٣هـ وأقام فيها، وتنقل بين الشام* والعراق* والحجاز* نحو سنتين، رسم له الملك العادل أبو بكر محمد بن أيوب - صاحب مصر «أخو صلاح الدين» - مُرَتَّبًا، واستَبقاه في مِصر فلم يقبل، وعاد إلى إشبيلية، وبها تُوفِّيَ سنة ٦٣٧هـ، من مؤلفاته: الرحلة النباتية، وتفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس، وفي ج: الزهر، مكان الزهري. راجع: تاج العروس، والقاموس، ولسان العرب، ومحيط المحيط، ومعجم المؤلفين جـ ٢/ ١٥٩، ونفح الطيب جـ ٣/ ٣٥٢، وكشف الظنون جـ ١/ ١٣٨٢، و١٤١٩، وشذرات الذهب جـ ٣/ ١٨٤.

أدَبٌ بـارعٌ يَـضُـمُّ رِجــــــالَ الـ ـنَّظم، فـيـه، إلى رِجـالِ النَّثـرِ(١)

وذَكـــاءٌ، وفِطنَةٌ مـــثلُ مـــا تَعـ ـبَثُ(٢) ريحُ الصَّـبَا بِذاكي الجَمـر

وفَـتـــاوٍ مُـســتَنبَطاتٌ تَغـانَى عن رُجُوعٍ، فيها، لِزَيدٍ*، وعَمرو*(٣)

مــا رَأيناهُ، عِند عَــرض سـؤالٍ دَقَّ او جَلَّ، قَـــائـلاً*: لا أدري

كَـافِلٌ بالجَـوابِ أن ليس يَبـقَى رَيبُ نفسٍ، ولا حَـراجَـةُ صَـدرِ

وأحــاديثُ يَأرَجُ الصِّـدقُ منهـا بِشَـذا(٤) عَنبـرٍ، ونَفـحَـةِ عِطرٍ

غَـضَّـةُ(٥) المُجتَنَى، تَرعـرَعُ ما بَيـ ـنَ إمـــامٍ، طُهـــرٍ، وعَـــدلٍ بَرِّ

وقَــضــاءٌ فَــصلٌ(٦) يَرُدُّ الغَـرِيمَيـ ـنِ حَليـفَي رِضًـا، عليـه، وشُكرِ

مُـسـتَنيـرُ البُـرهانِ تَلقَى عليـه مَـسحَـةٌ من قَـضَـاءِ قَاتِلِ عَـمـرو(٧)

وبَيانٌ لو أنَّـه بَين حَــيَّـي وائلٍ، أغـمَـدا سُـيُـوفَ الوتـرِ(٨)

---

(١) في أ: النثري.

(٢) في الهاشمي: تعبت، بتاء مثناة مكان الثاء المثلثة.

(٣) في أ: وفتاوي، والمثبت من الهاشمي وب وج، ومُستَنبَطات: مُستَخرَجاتٌ بالفهم والإجتهاد، وفي أ مكانها: مستطيبات، وتَغانَى: تتغانى، أي تستغني، وفي ج مكانها: تغالي.

(٤) في أ وب وج: بشدا، بدال مهملة.

(٥) في أ: غضنة، وفي ج: غضه، بهاء مهملة.

(٦) في ب: مضل.

(٧) في أ: عمر، يريد به عَمرَو بن وُدٍّ العامري، من بني لؤي، فارس قريش*، وبطلها في الجاهلية*، أدرك الإسلام ولم يسلم، وقاتِلُهُ هو الإمام علي بن أبي طالب* (ع)، قتله في وَقعَةِ الخندَق، وهي الوقعة التي حاصرت فيها قريش* المدينة* بعد أن تحزَّب المشركون من قُريش*، وغطفان، وبني مُرَّة، وأشجع، بقيادة أبي سفيان، بتحريض من يهود قُرَيظة، والنَّضير سنة ٥ هـ، ٦٢٧م. راجع أعيان الشيعة مج ١/٢٦٢ - ٢٦٦، و٣٩٤، والمنجد في الأعلام «مادة الخندق».

(٨) في ب: حيى، ويريد بحيي وائل: بكر* وتغلِب* ابني وائل بن قاسط* من ربيعة بن نزار* من العدنانية، وقعت بينهما حرب عُرِفَت بحرب البَسُوس* دامت العداوة فيها أربعين سنة: من سنة ٤٩٤ إلى سنة ٥٢٤م، وسبَبُها أنَّ وائل بن ربيعة من بني جشم بن بكر التغلِبي، ويُلَقب بكُلَيب، قتل ناقة تسمى «السَراب»؛ يملِكها رجل من جرم يدعى سعدَ بن شمس، كان جاراً للبسوس بنت منقذ التميمية، كانت ترعى في حِمَى كليب، وبسوس هي خالة جَسَّاس بن مُرَّة بن ذهل الشيباني البكري، شقيق جَليلة زوجة كليب، وانتقم جساس لخالته باغتيال كليب زوجِ أخته، فثارت تغلب، بقيادة مهلهل*، لدم كليب، ونَشَبت الحَرب بين الحيين، والوِتر: الذَّحل، والثأر، والضغن. راجع: المنجد في الأعلام: مادة البسوس، وموسوعة المورد جـ٢/٣٧، وتاريخ الأدب العربي جـ ١/ ١١٠، ومجمع الأمثال للميداني جـ ١/٣٧٤.

واحـتـِجـاجٌ يَلقَى الخُـصُـومَ بما قـا   بَلَ مُـوسى، به، رِجـالَ السِّـحـر
وقَـرِيضٌ لو اجـتَـلاهُ امـرُؤ القَـيـ   ـسِ* تَـمَنَّاهُ والِدًا دُون حِـجـرٍ*[1]
رَقَّ[2] مَـعنًى فَـشَفَّ عن غُلظِ الفـا   ظٍ مِـتـانِ القُـوى، شِـدادِ الأسـر
فَـهـوَ، من رِقَّـة المَعـانِي، وغُلظِ الـ   ـلَّفظ، خَمرٌ تَجلُوهُ جاماتُ صُفرِ[3]
غَزَلٌ يَستَثِيرُ ما عَفَّتِ الأ   يَّامُ من أرسُمِ الغَـرامِ العُـذري
مـا لمن يَجتَلِيهِ عُـذرٌ إذا لَم   يُمسِ، في الحُبِّ، خَـالِعًا لِلعُـذر[4]
ومَـراثٍ تُجِـدُّ مـا كـان أبلَتـ   ـهُ اللَّيالي من حُزنِ خَنساءِ صَخرِ[5]
كُلُّ بَيتٍ مُـبكٍ يُرِيكَ صَـغِـيـرَ الـ   ـحُـزنِ، من حَـرِّ ثُكلِه، ذا كُـبـر
ويَـدٌ ثَـرَّةُ المَـواهِـبِ لا تَـفـ   ـرُقُ[6]، زهدًا، بين الحَصَى والتِّـبـر
ومُـحَـيًّـا طَلقٌ تُرِيقُ مَـحـانِيـ   ـهِ، على مُـجـتَلِيـهِ، مَـاءَ البِـشـر
حَسبُ من يَجتَلِيه، خِصبًا، إذا اشتَـ   ـدَّت به أزمَـةُ السِّنِينَ الغُـبـر[7]
مُـسـتَنِيـرٌ لا يَملِكُ[8] الفَـرقَ راءٍ   بَينَه، بَهـجَـةً، وبَينَ البَـدر

(١)القَريضُ: الشِّعر، واجتلاه: نظر إليه، وفي أ: لو اجتلاه امرء القيس، وفي ب: لو اجتلاه على امرء القيس، وفي ج: لو اجتلاه امرء القبس، بباء موحدة، وفي الهاشمي: اجتلاه امرء والقيس، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢)في الهاشمي: دق.

(٣)الجامات، جمع جام: إناء من فِضَّة، كأس ونحوه، والصُّفر، بضم الأول وكسره: الذهب، وفي أ وب وج: جامات صخر.

(٤)في الهاشمي: عذرا، مكان عُذرٌ، وفي أ: عدر، بدال مهملة، والعُذر أصلها العذُر، بِضَمِّ الأول والثاني، جمع عذار: من اللِّجام ما وقع منه على خَدَّي الفرس، وسَكَّن الذال ضرورة، ومنه المثل: خلع عِذارَه أي حَياءَه، يقال للمُتَهَتِّك في غيِّه، أي إنه ألقى عنه جلبابَ الحياء كما خلع الحصان العذار فجمح.

(٥)الخَنساءُ: تُماضِر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد من بني سُلَيم، نحو سنة ٥٧٥ - ٦٦٤م، أشهر شواعر العرب في الرِّثاء، كانت أولَ أمرها مُقِلَّةً في الشعر حتى قُتِلَ أخواها صخر ومعاوية، قُتِلَ مُعاوية سنة ٦١٢م على يد هاشم ودريد ابني حرملة بن مُرَّة يومَ حوزة الأول، وهو يوم لِسُلَيم على غَطَفَان*، وقُتِلَ صخر المشار إليه في البيت يومَ كِلاب نحو سنة ٦١٥م، طعنه ربيعة بن ثور الأسدي فأدخل جَوفَهُ حلقًا من الدرع، فاندمل عليه، فكان سببَ موته، وقُتِلَ أولادُها الأربعة في وقعة القادسيَّة* سنة ١٦هـ ٦٣٨م، عدَّتْ في الطبقة الثانية، لها ديوان شعر أكثره في الرثاء، شرحه ابن السِّكِّيت، وابن الأعرابي، والثعالبي*. راجع: المنجد في الأعلام، ومقدمة ديوانها.

(٦)في ج: تفزق، بزاي معجمة مكان الراء المهملة.

(٧)في أ: ارمة السنين العبز.

(٨)في الأصول: يملك، ولعل الصواب ما أثبتناه.

وسَجايا يَمتارُ[1] من حُسنِها الرَّو ضُ إذا افتَرَّ عن ثُغُورِ الزَّهر
إنَّ عَبداً أرضَعتَهُ درَّة اللُّط فِ، وأفرَشتَه مِهادَ البِرِّ[2]
لا يُكافي تلك الأيادي الجَسيما تِ بشَيءٍ سِوى الثَّناء الحُرِّ
ووُجُوهُ الثَّناءِ غُفلٌ، فلا تَحـ ـسُن ما لم تُوسَم بأوضَاحِ شِعرِ[3]
فانتَضَى كُلَّ دُرَّةٍ ما حَوَتها يَدُ «غَيصٍ»، ولا قَرارَةُ بَحرِ[4]
ورأى[5] أنَّها تَطُولُ يَدُ الحَمـ ـدِ فَثَنَّى ثَناءَه بالعُذرِ
غَيرَ أني أشكُو إليه أخا وُ دٍ إذا شِئتُ[6] جَبرَهُ شاء كَسري
ظَنَّ قُربِي منه رَجَاءَ غِناهُ فَتَناءَى عَنِّي مَخافَةَ فَقرِي[7]
كُنتُ شَاطَرتُه الإساءَةَ، يَومًا، فَمَحا شَطرَهُ، وأثبَتَ شَطرِي[8]

---

(١) يمتار، من الإمتِيار: جمع المِيرَة، وهي الطعام يُجلَب للبيع، وللمؤنة، يريد: يكتسب، وفي الهاشمي: يمتاز، بزاي معجمة مكان الراء المهملة.

(٢) في ج: عبد، مكان عبداً، والدِّرَّة، بكسر أوّله: الضَّرعُ مَجازاً. واللَّبَن.

(٣) غفلٌ: لا سِمَةَ عليها، أي مَجهولة، والأوضاح، جمع وَضَح: الغُرَّة، وتُوسَم: تُعمَل لها السِّمَة والوِسَام، وهو ما يُوسَمُ به البعير ليُعرَف، وهو عندهم من سمات الجَمال والعِتق، ومنه الوَسامَة، وفي الهاشمي: شعري، مكان شعر.

(٤) الدُّرَّة: اللُّؤلؤَة العَظِيمة، والغَيص، كلمة دارجة في بلدان الخليج فصيحها غوّاص.

(٥) في الهاشمي: وأرى.

(٦) في ب: شيت، وفي أ: شيئت، وفي ج: شئيت.

(٧) تناءى: تباعد، وفي أ مكانها: فتنآء، وفي ب: فثنى، وفي ج، على السطر: فتنى، وفوقها تعديل غير صحيح هكذا: فتنائى، وفي الهاشمي: فقر، مكان فقري، وفي البيت نظر إلى قول صخر بن حبناء لأخيه المغيرة *:

رأيتُكَ لما نلتَ مالاً وعَضَّنا زَمانٌ نَرَى في حَدِّ أنيابِه شَغبا
جَعَلتَ لنا ذَنبًا لِتَمنَعَ نائلاً فأمسِك، ولا تجعل غِناكَ لنا ذَنبا

محاضرات الأدباء جـ ٣/١٥، والشعر والشعراء ص: ٢٦٢، ورواية الصدر فيه: «تجَنَّى عليَّ الذنب أنك مذنب».

(٨) في ب: الأساة، مكان الإساءة، وفي ج: الاسآة، والمعنى مأخوذ من قول ينسب للعتبي*، والأعرابي، و القرشي:

وقاسَمَنِي دَهرِي بَنِيَّ مُشاطِراً فلما تَقَضَّى شَطرَهُ عَاد في شَطرِي

وقول شاعر يعرف بالزغل:

رآنِي بِعَينِ النَّقصِ أن صار ذا غِنىً وأغفَلَ، قَبلَ اليوم، نَقصَ يَدَيهِ

وقول محمود الوَرَّاق:

وكُنتَ أخِي أيَّامَ عُودُكَ يابِسٌ فلمَّا اكتَسى واخضَرَّ صِرتَ مع الدَّهرِ

زهر الآداب جـ ٣/٨٥٢، وشرح ديوان المتنبي جـ ١/٢٢٢، والكامل في اللغة والأدب جـ ٢/٣٤٠، ومحاضرات الأدباء جـ ٣/١٥.

ورآها غَنيمَةً في تَمَاديـ ـه على الصَّدِّ، والقِلَى[1]، والهَجر
خُطَّةٌ لا أرى ذَوِي الشِّيَمِ الغُـ ـرِّ تطاها، ولا ذَواتِ الخُمر[2]
ما لَعَمرِي هذا بِذَنبِي، ولَكِن يُسرُهُ، لا أطِيرُ عنه، وعُسري
غَيرُ بِدعٍ؛ فهكذا كُلُّ مَن يُعـ ـدِمُ حِينًا، من دَهرِهِ، ثم يُثري[3]
عَثَرَت بالمُمَوِّلِينَ مَطايا حَمَلَتهُم، ولا لَعًا للعَثر[4]
إنَّ لِلوَفرِ حَادِثاتٍ، فَهَلاَّ جَعَلُونِي من حَادِثاتِ الوَفر[5]
يا عِمادَ الإسلام، يا عِصمَةَ الدِّيـ ـنِ الحَنِيفِيِّ، يا جَمالَ العَصر
قد بَلَوتُ البِلادَ شَرقًا، وغَربًا وقَلَبتُ العِبادَ بَطنًا لِظَهر
وتَمَزَّزتُ[6] كُلَّ طَعمٍ فأصبَحـ ـتُ خَبِيراً بِكُلِّ حُلوٍ، ومُرِّ
فَيَمِينًا بالعامِداتِ، إلى البَيـ ـتِ، بِرَكبٍ تَراهَقُوا للأجر[7]

---

(١) القِلى، بكسر أوله: البُغضُ، وفي أ: القَلا، بفتح الأول، وفي ب وج، والهاشمي القلا، بدون شكل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) الخُمر، بضم الأول وسكون الثاني، جمع خِمار: النصيف، وهو ما تغطي به المرأة رأسها، ومراده بذوات الخمر: النساء.

(٣) في البيت نظر إلى قول محمد بن وهيب الحميري*:

كذاك من كان لا رأساً ولا ذنَبًا كَدَّ اليدين حديثَ العهد بالنِّعَم

معاهد التنصيص جـ ١/٢٢٤.

(٤) المُمَوِّلين: الذين يموِّلون، أي يُعطون المال هبة أو قرضًا، ولعًا دعاء يقال للعاثر معناه: سلمت، والعَثر: مصدر عثر أقامه مقام الفاعل، أي لا دعاء للعاثر بالسلامة، يريد بالمموِّلين نفسه، والضمير في قوله: «حملتهم» عائدٌ إلى غريمه الذي يشكوه، يقول: إن مطاياي - أموالي - التي حملت غريمي إلى الثراء، عثرت بي، فلم أنل منه حتى الدعاء لي بالسلامة، وفي البيت إشارة إلى افتقاره بعد غنى.

(٥) الوفر: الغنى.

(٦) تمزَّز الشرابَ: تمصَّصه، من التمزز، وهو شرب الشراب قليلاً قليلاً لتذوُّقه، واختباره، وفي البيت والذي قبله نظر إلى قول أبي العلاء المعري*:

جرَّبت دهري، وأهليه، فما تركت لي التجاربُ، في ودِّ امرئٍ، غرضا

وهو مأخوذ من قول أبي الطيب المتنبي*:

عَرَفتُ الليالي قبل ما صنعت بنا فلما دهتني لم تزدني بها علما

راجع: ديوان المتنبي ص: ٤٧١، وديوان سقط الزند ص: ٧٠.

(٧) العامدات، جمع عامدة: القاصدة، أو المعتمدة، التي تسير ليلتها، وتراهقوا: مشوا الرهقى، وهو نوع من العدْوِ، أي تسابقوا يرهق بعضهم بعضًا من شدة السير في طلب الأجر، والثواب.

كلَّ عَـوجَـاءَ كـالحَنيَّـةِ تَخـدي بِفَتىً شَاحِبٍ كَقِدحٍ مَبرِي[1]
وبما قَـبَّلَت نُحُـورَ هَوادِي[2] الـ ـهَـدي مِن رَاحَـةِ غَـدَاةَ النَّحـرِ
ما، لَعَمرِي، وَجَدتُ، غيرَك، ذا عَهـ ـد سَلِيمٍ من شَـائِبـاتِ* الغَـدرِ
وَوِدادٍ لا يَسـتَـحِيلُ، على العِـ ـلاَّتِ، أو يَستَحِيلُ ضَوءُ الفَجـرِ[3]
غَيـرُ بِدعٍ؛ فمـا سَوابِقُ نَجـدٍ* مـحرزٌ شـأوَها[4] بَراذِينُ مِصـرِ*
والعَـتِيقُ المِصـرِيُّ، في ألسُنِ الأَمَّـ ـةِ طُراً، ولا الجَـدِيدُ البَـصـرِي[5]
يا أخـا هَاشِمِ بنِ عَبـدِ مُنافٍ*، دَعـوةً من أخِي[6] ثَناءٍ غَـمـرِ
إنَّ أرضًـا أغـاثَـهـا جُـودُك القَطـ ـرُ[7] بهـا فَـاقَـةٌ لِذاك القَطرِ
وقَضِيبًا[8] أورَقتَهُ، أمسِ، أضحَى الـ ـيـومَ خَـاوِيَ الأوراقِ ذاوِيَ القِـشـرِ
لا تَكِلنِي إلى حَـيـائِي فـأذوَى كُلِّ داءٍ، عندي، حَيـاءُ الحُـرِّ[9]
أو ذَنـبِـي أنِّـي أريـكَ[10]، عـلـى رِ قَّـةِ حَـالِي، وجـهَ الغَنِيِّ المُثـرِي؟

(١)العوجاء: الناقة الضامرة الهزيلة، وتَخدي: تسرعُ، وتزج بقوائمها، وهذا ضرب من سير الخيل، والإبل، وفي ب وج مكانها: تحدي، والقِدحُ: السهم، ومَبري: منحوت، يريد: هزيل، وفي أ: مبرى، بالمقصورة، وفي ب وج: المبري، وفي الهاشمي: المبرى، بالمقصورة، والمثبت هنا بتصرف، والمعنى مأخوذ من قول ابن دريد*

بارٍ بَرَى طُول السُّرى جِثمانَهُ فهو كقِدحِ الزَّندِ مَحنيُّ القَرا

راجع: الهامش «٧» جـ ١/١٥٩، و الهامش «٥» جـ ١/٢١٠.

(٢)الهوادي، جمع هادِيَة: الأعناق.

(٣)العِلات: الحالات المختلفة، والشُّؤُونُ المتنوعة، وفي ب وج: ضو، مكان ضَوء، وفي أ: ضؤ.

(٤)في ج: شاؤها.

(٥)هذا مثل شعبي شائع في القطيف* هو: «العَتِيقُ المِصرِي ولا الجديد البَصري»، ونَصُّ البيت في الأصول:

وعتيق المصري في ألسن الا مة طرا ولا جديد البصري

والمثبت هنا بتصرُّف.

(٦)في أ وب: أخا.

(٧)في أ: أغاثك قطرك الجود، وفي ب وج والهاشمي: أغاثها قطرك الجود، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٨)القَضِيبُ: الغُصنُ، وفي الهاشمي مكانها: وقريبًا.

(٩)أذوَى: أكثر إذواءً، أي إذبالاً للأغصان، وفي أ: الى حيائي نادوى، وفي الهاشمي و ب: الى حياى فادوي، وفي ج: الى حياي قادوي، والمثبت بتصرف.

(١٠) في الهاشمي: أراك، مكان أريك.

أنتَ تَدرِي أنِّي أرُوحُ وأغــدُو[1] بيَـدٍ من حِبـاءِ غَيـرِكَ صِـفـرِ
أينَ قُـربِي منك الذي حَـسَـدتنِي، بوُصُولي إليـه، أعيـانُ عَـصرِي؟[2]
والمحِلِّ الـذي تَـوَهَّـمَتِ الـعـــــا لَمُ أنِّي، فيـه، السَّفِيـرُ العَمـرِي؟[3]
وجُلوسِي منك المَـحـلَّ الذي يَسـ ـفُلُ عن أوجِـهِ مَطارُ النَّسـرِ؟[4]
ووُرُودِي تـلك الحِـيــاضَ التي يُهـ ـجَـرُ، زهداً في جَنبِها، كُلُّ نَهـرِ؟[5]
فكأنَّ العيشَّ[6] الذي كــان لي، عنـ ـدكَ، طارَت به قَـوادِمُ صَـقـرِ
أتَراني نَبَـذتُ عَـهـدِيَ؟ أم ألـ ـبَستُ، يومًا، إيمانَ وُدِّي بكُفرِ؟
أو تبيَّنتَ أنَّ جَهـرِيَ، في الإخـ ـلاصِ، والوُدِّ لا يُطابِقُ سِـرِّي؟
أم أتاكَ امـرؤٌ[7] فَـحَـدَّث أنِّي هاجِمٌ، فُجاةً، على ذاتِ خِـدرِ؟
أو أراكَ المَـنـامُ أنِّـي نَـزِيـفٌ فـتَـجنَّبـتني لِظاهِرِ سُكرِي؟[8]
أو أضَعتُ الصَّلاةَ[9]؟ لم أقِمِ الصُّبـ ـحَ، ولَم أكـتَـرِث بِفَـرضِ الظُّهـرِ؟
أو تَلَقَّيتُ شَـهـرَ صَـومِي بإفطا رٍ، ولم أحـتَـفِل بِشـأنِ الشَّـهـرِ؟

(١)في الهاشمي و ب وج: واغدوا، بزيادة ألف.

(٢)في الهاشمي: لك، مكان منك، وفي أ وب: مصري، مكان عصري.

(٣)في أ: العمر، والعَمري هو: أبو عمرو، عثمان بن سعيد بن عمرو العَمري، تَوَلَّى الوَكالةَ عن الإمامِ عليٍّ الهادي (ع) في حَياتِهِ، ثمَّ عن الإمام الحسن العسكري، ثمَّ أصبح أوَّلَ السفراء الأربعة للإمام المهدي (ع) في الغيبة الصغرى، والثاني هو ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان، وتُوفِّيَ في حَياة أبيه، والثالث هو أبو القاسم الحسين بن رَوح بن أبي بحر النوبختي، أقامه عُثمان بن سعيد مقامه قبل وفاته بسنتين أو ثلاث، وتوفِّي سنة ٣٢٦هـ فقام مقامه السفير الرابع، وهو أبو الحسن علي بن محمد السمري المتوفَّى سنة ٣٢٩هـ، وبوفاته انقطعت السفارة بين المهديّ* والشيعة*. راجع: الهاشمي ص: ٨٥، وأعيان الشيعة مج ٢/٤٧ - ٤٨.

(٤)يَسفُلُ: نقيض يَعلو، أي يَنزِل، وفي الهاشمي مكانها: يسفر، والأوج، مُعَرَّب أوك الفارسية: العُلوُّ، ومطار النَّسر: مَجالُ طَيَرانِه، وتَحليقِه.

(٥)الحِياض، جمع حَوض: مجمع الماء، وفي الهاشمي و ب: تهجر، مكان يَهجُر.

(٦)في ب: مكان، بدل فكأنَّ، وفي ج: فكان، وفي الأصول: العيش، ولعل ما أثبتناه أنسب للسياق.

(٧)في أ وب وج: امرء.

(٨)النَّزِيفُ: السَّكران، وفي أ وج مكانها: تريف، بتاء مثنَّاة مكان النون الموحدة، وراء مهملة مكان الزاي المعجمة وفي الهاشمي: سكر بدل سُكري.

(٩)في الأصول: الصلوة، وهي صورة التفخيم، أي الإمالة إلى مخرج الواو، الأ إذا أضيفت، وأثبَتُّ الصُّورة الشائعة.

كـلُّ هـذا لـم آتِـهِ، أم تَـرَى الأيَّـ ـامَ أفـصَحنَ عن غَـلاءِ السِّـعـرِ؟[1]

لا تَـكِلنِي إلـى بَـنِي زَمَـنٍ أنـ ـتَ بإقـبـالِهِم على الشُّحِ تَدري

فـأكُن، {في} استِغَـاثَتِي بكَ من أيَّا مِ دَهري، كـالمُستَغيثِ بِعَمـرِو[2]

واعـتَـقلنِي، أو لا، فـأدنَى رُجُـوعِي، إن تَرامَت بِيَ النَّوَى، بَعـدَ عَشـرِ[3]

وبِرَغـمـِي أنِّي أراكَ، إذا مـا أعـوَزَ القُـربُ، في وُجُـوهِ السَّـفـرِ[4]

فـابتَـدا لي، بعـد الصَّـبـانَة، شَيءٌ دُونَ صَبـرِي له اجتِراعُ الصَّبـرِ[5]

سَـعَـةٌ في السُّـؤالِ ضَـيقٌ، ويُسـرٌ فـيـه عُـسـرٌ، والرِّبحُ بَعضُ الخُسـرِ

فَلَخَيـرٌ فـيـه من الشَّبَعِ الجُو عُ، وأسنَى من اللِّبـاسِ التَّـعَـرِّي

مَـوقِفٌ يُؤثِرُ[6] الشُّجـاعُ أخُـو الكَـ ـرِّ، إذا ضَـمَّـهُ، رُكُـوبَ الفَـرِّ

وسُلُوكِي هذا السَّـبِيلَ مِن العَـتـ ـبِ، ومَـدِّي لِسـانَ هذا التَّـجَـرِّي[7]

خُطَّةٌ لو مَلَكتُ فـيـهـا اختِـيـاري مـا تَجَشَّـمـتُـهـا بَقـاءَ العُـمـرِ

أركَـبَـتـنِي طَـرِيقَـهـا الوَعـرَ أيَّا مُ تَسُـومُ الفَـتَى رُكُـوبَ الوَعـرِ

---

(١) في الهاشمي: تر، مكان ترى، وفي ب وج ترا، وفي ب: غلا، بدون همزة، مكان غلاء، بالهمزة.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقطة من متن ب، وفي أ: بعمري، مكان بعمرو، وفي ب وج: بعمر، وعمرو هو ابن الحارث*، وحكايته أنَّه لما خَرَجَ جَسَّاس* يَتَربَّصُ بوائل بن ربيعة «كُلَيب*» ليقتله انتقامًا لقتله السراب*، ناقة البسوس بنت منقذ*، وهي التي تسببت في حرب البسوس* المشهورة، خرج عمرو* خلفه فلم يُدرِكه، فلمَّا طعن جسَّاسُ* كليبًا*، ودقَّ صُلبَه؛ تركه وانصرف دون أن يُجهِز عليه، ولحق به عمرو* فاستغاث به كُليب* لكنَّه أجهز عليه، فضرب به المثل، وأشهر ما يُرَدَّدُ في ذلك بَيتٌ للتكلام الضبعي*:

المستَجِيرُ بِعَمرٍو عند كُربَتِهِ كالمُستَجِيرِ من الرَّمضَاءِ بالنَّارِ

راجع: مجمع الأمثال جـ ١/٣٧٤ - ٣٧٥، وأمثال الشعر العربي ص: ١٦٥.

(٣) اعتَقِلنِي: احتبسني، أو امسكني، يُريد: تَمَسَّك بي، والنَّوَى: البُعدُ، وفي ب مكانها: النوي، بياء مثنَّاة مكان المقصورة.

(٤) السَّفر: بفتح الأول وسكون الثاني، جمع سافِر: المسافرون، يُلَمِّح بترك البحرين*.

(٥) في ب: فابتذا، بذال معجمة، مكان فابتدا بالدال المهملة، والصَّبانَةُ: صَرفُ الهَدِيَّةِ أو العطاء والمعرُوف عن المقربين والمعارف إلى غيرهم، وفي أ وب وج: الصيانة، بياء مثنَّاة مكان الباء الموحدة، ولعل الصواب ما أثبتناه، يقول: صرفك الهباتِ ومنعها عني أبدى لي شيئًا يَفُوق صَبرِي عليه تَجَرُّعَ الصبرِ.

(٦) في أ و ب وج: يوثر، بدون همزة.

(٧) التَّجرِّي، بتَسهيل الهمزة: الجرأة.

أنتَ من لا مَجَالَ فيـه لتَـوجِيـ ـه مَـلامٍ، ولا لإزراءِ مُـزري[1]
قد، لَعمري، صَدَّقتَ قَولَ مُسَمِّيـ ـكَ[2]. وطَوَّلتَ من لِسـانِ المُطري
إنْ دُعي مَـاجِداً، سِـواك، من النَّا سِ، فَـمِن سَـائرِ* الكلامِ الهَـذرِ[3]
مـا أرى في بَنِي زَمَـانِكَ من يَجـ ـري إلى غَـايَةٍ لَهـا أنتَ تَجـري
ها هُمُ اللُّؤلـؤ الثَّـمِينُ ولَكِنَّـ ـكَ، فِـيـهِم، وُسطَى نِظامِ الدُّرِّ[4]
بالقِرى، والإقـراءِ سُدتَ فأصبحـ ـتَ، رَعاكَ الإلهُ، تَقـري، وتُقـري[5]
لم يَسِر ذِكـرٌ من تَـدَاوَلَهُ السَّيـ ـرُ، وتُمـسي ثاوٍ، وذِكـرُكَ يَسـري[6]
أنتَ كـالبَـدرِ في مَـحِلٍّ من الأفـ ـقِ، ويَكسُـو بِضَـوئِه كلَّ قُطرِ[7]
زَهِدَ النَّاسُ في الكَمَـالِ فلو بِيـ ـعَ عليهم لم يَشـتَرُوهُ بِظِفـرِ[8]

---

(١) في الهاشمي: محال، مكان مَجال، وفي ب وج: مزر، مكان مُزري.

(٢) في ب: مكشوطة في المتن، ومثبتة في الحاشية .

(٣) في ب والهاشمي: ماجد، مكان ماجداً، وسائر الشيء: باقيه .

(٤) في أ وب وج: ما هم، مكان ها هم، وفي الهاشمي: نطام، بطاء مهملة مكان نظام، بالظاء المعجمة.

(٥) القِرَى: الضِّيافَة، والإقراء مصدر أقرأ بمعنى فقَّهَ، ومنه قولهم لطالب العلم قرأ على فلان، أي تعلَّم عنده الفقه، يريد أنّه ساد بالكرم والفقه، فإنّه يُقري الضيوف، ويُعلِّمُ الناس، وفي هذا المعنى يقول السراج الورَّاق:
يا جَواداً له القِرَى، والقِراءا تُ. وفيـه من كُلِّ نَفعٍ وخَيـرِ
معاهد التنصيص جـ ١٤٣/٣.

(٦) ثاو: مُقيم، وحقُّها النصب لأنّها خبر تُمسي، وأتى بها مرفوعةً ضرورة لاستقامة الوزن، وفي الهاشمي وب وج: ويمسي، وسوف يكرر المعنى في قوله جـ ١٤٠/٢:
يا ذا الذي ألِفَ الثَّواء وذِكرُه قَطَع البِلادَ مُغَرِّبًا، ومُشَرِّقا
وفيها سوف نلم ببعض ما تداوله الشعراء في معناه.

(٧) في أ وب وج: ويكسوا، مكان ويَكسُو، وفي ب وج: بضوء، مكان بضَوئه، والمعنى أخذه من قول أبي تمام* وليس في ديوانه: قَرِيبُ النَّدَى نائي المَحلِّ كأنَّه هِلالٌ قَـرِيبُ النُّورِ ناءٍ مَنازِلُه
وقول البحتري*: كالبَدرِ أفرَطَ في العُلوِّ وضَوؤُه، للعُصبَـةِ السَّارين، جِدُّ قَـرِيبِ
وقول المتنبي*: كالشَّمسِ في كَبِدِ السَّماءِ وضَوؤُها يَغشَى البِلادَ مَشـارِقًا، ومَغـارِبا
الوساطة ص: ٢٦١، وديوان البحتري جـ ٢٠٢/١، وديوان المتنبي ص: ١١١، وشرحه جـ ٢٥٧/١.

(٨) في الهاشمي: الكلام، مكان الكمال، يقول: إنَّ الناس زَهِدُوا في الكمال فلا يُقَدِّرُونَه، والقصيدة، لما فيها من رونق، تُعدُّ من الكمال الذي زَهِد فيه الناس، وشبيه بهذا قول أبي هلال العسكري:
عَجِبتُ من زُهدِهِم في ما يُزيِنُهُمُ والنَّاسُ، مُذ خُلِقُوا، في الخَيرِ زُهَّادُ
راجع: ديوان المعاني جـ ١٧٩/١.

فاستَمِعها لو أنشَدُوها أخا وَقـ ـرٍ كَفَت مَسمَعَيه أمرَ الوَقرِ[1]
كادَ يَبيَضُّ، من وُضوحِ مَعانيـ ـها وألفاظِها، سَوادُ الحِبرِ
عَذُبَت، فَهيَ مُجَّةُ النَّحلِ شيبَت بَعدَ ما صُفِّيَت بِماءِ الغُدرِ[2]
دُرَّةٌ أطبَقَت عليها فأدَّتـ ـها، تَفُوتُ الأثمانَ، أصدافُ فِكري[3]
وعَرُوسٌ بِكرٌ، إذا استامَها[4] الخا طِبُ لم يَثنِه غَلاءُ المَهرِ
فافتَرِعها، فَخَيرُ ما تَهَبُ الأ يّامُ، في مَذهَبي، افتِراعُ البِكرِ

* * *

(١) مرَّ هذا المعنى في قوله جـ ١/١٥٧ :

وليُسمِعنَّك إن بَقِي لكَ بعدها ما تَستَبِينُ لَديه ذُلَّ الأشجَعِ*

وسوف يكرره في قوله جـ ١/٢٥٩ :

فاستَمِعها لو أنشَدُوها أبا الطَّـ ـيِّبِ* ما كَادَ أن يُسيغَ الرِّيقا

وقد أوردنا، في الصفحة «١٥٧»، أبياتًا في المعنى لغيره.

(٢) مُجَّةُ النَّحل: أراد مُجَاجَ النَّحل، وهو العسل، وشِيبَت: مُزِجَت، وخُلِطَت، وفي الهاشمي مكانها: شيئت، وفي ج: صقيت، بقاف مثنَّاة مكان صُفِّيَت، بالفاء الموحدة، والغُدر، بِضَمِّ الأول وسُكُون الثاني، جمع غَدِير: المطر المجتمع، والنهر، وفي الهاشمي وب وج مكانها: العذر.

(٣) تَفُوتُ: تفوق، وتَتَجاوَزُ، وفي ب مكانها: لعوث، وفي ب وج: فكر، مكان فِكري.

(٤) استامها: طلب مَعرِفَة ثَمَنِها لِيَشتَرِيَها، أو غالى في ثَمَنِها، وفي الهاشمي: سامها.

قريش ترعى الذمام(1)

ودخل بلد القطيف* ، بعد مدة، فأوسعه بعض بني عبد شمس(2) كرامةً، ولطفًا، ورأى ممن كان بينه وبينهم روابط صحبة من بني المقلد(3) ممن ينتسب إلى وائل* من ربيعة بن نزار* (4)، جفاءً، فشكر أولئك شاكيًا من هؤلاء، للسنة السابعة عشرة بعد الألف:

رَعَت قُرَيشٌ* فينا الذِّمامَ على جَفا ابنِ بكرِ بن وائل القُربى(5)
للّهِ هُم ! ما أحَبَّ للضَّيف، إنْ حَلَّ(6)، وللطَّيِّبات ما أحبا
قَومٌ إذا أفضلوا عليك رأوا(7) شُكرَك ما أفضلوا بِهِ ذَنبا

---

(1) تخريجها في الهاشمي ص: ٩، وأ ص: ١٩ - ٢٠، وب ص: ٤٩ - ٥٠، وج ص: ٣٧ - ٣٨.

(2) عبد شمس: اسم لثلاثة أجداد جاهليين هم: عبد شمس بن يشجب، وهو سبأ بن يشجب، وعبد شمس بن وائل بن قص بن حِمير من القحطانية، وعبد شمس بن عبد مناف بن قُصي من قريش من عدنان، من ولده أمية، ونوفل، وربيعة، وهو من أصحاب الإيلاف، كان مُتَّجَرُهُ إلى الحَبَشَة*، ومات بمكة*، وعبد شمس، أيضًا، اسم قبائلَ عدةٍ من العرب* أشهرها بنو عبد شمس بن سعد بن زيد مناة من تيم، ولعلّها المقصودة، لأن منازلها بناحية هَجَر*، مما يلي الأحساء*، وهذه إشارة لوجودها في القطيف*. راجع: الأعلام، ودائرة معارف البستاني ج ١١/٥٩٢.

(3) ذهب الشيخ علي البلادي*، وتابعه، في ذلك، خالد الفرَج*، إلى أن آل المقلد، هؤلاء، من ذُرِّيَّة قُرواش بن المقلد العقيلي، الذي تغلّب على الدولة العباسية في العراق*، وأقام دولته في الجزيرة*، فلعلهما لم يلتفتا إلى أن قرواشًا العقيلي ينتمي إلى قبيلة عُقَيل* من عامر بن صعصعة* من هوازن*، في حين أنَّ أبا البحر، في أكثر من موضع، يُصرِّح بانتماء آل المقلد*، هؤلاء، إلى بكر بن وائل*. راجع أنوار البدرين ص: ٣٣٦، ومجلة المنهل، العدد ٢ لشهر صفر ١٣٦٩هـ، وترجمة عبد الله بن المقلد في ج ٢٦٨/١ الهامش «٢».

(4) قبيلة وائل بن قاسط* بطن من ربيعة من نزار من العدنانية، أشهر فروعها بكر* وتغلب*، وفي أ وب وج: وائل بن ربيعة بن نزار.

(5) في الأصول: القربا، ورسم الكلمة هكذا جائز في القوافي، وفي أ وب مشكولة بفتح الراء، وفي الهاشمي وج بدون شكل.

(6) في ج: جل، بجيم معجمة مكان الحاء المهملة.

(7) في أ: رءاوا، وفي ج: راوا.

حتى تَرى صِدقَ ما مَدَحتَهُمُ(١) به، لإنكارِهِم لـه، كَــذِبَا
يُولُونَ ما دُونَ عِرضِهِم، لا يُبا لُونَ أتبِــراً أعطَوهُ أم تُـربَا
ولا(٢) يُبَـالُون حِينَ يَجـتَـمعُ الـ عِرضُ بمـال إذا غَـدا نَهـبَا
لو عَـبَـدَ النَّاسُ دُونَ خَـالِقِـهِم ما عَبَدُوا دُونَ عِرضِهِم رَبَّا(٣)
يَبقَى لنا الجُودُ ما بَقُوا؛ فَمَتَى قَضَوا قَضى الجُودُ، بَعدَهُم، نَحبا(٤)
لا فَطَمَـتـهُم أمُّ البَـقـاءِ، ولا سَـامَـهُمُ كـأسُ مَنِيَّـةٍ شُـربا

* * *

(١) في أ: مذحتهم، بذال معجمة مكان الدال المهملة.

(٢) في ج: لا يبالون.

(٣) في ب: لو عبدوا، مكان لو عبد، وسوف يُكَرِّرُ المعنى في قوله جـ ١/٣٨٢:

وقُلتُ لو انَّ الحُسنَ يَعبُدُ رَبَّه لكان، لما فيه من الحسن، يعبدُ

وقوله جـ ٢/٦٨: فتراءَت لو يَعبُد الناسُ وجهًا لم يَكُن غيرَ وجهها مَعبُودُ

وقوله جـ ٢/٨٢:

لو سَاغَ أن يَعبُدَ الناسُ امرءاً لعُلىً جُملَتُهُ، لعُلاه، الدَّهرَ، مَعبُودي

وهو مأخوذ من قول القاضي أبي بكر عبد الله بن محمد بن جعفر الأسكي:

لو جازَ أن يَعبُدَ امرُؤ أحداً، من دُونِ رَبِّ الورى، إذاً عُبِدا

راجع: يتيمة الدهر جـ ٣/٤٨١ - ٤٨٢، جـ ٥/١١٣.

(٤) ينظر إلى قول عيسى بن أوس:

يَعِيشُ النَّدَى ما دُمتَ حيّاً، فإن تَمُت فليس لحيٍّ بعــد مــوتِكَ طائلُ

وقول الحسين بن مطير الأسدي:

ولَمَّا قضى معنٌ مضى الجُودُ، وانقضى وأصبح عِـرنِينُ المكارمِ أجـدَعـا

وقول عبد قيس بن خُفاف البرجمي:

يَعِيشُ الندى ما عاش حاتِمُ طَيٍّءٍ وإن مـات قـامت للسَّخاءِ مـآتم

وقول المتنبي*: كُتِبَت، في صَحائفِ المجدِ، بِسمٌ ثمَّ قَيسٌ، وبعد قَيسِ السلامُ

وقول الأخطل، وليس في ديوانه:

إذا متَّ ماتَ العُرفُ وانقَطَعَ النَّدَى من الناس الأ في قليلٍ مُصَـرَّدِ

وقول علي بن جبلة «العكوك*»:

إنَّما الدنيا أبو دُلَفٍ* بين باديه، ومُحتَضَره
فـإذا ولَّى أبو دُلَفٍ* ولَّت الدنيا على أثَرِه

وقوله:
إنَّمـا الدنيا حمـيدٌ وأياديه الجِـسـامُ
فـإذا ولَّى حـمـيـدٌ فعلى الدنيا السلامُ

راجع: فوات الوفَيَات جـ ١/٣٨٩، ومعجم الأدباء جـ ١٠/١٦٦ و١٧٨، وحماسة أبي تَمّام جـ ١/٣٨٧ و٣٨٩، والحماسة البصرية جـ ١/٢٠٩، وأمالي المرتضى جـ ١/٢٤ و ٢٧، والمستطرف جـ ١/١٨٤، وديوان المتنبي ص: ١٦٥، والأغاني جـ ٨/٢٤٦، ووفَيَات الأعيان جـ ٣/٣٥١ و٣٥٢.

ولو في الطيف(١)

وذُكِرَ له سلطان جهة صُحار(٢)، وهو مهنّا (٣) بن هُدَيف*، ينتمي إلى بني تغلِب بن وائل*، من نسل عمرو بن كلثوم*(٤)، صاحب إحدى المعلقات السبع، وهو من أشراف بني تغلب*، فقال فيه

---

(١)تخريجها في الهاشمي ص: ٧٥ - ٧٦، وأ ص: ١٩- ٢١، وب ص: ٥٠ - ٥١، وج ص: ٣٨ - ٣٩، ومنها في أعيان الشيعة مج ٤/١٦١ «١١» بيتًا.

(٢) صُحار*: منطقة زراعية، ومركز لصيد السمك، تحتل شريطًا ساحليًا يُعَدُّ امتداداً لساحل الباطنة؛ بين السيب وخَور فكّان، حاضرتها صُحار، وهي مدينة وميناء، وكانت تُعَدُّ الميناء الرئيس لِعُمان*. راجع: المنجد في الأعلام، وأطلس التاريخ الإسلامي خ: ١٠٤ و ١٠٥، ودليل الخليج جفر جـ ٧/٢٣٩٣، وصحار تاريخ وحضارة ص: ٨ و٣١ و٣٢.

(٣)في أ وب وج مهنى، وهو مهنا بن محمد الهديفي، أحد سلاطين صحار بعُمان* في زمن الإستعمار البرتغالي للخليج*، لم تذكر المصادر العمانيّة من أحواله إلاّ أنّ العجم* «الإيرانيين» عزموا على غزو صُحار*، فاستنجد بسليمان بن مظفَّر، وهزمهم، ويستدل من معاصرته لسليمان هذا أنّ فترة حكمه ربما كانت من أواخر العقد التاسع من القرن العاشر حتى سنة ١٠٢٥هـ حيث يحتمل أنها السنة التي توفي فيها، ولم تشر المصادر إلى أي احتكاك، أو علاقة، بينه وبين البرتغاليين*، كما لم تشر إلى أي وجود لهم في صحار* منذ خسروها في ثورة الأهالي التي قادها شرف الدين* ضدهم سنة ٩٣٤ هـ ١٥٢٦م، ويمكن أن يعزى ذلك إلى ما يتمتَّع به الرجل من حنكة ومنعة، ثم تولّى الحكم بعده ولده محمد، والظاهر أنه كان غراً متهوِّراً، وقد تسبب تهوره في نكبة له ولبلده صحار، وذلك أنّه افتتح عهده بأن هجم على دير عمير في باطنة السيب بتحريض من أحد أعوانه، واسمه سلطان بن حمير، وقتل حاكمها علي بن حمير، فكان رد فعل أخي القتيل، واسمه عمير بن حمير، أن تحالف مع البرتغاليين المتربصين لاهتبال أية سانحة، وتواطأ معهم على غزو صحار، وبذلك قدَّم لهم الفرصة على طبق من ذهب، فجهَّزوا حملةً قُتِل فيها محمد بن هديف، ومساعده سلطان بن حمير، وأحرق البرتغاليون المدينة، بعد أن استباحوها، وارتكبوا فيها أفظع الجرائم. راجع: تحفة الأعيان جـ ١/٢٦٢، وتاريخ أهل عمان ص: ١٠٦، وعمان عبر التاريخ جـ ٣/١٤٩- ١٦٤، وقصص وأخبار جرت في عمان ص: ٨٨، والخليج العربي بلدانه وقبائله ص: ١٨٣- ١٨٧.

(٤)عمرو بن كلثوم*، وُلِد في مطلع القرن السادس للميلاد، زعيم تغلبي، وشاعر جاهلي نصراني، شارك في حرب البسوس*، صاحب المعلقة المشهورة التي مطلعها:

ألا هُبّي بِصَحنِكِ فاصبحِينا ولا تُبقِي خُمُورَ الأندرينا

قالها في مجلس عمرو بن هند*، ملك الحيرة*، في آخر جلسات المناظرة التي عقدها عمرو بن هند* بين بكر* وتغلب* في محاولته التوفيق بين القبيلتين، بعد أن كاد صلح البسوس* أن ينتقض بسبب موت جماعة من تغلب* كان عمرو بن هند* قد أخذهم رهائن في حكاية معروفة، وكان المُناظِر لعمرو بن كلثوم* هو الحارث بن حلزة اليشكري*، فتمكن من استمالة عمرو بن هند* إلى جانب بكر* لما حشا به معلقته من مدح للملك، بخلاف عمرو بن كلثوم* الذي تطاول عليه، وتوعَّده في معلقته، ولذلك حكم لبكر* على تغلب*، مما أسخط عمرو بن كلثوم*، ويقال إنّ عمرو بن هند* استزار عمرو بن كلثوم* وأمه، وعندما زاره طلبت أم عمرو بن هند* من والدة عمرو بن كلثوم*، وهي ليلى بنت المهلهل*، وعمَّة امرئ القيس*، أن تُناولها شيئًا، فرأت في ذلك استهانةً بها، وإذلالاً، فصرخت: واذلاّه! فسمع ابنُها، عمرو*، نداءَها، فاستلَّ سيفه، وأطاح برأس عمرو بن ==

رعايةً لجانب النسب، وهو يومئذٍ بالقطيف*، وبعث بها إلى صحار للسنةِ السابعة عشرة بعد الألف:

إنَّا إذا جارَ الزَّمانُ وسامَنا، ظُلمًا، وجَشَّمَنا رُكُوبَ الحَيفِ(١)
لُذنا، على بُعدِ الدِّيار، بِجانبِ خَشِنٍ يُذِمُّ على الشِّتا، والصَّيفِ(٢)
دفءٌ، إذا ما القَرُّ عَضَّ، وناسِمٌ صَرِدٌ إذا ما فارَ وَهجُ الهَيفِ(٣)
ونَدىً، إذا ما كان عَامٌ مُجدِبٌ، واستَثقَلَ الطَّائيُّ ذِكرَ الضَّيفِ(٤)
لا يُدرك المرتَادُ بين جَنابِهِ فرقًا وبين مَغاصِ أُمِّ الشَّيفِ(٥)
يَعتَدُّ إعطاءَ المَئِينِ، كَوامِلاً، نَقصًا؛ فيُكمِلُ عَدَّهُنَّ بِنَيفِ(٦)

== هند*، توفي عمرو بن كلثوم* سنة ٥٧٠ م، وللدكتور طه حسين* رأيٌ متشكّك في القصة والمعلّقة. راجع: من تاريخ الأدب العربي جـ ١/٢٢٤، والشعر والشعراء ص: ١٤١ - ١٤٢، وتاريخ الأدب العربي لفروخ جـ ١/ ١٤٢ - ١٥١، والمنجد في الأعلام، وتاريخ الأدب العربي للزيات ص: ١٤٢، والأعلام.

(١) سامنا: أولانا، وجشّمنا: كلّفنا، والحَيف: الجور والظلم.

(٢) في الهاشمي: حسن، بحاء وسين مهملتين مكان خشن، بالخاء والشين المعجمتين، وفي الأعيان مكانها: امسى، ويذم، شرحها في حاشية أ وب: «اذم على الشيء إذا جعله في ذمته جنّة»، والأقرب من هذا المعنى لمراد الشاعر: يجير، من أذم أي أجار، لقوله: «لذنا».

(٣) في ب: دفي، مكان دفء، وفي أ وج دفي، والقرُّ: البرد، والناسم: الهابُّ، من تَنَسَّمت الريح، أي هبت نسيمًا، وصَرِد: بارد، وفي أ مكانها: طرد، وفي ج: صردا، والهَيف، بفتح الأول وسكون الثاني: شدّة العطش، وهنا: ريح حارة تأتي من ناحية اليمن نكباء، بين الجنوب والدبور، تيبس النبات، وتعطش الحيوان، وتنشف المياه، وفي الأعيان: الصيف، والمعنى كأنه أخذه من قول بكر بن النطاح*:

إذا كانَ الشتاء فأنت شمسٌ وإن دخل المصيفُ فأنت ظلُّ

وقول تأبّطَ شرًا: شامِسٌ في القَرِّ حتى إذا ما ذَكَت الشِّعرى فَبَردٌ وظلُّ

العقد الفريد جـ ٤/٣٨ جـ ٦/١٩٣، وديوان تأبط شرًا ص: ٦٤.

(٤) الندى: المطر، والجود، والفضل، وفي أ والأعيان مكانها: وندا، ومجدب: ممحل، وفي أ وب وج مكانها: مجذب، بذال معجمة مكان الدال المهملة، والطائيُّ: هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج، يضرب به المثل في الكرَم، شاعر جاهلي اشتهر بشجاعته وسخائه، ورث الكرم عن أمّه عنبة بنت عفيف الطائية، أما أبوه فكان بخيلاً، يقال إنّه تنافر مع أبيه لأنه فرق ماله في ثلاثة من الشعراء اجتازوا به وأضافهم هم: عَبيد بن الأبرص*، والنابغة الذبياني*، وبشر بن أبي حازم، وكانوا في طريقهم يريدون النعمان بن المنذر*، له ديوان شعر مطبوع، عاش نحو ستين سنة، وتوفي سنة ٦٠٥ أو ٦٠٧م، وفي الأعلام توفي سنة ٥٧٨م. راجع: تاريخ الأدب العربي لفروخ جـ ١/١٨٦، والشعر والشعراء ص: ١٤٦.

(٥) في الأصول: لا يملك، ولعل الصواب ما أثبتناه، وأم الشَّيف: أحَدُ مغاصات اللؤلؤ في الخليج*؛ بين البحرين* وقطر*، يقع شمالي رأس لفّان بنحو ١٢ ميلاً، وشرحها في الهاشمي وأ وب: معدن بالبحر من معادن اللؤلؤ بنواحي البحرين*. راجع: مجاري الهداية ص: ١٣٦.

(٦) يعتدُّ: يحتسب، والكلمة في ج غير منقوطة، والمئين، بكسر الميم وضمها: المئات جمع مائة.

لا يَطلُب العِــلاَّتِ، إن تَنزِل به   في دَفعِ نائبــةٍ، بِلِم، وبِكَيف[١]
ورَدَىً، إذا مـا كـانَ يومُ كَـرِيهَـةٍ   ودُعِي بِحَيَّ على قِـراعِ السَّـيفِ[٢]
مَـــولَى مَـــوالِي تَـغلِبَ ابنةِ وائلٍ   وحُسـامُ يُمناها الفتى ابنُ هُدَيف*
وسَبيكَةُ النَّسَبِ التي لم تَرمِ، في   دينارِها، أيدِي الوُصُـومِ بِزَيف[٣]
مَن لي بِحَـضـرَتِهِ التي مَن زارَها   فكأنَّمـا قـد زار وادِي الخَـيفِ[٤]
{يا ربُّ، إن لم تـقضِ لي بلقــائه   في يـقظةٍ؛ فـامنن به في الطيف}[٥]

* * *

(١) العِلاَّتُ، جمع عِلَّة: الحُجَّة، والسَّبب، وفي ج: نائبه، بهاء مهملة مكان نائبَة بالتاء المربوطة.

(٢) الرَّدَى: الهَلاك، وفي ب وج مكانها: وردي، بياء مثناة تحتية مكان المقصورة، وحَيَّ على: اسم فعل بمعنى الأمر مَبنيٌّ على الفتح معناه: هَلُمَّ، وأقبل، وفي ب وج: حيعلى.

(٣) السَّبِيكَة: القِطعَة من الذَّهَب، وغيره، ذُوِّبَت ثم أفرغَت في القالب، والدِّينار: عُملَةٌ ذهبية قديمة، أو هو قطعة من الذهب، ويشبهونه بالشمس، وفي الأعيان: مصفاتها، والوُصُوم، جمع وَصم، بفتح الأول وسكون الثاني: العار، والعيب.

(٤) الخَيف، بفتح أوله، وسكون ثانيه: ما انحدر من غِلظ الجبل، وارتفع عن السيل، وهنا: موضع بمنى به المسجد المعروف باسمه. راجع: معجم البلدان جـ ٢/٤١٢.

(٥) في أ وب وج: يقضتي، بالضاد أخت الصاد، والبيت ليس في الهاشمي، وأضفته منها، ومن الأعيان.

مَراتِعُ الصِّبا[1]

وكـان بَينَهُ وبين {بَعض}[2] ذَوي الشُّـهـرَةِ من أهلِ القطيف* من المَعرفَةِ ما دَعاهُ إلى طَلَبِ الحوائج منه، فقال فيه، وأضرَبَ عن ذكره؛ إبقاءً على الشِّيمَةِ عن الإشادَةِ بذِكرِمَن قَعَدَ به جِدُّه، ونَهَضَ به وُجدُهُ[3]، وهنَّاه بعيدِ الفطر للسنة السابعة عشرة بعد الألف، وهو أيضًا بالقطيف*:

هَلاَّ سَألتَ الرَّبعَ مِن سَيهاتِ* عن تِلكُمُ الفِتيانِ، والفَتَياتِ؟[4]
ومَجَرِّ أرسانِ الجِيادِ كأنَّها، فَوقَ الصَّعيدِ، مَسارِبُ الحَيَّاتِ
ومُجَدِّفاتِ السُّفنِ تُدني بَرَّها من بَحرِها، ومَبارِكِ الهجَماتِ[5]
حيثُ المَسامِعُ لا تَكادُ تُفيقُ من تَرجيعِ نُوتيٍّ، وزَجرِ حُداةِ[6]
إنَّ القَطيفَ*، وإن كلِفتُ بِحبِّها وعَلَت على استيطانِها زَفَراتي[7]

(١) تخريجها في الهاشمي ص: ١٦ - ١٧، وأ ص: ٢١ - ٢٢، وب ص: ٥١ - ٥٣، وج ص: ٣٩ - ٤٠، ومنها في أعيان الشيعة مج ٤/ ١٦١ «١٩ بيتًا»، وفي ساحل الذهب الأسود ص: ٢٨١ ستة أبيات.

(٢) ليست في الأصول، وأضفتها لإقامة المعنى.

(٣) الجِدُّ، بكسر الأول: الإجتهاد، والوجد، مثلَّثة: اليسار.

(٤) في أ وب وج: هل لا، مكان هلاَّ، وسيهات*، بفتح الأول وسكون الثاني؛ مدينة ساحلية من مدن القطيف* الرئيسية، تُعَدُّ من أجمل مدن الساحل الشرقي للملكة العربية السعودية، تقع إلى الجنوب من القطيف*، الحاضرة، بحوالي «٨» كيلومترات، تتصل مبانيها بمدينة الدمام* من الجنوب، وبمدينة عنك* من الشمال. راجع: ساحل الذهب الأسود ص: ٤٩، والمعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية ج ٢/٨٩٣، و دليل الخليج جغر ج ٥/ ١٨٨٥.

(٥) المجَدِّفات: السفن التي تُدفع أو تُسَيَّر بالمجداف، وتُدني بَرّها: تُقرِّبه، وفي أ: أدني، بالبناء للمجهول، وفي ب وج: أدنى، بصيغة المعلوم، ولعل الصواب ما أثبتناه، والهَجَمات، جمع هَجمَة: القِطعة من الإبل؛ من الأربعين أو من السبعين إلى ما دون المائة.

(٦) النُّوتيُّ: الملاَّح، وفي الهاشمي: وزجز، بزايين معجمتين مكان ورجز، والحداة، جمع حادي: الذي يسوق الإبلَ بالغناء، وفي أ وب وج: حدات.

(٧) في ب وج: زفرات.

لأجلُ ملتَمَـسِي، وغَـايَةُ مُنيَـتِي	أنِّي أقِـيمُ بتِلكُم السَّـاحَـاتِ(١)
إذ أينَ جزتُ رأيتُ فيـهـا مَدرَجِي	طِـفـلاً، وأترابِي، بـهـا، ولِداتِي(٢)
فَسَقَى الغَمـامُ، إذا تَحَمَّلَ رَكبُهُ،	تلكَ الرِّحـابَ الفيحَ، والعَرَصَاتِ(٣)
واجتَـازَتِ المُزنُ العِشـارُ فَطَبَّـقَت	بـالسَّـقيِ من عَنك، إلى نَبكَاتِ(٤)
حتى تَوَشَّحَ بالجَمِـيمِ، وتكتَسِي	رَبَواتُـهـا بِنَواجِمِ الزَّهَرات(٥)
أفـلانُ، إنِّي قَـد بَدا لِيَ عِندَكُم	غَـرَضٌ يُهَـجِّنُ ذِكـرُهُ(٦) أبيـاتِي

(١) ترتيب البيت في الأصول السابع، وقدمته مراعاة للسياق.

(٢) في الأعيان: حيث، مكان أين، والأتراب جمع ترب: مَن وُلد معك في وقت متقارب، ومثلها اللِّدَات جمع لِدَة، وفي ب وج مكانها: لدات، وترتيب البيت في الأصول السادس، وأخَّرته هنا مراعاة للسياق، وهو ينظر إلى قول ابن الرومي*: بَلَدٌ صَحِبت بها الشبيبةَ والصبا ولبِستُ ثوب اللهو وهو جديد

وقول جُمل السلمية:

بلادٌ بها حَلَّ الشَّباب تَميمَتِي وأوَّل أرضٍ مَسَّ جِسمي تُرابها

راجع: ديوان ابن الرومي جـ ٢/٧٦٦، وأمالي القالي جـ ١/٨٤، والكامل في اللغة والأدب جـ ١/٥٤٨، وفيه: عقٍّ، مكان حل.

(٣) الرِّحاب، بكسر الأول وفتح الثاني، جمع رَحبَة: الأرض الواسعة ذات النبات، والفِيح جمع فيحاء: الواسعة، وفي ج مكانها: الفح، بدون ياء، والعَرَصات جمع عَرصَة: كلُّ موضع واسع لا بناء فيه.

(٤) المُزن، جمع مُزنَة: السحاب ذو المطر، أو هو المطر، والعِشار، جمع عُشَراء، كسَرُوه على ذلك، وهي في الأصل من النوق، ما مضى على حَملِها ستة أشهر، أو عشرة، حملها على الإستعارة، يريد السحاب الحامل للمطر، وعَنَك*، جمع عَنِيك، وهوالرمل، سمي به الموضع المعروف الواقع على الساحل جنوب حاضرة القطيف*، بينها وبين مدينة سَيهات*، وكانت في الماضي قرية تسكُنها قبيلة العليوات*، ويفد إليها بنو خالد* فيقيمون بها مدة الصيف، ثم يعودون لانتجاع البادية، وبعد أن تخلَّوا عن البداوة تَوَطَّنُوا فيها، فتحولت الآن إلى مدينة، ونبكات أصلها نبك، ونباك، واحدتها نبكة، جمعوها جمعًا سالمًا على غير قياس، وهي أكمات من الحجارة والرمل محددة الرؤوس، ويكثر وجودها جنوبَ سَيهات* إلى الظهران، وقد ذكر ياقوت منها روابي الجرعاء بالأحساء*، والمراد هنا قرية تقع جنوب سيهات* لكنها اندثرت بعد عصر الشاعر، ويُستدل من «قانون نامة لواء القطيف لعام ٩٥٩هـ» على أنها كانت، آنذاك، موجودة حيث جاء فيه أن بها ٨٠ منزلاً، وعند الهاشمي*: بنكات، بتقديم الباء، وعدها من قرى القطيف*، دون إشارة لاندثارها، والتصويب من أ وب وج، وقد ضبطها الجاسر بتقديم الباء اعتماداً على الهاشمي. راجع: المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية جـ ٣/١٣٥٠، وقانون نامة.

(٥) الجميم: النبت الكثير الناهض المنتشر، وفي ج مكانها: بالجهيم، بهاء مكان الميم، والنواجم، جمع ناجمة: النبتة الطالعة، والعبارة مكررة في البيت «٤» جـ ٢/١٦، وفي البيت نظر إلى قول أبي تمام*:

حتى تُعَمِّمَ صُلعُ هاماتِ الرُّبى من نَورِهِ وتُأَزِّرَ الأهضـامُ(*)

ديوانه ص: ٢٤٧.

(٦) في الأعيان: بذكره.

(*) الأهضام: ما انخفض من الأرض.

لا شَيءَ أحقَرُ منه، إلاَّ أنَّني ... أعتَدُّهُ من أكبَرِ الزَّحَمات[١]

فوَصَلْتُهُ بك، وهو بَعثُ عِمامَةٍ ... فِضِّيَةٍ، ذَهَبِيَّةِ العَذَبات[٢]

يَحكي خُدودَ البِيضِ سائرُ لونِها ... و«كَنارُها» في حُمرَةِ الوَجَنات[٣]

أو لَونَ بِيضِكُمُ إذا ما استُنضِيَت ... ورُجُوعَها مُحمَرَّةَ الشَّفَرات

فاصفَح، وغُضَّ عن الإساءةِ، إنَّ من ... شِيَمِ الكِرامِ تَجاوزَ الهَفَوات[٤]

إذ من يُكلِّفُكَ اليَسِيرَ كَمَن يَسُو ... مُ الغَيثَ واحِدةً من القَطَرات

هذا، وأقسِمُ بالمُحصَّبِ من منىً* ... ووُقُوفِ وفدِ الحَجِّ في عَرَفات[٥]

وبِما أُطيحَ، هُناكَ، من شَعرِ امرئٍ[٦] ... وبِما أُريقَ، هناك، من دَمِ شاة

لولا اعتِقادي فيكَ أنَّكَ تَشتَري ... ما استَغلَتِ الأقوامُ من مِدحاتي[٧]

لم أثنِ وجهَ رَجايَ نَحوكَ، لا، ولم ... أفتَح، بمسألةٍ إليك، لَهاتي

فأنا، وإن عَضَّ الزَّمانُ بِغارِبي ... أو فلَّتِ الأيَّامُ حَدَّ شَباتي[٨]

لأصُونُ عن مَدحِ اللئام، تَرَفُّعًا، ... شِعري، وأقصُر، دُونَهم[٩]، خُطُواتي

فاستَجلِها عَذراءَ بِنتَ سُوَيعَةٍ ... من حُرٍّ[١٠] ما جادَت به كلِماتي

---

(١) أعتَدُّه: أعدُّه وأحسبه، وفي الهاشمي: أعددته، والزحَمات جمع زحمة: الزحام، وهنا المضايقة، والإحراج.

(٢) العذَبات، جمع عذَبة: الأطراف.

(٣) في ب وج: تحكي مكان يحكي، والكِنار: الحاشية، فارسية عامية معرَّبة، وفي الأصول مكانها: وكنائر، وفي ب بدون همزة، ولعل الصواب ما أثبتناه. راجع: المعجم الذهبي.

(٤) في الأصول: واصفح، مكان فاصفح المثبتة هنا بتصرُّف، وفي الأعيان: وعد، مكان، وغضَّ، وفي أ: وغط، وفي أ والهاشمي: الكريم، مكان الكرام.

(٥) المحصَّب: مَوضعُ رَمي الجِمار في منى*، أو هو الشِّعب الذي مخرجه إلى الأبطح، بين مكة* ومِنَى*، ومنى: موضع قرب مكة المكرمة* وعَرَفات، فيها مرمى الجمار، يقع بالقرب منها غار حِراء الذي كان النبي* (ص) يتعبَّد فيه قبل البعثة، وفي أ وب وج: من عرفات، مكان في عرفات.

(٦) في أ ب وج: امرىء.

(٧) في ب وج والهاشمي: تشترى، بالمقصورة، مكان تشتري، بالياء المثناة، واستَغلته: وجَدَتهُ غاليًا، أي استَكثَرت ثَمَنَه، وفي الهاشمي مكانها: أشلت، وفي ب: مدحات، وفي ج: مدهاب، مكان مدحاتي.

(٨) في الأعيان: اني، مكان فأنا، والغارِب: الكاهِل، وأعلى الظهر، والشباة: حد ما يقطع من السيف، وفلَّت: ثلَّت أي كسرت.

(٩) في أ: دونها.

(١٠) في أ وب وج: واستجلها، مكان فاستجلها، وحر، مضبوطة في أ: بفتح الحاء، ولعله خطأ صوابه بضمها.

لو تُنشَـــدُ الطائيَّ ألغى عندها (أحبِب إليَّ بطَيف سُعدَى الآتي)[1]
واستَـقبِل العِيدَ المُبـاركَ مُـوقِـراً رَمَـضَـانَ من صَـوم ومن صَلَوات[2]
واغنَم بِمـا أوتيتَ من أجـرٍ على الـ ـماضي، وطِب، نَفساً، بِسَعدِ الآتي[3]

* * *

(١) الطائي هو: ابو عبادة البحتري*، واسمه الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شملال بن سلمة بن مشهر بن الحارث بن جشم، أديب وشاعر شهير، ولد بمنبج من أعمال حلب سنة ٢٠٦هـ، وبها نشأ، ثم انتقل إلى العراق، وأقام بها زمنًا، ولزم فيها أبا تَمّام*، فترسَّمَ خطاه، مدح جعفراً المتوكل على الله، ووزيره الفتح بن خاقان، والمنتصر، والمستعين*، والمعتمد، وغيرهم من الرؤساء، والأمراء، ثم عاد إلى منبج*، وتُوفِّيَ فيها، أو في حلب سنة ٢٨٦هـ، له ديوان شعر، وله: معاني الشعر، والحماسة على مثال حماسة أستاذه أبي تمام*، وفي أ: الغي، مكان ألغى، وعجز البيت تضمين لصدر بيت للبحتري*، وهو مطلع قصيدة يفتخر فيها، ويعاتب قومًا من أهل بلده، وهذا التضمين يسميه البديعيون التلميح، والبيت كاملاً هو:

أحبب اليَّ بِطيف سُعدَى الآتي وطروقِـه في أعـجَبِ الأوقـاتِ

ديوانه جـ ٢/٦٤، والموازنة ص ٦ - ٨، وتاريخ الأدب العربي لفروخ جـ ٢/٣٥٧، ومن تاريخ الأدب العربي جـ ٢/٣٥٦، وأدباء العرب جـ ٢/٢١٢، ومعجم المؤلفين جـ ١٣/١٧٠.

(٢) مُوقِراً: مُحَمِّلاً، وفي الأعيان مكانها: من قرا، وفي أ: صلواتي، مكان صلوات.

(٣) في ج: واعنم، بعين مهملة مكان واغنم، بالغين المعجمة.

نجم السعد (١)

ورابَه ما يَرى من بعض الإخوان من عدم الوفاء(٢)، والإستمرار على الجَفاء، فقال، عاتبًا، وخاطب(٣) بها الخواجة(٤) إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن تقي* (٥)، والله أعلم بالصواب:

لإبراهِيمَ خالِصَتِي، ووُدِّي ... وصَفْوُ سَرِيرَتِي، ووفاء عهدي
فَتىً ما زال، مُذ نيطَت عليه ... تَمائمُه*، يُعِيدُ نَدىً، ويُبدِي(٦)
تَفَرَّسَ ناظِرُوه الخَيرَ فيه ... وليداً، وهو في خُرَقٍ ومَهدِ
فما سَحَبَ امرُؤٌ شَرواهُ فَخراً ... ذُلاذِلَ رَيطَةٍ، وفُضُولَ بُردِ(٧)
أغَرُّ، عليه مُتَّكَلِي، إذا ما ... تَحَامَتني الوَرَى، وله مَرَدِّي(٨)

(١) تخريجها في الهاشمي ص: ٢٣ -٢٤، و أ ص: ٢٣ - ٢٤، وب ص: ٥٣ - ٥٥، وج ص: ٤٠ - ٤١، وأعيان الشيعة مجـ٢/٢١٢ - ٢١٣.

(٢) في ج: الوقار.

(٣) في ج: حاطب، بحاء مهملة مكان الخاء المعجمة.

(٤) في الأعيان: الخاجة، وفي ب وج الاخواجة، والكلمة فارسيَّة مَعنًاها تاجر، وثري، وصاحب، ووزير.

(٥) لم أقف له على ترجمة سوى ما ذَكَره السيد محسن الأمين* مخَرَّجًا من تقديم قصيدة الخطي الثانية التي قالها في مدحه ومدح الشريف ناصر بن عبد الجبار بن حسين العلوي الموسوي. راجع: جـ ١/٢٤٩، وقد ذُكر هناك بعنوان: «المعظم إبراهيم بن عبد الله بن اسماعيل، كاتب ديوان السلطنة بأوال*»، واسم جده اسماعيل، وهنا تقي، ولعله «نقي»؛ إذ إنَّ هذا لقب إحدى الأسر العلمية المعروفة في ذلك الوقت، منهم كاتب وثيقة الوقفيَّة «لنخل زدأدان» الشيخ تاج الدين بن عبد الله بن أحمد بن سليمان النقي، وهي مؤرخة في ٢٩ ربيع الأول سنة ٩٣٧هـ، ويستدل من مخاطبة أبي البحر له، في ختام رثائه للسيد ناصر بن عبد الجبار أن بينهما علائق وثيقة جداً. راجع جـ ١/٢٤٩، و٣٢٦، الهامش «٢»، وصورة وقفية زدأدان، مجلة الواحة، ع ٢، ربيع الثاني ١٤١٦هـ، سبتمبر ١٩٩٥م، ص: ١٦.

(٦) نيطَت: عُلّقَت، والتَّمائم، جمع تَميمَة: خَرَزاتٌ كانوا يُعَلّقونَها على الأطفال زَعمًا بأنها تَقِيهم من النفس، أي العين.

(٧) في ج: نما، بنون مكان فما، بالفاء، وفي أ وب وج: امرء مكان امرؤ، وشرواه: مثله، والذُّلاذل، بالمعجمتين: أسافل القميص الطويل، وأثواب تلبس فوق بعضها، وكلُّ واحد منها أقصر مما تحته لتظهر جميعًا للناظر، وفي أ وب وج مكانها: دلادل بالمهملتين، والريطة: ثوب ناعم رقيق يشبه الملحفة، وفي أ مكانها: زيطة، بزاي معجمة مكان الراء المهملة.

(٨) الأغر: الحسَن، وكريم الأفعال، وفي الهاشمي مكانها: أعز، بعين مهملة، وزاى معجمة، وفي البيت اكتفاء، ==

كَأَنَّكَ تَستَضيءُ بِهِ هلالاً إذا استَقبَلتَهُ، أو نَجمَ سَعد[1]
حَلَفتُ لأوقِفَنَّ عليه شُكري، على رَغبِ الوَرَى فيه، وحَمدي[2]
وما ألبَستُه حُلَلَ امتِداحي لِعَارِفَةٍ، أُأَمِّلُها، ورِفد[3]
وإن كَانَ الأنامُ بني نداه فجاديهم بما يجديه يجدي[4]
فإنَّ المَدحَ مَدحُ أخي التَّصافي من الإخوانِ، لامَدحُ المُكَدِّي[5]
أإبراهِيمُ*، يا أدنَى البرايا إلى عَدوَى، وأبعَدُ عن تَعَدِّي[6]
شَكَوتُ اليكَ[7] إخوانَ الليالي جُزُوا شَراً بما صَنَعُوهُ عِندي
أبَوا إلاَّ مُجَانَبَتِي، ورَمـيِي على وُدِّي لهم، بِقِلَىً، وصَدِّ[8]
أكان جَزاءَ ما سَيَّرتُ فيهم من الكَلِمِ التي يَبقَينَ بَعدي؟[9]
فَقَد فَنِيَت قَوافي الشِّعرِ مِمَّا أنيرُ بها مَدائحَهُم، وأسدي[10]
بُرُودُ ثَنًا مُضَاعَفَةٌ كَأنِّي نَسَجتُ لَهُم، بها، حَلَقاتِ سَردِ[11]

== وهو عند أهل المعاني نوع من الحذف، فإذا اقتضى المقام ذكر شيئين بينهما تلازم، وارتباط اكتُفي بأحدهما، والمعنى: بعد الله، فحذفت العبارة لوضوح الدلالة عليها.

(١) في ج: تستضئي، مكان تستضيء، وفي البيت نظر إلى قول المتنبي*:
فإنَّكَ ما مَرَّ النُّحُوسُ بِكَوكَبٍ وقابَلْتَهُ إلاَّ وَوَجهُكَ سَعدُهُ
ديوانه ص: ٥٥٧.

(٢) الرَّغب، مصدر أقامه مقام الاسم: الرغبة، في أ وب: على رعب، وفي ج: على رعم، والمثبت من الهاشمي.

(٣) العارفة: المعروف، والإحسان، وفي أ وب، وج: اؤملها، مكان أأمِّلها، وفي الأعيان: أؤملها.

(٤) الجادي: مُعطي الجدوى، أي العطية، ويجدي: يعطي.

(٥) في أ: اخا، مكان أخي، والمكدِّي: السائل، أي طالب العطاء، وفي أ وب وج مكانها: المكد.

(٦) في أ: ٔ إبراهيم، وفي ب وج: أُبراهيم، والعدوى: المعونة تطلب ممن ترجى منه، وفي أ مكانها: عدوي، بياء مثناة.

(٧) في أ وب وج: إليه، مكان إليك.

(٨) في الهاشمي وأ وب وج: ابو، مكان أبوا، وفي الهاشمي: ورمي، مكان ورميي، والقِلى: البغض الشديد، وفي الهاشمي وأ وب وج مكانها: القلا.

(٩) في الهاشمي: الذي، مكان التي.

(١٠) أسدي: أحسن.

(١١) السرد: الدرْع.

مَتَى ما أفرغَت، يَومًا، عَلَيهِم   وقَتهُم بَأسَ خَطِّيٍّ، وهِندي[1]
ولو أنصِفتُ، حين بَذَلتُ نُصحي   لَهم، ومَحَضتُهم أعلاقَ[2] وُدِّي،
وكَابَدتُ الذي كابَدتُ فيهم؛   زَوَوني بين أحشاءٍ، وكَبدِ[3]
تَغَيَّرَ وُدُّ هذا الناسِ جَمعًا   فما أدري بِلَومي من أبَدِّي[4]
فلا أعداك لُؤمُهُمُ فإنِّي   كَثيراً ما رأيتُ اللُّؤمَ يُعدي[5]
فَكَم حُرٍّ عَلِقتُ به صباحًا   فأمسَى وهو في أثواب عَبدِ[6]
فلو لا أن يَقُولوا جُنَّ هذا   وإنِّي إن حَزَزتُ حَزَزتُ جِلدي
لما أغضَيتُ عن أحَدٍ، فإنِّي[7]   أهَوِّنُ بالشِّكايَةِ بَعضَ وَجدي
فيابن محمدِ بنِ تَقيٍّ اسمَع   ثَناءَ مُبَرِّزٍ في النَّظمِ فَردِ
سَحَائبَ* إن تَزُر ناديكَ تُقلِع   مَواطِرُهنَّ عن أحواضِ شَهدِ
(تُشارِكُني الورى في الشِّعرِ ظُلمًا   على أنِّي المُبَرِّزُ فيه وحدي)[8]

* * *

---

(١)في أ: امزعت، مكان أفرغت، وفي ب: افزعت، وفي ج: افرعت، والخطِّي: الرمح المنسوب إلى الخط*، وهي القطيف*، بلد الشاعر، والهندي: السيف المصنوع من حديد الهند*، وهو المهنَّد، أيضاً، ومنه قول المتنبي*:

وإنَّ رِماحَ الخطِّ* عنه قَصِيرَةٌ   وإنَّ حَدِيدَ الهند* عنه كَلِيلُ

ديوانه ص: ٣٥٥.

(٢)الأعلاق، جمع عِلق: النفِيسُ من كلِّ شيء، وفي ب وج: اخلاص.

(٣)في الهاشمي: وكبدي.

(٤)في أ: بلوم، مكان بلومي، وأبدِّي أصلها أبدِّئ، سهِّلت همزة للتخفيف: أبدأ، وأقدِّم.

(٥)أعداك: أصابك بعدوى، وانتقل اليك، وفي الهاشمي وأ وب وج: لومهم بدون همزة، مكان لؤمهم، وفيها جميعًا: اللوم، والمثبت بتصرف، وقد أخذ المعنى من قول يزيد بن خذاق العبدي، ونقله:

ولقد أضاءَ لك الطريقُ، وأنهجَت   سُبُلُ المكارمِ، والهُدى يُعدي

وقول أبي تمام*: ولو لم يَزعني، عَنكِ للحلِم، وازعٌ   لأعدَيتَني بالحلِم، إنَّ العُلى تُعدي

وقول ابن الخياط: لمِستُ بِكَفِّي كَفَّه أبتغي الغِنى   ولم أدرِ أنَّ الجُودَ من كفِّه يُعدي

أمالي القالي جـ ٢/ ٨٠، والوساطة ص: ٢٢٣، وديوان أبي تمام ص: ١١٤.

(٦)في الهاشمي: في امثال عبدى.

(٧)في الأصول: واني.

(٨)سوف يكرر هذا البيت في جـ ٢٠٧/١، وفيها: دعوى، مكان ظلمًا.

أسخى من الغيث(١)

عَــذِيرِيَ مِن هذا العَــذُولِ المُــفَنِّدِ ... يُـرَدِّدُ وَجــــــدي بـالمَـلامِ المـرَدَّدِ(٢)
فَــهَب أنَّ هذا اللَّومَ مِنكَ نَصِـيحَـةٌ ... فَــأقــبَلُهــا لو كـــانَ قَلبيَ في يَدِي
وأهيفَ مــا الغُــصنُ الرَّطيبُ بِبَـالغٍ ... مَــدَى قَــدِّهِ في نُضـــرةٍ وَتَأَوُّدِ(٣)
يُعَـرِّضُ للتَّـقـبيلِ خَـدّاً كـمـا جَلَت ... يَدا صَـيـقَلٍ(٤) مَتنَ الحُـســامِ المُهَنَّدِ
ويَبــسِمُ عن أصـفَى من الدُّرِّ كَــارِعٍ ... بأعــذَبَ من مَـاءِ الغَـمـامِ، وأبرَدِ(٥)
تَمَلَّى(٦) بِبَـردِ العَـيشِ غَيـرَ مُـعَوِّلٍ ... على أنفُسٍ حَــرَّى، عليــه، وأكــبُدِ
ودامَ على مُــرِّ الجَــفَــاءِ، ولم يَـزَلْ ... على العَكسِ من حُــبِّي له، وتَـوَدُّدِي(٧)
وقــال اسلُ عنِّي بعدمـا قد تَـعَـرَّضَت ... لَـواحِـظُـهُ بـيـنـي وبـين تَـجَـلُّـدِي
سَـقَى مُنحَنَى الدَّاراتِ من سَفحِ عَـاقِلٍ ... حَـيـا مُـبرِقٍ، دانِي الشَّـآبيبِ مُرعِـدِ(٨)

---

(١) تخريجها في الهاشمي ص: ٢٤ - ٢٦، وأ ص: ٢٤ - ٢٦، وب ص: ٥٥ - ٥٨، وج ص: ٤٢ - ٤٤، ومنها في أعيان الشيعة مج ٤/١٦١- ١٦٢ «٣١ بيتًا»، وهي غير مؤرَّخة، ولم يكتب لها تقديم يستدلُّ منه على الممدوح، وأظنه الشريف محمد بن سليمان القاروني، أخا السيد ناصر بن سليمان القاروني، المترجم في الملحق ٢/٢٣٣.

(٢) العَـذير: العـاذر، والناصـر، وعَـذيري، منصـوب لمحـذوف تقـديره: هات، أي هات من يعذرني، أو ينصـرني، والعَذُولُ: اللائم، والمفَنِّد مثله، والذي يُكَذِّبُك، ويُسَفِّهُ رأيَك، وفي أ مكانهما: العدل والمفند، والوَجدُ: الحزن، وفي ج مكانها: وحدي، بحاء مهملة مكان الجيم المعجمة، والبيت يشبه قول بَشَّار بن بُرد*:

عَذيري من العُذَّال إذ يَعذِلونَني ... سَفـاهًا، ومـا في العـاذِلِينَ لَبِيبُ

ديوانه ص: ١٩.

(٣) في ج: فذه، بفاء موحدة بدل القاف المثنَّاة، وذال معجمة مكان قده، بالدال المهملة، والنُّضرة: الرَّونق، والحسن، واللطف، وفي الهاشمي نظرة.

(٤) الصَّيقَل: الذي يَسِن السيوف ويجلوها.

(٥) في أ: اصفا، مكان أصفى، والدر، اسم جمع واحدته دُرَّة: اللؤلؤة العظيمة، والكارع، فاعل: شارب الماء، من كَرَعَ، إذا مدَّ عُنُقَه نحو الماء، وشرب بفمه من موضعه من غير أن يشرب بكفه، ولا بإناء، وفي البيت نظر إلى قول جرير:

تُجري السِّوَاكَ على أغرَّ كأنَّه ... بَرَدٌ تحدَّر من مُتون غَمـام

ديوانه ص: ٥٥١.

(٦) تملَّى: تمتَّع.

(٧) في الهاشمي وأ: الجفآء، مكان الجفاء، وفي ب وج: الجفا بدون همزة، وفي أ: أزل، مكان يزل.

(٨) مُنحَنَى: مُنعَطَف، وفي أ مكانها: منحنا، والدَّاراتُ، جمع دارة، وهي مَواضِعُ عِدَّة في جزيرة العرب* عَدَّ منها ==

وحَلَّينَ بالنَّوَّار من عَطَلِ البِلَى — وبُدِّلْنَ من نَحسِ المُحُولِ بأسعُدِ[1]

مَنازِلُ مَنشُودٌ بها ضَائعُ* المُنَى — ومُرتَجَعٌ فيها على المُتَفقِّدِ[2]

لَعَمرُ أبي، والفَضلُ يُعزَى لأهلِه — لَقَد بَخَّلَ الطائيَّ* جُودُ محمَّدِ

فَتىً إن تَقُل: هاتيك خُطَّةُ سُؤدُدٍ، — على النَّجمِ، أو أعلى من النَّجمِ، يَصعَدِ

وذِي نائلٍ ما الغَيثُ في نَاقعِ الصَّفا — بأنقَعَ، يَوماً، منه، للآمِلِ الصَّدي[3]

مُضيءُ نَواحي السُّبلِ، مُبتَذَلُ القِرَى — جَميلُ المُحَيَّا، سَيِّدٌ لِمُسَوَّدِ[4]

مَتَى تَأتِهِ مُستَرفِداً تَلقَ مُصدِراً — رِكابَ الغِنَى، منه، على إثرِ مُوردِ

فما سَوَّدَ النَّسَّابُ وجهَ صَحيفةٍ — بأبيَضَ مِنهُ وجهَ أصلٍ، ومَحتِدِ[5]

كِلا[6] طَرَفَيهِ، حينَ تَنسبُهُ، إلى — عَليٍّ، وخَيرِ المرسَلِينَ مُحَمَّدِ

== ياقوت* نحو « ٧٠ » موضعاً، وعاقل مَواضع عدة، منها واد قريب من بطن الرُّمَة، وجبل، وواد بنجد*، ورمل بين مكة* والمدينة*، وموضع على الطريق القديمة لحُجَّاج البسرة*، وعن الجاسر*: أن عاقلاً: «مكان يعرف الآن باسم العاقلي، فيه مَزارعُ لأهل الرس». راجع: ياقوت، ومع الشعراء ص: ٨٤، والحيا: المطر، ومُبرِق: ذو برق، والشآبيب، جمع شؤبوب: الدفعة من المطر، وفي الهاشمي: دامي الشآبيب، مكان داني الشآبيب، وفي أ: داني الشئابيب، وفي ب: داني الشأبيب، وفي ج: داني الشابيب.

(١) في ب: بالأنوار، مكان بالنوَّار، وفي الأصول: عطلة، مكان عطل، والمثبت بتصرف، والبِلى: من بَليَ، أي رثَّ، وخلق، ودثر، من قدم العهد، وفي الهاشمي وأ: البلا.

(٢) في ج: منشور، مكان منشود.

(٣) النائل: العطاء، وفي الهاشمي مكانها: نايل، وفي ب وأ: نآيل، وفي ج: نأيل، والغيث: المطر، وناقع، فاعل من نقع بالشراب: اشتفى، أو من النقع، وهو الماء المستنقع، أي المجتمع، وفي ج: نافع، بفاء موحدة مكان القاف المثناة، والصفا، جمع صفاة: الصخر، وفي أ مكانها: الصفى، وأنقع: أقطع للعطش، أي أكثر إرواءً، وفي أ وب والأعيان: للأمل، مكان للآمل، وفي الهاشمي وج: للامل.

(٤) في ب وج: مضى، مكان مُضيء، والسُّبل، جمع سَبِيل: الطريق، وفي أ وب وج مكانها: السيل، بياء مثناة. ومبتذل: مبذول لطالبه، وفي أ مبتدل، بدال مهملة.

(٥) مرَّ هذا المعنى في قوله جـ ١/١٩١:

هَيهاتَ إن بُلِّت بآخَرَ مِثلِهِ — أيدي القَوابلِ ما حَضَرنَ لِمَولِدِ

وسيكرره في قوله جـ ١/٢٤٣:

لأعوَزَ أن يَأتي أبٌ بِشَبيهِهِ — سَمَاحَةَ نَفسٍ في طَهارَةِ مَولِدِ

وفي قوله جـ ١/ ٢٤٧: لأعوَزَ أن يَأتي أبٌ بِشَبيهِهِ — وإن كَثَّرَ الأبناءَ، يوماً، وأنجَبا

وفي قوله جـ ١/٢٨٤:

هَيهاتَ إن وَلَدَت له الدُّنيا أخَاً — أنَّى وقد عَقِمَت عن المِيلادِ؟!

وهو معنىً متداول، وقد ذكرنا شيئاً مما تداوله الشعراء من هذا المعنى جـ ١/١٩١.

(٦) في أ: كلى.

لَعَمري لقد أولى الجميلَ تَبرُّعًا | وما سِيمَ شَيئًا من نَداهُ المجَدَّدِ[1]
وَوالاهُ حتى ضِقتُ، ذَرعًا، بشُكرِهِ | وأكثَرتُ من قَولي لرائدهِ: قَد[2]
وشَتَّانِ ما بَينَ امرِئٍ سِيمَ رِفدُهُ، | فَضَنَّ به، أو بَينَ آخرَ مُبتَدي[3]
وما النَّاسُ الاَّ باخِلٌ بعد مَوعِدٍ | ومُبتَدِئٌ بالعُرفِ من غَيرِ مَوعِدِ[4]
أقُولُ، وقد والَى لي العُرفَ، واشتَكَت، | إليَّ بهِ السَّاعُونَ فَرطَ التَّرَدُّدِ[5]:
رُوَيداً، فما جَدَّدتُ بالِي صَنيعَةٍ | فإن رَثَّ ماضي ما صنعتَ فجَدِّدِ
إذا ما أغَبَّ العُرفُ كان مَذاقُهُ | ألذَّ لِراجِيهِ، وأعذَبَ مَوردِ
(ألَم تَرَ أنَّ الشَّمسَ زِيدَت مَحبَّةً، | إلى الناس أن لَيسَت عليهم بِسَرمَدِ؟)[6]

---

(١) في أ: اولي، مكان أولى، وفي ب وج: شيء، مكان شيئًا، وقد سبق المعنى في قوله جـ ١/١٨٩:
كَرَمٌ أراحَ من السُّؤالِ عُفاتَه | حتى ابتدا بالعُرفِ من لم يجتدِ
وسيكرره في قوله جـ ٢/١٠٥:
لَعَمري لقد أولى الجميل تبرُّعًا | وبادَرَ بالمعروف قبل سُؤالِهِ
وقوله جـ ٢/١٠٧: ومُبتَكِرِ المعروف إن جاء غيره | بِعُونِ الأيادي جاء بالفِعلة البِكر
وهو مأخوذ من قول علي بن جبلة «العكوّك*»
أعطيتني يا وليَّ الحمد مبتدئًا | عطيةً كافأت مدحي، ولم ترني
ديوانه ص: ١١٠.

(٢) والاه: تابَعه، واستمر عليه، وفي ب مكانها: واوالاه، والرائد: اسم فاعل، من راد المكان: اختلف عليه جيئةً وذهابًا، وهنا بمعنى المتكرر، وفي أ مكانها: لزائده، وفي الأعيان: لزائره، و قَد: حسب، على الطلب، أي كفى، وقد أخذ المعنى من قول البحتري*:
أتعبت شكري فأمسى منك في نصبٍ | أقصر، فما لي في جدواك من أرب
وقول كشاجم: أقلع سحابك، قد غرَّقتني نِعمًا | ما أدمن الغيث إلاّ كان طوفانا
وقول مروان بن أبي الجنوب*:
فأمسك ندى كفَّيك عني ولا تَزِدِ | فقد خفتُ أن أطغى، وأن أتجبَّرا
ديوان البحتري جـ ٢/١١٢، وديوان كشاجم ص: ٣٨٩، وزهر الآداب جـ ٤/١١٣٤، والمستطرف جـ ١/١٧٦.

(٣) في ج: ومشتا، مكان وشتان، وفي الهاشمي وأ وب وج: امرء، مكان امرئٍ، وضنَّ: بَخِل، وفي الهاشمي وب وج مكانها: فظن، بالظاء المشالة.

(٤) في الأعيان: وشتان فينا، مكان «وما الناس»، وفي ب: ومبتدي، مكان ومبتدئ، وفي ج: ومبتدى.

(٥) في ب: التزدد، بزاي معجمة مكان الراء المهملة، وفي ج: التزود.

(٦) هذا البيت مضمَّن، وهو لأبي تمام* من قصيدة مطلعها:
سَرَت تَستَجير الدمعَ خوفَ نوى غدِ | وعاد، قتاداً عندها، كلُّ مَرقَدِ
ديوانه ص: ١٩٨.

كَذاكَ، ولو لم يُقلعِ الغَيثُ لاشتَكَت، إلى اللّه، منه الأرضُ أفعالَ مُفسِدِ[1]
فما عَارِضٌ كَلٌّ على الرِّيحِ مَشيُهُ، على سَوقِها إيَّاهُ سَوقَ المُقيَّدِ[2]
أجَشُّ إذا ما كُفَّ من سَيلِهِ طَغَى وإن رُدَّ من رَيْعانِ طَاغيهِ يُزبِدِ[3]
مُلِثٌّ إذا ما مرَّ بالهُضبِ لم يَكُن ليُقلعَ إلاَّ عن رَواكِعَ سُجَّدِ[4]
لَجُوجٌ كأنَّ الأرضَ، إذ تَستَكِفُّهُ، وغَصَّت بِسُقياهُ، تَقُولُ له: زِدِ[5]
بأغزَرَ منه يومَ صَوبِ سَمَاحِهِ إذا هو أخبَى نارَه كُلُّ مُوقِدِ[6]
يَمِينًا بأيدِيهِنَّ تُدَرِّعُ الفَلا كما صِيحَ في أعقابِ أجلٍ مُشَرَّدِ[7]

---

(١) في أ: كذلك، مكان كذاك.

(٢) في أ: مشبه، بباء موحدة مكان مشيه، بالياء المثناة، كما في باقي الأصول.

(٣) الأجشُّ: الغليظ الصوت من الرعد، وفي الأعيان: عن سيله، مكان من سيله، ورَيعانُ كل شيء أوله، وأفضله كريعان الشباب.

(٤) مُلِثٌّ: دائم، والهُضبُ، بضمِّ الأول وسكون الثاني، جمع هَضَبَة: الجبل المنبسط، وأرض صخريَّة مرتفعة عما سواها، ومكانها في الهاشمي: بالأرض.

(٥) في أ: رد، براء مهملة.

(٦) الصوب: انصباب المطر، والسماح: الجُود، وفي الهاشمي مكانهما: صبت سماحة، وفي أ وب وج: صوب سماحة، وأخبى النار أطفأها، وفي الأعيان: اذا أهو أخبا، وفي الهاشمي وأ وب: اذا هو اخبا، وفي ج: اذا هو اخبأ، والمثبت بتصرف، وسوف يكرر المعنى في قوله جـ ١٤٥/٢:

إذا سُدَّ، دونَ الإذنِ، بابٌ لعلّة وكان مناداةُ الضيوفِ تناجيا
جلوا تلكم الجونَ الملاءَ، وأعلنوا عليها بأصوات الدعاة تناديا

وهو معنى متداول، فمن ذلك قول طرفة بن العبد*، ولعله أوَّل من طرقه:

فـفـتـحتَ بابك للمكارم حيـ ـنَ تـواصـت الأبـوابُ بـالأزم

وقول المجشر: يجبك امرؤٌ يعطي على الحمد ماله إذا ضنَّ بالمعـروف كلُّ جـواد

وقول أبي زياد الإعرابي الكلابي*:

له نار تشبُّ على يفـاعٍ إذا النيـران أُلبِسـت القناعـا

وللراعي النميري*: إنِّي أقـسِّم قـدري وهي بارزة إذ كلُّ قـدرٍ عَرُوسٌ ذاتُ جلباب

وللأحوص*: إنِّي إذا خَفِيَت نارٌ لِمُرملة ألفى بأرفع تَلٍّ رافعًا ناري

وقول غيره: إذا أُغلق الباب الكريم عن القرى فليس على باب الفرزدق* حاجبُ

حماسة أبي تمام جـ ٢٦٩/٢، وأمالي القالي جـ ١٥٧/٢، وذيله ص: ١٢٣، وشعر الراعي النميري ص: ١٨٩، والإمتاع والمؤانسة جـ ٥٩/٣، وديوان الأحوص الأنصاري ص: ١٠٨، وديوان طرفة بن العبد ص: ٨٨.

(٧) يمينًا: نائب لمفعول مطلق محذوف تقديره: حلفت يمينًا، وفي ج: ييينا، بثلاث ياءات متوالية، وتُدَرِّع: تُطوى بالسير ليلاً ونهاراً، والفلا: الصحراء الواسعة، والأجل: القطيع من بقر الوحش، وفي الهاشمي والأعيان: رجل.

نَجَائبَ * مَقطُوعٌ بهـا {كُلُّ} شِقَّةٍ	تَرُوحُ بها الأرواحُ حَسرَى، وتَغتَدي[1]
نَواحِلَ كالسِّيقانِ مما تَعَسَّفُوا	بها كُلَّ تَيهاءِ المَعالِمِ فَدفَدِ[2]
نَوافِرَ من أفيائهِنَّ، كأنَّما	يُرَعنَ بمَلويٍّ من القِدِّ مُحصَدِ[3]
لَهُنَّ، إذا ما استَرفَضَ الآلُ سَمتَهُ	على الأينِ، إجفالُ النَّعامِ المُطَرَّدِ[4]
عَوامِدَ للبَيتِ الحَرامِ بفِتيَةٍ	ثِقالِ الأداوِي من تُقىً، وتَعَبُّدِ[5]
(لأعوَزَ أن يأتِي أبٌ بِشَبِيهِهِ)[6]	سَمَاحَةَ نَفسٍ في طَهارَةِ مَولِدِ
فَتىً بَذَّ أربابَ الكُهُولَةِ يَافِعًا	وطَالَ ذَوِي الأسنَانِ في سِنِّ أمرَدِ[7]
إذا عَلَوِيٌّ لم يَكُن كَمُحَمَّدٍ	فما هُو، إن فَتَّشتَ عنه، بِسَيِّدِ

---

(١) نجائب، جمع نجيبة: كرائم، وما بين المعقوفين ليس في ج.

(٢) نواحل، جمع ناحلة: هزيلة، وفي ج مكانها: قواحل، بقاف مثناة مكان النون الموحدة، والسيقان، جمع ساق: الجزء المعروف من الجسم، شبَّه النياقَ بها لهزالها، أو لعلها السَّيفان، بسين مفتوحة وياء مثناة ساكنة، وفاء موحدة، ثم ألف ونون: الطويل الضامر الممشوق، وفي الهاشمي وأ وب و ج: كالقيسان، وفي الأعيان: كالقسيان، والمثبت بتصرف، وتعسَّفوا عن الطريق: مالوا، وفي ب مكانها: يعسفوا، بياء مثنَّاة تحتية، والتيهاء من الأرض: المُضِلَّة، يُتاه فيها.

(٣) يُرَعن، بالبناء للمجهول: يُفَزَّعن، ومكانها في أ: يرغن، بغين معجمة مكان العين المهملة، ونص البيت في الأعيان:

نوافر من أفيائهن ترى لها	على الأين اجفال النعام المطرد

و القِدُّ: السوط قُدَّ من الجلد، ومُحصَد: محكم الفتل.

(٤) استرفض: اتسع، وفي الهاشمي وأ: استرقص، والآل: السراب، ويريد بسمته: سمت القبلة، وهو نقطة من الأفق إذا واجهها الإنسان يكون مواجهًا للقبلة، والأين: الإعياء، والإجفال: أن تنشر النعامة جناحيها للعدو، وفي ج مكانها: اجفان، يقول: كلما رأت النياق اتساع المدى الممتد في اتجاه الكعبة: أسرعن كالنعام المطرَّد رغم ما بهن من إعياء وتعب.

(٥) عوامد، جمع عامدة: قاصدة، وفي ج: عوايد، والأداوي، جمع إداوة: المطهرة، وهي إناء صغير من جلد يتَّخذ للماء.

(٦) كرر معنى البيت في قوله جـ ١/١٩١:

هَيهاتَ إن بُلِّت بآخَرَ مِثلِهِ	أيدي القوابِلِ ما حَضَرنَ لِمَولِدِ

وفي قوله جـ ١/ ٢٤٠:

فما سَوَّد النَّسابُ وجه صَحِيفةٍ	بأبيضَ منه وجهَ أصلٍ ومَحتِدِ

وسوف يكرر صدره ومعناه في قوله جـ ١/ ٢٤٧:

لأعوَزَ أن يأتِي أبٌ بِشَبِيهِهِ	وإن كَثُر الأبناءَ، يَومًا، وأنجَبا

وقوله جـ ١/٢٨٤: هَيهاتَ إن ولدَت له الدُنيا أخًا أنىَّ وقد عَقِمَت عن المِيلادِ؟!

وقد ذكرنا في جـ ١/١٩١ شيئًا مما قاله الشعراء في هذا المعنى.

(٧) بذَّ: غَلَب، وفاق، وفي أ: بد، بدال مهملة، وبين، مكان سن.

أبيِ[1] غَيرُ مَن أدعُوهُ إن لَم أكافِهِ   بِمـا طَابَ من نَشـرِ الثَّناء المُخَلَّد
مَدائحُ* لم يَسـمَح بها فِكرُ شـاعِرٍ   ولا افـتَـرَّ، عن أمـثـالِهـا، فَمُ مُنشِـدِ[2]
أنا الكَوكَبُ الوَقَّـادُ، والعَلَمُ الذي   به، كُلُّ من غُمَّت مَسـارِيهِ[3]، يَهتَـدي
مَتَى أدعُ عـاصِي القَـولِ يَأتِ مُطَاوِعًا   وإن يَدعُ غَيـري طَائعَ * القَـولِ يقـعُدِ[4]

* * *

(١)في ب: انا، وفي ج تداخلت الكلمتان في بعضهما.
(٢) في الهاشمي: عن اشعارها، مكان أمثالها.
(٣)غُمَّت مساريه: خفيت، وانبهمت، وفي ب مساعيه.
(٤)في الهاشمي وج: يأتي، مكان يأتِ، وفي ج ياء يدع غير منقوطة.

تأخر قليلا[1]

قال يمدح بعض الأشراف:

ألا هَل تَجاوزتَ الخِباءَ المُحَجَّبا؟ ... بحَيثُ ظِباءُ الأنسِ تَحجُبُها الظُّبى[2]
وجُزتَ على حَيٍّ بمُنعَرجِ اللِّوَى ... فأهدَيتَ مَرجُوعَ التَّحِيَّةِ زَينَبا[3]
فإن أوجَبَت ألاَّ تَرُدَّ فَغَالِبٌ ... من الشَّوقِ أن نُصفي لها الوُدَّ أوجَبا[4]
أو احتَجَبَت خَلفَ الخِباءِ فأعيُنٌ ... لنا، أبَداً، صُورٌ إلى ذلك الخِبا[5]
هَوىً مَنَعَ اللُّوَّامَ فَضلَ قِيادِهِ ... وقِيدَ بألحَاظِ الحِسَانِ فأصحَبَا[6]
تَمَادَى، فأبلَى جِدَّتي، وخَبا لَهُ ... ضِرامُ الصِّبا، أو كادَ يَخبُو[7]، وما خَبا
إذا قُلتُ كَفَّ الشَّيبُ منه، تَراجَعَت ... نَوازِعُ يَستَحوِذنَ من غِيَرِ الصِّبا[8]

---

(١) تخريجها في الهاشمي ص: ٩ -١١، وأ ص: ٢٦ - ٢٨، وب ص: ٥٨ - ٦١، وج ص: ٤٤ - ٤٥، ومنها في أعيان الشيعة جـ ١٦٢/٤ «١٤ بيتًا»، والقصيدة لم يكتب لها تقديم، ولم يثبت لها تاريخ فلم يتبين من هو الممدوح.

(٢) نصُّ الصدر في الأعيان:

خليلي مرا بي على جانبي قبا ... .

والظباء، جمع ظبية: الغزالة، وفي ب وج مكانها: ضباء، والظبى، جمع ظُبَة: حد السيف أو السنان، وفي الهاشمي مكانها: الضبا، وفي أ وب وج: الظبا، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) في الأعيان: وعوجا، مكان وجزت، والمنعرج: المنعطف، ومن الوادي ما انعطف منه يمنة ويسرة، واللوى: مُسترقُّ الرمل، وما التوى منه، وعجُزُ البيت في الأعيان: «لعلي أرى في ذلك الحي زينبا».

(٤) في أ وب وج: تود، مكان ترد، وفي الهاشمي: تصفي، مكان نصفي، وفي ب وج: يصفي.

(٥) في الأعيان: لئن حجبت، مكان أو احتجبت، وصُورٌ، جمع صَوراء: مائلة، وفي الهاشمي: لنا أعين صور.

(٦) أصحب: انقاد بعد صعوبة، واسترسل.

(٧) في الهاشمي وب وج: يخبوا.

(٨) في الهاشمي: إذا هو، مكان إذا قلت، والنوازع، جع نازعة: ما غالبك، ونازعك من الحنين، ويستحوذنَ: يغلبن ويستولين، وغِيَر الصبا: أحداثه، وفي البيت نظر إلى قول محرز العكلي:

إذا قُلتُ ماتَ الشوق مِنّي تَنَسَّمَت ... به أريَحِيَّاتُ الهوَى فَتَنَسَّما

وقول مجنون ليلى*، أو الأحوص الأنصاري*:

أدعُو إلى هَجرِها قَلبي فَيَتبَعُني ... حتى إذا قُلتُ هذا صادِقٌ نَزَعا

ديوان مجنون ليلى ص: ٣٩، وديوان الأحوص الأنصاري ص: ١٣٤، والمستطرف جـ ٣٩٩/٢، والعقد الفريد جـ ٥٩/٧، وأمالي القالي جـ ٢٩/٢، وفيها: فيسعدني، مكان فيتبعني.

وهَل تُستَكَفُ النَّارُ، ما اشتَدَّ وقدُها، ... ببَلَّة ماء[1]، عِند عاصِفَة الصَّبا ؟
أمستَجلِبًا وُدَّ الرِّجالِ بِعَتبِها ... أظُنُّك علَّمتَ الطَّمَاعَةَ أشعَبا[2]
لكَ الخَيرُ، إن لم تَدرِ ما خُلُق الوَرَى ... تَعالَ فَسَل، عَمَّا جَهِلتَ، المُجَرِّبا
أنَبِّئكَ أنِّي ما شَكَوتُ لِصَاحِبٍ ... فأشكَى، ولا استَعتَبتُ خِلاًّ فأعتَبا
جُزِي كُلُّ فَردٍ مِنهُم عن إخَائِهِ ... بأسوأ ما جُوزِي مُسيءٌ، وعُوقِبا[3]
سَقَى ورَعَى اللَّه الأولى ما أشَدَّهُم ... وفَاءً، وأدناهُم، وِداداً، وأقرَبا[4]!
هُمُ شَاطَرُونا العَيشَ، وانفَرَدُوا بِهِ ... خَبيثًا، وأعطَوا، مِنهُ، ما كان أطيَبا
ولامَ، على لُؤم[5] السَّجايا، مَعاشِراً ... يَرَونَ أخا الرَّحمِ القَريبَةِ أجنَبا
تَرَى كُلَّ مَولُودٍ على اللُّؤمِ[6] لم يَكُن ... لِيعرِفَ أمًّا، غَيرَ ذاك، ولا أبا
وحَيَّا فَتًى من هاشِمٍ لو حَمَلتَهُ ... على نَبوَةٍ، والحَمدُ فيها، لما نَبا[7]

---

(١) في الهاشمي وأ وب: مآء، بمد فوق الألف.

(٢) في ب وج: امستجليا، بياء مثنَّاة مكان: أمستجلبًا، بالباء الموحدة، وفي ج: بعيشها، مكان بعتبها، وأشعب: هو ابن جبير، مولى عبد الله بن الزبير، كنيته أبو العلاء، أشهر من وُصِف بالطمع، ظريف من أهل المدينة، عاش في صحبة أولاد الخلفاء الأوَل، وعُمِّر طويلاً، كان حسنَ الصوتِ، جمع إلى شدَّة طمعه ظرفًا وبديهة، ضُرب به المثل في الطمع، أخباره كثيرة في كتب الأدب، توفي سنة ١٥٤هـ، وفي البيت نظر إلى قول منسوب لمنصور النمري*:

أقلِل عِتابَ من استَرَبتَ بِوُدِّه ... لَيسَت تُنالُ مَوَدَّةٌ بِقِتالِ

وبعده بيت آخر، وهو:

ولِمَن أضاع؛ لَقَد عَهِدتُك حافظًا ... لوصِيَّة العَبَّاس في الأخوال

كما ينسب لأشجع السلمي*، وهو وحده في ديوانه. راجع ديوان منصور النمري، ص: ١٢٠، وديوان أشجع السلمي، ص: ٢٤٨، وفيه: ما إن تنال، مكان ليست تنال، وأحسن ما سمعت ص: ٤٣، وأيضًا: تاج العروس مادة «شعب»، ومجمع الأمثال جـ ١/٤٣٩، والمنجد في الأعلام،

(٣) في الهاشمي والأعيان وب وج: جزى، بالمقصورة، مكان جُزي، وفي الأعيان: شخص، مكان فرد، وفي أ وب وج: باسوء، مكان بأسوأ.

(٤) في ج: ورمى، بميم مكان ورعى، بالعين، وفي الهاشمي: وافربا، بفاء موحدة مكان وأقربا، بالقاف المثناة.

(٥) في الأصول: لوم، بدون همزة، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٦) في الأصول: اللوم، بدون همزة، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٧) النبوة: الجفوة، أو الزلّة، من نبا السهم: أي قصر عن الهدف، ولم يصبه، يقول: لو أجبرته على زلة لما زل، ولو كان في ذلك فضيلة، وشرحها في الهاشمي: النبوة مص، يقال نبوة الزمان، أي جفوته، ولما نبا، أي لما تباعد، وفي أ: والحمد نبها، مكان الحمد فيها، وفي الهاشمي وب: والحمل فيها، وفي ج: والحمل منها. ولعل الصواب ما أثبتناه.

تَتَبَّع عِرقَ الوَفرِ مُستأصِلاً لَهُ فَرَوَّض، ما شَاء الثَّناءُ، وأعشَبا[١]
وآثَرَ أبكارَ المَعَالي فلم[٢] يكن لِيَرغبَ في ما كانَ منهُنَّ ثَيِّبا
عَجِبتُ لَهُ لَم يَبلُغِ الحِلمَ، والذي نُعَاينُهُ[٣] من فِعلهِ فِعلُ أشيَبا!
بَني هاشِمٍ، ما ذا لَكُم عند حاتِمٍ*؟ دَعُوهُ؛ فقد غادَرتُم جُودَهُ هَبا[٤]
مَتَى ما يُطاوِلهُ، حِباءً، ولِيدُكُم يَطُلهُ، وما دانَى النُهُوضَ، ولا حَبا
تَأخَّر، قَليلاً، عن أبيكَ تَأدُّبًا فمِثلُكَ من راعَى[٥] أباهُ تَأدُّبا
فَلَستَ بِمَسبُوقٍ على الفَضلِ إنَّهُ لَكُم دُونَ من في الأرضِ شَرقًا، ومَغرِبا[٦]
مَتَى تَطلُبُوهُ، مُوجِفِينَ، فإنَّما تُوافُونَهُ يَسعَى لَكُم مُتَطَلِّبا[٧]
لَكَ الخَيرُ، دَع لِلنَّاسِ شَيئًا من العُلَى تَطِب أنفسٌ حَرَّى عليك تَغَضُّبا[٨]
مَلَكتَ أقاصِيها عَلَيهِم فَلَم تَدَع لِطَالِبِها، أنَّى تَوَجَّه، مَذهَبا[٩]
ولَستَ بِمُرضِيهِم؛ فما كانَت العُلَى لِتُعطَى، ولا كان الفَخارُ لِيُوهَبا[١٠]
أبَت لكَ نَفسٌ بالمَكَارِمِ صَبَّةٌ تَعُدُّ أخا الإيثارِ، بالفَضلِ، مُذنِبا
حَلَفتُ بأعلامِ المحَصَّب* من مِنًى* وأكرِمُ، عن حِنثِ اليَمينِ، المُحَصَّبا
(لأعوَزَ أن يَأتِي أبٌ بِشَبِيهِهِ) وإن كَثَّرَ الأبناءَ، يَومًا، وأنجَبا[١١]

---

(١) في متن ب: الوصل، مكان الوفر، ورَوَّض: أنبتَ، أي صيَّر الأرض روضًا.

(٢) في الهاشمي وأ: ولم.

(٣) في ب وج: تعانيه.

(٤) في الهاشمي: ما ذلكم، وحاتم هو: حاتم الطائي، مرَّت ترجمته في ج ١/ ٢٣٠ الهامش «٣».

(٥) في أ: راعا.

(٦) ساقطة من متن ج ومثبتة في حاشيتها.

(٧) في الأصول: طلبوه، مكان تطلبوه، وموجفين: مسرعين، وفي الأصول: يوافونه ساع، مكان توافونه يسعى.

(٨) حرَّى: شديدة العطش، وفي الهاشمي مكانها: حرا.

(٩) في الهاشمي: عليك، مكان عليهم، وفي الهاشمي وحاشية ب: مطلبا، مكان مذهبا.

(١٠) في الهاشمي وأ: العلا، والبيت ينظر إلى قول محمد بن عتيق السوارقي البكري*:

يحاول نيل المجد والسيف مُغمَدٌ ويأمل إدراكَ العُلى وهو نائم

الوافي بالوفيات، ج ٤/ ٨١.

(١١) في الهاشمي: ولا غرو، مكان لأعوز، وفيه أيضًا: امرء، مكان أبٌ، وقد مر معنى البيت في قوله ج ١/ ١٩١:

هيهات إن بلَّت بآخرَ مثلِهِ أيدي القوابل ما حضرن لمولدِ ==

فَيا خَيرَ من لَفَّتهُ، في الخِرَقِ[1]، أمُّهُ   كما استُودعَ الغِمدُ الحُسَامَ المُجرَّبا
لألبَستَنِي ما لَيسَ للدَّهرِ قُوَّةٌ   بِسَلبيهِ، أو أن يَسلبَ[2] الأفقَ كَوكَبا
وأتعَبتَنِي في شُكرِ من راحَتِي بهِ   فَدَيتُكَ من مَولىً أراحَ، وأتعَبا[3]
فها أنا مالِي غيرُ مَدحِكَ حُرفَةٌ   وما هو إلاَّ أن أقُولَ، وأكتُبا[4]

* * *

== ومر الصدر عينه مكرراً في قوله جـ ١/٢٤٣:

لأعوَزَ أن يأتِيَ أبٌ بِشَبِيهِهِ   سَمَاحَةَ نَفسٍ في طَهارَةِ مَولِدِ

وقوله جـ ١/٢٤٠: فما سَوَّد النُّسابُ وجهَ صَحِيفَةٍ   بأبيضَ منه وجهَ أصلٍ ومَحتِدِ

وسيكرره في قوله جـ ١/٢٨٤:

هَيهاتَ إن ولدَت لهُ الدُّنيا أخًا   أنَّى، وقد عَقِمَت عن المِيلادِ؟!

وهو معنىً متداول، وقد ذكرنا شيئًا مما تداوله الشعراء منه ص: ١٩١.

(١) الخِرَق، جمع خِرقة: القطعة، أو المِزقة، من القماش يلفُّ بها الرضيع.

(٢) في الأصول: اولا يلبس، وفيه غموض، ولعل الصواب ما أثبتناه، يقول: ليس للدهر قوة على أن يسلبني ما ألبستني إياه إلاَّ أن يسلب من الأفق كوكبا.

(٣) في أ وب وج: ما، مكان من، ونص العجز في الهاشمي وحاشية ب:

....   فديتك مولى قد اراح وأتعبا

(٤) في أ: حرقة، بقاف مثناة مكان حرفة، بالفاء الموحدة، وفي البيت نظر إلى قول الصاحب بن عباد*، وليس في ديوانه: على أنَّها إملاءُ مَجدِكَ ليس لي   سِوى أنَّني يُملِي عَلَيَّ، وأكتُبُ

و قول المتنبي*: وأخلاقُ كافُورٍ إذا شِئتُ مَدحَهُ،   وإن لم أشأ، تُملي عَلَيَّ، وأكتُبُ

وقول أبي الفضل محمد بن عبد الواحد الدارمي:

أينفع قولي أنني لا أحبه   ودمعي، بما يمليه وجدي، يكتب

شرح ديوان المتنبي جـ ١/٣٠٥، ونفح الطيب جـ ٤/١١٤.

شمس وقمر[١]

وكان بينه وبين الشريف المقدس المبرور؛ ناصر بن عبد الجبار بن حسين العلوي الموسوي*[٢]، والخواجة[٣] المعظَّم إبراهيم بن {محمد}[٤] بن عبد الله بن اسماعِيلَ*[٥]، كاتب ديوان السلطنة بأوال*، من الإلفة، والصحبة، والأنس، {والخُلطَة}[٦] ما حمله على مدحهما؛ فقال يمدحهما معًا، ويشكر صنيعهما، وذلك للسنة الثانية والعشرين[٧] بعد الألف، والله أعلم:

لِيَ، إن تَحامـاني أخٌ وحَـمِـيمُ، أخَوانِ فَضلُهُـمـا، عَلَيَّ، عَظِيمُ
كَهفانِ آوي، في الخطوب، إليهما وعلى النَّصِيـر يُعَـوِّل المظلومُ
رُكنانِ ظَهـرِي، إن تَمَطَّى حَـادِثٌ لِيُطيحَنِي[٨]، بهما، مَعًا، مَدعُومُ
كلٌّ لَهُ من ضِئْضِئِ النَّسَبِ الذي تُعـزَى إليـهِ ذُروَةٌ، وصَـمِـيمُ[٩]

---

(١) تخريجها في الهاشمي ص: ١٠٦ - ١٠٧، وأ ص: ٢٨ - ٣٠، وب ص: ٦١ - ٦٣، وج ص: ٤٦ - ٤٧، ومنها في أعيان الشيعة مج ٢/٢١٢ «١٤» بيتًا.

(٢) هو ابن أخي قاضي القضاة* بالبحرين*، إبَّانَ الإحتلال البرتغالي، السيد عبد الرؤوف بن حسين الحسيني الجدحفصي*، المتوفى سنة ١٠٠٦هـ، ولم أقف لهذا الممدوح على ترجمة.

(٣) الخواجَة، فارسية معرَّبة: كبير، ووزير، وصاحب، وثري، وتاجر، وفي أ وب وج: وبين الاخواجة، وفي الأعيان: الخاجة. راجع: المعجم الذهبي.

(٤) ما بين المعقوفتين إضافة من مقدمة قصيدة سابقة في مدحه جـ ١/٢٣٦.

(٥) في ب وج: اسمعيل، وهو في الرسم القديم كإسماعيل في الرسم الحديث، وفي تقديم قصيدة سابقة جـ ١/٢٣٦ ذكر بعنوان: إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن تقي*، ويستدل من تخصيص الشاعر له بالتعزية في رثائه لهذا السيد بقوله: وذَوِي مَودَّتِهِ، وأوْلَكُم فَتَى الـ ـدُنيـا أبُو اسحـاقَ ابراهِيمُ*
أن الصلة بين الرجلين بالغة الخصوصية، كما إنَّ ربط مضمون هذه القصائد بما تضمنته وقفية زدادان «راجع جـ ١/٢٣٦» نرى أنَّ «تقيًا»، أو «نقيًا»، علم على أسرة تستوطن البحرين* والقطيف*، والأحساء*، والأرجح أنها نقي، بنون موحدة، بقرينة وجود أسرة بذات الاسم في الأحساء*. راجع: جـ ١/٢٣٦، و٣٢٦.

(٦) الخُلطة، بضمٍّ ثم سكون: الشركة، يقال بينهما خُلطة، أي شركة، والكلمة ساقطة من ج.

(٧) تاريخها في ب للسنة الثامنة والعشرين، وفي ج: للسنة السادسة والعشرين، وفي الهاشمي بدون تاريخ.

(٨) كذا في الأصول «ليطيحني» متعدِّية الفعل، فلعله استكره تقارب الباءين إذا قال: ليطيح بي بهما.

(٩) الضِئضِئ: الأصل، والمعدن، وفي أ مكانها: ضيفضى، وفي ب وج: ضيضئ، والصَّمِيم: المحض، أي الخالص، ==

جَاءَت بهـذا من قُرَيشِ*جَحَاجحٌ وأتَت بذلِكَ من تَقِيٍّ قُـــرُومُ[1]
وهُما فَتَى فِتيانِ هاشِمٍ: ناصِرٌ وجَــــمَـــالُ آلِ تَقِيٍّ ابـراهِيمُ
أخذا بأسبابِ السَّمَاحِ فإن تَقُل: هذا سَــخِيٌّ، قُلتُ: ذاكَ كَـرِيمُ
وتَسَاويا، جُوداً، فَذا غَيثٌ، وذا بَحـرٌ به سُـفُنُ الرَّجاءِ تَعُـومُ[2]
وتَشَابَها، حُسنًا، فَذا شَمسٌ، وذا بَدرٌ تَجَلَّت، عن سَناهُ، غُـيُـومُ[3]
وتَقَـارَبا، سِنًا، فأوشَكَ يَومَ إذ[4] وُلِدا بهــذا يَومُ ذاك فَطِيمُ
وتَوافَـقَـا، غَـرَضًا، فكُلٌّ منهُـمـا خَلفَ الفَضَائل* والكَمَالِ يَحُومُ[5]
إن قُلتَ: ذا نَطِقٌ[6]، فَذاك مُفَوَّهٌ، أو قُلتَ: ذا فَطِنٌ، فـذاك فَـهِـيمُ
هَذاكَ فَـردٌ في كِـتَـابَتِـهِ، وذا بِغَـوَامِضِ النَّظمِ العَـوِيص[7] عَلِيمُ
لا مَوردُ الآمالِ في كَنَفَيهِما مُـرٌّ، ولا مَرعَى الرَّجَاءِ وَخِيمُ[8]
إنَّ امـرءاً سَاواهُمـا بِسِـواهُمـا لأخُـو عَمَىً أو، كـالأغَرِّ، بَهِيمُ[9]
أوَ مَادِرٌ كأخِي السَّماحَةِ حَاتِمٍ؟ * خَطبٌ، لَعَمرُ أبي الكِرامِ، جَسِيمُ[10]
رَعَيا لِيَ الذِّمَمَ المُضَاعَةَ، وامرُؤٌ[11] أرعِي، فَلَم يَرعَ الذِّمـامَ، ذَمِـيمُ

== يقال هو في صَميم قومه، إذا كان من خلّصهم.

(١) الجحاجح، جمع جحجاح: السادة، والقروم، جمع قَرم: الفحول، وبه سمي السيد المعظم، على المثل.

(٢) في ج: أثبت هذا العجز في نهر ما بين الشطرين عمودياً.

(٣) في ج: أثبت صدر البيت في الحاشية اليسرى.

(٤) في الهاشمي: يوم ذا ولدا.

(٥) في أ: وتواقفا، بتقديم القاف على الفاء، مكان وتوافقا، وفي ج: المكارم، مكان الفضائل.

(٦) النطِق: الناطق، أراد المنطيق، أي البليغ.

(٧) العَويص: الصعب.

(٨) في الأعيان: رنق، مكان مرٌّ، وفي ب وج: الرجا، مكان الرجاء، ووَخِيم: وبِيء، أي ممرض.

(٩) في الهاشمي والأعيان: امرأ، مكان امرءا، والأغرُّ من الخيل: ما كان بجبهته غُرَّة، أي بياض، استعملها على التشبيه بالحيوان، لا بالأغر الذي هو السيد الشريف، وفي أ، مكانها: الأعز، بعين مهملة، وزاي معجمة.

(١٠) مادر: هو مُخارِق، أو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، يضرب به المثل في البخل، يقال إنه مدَر، طَيَّن، بئراً كان قد سَقى منها إبله، وبقيَ فيها قليلٌ من الماء؛ لئلا يَستَقيَ منها غيره. راجع: مجمع الأمثال جـ ١/١١١، وفي الهاشمي: كأخ، وفي أ: كاخ، وحاتم هو حاتم الطائي* أشهر أجواد العرب*، مرت ترجمته في جـ ١/ ٢٣٠ الهامش «٣».

(١١) في أ وب وج: امرء.

وتَشــاطَرا نَفــعِي فــهــذا جنَّةٌ، آوي لبَــهــجَتِــهــا، وذاكَ نَعــيمُ[١]
{وصَفا، بِكُلٍّ منهُما، عَيشي؛ فَذا رَوضٌ أغــازلُه، وذاكَ نَســيمُ}[٢]
هـذا يُـلازِمُـنـي نَـداهُ كَــــأنَّـهُ لِي، حَيثُ كُنتُ منَ البلادِ، غَرِيمُ
وجَــمِــيلُ ذلكَ لا يُزَايِلُني، فَلِي منهُ حَـديثُ صَنيـعَــةٍ، وقَــدِيمُ
وَلَرُبَّ قَــولٍ بِتُّ مِنهُ كَــأنَّني، مِـمَّــا صَليتُ بِنَارِهِ، مَحـمُـومُ[٣]
كَشَفَاهُ، عِندَ سَمَـاعِهِ، عَنِّي، فَها أنا ذا ، وشَـارَفتُ الهَلاكَ ، سَلِيمُ
يَا عَينَ مَن لَهِجَ الأنَامُ بِذِكــرِهِ فَـحَـدا، بِذلِكَ ظاعِنٌ، ومُـقِـيمُ[٤]
حَتَّى رَأيتَ العُربَ* تَحسُدُها بِهِ، عِندَ التَّفَاضُلِ، فَارِسٌ*، والرُّومُ*
فأما ومَرفُوعِ السَّقَائِفِ مِثلَما عُولِيَ على الفَحلِ المُسِنِّ عُكُومُ[٥]
نَاءٍ يَشُقُّ على المَطِيِّ بَلاغُـــهُ فَـتَظَلُّ تَقـعُـدُ، دُونَهُ، وتَقُـومُ[٦]
تَستَفرِغُ الجُهدَ الرَّكَائِبُ نَحوَهُ فَلَهُنَّ وَخـدٌ ، دُونَهُ ، ورَسِـيمُ[٧]
لَئِن اســتَطَالا بِالنَّوالِ عَلَيَّ وَالـ ـمُـعطَى بِشُكرِ عَطَائِهِ* مَلزُومُ[٨]
لأكـافِئَنَّهُـمـا * بِكُلِّ قَصِيدَةٍ عِـرضُ الكِرَامِ بِمِثلِها مَوسُومُ
فَليلبَســا، مما أحُـوكُ، مَـلابِسًا تَبلَى المَلابِسُ، غَيـرَها، وتَدُومُ[٩]

---

(١)في ج: نسيم.

(٢)البيت ساقط من ج.

(٣)في ج أخر هذا البيت عن الذي قبله.

(٤)العَين: خيار الشيء، ورئيس القوم، وفي أ، مكانها عيز، بزاي مكان النون، وفي ب وج: أنا عين، وفي الأعيان، يا خير، يريد: يا خير من اشتهر في الزمان، وحدا: رفع صوته بالحداء، وهو الغناء للإبل، وفي أ، مكانها: حدى.

(٥)في الأعيان: وأما مرفوع، مكان فأما ومرفوع، والسقائف جمع سقيفة: كلُّ بناء سقفت به صفَّة أو شبهها، وأراد بمرفوع السقائف: بيت الله الحرام، وعولي، على البناء للمجهول: رُفع، وفي الأعيان مكانها: اعلولي، والعكوم جمع عكم، بكسر ثم سكون: الأحمال، والأعدال التي فيها الأوعية من صنوف الأمتعة.

(٦)البلاغ: الوصول، وفي الأعيان فظل، مكان فتظل.

(٧)في الهاشمي: الشهد، مكان الجهد، والوخد: ضرب من سير الإبل سريع، ترمي فيه الناقة بقوائمها كالنعامة، وفي ب وج مكانها: وجه، والرسيم ضرب آخر من سير الإبل.

(٨)في الهاشمي: لان، مكان لئن، وفي أ: لأن.

(٩)في الأصول: أو يلبسا، وفيه لحن، وتعويص، ولعل الصواب ما أثبتناه، والملابس هنا كناية عن المدائح، وترتيب البيت، والأبيات الثلاثة التي بعده، في الأصول: السادس والعشرون والسابع والعشرون، والثامن والعشرون ==

مِن كُلِّ مُعلمَةٍ إذا نُشِرَت طُوِي، زُهداً، لَهـا المَوشَيُّ، والمَرقُـومُ[1]
تَستَأنِفُ العُمرَ الجَديدَ وعَظمُهُ مِن طُولِ مـا أَلِفَ التُّرابَ رَمِيمُ
مَا اجتَابَها [2] أحدٌ فأدركَهُ الرَّدَى وبَقَاءُ لابِسِ مِثلِها مَحتُومُ
يَتَهَلَّلُ الحُرُّ الكَريمُ لِمِثلِها دَعوَىً، وإلاَّ مِثلُها مَعدُومُ[3]

* * *

== ، والتاسع والعشرون، ونقلتها إلى هذا الموضع مراعاة لتناسب السياق.

(١) في الهاشمي: زهرا، مكان زهداً، والموشيُّ: المنقوش، والمرقوم: ضرب من الموشّى المخطط، وما كان نقشه مستديراً.

(٢) اجتابها: لبسها.

(٣) في الأعيان: بمثلها، مكان لمثلها، والبيت ينظر إلى قول أبي تمام*:

يُعطى بها البشرى الكريم، ويُرتدى بردائها في المحفل المشهود

وقوله: يودُّ، ودادا، أنَّ أعضاء جسمه إذا أنشدت شوقًا إليها مسامعُ

ديوانه ص: ٧٧، و٤٢٨.

في قبضة الحب[1]

وكان بينه وبين من كتبت نسخة هذا الديوان برسمه، وهو السيد الشريف جعفر بن عبد الجبار بن حسين العلوي الموسوي* [2] من الإلفة والإختصاص، والمودة والإخلاص، ما يوجب الذكرَ والثناء، والمدحَ والإطراء، فقال فيه للسنة الرابعة والعشرين بعد الألف:

بَعَثَت طَيفَها فَزارَ طُرُوقا ... فَشَجا وامِقًا، وهاجَ مَشُوقا[3]
زَورَةٌ ما شَفَت مَرِيضًا شَكَا الهَجـ ... ـرَ، زَمانًا، واستَوخَمَ التَّفرِيقا[4]
حِينَ شَقَّ الصَّباحُ، حُزنًا على اللَّيـ ... ـلِ وقد ماتَ، جَيبَهُ، والزِّيقا[5]
بَزَّ نَومي، وطارَ، والقَلبُ يَقفُوهُ ... امتِساكًا بِذَيلِه، وعُلُوقا
كَمَدٌ لم يُبلِل[6] فَينكُس، وداءٌ ... لَم يُصادِف صَاحِي الجَنانِ مُفيقا
يا سَمِيِّي، ولا سَبِيلَ إلى نَصـ ... ـرِي، ولَكِن يَدعُو الصَّدِيقُ الصَّدِيقا[7]
أوَ لَم يَأنِ لِلَّذِي أسكَرَتهُ ... حَدَقُ البِيضِ، سَاعَةً، أن يُفِيقا

(١) تخريجها في الهاشمي ص: ٨١ - ٨٣، وأ ص: ٣٠ - ٣٢، وب ص: ٦٤ - ٦٨، وج ص: ٤٧ - ٥١، ومنها في أعيان الشيعة مج ٤/١٦٢ «٢٨» بيتًا.

(٢) لم أقف له على ترجمة، عدا ما أثبته السيد محسن الأمين* في أعيان الشيعة مج ٤/١١٤ مستندًا إلى هذه المقدمة حيث قال: «من أجلاء سادات البحرين*، جمع الحسن بن محمد الغنوي الهذلي*، راوية الشيخ جعفر الخطي البحراني، الشاعر الشهير، بأمره ديوان جعفر المذكور.

(٣) طروقا: زائرًا ليلاً، والوامق: المحب، وشرحها في الهاشمي: «الوامق: المحبوب»، وهو اشتباه من الشارح، فالمحبوب: وميق، وموموق.

(٤) استوخمه: وجده وخيمًا، أي وبيئًا، وفي ج ومتن ب: واستوحش المطروقا.

(٥) في الهاشمي: بات، مكان مات، والزيق من القميص: ما أحاط بالعنق.

(٦) لم يبلل: لم يشفَ، وفي الهاشمي: لم يبل.

(٧) في الأعيان: ياخليلي، مكان يا سميي، وفي أ: نضري، بضاد معجمة مكان نصري، بالصاد المهملة، وفي الهاشمي: صديقا، مكان الصديقا.

أوقَـعَـتني[١] الأيَّامُ في قَـبـضَـةِ الحُـ ـبِّ، ومـا كُنتُ للبَلاءِ مُطيـقـا

ضِـقت ذَرعًـا بحُبٍّ مَن لا أسَـمِّـيـ ـه، وإن مَـزَّقَ الحَـشـا[٢] تَمـزِيقـا

زَفَـــرَاتٌ لَو تَـصطَلِي حَـــرَّها النَّا رُ لأضـحَى بِهـا الحَـرِيقُ حَـرِيقـا[٣]

ودُمُـوعٌ لو لا اعـتِـصَامِيَ بالسَّـبـ حِ لألفَـيتُـنِي، بِهِنَّ، غَـرِيقـا[٤]

تُسـعِـدِ العَينُ أختَـهـا، ويُعِينُ الـ مُـوقُ في صَبِّـهِ الدُّمُوعَ المُوقا[٥]

وبِنَفـــسِي خَـــرِيدَةٌ لا أرَى الوَصـ ـفَ يُؤدِّي[٦]، مِـمَّـا حَوَتـهُ، حُقُـوقـا

تَمـلأُ السُّـورَ، والخَـلاخِـيلَ أعضـا دًا تَقُضُّ البُـرَى، مِـلاءً، وسُـوقـا[٧]

وتَسُـومُ الأزرَ المُلاثَـةَ سَـومَ الـ قَلب مَـالا يُطِيـقُـهُ أن يُطِيـقـا[٨]

---

(١) في الأعيان: أوقفتني، بفاء معجمة مكان العين المهملة.

(٢) الحشا: ما انضمت عليه الضلوع كالقلب والكبد، وفي أ: الحشى.

(٣) أخذ المعنى من قول أبي الطمحان بن الشرفي:

هل الوجد إلاّ أنَّ قلبيَ لو دنا   من الجمر قيد الرمح لاحترق الجمر

راجع: حماسة أبي تمام جـ ٢/٨٤، ومحاضرات الأدباء مجـ ٢/٨٤.

(٤) في ج: ودموعا، مكان ودموع، والسبح: السباحة، وفي أ: عزيقا، بعين مهملة وزاي معجمة مكان غريقا، بالغين المعجمة والراء المهملة.

(٥) تسعد: تعين وتساعد، وفي ج: صيبه، مكان صبه، ومعنى البيت أخذه من قول الوأواء الدمشقي:

علَّمت إنسان عيني أن يعوم فقد   جادت سباحته في ماء دمعته

راجع: محاضرات الأدباء مجـ ٢/٧٨، ويتيمة الدهر جـ ١/ ٣٤٥.

(٦) في أ و ب والهاشمي: مؤد.

(٧) في الهاشمي: تملاء، مكان تملأ، والسور، جمع كثرة للسوار: القُلب، حلية كالطوق تلبسه المرأة في يدها، معرب «دستوار» الفارسية، والخلاخيل، جمع خلخال: حلية من فضَّة كالسوار تلبسها المرأة في رجلها، والأعضاد، جمع عـضـد: غلظ الذراع الذي بين المرفق والكتف، وتقضُّ: تدقُّ أي تكسـر، وفي أ: مكانهـا: تنفض، وفي متن ج وحاشيتها: تفصي، والبرى، جمع بُرَة: كلُّ حلقة من سوار وخلخال ونحوهما، وفي الأعيان وج: ملأ، مكان ملاءً، وفي أ وب: ملآءً، والسوق، جمع ساق: العضو المعروف من رجل الإنسان.

(٨) تسـوم: تكلِّف، والأزرُ، جمع إزار: اللباس المعروف، أوشك الآن أن يختفي لترك الناس له، والملاثة: الملفوفة، ومعنى البيت والذي قبله متداول، قال خالد بن يزيد بن معاوية:

تجول خلاخيل النساء ولا أرى   لرملة خلخالاً يجـول ولا قُلبـا

ونسب الحصري القيرواني للنابغة الذبياني* قوله، وليس في ديوانه:

على أنَّ حجليها، وإن قلت أوسعا،   صـمـوتان من ملء، وقلة منطق

وقال الحكيم الخضري:

تسـاهم ثوباها فـفي الدرع رأدة   وفي المرط لفَّاوان ردفـهـما عبل

وقال ذو الرمَّة*: وفي العاج منها والدمالج والبرى   قنًا مـالئًـا للعين ريَّانُ عـبـهـرُ

==

مَنظَرٌ مُبهجٌ أفِيضَ عَلَيهِ الـ ... حُسنُ، مِن كُلِّ جَانِبٍ، وأرِيقا
لا تَرَى الزَّهرَ عِندَهُ باسِمَ الثَّغـ ... ـرِ، ولا[1] مَنظَرَ الرِّياضِ أنِيقا
يَمـلأ[2] العَينَ لَذَّةً تُعقِبُ الصَّد ... رَ شَجَىً، لا يُسِيغُهُ، وحَرِيقا
لَحظُ عَينٍ كالسَّهمِ رِشتَ أعَالِيـ ... ـهِ، وأصلَحتَ نَصلَهُ، والفُوقا[3]
فَوقَهُ حَاجِبٌ كما حَقَّقَ الكَا ... تِبُ نُونًا، في طِرسِهِ، تَحقِيقا[4]
وفَمٌ كاستِدَارَةِ المِيمِ يُبدِي ... لَكَ دُرّاً، مُفَصَّلاً، وعَقِيقا

== ترى خلفها نصفًا قناةً قويمةً ... ونصفًا نقًا يرتجّ أو يتمرمر
وقال أيضًا: أناةٌ تلوث المرطَ منها بدعصة ... ركام وتجتاب الوشاحَ فيقلق
وينسب إلى طرفة بن العبد* وهو ليس في ديوانه، ولا في شرحه:
وملأى السوارِ مع الدملجيـ ... ـنِ، وأمّا الوشاح عليها فجالا
وقال المرار: بيضُ العوارضِ، بُدَّنٌ أبدانها ... رُجُحُ الروادف، ضمَّرُ الأخصار
ولكثير عزّة: كسون الريطَ ذا الهدب اليماني ... خصورٌ فوق أعجازٍ ثقال
وقال ابن الطثرية: عقيليةٌ، أمّا ملاث إزارها ... فدعصٌ، وأمّا خصرها فبتيل
وقال آخر: وبيضٍ نضيرات الوجوه كأنما ... تأزّرنَ، دونَ الأزرِ، رملاتِ عالج
خذال الشوى، لا تحتشي غير خَلقها ... إذا الرسح لم يصبرن دون المنافج
يذرنَ مروطَ الخزّ ملأى كأنها ... قصارٌ، وإن طالت بأيدي النواسج
راجع: زهر الآداب جـ ٢/٤٤٥ - ٤٤٦، وحماسة أبي تمام جـ ٢/١١٢، والموازنة ص: ١٣٣، و١٣٥، و١٣٦، ووفيات الأعيان جـ ٦/٣٦٨، وديوان ذي الرمة ص: ٣٨، و٦٤، والشعر والشعراء ص: ٩٧.

(١) في ب: وما.

(٢) في الهاشمي: يملاء.

(٣) رشت السهم: وضعت عليه الريش، وفي ج: ريشت، والنصل: حديدة السهم، والرمح، والسيف، والفُوق: مشقّ رأس السهم حيث موضع الوتر.

(٤) الطرس: الصحيفة، ومكانها في ج: صرسه، بصاد مهملة، وفي الأعيان: التحقيقا، مكان تحقيقا، والمعنى من قول ابن أحمر: وحاجب كالنون فيه بسطةٌ ... أجاده الكاتب خطًا بالقلم
وقريبٌ منه قول مجنون ليلى*:
بخطٍّ كان من قلمٍ رقيقٍ ... يخطُّ بجيدها، في النحر، نونا
وقول ديك الجن: كأنّ قافًا أديرت فوق وجنته ... واختطّ كاتبها، من فوقها، ألفا
ومما ظنّ أبو هلال العسكري* أنه لم يسبق إليه قوله:
لا، والذي دار من صدغيك وانعطفا ... وصار نونًا إذا صيَّرته ألفا
وقوله أيضًا: قد التوى صدغه، واختطّ عارضه ... كأنه ألفٌ من فوقه نون
وللشعراء فنون في التلاعب بهذه الألفاظ كقول ابن مماتي*:
علامة التأنيث في لحظه ... وأحرف العلّة في طرفه
وقد سردنا في الهامش «٦» جـ ١/١٧٨ شيئًا من هذا الباب. راجع: سمط اللآلي جـ ٢/٨١٨، وديوان مجنون ليلى ص: ٢١٨، وديوان ديك الجن ص: ١٧٩، وديوان المعاني جـ ١/٢٤٩، ومعاهد التنصيص جـ ٤/١٥٠.

وخُـدُودٌ شَـرِقنَ بالحُـسنِ حُـمـرٌ   لا تَرَى، عندَها، الشَّقِيقَ شَقِيقا[1]
لَم تَـرِد[2] مـــاءَهـا النَّواظِـرُ إلاَّ   أصــدَرَتهُنَّ بـالدُّمُــوعِ شُــرُوقــا
وإذا استَـقـبَلَتكَ أجـدَتكَ طيِـبًـا،   سَاطِعًا نَشرُهُ، ومِسكًا سَحِيقا[3]
فِـطـرَةً، لا بـخَـلـطِ طِيـبٍ، وإن لَـم   تَـخلُ منهُ، وخِلقَـــةً، لا خَلُوقــا[4]
يا أخـــا هاشِمِ بنِ عَـــبـدِ مُنافٍ   طَالَمـا استَصرَخَ الأسِيرُ الطَّلِيقا
من رَسُــولِي لهـــا، ولو سَـــامَنِي الرِّ   قَّ[5]، على عِـزَّتي، لَرُحتُ رَقِـيـقــا
بِكَلامٍ لو بِتُّ اســتَـعطِفُ الصَّـخـ   ـرَ بهِ كَـادَ أن يَكُونَ شَـفِـيـقــا[6]
أيُّهـــا الـغـــادَةُ التي لا أرَى المَر   زُوقَ، من غَـيــرِ وَصلِهـا، مَـرزُوقـا
إنَّ عَـــينًا تَـرَاكِ يَومًـــا مِنَ الدَّهـ   ـرِ لَعَينٌ لا تَـعــدَمُ التَّــوفِــيــقـــا
لِيَ عَينٌ مـــا إن تُفِـــيقُ بُكاءً   وفُـؤادٌ، مـا إن يَقِــرُّ، خُـفُـوقـا[7]
وبَلائي[8] إن انتَـشَـقتُ نَسِـيـمًـا   هَبَّ يُهـــدِي أريجَكِ المَنشُـــوقــا
لا أنِي دُونَ أن أذُوبَ زَفِـــيـــرًا   قَـاتِلاً حَـرُّهُ، وأهفُـو شَـهِـيـقـا[9]
أفـــلا يَســـتَـمِـــدُّ قَلبُكِ، في الرِّ   قَّة، لَفظًا، أسـمَـعتِنِيـه، رَقِـيقَــا
كَـرَحِـيقِ المُدامِ فِـعــلاً لَئن كَـا   نَ الذِّي يُسكِرُ العُقُولَ رَحِيقا[10]

---

(١)الشقيق، جمع شقيقة: نبات زهره أحمر مبقع بنقط سوداء كبيرة يعرف بشقائق النعمان، أضيف إلى النعمان بن المنذر؛ لأنّه عنيَ بتربيته وإكثاره، يسمّى أيضًا: الشقار «Anemone».

(٢)في أ: لم تزد ماؤها.

(٣)أجدَتك: منحتك أو أعطتك الجدوى وهي العطاء، وساطعًا: منتشرًا، ونشره: رائحته، وسحيقا: مسحوقا.

(٤)في الأصول: لخلط، مكان بخلط، والخلوق: ضربٌ من أخلاط الطيب أكثر أجزائه من الزعفران، وقد مرَّ المعنى في قوله جـ ١/ ٢١٠ :معاطير لم تُغمس يدٌ في لطيمةٍ   لهنّ، ولا استعبقن جونةَ عطّار
وفيها ذكرنا أبياتًا لغيره في هذا المعنى.

(٥)في ج: السوق، مكان الرِّق.

(٦)في الهاشمي وج: شقيقا.

(٧)في الهاشمي: بكاءا، مكان بكاءً، وفي أ: وفؤادا، مكان وفؤادٌ.

(٨)في الهاشمي: وبلاءى.

(٩)لا أني، من الونَى: لا أفتُر، ولا أقصِّر، ومكانها في ب: لا بي، وفي ج: إن لي، وفي الهاشمي: لا انى، بألف مقصورة، وأهفو، من هفا القلب: ذهب في أثر الشيء، وفي الهاشمي وب وج: اهفوا.

(١٠)في الهاشمي وب وج: لرحيق، مكان كرحيق، وفي أ وب، وج: يسكن، مكان يسكر، يقول: لو صحَّ أن ==

لا أرَى للرَّجـاءِ، فِـيكِ، مَـجَـالاً   لا، ولا للسُّلُوِّ، عَنكِ، طَرِيقـا
يا جَـزَى الشَّيبَ مـا جَـزاهُ، وأثوا   هُ مَكانًا مِن البِـلادِ سَـحِيقـا
سَرَقَ العُمـرَ مِن يَدَيَّ اختِلاسًـا   فَقُصـارايَ أن أقُصَّ السَّرُوقـا[1]
شَانَ وَجهًا ما كـان في وُسعِ وَجهٍ   أن يُضَاهِي جَمَـالَهُ، أو يَفُوقـا
أبيَضُ شَانَ أبيَضًـا، وسَنا المِصـ   ـبَاحِ يَشكُو ضَوءَ الصَّباحِ شُرُوقا
يالِيَ اللهُ كَم يُجَـرِّعُنِي الدَّهـ   ـرُ صَبُوحًا، مَن ظُلمِهِ، وغَبُوقا[2]
كلَّمـا قُلتُ آنَ أن يَقـضِيَ الدَّهـ   ـرُ حُقُـوقِي قَضَى عَلَيَّ حُقُـوقـا
ولَحـا اللَّهُ مَعـشَـراً أشـرِبُوا الغَـد   رَ قُلُوبًا، وأوجِـرُوهُ حُلُوقـا[3]
كُلَّ مُستَنكِفٍ عَنِ الوُدِّ لا يَعـ   ـلَقُ حَبـلاً، مِن الوَلاءِ، وَثِيقـا[4]
إنَّ أولَى الوَرَى بِخَـالِصِ وُدِّي   جَعفَرٌ قـد غَـدا، بِذاكَ، خَلِيقـا
عَلَوِيٌّ يَعلُو الرِّجـالَ، اذا طَا   وَلَهُم مَحتِـداً، وعِرقًـا عَرِيقـا
وكَرِيمٌ أعتَـدُّ مِنهُ، على اللَّأ   واءِ، كَفًّا طَلقًا، وَوَجهًا طَلِيقا[5]
سَـارَ مـا سَـارَ أوَّلُوهُ فـأعلى الـ   ـسَّمكَ، مِمَّا بَنَوا، وسَدَّ الفُتُوقا[6]
وحَمَى[7] ما حَمَوا، وزادَ، وأعطَى   فَوقَ ما قد أعطَوا، وأدَّى الحُقُوقا
وجَرَى خَلفَ مَعشَرٍ أحرَزُوا السَّبـ   ـقَ وجِيفًا، إلى العُلَى، وعَنِيقا[8]

== الخمرة تسكر العقول فإنّ رقة لفظك في الفعل تشبهها.

(١) أقصُ: أتتبَّع، والسروق: السارق.

(٢) الصبوح: الشرب صباحًا، والغبوق: الشرب في العشي.

(٣) لحا الله: قبَّح، ولعن، وفي الهاشمي وأ: ولحى، وفي متن ب: الغذر، بذال معجمة مكان الغدر، بدال مهملة، وفي حاشيتها: هجر الغدر، وأوجِروه، بالبناء للمجهول: سُقوه.

(٤) في الهاشمي وأ: الوفاء.

(٥) في الهاشمي: وكريمًا، مكان وكريم، واللأواء: الشدة، والمحنة، وفي الهاشمي وأوب وج: اللاوآء، وفي الأعيان اللاواء، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٦) في البيت نظر إلى قول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وينسب إلى المتوكل الليثي أيضًا:
نبني كما كانت أوائلنا   تبني، ونفعل مثلما فعلوا
العمدة جـ ٢/١٤٦، وحماسة أبي تمام جـ ٢/٢٦٥.

(٧) حمى الشيء، من الحماية: منعه، ودفع عنه، وفي الأعيان وأ وب وج: وحما، وفي ب وج: فأعطى، مكان وأعطى.

(٨) الوجيف: ضربٌ من سير الإبل سريع، وفي أ وب وج: العلا، مكان العلى، والعنَيق كالوجيف، وأصله العنق.

فَسَمَا، لم يَعُقهُ شَيءٌ، وجَازَ الأ فقَ سَعيًا، واستَخدَمَ العَيُوقا[1]
صَارِمٌ كلَّما هَتَفتُ بِهِ هَـ ـبَّ انسِلالاً، لِنُصرَتِي، ودُلُوقا[2]
وَجَوادٌ إذا استَرَشتُ بِهِ مَـ ـدَّ بإمدادِهِ، وسَاقَ الوُسُوقا[3]
والكِسا، والحُلَى إلى أن يَعُودَ الـ ـغُصنُ غَضًا بَعدَ القُحُولِ، وَرِيقا[4]
يابن عَبدِ الجَبَّارِ، إن طِبتَ فَرعًا فَلَقَد طِبتَ، قَبلَ ذاكَ[5]، عُرُوقا
وكَرِيمُ الآباءِ إن شَفَعَ الأصـ ـلَ بفَرعٍ[6] أفادَهُ تَصدِيقا
لَو مَدَحناكَ بالذي فِيكَ سِمنا سَعَةَ العُمرِ، لا القَرَاطِيسَ، ضِيقا
خُلُقٌ كالنَّسِيمِ لُطفًا، وصَدرٌ يَشتَكِي عِندَهُ الفَضَاءُ[7] الضِّيقا
لَستُ أدرِي ما ذا أقُولُ، وإن كُنـ ـتُ أعَدُّ المُفَوَّهَ المِنطِيقا
وَرَدَ النَّاسُ قَبلَنا مَورِدَ النَّظـ ـمِ، فأضحَى مُكَدَّرًا مَطرُوقا[8]

---

(١) في الهاشمي: قسما، بقاف مثناة مكان فسما، بالفاء الموحدة، وفي ج: وحاز، بحاء مهملة، مكان جاز بالجيم المعجمة، والعيُّوق «Capella»: نجم مزدوج، أحمر، مضيء في طرف المجرَّة من ناحية الشمال، يطلع قبل الجوزاء، ويتلو الثريا في كوكبة ذي الأعنَّة، وهو أحد ألمع نجوم السماء على الإطلاق. راجع: موسوعة المورد جـ ١٦٥/٢، واللسان، ومحيط المحيط.

(٢) في ج: لنضرتي، بضاد معجمة مكان لنصرتي، بالصاد المهملة، والدلوق: انسلال السيف من غمده، وفي الهاشمي وب وج مكانها: وذلوقا، بالذال المعجمة.

(٣) في الهاشمي وأ وب وج: وجوادا، مكان وجواد، واسترشت: طلبت الريش أو الرياش، وهو اللباس الفاخر والمعاش، والوسوق، جمع وسق: حمل البعير خاصة، وقيل الحمل مطلقًا، وفي الهاشمي: الوسيقا.

(٤) الكسا، جمع كسوة: اللباس، وفي أ وب وج مكانها: الكسى، والحلى، جمع حلية: ما يُتزيَّن به من مصوغ المعدن كالذهب، والأحجار الكريمة، والقحول: اليبس والجدب.

(٥) في الهاشمي والأعيان وأ وب ومتن ج: بعد ذاك، والمثبت من حاشية ج، ولعله الصواب، فإنَّ العروق بهذا المعنى قبل الفروع، والبيت التالي يؤيد ذلك.

(٦) في الهاشمي: بقرع، بقاف مثناة مكان الفاء الموحدة.

(٧) في البيت نظر إلى قول أبي الطيب المتنبي*:

شِيَمُ الليالي أن تشكِّكَ ناقتي صدري بها أفضى أم البيداءُ؟

ديوانه ص: ١٢٦.

(٨) في متن ب: قلنا، مكان قبلنا، وهو من قول عنترة العبسي*:

هل غادر الشعراء من متردَّمِ؟ أم هل عرفت الدار بعد توهُّمِ؟

وقول كعب بن زهير*:

ما أرانا نقول إلاَّ رجيعًا ومعادًا، من قولنا، مكرورا

وهو بيت اشتهرت نسبته إلى زهير بن أبي سُلمى*، والد كعب*، بهذا النص:==

إن نَظَمنَا بَيـتًـا غَـرِيبًـا، وَخِلنا ... ـهُ جَـدِيداً كـانَ الجَـدِيدُ عَـتـيـقـا
أو سَـبَـقنا، في مـا نَظُنُّ، لِمَـعنىً ... مُـعجِبٍ كـان سَـبقُنا مَـسبُـوقـا
سَـبَـقُـونا، والمَرءُ يَأنَفُ أن يُسـ ... ـبَقَ، يَومًـا، وإن أطاقَ[1] لُحُـوقـا
أيُّ مَـعنىً أبقَـوهُ لَم يَسِـمُـوهُ ... سِمَـةً تَـترُكُ الصَّـرِيحَ لَصِـيقـا[2]
فـاستَمِعهـا لو أنشَـدُوها أبا الطَّـ ... ـيِّبِ مـا كـادَ أن يُسِـيغَ الرِّيقـا[3]

* * *

== مـا أرانا نقـول إلاّ مـعـاراً ... أو معاداً، من قـولنا، مكرورا

وهو ليس في ديوان زهير*، وإنَّما هو في ديوان ولده كعب*، ونسبه ابن عبد ربه* لكعب*، ومن الطريف أنني سألت عدداً من أدبائنا الأفاضل عن صاحب البيت، فكان جوابهم جميعاً، وبلا تردد: إنَّه لزهير*، والأغرب من هذا أنَّ الدكتور شوقي ضيف* أورده في الأدب الجاهلي بالنص الأخير، ونسبه إلى زهير، فلعله اعتمد على المشهور، وكذلك فعل الدكتور عبد الله الغذامي في الخطيئة والتكفير ص: ٢٨٨، ولكنه استدرك في ص: ٣١٨، فنبَّه إلى أنه ليس في ديوان زهير*، وأنَّه وجده في ديوان كعب*. راجع: ديوان عنترة بن شداد ص: ١٥، والعقد الفريد جـ ٦/١٨٦، وديوان كعب بن زهير ص: ٢٦، وشرحه ص: ١٥٤، والخطيئة والتكفير ص: ٢٨٨، و٣١٨، والأدب العربي في العصر الجاهلي ص: ٢٢٦.

(١) أطاق: تكلَّف المشقَّة.

(٢) الصريح: خالص النسب، واللصيق: الملصق، أي الدعي المقيم في حي وليس منهم.

(٣) يريد أبا الطيب المتنبي*، وهو معنى قريب من قوله جـ ١/١٥٧:

وليسمعنَّك إن بقي لك بعدها ... ما تستبين لديه ذلَّ الأشجع*

وجـ ١/ ٢٢٦: فاستمعها لو أنشدوها أخا وقـ ... ـرٍ كفت مسمعيه أمر الوقر

وقد بينت في جـ ١/١٥٧ الأبيات التي توارد فيها بعض الشعراء على هذا المعنى.

فداؤك نفسي(١)

ومما يلحق بالمديح(٢) قوله يشكر إنعام بعض العلويين:

يا أكـرَمَ النَّاسِ أعـمَـامًـا، وأخـوالا   وأحـسَنَ النَّاسِ أقـوالاً، وأفـعَـالا
ومَن إذا قُلتُ حَسبي مِن عَطَائك* لِي   وَحُسنِ صُنعِكَ عِندي، قالَ لي: لا، لا
نَفسِي فِـداؤُكَ مِن مَـولىً جَـوائزُهُ*   تَأتِي بِلا طَلَبٍ، لِلنَّاسِ، إرسَـالا(٣)
قَـسَّـمتَ جُـودَكَ بَينَ الطَّالِبِينَ لَهُ   لِلرَّأسِ تَاجًـا، ولِلرِّجلَينِ خَلخَـالا
إن يُعطِ غَـيرُك مِـثـقَـالاً يَمُنُّ بِهِ   ولا تَـمُـنُّ إذا أعـطَـيتَ أرطَـالا(٤)
وإن أظَلَّ الوَرَى نَحسٌ جَلَوتَ لَهُم   وَجـهًـا يُقَـابِلُ منه النَّاسُ إقـبَـالا(٥)
أو زَيَّنَ المَالُ إنسـانًا سِـواكَ فَـقَـد   زَيَّنتَـهُ، والفَـتَى مَن زَيَّنَ المالا(٦)

* * *

(١) تخريجها في أ ص: ١٢٥، وب ص: ١٨٧– ١٨٨، وج ص: ١٣٣، والهاشمي ص: ٩٤، ومنها في أعيان الشيعة مج ١٦٢/٤ «٤» أبيات.

(٢) أدرجت في أ وب وج في باب الهزل، وفي الهاشمي في حرف اللام، وفي الأعيان في فصل المديح، وعليه اعتمدت في إلحاقها بهذا الباب وهو الأنسب.

(٣) في ب وج: فداوك، الواو بدون همزة، مكان فداؤك.

(٤) في ج: تمن به، مكان يمن به، وفي باقي الأصول: فلا، مكان ولا، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٥) في الأصول: فإن، مكان وإن، وفي ب وج: وجه، مكان وجهًا، والمثبت بتصرف، وفي البيت نظر إلى قول منصور النمري*:
إن أخلف الغيثُ لم تخلف مخايله   أو ضاق أمرٌ ذكرناه فيتّسع
راجع: ديوانه ص: ٩٧.

(٦) في الأصول: إن، مكان أو، والمثبت هنا بتصرف، وفي الأعيان: أقوامًا، مكان إنسانًا.

هنيئًا [1]

وقال يُهنِّئُ {الشريف العلوي}[2] جعفر بن عبد الجبَّار الحسيني الموسوي* بزفاف[3]:

هَنَّاكَ رَبُّكَ مـــا أولاكَ مِن نِعَمِ ... يا خَيرَ مَن أنبَتَت جُرثُومَةُ[4] الكَرَمِ
ونِلتَ، في ضِمنِ ما أوليتَ مِن نِعَمٍ، ... يُمنًا، ومَـــأمَنَةً مِن زَلَّةِ القَــدَمِ[5]
الآنَ لانَ[6] الزَّمَــانُ الوَعـرُ جَـانِبُـهُ ... وافتَرَّ عن ثَغرِ طَلقِ الوَجهِ مُبتَسِمِ
وأصبَحَت تُتحِفُ البُشرَى قَوابِلُها[7] ... أُمُّ الرَّجـاءِ، وقَـد مَـرَّت على العُـقُمِ
مـا أنتَـجَت دَورَةُ[8] الأفـلاكِ فـائِدَةً ... كَـهَـذِهِ، وقَـضـاءِ اللَّوحِ، والقَلَمِ
خَيرُ الرِّجَالِ قَضَى سَعدُ الجُدُودِ[9] لَهُ ... بَأن تُزفَّ إليــهِ خِـيــرَةُ الحَــرَمِ
يابنَ الذينَ تَوَلَّى اللهُ مَـدحَــهُمُ، ... دُوني، فَـهُم أغنِيـاءٌ عن مَقَـالِ فَمِ[10]
قَــومٌ كَــأنَّكَ إذ تَتلُو مَناقِـبَــهُم ... تُغـرِي بِزَهرِ الرُّبى مُعتَلَّةَ النَّسَمِ[11]
فَـقَـرَّ عَينًا، وطِب نَفسًا، ونَم دَعَةً ... يَصحَبكَ ذَلِكَ يَقظانًا، وفي الحُلُمِ[12]

* * *

(١) تخريجها في أ ص: ١٢٤ - ١٢٥، وب ص: ١٨٧ - ١٨٨، وج في باب الهزل ص: ١٣٢ - ١٣٣، وفي الهاشمي ص: ١٠٥.

(٢) ما بين المعقوفين ساقطتان من ج ومتن ب.

(٣) في الهاشمي: بزفافه.

(٤) الجرثومة: الأصل.

(٥) أوليت، مبني للمجهول: أعطيت، وفي أ وب وج مكانها: وليت، وفي أ: ومئامنة، مكان ومأمنة، وفي ب وج: وماءمنة.

(٦) في أ: الأن لأن، وفي الهاشمي وج: الان لان، وفي ب: الآن لأن، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٧) القوابل، جمع قابلة: النساء اللواتي يستقبلن المولود عند الولادة، وفي الهاشمي: قوافلها.

(٨) في الهاشمي وأ: ذروة.

(٩) الجدود، جمع جد: الحظوظ.

(١٠) في أ وب وج: فمي. يريد، بمعنى البيت، النبيَّ محمداً (ص)، وأهل بيته (ع) لأن الممدوح من سلالتهم.

(١١) في الهاشمي وب وج: تتلوا، بزيادة ألف، وفي أ: تعزى، بعين مهملة، وزاي معجمة، مكان تغري، بالغين المعجمة، والراء المهملة.

(١٢) في الأصول: وقر، مكان فقرَّ، والمثبت هنا بتصرف. وفي الأصول: يقضانا، بضاد أخت الصاد مكان يقظانا.

أرفع الأبواب(١)

والتَمَس منه بعض الصدور(٢) أبياتاً
تُنقَشُ على دهلِيز(٣) بيته فقال:

أنــا أرفَــعُ الأبــوابِ إلاَّ أنَّــنِـي ... أدنَى لِبَـاغِي العُرفِ مِمَّـا دُونِي(٤)
مـا أغلَقُـونِي دُونَ طَالِبِ حَـاجَـةٍ ... كَــلاًّ، ولا في وَجــهِـهِ رَدُّونِي(٥)
{أنا غَوثُ مُنتَجِعٍ، وعِصمَةُ خَائفٍ* ... راجٍ، ومَــوئِلُ طَالِبٍ مِــسكِينِ}(٦)
لَم تَـفـخَـرِ الأبوابُ إلاَّ طِلتُــهـا ... فَخراً بِكَونِي بـابَ شَمسِ الدِّينِ(٧)

* * *

(١) تخريجها في أ ص: ١٢٠، وب ص: ١٨١- ١٨٢، وج ص: ١٢٩، وأعيان الشيعة مج ١٧٣/٤، والهاشمي ص: ١١٩.

(٢) الصدور، جمع صدر: الرئيس، والمقدم الذي يتصدَّر الناس في أمورهم، وفي اصطلاح الساسة: الوزير، أو ذو المرتبة الأولى بعد الملك، ومن ذلك: الصدر الأعظم في الحكومة العثمانية.

(٣) الدهلِيز: المدخل، وهو ممر طويل مسقوف، عادة، بين المنزل وبابه، فارسية معربة. راجع: المعجم الذهبي.

(٤) أدنى: أقرب، والعرف: المعروف، أو العطاء.

(٥) ردَّ الباب: أصفقه، وأطبقه ولم يحكم غلقه بالمزلاج. وعجز البيت في الهاشمي:

.... راج، وموئل طالب مسكين

(٦) البيت ليس في الهاشمي، وعجزه في أ وب وج:

.... ومآل مسكين، وسركر دون

وسركر: معرب سركرده: رئيس عشيرة، فارسية، راجع: المعجم الذهبي.

(٧) في ج: طلقها، بقاف مثناة مكان طلتها بالتاء، وفي ب وج والأعيان: لكوني، مكان بكوني، وشمس الدين هذا لم أتمكن من معرفته.

الرِّثاء

معلّم الوحش[1]

وقال يَرثي الشَّريفَ العَلَويَّ العَلاَّمَةَ أبا[2] محمد الحسين بن الحسن الشهير بالغُرَيفي* لسنة إحدى وألف، وأنشَدَها بسابع موته، وهي أول قصيدة أثبتها في الرثاء[3]، وناهيك بها :

جَذَّ الرَّدَى سَبَبَ الإسلامِ فانجَدَما ... وَهَدَّ شَامخَ طَودِ العلمِ فانهَدَما[4]
وَسَامَ طَرفَ العُلى غَضّاً فأغمَضَهُ ... وفَلَّ غَربَ حُسامِ الدِّينِ فانثَلَما[5]
اللّهُ أكبرُ ما أدهاكِ مُرزِيَةً! ... قَصَمتِ ظَهرَ التُّقَى، والعلمِ فانقصَما[6]
أحدَثتِ في الدِّينِ كَلمًا لو أتيحَ لَهُ ... عيسَى بنُ مَريمَ يَأسُوهُ لما التَحَما[7]
أيُّ امرِئٍ، وَيكِ! أفجَعتِ الأنامَ بِهِ ... فاستَشعَرُوا، بَعدَهُ، التَّزفارَ، والألَما[8]

---

(١) تخريجها في الهاشمي ص: ١١٣ - ١١٤، وأ ص: ٣٨ - ٣٩، وب ص: ٧٠ - ٧٣، وج ص: ٥٢ - ٥٤، ومنها في أنوار البدرين ص: ٨٢ - ٨٤ «٣٥» بيتًا، وفي أعيان الشيعة مج ٥/٤٧١ «٢٠» بيتًا، وفي سلافة العصر ص: ٥٠٤ - ٥٠٥ «٢٠» بيتًا، وفي خلاصة الأثر ج ٢/٨٧ - ٨٨ «٣» أبيات.

(٢) في الهاشمي: أبي.

(٣) في ب وج: الرثا.

(٤) جذَّ، بذال معجمة: قطع، كجدَّ بالدال المهملة، وفي السلافة والهاشمي وأنوار البدرين: جد، بالمهملة، والسبب: الحبل، وانجدم، بدال مهملة، كانجذم، مطاوع جدم: انقطع، وفي الأعيان والهاشمي وخلاصة الأثر وأنوار البدرين: انجذما، بالمعجمة، والطود: الجبل، وفي السلافة: دين الله، مكان طود العلم.

(٥) سامَ: كلَّف، وفي أ، والهاشمي وأنوار البدرين وخلاصة الأثر: غمضًا، مكان غضًا، وفُلَّ، بالبناء للمجهول: ثُلم، وغرب الحسام: حدُّه، والحسام: السيف، وفي أنوار البدرين: عزب، مكان غرب، ونص البيت في السلافة:
وسام طرف العلى غمضًا، وقد غربت ... شمس الضحى، وحسام المجد قد ثلما

(٦) المرزية، كالمرزئة: المصيبة، وفي خلاصة الأثر مكانها: من زمن، وفي السلافة: مرزئة، وفي الهاشمي: باب التقى، مكان ظهر التقى، وفي خلاصة الأثر وأنوار البدرين والأعيان: والدين، مكان والعلم.

(٧) الكَلْم: الجُرح، ومكانها في السلافة: ثلما، والتحم الجرح: التأم، وفي السلافة: التأما، وهو إيطاء لم يلاحظه صاحب السلافة.

(٨) في الهاشمي: امرءى، مكان امرئ، وفي أ وب وج والسلافة: امرء، وويكَ: شبه جملة الكاف فيها ضمير مجرور تفيد الزجر، وفي أنوار البدرين مكانها: بك، وفي الهاشمي: الزمان، مكان الأنام، والتزفار: التزفُّر أي إخراج النفَس لغيظ ونحوه، وفي ج مكانها: الترقار، براء مهملة وقاف مثناة، مكان الزاي المعجمة والفاء الموحدة.

كُــلٌّ يُــزِيــرُ ثَــنــايــاهُ أنــامِــلَــهُ حُزنًا عَليه، وَيُدمِيهـا بهـا نَدَمـا[1]

ويَنثُــرُونَ، وَسِلكُ الحُــزنِ يَنظِمُــهُ[2]، على الخُدُود، عَقِيقُ الدَّمعِ مُنسَجِمـا

لَهـفِي، ومـا لَهَـفِي مُـجـدٍ عَلَيَّ، على مَجدٍ تَفَـرَّقَ، أشتـاتًا، فمـا التَأمـا[3]

لَهـفِي على كَـوكَـبٍ حَلَّ الثَّرَى، وعلى بَدرٍ تَبَـوَّأ، بَعـدَ الأبرُجِ، الرُّجُمـا[4]

إيهٍ خَليلَيَّ، قُـومـا، واسـعِـدا دَنِفًـا أصابَ أحشاهُ رامِي الحُزنِ حِينَ رَمَى[5]

نَبكِي خِــضَمَّ عُلومٍ جَفَّ زاخِــرُهُ وَغـاضَ طامِـيـهِ لَمّا فـاضَ، والتَطَمـا

نَبكِي فَتىً مـا تَخَطَّى الضَّيمُ سَـاحَتَـهُ ولا أباحَ لَهُ، غَـيـرُ الحِـمـامِ، حِـمَى[6]

ذا مَنظَرٍ يُبــصِــرُ الأعــمَى بِرُؤيَتِــهِ هُدىً، وذا مَنطِقٍ يَسـتَنطِقُ البَكَمـا[7]

لَو عَلَّمَ الوَحشَ مـا يُنشِيـهِ مِن حِكَمٍ لَراحَتِ الوَحشُ، من تَعلِيمِهِ، عُلَمـا[8]

أو أسـمَعَ الأسـدَ شَـيـئًـا مِن مَـواعِظِهِ لَظَلَّتِ الأسدُ، خَوفًا، تُكرِمُ الغَنَمـا[9]

لَــو أنـصَـفَ الـدَّهـرُ أفـنـانـا وَخَـلَّـدَهُ وكــانَ ذلكَ من أفــعــالِهِ كَــرَمـا

---

(١) يزير، صيغة تعدية للفعل زار: يحملها على الزيارة، وفي ج ومتن أ: يزيل، والثنايا، جمع ثنية: الأضراس الأربعة في مقدم الفم، إثنتان من أسفل، ومثلهما من أعلى، وفي الهاشمي: تناياه، مكان ثناياه، وفي أنوار البدرين والسلافة والأعيان: له، مكان بها، وفي ب: به.

(٢) في الأصول: ينظمهم، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) نص البيت في الهاشمي:

لهفي ولهفي ما مجد علي على مجدٍ تفرّق أشتاتًا، وما التأما

(٤) تبوّأ الشيءَ: حلَّ فيه، وأقام به، وفي الهاشمي والسلافة وب وج: تبوء، والأبرج، صوابها البروج، والأبراج، جمع برج، وهي بروج الفلك الإثناعشر، جمعها هكذا تساهلاً، والرجم، جمع رجمة: القبور.

(٥) في متن ب: رما.

(٦) في أ: الفتى، مكان فتىً، وأراد بقوله: ما تخطّى: ما خطى نحوها، أي ما تجرّأ على دخولها بغير إذن، وفي أنوار البدرين والأعيان والسلافة مكانها: لم يحل، وأباح: انتهب، كاستباح، والحمى: ما حماك، وتحصّنت فيه، والحي لأنهم يحمونه، وفي أ: حما.

(٧) ذا الأولى والثانية من السلافة، وفي باقي الأصول: ذو، وفي ب وج: برويته، بغير همزة الواو، مكان برؤيته، والبكم، جمع أبكم: الخرس.

(٨) في أنوار البدرين: يلقيه، مكان ينشيه، وفي ب أثبت عجز البيت في الحاشية، وأثبت مكانه في المتن عجز البيت الذي يليه.

(٩) صدر هذا البيت في ب ساقطٌ من المتن، ومثبت في الحاشية، وعجزه في المتن عجز للبيت السابق.

ما راحَ حَتَّى حَشا(١) أسماعَنا دُرَراً، من لَفظِهِ، وسَقَى أذهانَنا حكَما
كالغَيثِ لم يَنأ عَن أرضٍ ألَمَّ بِها حَتَّى يُغادِرَ فيها النَّبتَ قد نَجَما(٢)
كَأنَّه، وَضَريحٌ ضَمَّ جُثَّتَهُ، ذُو النُّونِ، يُونُسُ، لمَّا أن لَهُ التَقَما(٣)
يا قَبرَهُ، لا عَداكَ، الدَّهرَ، مُنسَجِمٌ من المَدامعِ، هَامٍ، يُخجِلُ الدِّيَما(٤)
صَبراً بَنيهِ، فإنَّ الصَّبرَ أجمَلُ بالـ حُرِّ الكَريمِ إذا ما فَادحٌ دَهَما
هِيَ النَّوائبُ* ما تَنفَكُّ دامِيَةَ الأ نيابِ مِنَّا، وما منها امرُؤٌ(٥) سَلِما
فَكَم تَخَطَّفَ رَيبُ الدَّهرِ مِن أمَمٍ فأصبَحُوا تَحتَ أطباقِ الثَّرَى رِمَما(٦)
لَو كَرَّمَ اللَّهُ عن هذا الرَّدى أحَداً لَكَرَّمَ المُصطَفى، عَن ذاكَ، واحتَرَما
صَلَّى عَلَيهِ إلهُ العَرشِ ما وَخَدَت خُوصُ الرِّكابِ تَؤُمُّ البَيتَ، والحَرَما(٧)
فابقَوا بَقاءَ(٨) اللَّيالِي لا يُغَيِّرُكُم دَهرٌ، وشَملُكُمُ ما زالَ مُنتَظِما
ما استَعبَرَت والِهاتُ السُّحبِ بَاكِيَةً حَيًّا، وما افتَرَّ ثَغرُ الزَّهرِ، وابتَسَما

* * *

(١) في أ وب وج وأنوار البدرين: حشى.
(٢) في أ: لم ينئا، مكان ينأ، ونجم: ظهر، وطلع، وقد نقل المعنى من قول أبي بكر الهذلي:
إذا ما هبطن القاع قد مات نبته بكين به حتى يعيش هشيم
زهر الآداب جـ ٩٢٤/٤.
(٣) النون: الحوت، وذو النون: لقب اشتهر به نبي الله يونس (ع)، غضب على قومه من غير أن يأذن له الله عز وجل، فالتقمه الحوت، قصته مذكورة في سورة الأنبياء.
(٤) منسجم: منهمر، والدِّيَم، جمع ديمة: المطر، والسحاب، وترتيب البيت في الأعيان «٢٨».
(٥) في أ وب وج: امرء.
(٦) في الهاشمي: من ملك، مكان أمم، والثرى: التراب، وفي أ مكانها: الثرا، وصدر البيت في ج:
فكم تخطف من ريب الردى أمما ....
(٧) وخدت: أسرعت راميةً بقوائمها كمشي النعام، وخُوص، جمع خوصاء من الإبل: الغائرة العينين، والركاب: الإبل، وتؤمُّ: تقصد، وفي الهاشمي وب مكانها: تأم، وفي أ: تثام.
(٨) الكلمتان مطموستان في أ.

صدري لك قبر[1]

واتَّفَقَ خروج أعيان القطيف* منها لأمرٍ، وسكنوا البحرين* للسنة التاسعة والتسعين والتسعمائة، وبَقُوا مدَّةً تُوفِّي فيها شيخهم الأكبر: أبو علي: عبد الله بن ناصر بن حسين بن المقلّد*[2] من بني وائل[3] للسنة الحادية بعد الألف، ودُفن بمقبرة الشيخ راشد في جبَّانة أبي عنبرة[4]، فقال يرثيه، وأنشدها بتاسع موته:

أكُفُّ البـــرايا من تِراتِهِمُ صُـــفــرُ وبِيضُ المَنايا مِن دِمـائِهِمُ حُـمـرُ[5]

---

(١)تخريجها في الهاشمي ص: ٤٩ -٥٠، وسلافة العصر ص: ٥٤٢ - ٥٤٤، وأ ص: ٣٩ - ٤١، وب ص: ٧٢ - ٧٥، وج ص: ٥٤ - ٥٥، ومنها في أعيان الشيعة مج ٤/١٦٣ «١٣» بيتًا.

(٢)الأمر المقصود هو أنه في هذه السنة حدثت ثورة شاملة ضد الأتراك* قادها المرثي في القطيف*، وفي الأحساء* قادها سعدون بن حميد* زعيم قبيلة بني خالد*، وأما نسبه فيستنتج من كلام الشيخ البلادي* صاحب أنوار البدرين في ترجمة عبد علي بن قضيب أنَّ آل المقلد* ينتسبون إلى بني مقلد حكام الجزيرة الفراتية* والموصل*، وتابعه في ذلك خالد محمد الفرج* في مجلة المنهل، وأظن أنهما واهمان، فإن بني مقلد العقيليين، حكام الجزيرة، ينتمون إلى عامر بن صعصعة* من هوازن*، وللشيخ فرج العمران* كلام على نسب الشيخ يوسف بن أبي ذيب حاصله أنّه سمع بأن بني مقلد* ينتسبون إلى قصي بن كلاب*، لكنه استدرك قائلاً: «والظاهر أن آل المقلد من بني وائل كما في القاموس»، ولم أجد ما يؤيد ذلك في القاموس المحيط، أما قصي بن كلاب* فلا يلتقي بوائل* إلا في نزار، ولعل الأقرب هو ما صرح به أبو البحر، في أكثر من موضع، بأن آل المقلد القطيفيين* هم من بكر بن وائل*، والأرجح أنهم من ذريَّة أبي عزيز، مقلد «التراكي» بن علي «أبي منصور» بن عبد الله العيوني*، وإليه أشار علي بن مقرب العيوني* في قوله يمدح الأمير محمد بن مسعود العيوني:

سبق الملوك، وفات مجدَ مقلَّد* بمقلَّد طرفٍ، نماه مـــقـلَّدُ*

وواضحٌ من قوله: وأعـزُّ حيٍّ من ربيعـة* حيُـهُ كلٌّ يقـرُّ له، بذاك، ويشـهـد

أن نسبه في ربيعة*، ومنها تنحدر بكر بن وائل* كما لا يخفى، وعزيز، هذا، كان حاكمًا للقطيف* سنة ٥٥٧هـ، أمّا عن حياة عبد الله بن المقلد* فلم ترشدنا المصادر إلى شيء ذي بال، لكِّن الظاهر أنها كانت مليئة بالأحداث؛ فقد كان، على ما يبدو، في صراع مستمر مع العثمانيين* بلغ ذروته سنة ٩٩٩هـ؛ إذ حشد العثمانيون* قواهم للهجوم على القطيف*، فجمعوا لها الجيوش من البصرة*، وبغداد*، وشهرزور*، فتمكَّنوا من طرده منها، ففر إلى البحرين*، ومعه أعيان القطيف*، ومنهم أبو البحر. راجع: مقالة خالد الفرج بمجلة المنهل ع ٢ صفر ١٣٦٩هـ ص: ٩٢، وأنوار البدرين ص: ٣٣٦، والأزهار الأرجيَّة جـ ٤/١٧٣، ونهاية الأرب ص: ٣٣٠، و ٣٦٦، وديوان ابن المقرب ص: ١٦٤، وخريدة القصر قسم العراق ص: ٨٥٣، وساحل الذهب الأسود ص: ١٦١، وتحفة المستفيد ص: ٢٥١، وعلي بن مقرب العيوني حياته وشعره ص: ٢٧، ومجلة الوثيقة ع ١/٢٤، وع٢/٢١، وبنو خالد وعلاقتهم بنجد ص: ١٣٨ - ١٣٩.

(٣)وائل بن قاسط: قبيلة عربية، بطن من ربيعة بن نزار* من العدنانية، أشهر فروعها بكر*، وتغلِب*.

(٤)الجَبَّانَةُ: المقبَرَة، وجَبَّانَةُ أبي عَنبَرَة تقع في قرية خرَيَّان «غير اسمها في الوقت الحاضر إلى الصالحية»، شرقي قرية المصلى*، إلى الشمال الغربي من البلاد القديم في أوال* البحرين*، عقد اللآل، ص: ٣١.

(٥)التِّرات، جمع تِرَة: الظلم في الذحل، وفي السلافة: تراسهم، وفي أ وب وج والهاشمي: ترائهم، وصفر، ==

وَخَــيلُ الرَّزايا مــا تَـزالُ مُـعَـدَّةً تُقَـاتِلُنا فُـرسَانُهـا، ولَهـا النَّصـرُ[١]
تَكُرُّ علينا البِيضُ، والسُّمـرُ بالرَّدَى فَتَبلُغُ ما لا تَبلُغُ البِيضُ، والسُّمرُ[٢]
ومَــوردُ هـذا الدَّهرِ مُــرٌّ وإنَّهُ لأعــذَبُ شَيءٍ، عِندَنا، ذلكَ المُرُّ[٣]
خَليلَيَّ مِن أبناءِ بَكرِ بنِ وائلٍ*[٤] قِفا واندُبا شَيخًا بهِ فُجِعَت بَكرُ*
وَبَدراً تَراءَى لِلنَّواظِرِ فَــاهتَـدَت بِهِ، برهةً، ثُمَّ اختَـفَى ذلك البَـدرُ[٥]
وعَـضبًا ثَنَت أيدي النَّوائب* حَـدَّهُ فَـهَلاَّ اعتَـراها مِن مَضَارِبِهِ عَقرُ[٦]
أرامِي الرَّدَى أخطأتَنا، وأصبـتَـهُ أسأتَ لنا، جُدَّت أنامِلُكَ العَشرُ[٧]
فيـا أيُّها الثَّاوِي الذِّي اتَّخَذَ الثَّرَى مَقامًا، فَهَلاَّ كَانَ في صَدرِيَ القَبرُ؟[٨]

== مثلثة الصاد: خالية.

(١) أخذ معنى البيت من قول أبي الطيب المتنبي*:

نُعِد المشرفية والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال

وقول الشريف الرضي*: تفوز بنا المنون وتستبد ويأخذنا الزمان ولا يردُّ

وقوله: وما هذه الأيام إلا فوارس تطاردنا، والنائبات خيول

ديوان المتنبي ص: ٢٦٥، و ديوان الشريف الرضي جـ ١/٣٦٦، وجـ ٢/١٩٢، والمدهش ص: ٥٤٥.

(٢) أراد بالبِيض الأولى: الأيام، وبالسمر الليالي، والردى: الهلاك، وفي السلافة مكانها: الردي، بياء مثناة مكان المقصورة، والبيض الثانية: السيوف، والسمر: الرماح.

(٣) في السلافة: الأمر، مكان الدهر، وفي البيت نظر إلى قول أبي العلاء المعرّي*:

وكلٌ يريد العيش، والعيش حتفه ويستعذب اللذات، وهي سِمام

سقط الزند: ٦٦.

(٤) في الهاشمي والأعيان وأ: بكر ووائل.

(٥) أخذ المعنى من قول الخنساء*، أو مريم بنت طارق، وينسب إلى صفية الباهلية أيضًا:

كنا كأنجم ليلٍ بينها قمرٌ يجلو الدجى فهوى من بينها القمر

وقول جرير بن عطية الخطفي*:

أمسى بنوه، وقد جلت مصيبتهم، مثل النجوم هوى من بينها القمر

وقول أبي تمام*: كأن بني نبهان يوم وفاته نجوم سماء خرّ من بينها البدر

ديوان الخنساء ص: ٧٣، وديوان جرير ص: ٢٩٧، والموازنة ص: ٦٤، وديوان أبي تمام ص: ٣٢٩.

(٦) العضب: السيف القاطع، وفي السلافة: وكان، مكان فهلاً، وفي ب وج: فهل لا.

(٧) في ج: احطائنا، بحاء مهملة مكان أخطأتنا، وفي السلافة وب وج: بنا، مكان لنا، وجدَّت: بدال مهملة: قطعت، مثل جذّت، بالذال المعجمة، وفي الهاشمي و أ: جذت، وفي السلافة: شلت.

(٨) في ج: فياء يها، مكان فيا أيها، والثرى: التراب الندي، وفي أ: الثرا، وفي الهاشمي: صدري لك القبر، وفي البيت نظر إلى قول الراضي العباسي في رثاء أبيه، ويروى لمحمد بن الحسن بن دريد:

ولو أن حيًا كان قبراً لميّت لصيّرت أحشائي لأعظمه قبرا

قول ابن الزيات: يقول لي الخِلاّن لو زرت قبرها فقلت: وهل غير الفؤاد لها قبر؟ ==

وَهَلاَّ اسـتَخَـارَ الغَاسِلُونَ مَدَامِـعِي لجِسمِكَ غُسلاً، ثُمَّ شِيبَ بِهِ السِّدرُ[1]

فَـإِن جُعِلَ المَاءُ القَـرَاحُ، بِزَعمِ مَن رَآهُ، لَكُم طُهـراً؛ فَـأَنتُم لَهُ طُهـرُ[2]

وإِن بَلِيَت أَكـفَانُكَ البِيضُ فِي الثَّرَى فما بَلِيَ المَعرُوفُ، منك، ولا الذِّكرُ[3]

أَوَالُ *، سُـقِـيتِ صَـوبَ كُلِّ مُـجَلِّلٍ مِنَ المُـزنِ هَامٍ، لا يَـجِفُّ لَـهُ قَطـرُ[4]

كَـأَنَّك مِـغنَاطِيسُ[5] كُلِّ مُـهَـذَّبٍ فَـمَـا كَـامِلٌ إلاَّ وَفِـيكِ لَهُ قَـبـرُ

لِيُـهنِكِ فَـخـراً أن ظَفِـرتِ بِتُـربَةٍ يُعَفِّـرُ خَدّاً دُونَ إدرَاكِـهَا الغَفـرُ[6]

ثَوَى بِكِ مِن آلِ المُقَلَّد * سَـيِّـدٌ هُوَ الذَّهَبُ الإبرِيزُ، والعَالَمُ الصُّفرُ[7]

فَـتًى كَـرُمَت آبَاؤُهُ، وجُـدُودُهُ وطَابَت مَـسَاعِيهِ، فَتَمَّ لَهُ[8] الفَخرُ

عَـفِـيفُ مَـلاثِ[9] البُردِ عن كُلِّ زَلَّةٍ وفي أُذنِهِ، عن كُلِّ فَـاحِـشَـةٍ، وَقـرُ

جَـوَادٌ لَـهُ، فِي كُلِّ أَنمُلَةٍ، بَحـرٌ بَصِيـرٌ، لَهُ فِي كُلِّ جَارِحَـةٍ، فِكرُ[10]

== وقول المتنبي* : حتى أتوا جدثًا كأنّ ضريحه في صدر كلّ موحد محفور

زهر الآداب جـ ٣/٧٢٢، وديوان المتنبي ص: ٧١، وشرحه جـ ٢/٢٣٣، ومعجم الأدباء جـ ١٨/١٣٥.

(١) في السلافة وب وج: وهل لا، مكان وهلا، وشيب، على المجهول: خُلط، والمعنى نقله من قول عمر بن أبي ربيعة*: وليت طهوري كان ريقك كله! وليت حنوطي من مشاشك، والدم!

ديوانه ص: ٣٨٨.

(٢) في الهاشمي و أ: برغم، مكان بزعم.

(٣) في الأعيان: لئن، مكان وإن، والثرى: التراب، وفي أ مكانها: الثرا.

(٤) أوال*: الإسم القديم لجزيرة البحرين*، وفي الأعيان مكانها: افال، وفي الهاشمي وأ وب وج: سقيتي، مكان سقيت، بزيادة ياء مثناة، والصوب: المطر، والمُجلِّل: السحاب الذي يجلل الأرض بالمطر، أي يعمها، وفي الأعيان وأ وب وج مكانها: مجلجل، والبيت ليس في السلافة، والمثبت من الهاشمي.

(٥) المغناطيس، Magnatite، أو حجر المغناطيس Lodestone: حجر له خاصية جذب المعادن كالحديد ونحوه، يصنع من أشابات Alloys تشتمل على ألمنيوم، ونيكل، وكوبلت، وحديد.

(٦) الغَفر: منزلة من منازل القمر، وهي ثلاثة أنجم صغار من الميزان، وفي الهاشمي والسلافة مكانها: العفر، بعين مهملة، وفي ب: القفر.

(٧) في الأعيان: ثوى فيك، مكان ثوى بك، وفي السلافة: ثوا بك، والإبريز: الذهب الخالص، والصفر: نوع من النحاس تصنع منه الأواني.

(٨) في ب و ج: لها.

(٩) ملاث البرد: الموضع الذي عليه يلاث، أي يلفُّ البرد، وهنا كنايةٌ عن العفة، وفي الأعيان: نقي البرد.

(١٠) في السلافة: مجد، مكان بحر، وقد أخذ المعنى من قول محمد بن وهيب الحميري*:

في كلِّ أنملةٍ لراحـتـه نوءٌ يسحُ، وعارض حَشِدُ

وهو منقول من قول أبي تمام*: ==

ويا بَلَدَ الخَطِّ * اعــتـراكِ لِفَـقــدهِ ... مَدَى الدَّهرِ كَسـرٌ لا يُرامُ لَهُ جَبرُ[1]

مِنَ الآنَ بَدءُ[2] الشَّـرِّ فـيك، وإنَّهُ ... لمتَّـصِلٌ، باقٍ، وآخِـرُهُ الحَـشـرُ

فَـأيُّ فَـتًى لا يَرهَبُ الضَّـيمَ جَـارُهُ ... فَقَـدت، ويُسـرٌ لا يُمَـازِجُـهُ عُـسـرُ

ولَيثُ وغًى * لَو قَـابَلَ اللَّيثَ أعـزَلاً ... وحَـارَبَهُ لَم يُغنِهِ النَّابُ، والظُّفـرُ[3]

فَـأقـسِمُ لو لا مَـوتُه في فِـراشِـهِ ... لَجُـرِّدَت البِـيضُ المُهَنَّدَةُ البُـتـرُ[4]

وأرعِشَت المُلدُ المُثَـقَّـفَـةُ السُّـمـرُ ... وأقبَلَت الخَيلُ المُسَـوَّمَـةُ الشُّـقـرُ[5]

== وكيف احتمالي للسحاب صنيعةً ... بإسقائها قبراً، وفي لحده البحر

وقول عبد الله بن المعتز*:

لست مستسقيًا لقبرك غيثًا ... كيف يظما وقد تضمَّن بحرا

معاهد التنصيص ج ١/٢٢٦، وديوان أبي تمام ص: ٣٣٠، وديوان ابن المعتز ص: ٢٥٨.

(١) في السلافة: الحظ، مكان الخط، وفيها أيضًا: مدا، مكان مدى، وفي ج: مد.

(٢) في الهاشمي والسلافة وب وج: بدؤ.

(٣) الوغى، في أ، مكانها: وغا، وفي ب: أعرلا، براء مهملة، مكان أعزلاً بالزاي المعجمة.

(٤) في الهاشمي: وأقسم، مكان فأقسم، وفي أ: لجردة، بتاء مربوطة، مكان لجردت، وهذا معنىً سوف يكرره كثيراً، فسيأتي في قصيدة يرثي بها الإمام الحسين بن علي أبي طالب* (ع) ج ١/٢٨١ :

أما وأبي لو لا تأخر مدّتي ... وأنّ الذي لم يقضه الله كائد

لألفيتموني في رجالٍ كأنهم ... ليوثٌ بمستنّ النزال حوارد

و في رثاء السيد عبد الرؤوف قاضي القضاة* ج ١/٢٨٥:

عذراً لو العادي عليه سوى الردى ... قسمًا لكنت عليه أوّل عادي

في فتية ضمنت لهم عزماتهم ... ريَّ القنا في كلّ يوم جلاد

وفي رثاء خديجة وملوك ابنتي السيد عبد الرؤوف بن السيد حسين قاضي القضاة* ، وزوجة أخيهما السيدة مريم المهزمية، وابن أخيهما السيد جمال بن السيد سليمان ج ١/٣٠٥ - ٣٠٦:

أما لو كان غيرُ الموت مُدَّت ... يداه لهنَّ، والآجال تُردي

لكادت أن تسوخ الأرضُ مما ... تظلُّ بها جياد الخيل تردي

عليها الشوس من عليا قريشٍ ... أولي النجدات والعزم الأشد

وفي رثاء حسن بن محمد بن أبي سنان ج ١/ ٣١٦:

أما لو كان ثأرٌ عند غير الـ ... ـمنية والنفوس إلى زوال

لأوجفنا عليه الخيلَ شعثًا ... تعادى، في الأعنّة، كالسعالي

وقال ج ٢/٤٨:

فلو همَّ غير الحوت بي لتواثبت ... رجالٌ يخوضون الحمام إلى نصري

(٥) المسوَّمة: المرسلة، المغيرة، والشُّقر، جمع شقراء: من الشقرة، وهي في الخيل حمرة صافية يحمرُّ معها العرف والذنَب، فإن اسودَّا فهو الكميت.

عَلَيــهِنَّ[1] مِن آلِ المُقَلَّد* غِلمَــةٌ — مَســاعِيـرُ حَـربٍ لا يَضيعُ لَـهُم وِترُ
تُثــقِّفُ مُنآدَ الرِّمــاحِ أكُـــفُّــهُم — وتَمنَحُـها طُولاً إذا شانَها قِصـرُ[2]
كَــأنَّهُمُ، والسَّــابِغَــاتُ عليــهِمُ، — إذا ما دَجَا لَيلُ الوَغَى*، أنجُمٌ زُهرُ[3]
وَلَو خَلَّدَ المَعرُوفُ، في النَّاسِ، واحِداً — لَخَلَّدَ عَـبـدَ اللَّه* نائِلُه الغَـمــرُ[4]
ولَـكِنَّهــا الأيَّامُ جَــاءَتهُ تَبتَــغِي — نَوالاً فـأولاها نَوالاً هُو العُـمــرُ[5]
فـيـا قَـبـرَهُ، حَـيَّـاكَ مُنبَـعِقُ الكُلَى — ونَشَّــرَ من أبرادِهِ حَــولَكَ الزَّهرُ[6]

---

(١) في ج: علهين، بتقديم الهاء على الياء.

(٢) تثقف، للرمح وغيره: تقوم، والمنآد: المعوجُ، وفي السلافة مكانها: ملاد، وفي ب: مناد، وفي أ: منتاد.

(٣) السابغات، جمع سابغة: الدرع الواسعة، والوغى* : في ب وج مكانها: الوغا.

(٤) هذا المعنى متداول، فمنه قول أبي الجويرية:

لو خلَّد الجود أقوامًا ذوي حسبٍ — في ما يحاول من آجالهم خلدوا

وقول فاطمة بنت الأجحم الخزاعيَّة:

لو بأحســاب ومكرمــة — خلَّد الله الورى؛ خلدوا

وقول آخر: فلو أنَّ مجداً أو ندىً أو فضيلةً — تُخلِد شيئًا، كنت أنت المخلَّدا

وقول حسان بن ثابت*:

فلو كان مجدٌ يخلد اليومَ واحداً — من الناسِ، أبقى مجدُه اليوم مطعما

ولعل أول من فتح هذا الباب هو زهير بن أبي سلمى* بقوله، وهو ليس في ديوانه:

لو أنَّ حمداً يخلد الناس، خلَّدوا — ولكنَّ حمد الناس ليس بمخلدِ

أمالي القالي ج ١/١٠٦، والعروض الواضح ص: ٨٧، وديوان المعاني ج١/٦٨، والموتح ص: ٧٩، ومعاهد التنصيص ج ١/٣٢٧.

(٥) في أ وج: جآته، مكان جاءَته، وهذا المعنى متداول، ومنه قول علقمة بن عبدة:

تجـود بنفسٍ لا يجـاد بمثلهـا — فأنت بها يوم اللقاء خصيب

وقول مسلم بن الوليد*:

يجود بالنفس إن ضنَّ الجواد بها — والجود بالنفس أقصى غاية الجودِ

وقول علي بن الجهم*: فلمَّا لم أجد شيئًا نفيسًا — يكون هديَّةً أهديت نفسي

وقول أبي تمام*: ولو لم يكن في كفِّه غير نفسه — لجاد بها، فليتق الله سائله

والبيت الأخير اختلف في نسبته إلى عدد من الشعراء، هم: زهير بن أبي سلمى*، وزياد الأعجم، وأبو تمام، وبكر بن النطاح الحنفي*، وزينب بنت الطثرية، أخت يزيد بن الطثرية*، وعبد الله بن الزبير الأسدي. راجع: ديوان زهير بن أبي سلمى ص: ٧٢، وديوان زياد الأعجم ص: ١١١، وديوان أبي تمام ص: ٢١٩، والأغاني ج ١٤/٢٢٤، ووفيات الأعيان ج ٦/٣٧٥، وفوات الوفيات ج ١/٢٢١، وديوان المعاني ج ١/١٠٤.

(٦) المنبعق: المنبعج بالمطر، أي المنهمر به، وفي الهاشمي وب وج مكانها: منعبق، والكُلى، بضم الأول وفتح الثاني، جمع كُلية: أسافل السحاب، وفي الأصول مكانها: الكلا، ولعل الصواب ما أثبتناه، وفي الهاشمي: ابرادهن لك، مكان أبرداه حولك.

بَنيـهِ، اصبِـرُوا، فـالصَّبـرُ أجـمَلُ حُلَّةٍ تَـرَدَّى[1] بهـا مَن مَسَّ جَـانبَـهُ الضُّـرُّ
فَلَو لا انـقِضـا الأعـوامِ مـا فَنِيَ الدَّهرُ ولَو لا فَنا الأيَّامِ مـا نَفَـدَ الشَّـهـرُ
وَدُونَـكُمُ مـن لُجَّـــةِ الـفِكـرِ دُرَّةٌ مُنَظَّمـةٌ يَعنُو[2] لَهـا النَّظمُ، والنَّثـرُ
وعَــذراءُ مِن حُــرِّ الكَلامِ خَـرِيدَةٌ بأمثَالِها، في الشِّعرِ، يَفتَخِرُ الشِّعرُ
ومـا مَـهـرُها إلاَّ قَـبُـولُكُمـوُ لَهــا لَقَد كَرُمَت مَـمهُورَةً، وغَلا[3] المَهرُ

* * *

(١) في السلافة و ب وج: تردي، بياء مثناة مكان المقصورة.

(٢) في أ: يعنوا.

(٣) في السلافة: مهركم، مكان مهرها، وفي السلافة: غلى، مكان غلا.

يا قبر[1]

ولما كان الرثاء هو عَدُّ مناقب المرثي، وذكر محاسن أخلاقه، والتفجع لمصابه؛ لا جرم ألحقنا ما يُكتب على حجارة القبور من الأبيات به، والرثاء مشتقٌّ من الرثي، وهو التسكين، قال، وقد التُمس منه إنشاء أبيات تكتب[2] على حجر قبر الشيخ عبد الله بن ناصر بن مُقلَّد* المرثي سابقًا، فقال ذلك للسنة الرابعة بعد الألف[3]، والله تعالى أعلم:

يا قَبـرُ، إنَّكَ لو عَلِمتَ بِمَن ثَوَى ... فيكَ استَطَلتَ على القُصُورِ فَخَارا[4]

وارَيتَ عَبـدَ اللَّهِ، فاسمُ، فإنَّما ... وارَيتَ يَعـرُبَ، سُـؤدُداً[5]، ونِزارا *

إن أظلَمَت سُدَفُ[6] المَقَابرِ فاستَنِر، ... من بَينِها، فَلَقَد حَوَيتَ نَهارا

فَسَقَاكَ نَائِلُهُ*، فَلَسنا بَعدَهُ، ... يا قَبرُ، نَستَسقِي لَكَ الأمطارا[7]

* * *

(١) تخريجها في الهاشمي ص: ٦٨، وأ ص: ٥٠، وب ص: ٨٨، وج ص: ٦٤.

(٢) في ب وج: يكتب.

(٣) المرثي توفي سنة ١٠٠١هـ، فلعل الأبيات كتبت بمناسبة تجديد بنية القبر.

(٤) ثوى: نزل، وأقام، وفي البيت نظر إلى قول إحدى الشواعر:

لو يعلم القبر من يواري ... تاه على كلّ ما يليه

وقول ابن الرومي: لو يعلم القبر من أُتيح له ... لانحفر القبر غير محتفر

راجع: أمالي القالي ج ٢/٣٢٦، وديوان ابن الرومي ج ٣/٩١٧.

(٥) في ج: سودد، وفي ب وأ: سوددا.

(٦) السُدف، جمع سُدفة: الظلمة.

(٧) النائل: العطية، يريد جوده، وكرمه، وقد مرَّ هذا المعنى في قوله حـ ١/ ١٦٦:

وأوقفاني فيها ثم لا تسلا ... لها السحاب الفوادي بعد أجفاني

و جـ ١/١٧٣: وجهلٌ بنا استسقاؤنا صيِّبَ الحيا ... لدار يغادي ساحتيها حياكما

والمعنى مأخوذ من قول دعبل الخزاعي*:

لا أبتغي سقيا السحاب لها ... في مقلتي خَلَفٌ عن السقيا

راجع: ديوانه ص: ٩٩، ومحاضرات الأدباء جـ ٢/٧٨، وأمالي القالي جـ ١/٢١٢، وفيها سقي، وعوض، مكان سقيا، وخلف.

معاهد خالية[1]

وقال يَرثي الشهيد أبا[2] عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب* (ع):

مَـــعَـــاهِدُهُم بالأبـرَقَينِ هَوامِـــدُ　　رُزِقنَ عِـهــادَ المُزنِ تلكَ المَعَـاهِدُ[3]

ولَو لا احـمِـرَارُ الدَّمعِ لا نبعَثَت لَـهـا　　سَـحـائبُ دَمعٍ، بِالحَنينِ، رَواعِـدُ[4]

وقَـفتُ بهـا، والوَحشُ حَولي، كَـأنَّني　　بِهِنَّ مَليكٌ حَــولَهُ الجُندُ حَـاشِـدُ

أُسَـرِّحُ في أكنافِـهـا الطَرفَ، لا أرَى　　سِوَى أشعَثٍ شَجَّتهُ، أمسِ، الوَلائدُ[5]

وإلاَّ ثَلاثًا، كَـالحَـمَـائمِ*، جُـثَّـمًـا　　ونُؤيًا عَـفَـتـهُ الذَّاهِبـاتُ العَـوائدُ[6]

وأسـألُهـا عن أهلِهـا وَهيَ لَم تُحِـر　　جَوابًا، وهل يَستَنطِقُ العُجمَ ناشِدُ ؟[7]

---

(١)تخريجها في الهاشمي ص: ٣٦ - ٣٩، وأ ص: ٤١ - ٤٥، وب ص: ٧٥ - ٨٠، وج ص: ٥٦ - ٥٩، ول ص: ٩ -١٤، ورياض المدح والرثاء ص: ١٦ - ١٨، وأدب الطف جـ ٥/٧٢ - ٧٥، ونيل الأمـــاني، ص: ٣٥٠ - ٣٥٤، ومنها في أعيان الشيعة مج ٤/١٦٣ «٤١» بيتًا، وفي شعراء القطيف ق ١/١٣ - ١٥ «٤٤» بيتًا، والدر النضيد ص: ١٣١ - ١٣٣ «٤١» بيتًا.

(٢)في أ وب وج: أبي.

(٣)قال ياقوت*: إذا جاؤا بالأبرقين هكذا مثنى فأكثر ما يريدون به أبرقي حجر اليمامة*، وهو منزل على طريق مكة* من البصرة* بعد رميلة اللوى. را معجم البلدان: جـ ١/٦٦، وفي الأعيان والدر النضيد: سقينَ، مكان رزقنَ.

(٤)في ب وج: ما، مكان لا.

(٥)الأشعث: الوتد لما فيه من شجج، وشجَّته: شقَّته، وفي الهاشمي وشعراء القطيف مكانها: أشجته، والولائد، جمع وليدة: الجواري، ولعله أراد بها الليالي والأيام.

(٦)في ب وج: والا ثلثا، مكان وإلاَّ ثلاثًا، وأراد بالثلاث: الأثافي، وهي حجارة توضع عليها القدر شبَّهها بالحمائم الجاثمة، والنؤي: حُفَيِّر صغير يُتَّخذ حول الخيمة لدرء المطر عنها، وفي أدب الطف مكانها: ونؤيا، وفي نيل الأماني، وثوبًا، وعفَته: محته، والذاهبات العوائد: الرياح، وفي ج مكانها: الذاهيات، بياء مثناة مكان الباء الموحدة، وفي البيت نظر إلى قول ذي الرمة:

فلم يبق إلاَّ أن نرى من مـــحلَّة　　رمـاداً نفت عنه السـيـولَ جنادلُه

كأنَّ الحمامَ الوُرقَ في الدار جُثّمتْ　　على خـــرق بين الأثافي جـــوازلُه

وقول أبي حية النمرى: كأنَّ بها حمـامـات ثلاثًا　　مـثلن، ولم يطرن مع الحـمـــام

ديوان ذي الرمة ص: ٧٦، والحيوان في الأدب العربي جـ ١/٣٦٢.

(٧)في الأعيان والدر النضيد: اسائلها، مكان وأسألها، وفي رياض المدح: واسئلها، وفي ب وج: ثم لا تحر، مكان وهي لم تحر، وفي نيل الأماني: وهي لا تجب.

لَكَ الخَـيـرُ، لا تَذهَب بِحِلمِكَ دِمنَةٌ ... مَحاها البِلَى، واستَوطَنَتها الأوابِدُ[1]
فَمَا هيَ، إن خَاطَبتَها، بِمُجيبَةٍ ... وإن جَاوَبَت لَم تَشفِ[2] ما أنتَ واجِدُ
وَلَكِن هَلُمَّ الخَطبَ في رُزءِ سَيِّدٍ ... قَضَى ظَمَأً والمَاءُ جَارٍ وَرَاكِدُ[3]
كَأَنِّي بِهِ فِي ثُلَّةٍ من رِجَالِهِ ... كَمَا حَفَّ باللَّيثِ الأسُودُ اللَّوابِدُ[4]
يَخُوضُ بِهِم بَحرَ الوَغَى* وَكَأَنَّهُ ... لِوَارِدِهِ، عَذبُ المُجَاجَةِ بَارِدُ[5]
اذا اعتَقَلُوا سُمرَ الرِّمَاحِ وَجَرَّدُوا ... سُيُوفًا أعَارَتها البُطُونَ الأسَاوِدُ[6]
فَلَيسَ لَها الاَّ الصُّدُورُ مَرَاكِزٌ ... ولَيسَ لَها الاَّ الرُّؤوسُ مَغَامِدُ[7]
يُلاقُونَ شَدَّاتِ الكُمَاةِ[8] بأنفُسٍ ... إذا غَضِبَت هَانَت عَلَيها الشَّدائِدُ
إلى أن ثَوَوا في الأرضِ صَرعَى كَأَنَّهُم ... نَخِيلٌ أمالَتهُنَّ أيدٍ عَواضِدُ[9]

---

(١) في نيل الأماني: لا يذهب، مكان لا تذهب، والدمنة: ما يتبقَّى من أثر المنزل بعد رحيل ساكنيه، وفي ل، ونيل الأماني: عفاها مكان محاها، والبِلى: مِن بَليَ الثوب إذا رثَّ وتلف لقدمه، وفي الأعيان ونيل الأماني وأ وب وج مكانها: البلا، والأوابد جمع آبد: الوحش.

(٢) في الهاشمي وأدب الطف وشعراء القطيف: يشفي.

(٣) في أ: رزؤ، مكان رزء، وفي ل: رزوء، وفي أ: ظمئا، مكان ظمأ، وفي رياض المدح: ظماء.

(٤) اللوابد، جمع لابد: الأسُود، أو أنه أراد جوائم، من لبد بالآرض أي أقام بها، ولزق، وفي الأعيان والدر النضيد: الحوارد.

(٥) في أ: وغا، وفي أ والهاشمي: لواردهم، مكان لوارده، والمجاجة: العصارة، والريقة، والعسل.

(٦) اعتقلوا رماحهم: جعلوها بين سيقانهم والركاب، كأنهم اتخذوها عقالاً، وجرَّدوا سيوفهم: أخرجوها من أغمادها، وفي رياض المدح مكانها: حردوا، والأساود، جمع أسود: العظيم من الحيَّات.

(٧) في الهاشمي وأدب الطف: مراكزا، مكان مراكزٌ، وفي شعراء القطيف ورياض المدح والأعيان والدر النضيد: الا النحور، مكان إلأ الرؤوس، وفي ب وج ول وأدب الطف: الا الرؤس.

(٨) الشدات، جمع شَدَّة: الحملات، والغارات في الحرب، والكماة، جمع كمي: الشجاع، أو لابس الدرع، وفي الأعيان ورياض المدح ونيل الأماني: الكمات.

(٩) في الأعيان والدر النضيد: الترب، وفي متن ب: الرمل، وقد سقط البيت من متن ج، وأثبت في الحاشية، ونصّ صدره فيها: «إلى ان ثوو في الرمل وكأنهم» وهو مكسور، ومغلوط املاءً، وعواضد، جمع عاضدة، اسم فاعل: التي تعضد الشجرة؛ أي تقطعها بالمعضد، وهو سيف يقطع به الشجر، وقد أخذ معنى البيت من قول الخرنق بنت بدر بن هفان* أخت طرفة بن العبد:

ومال بنو ضبيعة حول بشر ... كما مال الجذوع من الحريق

وقولها أيضًا: ألا من رأى قومي كأنَّ سراتَهم ... نخيلٌ أتاها عاضد فأمالها

ويروى: عاصف، وعاصر، مكان عاضد، وينسب أبو هلال العسكري* هذا البيت إلى يزيد بن عمرو الطائي، وعنده: رجالهم، مكان سراتهم. راجع: ديوان الخرنق بنت بدر ص: ٤٠ - ٤١، وكتاب الصناعتين ص: ١٤٥.

أولئكَ* أربَابُ الحِـفـاظِ سَـمَت بِهِم، ... إلى الغَايَةِ القُصوَى، النُّفُوسُ المَواجِدُ[١]
وَلَم يَبقَ الاَّ واحِـدُ النَّاسِ واحِـداً ... يُكَابِدُ مِن أعـدائه مـا يُكَابِدُ
يَكُرُّ فَـيَنثَـالُونَ عَنهُ كَـأَنَّهُم ... مَهًا، خَلفَهُنَّ الضَّارِيَاتُ، شَوَارِدُ[٢]
يُحَـامِي وَرَاءَ الطَّاهِرَاتِ مُـجَاهِداً ... بِأَهلِي وَبِي ذاكَ المُحَامِي المُجَاهِدُ
فَما اللَّيثُ ذُو الأَشبَالِ هِيجَ على الطَّوَى ... بِأَشـجَعَ منه حِينَ قَلَّ المُسَاعِدُ[٣]
ولا سَـمِعَت أذني، ولا أذنُ سَامِعٍ ... بِأَثبَتَ مِنهُ في اللِّقَا وَهوَ واحِدُ
إلى أن أَسالَ الطَّعنُ والضَّربُ نَفسَهُ ... فَخَرَّ كَما أهوَى[٤] إلى الأرضِ سَاجِدُ
فَلَهفِي لَهُ والخَيلُ مِنهُنَّ صَادِرٌ ... خَضِيبُ الحَوَامِي، مِن دِمَاهُ، وَوَارِدُ
فَأَيُّ فَتىً ظَلَّت خُيُولُ أُمَيَّةٍ* ... تَعادَى[٥] على جُثمَانِه، وتُطارِدُ
وأعظَمُ شَيءٍ أنَّ شِمراً لَهُ على ... جَناجِنِ[٦] صَدرِ ابنِ النَّبِيِّ مَقاعِدُ
فَشُلَّت يَدَاهُ حِينَ يَفرِي بِسَيفِهِ ... مُقَلَّدَ مَن تُلقَى إليهِ المَقَالِدُ[٧]
وإنَّ قَتِيلاً أحرَزَ الشِّمرُ شِلوَهُ ... لأكرَمُ مَفقُودٍ يُبَكِّيهِ فَاقِدُ[٨]
لَقىً بِمَحَانِي الطَّفِّ، شِلواً، ورأسُهُ ... يَنُوءُ بِهِ لَدنٌ مِنَ الخَطِّ* مَائِدُ[٩]

---

(١) المواجد، جمع ماجدة: ذات المجد، والحسن، والخلق السمح، وفي رياض المدح وشعراء القطيف، ونيل الأماني: الأماجد.

(٢) ينثالون، الأصل فيها: ينصبُّون، ويتجمعون من كل صوب، ويتتابعون، ويتبعها الحرف على، وهنا: يفرُّون، والمها، جمع مهاة: البقرة الوحشية، وفي باقي الأصول مكانها: مهى، والتصويب من شعراء القطيف والأعيان.

(٣) في نيل الأماني: ذا، مكان ذو، والطوى، بضم الأول وفتحه: الجوع، وفي الهاشمي وشعراء القطيف ورياض المدح وأدب الطف، مكانها: طوى.

(٤) في شعراء القطيف، ورياض المدح: يهوى.

(٥) تَعادى: تتعادى، حذفت منها إحدى التائين: تتبارى في العدو، أي الجري، والركض، وفي ج والأعيان: تعادي، بياء مثناة مكان المقصورة.

(٦) الجناجن، جمع جنجن، وجنجنة، بكسر الأول، والثالث، وسكون الثاني: عظام الصدر، أو رؤوس الأضلاع، وفي أ: جناجن، بهمزة مكان النون الأولى.

(٧) المقلد: موضع القلادة، أراد العنق، والمقالد، جمع مقلد: المفاتيح، وألقت إليه المقالد مجازاً: فوضت إليه شؤونها.

(٨) أحرز: حاز، وملك، وفي ج: احرز، وفي شعراء القطيف ميز، والشلو، من الإنسان: العضو بعد البلى والتفرق.

(٩) ينوء: يقوم متثاقلاً من الإعياء، وفي أ وج مكانها: ينؤ، ومائد: مهتز، ومكانها في بقية الأصول: وارد، والمثبت هنا من ل والأعيان.

وَلَهـفِي على أنصـارِهِ، وحُـمَـاتِـهُ وهُم لِسَـراحِينِ الفَـلاةِ مَـوائِدُ
مُـضَـمَّـخَـةٌ أجسَـادُهُم، فَكَأنَّمـا (عَلَيهِنَّ من حُمرِ الدِّماءِ مَجَاسِدُ)[1]
تُضِيءُ بِهِم أكنَافُ عَـرصَـةِ كَـربَلا* وتُظلِمُ مِنهُم أربُعٌ، ومَـشَـاهِدُ[2]
فَـيـا كَـربَلا*، طِلتِ السَّـمـاءَ ورُبَّـمـا تَنَاوَلَ، عَفواً، حَظَّ ذي السَّعيِ قَاعِدُ[3]
لأنتِ، وإن كُنتِ الوَضِـيـعَةَ، نِلتِ مِن جِـوارِهِمُ مـا لَم تَنَلهُ الفَـرَاقِـدُ[4]
سُـرِرتِ بِـهِم أن[5] آنَسُـوكِ، وسَـاءَني مَحَارِيبُ مِنهُم أوحِشَت، ومَسَاجِدُ
(بِذا قَـضَتِ الأيَّامُ مـا بَينَ أهلِهـا مَـصَـائِبُ قَـومٍ عِنَد قَـومٍ فَـوائِدُ)[6]
لِيُـهنِكِ أن أمـسَى ثَـرَاكِ، لِطِيـبِـهِ، تَـعَـطَّرُ مِنهُ في الجِنانِ الخَـرَائِدُ[7]

---

(١) المجاسد، جمع مجسد: الثوب المصبوغ بالزعفران، وعجُز البيت لعبد الواحد انبغاء. ونص البيت كاملاً:

مَرَنَّ على لدغ القنا فكأنَّما — عليهنَّ من صبغ الدماء مجاسد

يتيمة الدهر جـ ١/ ٣٣٠.

(٢) في ج: تضئى، مكان تضيء، وفي الهاشمي وأدب الطف: به، مكان بهم، والعرصة: ساحة الدار، وهي البقعة الواسعة بين الدور ليس بها بناء، وفي الهاشمي وأدب الطف: منه، مكان منهم، وفي نيل الأماني: مساجد، مكان مشاهد.

(٣) هذا تضمين للمثل: «ربَّ ساعٍ لقاعد»، وفيه أقوال، الأول: أنَّ قائله النابغة الذبياني*، وحكايته أنَّ وفوداً من العرب* وفدت على النعمان بن المنذر* وفيهم رجلٌ من عبس يقال له شقيق*، فمات عنده، فلما حبا النعمانُ الوفودَ بعث إلى أهل شقيق بمثل حباء الوفود، فقال النابغة الذبياني* حين بلغه ذلك:

أبقيت للعبسي فضلاً ونعمةً — ومحمدةً من باقيات المحامد
حباءَ شقيقٍ فوق أعظم قبره — وما كانَ يُحبى قبله قبرُ وافد
أتى أهله منه حباءٌ ونعمةٌ — وربَّ امرئٍ يسعى لآخر قاعد

والثاني: أنَّ من قاله معاوية بن أبي سفيان*، وحكايته طويلة، وخلاصتها: أنَّه أقنع عبدَ الله بن عامر بن كريز أن يطلق زوجته أمَّ خالد ليزوجها لولده يزيد، فأرسل لها أبا هريرة يخطبها ليزيد، فمر بعدد من أعيان الصحابة، ومنهم الحسن بن علي (ع)، فسأله كلٌّ منهم أن يذكره لها فاختارت الحسن، فلما بلغ ذلك معاوية قال:

أبشري أمَّ خالد — ربَّ ساعٍ لقاعد

والمشهور أنه عبد الله بن سلام، وزوجته أرينب بنت إسحاق، والساعي هو أبو الدرداء، والذي تزوجها هو الحسين (ع)، وأمَّا الثالث: فإن قائله يزيد بن معاوية، وفيه اسلمي، مكان ابشري. راجع: مجمع الأمثال جـ ١/ ٢٩٩ - ٣٠١، وثمرات الأوراق ص: ٢٢٩، وديوان يزيد بن معاوية ص: ٤١.

(٤) في نيل الأماني: ولو، مكان وإن، وفي ج: الوضيفة، مكان الوضيعة، وفي متن ب وج: جوارحهم، مكان جوارهم.

(٥) في الأعيان والدر النضيد وأ: مذ، وفي الهاشمي وأدب الطف: اذ.

(٦) البيت لأبي الطيب المتنبي*. راجع: ديوانه ص: ٣١٨.

(٧) ليهنك: فعل أهنأ، مجزوم للطلب، والكلمة في ل: مطموسة، وفي الأعيان: امسي، بياء مثناة مكان أمسى بالمقصورة، وفي الهاشمي، وأدب الطف: بطيبه، مكان لطيبه، وفي ج: لصيبه.

وإن أنسَ لا أنسَى النِّسَـاءَ كـأنَّهـا   قَطًا ريعَ، عَن أوكَـارهِ، وهوَ هاجِـدُ[1]
خَـوَارِجَ مِن أبيـاتِهـا وهيَ، بَعـدَها،   لأرجَـاسِ حَـربٍ، بالحَـريقِ، مَـواقِـدُ
سَوافِرَ، بَعدَ الصَّونِ، ما لِوُجُـوهِها   بَـرَاقعُ، إلاَّ أذرُعٌ[2]، وسَـــواعِـــدُ
إذا هُنَّ سُلِّبنَ القَــلائدَ جُـــدِّدَت،   مِنَ الأسـرِ، في أعناقِـهِنَّ، قَـلائدُ[3]
وتُلوَى عَلَى أعـضَـادهِنَّ مَـعَـاضِـدٌ،   مِنَ الضَّربِ، إذ تُبتَزُّ منها المَعَاضِدُ[4]
نَـوَادِبَ لَو أنَّ الجِـبَـالَ سَـمِـعنَهـا   تَدَاعَت أعَـاليـهِنَّ فَـهيَ سَـواجِـدُ
إذا هُنَّ أبصَـرنَ الجُـسـومَ كَـأنَّهـا   نُجُـومٌ على ظَهـرِ الفَـلاةِ رَوَاكِـدُ[5]
وشِـمنَ رُؤُوسًـا كَـالبُـدُورِ تُقِلُّهـا   رِمَـاحٌ كَـأشطَانِ الركِيِّ مَـوائِدُ[6]
تَـداعَينَ يَلطِمنَ الخُـــدُودَ بِعَــولَةٍ[7]   تَصَـدَّعُ منهـا القَـاسِيـاتُ الجَلامِـدُ
ويَخـمِـشنَ بالأيدي وُجُـوهًا كَـأنَّهـا   دَنَانيــرُ أبلاهُنَّ، بالحَكِّ، نَاقِـــدُ[8]
وظَلـنَ يُردِّدنَ المَناحَ كَـــأنَّمــــا   تَـعلَّمُ مِنهُنَّ الحَـمَـامُ الفَــوَاقِـدُ
فـمـا الوُرقُ بَزَّتهـا البُـزاةُ فِـراخَـهـا   وحَـلأها عَن حَـومَـةِ الوكـرِ صَـائِدُ[9]

---

(١) في ب وج ورياض المدح والأعيان والدر النضيد : لا أنس، وريع : روّع وأفزع، وفي الأعيان والدر النضيد وشعراء القطيف: من، مكان عن، وهاجد : نائم.

(٢) في شعراء القطيف ورياض المدح وأ وب وج : ادرع، بدال مهملة.

(٣) في نيل الأماني : حددت، مكان جددت، وفي الهاشمي وأدب الطف: من الضرب، مكان من الأسر.

(٤) في ب وج : يبتز، مكان تبتز، والمعاضد، جمع معضد : الدملج، وهو حِلية تلبس في المعصم، وليس في العضد، كما توهم الشاعر، إلا إذا حملت على الإستعارة.

(٥) الفلاة : القفر، أو الصحراء، وفي أ مكانها : الفلات، ورواكد، جمع راكدة: ساكنة.

(٦) شمن : نظرن، وتطلعن بأبصارهن، وفي نيل الأماني : مكانها : شفن، وفي أ : رؤسا، مكان رؤوسًا، وفي ب وج روسا، والأشطان، جمع شطن : الحبل، أو الطويل منها، والرِّكيُّ، جمع ركِيَّة : البئر ذات الماء، وفي نيل الاماني مكانها : الزكي، بزاي معجمة مكان الراء المهملة، وموائد، جمع مائدة: متمايلة، يشبه الرماح بحبال الآبار، ومكانها في ب وج : موارد، وقد مرَّ المعنى في قوله جـ ١/١٦٣ :

واستلأموا قمُص الحديد وجردوا   سمراً كأرشية الركي صعادا

وهو من قول المهلهل* : كأن رماحَهم أشطانُ بئرٍ   بَعيدٍ بين جاليها جرور

أمالي القالي جـ ٢/١٣٤، والحماسة البصرية جـ ١/٢٤، وعجزه فيها : مخوف هدم عرشيها جرور.

(٧) العولة : العويل.

(٨) يخمشن : يلطمن، ويخدشن، وفي باقي المصادر : الوجوه، مكان وجوهًا، والمثبت هنا من ل، والدنانير، جمع دينار : عملة من ذهب قديمة، أو هو قطعة من ذهب، ويشبهونه بالشمس.

(٩) الوُرقُ، جمع ورقاء : الحمامة، وبزَّتها : سلبتها، والبزاة، جمع باز، وبازي: طائر من أشرس أنواع الصقور، ==

وَلا رُزَّحٌ هِيمٌ تَكادُ قُلُوبُهـا تَطيرُ إذا عَنَّت لَهُنَّ المَوارِدُ[1]
تَهُمُّ بِوِرْدِ المَاءِ ثُمَّ يَرُدُّها أُخَيرِقُ مَرهُوبُ البَسالَةِ، ذَائِدُ[2]
يُدافِعُها عَن وِردِها[3]، وَهيَ لا تَني تُدافِعُهُ، وَهوَ الأَلَدُّ المُعانِدُ
فَيُرجِعُها حَرَّى القُلُوبِ كَأَنَّما يُؤَجِّجُ في أَحشَائِها النَّارَ وَاقِدُ[4]
بِأَكثَرَ مِنها، تِلكَ نَوحًا، وهذِهِ حَنِينًا، وأَنًّا[5]، والعُيُونُ جَوامِدُ
فَيا وَقعَةً ما أَحدَثَ الدَّهرُ مِثلَها يُبِيدُ[6] اللَّيالي ذِكرُها وَهوَ خَالِدُ
لأَلبَستِ هَذا الدِّينَ أَثوابَ ذِلَّةٍ تَرِثُ لَها الأَيَّامُ وَهيَ جَدَائِدُ[7]
لَحَا اللَّهُ قَيسًا: قَيسَ عَيلانَ إِنَّني عَليهِم لَمَسجُورُ الحُشاشَةِ، حَاقِدُ[8]
لأُمِّهِمِ الوَيلاتُ، ما ذَنبُ هاشِمٍ عَلَيهِم، أَما كَفُّوا إذا لَم يُساعِدُوا؟
أَغَرتُم فَحَلَّلتُم أَواصِرَ، بَينَكم، لَها مُضَرٌ، مِن سَالِفِ الدهرِ، عَاقِدُ[9]

== يتّخذ للصيد، وحلاّها، بلام مفتوحة مشدّدة: طردها، وفي الهاشمي ول مكانها: وحلاها، وفي نيل الأماني: وجللها، والحومة في الأصل للبحر، والرمل، والقتال وغيره: أشد موضع فيه، وتوسعوا فسموا موضع القتال حومة لأن الأقران يحومون حوله، واستعارة الشاعر لها من هذا الباب.

(١) رزَّح، جمع رازح: الناقة ألقت بنفسها إعياءً، وهُزالاً، وفي ج مكانها: ذرح، بذال معجمة مكان الراء المهملة، وراء مهملة مكان الزاي المعجمة، والهيم، جمع هيماء: الناقة التي أصابها داء العطش فلا تروى من الماء.

(٢) أخيرق، تصغير أخرق: أرعن، وربما أراد تصغير مخرورق، وهو من يدور على الإبل فيحملها على مكروهها، وفي البيت نظر إلى قول منسوب لعبد الله بن المعتز* وليس في ديوانه:

كما حُلِّيَت عن ورد ماء طريدةٌ تمدُّ إليه جيدها وهي تفرقُ

راجع: زهر الآداب جـ ٤/٩٤٩.

(٣) في الهاشمي وأدب الطف: ورده.

(٤) حرَّى: شديدة العطش، وفي أ، مكانها: حر، وفي أ وب وج: يأجج، مكان يؤجج، وفي نيل الأماني: تأجج.

(٥) أنًا: أنينًا، وفي ب: اني.

(٦) في أ و ل ونيل الأماني: تبيد.

(٧) بهذا البيت ينتهي ما في رياض المدح وشعراء القطيف والأعيان.

(٨) لحا: قبّح ولعن، وفي الهاشمي وأدب الطف وأ وب ول وج مكانها: لحى، وقيس عيلان: جد جاهلي من مضر بن نزار* من عدنان*، انحدرت منه قبائل كثيرة منها هوازن*، وسُلَيم*، وغطفان*، وفهم، وعدوان، وباهلة، وقد سميت هذه القبائل بالقيسية، وهم عرب الشمال، تميزاً لها عن منافستها على السيادة، وهي القبائل اليمنية، وهم عرب الجنوب، وفي ج مكانها: غيلان، وفي نيل الأماني: واجد، مكان حاقد.

(٩) في ب وج: وحللتم، مكان فحللتم، ومضر هو بن نزار، الجد الأعلى لعدد من القبائل العربية منها قيس عيلان، وقد سميت القبائل المنحدرة منه بالعدنانية، وفي باقي المصادر: في، والمثبت من ل.

وأبكَيتُمُ جَفنَ النَّبي مُحَمَّدٍ* ... لِيضحَكَ كَلبٌ، مِن أمَيَّةَ*، قاعِدُ[1]
أمَيَّةُ، هُبِّي مِن كَراكِ فما جَنَى ... كَفِعلِك جانٍ وَهوَ مِثلُك راقِدُ
لأغرَقتُمُ في رَمي هَاشِمَ* بَعدَ ما ... أحلَوكُمُ حَيثُ السُّهى* ، والفَراقِدُ[2]
عَلَى غَيرِ شَيءٍ، غَيرَ أنَّكُمُو مَعًا، ... إذا حُصِّل الأنسابُ، كَفٌّ، وَساعِدُ[3]
خَلا أنَّهم أولَى بِكُم مِن نُفُوسِكُم ... بِنَصٍّ مِنَ التَّنزِيلِ، واللّهُ شَاهِدُ[4]
أنَالَهُمُ، مَا لَم يُنِلكُم، إلهُهُم ... فَكُلُّكُمُ بَادي العَداوَةِ حَاسِدُ
أما وأبِي لَو لا تَأخُّرُ مُدَّتِي ... وأنَّ الذي لَم يَقضِهِ اللّهُ كَائدُ*[5]
لألفَيتُمُوني في رِجالٍ كَأنَّهُم ... لُيُوثٌ بِمُستَنِّ النِّزالِ حَوارِدُ[6]

---

(١) في أدب الطف وب: عاقد، وفي ج: فاغد، وفي نيل الأماني: حاقد، والبيت ساقط من ل.

(٢) السهى، بالمد والقصر: كوكب خفي من بنات نعش الصغرى مر ذكره في الهامش «٣» ص: ١٤٨، وهو يشير إلى قضيّة تبنّي عبد شمس بن عبد مناف*، أخو هاشم*، لعبده أميّة، فإنها السبب في رفعة شأن بني أميّة. راجع: هاشم وأميّة في الجاهليّة.

(٣) في ل: أيّ، مكان غير، وفي ب وج: الانسان، مكان الأنساب.

(٤) في الهاشمي وأدب الطف: انه، مكان أنهم، وهو يشير إلى قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ الآية «٦» سورة الأحزاب.

(٥) كائد: شاق صعب، أراد به محال؛ لصعوبته، وهذا المعنى تردد عنده كثيراً، فقد مر في قوله في رثاء عبد الله بن المقلد* ج ١/٢٧١: فأقسم لو لا موته في فراشه ... لجرّدت البيض المهنّدة البتر
وأرعشت الملد المثقّفة السمر ... وأقبلت الخيل المسوّمة الشقر
عليهنّ من آل المقلّد* غلمة ... مساعير حرب لا يضيع لهم وتر

وسيعيده في قوله يرثي السيد عبد الرؤوف قاضي القضاة * ج ١/٢٨٥:
عذراً لو العادي عليه سوى الردى ... قسمًا لكنت عليه أوّل عادي
في فتية ضمنت لهم عزماتهم ... ريَّ القنا في كلّ يوم جلاد

وفي رثاء ابنتيه ملوك وخديجة، وزوجة أخيهما السيدة مريم المهزمية*، وابن أخيهما السيد جمال* ج ١/٣٠٥ - ٣٠٦:
أما لو كان غيرُ الموت مُدَّت ... يداه لهنّ، والآجال تُردي
لكادت أن تسوخ الأرضُ مما ... تظلُّ بها جياد الخيل تردي
عليها الشوس من عليا قريشٍ ... أولي النجدات والعزم الأشد

وفي رثاء حسن بن محمد بن أبي سنان* ج ١/٣١٦:
أما لو كان ثأرٌ عند غير الـ ... ـمنية والنفوس إلى زوال
لأوجفنا عليه الخيلَ شعثًا ... تعادى، في الأعنّة، كالسعالي

وقوله ج ٢/٤٨: فلو همَّ غير الحوت بي لتواثبت ... رجالٌ يخوضون الحمام إلى نصري

(٦) ألفيتموني: وجدتموني، والليوث، جمع ليث: الأسود، ومُستنّ: مضطرب؛ من استن الفرس إذا وثب وعدا إقبالاً وإدباراً كأنه يرقص، وفي نيل الأماني مكانها: كمسترق، وحوارد، جمع حارد: غِضاب.

بِأَيمَانِنا بِيضٌ كَــأَنَّ مُـتُــونَـهـا إذا اطَّرَدَت أمــواهُهُنَّ مَـبَــارِدُ
وخَطِّيَّــةٌ مُلسُ المُتُــونِ كَــأَنَّـمــا أسِنَّتُـهـا، مِمَّا شُحِذنَ، مَفَـاصِدُ[1]
نُطَاعِنُكُم عَنهُم بِهـذي، فـإن نَبَت عَـوامِلُهـا [2] مِلنا بِتِلكَ نُجَـالِدُ
لَعَـمـرُ أبي الخَطِّيِّ إن عَـزَّ نَصـرُكُم عَلَيـهِ فَلَم تَعـزُز عَلَيـهِ القَصَـائِدُ*
مِنَ الـلاءِ يُدنِينَ الخَـلِيَّ مِـنَ الأسَـى ويَتـرُكنَ مَثلُوجَ الحَشـا وَهوَ واجِدُ[3]
فَـدُونَـكُمُ، آلَ النَّبِيِّ *، فَـرائِداً تَذِلُّ لَهــا في سِلكِهِنَّ الفَـرَائِدُ
لَهُنَّ، على غَــيـرِي، إبَاءَةُ [4] مُكرَهٍ ويَقـتَـادُها، عَن طَاعَـةٍ، لِيَ قَـائِدُ
يُزِيرُكُـمُـوها [5] من فُـرُوعِ رَبِيـعَـةٍ* فَـتىً عَـرَّقَت فِيـهِ الرِّجَـالُ الأمـاجِدُ
يَمُـدُّ بِضِبـعَـيـهِ إلى أمَـدِ العُلَى، إذا مـا انتَـمَى، جَـدٌّ كَـرِيمٌ، وَوَالِدُ
إذا شِئتُ جَارانِي بِمِضمَارِ مَدحِكُم جَـوادانِ لا يَشـأَهُمـا، الدَّهرَ، طَارِدُ[6]
إذا رَكَـضَـا كـانَ المُصَلِّيَ مِنهُـمـا الفَتَى حَسَنٌ، والسَّابِقَ الفَحلُ مَاجِدُ[7]
هُمـا أرضَـعـانِي دِرَّةَ الرُّشـدِ يافِـعًا فَـهـا أنَذا، والحَـمـدُ لِلَّهِ، راشِـدُ[8]

---

(١) الخَطِّيَّة: الرماح المنسوبة إلى الخط* أي القطيف*، بلد الشاعر، وفي الهاشمي وأدب الطف ونيل الأماني و ل ومتن أ: البطون، مكان المتون، والمثبت من حاشية أ وب وج، والمفاصد، جمع مفصد: المبضع، وهو أداة حادة من أدوات الجراحة، وفي نيل الأماني مكانها: مقاصد، بقاف مثناة مكان الفاء الموحدة.

(٢) العوامل، جمع عامل: صدور الرماح.

(٣) اللاء: جمع التي، وفي الهاشمي وب وج ول: اللاى، وفي نيل الأماني: اللاي، وفي أ: الآى، وفي أدب الطف: اللائي، ولعل الصواب ما أثبتناه، والحشا: ما انضمت عليه الضلوع كالقلب، والكبد، وفي أ: الحشى، وواجد: محزون، وفي ل: واقد، وفي نيل الأماني: الحشاشة واجد، وفيه لحن؛ لوقوعه مفعولاً ليتركن.

(٤) الإباءَة: الإباء، والإمتناع، وفي أ: اباثة.

(٥) يزيركموها: يحملها على أن تزوركم، أو يزوركم بها، أي يقدمها لكم إكرامًا، وشرحها في الهاشمي: يهيؤها لكم، وفي أدب الطف: أي يهيئكم لها، وفي نيل الأماني: يديركموها، مكان يزيركموها.

(٦) في ب وج: اذا شيت، مكان إذا شئت، وفي أ: اذا شئيت، وجاراني: سابقني، وفي نيل الأماني مكانها: جازاني، بزاي معجمة مكان الراء المهملة، ولا يشأهما: لا يسبقهما، وفي ب وج، ونيل الأماني: يشناهما.

(٧) المصلّي: التالي من خيل السباق، الذي يبلغ الهدف بعد المجلي، وهو السابق الأول، ولم يرد بين رفاق الشاعر من اسمه حسن، وماجد غير حسن بن محمد بن غنية «الغنوي» جامع ديوانه، والشريف السيد ماجد الصادقي.

(٨) الدَّرَّة، بفتح الأول، وكسره، وفتح الثاني مشدّداً: اللبن، وسيلانه، وكثرته، وفي ب وج مكانها: ذرة، بذال معجمة مكان الدال المهملة، وفي نيل الأماني: ذروة، وفي حاشيته: ذروة المجد، مكان ذروة الرشد، وفي ب وج: اللطف.

كفَّ الحِمام[1]

قال يَرثِي الشريفَ قاضي القضاة أبا جعفر
عبد الرؤوف بن حسين العلوي الموسوي العلوي*
للسنة السادسة بعد الألف:

كَفَّ الحِـمـامِ، وَتَرتِ أيَّ جَـوَادِ؟ وَرَجَـعـتِ ظَافِـرَةً بأيِّ مُـرادِ؟
قَطَّرتِ[2] لَيثَ الغَـابِ في أشبَالِهِ وَرَجَـعـتِ سَالِمَـةً مِن الآسَـادِ
أخمَدتِ ضَوءَ الكَوكَبِ الوَقَّادِ مِن آفَـاقِـهِ، وأمَلتِ طَودَ النَّادي
وكَفَفتِ من غُلَواءِ مُهرٍ طالَما[3] بَذَّ الجِـيَـادَ بِكُلِّ يَومِ طِرادِ
لِلسَّبعِ، بَعدَ العَشرِ، مِن صَفَرٍ مُني مِنك الوَرَى بِمُفَتِّتِ الأكبَادِ
رُزءٌ تَقَاصَرَ كُلُّ رُزءٍ دُونَهُ فَخَلا، كَصَاحِبِهِ، مِنَ الأنداد[4]
رُزءٌ أتَاحَ لِكُلِّ قَلبٍ حُرقَةً تَفتَـرُّ عن جَمرِ الغَضا الوَقَّاد[5]
ونَفَى[6] الرُّقَادَ عن العُيُونِ فَبُدِّلَت، بَعدَ الرُّقَادِ الحُلوِ، مُرَّ سُهادِ
يا فَجعَةً مَلأت صُدُورَ أولِي النُّهَى حُزنًا يَدُكُّ شَوامِخَ الأطوادِ
أوسَعتِ أجفَانَ البُكاةِ مَدامِعًا وأغَضتِ مَاءَ البَحرِ ذِي الإزبادِ
فَكَأنَّكِ استَقلَلتِ دَمعَهُمُ على هذا المُصابِ فَجِئتِ بالإمدادِ

---

(١) تخريجها في الهاشمي ص: ٣٩ - ٤١، وأ ص: ٤٥ - ٤٧، وب ص: ٨٠ - ٨٥، وج ص: ٥٩ - ٦٢، ومنها في أدب الطف جـ ٥/٦٥ «١١» بيتًا، وأعيان الشيعة مج ٧/٤٥٩ «١٧» بيتًا من آخرها، وفي أنوار البدرين ص: ١٠٣ «١٣» بيتًا.

(٢) قَطَّرتِهِ: صرعته، وأوقعته على قِطره، أي جانبه، وفي أنوار البدرين وأدب الطف: وطردت.

(٣) الغلواء هنا: أول الشباب، ونشاطه، وفي ب: علوايهن فطالما، وفي متن ج: علوّايهتن فطلما، وفي حاشيتها: مهرا طالما.

(٤) الرزء: المصيبة العظيمة، ورسم الكلمتين في أ وأنوار البدرين: رزؤ.

(٥) الرزءُ: كما في «٤»، وفي الأعيان: تنجاب، مكان تفترُّ، والغضا، جمع غضاة: شجر عظيم من الإثل خشبه من أصلب الخشب، وفي فحمه صلابة، ولذا فهو من أحسن الخشب وقوداً، وفي أ وب، مكانها: الغضى.

(٦) نفى: نحّى، ودفع، وأزال، وفي أ: نفا.

اللَّهُ أكْــبَــرُ أيُّ طَودٍ شَــامخٍ ؟! ... مَــالَت جَــوانِبُــهُ[1]، وأيُّ عِــمَــادِ ؟!
أيُّ امْــرِئٍ صَعبِ القِيَــادِ اقتَــادَهُ ... دَهرٌ لَدَيهِ الصَّــعبُ كَــالمُنقَــادِ ؟[2]
بَيناهُ[3] يَقـتَنِصُ الفَـضَـائلَ* لا يَنِي ... عن خَــتلِ دَانِيــهِنَّ، والشُّــرَّادِ
ألقَى حَــبَــائلَهُ* الرَّدَى فَــاصطادَهُ ... فَــاعـجَب مِنَ المُصطادِ لِلمُـصطادِ[4]
جَــادَ الزَّمَــانُ بِهِ، وعَــادَ لأخـذِهِ ... إنَّ الزَّمَــانَ، بِهِ، لَغَـيــرُ جَــوادِ[5]
هَيــهَاتَ إن وَلَدَت لَهُ الدُّنيــا أخًــا ... أنَّى، وقَــد عَــقِمَت عنِ المِيــلادِ؟[6]
لانَــت بِــهِ الأيَّــامُ، ثُــمَّ تَــقَلَّبَــت، ... مِن بَعــدِهِ، فَـغَــدَونَ جِــدَّ شِــدادِ[7]
إنَّ الثَّــلاثَ البِـيضَ حَــالَت بَعــدَهُ ... سُــوداً، فَـمــا يُعـرَفنَ غَيــرَ دَآدِي[8]

---

(١) في الأعيان: بجانبه.

(٢) في أ وب وج: امرء، مكان امرئٍ، وفي ب ومتن ج: كالمقتاد، مكان كالمنقاد.

(٣) في ج: بينا.

(٤) المصطاد الأولى: الموت يصطاد الأحياء، والثانية: المرثي يصطاد الفضائل، يقول: اعجب ممن يصطادُ المصطادَ.

(٥) سوف يكرِّر المعنى بقوله في رثاء السيد أحمد بن عبد الصمد* جـ ١/ ٣١٠:

شكرنا يدَ الأيام في جودها به ... وموقع إحسان اللئام جليلُ

وهو معنى توارد فيه مع بيتي السيد ماجد الصادقي* في المرثي وهما:

يادرةً سمحت بها الدنيا على ... يأسٍ من الإحسان والإعطاء
واسترجعتها بعد ما سمحت بها ... وكذاك كانت شيمة البخلاء

ويفهم من مخطوطات الديوان أن القصيدتين أنشدتا في محفلِ تأبين واحد، والبيت ينظر إلى قول محمد بن هاني الأندلسي*: وهب الدهر نفيسًا فاسترد ... ربما جاد لئيمٌ فحسد

ديوانه ص: ١٢٠، وراجع أيضًا الهامش «٧» بعد البيت التالي.

(٦) في أدب الطف: أن يلد الزمان له أخا، وفي أنوار البدرين: ان ولد الزمان له اخا، وهذا معنى كرره في قوله جـ ١/ ١٩١:

هيهات أن بُلّت بآخر مثله ... أيدي القوابل ما حضرن لمولد

وجـ ١/ ٢٤٠: فما سوَّد النساب وجه صحيفة ... بأبيض منه وجه أصلٍ ومحتد

وجـ ١/ ٢٤٣: لأعوز أن يأتي أبٌ بشبيهه ... سماحةَ نفس في طهارة مولد

وجـ ١/ ٢٤٧: لأعوز أن يأتي امروٌ بشبيهه ... وإن كثر الأبناءُ يومًا وأنجبا

وقد أثبتنا أبياتًا مما تداوله الشعراء من هذا المعنى ص: ١٩١.

(٧) راجع توارد المعنى مع السيد ماجد الصادقي* في الهامش «٥» أعلاه، وسوف يعود لتكراره بقوله جـ ١/ ٣١٠:

شكرنا يدَ الأيام في جودها به ... وموقع إحسان اللئام جليل

(٨) في ج: الثلث، مكان الثلاث، والدآدي: ليالي المحاق، وهي الليالي المظلمة، في آخر الشهر القمَري، لاختفاء القمر فيها، وفي الهاشمي: ذادى، وفي أ: دءاد، وفي أنوار البدرين: دآد.

نَضُبَت مَوارِدُ كُلِّ خَيرٍ بَعدَهُ ... فَالوِردُ مُعتَلٌّ على الوُرّادِ[1]
قُولُوا لِمُزجِي العِيسِ، أعجِلَ سَوقَها، ... وأمالَها تَلقاءَ كُلِّ مَرادِ :[2]
إنَّ الجَنابَ الرَّحبَ ضاقَ، وصَوَّحَ الـ ... ـمَرعَى الخَصِيبُ، وغاضَ سَيلُ الوادِي[3]
عَلِقَت بِهِ كَفُّ الرَّدَى ولَو انَّهُ ... قَبِلَ الفِداءَ لَكُنتُ أوَّلَ فادِي[4]
عُذراً لو العادِي عَلَيهِ سِوَى الرَّدَى ... قَسَماً، لَكُنتُ عَلَيهِ أوَّلَ عادِي[5]
فِي فِتيَةٍ ضَمِنَت لَهُم عَزَماتُهُم ... رِيَّ القَنا في كُلِّ يَومِ جِلادِ
طالُوا بِأيدِيهِم عَوالِيَ سُمرِهِم ... فَغَنُوا بِهِنَّ عَنِ القَنا المَيّادِ

---

(١) ينظر لقول الرضي* : قلصت أظلّةُ كلِّ فضلٍ دونه ... وأمرَّ مشربها على الورّاد
ديوانه جـ ١/٣٨٤.

(٢) المزجي: السائق، والعيس، جمع عيساء: الإبل البيض يخالط لونها شُقرة، أو ظلمة خفيفة، والمراد: مكان رياد الإبل، أي اختلافها في المرعى مقبلة، ومدبرة.

(٣) في الأعيان: لمن، مكان إنَّ، وصوَّح: يبس، وغاض: نضب، أي ذهب في جوف الأرض، وفي أ. مكانها: غاص، بصاد مهملة.

(٤) أخذ المعنى من قول مسهم بن كعب، أو أسد بن كعب الغنوي:
فلو كان حيٌّ يُفتدى لفديته ... بما لم يكن عنه النفوس تطيب
وقول الشريف الرضي:
لو كنت تُفدى لافتدتك فوارسٌ ... مطروا بعارض كلِّ يوم طراد
راجع: أمالي القالي جـ ٢/١٥١، وديوان الشريف الرضي جـ ١/٣٨٦.

(٥) في ب: عدوى، مكان عذراً، وهذا المعنىً كررّه كثيراً، فقد مرَّ في رثاء عبد الله بن المقلد* جـ ١/٢٧١ قوله:
فأقسم لو لا موته في فراشه ... لجرِّدت البيض المهنَّدة البتر
وأرعشت الملد المثقَّفة السمر ... وأقبلت الخيل المسوَّمة الشقر
عليهنَّ من آل المقلَّد* غلمة ... مساعير حرب لا يضيع لهم وتِر
وقوله جـ ١/٢٨١: أما وأبي لو لا تأخُّر مدَّتي ... وأنَّ الذي لم يقضه الله كائد
لألفيتموني في رجالٍ كأنهم ... ليوثٌ بمستنِّ النزال حوارد
وسوف يكرره في قوله جـ ١/٢٠٥ - ٢٠٦:
أما لو كان غيرُ الموت مُدَّت ... يداه لهنَّ، والآجال تُردي
لكادت أن تسوخ الأرضُ مما ... تظلُّ بها جياد الخيل تردي
عليها الشوس من عليا قريشٍ* ... أولي النجدات والعزم الأشد
وقوله جـ ١/٣١٦: أما لو كان ثأرٌ عند غير الـ ... ـمنية والنفوس إلى زوال
لأوجفنا عليه الخيلَ شعثًا ... تعادى، في الأعنَّة، كالسعالي
وقوله جـ ٢/٤٨:
فلو همَّ غير الحوت بي لتواثبت ... رجالٌ يخوضون الحمام إلى نصري

قَومٌ إذا استَلُّوا[1] الصَّوارِمَ أغمِدَت ... بِمَـقَـرِّ تَاجٍ، أو مَنَاطِ نِجَـاد
وإذا هُمُ شَـرَعُـوا الرِّمَـاحَ تَبـوَّأَت[2] ... أطرَافُـهُنَّ مَكَامِنَ الأحـقَـاد
يَتَـسـابَقُـونَ على السَّـوابِقِ لِلوَغَى* ... كَـسِـبَـاقِـهـا بِهِمُ إلى الآمـاد[3]
(أعَلِمتَ مَن حَمَلُوا على أعوادِهِم؟) ... المَجـدَ قَـد حَـمَلوا على الأعـوَاد[4]
عَـمـرِي لَقَـد نَقَلُوا إلى دَارِ البِلَى[5] ... طَـوداً أشَـمَّ، ونَـجـمَ لَـيـلٍ هـادِي
ومُـهَـنَّداً أبلَى الغُـمُـودَ ذَلاقَـةً ... فَـغَـدا التُّـرابُ لَهُ مِنَ الأغـمَـاد[6]
لَو كَـانَ يَعلَمُ قَـبـرُهُ مـا شَـأنُهُ ... لانشَـقَّ، مُنحَـفِـراً لَهُ، كَـفُـؤادي[7]
يا نَازِحًا قَـرُبَت مَـسـافَـةُ دَارِهِ، ... مِنَّا، وأبعَـدَ غَـايَـةَ الإبعَـاد[8]

---

(١) في الهاشمي: سلوا.
(٢) في أ: تبوءت.
(٣) الوغى: في أ وب وج مكانها: وغا، وفي الهاشمي كسباقهم، مكان كسباقها، وفيه أيضًا: على، مكان إلى.
(٤) هذا تضمين بتصرف لقول الشريف الرضي* في رثاء أبي إسحاق الصابي:

أعلمت من حملوا على الأعواد؟ ... أعلمت كيف خبا ضياء النادي؟

وسوف يكرر معناه في قوله جـ ١/ ٣١٠:

فشُلَّت أكفُّ الحامليه إلى الرَّدى ... أتعلم من ذا للقبـور تشـيل؟

وقوله جـ ١/ ٣٣١: أترى النعاة درت بمن هتفت به ... أو من عنت لمَّا نعَت بنعـائهـا

ولعل السابق إلى هذا المعنى هو محمد بن بشير الخارجي* في قوله:

أقـول، ومـا يدري أناس غـدوا به ... إلى اللحد ما ذا أدرجوا في السبائب

وعنه أخذ عبد الله بن أيوب التيمي*، وقيل مسلم بن الوليد* قوله:

أتدري من نعيت؟ فكيف فاهت ... به شـفـتـاك؟ كـان به الصـعـيد

وأخذه ابن الجوزي* فقال:

أتراها علمت من حملت؟ ... ليتها قد علمت من في ذراها!

راجع: ديوان الشريف الرضي جـ ١/٣٨١، والمدهش ص: ١٤١، وأمالي القالي جـ ٢/٨٦، ووفيات الأعيان جـ ٦/ ٣٣٨.
(٥) عَـمـري، قَـسم حذفت منه اللام: لحياتي، أو لديني، والبلى: الإسم من بلي الثوب إذا رثَّ وتلف لقِدمه، وفي الأصول: البلا، ولعل الصواب ما أثبتناه.
(٦) الذلاقة: الحدَّةُ والمضاء، وفي أ وج: مكانها ذلاقه، بهاء مهملة مكان التاء المربوطة، وفي أ: فغدى، مكان فغدا، والمعنى من قول الرضي: عمري لقد أغمدت كلَّ مهنَّدٍ ... في الترب كـان ممزِّقَ الأغـمـاد
ديوانه جـ ١/٣٨٣.
(٧) في أ: لا انشق، مكان لانشق، وفي ج: منحفر، مكان منحفراً.
(٨) في الهاشمي: الاءبعاد، وفي أ: الأبعاد، وفي ب وج: الابعاد، بدون الهمزة، والمثبت بتصرف.

هَلاَّ[1]، فِـداكَ أبِي، تَجُـودُ بأوبَةٍ فـتَـبُلَّ أفـئِـدَةً، إلَيكَ، صَـوادِي
أو لا فَـوَعْـدٍ بالرُّجُـوعِ فَـإنَّهُ كَـافٍ، فـإنَّكَ صَـادِقُ المِيـعَـادِ[2]
يا راكِبًا تَطوِي بِهـا[3] شُقَقَ الفَلا طَيَّ التِّـجَـارِ نَفَـائِسَ الأبرادِ
حَـرفًا كـأنَّ قُتُـودَهَا نِيطَت على لَهَقٍ قَـفَـتـهُ الضَّـارِيَاتُ عَـوادِي[4]
إمَّـا[5] وَصَلتَ إلى مَـدِينَةِ يَثـربٍ فَـاقـرِ السَّـلامَ بهـا النَّبيَّ * الهـادِي
وابلِغـهُ أنَّ النَّائبَـاتِ* وَتَرنَهُ، عَن قَـوسِـهِنَّ، بانفسِ[6] الأولادِ
يا قَـبـرَهُ، حَيَّـاكَ مُنبَعِقُ الكُلَى[7] جَمُّ الوَمِـيضِ، مُـزَمـجِـرُ الإرعَـادِ
تُدنِي أقَـاصِيَـهُ الجَنُوبُ إلَيـهِ كَـالـ ـرَّاعِي أهَابَ بِشَـارِدِ الأذوادِ[8]
وتَظَلُّ تُمـرِيهِ الصَّـبَـا فَكَأنَّهُ يَـنهَلُّ سَكبًـا عَن خُـرُوقِ مَـزَادِ[9]
فَلَئِن مَضَى عَبدُ الرَّؤُوف* لِشَـأنِهِ والمَوتُ للأحـيَـاءِ بالمِرصَـادِ
فَلَقَـد أقَـامَ لَنا إمَـامًـا هَادِيًا يَـقـفُـوهُ في الإصـدارِ، والإيرادِ
يَزهُو بِهِ «دَسـتُ» القَـضَـاءِ كَـأنَّهُ بَـدرٌ تَفَـرَّى عنه جُنحُ الهَـادِي[10]

---

(١) في أ والهاشمي: هل لا، مكان هلاَّ.

(٢) في ج: فواعد، مكان فوعد، ولإنك، مكان فإنَّك، وفي باقي الأصول: بأنك.

(٣) في الأصول: به، مكان بها، وفي الهاشمي وأ: تطوى، بالمقصورة مكان تطوي.

(٤) الحرف: الناقة الضامرة، أو العظيمة الصُلبة، شُبِّهت بحرف الجبل، وشرحها في الهاشمي: «الناقة العالية» اهـ، ونصبت لوقوعها مفعولاً لاسم الفاعل المنادى: «راكبًا» في البيت السابق، وفي الأصول مكانها: حرف، ولعل الصواب ما أثبتناه، والقتود جمع قتد: خشب الرحل، أو هي جميع أدواته، ونيطت بالبناء للمجهول: عُلِّقت، واللهَق: الثور الأبيض، والبعير الأعيس.

(٥) في الهاشمي: اوما.

(٦) في الأعيان: ابلغه، بدون واو العطف، وفيه أيضًا: باكرم، مكان بأنفس.

(٧) المنبعق: المطر المنبعج، أي المنصب بشدَّة، والكُلى، جمع كُلية: من السحاب أسفله، وفي الهاشمي: مغتبق الكلى، وفي ب وج منعبق الكلا.

(٨) الأذواد: قطعان الإبل، واحدها ذود، وهو ما بين الثنتين إلى التسع، أو ما بين الثلاث إلى التسع، أو العشر، أو الخمس عشرة، أو العشرين، وقيل ما بين الثلاث إلى الثلاثين، ولا يكون الأ في الإناث.

(٩) في الهاشمي: تضل، بالضاد المعجمة أخت الصاد، مكان تظل، بالظاء المشالة أخت الطاء، وتمريه: تستدرُّه، والمزاد، جمع مزادة: الظرف الذي يحمل فيه الماء كالراوية والقربة.

(١٠) يزهو: يزهر، ويشرق، وفي الهاشمي وأ وج: يزهى، وفي ب: يزهي، والدَّست: المجلس وصدره، والديوان، والكرسي، فارسية معرَّبة، وتفرَّى: انشقَّ، وفي الأعيان مكانها: تعزى، وفي أدب الطف وأنوار البدرين: ==

لا زَالَ دَستُ* الحُكمِ يُبصِر مِنه عَن عَينِ الزَّمَانِ، وَوَاحِدِ الآحَادِ

* * *

أنشدَ(١) هذه القصيدة بسابع موت هذا (٢) الشريف في جمٍّ غفيرٍ، وخَلقٍ كَثيرٍ، ولا غَروَ فقد كانَ(٣) له، قدّسَ سره، من العظمة والجلالة ما ليس إلاّ لنبيٍّ في أمّته، ومَلكٍ في رعيّته، وأنشدِ في ذلك المقام {للإمام}(٤) الشريف العلاّمة أبي علي ماجد بن هاشم العلوي* - نُوِّر ضريحه - مرثيته المهموزة، العزيزة الوجود، التي أوّلها:

حلّت عَلَيكَ مَعَاقِدُ الأنداءِ ونَحَت ثَراكَ قَوافِلُ الأنواءِ
وسَرَت على أكناف قَبرِكَ نَسمَةٌ بلّت حَواشِيَها يَدُ الأنداءِ
ما بَاليَ استَسقَيتُ أنداءَ الحَيا وأرحتُ أجفَاني مِن الإسقَاءِ
ما ذاكَ إلاّ أنَّ بيضَ مَدَامِعي غاضَت(٥) مُبَدَّلَةً بحُمرِ دماءِ
هَتَفَت أياديكَ الجِسامُ بأعيُني(٦) فَسَمَحنَ بالبَيضاءِ، والحَمراءِ
أنّى يُجَازي(٧) شُكرَ أنعُمِكَ، الَّتي جلَّلتَنيها، قطرَةٌ مِن مَاءِ

ومنها أيضاً:

يادُرَّةً سَمَحَت بها الدُّنيا على يَأسٍ من الإحسانِ، والإعطاء(٨)
واستَرجَعَتها بَعدَ ما سَمَحَت بها وكذاك كانت شيمَةُ البُخَلاءِ

== تعرى، والهادي: أول الليل، وجنحه: الطائفة منه.

(١)في ج: أشهد.

(٢)في ب: هدا، بدال مهملة.

(٣)في ج: فكان، مكان فقد كان.

(٤)إضافة من ب وج.

(٥)في أ: عاضت، بعين مهملة مكان الغين المعجمة.

(٦)استعمل العرب جمع الإثنين كما في قوله تعالى: ﴿ إن تَتُوبَا إلى اللّه فَقَد صَغَت قُلُوبُكُما ﴾، ٤، سورة التحريم.

(٧)في ب: اني يجازى، وفي ج: انى يجازى.

(٨)في الأصول: ياذرة، بالذال المعجمة مكان يادرّة، والمعنى في البيت والذي يليه من قول أبي البحر في نفس القصيدة: لانت به الأيام ثمَّ تقلّبت من بعده فغدونَ جِدَّ شداد

ولعله من توارد الخواطر.

ومنها أيضًا:

فَلَئِن قَصَرتَ من الإقامَةِ عندنا حتى كأنَّك لَمحَةُ الإيماء [1]

فَلَقَد أقَمتَ بِنا غَرِيبًا في العُلَى وكَذاك قَصرُ إقامَةِ الغُرَباءِ

* * *

ثمَّ قُرِئت[2] العُهُودُ والتَّقليدَاتُ المُقَرَّرَةُ من قِبَلِ هُرمُوزَ [3] بتَقليدِ القَضَاء ابنَهُ الشريفَ أبا عبد الله؛ جعفر (قدس سره)، ووَلايَةِ الأوقاف، وفُوِّضَت[4] إليه الأُمُورُ الحَسبيَّةُ، وأفرِغَت عَلَيه الخِلَعُ من الديوان، وذلك[5] بالمشهد ذي المنارتين[6] من أوال* بالبحرين* ثالثَ عَشَرَي[7] شهر صفر للسنة السادسة بعد الألف.

* * *

(١) في الأصول: الأيماء.

(٢) في أ: قربت، وفي ب وج: قريت.

(٣) هرموز أو هُرمُز: جزيرة تقع بخليج عمان* في مضيق يعرف باسمها، يربط البحر العربي ببحر عمان، وقد أطلق هذا الإسم في الأصل على مدينة ذات ميناء في الساحل الايراني قبالة رأس مسندم* بعمان*، وحين اجتاحها التتار* في مطلع القرن الرابع عشر الميلادي؛ نزح سكانها فراراً منهم إلى جزيرة قشم* أولاً، ويبدو أنها لم تلائمهم فنزحوا منها إلى جزيرة «جرون أو زارون*»، واستوطنوها، وكونوا فيها مملكة سموها باسم مدينتهم القديمة:«هرمز»، وبمرور الزمن قويت شوكتها حتى دانت لها بلدان شرق الجزيرة العربية* بالتبعية فبسطت سيطرتها من عمان* إلى البصرة* رغم تبعيتها لايران*، وهي أول مدينة احتلها البرتغاليون* عند اجتياحهم الخليج سنة ٩١٣ هـ ١٥٠٧م، إلى أن طردهم الشاه عباس الصفوي الأول* منها بمعاونة الإنجليز سنة ١٦٢٢م بقيادة حاكم شيراز إمام قلي خان*. راجع: الخليج العربي، ويلسون ص ١٩٠ - ١٩١، و٢٥٢، وما بعدها، ومعجم البلدان جـ ٥/٤٠٢.

(٤) في الأصول: وفوض.

(٥) في ب وج: وكان.

(٦) المشهد ذو المنارتين: يعرف الآن بمسجد الخميس، نسبةً إلى سُوق الخميس التي كانت تقام بجواره بقرية الخميس الواقعة غرب البلاد القديم*، جنوب غرب المنامة، يُظنُّ أن بناءه كان على أيام الخليفة الأموي عُمَر بن عبد العزيز: ٩٩ - ١٠١هـ، وبه حجر نقش عليه أن الذي بناه هو أبو سنان محمد بن فضل الله العيوني، ويستنتج من سقوط رأس إحدى منارتيه في أيام الشيخ عيسى بن صالح العصفور، «راجع جـ ٢/٢٧٧»، أنه ربما رُمِّم إبان عهد الشاه عباس الصفوي الأول*، وهو ما زال موجوداً إلى اليوم. راجع: جزر البحرين ص: ٢٥٤، وعقد اللآل، ص: ٣١، وخارطة البحرين نشر وزارة الإعلام بدولة البحرين.

(٧) في ب: الثالث والعشرون.

الطَّود [1]

والتُـمِسَ منه شيءٌ[2] يُكتَبُ على قـبـر الشريف أبي جعفر عبد الرؤوف* المرثي سابقًا فقال:

لَعَمـرُكَ مـا وارَوهُ في التُّـربِ أنَّهُ   تَقَاصَرَ عن حَدِّ العُرُوجِ إلى الأفقِ[3]
ولَكِنَّهُ الطَّودُ الَّذِي لَو يَـزُولُ عن   مَراسِيهِ مَادَت هذهِ الأَرضُ بالخَلقِ[4]

* * *

قال[5]: فسبَقَني الشريف العلاّمة[6] بعمل بيتين، وكُتِبا على حَجَر قبرِهِ بمقبرة الشيخ راشد بجبَّانة أبي عنبرة* من أوال*من البحرين*، وهما هذان البيتان:

هذا مَـقَـرُّ العلمِ والفَـضلِ   ومُخَيَّمُ التَّوحيدِ والعَدلِ
شِبرانِ جُزئيَّانِ ما خُلِقا   إلاَّ لِحِـفظِ العَـالَمِ الكُلِّي

* * *

قال: فقُلتُ البيتين، واتَّفَقَ وفاةُ[7] السيِّد الشريف أبي جعفر عبد الجبَّار بن حسين الحسيني*، أخي[8] السيد * المذكور، بشيراز*، فَدُفِنَ بِمَدفَنِ السيد أحمد بن موسى الكاظم عليه السلام، فكُتِبا على قَبرِهِ هناك.

* * *

(١) تخريجها في أ ص: ٥٠، وب ص: ٨٨، وج ص: ٦٤ - ٦٥، والهاشمي ص: ٧٩، وأنوار البدرين ص: ١٠٥.

(٢) في ب: فالتمس منه شيء، وفي أ: والتمس منه شيئًا، وفي أنوار البدرين: والتمسوا منه شيئًا.

(٣) في أنوار البدرين: تقاعس، مكان تقاصر، والعروج: الصعود والترقّي.

(٤) الطود: الجبل العظيم، وفي أ: تزول، مكان يزول، وفي أنوار البدرين: أزيل.

(٥) في ج: فقال.

(٦) المراد بالعلاّمة: السيد ماجد بن هاشم الصادقي، راجع ترجمته في الملحق الثاني جـ ٢/٣٢٤.

(٧) في أ: وفات.

(٨) في أ وب وج: اخا، والسيد عبد الجبار هذا: فقيه وأديب وشاعر، نشأ في البحرين*، وتوفي بشيراز*، ينسب له من المؤلّفات: قصة مقتل الإمام علي بن أبي طالب* (ع)، وفي أوله خطبة البيان المنسوبة للإمام، ونقل فيها حكاية مجيء الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان* إلى البحرين* ومحاربتها حينما التجأ إليها صعصعة بن صوحان وزيد بن صوحان العبديان، وإبراهيم بن مالك الأشتر، وغيرهم، وقد ردَّ الشيخ يوسف البحراني الحكاية من أصلها ردًا علميًا لا سبيل إلى إيراده هنا. راجع: أمل الآمل جـ ٢/١٤٢، وأنوار البدرين ص: ١٠٩، وكشكول البحراني جـ١/٩٩، وأدب الطف جـ ٥/٦٧، ورياض العلماء جـ ٣/٦٥.

لا نجاة (١)

وقالَ يرثي الشريف العلوي أبا[2] الحسين محمد بن سليمان[3] القاروني*[4] للسنة الثامنة بعد الألف[5]، وتولّى إنشادها غيره بمسجد[6] ماثنا من كتكان[7] من {أوال}*[8] من البحرين*، والله أعلم:

عَاثَ الحِمامُ فما أبقَى، وما تَرَكا ... ولَم يَدَع سُوقَةً مِنَّا، ولا مَلِكا[9]

فما سَألتُ[10] امرءاً يومًا بصَاحِبِه، ... والعَهدُ لم يَنأ، إلاَّ قال: قد هَلَكا

تَراهُ أقسَمَ لا يُبقِي على بَشَرٍ؟ ... ولا يُغادِرُ إنسانًا، ولا مَلَكا؟

مَا بَثَّ في سَاكِنِ الغَبراءِ أسهُمَهُ ... إلاَّ وأصمَى بها من يَسكُنُ الفَلَكا[11]

(١) تخريجها في الهاشمي ص: ٨٤ - ٨٥، وأ ص: ٤٨ - ٤٩، وب ص: ٨٥ - ٨٧، وج ص: ٦٣ - ٦٤، وأنوار البدرين ص: ١٠٦ - ١٠٧، ومنها في أعيان الشيعة مج ١٦٣/٤: «٥» أبيات.

(٢) في أ: وقال الشريف يرثي العلوي أبي الحسين.

(٣) في ب وج: سليمن.

(٤) أورد له الشيخ علي البلادي*، صاحب أنوار البدرين ترجمة مستخرجة من هذه المقدمة، وتذبذب في نسبة القصيدة إلى السيد ماجد الصادقي*، أو إلى أبي البحر، ولم يذكر شيئًا من أحواله، ولا مؤلفاته، ولم أقف له على ذكر عند غيره في ما بين يدي من المراجع، والظاهر من مواطأة اسم والد هذا السيد، واسم والد السيد ناصر القاروني* أنهما أخوان، والله أعلم. راجع: أنوار البدرين ص: ١٠٥ - ١٠٦.

(٥) في ب: الثامنة والخمسين بعد الألف.

(٦) في ج: بالمسجد.

(٧) في أ وج: ماتنا، بتاء مثناة، وفي الهاشمي: ماثنا، بثاء مثلثة، وفي ج: ماثنًا، بثاء مثلثة، ونون مشددة: وهذا المسجد في محلة ماثنا من كتكان، وكتكان من قرى توبلي بالبحرين* «أوال» قديمًا، وفي الأعيان: كتكتان، للمزيد انظر ج ٤٥/٢.

(٨) ساقطة من ب وج.

(٩) الحمام بكسر الأول: الموت، والسوقة: الرعية من الناس تحت سياسة الولاة، للمفرد، والجمع، والمذكر، والمؤنث؛ لأنَّ الملك يسوقهم بمشيئته لا أنها من السوق.

(١٠) في أ: سئلت، وفي ج: سالت، بدون همزة.

(١١) أصماه: رماه فقتله مكانه وهو يراه، وفي أ والهاشمي وأنوار البدرين وحاشية ب مكانها: ويصمي، وفي متنها وج: ويمضي، وفي متن ب وج: يبطن، مكان يسكن، والفلك: مدار النجوم.

فمـا يَشُـدُّ على شَـخصٍ فيَـعصِـمُـهُ ... أن يَمتَطِي العِيسَ أو يَستَبطِنَ الفَلَكا (١)

يا لَلرَّزِيَّـةِ لَم يَسـمَع بِهـا أحَـدٌ ... إلاَّ وأجهَشَ، مِن حُزنٍ، لَها وبَكَى (٢)

مـا لِلجَليـدِ بِهـا، مـا سَاوَرَتهُ، يَدٌ ... لَو خَامَرَت قَلبَ أيُّوبَ الصَّبُورِ شَكا (٣)

تَبَّت يَدُ الدَّهرِ لَم يَعلَم بِأيِّ فَـتىً ... أودَى، وأيِّ هُمَامٍ سَيِّدٍ فَتَكا (٤)

بِواحِـدٍ مَـرَّ فَـرداً في مَكَارِمِـهِ ... مَا افتَرَّ عن مِثلِهِ دَهرٌ(٥)، ولا ضَحِكا

وكَـارِعٍ في حِيـاضِ المَكرُمَاتِ فَمـا ... زاحَمَهُ واغِلٌ، فيهـا، ولا شَرَكا (٦)

مَـتَى يُفَاخِرُهُ حَيٌّ مَتَّ مُنتَسِبًا ... بِمَحتِدٍ تَتَوارَى عَن سَنَاه ذُكـا (٧)

مِن دَوحَـةٍ طابَ مَجناها، وحَلَّقَ أعـ ... ـلاها، كَما قَرَّ مَسرَى عِرقِها وزَكا (٨)

---

(١) العيس، جمع أعيس وعيساء: الإبل البيض يخالط بياضها ظلمة خفيفة، أو شقرة، والفلك: موج البحر المضطرب، وماؤه الذي تحركه الرياح، يريد راكب السفينة في البحر من باب تسمية الشيء بمتعلّقه.

(٢) الرزيّة: المصيبة، وفي ب وج: ويكا، مكان وبكى.

(٣) الجليد: الشديد القوي، وساورته: أخذت برأسه، وواثبته، وخامرته: خالطته، وداخلته، وأيوب: نبي ورد ذكره في القرآن الكريم، ورويت قصته في التوراة، كان رجلاً ورعًا ثريًا فامتُحن ببلايا، ومصائب لا قبل للمرء باحتمالها، فقدَ ماله أولاً، ثم فقد ولده، سلّط الله عليه إبليسَ فابتُلي في بدنه بمرض عضال، وضاق به أهل بلده فنبذوه في الكناسة، فلم يتزعزع إيمانه بالله، ويعتقد بعض الباحثين بأنه عربي لا يهودي، وأن مسرح الحوادث التي يرويها سفر أيوب هو شمال الجزيرة العربية، وأن سفر أيوب هو السفر الثامن عشر من العهد القديم كتبه مجهول نحو سنة ٤٠٠، أو ٥٠٠ ق. م، وذهب الدكتور فيليب حتي إلى القول بأن من الجائز أن يكون قد كتب أصلاً باللغة العربية، فلو صح ذلك لعُد أقدم ما لدينا من مخلفات آداب عرب الشمال*، وهذا السفر يتمتع بمرتبة أدبية رفيعة حتى أن الكاتب الإنجليزي ألفرد تنيسون عدّه أعظم قصيدة في العصور القديمة والحديثة على السواء، ومثل هذا التهويل سمة عرف بها الممالئون لليهود. راجع: المنجد في الأعلام، وموسوعة المورد جـ ١٥/٦، ودائرة المعارف الإسلامية جـ ٢١٦/٣ – ٢١٩.

(٤) تبَّت يده: قُطعت، أو ضلت، وخسرت، وفي أنوار البدرين، مكانها: شلت يدا، وفي ب وج: تبت يد، وأودى: هلك، وفي أ: أوذى، بذال معجمة.

(٥) في أنوار البدرين: دهراً.

(٦) الكارع: من مدَّ عنقه وتناول الماءَ بفمه من دون أن يشرب بكفه ولا بإناء، والواغل: من يشرب مع قوم من غير دعوة، وفي الهاشمي وأ وب وج: لا واغل، ووزن البيت مضطرب؛ إذ تكوّنت أولى تفعيلات عجُزه: «زاحمه» من وتد مفروق: «زاحَ» ثم سبب ثقيل: «مَهُ» فصارت: «فاعلُتن»، والصواب أن تكون من سببين خفيفين ووتد مجموع: «مستفعلن» نحو: يصدُّه أو يزيله.

(٧) متَّ إليه بقرابة: وصل، وتوسل، والمحتد: الأصل، والطبع، وذكا: ذكاء، مسهّلة الهمزة، وهي الشمس، وفي ب وج: من سناه.

(٨) الدوحة: الشجرة العظيمة، يريد بها شجرة النسب العلوي الذي يتصل به المرثي، وفي الهاشمي: طاب أعلاها وحلق أغلاها، مكان طاب مجناها، وحلق أعلاها، وقد أخذ السيد حيدر الحلي، وهو متأخر، معنى البيت ==

تَكَادُ تَخـرُقُ سُـمكَ الأرضِ رَاسِخَـةً عُـرُوقُـهـا، وَيُناجِي فَـرعُـهـا الحُـبُكا[1]
شَـهـادَةُ اللَّهِ في التَّنزِيلِ كـافِـيَـةٌ في فَـضلِهِم عَن: رَواهُ جَـابِرٌ، وَحَكَى[2]
يَربَعِ على ظَلعِـهِ السَّـاعِي لِيُـدرِكَـهُ فَلَيسَ يَلحَـقُـهُ، إن خَبَّ أو بَـرَكـا[3]
عَفُّ السَّرِيرَةِ، صَفَّاحُ الجَرِيرَةِ[4]، مِقـ ـدامُ العَـشِـيـرَةِ، جَـوَّادٌ بِمـا مَلَكا
مَـا مَدَّ، يَومًا، إلى الدُّنيـا وَزِينَتِـهـا طَرفًـا، ولا كـان في اللَّذَّاتِ مُنهَـمِكا
مَـا ضَمَّ، يَومًا، عَلَى الدِّينارِ راحَـتَـهُ[5] بُخلاً، ولا شَدَّ، مِن حِرصٍ، عَلَيه وِكا[6]
أثرَى فَمـا كانَ، في مـا أحـرَزَت يَدُهُ، لفَـرطِ مـا جَادَ، إلاَّ واحِدَ الشُّـرَكـا[7]
الشَّـهـدُ مـا مَـجَّـهُ زَجـراً، ومَـوعِظَةً لِسَـانُهُ الطَّلقُ، لا مـا أودعَ العُكَكا[8]

== والذي يليه فقال:

من دوحةٍ تثمر المعروف مورقةٍ   في طينة المجد ساري عرقها وشجا

ديوانه جـ ٣٦/١.

(١) في الهاشمي: يكاد، مكان تكاد، والحبك جمع حبيكة: مسارات النجوم.

(٢) في الأعيان: في فضلهم ما رواه، وفي ج: في الفضل عما رواه، وجابر هو: ابن عبد الله بن عمرو بن حرام بن عمر بن سواد بن سلمة الأنصاري السلمي الخزرجي، من أجلّة الصحابة، وآخر من مات منهم، أول من زار الحسين* (ع) بعد مقتله، شهد مع النبي* (ص) بدراً*، و٢٨ غزوةً أخرى، أوصى بأن لا يصليَ عليه الحَجاج، وردَّ صلاتِ معاوية* مع ما هو فيه من فاقة، وكتب له مع رسوله:

إني لأختـــار القنوع على الغنى   وفي الناس من يُقضى عليه ولا يقضي
وألبس أثواب الحيـــاء، وقـد أرى   مكانَ الغنى ألاَّ أهين له عـــرضي

وقال لرسول معاوية قل له: يابن آكلة الأكباد، والله لا وُجِدَ في صحيفتك حسنةٌ أنا سببها، اختلف في وفاته بين سنة ٧٣، ٧٤، ٧٧، ٧٨، ٧٩. راجع: أعيان الشيعة مج ٤٥/٤.

(٣) يربع: يتوقف، بمعنى الطلب، أو الأمر، والظلع: العيب، والعرج، والغمز، يقال: أربع على ظلعك، أي انته عما لا تطيق، وفي الهاشمي: طلعة، مكان ظلعه، وفي باقي الأصول: ضلعة، ولعل الصواب ما أثبتناه، وخبَّ: مشى الخبب، وهو ضرب من العَدو فسيح الخطو، ينقل فيه الفرس يده ورجله اليسرى معًا، ورجله ويده اليمنى معًا، وبرك للبعير: كجثم للطائر، وجلس للإنسان، وقد مر المعنى في قوله جـ ١٩٠/١:

يا أيهـا السـاعي ليـدرك شـأوه   أسـرفت في إخفـاق سعيك فاقـعد

وذكرنا هناك بيتين لغيره في هذا المعنى.

(٤) الجريرة: الذنب، والجناية.

(٥) في ج: على مال براحته.

(٦) الوكا، الوكاء مسهّلة الهمزة: رباط القربة وغيرها، وكل ما شُدَّ رأسهُ من وعاء ونحوه.

(٧) في أ: السركا، بسين مهملة مكان الشركا بالشين المعجمة.

(٨) العُكَك جمع عُكَّة: وعاء من جلدٍ، أصغر من القربة يحفظ فيه العسل، والسمن، وفي ب وج: العلكا.

والعَضبُ ما استَلَّ من رَأيٍ إذا التَحَمَت عُـرَى الخُطوب، وأمـرُ الأمَّـة التَـبَكا (١)
يا مَن مَـضَى، وبَقِـينا، بَعـدَهُ، هَمَـلاً لـو أنصَفَ الدَّهرُ أفنَانَا، وخَلَّدَكـا (٢)
لَو سَامَنا، فِيكَ، مَحتُومُ القَضا بَدَلاً فَــداكَ كُلُّ امــرِئٍ منَّا، وَقَلَّ لَكا (٣)
أبعِـد بِهِ مِن غَـرِيمٍ إن خَـضَـعتَ لَهُ ذُلاً قَسا، وإن استَمحَكتَهُ مَحَكا (٤)
مَـا لامـرِئٍ يَتَـقَـاضَـاهُ الدُّيُونَ يَدٌ بِدَفـعِـهِ، ألَواهُ الدَّينَ أم مَـعَكا (٥)
فَلَستُ أعلَمُ مَـا مَثَّ الحِـمـامُ بِهِ حَتَّى لَوَى بِكَ عَنَّا، واستَبَدَّ بِكا (٦)
إن يَغتَصِبكَ الرَّدَى منَّا فَقَد غُصِبَت، بالأمس، أمُّكَ صَافي إرثِها فَدَكـا (٧)
فاذهَب، فَما زَالَ هَامِي الغَيثِ يَصحَبُهُ مُرفَضُّ دَمعِي، على مَثواكَ، مُنسَفِكا (٨)

* * *

(١) العضب: السيف القاطع، وفي الهاشمي: العجب، وما بين المعقوفين ليس في الأصول، والتبك: اختلط، وفي == الهاشمي مكانها: ارتبك.

(٢) الهمل: السدى، أي المتروك ليلاً ونهاراً يرعى بدون راع.

(٣) سامنا: طلب منا ثمناً، من سام السلعة إذا عرضَ ثمنها، وفي أ: القضى مكان القضا.

(٤) في الهاشمي، وب وج: لو، مكان إن، وفيه أيضاً وفي أ: قسى، مكان قسا، واستمحكته: نازعته، وخاصمته، من المماحكة، وهي اللجاج، والخصام، وفي الهاشمي استسمحته، ومحك: غلب في اللجاج.

(٥) في الهاشمي: ما لامرى، مكان ما لامرئ، وفي ب و ج: ما لامره، وفي أنوار البدرين: ما لأمرئ، والمثبت بتصرف، وفي ب: بتقاضاه، بباء موحدة، مكان يتقاضاه، بالياء المثناة، وفي الهاشمي: تتقاضاه، ولواه ومعكه - الدَّين خاصَّة، مطله: يقول: ما لأحدٍ قدرة على الإفلات من الأجل، وإن ماطله أي أخَّره.

(٦) مثَّ، بميم مفتوحة، وثاء مثلثة: رشح، وفي أ وب وج وأنوار البدرين: مت، ولعل ما أثبتناه أقرب لمراده.

(٧) فدك: واحة في الحجاز*، تقع شمالي المدينة المنوَّرة*، شرقي خيبر، على مقربة منها، كان أهلها من المزارعين اليهود*، فيها عين فوارة، ونخل كثير، اشتهرت قديمًا بتمرها وقمحها، بعد أن فتح الرسول محمد* (ص) خيبر أرسل عليَّ بن أبي طالب* (ع) فصالح أهلها على نصف أموالهم، وذلك في السنة السابعة للهجرة، فهي مما لم يوجف عليه بخيل، ولا رجال، لذلك فهي خالصة لرسول الله، فنحلها ابنته فاطمة* (ع)، لكن الخليفة أبا بكر (رض) منعها إياها. راجع: معجم ياقوت جـ ٢٣٨/٤، والتنبيه والاشراف ص: ٢٢٢، وفتوح البلدان ص: ٤١، والمنجد في الأعلام، وأطلس التاريخ الإسلامي خ ٣١- ٣٥، و٥٦، و١٠٠، وفدك في التاريخ.

(٨) المرفَضُّ: المنصبُّ، من ارفضَّ، أي سال متفرِّقًا، وفي الهاشمي، وأنوار البدرين: من فيض.

دُرَّة الشرف(١)

والتُمِسَ منه شيءٌ يُكتَبُ على قبر زوجة السيِّد عبد الرؤوف* بالمقبرة المذكورة(٣)، فقال للسنة التاسعة عشرة بعد الألف:

إن نُقِّلَت مِن(٢) شَوامخِ الشُّرَفِ   إليكَ، يا قَبرُ، دُرَّةُ الشَّرَفِ
فَغَيرُ بِدعٍ، فالدُّرُّ أكثَرُهُ   حُسنًا وأنقاهُ ما كانَ في الصَّدَفِ(٤)

* * *

(١) تخريجهما في أ ص: ٥٠ - ٥١، وب ص: ٨٩، وج ص: ٦٥، والهاشمي ص: ٧٦، وأعيان الشيعة مج ٤/ ١٦٣.

(٢) المقبرة المشار إليها هي: مقبرة الشيخ راشد* في جبَّانة أبي عنبرة*. راجع ج ١/٢٦٨، و٢٩٠.

(٣) في ج: عن.

(٤) في الهاشمي وأ وب وج: وأبقى، وفي الأعيان: وأنقى، والمثبت بتصرُّف، ومن هذا المعنى قول عمر أبي ريشة* من المعاصرين:
إنَّما يُنفَضُ الغُبارُ وتَبقَى   رَهنَ لألائها حِسانُ اللآلي
وأحسبه من توارد الخواطر، وإن كنت لا أستبعد اطلاع أبي ريشة على شعر الخطي، فديوانه مطبوع، ومخطوطته محفوظة في المكتبة الظاهرية بسوريا* «مكتبة الأسد» حاليًا.

أعاتب الدَّهر(١)

وقال يَرثي العقيلة الكريمة(٢) مُلوك* بنت السيد الشريف عبد الرؤوف*، زوجة الشريف العلاَّمة ماجد بن هاشم*، قدِّس سرُّه، وقد تُوفِّيت بعد عَودِها من الحج بيوم واحد، ودُفِنَت بالمقبرة المذكورة(٣) [لسنة] عشرين بعد الألف(٤):

بَكَيتُكِ لو أنَّ الدُّموعَ تُديلُ ... مِنَ الحُزنِ، أو يُطفا بِهِنَّ غَليلُ(٥)
وناوَحتُ فيكِ الوُرْقَ شَجواً فَلِي، إذا ... شَدَت، ولَها تَحتَ الظَّلامِ هَديلُ(٦)
وعاتَبتُ دَهرِي فيكِ، جَهلاً، ومَن غَدا ... يُعاتِبُ هذا الدَّهرَ فَهوَ جَهُول
فما كانَ هذا الدَّهرُ، يَومًا، عن الذي ... غَدا(٧)، وهوَ مَطبُوعٌ عَلَيهِ، يَحُولُ

---

(١) تخريجها في الهاشمي ص: ٩١ – ٩٣، وأ ص: ٥١ – ٥٣، وب ص: ٨٩ – ٩٣، وج ص: ٦٥ – ٦٧، ومنها في أعيان الشيعة مج ٤/١٦٣ «٢١» بيتًا.

(٢) في ب: الكريمة العقيلة.

(٣) المقبرة المشار إليها هي: مقبرة الشيخ راشد* في جبَّانة أبي عنبرة*. راجع ج ١/٢٦٨، و٢٩٠، و٢٩٥.

(٤) في أ: لعشرين بعد الألف، وفي ج: لسنة ١٣، و لم يثبت تاريخها في ب.

(٥) تُديل: تُغَيِّر من حال إلى حال، يريد: تخفِّف من الحزن، وفي أ وب والأعيان: تذيل، بذال معجمة، وفي ج: تزيل، بزاي معجمة، وفي الأصول: يطفى، مكان يُطفأ، كما هو الأصل، وسهَّل الهمزة تخفيفًا، والبيت ينظر إلى قول الشريف الرضي*:

أيُرجِع مَيتًا رنَّةٌ وعَويل؟ ... ويَشفَى، بأسرابِ الدُّمُوعِ، عَليلُ؟

وقوله من نفس القصيدة:

لقد كُنتُ أوصي بالبُكاءِ مِنَ الجَوَى ... لو أنَّ غَرامًا، بالدُّموعِ، غَسِيلُ

وقوله في رثاء أمِّه، وكأنَّ أبا البحر قد نسخه نسخًا:

أبكيكِ لو نَقَعَ الغَليلَ بُكائِي ... وأقُولُ لو ذَهَبَ المَقَالُ بِدائِي

ديوانه ج ٢/١٩١ – ١٨٣، وج ١/٢٦.

(٦) ناوَحتُ: قابلت في المناحَة، والوُرق، جمع وَرقاء: الحَمَام، أو الضارب لونه إلى الخضرة منه، وفي ج: سجوا، بسين مهملة، مكان شجواً بالشين المعجمة، وفيها أيضًا: الضلام، بضاد، مكان الظلام، بالظاء.

(٧) في أ: عدى.

لَهُ اللّهُ مِن دَهرٍ كَـأنَّ صُـرُوفَـهُ | لَهـا ، أبداً ، عِندَ الأنامِ ذُحُـولُ[1]
أبَى أن يُرِينا وَجـهَ يَومٍ ومـا بِهِ، | {عَلَى إثرِ مَـاضٍ، رَنَّةٌ وعَـوِيلُ}[2]
فَـمِن هَالِكٍ يَلقَى الرَّدَى حَتفَ أنفِـهِ | وآخـرَ مَنزُوفِ الحَـيـاةِ قَـتِـيلُ[3]
ومُستَكثِرٍ من حاشِدِ الجُندِ، والرَّدَى | (شَـرُوبٌ لأعـمَارِ الرِّجالِ أكُولُ)[4]
تَعـاظَمَ حـتَّى كـادَ، من فَـرطِ مِنعَـةٍ | وعِـزٍّ، على صَـرفِ القَـضـاءِ يَطُول
رَمَـاه الرَّدَى مِن حَيثُ لم يَدرِ بالتي | يَروحُ لَهـا ذُو الأكلِ وهوَ أكِـيلُ
فَـبَـاءَ مِنَ الجَمِّ الغَـفِـيرِ بِقِلَّةٍ | وأصـبَحَ، بَعـدَ العِـزِّ، وهوَ ذَليلُ
ألا فِي سَبِيلِ اللّه أقـمـارُ أوجُـهٍ | لهـا، أبَداً، تَحتَ التُّـرَابِ أفُـولُ
وأغـصَـانُ قَـامَـاتٍ تَرُفُّ نَضَـارَةً | لهـا عِندَ رَيعَـانِ[5] النُّمُـوِّ ذُبُولُ
ولا كـالَّتِي أمسَى بِهـا التُّربُ آنِسًا | وأوحَشَ منهـا مَنزِلٌ ومَـقِـيلُ[6]
وأهدَت إلى أهلِ القُـبُـورِ مَسَـرَّةً | وسَـاءَ حَلِيلٌ، بَعـدَها، وسَلِيلُ[7]

---

(١) في أ وب وج: إلى الله، مكان له الله، وذُحُول، جمع ذُحل: الثأر.

(٢) سوف يكرَّر هذا الشطر في رثاء السيد أحمد بن عبد الصمد* ج ١/٣٠٩، والمعنى مأخوذ من قول الشريف الرضي*:

لنا كُلَّ يومٍ رنَّةٌ خَلفَ ذاهِبٍ | ومَستَهلِكٍ بَينَ النَّوَى والنَّوائِبِ

ديوانه ج ١/١٤٦.

(٣) المنزوف: من يَبِسَت عُرُوقُه مِن نَزف الدماء، أو العطش، وفي الهاشمي مكانها: متروف، وفي الأصول: الحيوة، مكان الحياة، وهي صورة التفخيم، أي الإمالة إلى مخرج الواو، الأ إذا أضيفت، والمثبت هو الشائع المتداول، وقتيل؛ مرفوع بمحذوف تقديره: وهو قتيل، والبيت ينظر إلى قول الشريف الرضي*:

فَمُحتَضَرٌ بين الأقارِبِ، أو فَتىً | تَشَحَّط، ما بَينَ الرِّماحِ، قَتِيلُ

ديوانه ج٢/١٩١ - ١٩٢.

(٤) في ج: حاسد، بالسين المهملة، مكان حاشد، بالشين المعجمة، وفيها أيضًا: الردا، مكان الرَّدى، وفي الهاشمي لأعمال، مكان لأعمار، وعجز البيت تضمين لعجز بيت للشريف الرضي*:

نُؤَمِّلُ أن نَروَى مِنَ العَيشِ، والرَّدَى | شَـرُوبٌ، لأعـمَـارِ الرِّجـالِ، أكُـولُ

والشريف أخذه معناه من قول أبي نواس*:

والمَنايا آكِـلاتٌ | شَـارِباتٌ للأنام

ديوان أبي نواس ص: ٦٢٠، وديوان الشريف الرضي ج ٢/١٩١.

(٥) ريعان كلِّ شيءٍ: أوَّله، وأفضله.

(٦) الترب: التراب، وفي ب: مؤانسا، مكان آنسًا، وفي ج: أنسا.

(٧) ساء، لازم، ومُتعدٍّ، واللازم يعني قبُح ومراده: حَزَن، فأفسد المعنى، والحليل: الزوج، وفي الهاشمي: خليل، بخاء معجمة، مكان الحاء المهملة، والسليل: الإبن.

وعَـائدَةٍ * مِن حَـجِّـهـا لَـم يَكُن لَـهـا ... {عَلَى غَـيـرِ أصحَابِ القُبُورِ نُزُولُ}(١)

كَـأن لَم تؤُب، بَعدَ المَغِيبِ، ولم يَكُن ... لهـا، بَعـدَ إزمـاعِ الرَّحِـيلِ، قُفُـولُ(٢)

لأسـرَعَ مـا وافَت وفـاءَت؛ كـأنَّمـا ... عليـهـا، بألاَّ تَسـتَـقِـرَّ، كَـفِـيلُ(٣)

ومـا قَـابَلَ البُشـرَى النَّعيُّ (٤) وقَبَّحَت ... يَدُ الحُـزنِ وَجهَ البِشـرِ وَهوَ جَمِـيلُ

وسَاءَت كـمـا سَـرَّت، وأبعِـد بِفَـرحَـةٍ ... تَـعَــقَّــبَــهَــا رُزءٌ، ألَـمَّ، جَليلُ(٥)

لَـعَــمـرُ أبِ المَســرُورِ بـالشَّيءِ إنَّهُ ... إلى الحُزنِ، فيمـا بَعد، سَوفَ يَؤُولُ(٦)

رَأت (٧) أبَوَيهـا طَالَ عَـهـدُهُمـا بِهـا ... فَــزَارَتهُــمـا؛ إنَّ المُحِبَّ وَصُــولُ

فَـيابنَةَ (٨) مَن لو كـانَ، بَعدَ مُحَمَّـدٍ *، ... رَسُــولٌ لما أمــسَى سِــواهُ رَسُــولُ

وزَوجَـةَ مَن لَـو فُـتِّشَ الخَلقُ لَم يَكُن ... لِيُلفَى(٩) لَه، في العَـالَمِينَ، مَـثِـيلُ

وأختَ الذين استَفرَغُوا الجُهدَ في العُلَى ... فَـأثرَى بِهِم عَـافٍ، وعَـزَّ نَزِيلُ(١٠)

وأمَّ الذي، والسِّنُّ خَـمسٌ، جَـرَى إلى ... مَـدىً لِذَوي الخَـمـسِينَ عَنهُ نُكُولُ(١١)

وإحدَى النِّسَـاءِ اللاءِ(١٢) هُنَّ، لِفَـرطِ ما ... كَـسَبنَ مِنَ اخـلاقِ البُـعُـولِ، بُعُـولُ

---

(١) سوف يكرِّر هذا الشطر في البيت «١١» جـ ١/ ٣٠٩ من قصيدته في رثاء السيد أحمد بن عبد الصمد*.

(٢) لم تؤُب: لم ترجع، وفي أ وب وج مكانها: لم تأب، وإزماع الرحيل: العزم عليه، والقفول: الرجوع.

(٣) وافت: حجّت، وفي ب وج مكانها: فاءت، وفاءت: رجعت، يريد ذهبت، وفي أ: فائت.

(٤) نصُّ الصدر في الأعيان:

وقد أذهب البشرى النعي، وقبحت

وفي ب وج: وما قابل البشرى النغي، وقبحت ....

(٥) ساءَت: أحزنت، وفي أ مكانها: سائت، والرزء: المصيبة العظيمة، وفي الهاشمي وأ مكانها: رزؤ.

(٦) في الأصول: أبي، مكان أب، وحَذَفتُ الياء منعًا لالتباسها بضمير المتكلم لجواز إعرابها بالحركة، ويؤول: يرجع، ومكانها في الأصول: يؤل.

(٧) في ب وج: رات، بدون همز، مكان رأت، وفي أ: رءآت.

(٨) في الأصول: فياابنة، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٩) يُلفى، بالبناء للمجهول: يُوجد، وفي الهاشمي وأ وب وج، مكانها: ليلقى، بقاف مثنَّاة.

(١٠) استفرغوا: بذلوا طاقتهم، واستقصوها، وفي ب وج مكانها: استفرعوا، بعين مهملة، والعافي: الضيف، وطالب الفضل.

(١١) النُكول: النكوص، والجبن.

(١٢) اللاء، بحذف الياء: لغةٌ في اللائي، وفي أ وب وج: اللآي، وفي الهاشمي: اللائى، ولا يستقيم وزن البيت بهذه الصورة، فلعل الصواب ما أثبتناه.

عَـفَـائفُ* مـا زُرَّت لَهُنَّ، على الخَنا، جُـيُـوبٌ، ولا جُـرَّت عَلَيـه ذُيُولُ (1)
جَمَعنَ إلى عَقلٍ عُلَىً جَابَ قُمصَها (2) لَهُنَّ عليٌّ *، ذُو العُلَى، وعَـقِـيلُ *(3)
وأثـرَينَ من هَدي البَـتُـولِ* وراثَةً فَـمَن شِئتَـهـا * منهُنَّ فَـهيَ بَتُولُ (4)
ومَن لا يُعَـزَّى، عِـفَّـةً ونَجَـابَةً، عَلَى مِـثلِهـا طُولَ الزَّمـانِ حَلِيلُ (5)
لَهَـوَّنت أرزاءَ الحَـواصِنِ فَلتَـغُل، خِـلافَك، مَن لاثَ العِـصَابَةَ غُـولُ (6)
فـإنْ قَلَّ، بَعدَ العَـودِ، لَبثُك فـالأسَى عَلَيك، وإن طَالَ الزَّمـانُ، طَوِيلُ (7)
فَـزارَكِ مِن رَبِّ العِبـادِ سَلامُـهُ وجَـادَكِ مِـرزامُ العَـشِيِّ هَطُولُ (8)
ويا أصـبَـرَ النَّاسِ الَّذِينَ نَراهُمُ وأحـمَلَهم لِلعِبءِ وهوَ ثَقِـيلُ (9)
عَـزاءً ولا أرضَـاهُ لَكِن مَـقَـالَةٌ بِهـا، أبداً، يُوصِي الخَلِيلَ خَلِيلُ
فَـإنَّ أسَـاكَ اليَـومَ يَستَـأصِلُ العُـرَى ويَتـرُكُ رَبعَ الصَّبـرِ وهوَ مَحِيلُ (10)
ودُونَكَهـا كـالرَّوضِ بَاكَـرَهُ الحَـيـا وهَبَّت جَنُوبٌ فَـوقَـهُ وقَـبُـولُ (11)

---

(1) الخنا: الفحش في القول، وأراد به الفحش مطلقًا.

(2) جابَ: قَطَعَ وخَرَق، والقميصَ: عمِل له جيبًا. يريد أسسها، والقُمُص، جمع قَميص، نوع من اللباس معروف، وفي الهاشمي، وأ وب وج: علا، مكان عُلى.

(3) في الهاشمي وأ: العلا، مكان العُلى، وعليٌّ*، وعَقِيل*: ابنا أبي طالب. راجع: الهامش «1» جـ 1/178.

(4) الهَديُ: الهُدى، والطريقة، والسيرة، وفي أ: هذي، بالذال المعجمة، وفي ب وج: هدى، بالمقصورة، والبتول: فاطمة الزهراء* (ع) بنت رسول الله* (ص)، والبتول الثانية لغةً: المنقطعة عن الزواج زهداً، وعن نساء زمانها فضلاً، ودينًا، وحسبًا.

(5) الحليل: الزوج، وفي الهاشمي: جليل.

(6) الحَواصِن، جمع حاصِن: العفيفات، والمتزوِّجات، وتَغُل، محذوفة المعتل للجزم للطلب: تُهلِك، وخلافَك: غيرك، وفي الهاشمي مكانها خلاقك، بقاف مثناة مكان الفاء الموحدة، ولاث: لفَّ، والعصابة: ما عَصب الرأسَ من منديل ونحوه، ولعلها كانت من لباس الزينة في البحرين* في عصر الشاعر، والغُول: المنيَّة، وسوف يكرر المعنى في قوله جـ 1/311:

عَفَاءً على مَن يَطلُبُ العِلمَ بَعدَهُ وغَالَت بَنِي أمِّ الفَضَائِلِ غُولُ

(7) في الأعيان: لئن، مكان فإن، وفي الهاشمي: والأسى، مكان فالأسى، وفيها وفي الأعيان: يطول، مكان طويل.

(8) في متن ب: وزارك، مكان فزارك، ومرزام، مفعال، للمبالغة: كثير الرعد، وهَطُول: كثير المطر.

(9) في ج: ابصر، مكان أصبر، والعبء: الحمل، والثقل، وفي أ مكانها: للعبئ، وفي ب وج: للعبي.

(10) العُرى، جمع عُروة هنا: ما يُستَمسَكُ به من العِصَم، أو يُستَعصَمُ به، وفي ب وج مكانها: العزى، بزاي معجمة، ومَحِيل: مُقفِر.

(11) باكره: أتاه بكوراً، أو باكراً، أي صباحًا، وفي الهاشمي وب وج مكانها: باكرها، والجنوب: الريح التي تَهُبُّ ==

وإنّـي لَـلـخِـلُّ الَّـذي لا تَـرَونَـهُ يَمِـيلُ مَعَ النَّعـمَـاءِ حَـيثُ تَمِـيلُ
لِسَـانُكُمُ الطَّلقُ الَّذِي لو رَمَـيـتُمُ بِهِ قَـائلاً* لَم يَدرِ كَـيفَ يَقُـولُ[1]
وسَـيـفُكُمُ العَـضبُ الذي إن ضَـرَبتُمُ بِهِ لَم تُصَـافح مَـضـرِبَيـهِ فُلُولُ[2]
وإن كَـانَ فِـيكُم من يُناجِـيـهِ ظَنُّهُ عَلَيَّ بِشَيءٍ مَـا عَلَيـهِ دَلِـيلُ
خَلا أنَّ مَدحًا سَارَ لِي فِيهِ لَم تَزَل[3] شَـوارِدُهُ فِي الخَـافِـقَينِ تَجُـولُ
فَدُومُوا كَما شِئتُم[4] وشَاءَ وَلِيُّكُم يَـزُركُم بِمَـدحِي بُكرَةً وأصِـيلُ

* * *

== من ناحية الجنوب، والقَبُول: الصّبا، وهي الريح التي تهبّ من الشرق، وتقابلها الدبُور، وهي التي تهبّ من الغرب.

(١) في الهاشمي وأ والأعيان: إن، مكان لو.

(٢) في الأصول: يصافح، مكان تُصافح، والمثبت بتصرف، والفُلُول، جمع فَل: الثُلم، وهو الكَسر في حدّ السيف ونحوه.

(٣) في ب وج: لم يزل.

(٤) في الهاشمي: شتم، وفي ب: شيتم.

أين المُعين(١)

وقال يَرثي العقيلة الكريمة العلوية خديجة* بنت السيد عبد الرؤوف* ، وتُوفِّيت(٢) عَقيبَ أختها مُلوك* بمستهلِّ(٣) محرَّم من السنة الحادية والعشرين بعد الألف، وتُوفِّيت خلالهما الحرة المصونة مريم بنت الخواجة(٤) علي بن منصور المهزَّمِيَّة*(٥)، زوجة أخي(٦) المرثيَّتين، وتوفِّي الشاب الزكي السعيد السيد جمال الدين {بن} السيد سليمان(٧) بن السيد عبد الرؤوف* بعدها بخمسة عشر يوماً(٨) من الحج للسنة العشرين بعد الألف، فأدرج رثاء الجميع في هذه القصيدة، وأنشدها بسابع موتها، وهو سابع محرم للسنة الحادية والعشرين بعد الألف، {والله، تعالى، أعلم بالصواب}(٩):

ألا يا قَومُ، ما للدَّهرِ عِندي؟ لأسرَفَ في الإساءَة(١٠)، والتَّعدِّي
تَخرَّمَ أسرَتِي فَبَقِيتُ فَرداً أبارِزُ(١١) نائباتِ الدَّهرِ وَحدِي

---

(١) تخريجها في الهاشمي ص: ٢٩ - ٣١، وأ ص: ٥٣ - ٥٦، وب ص: ٩٢ - ٩٧، وج ص: ٦٧ - ٧١، ومنها في أعيان الشيعة مج ١٦٣/٤ - ١٦٤ «٤١» بيتاً.

(٢) في ج: وتوفت.

(٣) في ج: المستهل.

(٤) الخواجة*: لقب تجمُّل للأثرياء، والتجار، ونحوهم، وفي ب وج: الأخواجة.

(٥) في الأعيان: الهزمية، وبنو مهزَّم أسرة من بني عبد القيس* تسكن البصرة*، ويبدو أنها تنسب إلى المهزَّم، موضع ذكره عدي بن الرقاع* في قوله:

لمن رسم دارٍ كالكتاب المنمنم بمنعرج الوادي فويق المهزَّم؟

ولم يزد ياقوت* على هذا، وأحسب أن هذا الموضع من المواضع المنسية بالبحرين*، ومعروف أن كثيراً من أسر قطر البحرين*، «القطيف*، والبحرين*، والأحساء*»؛ تسكن البصرة* وغيرها من مدن العراق*، ومن هذه الأسرة عبد الله بن أحمد المهزَّمي «أبو هفَّان»، وهو شاعر ولغوي، أخذ عن الأصمعي. راجع: معجم البلدان ج ٢٣٤/٥، ومعجم الأدباء ج٥٤/١٢، وبغية الوعاة ج١٣/٢. ولمزيد من المصادر: معجم المؤلفين ج ٢٣/٦.

(٦) في أ وب وج: اخا، منصوبة، ولعل الصواب الخفض للإضافة؛ كما أثبتناه.

(٧) ما بين المعقوفين ساقطة من أ، وفي ب وج: سليمن، مكان سليمان.

(٨) في أ: بخمسة عشر يوم، وفي ب: بخمس عشرة يوم، وفي ج: بخمس عشرة من يوم.

(٩) ما بين المعقوفين ليس في ب، وفي ج: والله أعلم.

(١٠) في أ: الاسائة.

(١١) أبارز: أقابل منفرداً، من المبارزة في الحرب، وهي أن ينفرد المحارب بخصمه بعيداً عن جماعته، وفي الهاشمي: أبادر.

وكَــرَّ عَلَى ذَوِي {وُدِّي} فَــأورَى بِفَـقْــدِهِمُ، مِنَ الأحــزانِ، زَنديِ[١]
فــمــا خُلِقَت لِدَمعٍ غَـيـرُ عَـينِي ولا مَــجــرًى لِدَمعٍ غَـيـرُ خَـدِّي
لَـو أنَّ الـدَّهـرَ حِينَ أبَـادَ رَهـطِي وقَـعـقَعَ مِن مَبَـانِي العِزِّ عَـمـدِي[٢]
وأفنَى الغُــرَّ مِن سَــرَوَاتِ قَــومِي وَثَنَّـى، بَـعـــدَ ذاكَ، بِـأهلِ وُدِّي[٣]
تَـداركَنِي فَــأوفَــدَنِي عَلَيـــهِم لأحسَنَ، حَيثُ سَاءَ[٤]، وكانَ سَعدِي
إذا اسْــتَـعظَمتُ فَـقـدَ أخٍ كَـرِيمٍ رَمَــانِي، مِن أخٍ ثانٍ، بِفَـقْـــدِ
فَــمَن لِيَ أن أمُــوتَ أمَــامَ خِلٍّ تُـعَـــزِّيهِ الأنَامُ عَلَيَّ بَعـــدِي[٥]
{وكُنتُ، ولا ألُوذُ بِمُـسـتَـغَـاثٍ وإن ثَلَمَـت يَدُ الأيَّامِ حَــدِّي}[٦]
أليحُ مِنَ الحِـمَـامِ عَلَى حَـمِـيـمِي وزِدتُ فكِدتُ أرحَمُ مِنهُ ضِــدِّي[٧]
فَــمَن شَـــمَخَ الإباءُ بِهِ فَــألغَى مَـقَالَ النَّاسِ: هَل مُعدٍ فَـيُعدِي[٨]
فَــهَـــا أنا ذا على أيَّامِ دَهرِي قَد استَعدَيتُ لَو[٩] ألفَيتُ مُعدِي*
ومِــمَّــا غَــادَرَ الأجـفَــانَ سَكرَى بِأدمُـعِـهِنَّ كَـالقِـرحِ المُمِـدِّ[١٠]

---

(١) ما بين المعقوفين ساقطة من أ، وأورى الزند: قدَحه.

(٢) في متن ب: أبان، مكان أبَادَ، والرهطُ: قوم الرجل، وقَبيلتُه، وقَعقَعَ عَمَدي: مَثَلٌ. يقال: تَقعقعت عَمَدُهم أي ارتحلوا، وتفرَّقوا.

(٣) الغُرُّ، جمع أغَرّ: كريم الأفعال، والشريف، وفي الهاشمي وأ مكانها: العز، وسروات القوم: ساداتهم، ورؤساؤهم، وفي الهاشمي مكانها: سرواة.

(٤) في أ: شاء.

(٥) في الهاشمي وحاشية أ: فما لي، مكان فمن لي، وهذا المعنى تردَّد عنده مراراً، وهو يشبه قول الأبيرد بن المعذّر الرياحي: فليتَكَ كنت الحيَّ، في الناس، باقيًا وكنتُ أنا الميتَ الذي ضَمَّه القبر!
ذيل أمالي القالي ص: ٤.

(٦) المستغاث: المعين، والناصر، والبيت مضاف من أ وب وج.

(٧) أليح: أخاف، وأحاذر، وفي الهاشمي مكانها: اليج، بجيم معجمة مكان الحاء المهملة، وفي متن ب وج: وجدت، مكان وزدت.

(٨) في أ: الفى، مكان ألغى، وفي ج: والسَّفى، وفيها أيضًا: فقال، مكان مقال، والمعدي: المعين.

(٩) في ج: فها أنا ذا، وفي ج: لو، مكان قد، وفيها أيضًا لم، مكان لو.

(١٠) في أ: شكري، بشين معجمة، وياء مثناة تحتية، مكان سَكرى، بالسين المهملة، والألف المقصورة، والقِرح، بكسر ثم سكون: أوّل ما يخرج من ماء البئر، والمُمِدُّ: أراد الجاري لكثرة مائه، من المدّ، وهو السيل، أو أن يمدَّ النَّهرُ، أو البئر، غيرَه بالماء.

وأورَدَني حِيـــاضَ[1] الهَمِّ حَـتَّى صَـــدَرتُ وهَـمُّ أهلِ الأرضِ عِندي

مَصَائبُ* هَانَ عِندَ النَّاسِ فِيـهـا عَـظيـمُ الرُّزْءِ في[2] مَـــالٍ ووُلـد

أناخَت بَـركَـــهـــا ببَنِي عَلِيٍّ نُزُولَ أخِي قِـرىً، فِـيـهِم، ورِفـد[3]

قَــرَوهُنَّ النُّفُــوسَ، ولَيسَ شَيءٌ أعـزَّ مِنَ النُّفُـوسِ قِـرىً لِوَفـد[4]

فـأضـحَوا، بَعدَ جَـمـعِهِم، فُرادَى كَـمـا نَثَـرَت يَدٌ خَـرَزاتِ[5] عِـقـد

فَـيـــا لِلَّه مــا رَمَتِ اللَّيـــالي بِهِ السَّـــاداتِ مِن سَلَفَي مَـعَـدٍّ[6]

تُخَـوَّنَ جَـمـعُـهُـم مَـيـتًـا فَـمَيـتًـا[7] يُسَـــارُ بِهِ إلى لَحـــدٍ فَلَحــد

يُعِـيـدُ مَـسَـاءَ[8] يَومِـهِمِ عَلَيـهِم جَـوَى ثُكلٍ لَهُ الإصـبَـاحُ يُبـدِي

سَقَى الأجـداثَ شَـرقِيَّ المُـصَلَّى وإن رُفِـــعَت إلى جَنَّاتِ خُـلد[9]

حَـيًـا مُـتَـهَـزِّمُ الأطبـاءِ إن لَم يَكُن دَمعِي عَلَى الأجدَاثِ* يُجدِي[10]

وجَـــرَّ بِهـــا نَسِـيـمُ الرِّيحِ ذَيلاً يَـمُـــــرُّ بِهِ عـلى بَـانٍ ورَنـدِ[11]

---

(١) الحِيَاض، جمع حَوض: مجمع الماء.

(٢) في الهاشمي وأ وب وج: من، مكان في.

(٣) البركُ: الإبل الكثيرة بالغًا ما بلغ عددها، وفي الهاشمي مكانها: ركبها، وفي أ: اخا، مكان أخي.

(٤) قَرَوهنَّ: أضافوهنَّ، من القرى، وهو الضيافة، وفي الأعيان: بشيء، مكان شيء.

(٥) الخَرَزات، جمع خَرَزة: الجوهر، كالماس، ونحوه، والحبَّات المثقوبة من الزجاج، والأحجار الكريمة تنظم منها العقود، وفي الهاشمي: خرزان.

(٦) هو مَعَدُّ بنُ عدنان، جدٌّ جاهلي لبعض قبائل العرب* في شمال جزيرة العرب*، ينسب إليه قبائل كثيرة أهمُّها ربيعة*، ومضر، ومن هاتين القبيلتين تفرَّعت معظم القبائل الدنانية*.

(٧) تُخُوِّنَ، بالبناء للمجهول: تُعُوهِدَ بالتنقُّص، وفي الأصول: ميت فميت، مكان ميتًا فميتًا، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٨) في ج: ماء.

(٩) الأجداث، جمع جَدَث: القُبُور، والمصَلَّى*: قرية بأوال* «البحرين*»، شمال غرب البلاد القديم*، بين جدحفص* وقرية الخميس*، إلى الشرق منها تقع قرية خرَيَّان «الصالحيَّة حاليًا»، وبها مسجد أبي عنبرة، ومقبرة الشيخ راشد* في جبَّانة أبي عنبرة،* وهي التي يشير إليها الشاعر، راجع: عقد اللآل ص: ٣١، و٢٤ - ٣٥، وخارطة البحرين، نشر وزارة الإعلام بدولة البحرين، وفيها المصلة، خطأ، وفي ب: خلدي، وفي ج: عدن.

(١٠) الحيا: المطر، والمتهزِّم: السحاب المتشقِّق بالمطر، وفي الهاشمي: متأزم، والأطباء، بسكون الطاء، جمع طُبي: حلمات الضرع لكل ذات خفٍّ وحافر، وللسباع.

(١١) البان، جمع بانة: شجر سَبط القوام، لين، معتدل، منه الطويل كالإثل، ومنه القصير كالرمَّان، وورقه يشبه ورق الصفصاف، شديد الخضرة، له زهر ناعم كالأذناب، منفرش، يخلِّف قرونًا كاللوبيا داخلها حبٌّ أكبر من ==

فَكَم حَمَلَت إلى سَاحَاتِها مِن ... قَنًا خَطِّيَةٍ وسُيُوفِ هِند ؟[1]
كُهُولٍ، كالرِّماحِ اللُّدنِ، شِيبٍ ... وأغلِمَةٍ، كَبِيضِ الهِند*، مُردِ
وكُلِّ كَرِيمَةِ الأبوَينِ لَيسَت ... كَهِند، في النِّسَاءِ، ولا كَدَعدِ
عَفِيفَةِ ما يَكُنُّ الخِدرُ مَلأى الـ ... ـمُلاءَةِ من صَلاحِيَةٍ وزُهدِ[2]
ولا مِثلُ التي بالأمسِ أودَت ... طَهَارَةَ مَولِدٍ، وسُمُوَّ جَدِّ[3]
قَضَت نَحبًا على آثارِ أُخرَى ... تَوافِيَ سَاعِيَينِ، مَعًا، لِوَعدِ[4]
هُما لأبٍ، إذا اعتَزَتا، وأمٍّ ... رُجُوعَ القِدَّتَينِ، مَعًا، لجِلدِ[5]
فَيا لَكَرِيمَتَي حَسَبٍ ودِينٍ ... ويَا لَعَقِيلَتَي شَرَفٍ ومَجدِ
كِلا رُزأيهِما[6] نَارٌ، فَهذا ... لَظَى قَلبٍ، وذاك حَرِيقُ كَبدِ
ونَالَ الصِّهرَ ثَالِثَةٌ فَأودَت ... خِلالَهُما كأنَّ الرُّزءَ يُعدِي[7]
ثَلاثٌ ما سَمَت عَلياءُ بَيتٍ ... بِغَورٍ، في مَناكِبِها، ونَجدِ[8]

== الحمص، ولها حبّ به دهن طيب يعرف بدهن البان، نافع لبعض أمراض الجلد كالنمش، والكلف، والحصف، والبهق، والجرب، ونافع للكبد، والطحال إذا شرب مع الخل، والرَّند: شجر صحراوي طيِّب الرائحة، وربَّما سمي به العود، والآس.

(١) القنا، جمع قناة: الرماح، والخطِّيَّة: المنسوبة إلى الخط*، وهي القطيف*، بلد الشاعر، و سيوف الهند: المصنوعة في الهند*، أو من حديد مجلوب من الهند*.

(٢) ملأى: ممتلئة، وفي الهاشمي مكانها: ملاء، وفي الأعيان: ملاى، وفي أوب وج: ملا، والمثبت بتصرف، والمُلاءَة: الريطة ذات لفقين، وثوب رقيق يشبه الملحفة يلبس فوق الثياب، وفي أ: الملائة.

(٣) في الهاشمي: الذي، مكان التي، وأودَت: هلكَت، يريد ماتت، وفي أ وب وج: أوذت، بذال معجمة.

(٤) النَّحبُ: الموت، والنذر، وقضى نحبه: مات، أو قتل، شهيداً، وأصله الوفاء بالنذر، وفي ج: نوافي، بنون موحدة مكان توافي، بالتاء المثنَّاة.

(٥) اعتَزتا: انتَسَبَتا، وانتمتا، ومكانها في الأصول: اعتزيا، والقدتان، مثنَّى القِدَّة: السوط، والسير يُقَدُّ من جلد، ومكانها في ج: العدتان، بالعين المهملة مكان القاف المثناة.

(٦) في أ وب: رزؤيهما، وفي ج: رزئيهما.

(٧) الصِّهرُ: القريب بطريق الزواج، يريد مريم بنت علي بن منصور المهزَّميَّة* زوجة أخي المرثيتين، وأودت: هلكَت، يريد ماتت، والرُّزء: المصيبة، وفي أ، مكانها: الرزؤ، وفي ج: يعد، مكان يعدي.

(٨) في ب وج: ثلث، مكان ثلاثٌ، وفي الهاشمي وج: عليا ببيت، مكان علياء بيت، والغَور: المنحدر من الأرض، وضِدهُ النَّجد: ما ارتفع منها، والمناكب، جمع منكِب: النواحي، وفي ج مكانها: يغوز، مكان بغور.

عَلَى مِـــثْلٍ لَهُنَّ تُقىً ودِينًا   وطِيبَ مَغَـارِسٍ وَوُفُـورَ رُشْـدِ (١)
أولئك خَيـرُ مَن واراهُ سِتـرٌ   وأكـرَمُ مَن سَحَبنَ فُضُـولَ بُـرْدِ
نَزَلنَ مِنَ النَّبَـاهَةِ في مَكانٍ   يُمَـيِّـزهُنَّ عن نُعمٍ وهِنْد*
بَنَاتُ أُبُوَّةٍ لَيسَـت(٢) كَـبَكرٍ،   إذا عُـدَّ الرِّجَالُ، ولا كَسَـعْـد
سَجَـاياها، إذا ذُمَّ السَّجـايا،   ضَـوارِبُ، دُونَ غَيـبَتِهـا، بِسَـدِّ
حَـرَائرُ مـا أغـرنَ، الدَّهرَ، بَعلاً   بِجَـرسِ حُلىً، ولا تَكليمِ عَبـد (٣)
أَلِفنَ بُيُـوتَهُنَّ عُكُوفَ طَيـرٍ   عَلَى مُسْتَـودَعَات الوَكـرِ رُبد (٤)
فَلَم يَعـرِفنَ غَيـرَ البَيتِ دَاراً   سِـوَى لَحدٍ سَكَنَّ بِهِ وَمَـهْد
أمـا لو كُنَّ للعَـرَبِ* المَوَاضي   وَقَــد نَظَرُوا البَنَاتِ بِعَينِ زُهد (٥)
إذاً كَــرُمَت بَنَاتُهُمُ عَلَيـهِمِ   ومـا أُودَت* لَهُم أُنثَى بِوَأد(٦)
أمـا لَو كَانَ غَيـرُ المَوتِ مُدَّت   يَداهُ لَهنَّ، والآجَـالُ تُردِي(٧)

---

(١) في ج : رسد ، بسين مهملة.

(٢) في الهاشمي وأ : ليسوا.

(٣) في ج : حبلا ، مكان حلىً، وفي الهاشمي : تكريم ، مكان تكليم.

(٤) رُبْدٌ ، جمع ربداء : مقيمة، من ربد بالمكان، أقام فيه، وفي ج : دبد .

(٥) نصُّ البيت في الأعيان :

أمـا لو كن للعرب الاولى قـد   نظرن إلى البنات بعين زهد

(٦) في الهاشمي وج : اثنى ، بتقديم الثاء ، والوأد : قتل البنت بدفنها حيَّة.

(٧) تُردي : تُهلك، وهذا معنىً كررَّه كثيراً، فقد مرَّ قوله في رثاء عبد الله بن المقلد* ج ١/٢٧١ :

فأقسم لو لا موته في فراشه   لجرَّدت البيض المهنَّدة البتـر

وقوله في رثاء الإمام الحسين بن علي أبي طالب* (ع) ج ١/٢٨١ :

أمـا وأبي لو لا تأخُّـر مـدَّتي   وأنَّ الذي لم يقضِه الله كائد
لألفيتموني في رجالٍ كأنهم   ليـوثٌ بمستنِّ النزال حـوارد

وقوله في رثاء السيد عبد الرؤوف الجدحفصي* ج ١/٢٨٥ :

عذراً لو العادي عليه سوى الردى   قـسمًا لكنت عليـه أوّل عـادي

وسيعود لتكراره في رثاء حسن بن محمد بن أبي سنان* ج ١/٣١٦ :

أمـا لو كـان ثأرٌ عند غيـر الـ   ـمنيـة، والنفـوس إلى زوال
لأوجفنا عليه الخيـلَ شعثًا   تعادى، في الأعنَّة، كالسَّعالي

وقوله ج ٢/٤٨ :

فلو همُّ غيـر الحوت بي لتـواثبت   رجالٌ يخوضون الحمام إلى نصري

لَكَادَت أن تَسُوخَ الأرضُ مِمَّا ... تَظَلُّ بِهَا جِيادُ الخَيلِ تَردي(١)
عَلَيهَا الشُّوسُ مِن عَليا قُرَيشٍ* ... أولِي النَّجَداتِ والعَزمِ الأشَدِّ(٢)
إذا استَصرَختَهُم وافَوا غِضَاباً ... كمَا هَجهَجتَ في غَابَاتِ أسدِ(٣)
بِكُلِّ مُثَقَّفِ الأنبُوبِ لَدنِ الـ ... ـهَزِّ، وكُلِّ مَصقُولِ الفِرَندِ(٤)
كَأنَّكَ تَستَكِفُّ الخَطبَ مِنهُم ... بِذِي الرُّمحَينِ أو عَمروٍ* بنِ وُدِّ(٥)
بَنِي عَبدِ الرَّؤُوفِ، وكُلُّ حَيٍّ، ... لِمَصرَعِهِ، أخُو سَيرٍ مُجِدِّ،
عَزاءَكُمُ(٦)، فَأوفَى النَّاسِ أجراً ... أخُو ضَرَّاءَ قَابَلَهَا بِحَمدِ
فِداكُم مَن يُكَاشِرُكُم ويُخفي(٧) ... لَكُم، تَحتَ الضُّلوعِ، غَليلَ حِقدِ
أُنَبِّئُكُم، ومَا في ذاكَ بَأسٌ ... فَهذا النَّاسُ مِن هادٍ ومَهدِي
بأنّي خَيرُ مَن أرعَيتُمُوهُم(٨) ... لَكُم، وُدّاً، وأوفَاهُم(٩) بِعَهدِ
فَقَد جَرَّبتُمُ الإخوانَ غَيرِي ... {وأكثَرتُم، فَهَل سَدُّوا مَسَدِّي؟}(١٠)
فَلا تَتَمَسَّكُوا بِحِبَالِ غَيرِي ... إنِ استَمسَكتُمُ بعُرَى مُودِّ(١١)

---

(١) تسوخ: تنخسف، وتَردى: ترجم الأرضَ بقوائمها، من الرَّدَيان، وهو ركض فوق الحَجَلان.

(٢) الشوس، جمع أشوَس، وهي في الأصل الناظر بمؤخِّر عينه تكبّرا أو تغيُّظًا، ثم تُوسِّع فيها فاستعملت للبطل.

(٣) وافوا: جاءُوا، وأقبلوا، وفي الهاشمي و أ: وافوك غضبًا، وفي ب وج: وافوك غضبى، وهجهجت: صحت، بالأسد والجمل، وزجرت، من الهجهجة، وهي الزجر، والصياح الشديد، وفي ج: هحهجت، وإضافة «أسد» إلى «غابات» قلب للمعنى، فمراده أسد غابات، فالذي يهجهج أي يصاح به هو الأسد لا الغابات.

(٤) مثقَّف: مستقيم، والأنبوب: قناة الرمح، والفِرند: السيف، ووشيُه، وجوهره، وهو ما يرى فيه من شبه الغبار.

(٥) ذو الرمحين: لقب لعدد من الرجال؛ منهم: يزيد بن مرداس السلمي – أخو العباس بن عبد المطلب* (رض)، غير شقيق – وعبد بن قطن بن شمر، وعمرو بن المغيرة، أو مالك بن ربيعة بن عمرو جد عمر بن أبي ربيعة الشاعر، وفي بعض المصادر أنَّ اسمه حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي، وسُمي بذلك لطول رجليه. شبِّهتا بالرمحين، أو لأنّه كان يقاتل برمحين، را: لسان العرب، وتاج العروس «رمح»، والأغاني جـ١/٦١، وخزانة الأدب جـ ٢/٣٢.

(٦) في الهاشمي: عزاؤكم، وفي أ: عزائكم.

(٧) يكاشركم: يضاحككم، وفي ب وج مكانها: يكاثركم، وفي أ: وتخفي، مكان ويخفي.

(٨) في الأصول: ارعيتموه، والمثبت بتصرف.

(٩) في الأعيان: وأوفاة، وفي أ: ووافاه، وفي ب وج: واوفاه، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(١٠) عجُز البيت في الهاشمي: «إن استمسكتموا بعرى مود».

(١١) صدره ليس في الهاشمي، وفيه، وفي البيت الذي قبله، نظر إلى قول عبد الله بن المعتز*، وليس في ديوانه: ==

ودُونَــكُـمُ، بِـلا مَـنٍّ عَـلَـيـكُـم، ثَـنـاءُ مُـــبَـــرِّزٍ، في النَّظمِ، فَـــردِ
يُجِـيـدُ الحَـفـرَ عَن[1] مَـاءِ المَعَـاني فَـيُـنبطُهُ، وحَـفـرُ النَّاسِ يُكدِي[2]
{تُشَارِكُني الوَرَى في الشِّعرِ دَعوَى عَلَى أنِّي المُبَـرِّزُ فِـيـهِ وَحـدِي}[3]

* * *

== لست ترى واجداً بنا عـوضًـا فاطلب، وجرِّب، واستقصِ، واجتهدِ
معاهد التنصيص جـ ٢/٢٤.

(١) في ج: من.

(٢) ينبطه: يستخرج منه الماء. ويكدي: يبلغ الكديَة، وهي الصفاة العظيمة الشديدة، والصلب من الحجارة والطين إذا بلغه الحفار عجز، وفي البيت نظر إلى قول الشريف الرضي*:
ويُنبِطُ مِحفَارِي بأرضِكم الغِنَى إذا ما نَبا عن جانِبِ اللُّؤم، أو أكدَى
ديوانه جـ ١/٤٠١.

(٣) في أ: إن، مكان أنّي، وقد تقدم البيت في جـ ١/٢٣٨، وفيها: ظلماً، مكان دعوى.

الحديث طويل[1]

وفي هذه الأيّام تُوفِّي السيد الفاضل التقي العلامة أحمد بن عبد الصمد[2] بن حسين العلوي الموسوي* ، ومن العجب أنّه قد رثى السيد جمال الدين* ، المذكور سابقًا [3]، فما أتمَّ المرثية حتى توفي، ومطلع مرثيته[4] {هو}[5] هذا :

كَيفَ أزمَعتَ عن حِماكَ الرَّحيلا ؟ وتَبوَّأتَ في التُّرابِ مَقيلا ؟[6]

وراءَكـمـا ، إنّ المُصـابَ جَليلُ وإنَّ البُكا[7]، في مِـثلِه، لَقَليلُ
ألا فـاتركـاني والبُكاءَ ولو غَـدَت لِذلِكَ رُوحي ، في الدُّمُوعِ، تَسِيلُ[8]

(١) تخريجها في الهاشمي ص: ٨٩ - ٩١، وأ ص: ٥٧ - ٥٩، وب ص: ٩٧ - ١٠٠، وج ص: ٧١ - ٧٣، ومنها في أعيان الشيعة مج ٢/٦٢٥ «١١» بيتًا.

(٢) في ج: الضمد، بضاد معجمة مكان الصاد المهملة.

(٣) القصيدة السابقة ص: ٣٠١.

(٤) في أ: مرثياته.

(٥) ما بين المعقوفتين ليس في الأصول.

(٦) تَبوّأتَ المكان: اتّخذتَه مَنزلاً، وأقمت فيه، والمَقيل: مكان القيلولة، وهي النوم في القائلة، أي الظهيرة.

(٧) في أ: ورائكما، مكان وراءَكما، والبكاء، مكان البكا، وهي الأصل لكنّ الوزن لا يستقيم إلاّ بتسهيل الهمزة فحذفها ضرورة.

(٨) تردّد معنى سَيَلان الروح في الشعر العربي كثيراً، ولعل الروح لفظ يطلق، أيضًا، على الدّم، أو أنهم توهّموا الروح جوهراً سائلاً، فمن ذلك قول السَّمَوأل بن عَاديا اليهودي:

تَسيلُ على حَدِّ الظُّباتِ نُفُوسُنا وليس على غَيرِ الظُّباتِ تَسيلُ

ولديك الجن*: ليس ذا الدمْعُ دَمعَ عَيني ولكن هي نَفسي تُذيبُها أنفاسي

وقول آخر: لم تَسِل دَمعَتي عليَّ، من الرَّحـ ـمةِ، حتى رأيتُ نَفسي تَسِيلُ

وقول أبي تمام*: مُستَبسِلونَ كأنّما مُهَجاتُهُم ليسَت لهُم إلاّ غَداةَ تَسِيلُ

وقول سيّار بن ربيعة:

ولو مِتُّ سالَت بَعضُ نفسيَ حَسرةً عَلَيكَ، وأمسي عنك في الحيِّ لاهيا

وقول ابن دريد*: لا تَحسَبي دَمعي تحدَّرَ إنّما نَفسي جَرَت في دَمعيَ المُتَحدِّرِ

وقول المتنبي*: أشاروا بتَسليمٍ، فَجُدنا بأنفسٍ تَسيلُ منَ الآماقِ والسُّمُّ أدمُعُ

وقوله: تَجري النُّفوسُ حَواليهِ مُخلَّطةً منها عُداةٌ، وأغنامٌ، وآبالُ

وقول غيره: خَليليَّ لا دَمعًا بَكَيتُ وإنّما هيَ الرُّوحُ مِن عَينِي تَسِيلُ على خَدّي

وقول آخر: ومَن لو رأى نَفسي تَسيلُ لَقالَ لي: أراكَ صَحيحًا، والفُؤاد جَليدُ

وقول عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي*: ==

فَـأيسَــرُ مــا يُقـضَى بِهِ حَقُّ هَالكٍ دُمـــوعُكَ، لو يُطفــا بِهِنَّ غَليلُ(١)

أسىً لِبَني أمٍّ مَــضَــوا لِسَــبـيلِهِم كَمَا استَرحَلَ الرَّكبَ البطاءَ عَجُولُ(٢)

قَد استُؤصِلَت، بالأمسِ، شَأفَةُ جَمعِهِم فَــأودَت نِســـاءٌ مِنهُمُ وبُعُــولُ(٣)

شَبَابٌ، كَما شَاءَ الصِّبا، ومَشَائخٌ* قَـضَى الشَّـيبُ مِنهُم حَـقَّـهُ، وكُـهُـولُ

جَـــــرَى ذا علـى آثـارِ هـذا، وهـذهِ على إثرِ هذي، والحَـــديثُ طَويلُ(٤)

بَـنِي هـاشِمٍ، هل لِـلمَـنُـونِ طَوائِلٌ* لَدَيكُم، وهل للحَـــادِثَات ذُحُــولُ؟(٥)

لأعْـــوَزَ يَومٌ أن يَمُــرَّ ومــــا لَكُم {على إثْرِ مَـــاضٍ رَنَّةٌ وعَـــوِيلُ}(٦)

إذا مـا وَضَـعـتُم نَعشَ مَيتٍ رَفَـعـتُمُ جَـنــازَةَ ثــانٍ. إنَّ ذا لَــيَـطُــولُ(٧)

= وَلَيسَ الذي يَجري مِنَ العَينِ مـاؤُها ولَكِنَّهــا رُوحٌ تَذُوبُ فَــتَــقطُرُ

وقول محمد بن أحمد الكوفي:

لا تَحسَبُوا الدَّمعَ مـاءً في الخُدُودِ جَرَى وإنَّمــا هِيَ رُوحُ الصَّبِّ تَنسَـــفِكُ

وقول الأمير منجك بن محمد بن منجك اليوسفي الدمشقي:

روح تسيل على خدّي فيحسبها دمعًا خليُّ فؤادٍ ما له روحُ

وقول أبي القاسم بن العطار:

مـا أدمُـعي تَنهَلُّ سَـحًّـا إنما هِيَ مُهجَتِي سَالَت على الآماقِ

ومن المعاصرين إليا أبو ماضي* في قوله:

أبقَ النَّومُ فاستَبَقتُ إلى النَّهـ ـرِ بِنَفسٍ كَادَت تَسِيلُ دَمَاها

أمالي القالي جـ١/١١٥، وذيله ص: ٧٥، ١٠٣، وديوان المتنبي ص: ٣٥٩، ٤٨٨، وشرحه جـ ٢/٣٤٤، وديوان ديك الجن ص: ٢١١، وحماسة أبي تمام جـ ١/٢٩، والمستطرف جـ ١/١٥٢، وأنوار الربيع جـ/٢٣، والبيان والتبيين جـ ٤/٦٨، والعقد الفريد جـ ١/٩٣، و٧/٤٩، وجواهر الأدب جـ ٢/ ٢٦٠، والمدهش ص: ٣٨٣، وحماسة أبي تمام جـ٢/١٧٢، وتاريخ الأدب العربي لفروخ جـ ٢/٢٠٧، ومعاهد التنصيص جـ ١/٣٥١، وديوان الجداول ص: ٢٠٣.

(١) في الأعيان: وايسر، مكان فأيسر، وفي الأصول، وفي الأعيان: يطفى، وأصلها يطفأ فسُهِّلت الهمزة.

(٢) في الهاشمي وب وج: اسا، مكان أسى، واسترحله: حثّه على الرحيل، والبِطاء، جمع بَطِيء وبَطيئة: صفة من البطء؛ أي التريُّث والمهل؛ ضدُّ السرعة، وفي ج: البطا.

(٣) استؤصلت: قطعت من أصلها، ومكانها في الأصول: استوصت، بدون همزة، والشأفة: الأصل، وفي الهاشمي وأ وب: شافة بدون همزة، وفي ج: شاقة، بقاف مثناة مكان الفاء الموحدة.

(٤) في ب: يطول.

(٥) الطوائل، جمع طائلة: التِّرات، والعَداوة، والذُّحول، جمع ذَحل: الثأر، وفي أ وج مكانها: دحول، بدال مهملة.

(٦) عجزه في متني ب وج: «على غير أصحاب القبور نزولُ»، وقد مرَّ في جـ ١/٢٩٧، وهناك ذكرنا تناظره مع قول الشريف الرضي*.

(٧) نص الصدر في أ: إذا ما رفعتم نعشَ ميت وضعتم

أأبغضتُمُ الأحياءَ طُراً فما لَكُم {على غيرِ أصحابِ القُبورِ نُزولُ؟}(١)
فَلَم تَتركُوا في الأرضِ مِمَّا دَفَنتُمُ بِها قَدرَ ما يُلقِي عَصاهُ نَزِيلُ(٢)
أيأكُلُ منكُم حَادثُ الدَّهرِ خَمسَةً بِخَمسينَ(٣) يَومًا؟ إنَّهُ لأكُولُ!
وأنتم أناسٌ قَطرةٌ من دِمائكم يَؤُودُ البرايا حَملُها ويَهُولُ(٤)
ولا كالذي بالأمسِ قِيدَ(٥) إلى الرَّدَى وكُلُّ عَزيزٍ، للحِمامِ، ذَليلُ
فَتًى لو وَزَنَّا النَّاسَ كُلَّهُمُ بِهِ لخَفُّوا على الميزانِ وهو ثَقِيلُ
فَشُلَّت أكُفُّ الحامِليهِ إلى البِلَى أتَعلَمُ مَن ذا للقُبُورِ تَشِيلُ؟(٦)
تُهِيلُ عليهِ التُّربَ، جَهلاً، وإنَّها لَتَحشُوهُ في أحداقِنا وتُهِيلُ
شَكَرنا يَدَ الأيَّامِ في جُودِها بِهِ ومَوقِعُ إحسانِ اللِّئامِ جَليلُ(٧)
فما هُوَ إلاَّ أن تَقاضَاهُ صَرفُها لَها، ومُحَالٌ أن يَجُودَ بَخِيلُ
فإن سَبَقَ الآمالَ فِيهِ فَطالَما عَدا الحيَّ صَوبُ الغَيثِ وهو مَحِيلُ(٨)
أما وأيَادِيهِ الجِسامِ، وإنَّها لأنفسُ ما يُعطِي امرُؤٌ ويُنِيلُ(٩)

---

(١) في الهاشمي وأ: «ابغضتم، وفي ب وج: «ابغضتم، وفي ج: القبول، مكان القُبور، وقد تكرّر نصُّ العجُز في البيت «١٦» ج ١/٢٩٧.

(٢) في أ: نزول.

(٣) في أ وب وج والأعيان: لخمسين.

(٤) يَؤود: يُثقِل، وفي الهاشمي مكانها: يود، وفي أ وب وج: يؤد، ولاختلاف الإملائيين في رسم الكلمة اعتمدت على اللسان والتاج، وراجع أيضًا أدب الكاتب ص: ٢١١ - ٢١٢، وفي الهاشمي: حمله، مكان حملُها.

(٥) في أ: إلى قيد.

(٦) البِلى الإسم من بَلِيَ الثوبُ إذا رَثَّ، وتَلِفَ من القِدَم، وفي الأصول مكانها: البلا، ولعل الصواب ما أثبتناه، وفي ج: للتبول مكان للقُبُور، وقد كرر المعنى بقوله ج ١/٢٨٦:

أعلمت من حملوا على أعوادهم؟ المجد قد حملوا على الأعواد

وهناك أوردت بيتين في المعنى لغيره، وسيكرره بقوله ج ١/٣٣١:

أترى النعاة دَرَت بمن هتفت به أو من عَنَت لما نَعَت بِنُعائها

(٧) في الهاشمي: من، مكان في، والمعنى في البيت والذي يليه كرره في قوله في رثاء الشريف عبد الرؤوف قاضي القضاة * ج ١/٢٨٤: جاد الزمان به وعاد لأخذه إنّ الزمان به لغير جواد

وقوله فيها: لانت به الأيام ثم تقلبت من بعده، فغدون جِدَّ شِداد

(٨) عدا: جاز، وفي أ: عدى. يقول: إن سَبق آمالنا، ومضى دونَ أن نحظى منه بما يحقق لنا الآمال، فكما المطر يجوز الحيَّ وهو في مسيس الحاجة إليه.

(٩) في الاعيان: لأعظم، مكان لأنفس، وفي أ وب وج: امره، مكان امرؤ.

مَعارِفُ لَو نَاجَى بِها الصَّخرَ مُفهِمًا لأوشَكَ أن يَدرِي وكَـــادَ يَقُـــولُ
تَفَــتَّحُ أبصـــارٌ بهـــا وبَصـــائرٌ وتَلقَحُ أذهانٌ بهـــا وعُـــقُـــولُ
فَـقَـدناهُ فَـقـدَ الرَّوضِ ريعَ سَـقِـيُّـهُ فَـخَـوَّى به، بَعـدَ النُّمُـوِّ، ذُبُولُ[(١)]
عَـفَـاءً على مَن يَطلُبُ العِلمَ بَعـدَهُ وغَـالَت بَنِي أمِّ الفَـضَائلِ* غُـولُ[(٢)]
إذا مَـاتَ فَـحلٌ مِـثلُ هذا فَـإِنَّهُ على ضَـعفِ حَظِّ المُسلِمينَ دَلِيلُ
وإنِّي لأرضٍ لا تُـوافِـقُ مِـثلَـهُ، ولو بَعـدَ حِينٍ، بالخَراب كَـفِـيلُ[(٣)]
فَلِلَّهِ مَـا أسنَى حُظُوظَ مَـعَـاشِـرٍ حَـوَاهُ مَـبِـيتٌ عِندَهُم ومَـقِـيلُ[(٤)]!

---

(١) ريعَ، بالبناء للمجهول: نما وزكا، وسَقِيُّه: نخله، وخَوَّى: تَهَدَّم، وفي أ وب: فحوى، بحاء مهملة مكان الخاء المعجمة، وفي البيت نظر إلى البيت المنسوب إلى فاطمة الزهراء* (ع) في رثاء أبيها (ص):

إنَّا فـقـدناك فـقـدَ الأرضِ وابلَهـا وغابَ، مُذ غِبتَ، عنَّا الوحيُ، والكتب

وفيه خلاف في النسبة، والرواية، فالجاحظ رواه بالنص التالي:

إنَّا فقدناك فقدَ الأرضِ وابِلَها واختلَّ قومُك فاشهدهم فقد سَغِبوا

ونسبه إلى صفيَّة بنت عبد المطلب بن هاشم؛ عمَّة النبي* (ص)، ولعل «سغبوا» تصحيف عن شَغَبوا، وأورده ابن منظور، والزبيدي في مادة «هنبث» منسوبًا لفاطمة الزهراء* (ع) ونصه:

إنَّا فقدناك فقدَ الأرض وابِلَها فاختلَّ قومك فاشهدهم، ولا تغب

ويتَّفق السيد محسن الأمين* (عليه الرحمة) معهما في هذه الصيغة على ما في البيت من إقواء، لكنَّه ينسبه إلى هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف. على أنَّ الرواية المتداولة للبيت هي التي أوردها الميلاني، وصورتها:

إنَّا فقدناك فقد الأرضِ وابِلَها واختلَّ قومك فاشهدهم فقد نَكَبوا

وشبيه بهذا قول أحدهم:

فقدناك فِقدانَ المصابيحِ في الدُّجى إذا ضلَّ، عن قصد الهداية، مَقصَد

وقول بكر بن النطاح*:

فـقـدناك فـقـدان الربيع، وليتنا فـديناك، من فـتـيـاننا، بألوف!

را: سلسلة عظماء الإسلام، فاطمة الزهراء ص: ٧٨، والبيان والتبيين جـ ٣/٣٦٣، ولسان العرب، وتاج العروس، وأعيان الشيعة مجـ ١/٢٩٦، والنوادر للقالي ص: ٢٣٠، وفاطمة أمُّ أبيها ص: ١٣٩، وزهر الآداب جـ ٤/ ١٠٣٦.

(٢) العفاء: الدُّروس، والهَلاك، وذَهاب الأثَر، نُصِبت للدعاء، والغُول: المنيَّة، وقد كرر هذا المعنى في قوله جـ ١/ ٢٩٩:

لِهوَنتِ أرزاءَ الحواصِنِ فلْتَئِل، خلافك، مَن لاثَ العِصابةَ غُولُ

(٣) في الهاشمي وأ: وانى، مكان وإنِّي، وفي ب وجـ: ان تفارق، مكان لا توافق، وقد سبقه علي بن المقرب العيوني* إلى هذا المعنى بقوله:

فإنِّي كفيلٌ بالخراب لبلدةٍ يُراعى بها من كلِّ حيٍّ أراذله

ديوانه ص: ٣٣٩.

(٤) في جـ: حضوظ، مكان حظوظ، والمبيت: مكان الإقامة ليلاً، والمقيل: مكان القيلولة، وهي النوم في القائلة، أي الظهيرة، وفي البيت نظر إلى قول عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي*:==

مَـتَى كُلِّفَ الأمـواتُ في عَـرصَـةِ البِلَى   وكَـانَ لأصحَـابِ القُـبورِ رَسُـول؟[1]
أوالِدَهُ، مـا أنتَ، في الثَّكلِ[2]، واحِداً   شَـريكُكَ فِـيـهِ عَـالِمٌ وجَـهُـولُ
فَـإن قُلتَ قَـد أودَى سَليلي فَـإنَّهُ   لِسَـائِرِ* هذا العَـالَمينَ سَليلُ[3]
أبَى فَـضلُهُ أن يُسـتَـخَصَّ بِرُزئِهِ   بَنُو بَيـتِـهِ؛ كُلٌّ عليـه ثَكُولُ[4]
أأسـرَتَهُ، والنَّاسُ أجـمَعُ سَـيـرُهُم   وَجِـيـفٌ، إلى دارِ البِلَى*، وذَمِـيلُ[5]
عَـزاءَكُمُ فَـالدَّهرُ يا رُبَّمـا ارعَـوى   فأحسَنَ، والأحوالُ {سَوف} تَحُولُ[6]
ضَـمِنتُ لكُم من ذِي الجَـلالِ بعَطفَـةٍ   يَـزُولُ بِهـا ضُـرٌّ، ويُدرَكُ سُـولُ[7]
سَـقَى قَـبـرَهُ من واكِفِ الغَـيثِ رِيُّهُ   وَجُـرَّت عليـه للنَّسِـيمِ ذُيُولُ[8]
ولا زال تَسليمُ الإلهِ يَسُـوقُـهُ   له غُـدوَةٌ، مـا تَنقَـضِي، وأصِـيلُ

* * *

== وإنّي لأرباب القبـور لغـابِطٌ   بسُكنى سعيدٍ بين أهل المقابر

زهر الآداب ج ٤/١٠٣٨، والحماسة البصرية ج ١/٢٤٢.

(١) العَرصَةُ: المكان الخالي بين البيوت، والبِلى: الإسم من بَلِيَ الشيءُ إذا رَثَّ وتَلِفَ لقِدَمِه، وفي الأصول: البلا، ولعل الصواب ما أثبتناه، والمعنى: هل إن الموتى مُكلَّفون بتكاليف العبادات، كما هم في الدنيا، فيحتاجون إلى المرثيِّ ليرشدَهم؟

(٢) الثكل: فقد الحبيب، أو الولد.

(٣) أودى: هَلَك، وفي أ مكانها: اوذي، بذال معجمة، وياء مثناة، وفي ب: اودي، بدال مهملة وياء مثناة، والسليل: الولَد، وفي الهاشمي وب مكانها: سليلى، بالمقصورة، والمعنى أخذه من قول ديك الجن*:

مـا أمّك اجـتـاحت المنايا   كلُّ فُـؤادٍ عليك أمُّ

ديوانه ص: ١٤١.

(٤) في أ: برزؤه، مكان برزئه، وفي ب وج: برزوه، وفي أ: بنو بنتـه، مكان بنو بيتـه، والثكول: الشاكل: من فقدَ حبيبًا، أو ولداً.

(٥) في أ وب وج: ءاسرته، مكان أأسرته، والوجيف: ضربٌ من سير الإبل والخيل سريع دون التقريب، والتقريب: سير فوق الخبب، يرفع فيه الفرس يديه معًا، ويضعهما معًا، والذميل: ضربٌ من سير الإبل لين، وهو فوق العنَق، والعنق سيرٌ للإبل فسيح واسع.

(٦) في الهاشمي: عزاؤكم، مكان عزاءكم، وفي ب وج: والدهر، مكان فالدهر، وارعوى: كفَّ ورجع عن غيِّه، وما بين المعقوفين ساقطة من متن ب، ومثبته في حاشيتها.

(٧) العطفة: الرجعة، يريد إقامة دولة العدل في الأرض بظهور المهدي* (ع).

(٨) واكِفُ الغَيث: المطر الغزير، أو هو الذي يَتَقطَّر قليلاً قليلاً، وفي أ وج: ربه، بباء موحدة مكان ريِّه، بالياء المثناة، وفي الأعيان: ديمة، وفيه أيضًا: جر، مكان جُرَّت.

خطب مروّع[1]

وبلغه موت بعض أبناء الأعيان من بلد القطيف*، وهو الشاب السعيد حسن بن محمد بن جعفر بن علي بن أبي سنان*، وكان أبوه {جعفر}، قبل وفاته، قد دفع إلى أمر لا يمكن ذكره هنا؛ حاصله أنّه[2] كان في سفر، فاعترضهم قومٌ من الأعراب*، فعاثوا فيهم نهباً وسلباً وقتلاً، فأصابته جراحاتٌ قاتلة، وبقي في البرّ ملقى بين الأحساء* والقطيف*، فنقل، بعد يومين، وبه رمق، فعولج، فما برئ[3] حتى شلّت يداه معاً، وسقط بعض أنامله، وجرت بعد ذلك عليه مصادرات من حاكم القطيف* ألجأته[4] إلى الهجرة إلى أوال*، فقبض على جميع أملاكه وضياعه، واستغلّها[5] مدّة، ثمّ استأمن له الشريف العلاّمة ماجد بن هاشم الحسيني* فأمّنه، فرجع إلى وطنه، فكان[6] موت ابنه في ضمن قدومه، وكان بين أبي البحر وبينه صحبة أكيدة، فكتب إليه يعزّيه، وبعث بها إليه في القطيف* للسنة الثانية والعشرين بعد الألف[7]:

ألا تَستَنطِقُ الدِّمنَ الخَوالي؟ فَتَسألَها عَنِ الحَيِّ الحِلالِ[8]
أَبَت إلاّ أثافِيَ جاثِماتٍ على الكَانُونِ كالخَدَمِ الصَّوالي[9]
وأشعَثَ غَيرَ مَمسُوسٍ بِدُهنٍ ولا عَبِثَت به أيدِي الغَوالي[10]
عَواطِلَ بَعدَ ما كانَت زمانًا بِأنسِ القاطِنِينَ بِها حَوالي[11]

---

(١) تخريجها في الهاشمي: ٩٥ - ٩٧، وأ ص: ٦٠ - ٦٣، وب ص: ١٠٢ - ١٠٦، وج ص: ٧٤ - ٧٧، ومنها في أعيان الشيعة مج ٤/١٦٤ «٢٩» بيتاً، ولكثرة الأخطاء في المقدمة في ب آثرت الإعتماد على أ وج.

(٢) في ب وج: ان.

(٣) في ب وج: برى، والمثبت بتصرف.

(٤) في ب وج: الحانه، وفي أ: الجانه، والمثبت بتصرف.

(٥) في ب وج: وصاعه، مكان وضياعه، وفي أوب وج: استعملها، مكان استغلها، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٦) في ج: مكان، بدل فكان.

(٧) زيد في ج: والله أعلم وأحكم في الامور.

(٨) في ب: نستنطق، وفي ج: ستنطق، والدّمن، جمع دمنة: آثار المنازل المتخلفة بعد تركهم لها، والحِلال، جمع حلّة: جماعة البيوت، والمجتمع، والحي الحلال: القوم المقيمون بمكان وفيهم كثرة.

(٩) الأثافي، جمع أثفية: أحجار ثلاث توضع عليها القدْر، ومكانها في ب: أثاني، وفي ج: اناني، وجاثمات لابدات بالأرض، والكانون: الموقد، والصوالي، جمع صالية: اللواتي يوقدن النار، وفي ب وج: الصوال.

(١٠) الأشعث: الوتَد، والغوالي، جمع غالية: أخلاط من الطيب، وفي ب مكانها: التوالي، وفي ج: النوالي.

(١١) عواطل، جمع عاطلة: ليست متزيّنة، وليست لابسة حليًا، وفي الهاشمي والأعيان وب وج: بانس، مكان بأنس، وفي أ: بائنس، والقاطنون: السكان، وحوالي، جمع حالية: متزيّنة بالحلي، وفي الهاشمي مكانها: ==

دَعَـاهُم رَيبُ دَهرِهِمِ فَبَـانُوا[1] سِـرَاعًـا، والمُقِـيمُ إلى ارتِحَـالِ
ولا تَبـقَى على الحَـدَثانِ شُمُّ الـ ـهِضَـابِ ولا مُنِيفَـاتُ القِـلالِ[2]
فَـعَـدِّ عَنِ الدِّيارِ، فـإن خَطبًـا تَـوَخَّـانا بِـهِ صَـرفُ اللَّيَـالِي[3]
أطارَ كَرَى العُيُونِ فَخِيطَ جَفنٌ، على سَـهَـرٍ، وَقَلبٌ باشـتِغَـالِ[4]
وبَيَّضَ لِمَّـةً، وأحـالَ وَجـهًـا كـأنَّ الوَجـهَ يُصبَغُ بالقَـذَالِ[5]
غَـدَاةَ[6] نُعِيَ لنا حَسَنٌ، وقَـالُوا هَوَى من أفـقِـهِ نَجمُ المَعَـالِي
فَظَلْنا، حِينَ جَـدَّ بِنا نُعَـاهُ[7] وقَـد ضَاقَت بِنا سَعَةُ المَجَالِ،
كَـشَـربٍ طَوَّحَت بِهِمُ شَـمُـولٌ فَطَاحُـوا لِليَـمِينِ ولِلشِّـمَـالِ[8]
نَلُوذُ، إذا غَلِيلُ الحُـزنِ أغـرَى لَـذَاهُ بِـنا، إلى الـدَّمعِ المُدَالِ[9]
سَلِ الأجداثَ[10] ما ذا أودَعُوهُ بِهـا مِن شُـهـرَةٍ وظُهُـورِ حَـالِ
ومـا وارَوهُ فِـيـهـا من جَـمِـيلٍ بِـهِ يُبكَى عَلَيـهِ ومِن جَمَـالِ[11]
أوالِـدُهُ، ولَـسـتَ تُـلامُ عِـنـدي سِـوَى شَيءٍ على وجهِ السُّؤالِ

== خوالي، بخاء معجمة.

(١) رَيبُ الدهر: صَرفه، وفي ج مكانها: دبيب، وبانوا: فارقوا، وذهبوا.

(٢) المُنيفات، جمع مُنيفة: العالية، والقِلال، جمع قُلَّة: رُؤوسُ الجبال، وفي ب وج: القلالي.

(٣) عدِّ عن الديار: خلِّها، وانصرف عنها، وفي الهاشمي: على، مكان عن، وتوخَّانا: تعمَّدنا، وتطلَّبنا دون سوانا.

(٤) في ج: اطال، مكان أطار، وفيها أيضًا: ياشتعال، بياء مثناة، مكان باشتعال، بالباء الموحدة.

(٥) اللِّمَّة: الشَّعَر المجاوز لِشَحمة الأذُن، والقَذَال: شَعر مؤخَّر الرأس.

(٦) في أ: غدات.

(٧) النعا، بتسهيل الهمزة: النعاء، وهو صوت السِّنَّور، وهذا من أخطاء العامَّة، والصواب النعي.

(٨) الشَّرب، جمع شارب: الجماعة في مجلس الشراب، والشَّمُول: الخمرة الباردة، والبيت ينظر إلى قول الشريف الرضي*:
مُتوسِّدين على الخُدود كأنَّما كَرَعوا، على ظمأٍ، من الصَّهباء
ديوانه ج ١/٢٦.

(٩) في الهاشمي وأ: أعزى، بعين مهملة، وزاي معجمة مكان أغرى بالغين المعجمة، والراء المهملة، والمدال: المتداوِل، أي المتناوب، ومقلوب من التدلي كناية عن الإنسكاب، والهَمَلان، وفي الهاشمي وب وج: المذال، بذال معجمة، مكان الدال المهملة.

(١٠) الأجداث، جمع جدث: القبور.

(١١) في الأعيان: سل الأجداث، مكان وما واروه، وفي ب: يبكي، بياء مثناة مكان يبكى، بالمقصورة، وفي ج: حمال.

عَـلامَ غَسَلتَهُ مِن كلِّ عَيبٍ[1] فَـجَـاءَ كَـقَطرَةِ المَاءِ الزُّلالِ
فَـهَلاَّ كُنتَ تَترُكُ فِـيهِ عَيبًا فَكانَ يَقِيهِ مِن عَينِ الكَمَالِ[2]
ألا قُـولُوا لِحِمـيَرَ حَيثُ كـانَت أولِي العَزماتِ، والهِمَمِ العَوالي[3]
وفُـرسَانِ الحُـرُوبِ إذا تَداعَت فَـوارِسُـهـا بِحَيَّ على[4] النِّزالِ
أصابَكُمُ الحِـمامُ[5]، فَلَم يَهَبكُم، بِأشـرَفِ أوَّلٍ، فِـيكُم وتـالِي
فَـتىً عُظَمـاءُ بَلدَتِه عِـيالٌ[6] عَلَيـهِ في المَهَـابَةِ والجَـلالِ
على حِينَ اسـتَـتَبَّ لَهُ عُـلاهُ وَقِيلَ قَد استَوَى ضَوءُ[7] الهِلالِ
أمـا لو كـانَ ثأرٌ عِندَ غَيـرِ الـ ـمَنِيَّـةِ، والنُّفُـوسُ إلى زَوالِ[8]

---

(١) في صدر البيت في ج اضطراب فاحش هكذا: «علام من كل غسلته عيب».

(٢) في أ: تنزل، مكان تترك، وفي البيت نظر إلى قول كشاجم*:
شَخَص الأنامُ إلى جَمَالك فاستَعِذ من شَـرِّ أعـيُنِهم بعَـيبٍ واحـد
وقوله أيضًا: ما كان أحوجَ ذا الكمـال إلى عَـيبٍ يُوقِّـيـه من العين
وقول المتنبي*: كأنَّ الردى عادٍ على كلِّ ماجد إذا لم يعوِّذ مجده بعيـوب
ديوان كشاجم ص: ١٠٤، ٣٨٦، والوساطة ص: ٣٥٨، وديوان المتنبي ص: ٣٢٣، وفقه اللغة ص: ٩٠.

(٣) يشير إلى أنَّ نسب آل سنان يرجع إلى حِميَر، وهي قبيلة عربية يمنية قديمة، أنشأت لها دولة على أنقاض دولة سبأ *حوالي سنة ١١٥ ق. م، شملت الجزء الأعظم من جنوب شبه جزيرة العرب، وامتدت في بعض عُهُودِها إلى الخليج العربي* شرقًا، وإلى قلب الصحراء شمالاً، كانت عاصمتها ظفار، أوَّلاً، ثم صَنعاء أوائل القرن الرابع الميلادي. أطاح الأحباش بآخر ملوكها ذي نواس* «صاحب الأخدود»، فانتهت عام ٥٢٥ م، ولم يُجدِ استنجاده بالفرس*. راجع: موسوعة المورد جـ ١٠٦/٥، وللتوسُّع دائرة المعارف الإسلاميَّة جـ ١١٤/٨.

(٤) حيَّ على، اسم فعل للأمر مبني على الفتح: هَلُمَّ، وأقبل، وفي ب وج: بحيعلى.

(٥) الحِمَام: الموت.

(٦) عيال، جمع عيل، أو هي للمفرد والجمع: الذين تَتَكفَّل بهم وتَعُولهم.

(٧) في أ: ضؤ، وفي ب وج: ضوُّ، بتشديد الواو.

(٨) كـان، هنا، فعل تام، وثأرٌ فـاعل، وفي أ وب والهاشمي مكانها: ثـارا، وفي ج: نارا، بنون موحدة مكان الثاء المثلثة، ومعنىً البيت وما بعده كرره كثيرا، فقد مرَّ قوله في رثاء عبد الله بن المقلد* جـ ٢٧١/١:
فـأقسِمُ لو لا مَوتُه في فِراشِـه لَجُرِّدَت البِيضُ المهنَّدة البُـتـر
وأرعِشَت الملدُ المثقَّفة السُّمـرُ وأقبلت الخيلُ المسوَّمَة الشُّقـر
عليـهِنَّ من آل المقلَّد* غلمَـةٌ مَساعِير حربٍ لا يَضيعُ لهم وِترُ
وقوله في رثاء الإمام الحسين بن علي أبي طالب* (ع) جـ ٢٨١/١:
أمـا وأبي لو لا تأخُّـر مـدَّتي وأنَّ الذي لم يقـضِـه الله كـائد
لألفـيتُموني في رجالٍ كـأنَّهم لُيُـوثٌ بِمُسـتنِّ النِّزال حَـوارد
وقوله في رثاء قاضي القضاة، السيد عبد الرؤوف الجدحفصي* جـ ٢٨٥/١: ==

لأوجَفنا عَلَيـهِ الخَيلَ شُعثًا | تَعَادَى في الأعِنَّةِ كالسَّعَالي[1]
إذا أرسَلتَهُنَّ وراءَ نَبلٍ | تَجَاوَزنَ المَدَى قَبلَ النِّبالِ[2]
عَلَيهَا كُلُّ ضِرغامٍ[3] إذا مَا | استَطَالَ السِّلمَ؛ حَنَّ إلى القِتَالِ
وأجلَبنا بِبِيضِ الهِندِ* تَدمَى | مَضَارِبُهُنَّ، والسُّمرِ الطِّوالِ[4]
خَليلَيَّ ازجُرا السُّحبَ الغَوادِي | على مَا تَشتَكِيهِ مِنَ الكَلالِ[5]
بَطيئاتٍ تَنُوءُ إذا استُثِيرَت، | مِنَ السُّقيا، بِأعبَاءٍ ثِقَالِ[6]
إذا جَاوَزنَ سِيفَ[7] أوالَ* صُبحًا | وشَارَفنَ القَطِيفَ* مَعَ الزَّوالِ
فَصُبَّا مَا حَمَلنَ مِنَ الرَّوايا | على قَبرٍ بِجرعاءِ الشَّمالِ*[8]
وتَحبِسُ نَفسَهَا أبداً عَلَيهِ | عُكُوفَ المُرضِعاتِ على الفِصَالِ[9]

== عَذراً لو العادي عليه سِوى الردى، | قسمًا، لكنت عليه أوّلَ عادي

وقوله جـ ١/٣٠٥ - ٣٠٦:

أما لو كان غيرُ الموت مُدَّت | يَداه لهنَّ، والآجالُ تُردي
لكادَت أن تَسُوخَ الأرضُ مِمَّا | تَظلُّ بها جيادُ الخيل تَردي

وقوله جـ ٢/٤٨: فلو همَّ غيرالحوت بي لتواثبت | رجالٌ يخوضون الحمام إلى نصري

(١) أوجفنا: أسرعنا، وشُعثًا: مُغبَرَّة، وتَعَادى، بحذف إحدى التائين: تتعادى أي تَتَبارى، وتتسابق في العَدو، والأعِنَّة، جمع عِنان: السير الذي تمسك به الدابَّة، والسَّعالي، جمع سِعلاة: الغُول، وسَحَرة الجنّ، وفي ب: تعادي، بياء مثناة مكان تعادى بالمقصورة، وفي أ: بعادى.

(٢) في الأصول: تجاوزت، مكان تجاوزن، والمثبت بتصرف، والمدى: الغاية، والمنتهى، والمسافة، وفي ب وج مكانها: المدا، والنبال: السهام.

(٣) الضِّرغام: الأسد، والشجاع.

(٤) أجلبنا: تجمَّعنا من كلِّ صَوب، وبِيض الهند: السيوف المصنوعة في الهند*، وتَدمَى: تَقطُر دمًا، وفي ب وج مكانها: تدمي، بياء مثنَّاة، والسمر: الرماح.

(٥) الغوادي: جمع غادية: السائرة غُدوَةً، أي بُكرة، والكَلال: التعب والإعياء.

(٦) تنوء بالحِمل: أثقلها فنهضت به مُجهَدة، وفي ب وج: بطيات تنوء، وفي أ: بطيات تنو، والسُّقيا: الإسم من السَّقي، وفي ب مكانها: السقي، وفي أ: السقياء بهمزة، وفي ج: السقيى.

(٧) السِّيف، بكسر السين: ساحل البحر.

(٨) الرَّوايا، جمع راوية: المَزادة، أو القِربَة، وهي وعاء يشبه الكيس يُتَّخذ من جلود يوضع فيه الماء، والجرعاء: الرملة الطيّبة لا وُعوثة فيها، أو هي الأرض ذات الحُزُونة تشاكل الرمل، أو الدعص، لا نَبت فيها، والكَثِيب جانبٌ فيه رمل وجانب فيه حجارة، وهي أيضًا موضع بِهَجَر، ويفهم من البيت أنَّ في القطيف* مَوضعًا يعرف بهذا الإسم، أو إنَّه جاء به رمزاً لمقبرتها على عادة الشعراء المألوفة في الرمز.

(٩) الفِصال، جمع فَصِيل: ولَد الناقة إذا فُصِل عن أمّه، وفي البيت نظر إلى قول معن بن أوس*: ==

بحَيث يُشَقُّ يومَ البَعثِ رَطبًا   بمـا قَـد أسـأرَتهُ مِن البَـلال[1]
أرَى الأيَّامَ تَقسِمُ ظَالمـاتٍ   فَتُبدلُنا الأسَافِلَ بالأعـالِي
فَتَتـرُكُ مَن تَراهُ النَّاسُ كَـلاًّ   على المَولَى، وتَذهَبُ بالمَوالِي[2]

== فمـا زلتَ في لِيني له، وتـعطّفي   عليه كما تحنُو على الولد الأمّ

وقول العَرجي* : حنا أترابُها دُوني عليهـا   حُنُوَّ العائدات على السَّقيم

وعلّق الهاشمي في حاشيته: بأنه أخذ المعنى من قول القائل:

نزلنا دَوحَه، فحنا علينا   حُنُوَّ المرضِعات على الفَطِيم

أما حاشية ب ففيها: نزلنا أرضه، فحنا علينا   حُنُوَّ المرضِعات على اليَتيم

وتروي بعض كتب الأدب هذا البيت بهذه الصورة:

نزلنا أرضـه، فـحنا علينا   حنُوَّ المرضِعَات على الفَطِيم

وهو من جملة أبيات منها:

وقـانا لفحةَ الرمضـاء وادٍ   سَقَاهُ مُضاعفُ الغيث العَميم
نَزلنا أرضـه فـحنا علينا   حُنُوَّ المرضِعَات على الفَطِيم
وأرشَفَنا، على ظَمأ، زُلالاً   ألذَّ من المُدامَـة للنَّديم
يَصُدُّ الشمس أنّى عارَضتنا   فيَحجُبُها، ويأذن للنَّسيم
يَرُوعُ حَصَاه حَاليةَ العَذارى   فتَلمَسُ جانبَ العقد النَّظيم

وتختلف كتب الأدب في نسبتها، فبعضها ينسبها إلى أحمد بن يوسف السليكي المنازي المتوفّى سنة ٤٣٧هـ، وزير أحمد بن مروان الكردي صاحب ميافارقين «ديار بكر*»، ويزعم أنّه قالها لّما هبط وادي بزاغة، بينما ينسبها آخرون إلى حمدة «حمدونة» الوادي آشيَّة، بنت زياد بن بقي العوفي، وهي من شواعر الأندلس، ويزعمون أنّها قبل المنازي بزمن بعيد، ومع ذلك فهم يقولون: إنّها قرأتْ على أبي القاسم محمد بن علي الهمداني الشهير بابن البراق، المتوفّى سنة ٥٩٦ هـ، ومنهم من يقول بأنّه رواها عنها، ويرى الأستاذ الكرمي أنّ المنازي قد أضاف البيتين الأخيرين، ولم يبين مصدره، فإذا صحَّ أن حمدونة قرأت على ابن الوراق فلا شكَّ في تقدم المنازي عليها. راجع: أعيان الشيعة مج ٣/ ٢١٤، وأمالي القالي جـ٢/ ١٠٤، ومعجم البلدان جـ ٥/ ٢٠٢، ونفح الطيب جـ ٦/ ٦٧-٧٠، وتحفة القادم ص: ١١٢و٢٣٤، ومعجم الأدباء جـ ١٠/ ٢٧٤، وتاريخ الأدب العربي لفروخ جـ ٥/ ٥٣٠ - ٥٥٥، وأشعار النساء، ص: ٤٥، والدر المنثور ص: ١٧٠ - ١٧١، وأنوار الربيع جـ ١/ ٣٤٤و ٣٤٥، وفوات الوفيات جـ ١/ ٣٩٤، ونفحة الريحانة جـ ١/ ٣٣٨ جـ ٢/ ٤٥١، وريحانة الألباء جـ ٢/ ٥١، ووفيات الأعيان جـ ١/ ١٢٦و١٤٣، وقول على قول جـ٢/ ٧٥ - ٧٦، ومعاهد التنصيص جـ ٣/ ١٧٥.

(١) أسأر: أبقى السُّؤر، وهو بَقيَّة الماء يُبقيها الشارب في الإناء، والبَلال: الماء، وكلُّ ما يُبَلُّ به من الماء واللبن.

(٢) في الهاشمي وأ وب: فتأخذ، مكان فتترك، والكَلُّ، بفتح الأوّل: الثقل، والعبء، والمصيبة، وفي البيت والذي قبله نظر ألى قول مضرِّس بن ربعي الأسدي:

لعمرك إنّي بالخليل الذي له   عليَّ دلالٌ واجبٌ لمفجَّع
وإنّيَ بالمولى الذي ليس نافعي   ولا ضائري فقدانه لممتَّع

وقول الطرمّاح: يفرِّق منّا من نحبُّ اجتماعه   ويجمع منّا الدهرُ بين الضغائن

وقول جميل بن معمر*، وليس في ديوانه:

عجبت لتطويح النوى مَن أحبُّه   وإدناء من لا يستلذُّ له قرب!

شرح ديوان المتنبي جـ١/ ٣٠١.

فَيَابنَ أبي سِنَانٍ*، وكُلُّ ثاوٍ[1] وإن طَالَ المَدَى فَإلى انتِقَالِ
عَزاءً، فَالنُّفُوسُ إلى فَنَاءٍ وصَبراً، فَالقَطِينُ إلى زِيَالِ[2]
فَمِثلُكَ تَستَمِدُّ الصَّبرَ مِنهُ على[3] البَأسَاءِ أعيانُ الرِّجَالِ
فَمَا دُفِعَ امرُؤٌ، يومًا، إلى ما دُفِعتَ لَهُ، ولَستَ مِنَ الجِبَالِ[4]
صَبَرتَ، ولَيسَ ذلك عَن سُلوٍّ طُوِي عَنهُ الأسَى، لَكِن تَسَالِي[5]
عَلَى مَا نَابَ في[6] نَفسٍ وآلٍ، كَمَا شَمِتَ العَدُوُّ بِهِ، ومَالِ
جِرَاحٌ لا تُطَبُّ، وفَوتُ مَالٍ يَضِيقُ بِهِ الفَضَاءُ[7]، وفَقدُ آلِ
فَلَستُم في القَطِيفِ*[8] أشَدَّ حُزنًا عَلَيهِ، اليَومَ، مِنَّا في أوالِ*
لَنا مُهَجٌ تَذُوبُ عَلَيهِ حَرَّى وإن فَاءَت[9] إلى بَردِ الظِّلالِ
أما والرَّاقِصَاتِ كَأنَّ وَحشًا تَنِدُّ بِمَا حَمَلنَ مِنَ الرِّحَالِ[10]
إذا شَارَفنَ مَكَّةَ كِدنَ شَوقًا يَطِرنَ، وإن عُقِلنَ، مَعَ العِقَالِ[11]
عَلَيهَا كُلُّ عَريَانِ الضَّواحِي كَنَصلِ السَّيفِ حُودِثَ بالصِّقَالِ[12]
إذا استَجلَى البَنِيَّةَ مِن بَعِيدٍ تَرَاءَى كَالمَطِيَّةِ في الجِلالِ[13]

---

(١) الثاوي: المقيم.

(٢) القطين، جمع قاطن: المقيم، والمتوطّن، وزِيال: فراق، وفي ج: ريال، براء مهملة، مكان الزاي المعجمة.

(٣) في الهاشمي: الى.

(٤) في أ وب وج: امرء، مكان امرؤ، وفي ب وج: الحبال، بحاء مهملة، مكان الجبال بالجيم المعجمة.

(٥) في أ: معه، مكان عنه، وترتيب البيت في الهاشمي «٤٠».

(٦) في ج: من.

(٧) في ب وج: الفضا.

(٨) في ب وج: بالقطيف*.

(٩) فاءت: رَجَعَت، يريد: أوت، ولجأت، وفي ب وج: فأت.

(١٠) الراقصات، جمع راقصة: الجمال إذا خبَّت، أي مشت الخبب، وتَنِدُّ: تَنفِر، وتذهب على وجهها شارِدَة، ونصُّ البيت في الأعيان: أمـا والراقـصـات بكـلِّ فجٍّ تعادي في الأزمَّة كالسعالي

(١١) في الأعيان: إذا شارفنا، مكان شارفنَ، وفي ب وج: علقن، مكان عُقِلنَ.

(١٢) الضواحي، جمع ضاحية: ما بَرَز من الجسد للشمس كالكتفين، والمنكبين، ونصل السيف: حَدُّه، وحُودِث، بالبناء للمجهول: جُلي، وصُقِل، والصِّقال: سنُّ السيف، وشَحذُه.

(١٣) استجلى: استكشف، والبنيَّة: الكعبة * ا' شرَّفَة، سُمِّيت كذلك لجلالها، وتراءى: تظهر للناظر، وأصلها ==

تَرَدَّى عَن رِحَالَتِهَا نُزُولاً ... وأكْثَرَ من دُعَاءٍ وابتِهَالِ[1]
وَطَوَّفَ حَولَهَا سَبعًا، وأدَّى ... مَنَاسِكَهُ، وفَاءً إلى انفِتَالِ[2]
لَقَد عَقَدَت لَكَ الأيَّامُ مِنِّي[3] ... وَفَاءً غَيرَ مُنصَرِمِ الحِبَالِ
فَسَهمِي فُوقُ سَهمِكَ مِن سُرُورٍ ... يَسُرُّك، حَيثُ كُنتَ، وَشُغلِ بَالِ[4]
وَدُونَكَ مِن خَبِيرٍ بِالتَّعَازِي ... رُقىً تُعدِي على الدَّاءِ العُضَالِ[5]
تَعَزٍّ لو رُقِي يَعقُوبُ مِنهُ ... بِبَيتٍ، أو أقَلَّ، لَظَلَّ سَالِي[6]
وَعَدِّ عن استِمَاعِكَ شِعرَ غَيرِي ... فَأينَ حَصَى الطَّرِيقِ مِنَ اللآلي[7]
مَكَانُ قَرِيضِ غَيرِي مِن قَرِيضِي ... مَكَانُ النَّغلِ مِن وَلَدِ الحَلالِ[8]

***

== تتراءى، وإنما حذفت إحدى التائين تخفيفًا، وفي أ وب: ترءاى، وفي ج: تراى، والجِلال، جمع جُلّ، بالضم والفتح، وجُلّة: ما تُلبَسُه الدابة حماية لها.

(١) تردَّى: سقط. يريد رمى بنفسه، وهي، هنا، جواب للشرط: «إذا» في البيت السابق، والرحالة: سرجٌ من جلود لا خشب فيه يتخذُ للركض الشديد، وفي أ: رجالتها، بجيم معجمة، مكان رحالتها، بالحاء المهملة.

(٢) الإنفتال هنا: الإنصراف، إنفتل عن صلاته: انصرف عنها، وفي الهاشمي: انتقال، وفي أ: القفال.

(٣) في أ: بيني.

(٤) الفُوق، بضم الفاء: مشقُ رأس السهم حيث يقع الوتر من القوس، وفي ج ومتن ب: في سرور، مكان من سرور، وفي أ: بالي، مكان بال. يريد: أنه سلاحه، أي عونه، في الشدّة والرخاء.

(٥) الرُّقى، جمع رُقية: العُوذة، والحَرَزة، وتُعدي: تعين، ومكانها في ب وج: تعدوا، والداء العُضال: الذي لا دواء له.

(٦) في ج: تعازى، مكان تعزٍّ، وفي ج: سال، مكان سالي.

(٧) عدّ، على الطلب: تجاوز، أي اترك، واللآلي، بتسهيل الهمزة، جمع لؤلؤة: الدُّرّ، والجوهر، وفي الهاشمي والأعيان: اللئالي، وفي البيت نظر إلى قول المتنبي*:

ودع كلَّ صوتٍ غيرَ صَوتي فإنَّني ... أنا الطائر المحكيُّ، والآخر الصدى

ديوانه ص: ٢٧٠.

(٨) هذا المعنى متداول، فمنه قول حسان بن ثابت* يهجو أبا سفيان بن حرب*:

لَعَمرُك إنَّ إلَّك من قُرَيشٍ ... كَإلِّ السَّقبِ من رأل النَّعام

وقد غلِط العماد الاصفهاني في نسبته إلى يزيد بن مفرغ الحميري في هجاء زياد بن أبيه، وعنده: «آلك، والصحيح «إلّك»، أي «رحمك»، وبيت ابن مفرغ في هجاء معاوية بن أبي سفيان* هو:

وأشهد أن رحمك من زيادٍ ... كرحم الفيل من ولد الأتان

وضد هذا قول سُحَيم بن وَثيل الرياحي يفتخر:

وإنَّ مكاننا من حِميَريٍّ ... مكانُ الليث من وسط العرين

ديوان حسان بن ثابت ص: ٤٦٠، ومحاضرات الأدباء ج ٣٦٧/١، ومعاهد التنصيص: ج ٣٣٩/١، ووفيات الأعيان ج ٣٥٠/٦.

بُعداً ليومك(١)

ونُعِيَ اليه السيد الشريف ناصر بن عبد الجبار الحسيني الموسوي*(٢) عند قُفُوله(٣) من شيراز* مُتَوَجِّهًا إلى الحُوَيزَة*، فقضى بقرب بهبهان(٤) من فارس*، وأبو البحر يومئذ بشيراز*، فقال يرثيه(٥) {للسنة(٦)، والله تعالى أعلم بالصواب}:

هَتَفَت بِدَمعِ العَينِ فَهوَ سَجُومُ   دِمَنٌ حُبِسنَ على البِلَى، ورُسُومُ(٧)
من كُلِّ شَاخِصَةِ الطُّلُولِ كَأنَّها،   مِمَّا جلَت عَنها السُّيُولُ، رُقُومُ(٨)
فَكَأنَّ قَامَةَ كُلِّ وَدٍّ مَاثِلٍ   ألِفٌ، وَدَارَةَ {كُلِّ} نُؤيٍ مِيمُ(٩)

---

(١) تخريجها في الهاشمي ص: ١٠٠ - ١٠٣، وأ ص: ٦٣ - ٦٧، وب ص: ١٠٦ - ١١٢، وج ص: ٧٧ - ٨١، ومنها في أعيان الشيعة مج ٤/١٦٤ - ١٦٥ «٣٧» بيتًا.

(٢) لم أقف له على ترجمة، والظاهر أنه أخو السيد جعفر بن عبد الجبار* الذي أمر بجمع ديوان أبي البحر، ووالده هو عبد الجبار بن السيد حسين؛ أخو السيد عبد الرؤوف بن السيد حسين قاضي القضاة* في البحرين*. راجع البيتين اللذين كتبهما أبو البحر، ونقشا على قبر السيد عبد الجبار* ج ١/: ٢٩٠.

(٣) قفوله: رجوعه.

(٤) بهبهان: مدينة في غرب إيران، شرقي سهل خوزستان، إلى الغرب منها تقع مدينة خرمشهر. راجع: المنجد في الأعلام، وأطلس التاريخ الإسلامي، خ ٢١٣.

(٥) في ج: يرثيه شعراً.

(٦) إضافة من أ، وعليها يمكن التعويل في تحديد سنة ١٠٢٢هـ تاريخًا للقصيدة، إذ لم يذكر في غيرها.

(٧) في الأعيان: وهو، مكان فهو، وفي ب: وهي، وفي ج: فهي، والدمن جمع دِمنة: آثار المنازل بعد تركها، والبلى: الاسم من بلي الثوب أي رث وتلف لقدمه، وفي أ: البلا، والرسوم، جمع رسم: آثار المنازل.

(٨) الشاخصة: المرتفعة أو الواضحة، ورقوم جمع رقم: ما كان نقشه مخططًا أو مستديراً من الوشي، والمعنى، في البيت والذي قبله، قريب من قول طرفة بن العبد* في مطلع معلقته:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد   تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

ديوانه ص: ١٩، وشرحه ص: ١١، وطرفة بن العبد ص: ١٥٦، وشرح المعلقات العشر ص: ٩١.

(٩) الوَد، بفتح الواو: الوتَدُ، سُكِّنت التاء، وأدغمت في الدال، وهي لغة فيه، وفي أ مكانها: واد، وفي الأعيان: اشعث، وفي ج: فرد، ومائل: منتصب، وفي ب وج مكانها: مايل، والدارة: ما استدار من الرمل، والحلقة، وما بين المعقوفين ساقطة من ج، والنؤيُ: حُفَيِّرٌ صغير يُشَق حول الخيمة لمنع المطر، وفي أ: نوى، وعجز البيت في ب وج:

الف، وداره نون، وميم

نَادَى الغُرابُ بِها الغُرابَ كَمَا دَعَا ... فِيهَا، فَجَاوَبَهُ أَخُوهُ، البُومُ[1]

يَتَجَاوَبَانِ لِذا وذَاكَ بِجَوِّها ... زَجَلٌ يَطِنُّ، بِرَجعِهِ، ونَئِيمُ[2]

تِلكَ المَنَازِلُ مَا لِطَارِقِهَا قِرىً ... إلاَّ بَلابِلُ أنفُسٍ، وَهُمُومُ[3]

قَلِقَت بِسَاكِنِها فَطَارَ بِظَعنِهِم، ... عَنهَا، تَوَقُّصُ أَينُقٍ، ورَسِيمُ[4]

لِلَّهِ مَن تَرَكُوا غَدَاةَ وَداعِهِم ... وكَأنَّه، مِمَّا بِه، مَسمُومُ[5]

صَبٌّ يَقُولُ، ولو يَرَى أظعَانَهُم[6] ... لَقَضَى؛ فَأمرُ رَحِيلِهِم مَكتُومُ

ويُغَيِّضُ[7] العَبَرَاتِ إذ لَو أُرسِلَت ... لَغَدَت، بِهَا، تِلكَ المَطِيُّ تَعُومُ

أتَراهُمُ اقتَعَدُوا[8] المَطِيَّ وعِندَهُ، ... مِمَّا يُكَابِدُ، مُقعِدٌ، ومُقِيمُ؟

يَصِلُ المَدَامِعَ بالزَّفِيرِ، ويَنتَضِي ... نَفَسًا لِمُعوَجِّ الضُّلُوعِ يُقِيمُ[9]

أَأَحِبَّتِي، إن هانَ[10] عِندَكُمُ الكَرَى، ... لَيلاً، فَلِي عَينٌ عَلَيهِ تَحُومُ

فَسَلُوا بِيَ اللَّيلَ الطَّوِيلَ فَإنَّهُ ... بِالسَّاهِرِينَ، وَبِالنِّيَامِ، عَلِيمُ

{هَل زَارَ بَعدَكُمُ الرُّقادُ مَحَاجِرِي؟ ... أو مَرَّ، مُجتَازاً بِهَا، التَّهوِيمُ[11]؟}

---

(١) في الهاشمي: كادعى، وفي أ: كما دعي، وفي ب وج: كما دعى، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) في أ: بذا، مكان لذا، وفي ب: وداك، بدال مهملة مكان وذاك بالمعجمة، والزجل: رفع الصوت، وفي ج مكانها: زحل، بحاء مهملة مكان الجيم المعجمة، ويطنُّ: يصوِّت، وفي الهاشمي مكانها: يطل، وفي أ وج: يظن، والنئيم: الصوت الخفي، والأنين، أو صوت البوم خاصة، وفي الهاشمي وب وج مكانها: وينيم.

(٣) الطارق: الوافد ليلاً، والقِرى: ما يقدَّم للضيف، والبلابل: كالبلبال: شدة الهم، والبُرَحاء في الصدر.

(٤) التوقُّص: سير للإبل بين العَنَق والخبب، أو شدَّة الوطء في السير، وفي الهاشمي مكانها: توقض، وفي ب: ترفض، وفي ج: ترقص، والأينق جمع قلة للناقة، وفي ب وج: انيق، والرسيم: ضرب من سير الإبل فوق الذميل.

(٥) نص البيت في الأعيان: لله ما تركوا غداة وداعهم ... لمتيم في القلب منه كلوم

(٦) الأظعان جمع ظعن: الهوادج، وهي مراكب للنساء ذات قباب تشد على الجمال، وفي أو ب وج: اضعانهم.

(٧) يغيِّض: يجفِّف، وينشف، وفي ب: يغبض، بباء موحدة تحتية مكان الياء المثناة.

(٨) اقتعدوا المطي: اتخذوها مقعداً، وفي الهاشمي: اقتعدو.

(٩) نص البيت في الأعيان: مستعبرٌ يصل الدموع بزفرة ... كادت لمعوج الضلوع تقيم

(١٠) في أ وب والهاشمي: ءاحبتي، مكان أأحبتي، وفي ج: اءحبتي، وهان: سهل، وفي الأعيان: طاب.

(١١) المحاجر، جمع محجر: العين، أو ما دار بها من العظم أسفل الجفن، والتهويم: النوم الخفيف، والبيت ليس في الهاشمي.

أذوِي الرُّقـادِ، هَبُوا القَليلَ لِناظِري، من ذاك، فَـهوَ السَّائلُ* المَـحْرُومُ[1]
يا دارَهُم، والعَـهـدُ مَسـؤول[2]، ومَن لَم يَرعَ ذِمَّـةَ صَـاحِبٍ مَـذمُـومُ
وسَمَتكِ حَالِيَةُ الرَّبيعِ، فـفي الحَشا، مِـمَّـا مَحَتكِ يَدُ الخطوبِ، وُسُـومُ[3]
ونَحَـتكِ أنفَـاسُ الرِّيَاحِ مَـرِيضَـةً فَـشَـأت، وأعـصَفَ حَـرَّهُنَّ نَسِـيمُ[4]
وهَفَـا إلى أظلالِ دَوحِكِ جُـؤذُرٌ يَـعطُو إلى أغـصَـانِهِنَّ، وَرِيمُ[5]
مِـمَّـا أغـارَ على السُّرُورِ فَـبُتَّ، في أيدي المَصَائِبِ*، عِـقـدُهُ المَنظُومُ[6]
نَبَـأٌ[7] ألَمَّ فـمـا تَقَـشَّعَ غَـيـمُـهُ إلاَّ وفي الأحـشـاءِ مِنهُ غُـمُـومُ
أخَـوانِ كـانا لي فـأودَى مِنهُـمـا مَن كـانَ ألصَقَ بي، وذاك عَظيمُ[8]
فَـمَـتَى تُمَـدُّ لِحَـاجَـةٍ فَـتَنالُهـا كَـفِّي، وأطوَلُ سَـاعِـدَيَّ جَـذِيمُ؟[9]
فَـسَحَـابُ مَن أرجُـو نَداهُ، وَبَرقُ مَن أرنُو مَـخَـايلَ ومـضِـهِ، وأشِـيمُ؟[10]

---

(١)في الأعيان ذوي، مكان أذوي.

(٢)في باقي الأصول: مسئول، و المثبت من الأعيان، والصورتان في رسم الكلمة جائزتان عند أهل الإملاء.

(٣)وسمتك: مطرتك بالوسمي، وهو مطر أول الربيع يسم الأرض بالنبات، وفي ج مكانها: رسمتك، براء مكان الواو، وحالية الربيع: زينته، وفي ب مكانها: حاوبه، وفي ج: حاومة الربيع، وفي ب وج: وفي، مكان ففي، والحشا: ما انضمت عليه الضلع، وفي أ مكانها: الحشى، والوسوم، جمع وَسم: أثر الكي، وهنا الأثر مطلقًا.

(٤)نحتك: قصدتك، وفي ب وج مكانها: محتك، بميم، مكان النون، وفشأت: سكنت، أو بردت، وفي الهاشمي مكانها: فأتت، وفي أ وج: فاتت، وفي ب: فانت، وأعصف: أذهب، وفي أ وب وج: مرهن مكان حرهنَّ، وفي الهاشمي: اثرهن، ونص العجز في الأعيان:

.... وأتى ثراك الريح وهو نسيم

والمعنى أخذه من قول البحتري*:

راحت لأربعك الرياح ضعيفةً وأصاب مغناك الغمام الصيِّب

ديوانه جـ ٢/٣١٧.

(٥)هفا: أسرع، وخف، والأظلال، جمع ظلّ: الفيء، وفي أوب وج: أطلال، بطاء مهملة مكان الظاء المعجمة، والدوح جمع دوحة: الشجر العظيم، والجؤذر: ولد البقرة الوحشية، وفي أ وب وج: جودر، ويعطو: يتطاول برفع يديه ليتناول الشجر، وفي الهاشمي وأ وب وج: يعطوا، والريم: الظبي خالص البياض، ونص البيت في الأعيان:

كم راح في أكناف دوحك جؤذر يعطو إلى الأغصان منه وريم

(٦)بتَّ: قطع، وفي الهاشمي وب وج مكانها: بات.

(٧)في ج: نباء.

(٨)أودى: هلك، ومكانها في أ وب: اوذي، بذال معجمة، وياء مثناة، وفي ب: الصو، مكان ألصق.

(٩)جذيم: مقطوع.

(١٠) في ب: أرجوا، بزيادة ألف، مكان أرجو، وفي ب وج: ارنوا، مكان أرنو، والمخايل، جمع مخيلة: الظن، ==

قد كان إفطاري على {معروفه} فاليومَ أمسكُ، بعدَهُ، وأصومُ[1]
سُدَّت وُجُوهُ رَجايَ، وانفصَمَت عُرَى أملي فبابُ مَطالبي مَردُومُ[2]
لتُقِلَّ هاشمُ، بعدَهُ، من فَخرِها فلَعَظمُ[3] مَفخَرِها، بِهِ، مَهشُومُ
وليَحسُ مُرَّ الضَّيمِ ثاكِلُ ناصرٍ فالمرءُ، ما فقدَ النَّصيرَ، مَضيمُ
فَلَئن حُسِدتُ بهِ فَها أنذا، كَما شاءَ الحَسُودُ، خِلافَهُ، مَرحُومُ[4]
إن يُضحِ وارثَهُ سِوايَ فَذا لَهُ سَهمٌ يُخَصُّ بهِ، وذاكَ سُهُومُ[5]
فَهناهُمُ! فَتُراثُهُ، عِندي، شَجًا يُطوَى على لَذَعاتِهِ الحَيزُومُ[6]
أفَتَى الفُتُوَّةِ، والمُرُوءَةِ، والحِجَى بُعداً لِيَومِكَ! إنَّهُ لَمَشُومُ[7]
إنَّ امرءاً لَم يُشجِ يومُكَ قلبَهُ لَفُؤادُهُ مِن صَخرَةٍ مَلمُومُ[8]
لَو أنَّ وَجهَكَ، لا تَخَوَّنَهُ البِلَى[9] وانشَقَّ عَنهُ اللَّحدُ، وهو وَسِيمُ؛
كُشِفَ الغِطاءُ لَهُ؛ رأى من حالِنا ما عِندَهُ فَرطُ الشَّقاءِ نَعيمُ
ورأى أصائلَنا * وهُنَّ هَواجِرٌ مَسجُورَةٌ، ونَسيمُهُنَّ سَمُومُ[10]

== والتخيل، والسحاب الذي يظن فيه المطر، وأشيم: أنظر إلى السحاب أين يمطر.

(١) في الهاشمي: كال، مكان كان، وما بين المعقوفين ساقطة من أ.

(٢) في أ: شدت، مكان سدت، وفي ب: وانقصمت، بقاف مثناة، مكان وانفصمت بالصاد المهملة، وفي ج: وانفضمت، بضاد معجمة مكان الصاد المهملة، ومردوم: مسدود.

(٣) في ب: فلعطم، بطاء مهملة.

(٤) في الأعيان: ولئن، مكان فلئن، وفي ب: فلين، وفي الهاشمي: بها، مكان به، وفي الهاشمي والأعيان: الحواسد بعده، مكان الحسود خلافه.

(٥) في الهاشمي وج: ان يصح، بصاد مهملة مكان يُضح، بالضاد المعجمة، وفي الهاشمي: فدا، بدال مهملة مكان فذا، بالذال المعجمة، والسهم: النصيب، والحظ، والسهوم: عبوس الوجه من الهم.

(٦) الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه، وفي الهاشمي وج مكانها: شجى، وفي ب: شجي، وفي أ وج: يطوي، بياء مثناة، مكان يطوى، بالمقصورة، وفي الهاشمي: الذعاته، مكان لذعاته، والحيزوم: الصدر، أو ضلع الفؤاد.

(٧) في أ: ففتى، مكان أفتى، وفي الهاشمي وأ وب وج: والمروة، مكان المروءَة، والحِجَى: العقل، والفطنة، وفي أ مكانها: الحجا.

(٨) ملموم: مدوَّر، من لم الحجر: جعله مستديراً، ولعله يريد: منحوت، أو مجبول.

(٩) تخوَّنه: تنقَّصه، يريد جماله ووسامته، والبلى: الاسم من بلي الثوب أي رثَّ وتلف لقدمه.

(١٠) في الهاشمي: وأرى، مكان ورأى.

فَـــالخِلُّ خَلٌّ، والنَّديمُ نَـدامَـــةٌ   والرِّدءُ مُـردٍ، والحَـمِيمُ حَـمِـيمُ(١)
والخِصبُ جَدبٌ، والثَّراءُ خَصَاصَةٌ   والعَــذبُ مُــرٌّ، والعَــذِيُّ وَخِــيمُ(٢)
وسَـبِـيلُ أنديَةِ النَّدى عَـافٍ على الـ   ـعَـافِي، ورَوضُ المَكرُمَـاتِ هَشِـيمُ(٣)
والفَـضلُ أكسَـدُ مـا يُعَـرِّضُ تاجِـرٌ   لِلبَـيـعِ، في أسـواقِنا، ويَسُــومُ
فَلَئن تَبَـوَّأتَ النَّعِـيمَ فَـعِندَنا،   مِــمَّـا نُكابِدُهُ عَلَيكَ، جَـحِـيمُ(٤)
أأُخَيَّ(٥)، لا لأبٍ، ولا أُمٍّ سِــوَى   وُدٍّ لأيدِينا، عَلَيــهِ، ضُــمُــومُ
أثرَيتُ، بَعـدَكَ، من عِـدايَ، وإنَّنِي،   بِخِـلافِ ذَاكَ، مِنَ الصَّدِيقِ عَـدِيمُ
فَكَأنَّـمـــا الأيَّامُ آلى صَـرفُــهـــا   ألاَّ يَدُومَ، عَلَى الزَّمَـانِ، كَـرِيمُ(٦)
يَا قَـاتَلَ اللَّهُ الحِـمَـامَ بِمِـثلِهِ   وجَـرَى عَلَيـهِ قَـضَـاؤُهُ(٧) المَحتُـومُ
أفنَى أوائلَنا* فـأشـرَبَ فَـارِسًـا *،   مِن كَـأسِـهِ، مـا أفـضَلَتـهُ الرُّومُ *(٨)
مِن كُلِّ مَن طَافَ البِلادَ، ومَن طَوَى   الأحـيـاءَ، في طَلَبِ الغَـرِيمِ، غَـرِيمُ(٩)

---

(١) الخِل الأولى بكسر الأول: الصديق، والخَل الثانية بفتح الأول: الشر، والرِّدء: العون، والناصر، ومُردٍ: جالب للردى، أي مهلك، والحميم الأولى: القريب، والثانية القيظ، والحر الشديد، والماء الحار.

(٢) الخصاصة: الفقر، وضيق الحال، والعذيُّ: الطيِّب الهواء، وفي الهاشمي مكانها: الغدير، وفي أ: العدي، بدال مهملة مكان الذال المعجمة، والوخيم: ضد العذي، أي الفاسد الهواء.

(٣) الندى: الجُود، والسخاء، وفي الهاشمي مكانها: الندا، والعافي الأولى: الدارس، والثانية: طالب الفضل أي السائل، والهشيم: النبت، والشجر اليابس المتكسر.

(٤) في ب: فلن، مكان فلئن، وفي أ: تبؤت، مكان تبوَّأت.

(٥) أُخَيُّ: نداء تصغير للتحبب، وفي الهاشمي: ءاخي، وفي ب وج: ءاخي، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٦) آلى: أقسَمَ، وفي الهاشمي وأ وب وج مكانها: الا، وفيه أيضًا: ان يدوم، مكان ألاَّ يدوم، وفي باقي الأصول: ان لا يدوم، والمثبت بتصرف.

(٧) في أ: مضائه، وفي ب وج: نضاءه.

(٨) في أ: حتى، مكان أفنى، وأراد بفارس: الأمبراطورية القديمة، وهي امبراطورية عظمى أسسها أردشير الأول عام ٢٢٤م، وامتدت من نهر السند* شرقًا إلى نهري دجلة* والفرات*، وانتهت بدخول الإسلام اليها سنة ٦٤٢م، وأما الروم فهي مملكة قديمة، أيضًا، نشأت في روما سنة ٧٥٣ ق.م، وتحوَّلت إلى جمهورية سنة ٥٠٩ ق م، ومنذ سنة ٢٦٤ ق م اتسعت، لتشمل قرطاجة، ومقدونيا*، واليونان، وآسيا الصغرى، ومصر*، وسوريا*، وليبيا. انتزع المسلمون* منها شمال أفريقيا، ومصر*، وسوريا*، ثم انتهت باستيلاء الأتراك* على ما تبقى منها عام ١٤٥٣م. راجع: دائرة المعارف الإسلامية جـ ٤٧/١١، وموسوعة المورد جـ ٢١٣/٨، وجـ ١٤٣/٢، والمنجد في الأعلام.

(٩) في الهاشمي وأ: كما، مكان ومن، والأحياء، جمع حي: يريد المدن، أو الممالك، والغريم الأولى: المديون، والثانية: الدائن.

يَطأ المُلوكَ، فَكُلُّ ذي جَـبَـرِيَّةٍ بالـذُّلِّ مَـارِنُهُ، لَهُ، مَـخطُومُ[1]
أو رَافعٍ فَـوقَ السَّـمَـاء بِناءَهُ[2] فَـيُـرَى لَهُ، بِنُجُـومِـهـا، تَـعـمِـيمُ
جـاثٍ على خَـدِّ الفُـراتِ كَـبـازِلٍ سِـيمَ البُـرُوكَ، وظَهـرُهُ مَـعكُومُ[3]
وَجَـثـا عَلَى حَـيَّي نِزارَ، ويَعـرُبٍ عَـركًـا، كَـمـا سِيمَ الدِّباغَ أديمُ[4]
وقَـفـا بِنا تِلكَ القُـرُونَ[5] فَـشَـرُّهُ فِـينا، وفِـيـهِـم، حَـادِثٌ، وقَـدِيمُ
لَشَـربتَ شُـربَ الهِيمِ أعمـارَ الوَرَى هَلاَّ صَدَرتَ كَـما صَدَرنَ الهِيمُ؟[6]
هَلاَّ اتَّخَـمتَ بِمـا أكَلتَ، فَطالَمـا أودَى بِتُـخَـمَـةِ أكلِهِ المَنهُـومُ[7]
لَم يَـنجُ مِنكَ أزَلُّ يَـنطِفُ مَـاؤُهُ عَلَقًـا، ولا جَـهمُ اللِّقـاءِ شَـتِـيمُ[8]
كَـلاَّ، ولا رَقـشَـاءُ[9] يَقـدَحُ لَحظُهـا شَـرَرًا بِهِنَّ إهابُهـا مَـوسُـومُ
ومَـتى شَحَتَ فَـاها فَـثَمَّ سَحَائِبٌ* بِيضُ المَخَايِلِ، ودقُـهُنَّ سُمُـومُ[10]
وطَـويِـلُ قَـادِمَـةِ الجَنَاحِ لَـهُ، إذا سِـيمَ الهَـوانَ، بِجَـوِّهِ تَدوِيمُ[11]

(١) في أ: يطا، مكان يطأ، والجَبَرية: الجبروت، وفي ب مكانها: حبرية، بحاء مهملة مكان الجيم المعجمة، والمارن: الأنف، ومخطوم: في أنفه خطام، وهو حبال يربط به أنف الجمل والثور.

(٢) في أ: بنائه.

(٣) جاث: قاعد، وفي الهاشمي: حد، بحاء مهملة مكان خد، با الخاء المعجمة، والبازل: الجمل المسن قد بلغ الثامنة أو التاسعة من عمره فبزل نابه أي انشق، وسيم: كلّف، والبروك للجمل كالجثوم للطائر، ومعكوم: موضوعٌ عليه حمله.

(٤) في الأصول: جثى، بالمقصورة، مكان جثا، وهي لغة في جثا، وفي ب وج: حي، مكان حيّي.

(٥) في ج ومتن ب: القروم.

(٦) الهيم جمع هيماء: الإبل العطشى، وفي الهاشمي: هل لا، مكان هلاّ.

(٧) في الهاشمي: هل لا، مكان هلاّ، وأودى: هلك، وفي أ وج مكانها: أوذى، بذال معجمة مكان الدال المهملة، وفي ب: أوذي بياء مثناة مكان المقصورة، وفي ج: كله، مكان أكله.

(٨) الأزلُّ شرحها الهاشمي: «الذئب»، والصحيح أنها صفة للذئب صغير العجز، وهو الأرسح لخفة وركيه، والعلَق، جمع علقة: الدم الجامد الغليظ قبل أن ييبس، وشتيم: عابس، وفي الهاشمي: أشيم، وشرحها فيه: الأسد، وهو اشتباه من المحقق.

(٩) الرقشاء: الحية في ظهرها خطوط، ونقط.

(١٠) شحَت: فتحت، والوَدق: المطر الخفيف، والشديد أيضًا.

(١١) القادمة: واحدة من أربع ريشات في مقدم جناح الطائر، وضدها الخوافي، يريد النسر، وسيمَ الهوانَ: كُلّفه، وحُمِل عليه، وفي الهاشمي وأ وب وج مكانها: شمّ، بشين معجمة وميم مشدّدة مكان سيمَ، بالسين المهملة والميم المفتوحة، والتدويم: أن يُحلِّق الطائرُ، أو يطير، فلا يحرِّك جناحيه.

مَـــاضٍ يُشَـــيِّـــعُـــهُ إلى أوطارِهِ ... هُجنٌ بِهِنَّ، مِنَ الدِّمـــاءِ، وُشُـــومُ(١)
وأثِيثُ عُـــرعُـــرَةِ السَّنامِ كـــأَنَّهـــا ... نبتٌ على بَعضِ الهِـضَابِ، عَـمِيمُ(٢)
يَتَـــخَـــبَّطُ الأحـــيـــاءَ حَـــتَّى لم يَكَد ... لِيَسِـيمَ، خَشيَـتَهُ، السَّوامَ مُسِيمُ(٣)
تَتَناذَرُ الأحـــيـــاءُ صَـــولَتَـــهُ فَـمَـــا ... حَيٌّ وليس له عليـــــه هُجُـــومُ(٤)
يَسِمِ الفـحـولَ بناجِـذيه، فـمُـعـوزٌ ... فَـحلٌ وليسَ بِصَـفـحَـتَـيـهِ كُلُومُ(٥)
أرثِي الحَـمِـيمَ فَـمـا تَتِمُّ قَـصِـيدَةٌ ... يُرثَى(٦) بِهـا حَـتَّى يَمُـوتَ حَـمِـيمُ
إن يُتَّـخَـذ نَظمُ المَراثِي لامـرِئٍ(٧) ... دُونِي فَـجُلُّ قَـصَائدِي* مَـقـسُـومُ
أرجَـالَه، وأخُصُّ مِنكُم جَـعـفَـراً ... وَلِشَـأنِكُم وَلِشَـأنِهِ التَّـعظِيمُ(٨)
قَـمَـــرَ المَحَـــافِلِ لا يُشَكِّكُ أنَّهُ ... لِلبَـدرِ، في حُـسنِ الرُّواءِ، قَـسِـيمُ(٩)
المُرتَضَى الشِّـيمِ التي لو قُسِّـمَت ... في النَّاسِ ما كـانَ امـرُؤٌ مَـذمُومُ(١٠)
وذَوِي مَـــودَّتِهِ، وأولَكُم فَـــتَى الـ ... ـدُّنيـــا أبُو اســـحـــاقَ ابراهِيمُ(١١)

---

(١) يشيِّعه: يبلغه، أي يوصله، وأوطاره: حاجاته، وغاياته، والهُجن، جمع هَجين من الخيل: الذي ولدته برذَونة من حصان عربي، يريد بها المنايا، وفي أوب وج مكانها: حجن، بحاء مكان الهاء، والوشوم، جمع وشم: نقوش تعمل على الجلد بالإبرة والنيلج، وفي ب وج مكانها: وسوم، بسين مهملة مكان الشين المعجمة.

(٢) الأثيث: الكثير، والغزير من النبت، والشعر وغيرهما، وعرعرة السنام: رأسه، وأعلاه، والسنام: أعلى ظهر الجمل والناقة.

(٣) يسيم السوام: يرعيها أو يرسلها ترعى حيث شاءت، والسوام: كل ما رعي من الأنعام في المراعي، والمسيم: الراعي الذي يرعى الماشية.

(٤) تتناذر: ينذر بعضُها بعضًا، أي يخوِّف بعضُها بعضًا، وفي أ مكانها: تتنادر، بالدال المهملة مكان الذال المعجمة، والأحياء، جمع حي: المحلة، والجانب من المدينة، أو القرية.

(٥) الناجذان، مثنَّى ناجذ: الأضراس مطلقًا، أو هي نواجذ أربعة في أقصى الفك بعد الأرحاء، تنبت بعد البلوغ، وفي أ وب وج مكانها: بناجديه، بدال مهملة مكان الذال المعجمة، وفي متن ب: حي، مكان فحل.

(٦) في ج: يرثي، بياء مثناة، مكان المقصورة.

(٧) في الهاشمي: لامرىء، وفي أ وب وج: لامرء، والمثبت بتصرف.

(٨) هو السيد جعفر بن عبد الجبار بن حسين الحسيني*، أخو المرثي، بأمره جُمع ديوان أبي البحر.

(٩) في الأعيان: لا يشك بانه، مكان لا يشكك أنه، والرواء: المنظر الحسن، وفي الأعيان مكانها: الروى، وقسيم: شبيه.

(١٠) في أ وب ج: امرء، وفي الأعيان: امروء، ومذموم، صفة رفعت لأن الفعل «كان» تام، والمعنى: ما بقي في الوجود رجلٌ مذموم.

(١١) في ب و ج والهاشمي: اسحق، مكان اسحاق، وفي ب: ابرهيم، مكان إبراهيم، وإبراهيم هو الخواجة ==

قَلَمُ الخِلافَةِ[1]، والذي لِقَضائه*، | في أهلِها، التَّأخِيرُ، والتَّقديمُ
قَلَمٌ تُحَاطُ بِهِ البِلادُ، ويُحفَظُ الـ | ـإقليمُ، فَالإقليمُ، فالإقليمُ[2]
لا جُدِّدَت لَكُمُ اللَّيالِي تَرحَةً | وانفَضَّ جَيشُ الحُزنِ فَهوَ هَزِيمُ[3]
وثَنَى أعِنَّتَهُ، وأنفَدَ نَبلَهُ | قَلَقٌ، وأمضَى بِيضَهِ مَثلُومُ[4]
حَاجاتُنا في الدَّهرِ أن تَبقَوا لَنا | فَابقَوا بَقاءَ النَّيِّراتِ[5]، ودُومُوا
وأنا أبُو الكَلِمِ اللَّواتِي رَوضُها | أبَداً، على رَعيِ الخُطُوبِ، جَمِيمُ[6]
مِن كلِّ مُعلِمَةٍ كما نَشَّرتَ من | طَيِّ البُرُودِ يُزِينُهُ التَّسهِيمُ[7]
هُنَّ النُّجُومُ فإن سَما مُتَمَرِّدٌ | لِسَمائِهِنَّ فَإنَّهُنَّ رُجُومُ[8]

* * *

== إبراهيم* بن محمد بن عبد الله بن اسماعيل، كاتب ديوان السلطنة في البحرين*، وكانت له بالمرثي صلة وثيقة. راجع جـ ١/٢٣٦، و٢٤٩.

(١) قلم الخلافة: كاتب ديوان السلطنة، وهو منصب يبدو أنه مرموق آنذاك.

(٢) في أ: فالاقليم، والبيت ليس في ج.

(٣) الترحة: المرة من الترح، وهو الهم، والغم، والهزيم: المهزوم.

(٤) الأعنَّة، جمع عنان: سَير من جلد ونحوه يلجم به الفرَس، وأنفد: أفنى وأذهب، وفي أ وب مكانها: انفذ، بذال معجمة مكان الدال المهملة، وفي أ: نابه، مكان نبله، وفي أ وب وج: فلق، مكان قلق، وأمضى بِيضِهِ: أشد سيوفه مضاءً، أي قطعًا. يدعو بأن يثني القلق أعنته عنه، وينفد نباله فلا يبقى عنده نبل يصيبهم به، وسيوفه مثلومة لا تؤذي.

(٥) النيِّرات: النجوم.

(٦) الجميم: النبت الكثير، الناهض، المنتشر.

(٧) التسهيم: الوشي يكون مخططًا، وفي الأعيان: الشبهيم، وقد أخذ المعنى من قول البحتري*:

ثناءٌ كأن الروض منه منوَّراً | ضحىً، وكأن الوشي فيه مسهما

ديوانه جـ ١/ ١١٠، والهاشمي ص ١٠٣.

(٨) الرُّجُوم، جمع رجم: ما رجم به، والنجوم التي ترمي الشياطين، والبيت يسمى التلميح، لإشارته إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾. الآية «٥» سورة الملك.

سُرُج الظلام(١)

وأتاه نعي السيد الشريف عبد القاهر* بن عبد الرؤوف* الحسيني(٢) الموسوي(٣) من البحرين*، وهو يومئذ بشيراز*، فقال يرثيه، وبعث بها إلى البحرين* للسنة الثانية والعشرين بعد الألف:

مـا بَالُ عَـينكَ لا تَجُـودُ بمـائِهـا ... والنَّفسُ قـد طُويَت على غَمَّـائِهـا(٤)
هذي القُلوبُ على شَجَـاها أوكِـيَت ... أفَمـا {على} الأجفَـانِ حَلٌّ وِكَـائِهـا(٥)
مـا آنَ للأجـفَــانِ أن تُعـدِي على ... {رَمضـاءِ} أكبـادٍ بِرَشحِ إنائِهـا*(٦)
لا يَسـتَـريحُ القَلبُ عِندَ شُجُـونِه ... إلاّ إلى(٧) الأجـفــانِ عِنـدَ بُكَائِهــا
فـإذا غَليلُ الحُـزنِ أعطَشَ مُـهـجَـةً ... فـعَلى دُمُـوعِ العَينِ رَيُّ ظَمَـائِهـا(٨)
عَـقَّـتكَ عَينٌ لم تَجُـد بِدِمـائِهـا* ... فَـضـلاً لَـهـا عَن أن تَضِنَّ(٩) بمـائِهـا
يا قَـد أسَـأتَ لأسـرَةٍ فَسَـدَت بَنُو الـ ... ـدُّنيـا بِأخـذِ الدَّهـرِ من صُلَحـائِهـا(١٠)
لمـا اسـتَـمَـرَّ بِأكلِ مُـعظَمِـهـا انثَنَى ... يُشـلِي ضَـوارِيَه عَلَى أشـلائِهـا(١١)

---

(١) تخريجها في الهاشمي ص: ٤ - ٥، و أ: ص ٦٧ - ٧٠، وب ص: ١١٢ - ١١٥، وج ص: ٨١ - ٨٣، ومنها في أعيان الشيعة مج ١٦٥/٤ «١٤» بيتًا.

(٢) في ج: الحيسني، بتقديم الياء على السين.

(٣) هو ابن قاضي القضاة في البحرين* عبد الرؤوف بن حسين الحسيني الجدحفصي*، ولم أقف له على ترجمة.

(٤) الغمَّاء: الكرب، والحزن، والداهية يجلبها الغم.

(٥) شجاها: حزنها، وأوكيت: شُدت بالوكاء، وهو رباط القربة، وما بين المعقوفَين في أ بياض.

(٦) تعدي: تعين، وفي الهاشمي مكانها: تغدي، بغين معجمة، وما بين المعقوفين في أ بياض.

(٧) في الهاشمي: على.

(٨) الظَّماء بفتح الظاء والميم: اشتداد العطش.

(٩) تضن: تبخل، وفي الهاشمي وأ: تظن.

(١٠) في ب وج والهاشمي: اسئت، مكان أسأت، وفي أ: أسيئت، وفي الهاشمي وب وج: بنوا، مكان بنو.

(١١) يشلي: يغري، والضواري، جمع ضاري من الحيوانات: السباع كالأسد، والذئب، وفي الهاشمي: ضواريها، مكان ضواريه، وفي ج ظواريه. بالظاء المشالة، والأشلاء، جمع شلو: الأعضاء، أو ما تفرق منها.

فَلِكُلِّ يَومٍ غَـــارَةٌ في ذَودِها   شَعواءُ تُعقِبُ صَيحَةً في شائِها[1]
أخلَى مَجَاثِمَ أُسدِها منها فَلَم   يَمنَعهُ أن أخلَى كِناسَ[2] ظِبائِها
تلكَ النَّوادِبُ لا يُفِيقُ السَّمعُ مِن   غَوغَاءِ رَنَّتِها، ولا ضَوضَائِها*[3]
فَعُواءُ مُشبِلَةٍ على أجرائِها*   وبُغَامُ مُطفِلَةٍ على أطلائِها*[4]
لَتَكَرَّهَت[5] نَفسِي البَقَاءَ، وإنَّني   لأرى النُّفُوسَ تَحُومُ حَولَ بَقائِها
مَرِضَت بِصِحَّتِها فَلَم أرَ قَبلَها   نَفسًا دواءُ الخَلقِ أقتَلُ دائِها
واستَعذَبَت مُرَّ الرَّدَى، واستَوخَمَت   طِيبَ الحَيَاةِ على عَذِيِّ هَوَائِها[6]
أوَ تَشتَهِي النَّفسُ الحَياةَ وَغَارَةُ الـ   ـأيَّامِ مِن قُدَّامِها، وَوَرائِها؟*[7]
فَشَجًا يُغَادِيها إذا هِيَ أصبَحَت   وأسىً يُرَاوِحُها لَدَى إمسَائِها*[8]
لاستَدرَجَت[9] قَومِي فألحَقَ كَهلَها   بِغُلامِها، وَرِجالَها بِنِسائِها
مِمَّن يُقِيلُ الحَمدُ بَينَ بُرُودِهِ   أو مَن يَبِيتُ الصَّونُ مِلءَ مُلائِها*[10]

---

(١) الذَّود من الإبل: ما بين الثلاث إلى العشر، أو الخمس عشرة، أو العشرين، أو الثلاثين، أو ما بين الإثنتين إلى التسع، والشاء جمع شاة، من الغنم للذكر والأنثى: الضأن، والمعزى، والبقر، والظباء، وما شابه.

(٢) الكِناس: بيت الظبي بين الشجر.

(٣) في الهاشمي: لا تفيق، مكان لا يفيق، والغوغاء: الصوت ذي الجلبة، الحاصل من كثرة اللغط، والصياح، والضوضاء: أصوات الناس في الحرب.

(٤) المشبلة: ذات الأشبال، وهي اللبؤة، والأشبال، جمع شبل: ولد الأسد إذا أدرك الصيد، والأجراء، جمع جرو: ولد الأسد، وفي الأصول: أجدائها، مكان أجرائها، بدال مكان الراء، ولعل الصواب ما أثبتناه، والبغام: أرخم أصوات الظبية تنادي به ولدها، والمطفلة: ذات الأطفال، والأطلاء، جمع طلا، وطلو: ولد الظبية ساعة يولد، والصغير من كل شيء.

(٥) في الأعيان: وتكرهت.

(٦) في الأصول: الحيوة، وهي صورة التفخيم أي الإمالة إلى مخرج الواو، الأ إذا أضيفت، لكنّهم أصبحوا يكتبونها الآن بالألف مطلقًا فأثبتها هنا مشيًا مع الإستعمال الشائع، والعذيُّ: الهواء الطيِّب، ضدُّ الوخيم.

(٧) في الهاشمي وب وج: الحيواة، وانظر الهامش السابق.

(٨) الشجا: الحزن، وفي الهاشمي وأ وب وج: اشجا، مكان فشجًا، وفي الأعيان: وشجا، والمثبت بتصرف، ويغاديها: يأتيها غدوة، أي بكرة، وهي ما بين صلاة الفجر إلى طلوع الشمس، ويراوحها: يأتيها رواحًا، وهو العشي، أي من صلاة المغرب إلى العتمة.

(٩) في الهاشمي: استدرجت، وفي الأعيان: واستدرجت.

(١٠) يقيل: ينام وقت القائلة، وهي الهاجرة أي الظهيرة، والصون: الحفظ، وهنا العفاف، وحرمة الشرف، وفي الهاشمي وأ وب وج: ملؤ، مكان ملء، والملاء، جمع مُلاءَة: الريطة، وهي الإزار.

وأتَت على صَحبِي فَأوفَدَ صَرفُها   أبنَاءَ أترابِي على آبائِهـا [1]
وبَقِيتُ بَعدَهُم كَأنِّي نَخلَةٌ   قَد أفرَدُوها، بَعدُ، عَن أصنَائِها* [2]
لَهفِي لأوجُهِ فِتيَةٍ عَاثَ البِلَى [3]   فِيها، فَعَرَّضَ [4] أنفُسًا لِبَلائِها*
سُرُجٌ يُضيءُ بها الظَّلامُ فما لَها   في التُّربِ تَستَعدِي [5] على ظَلمَائِها؟
وظُبىً مُهنَّدَةٌ أحِيلَت بِيضُها   سُوداً؛ لما لبِسَتهُ من أصدائِها [6]
وقَنًا مُثَقَّفَةٌ أنِيمَت بَعدَ ما   دَعَمَت أسِنَّتُها صَفِيحَ سَمَائِها [7]
أنواءُ عُرفٍ لا تَغِبُّ تَبَرَّمَت   مِنَّا لَها الأنواءُ في استِسقَائِها [8]
بُزلٌ أطاعَ القَيدَ مُصعَبُها فَقَد   ذَلَّت عَقِيبَ عُتُوِّها، وإبائِها [9]
أطعَمتُها قَبلِي الرَّدَى، ولَو انَّنِي   أنصَفتُها لم أبقَ بَعدَ فَنائِها [10]

---

(١) في الهاشمي: صرفي، مكان صحبي.

(٢) الأصناء، جمع صنو: المِثل، وهو أن تطلع نخلتان، أو أكثر، من أصل واحد.

(٣) البلى: الاسم من بلي الثوب إذا رث وتلف لقدمه، وفي الهاشمي وأ وج: البلا.

(٤) في ب وج: يعرض.

(٥) تستعدي: تطلب العون، و في ج: نستعدي، بنون موحدة مكان التاء المثناة الأولى.

(٦) الظبى جمع ظبَة: السيوف، وفي الهاشمي و أ: وضبا، ومهنَّدة: مصنوعة في الهند* أو من حديد مجلوب من الهند*، والأصداء، جمع صدأ: طبَع الحديد، وهو المادة التي تتكون عليه بفعل الرطوبة.

(٧) القنا، جمع قناة: الرماح، وفي الهاشمي مكانها: وقنى، ومثقفة: مقوَّمة بالثقاف، وهو حديدة تقوَّم بها الرماح، ودعمت: أسندت، والأسنة جمع سنان: حديدة الرمح، والصفيح: السماء أو وجهها.

(٨) الأنواء، جمع نوء: النجوم التي يكون فيها مطر، والعُرف: الجُود، والكرم، وتغبُّ: تزور يومًا وتخلف يومًا.

(٩) البزل شرحها في الهاشمي: «جمع بازل، نوع من الوعول، وهو الحيوان الذي يستخرج منه البازهر الحيواني»، وهذا اشتباه فاحش، فالبُزل، جمع بازل: الجمل الذي بلغ التاسعة فانشق نابه، والمصعب: الفحل الذي لم يمسسه حبل، ولم يركب، وذلت: صارت ذُللاً، جمع ذلول أي منقادة طيعة، وفي الهاشمي: غنوها، مكان عتوها، بغين معجمة مكان العين المهملة، ونون موحدة مكان التاء المثناة.

(١٠) في الهاشمي: فلو، مكان ولو، ونص العجز في ب:

....   ممن يوفق كنت بعض فدايهـا

والمعنى من قول ريا ابنة القطريف السُّلمي:

ولو أنصفَت نفسي لكانت إلى الردى   أمامك، من دون البريَّة، سابقه

وينسب للراضي العباسي* في رثاء أبيه المقتدر، ولم أجده في أخباره وشعره:

ولو أنني أنصفتك الودَّ لم أبت   خلافكَ حتَّى ننطوي في الثرى معا

ثمرات الأوراق ص: ٤٥١، وديوان المعاني جـ ٢/١٧٥.

وفَـــدَتنيَ الدُّنيـــا بِهـــا وَلَو انَّني ... مِـمَّن يُوفَّقُ كُنتُ بَعضَ فِـدائِهـا (١)

ومُـــجـاهِرٍ بالنَّعيِ مـــا حَـــابَى بِهِ ... نَفـسي بِمـا يُبـقي على حَـوبَائِهـا (٢)

ألقَى على الآذانِ (٣) مِن أنبـــائِهِ ... مـا يَمنَعُ الأجفَـانَ مِن إغـفَـائِهـا

نَبَـــأً تُذَمَّمُ إن أَلَمَّ بِمُــــهـــجَـــةٍ ... منَّا، ولَم تَسـمَح لَهُ بذَمـائِهـا* (٤)

نَادَت لَهُ النَّفسُ السُّلُوَّ فَلَم يُجِب ... وأجابَهـا كَـمَـدٌ بِغَيـر نِدائِهـا

أتَرَى النُّعـــاةَ دَرَت بِمَن هَتَـفَت بِهِ ... أو مَن عَنَت لما نَعَت بنُعائِهـا؟* (٥)

لنَعَت إلى المعـروفِ بَيتَ قَصِـيدِهِ ... ولِسُـورَةِ الإحـسـانِ آيَةَ يَائِهـا (٦)

نَفسًا لَو انتُظِر الفِداءُ بِها افتَدَت ... بِنَفِيسِ مـا تَحوِي بَنُو حَـوَّائِهـا (٧)

وفَـــتىً تُقِـــرُّ لَهُ الفُـــتُـــوَّةُ أنَّهُ، ... عِندَ السُّؤالِ بهـا، فَتَى إفتَائِهـا (٨)

---

(١)هذا البيت في ب مثبت في الحاشية، وعجزه فيها:

.... انصـنتـهـا لم أبق بعـد فنائـهـا

(٢)حابى: ساهل، وجامل، ومال منحازاً، وفي أ، وب وج مكانهـا: حابا، والحوباء: النفس، وقيل رَوع القلب، وهو خلده، وشرحها في الهاشمي: أي حزنها، ولعله اشتباه من الشارح، فالحزن هو الحوبة.

(٣)في أ: الأذان، وفي الهاشمي و ب و ج: الاذان، وفي الأعيان: الاسماع، والمثبت هنا بتصرف.

(٤)تُذَمَّم: تُرمى بالذم، أي تعاب، وفي ب وج مكانها: تدم، بدال مهملة، والذماء: بقية الروح في المذبوح، وفي الهاشمي وج: بدمائها، بدال مهملة مكان بذمائها، بالذال المعجمة، وفي ب: بدمايها، بدال مهملة مكان الذال، وياء مثناة مكان الهمزة.

(٥)النعاة، جمع ناعي: الذي يأتي بخبر الموت، أو ينادي به، وفي أ مكانها: النعات، وفي ج: البناة، وفي ب وج: فمن، مكان بمن، والنعاء: صوت السنور، وهذا تساهل منه، فمراده النعي، وقد سبقه أبو تمام* إلى هذا التساهل في قوله: نعـــاءً إلى كلِّ حي نعـــاء ... فتى العرَبِ اختطَّ ربع الفناء

وأما المعنى فقد مرَّ في جـ ١/٢٨٦ بقوله:

أعلمت من حـملوا على أعـوادهم؟ ... ألمجـدَ قـد حـملوا على الأعـواد

وجـ ١/٣١٠: فشلَّت أكفُّ الحامليه إلى الرَّدى ... أتعلم من ذا للقـبـور تشـيلُ

وفيها أوردنا أبيات أخرى لغيره في المعنى، وراجع أيضًا ديوان أبي تمام ص: ٣٠٨.

(٦)في ج ومتن ب: على، مكان إلى، وفي الهاشمي والأعيان: آئها، مكان يائها، ولا معنى لها هنا، لأنَّ الآءَ، جمع آءَة: ثمر نوع من الشجر، وفي أ: أيائها، وفي ب: آيها، وفيه إكفاء، لأن روي القصيدة مبني على الهمزة فلا تجوز الياء هنا، ولعل الأقرب إلى الصواب ما أثبتُّه هنا من ج، إذ إن الياء هي آخر حروف الهجاء، فلعله أراد: ختام سورة الإحسان، وهذا تعويض غير معهود عند الشاعر.

(٧)في أ: الفدا، مكان الفداء، وفي الهاشمي وب وج: بنوا، مكان بنو. يريد: افتديت، فحذف الياء ضرورة.

(٨)الإفتاء، بكسر الأول: تبيان الأحكام في المسائل الشرعية، وفي الهاشمي: أفتائها، وفي ب: افتايها، بياء مثناة مكان الهمزة.

وأخـا المُرُوّةِ[1] إن يُعَـدّ سِـواهُ مِن أجنَادِها عَـدَّتـهُ مِن أمَـرائِهـا
سَـامَى السَّـمـاءَ بِهِـمَّـةٍ عَلَوِيَّةٍ جَـازَ العُلُوَّ، بهـا، مَـدَى جَـوزائِهـا[2]
لِتَـغُضَّ أبنـاءُ العُلَى أبصـارَها، مِن بَعـدِهِ، وتَكُفَّ مِن خُـيَـلائِهـا[3]
فَلَقَـد أطارَ الدَّهرُ أجـمَلَ حُلَّةً عَنها، وغَـيَّـرَ مِن جَمِيلِ رُوائِهـا[4]

* * *

(١) المروة: المروءة قلبت الهمزة واوا، وأدغمت: النخوة، وكمال الرجولة.

(٢) في أ وب وج: حاز، مكان جاز، وفي الأصول: به، مكان بها، وفي ب وج: مدا، مكان مدى، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) في الهاشمي و أ: العلا، مكان العلى، والخيلاء: العُجب، والكبر، وفي ج مكانها: خيائها.

(٤) في أ، وعيز، بعين مهملة، وزاي معجمة مكان غَيَّر، بالغين المعجمة، والراء المهملة، والرواء: حُسن المنظر.

لا نُعزِّيك(١)

وقال يُعزِّي بعضَ الأعيانِ عن طفلٍ، للسنة الثالثة(٢) والعشرين بعد الألف:

عَزيزٌ أمرُنا لَكَ بالتَعزِّي غَداةَ(٣) أُصِبتَ بالوَلَدِ الأعزِّ
لَعَمرُ أبي لَقد رَمَت اللّيالي بِحَزٍّ في الحُلوقِ، وأيِّ حَزِّ(٤)
لِبَدرٍ غابَ قَبلَ تَمامِ نورٍ وغُصنٍ جَفَّ، قَبلَ تَمامِ دَرزِ(٥)
وسَيفٍ فُلَّ قَبلَ أوانِ سَلٍّ ورُمحٍ أضجَعُوهُ قَبلَ هَزِّ(٦)
وطِفلٍ ماتَ لم يَركَب جَواداً سِوى حُضنِ الوَليدَةِ، والمَنَزِّ(٧)
فَغادَرَنا بِحُزنٍ مُستَقِرٍّ نُكابِدُهُ، وعَقلٍ مُستَفَزِّ(٨)
{فَقُل لي كَيفَ يَعمَلُ في جِيادٍ أعَدُّوها لَهُ، وثِيابِ خَزِّ؟}(٩)
عَجِبتُ لِقُربِ ما جِئنا* نُهَنِّي أباهُ بِهِ، وما جِئنا* نُعَزِّي

---

(١) تخريجها في الهاشمي ص: ٦٨ - ٦٩، و أ ص: ٥٩ - ٦٠، وب ص: ١٠٠ -١٠٢، وج ص: ٧٣ - ٧٤، وأعيان الشيعة مج ٤/١٦٤، ولم يذكر في مقدمتها شيءٌ يكشف عن شخصيَّة المعزى، وكلُّ ما يمكن معرفته من القصيدة أن اسم أبيه مبارك بن حسين.

(٢) في ج: الثانية والعشرين.

(٣) في أ: غدات.

(٤) الحزُ، كلتاهما بالحاء المهملة: القطع، للحم خاصة، وفي ج: جز، بجيم معجمة.

(٥) في الأعيان وب وج: جب، مكان جفَّ، ودرز، شرحها في الهاشمي: «لارتفاع، أي قبل أوان الارتفاع»، وأظنه اشتباهًا منه، فهذا المعنى بعيد، ولعل الأقرب لمراد الشاعر هو الدرز، جمع درزة، وهي من عامية أهل القطيف*، بلد الشاعر، وتعني انفصاد عقد الغصن، أي تشتق عيونه ورقًا أول ظهور النمو فيه، كأنهم استعاروه من الدرز، جمع درزة: عقد الخياطة للشبه بينه وبينه.

(٦) فلَّ، بالبناء للمجهول: ثُلِمَ حدُّه أو كسر، ونصُّ عجُز البيت في الهاشمي والأعيان:
.... وغصن دق قبل أوان هز

(٧) الوليدة: الوصيفة قبل سن البلوغ، والمَنَزُّ: مهد متأرجح يستأنس الطفل بتحريكه فيكف عن البكاء.

(٨) في الهاشمي: بحزن مستفز، مكان بحزنٍ مستقر، ومستفَزٌّ: مزعَج غير مطمئن، وترتيب البيت في ب السابع، وفي الأعيان الخامس.

(٩) الخز: ما نسج من الحرير، والبيت ليس في ج، وترتيبه في ب السادس.

لَو أنَّ النَّاسَ مِـثلُ الزَّرعِ تُنمَى   نَضَـارَتُه إلى وَقتِ المَـجَـزِّ(١)
فَلَم يُجـتَثَّ إلاَّ كُلُّ غُـصنٍ   رَطِيبِ القدِّ ، مُـعتَـدِلِ المَهَـزِّ(٢)
عَـذَرتُ الـدَّهرَ لو لَم يُفنِ إلاَّ   كَبِيراً مَلَّ مِن ضُعفٍ، وعَجزِ(٣)
فَـمَـا ضَـرَّ المَنِيَّـةَ لو أصـابَت   أخـاهُ؛ فـافتـدت شَـاهًا بِفَـرزِ(٤)
أبَت أن تَتـرُكَ الأيَّامُ شِـبـلاً   لِضِـرغَـامٍ، ولا سَـخـلاً لِعَنزِ(٥)
فَيابنَ مُبارِكٍ بنِ حُسَينٍ صَبراً   فَشَيطَانُ الأسَى بِالصَّبرِ مَخزِي(٦)
فَـمِـثلُكَ لا تَـلِينُ لَهُ قَناةٌ   لِعَـجمٍ في الخُطُوبِ، ولا لِغَـمـزِ(٧)
بِذا حَكَمَ القَـضَـاءُ ، فَمِن مُـعَزَّى   على مـا فَـاتَ منه، ومن مُـعَـزِّي
هِيَ الأيَّامُ لا تُبـقِي كَـبِـيـراً   لِعُظمِ جَـلالَةٍ، ولِفَـرطِ عِـزِّ(٨)
ولا تُبـقِي صَـغِـيرَ السِّن بقيًـا   لِجَـامِـعَـةٍ عَلَيـهِ، ولا لِحِـرزِ(٩)

---

(١) في الأصول: فإن، مكان لو انَّ، والمثبت بتصرف، وفي أ: ينمي، مكان تنمى، وفي ج ومتن ب: ينهى، والنَّضارَةُ: الحُسن، والرونق، وفي الهاشمي: نظارته، بالظاء المشالة، والمَجزُّ: زمن الجَزِّ، أي وقت الحصاد، وترتيب البيت في الأصول العاشر، وقدَّمتُهُ لمناسبة السياق.

(٢) المَهَزُّ: الحركة، وهنا: مَهز الغصن لجني الثمر، كناية عن الينوع، وطيب الثمر.

(٣) ترتيب البيت في الأصول التاسع وأخَّرته لمناسبة السياق.

(٤) الشاه، والفرز شرحهما في الهاشمي: «اسمان دخيلان من آلات الشطرنج»، وأضيف أن الشاه في لعبة الشطرنج: الملك. فارسية، والفرز: الفرزان، أو الوزير، معرب فرزين فارسية. راجع: المعجم الذهبي، وهو يريد بالشاه المرثي، وبالفرز نفسه.

(٥) الشِّبل: جرو الأسد، والسَّخل: ولد العنز وهي المعزى.

(٦) في الهاشمي وب: فيابن، مكان فيابن، وفي أ وب وج: فشيطن، مكان فشيطان.

(٧) العَجم: عضُّ العُود لتعرف صلابته، وفي الهاشمي: للخطوب، مكان في الخطوب، والغمز: عصر العود باليد، يقال: فلان لا تغمز قناته، أي قوي صُلب، ومنه قول زياد الأعجم*:

وكنت إذا غمزت قناة قوم   كسرت كعوبها، أو تستقيما

ديوانه ص: ١٠١.

(٨) ينظر إلى قول الشريف الرضي*:

لا شجاعٌ يبقى فيعتنق البـ   ـيضَ، ولا آملٌ، ولا مأمول

ديوانه جـ ٢/١٨٧.

(٩) الجامعة: العُوذة، وهي رُقية تحتوي عدداً من الأدعية والطَّلْسمات تُعلَق في الرقبة، أو تربط في الزند، والحرز كذلك.

وعُـذري في التَّـأخُـرِ عَنكَ حُـمَّى ... أكـابدُ حَـرَّها، وأذىً شكزٍّ(١)
فـإن شَـهِـدَ العَـزا غَـيـري فـإنِي ... حَصَلتُ على الرِّسالةِ بالتَّعَزِّي(٢)
فَـهـا أنا ذا أخُـو جَـفنٍ قَـريحٍ، ... لِرُزئِكُم، وَقلبٍ مُـشْـمَـئِـزٍّ(٣)
أنا الخِلُّ الَّذي لا عَـيبَ فِـيـهِ ... سِوى وُدِّي، وهذا العَيبُ مُجزِي(٤)
فـإن قَـدَّمتَ فَـضلَكَ عِندَ غَـيـري ... وبَارَ، فـإنَّنِي لَكَ في المَحَـزِّ(٥)

* * *

(١)في أ: حـمـا، مكان حُـمَّى، وفي ب وج: ولظىً، مكان وأذى، وشكِز، بدون تشديد الزاي: سيء، وشدّدها ضرورة.

(٢)في ب: علي، بياء مثناة، مكان على، والمعنى مقلوب، فمراده: حصلت على العزاء بالرسالة.

(٣)ها: للتنبيه، وأنا: ضمير، وذا: إشارة، وفي الأعيان: وها أنا ذا، مكان فها أنا ذا، وفي الهاشمي: فها أنذا، وفي ج: فما انا ذا، وكتب الإملاء تحذف الألف من «ها» التنبيه والضمير كليهما، وأثبتنا ما في أ و ب لمطابقته لرأي فقهاء اللغة. راجع: اللسان، وفي ب وأ: لرزؤكم، مكان لرزئكم، وفي ج: لرزوكم، وفي أ وب وج: مشمأز، مكان مشمئز.

(٤)في ج: الى، مكان أنا، وفي ب: حبي، مكان ودّي، وفي ج: جبي، بجيم معجمة، ونصُّ العجُز في الأعيان:
.... سوى اخلاص ودي، وهو مجزى
والبيت في اصطلاح البديعيين تأكيد المدح بما يشبه الذم، ومنهم من يدخل فيه باب التورية، وسوف يكرره في قوله جـ ٤١٦/١: لا عيب فيها غير أنَّ حياضها ... شـرَعٌ لورد الكلب، والخنزير
ومن هذا القبيل قول النابغة الذبياني*:
ولا عيب فيهم غيرَ أنَّ سيوفَهم ... بهنَّ فلولٌ من قـراع الكتـائب
وقول ابن الرومي*: ليس له عـيـبٌ سـوى أنَّه ... لا تقع العين على شـبـهـه
وقول إبراهيم بن الحجاج الغرناطي النميري:
فما فيه عيب غير أنَّ جفونه ... مراضٌ، وأنَّ الخصر منه ضعيف
ولعل ابن نباتة المصري* أكثرهم إسرافًا فيه، فمنه قوله:
ولا عيبَ فيها غير سحرِ جفونها ... وأحبب بها سحَّارةً حين تسحر
وقوله: وتتابع المِنن التي ما عيبها ... إلاَّ رجوع الطرف عنها قاصرا
وقوله: ليس فيه عيبٌ سوى أنَّ إحسا ... نَ يديه يستعبد الأحرارا
وقوله: لا عيب فيه، أدام الله دولته، ... إلاَّ عزائم مجدٍ عندهنَّ شره
وقوله: لا عيب فيه سوى عزائم قصَّرت ... عنها الكواكبُ وهي بعد تحلّق
ديوان النابغة الذبياني ص: ٣٢، وديوان ابن الرومي جـ ٢٥٦/٦، ونفح الطيب جـ ٣٤٢/٩، وديوان ابن نباتة المصري ص: ١٨٠، و١٩٠، و١٩٢، و٢٣٩، وأنوار الربيع جـ ٩٤/٥.

(٥)بار: كسد، وفي ب مكانها: وباد، بدال مكان الراء، وفي ج: وباق، بقاف مكان الراء، وفي ج: فاتني، مكان فإنَّني، والمحز: موضع الحز، أي القطع من العنق، يريد موضع التلادة، كناية عن القرب.

الهدية[1]

وقال، وصَدَّرَ بهما كتاباً [2] بَعَثَهُ إلى السيد الشريف حسين بن عبد الرَّؤوف الحسيني* يُعَزِّيه على الإمام العلاَّمة المقدَّس ماجد بن هاشم الحسيني* ، وهو يومئذ بشيراز*:

أهدِي اليكُم على بُعدِ الدِّيارِ بِكُم[3]، بَعدَ السَّلامِ، ضُرُوبَ الهَمِّ، والأسَفِ

فإن تَفَرَّقَ في النَّاسِ الأسَى فَغَدا [4] سَهمٌ لِهذا، وهذا، فَهوَ أجمَعُ فِيَ

* * *

(١) تخريجهما في أ ص: ١٣٢، وب ص: ١٩٧، وج ص: ١٤٠، وفي الهاشمي ص: «د» من المقدمة.

(٢) أثبتُّها هنا بدلاً من باب الرسائل لأنها بالرثاء ألصق.

(٣) في الهاشمي: لكم.

(٤) في أ: فغدى.

الغزل

وشاة الحي(١)

وقال، وهما أوَّل بيتين أثبَتَهُما(٢) في الغَزَل في صباه وحَداثته، وهو يَومئذ في القطيف*، قبلَ هِجرته إلى البحرين*، للسنة التاسعة(٣) والتسعين وتسعمائة {والله تعالى أعلم}(٤):

لما رَأيتُ وُشَاةَ الحَيِّ تَرصُدُنا بأعيُنٍ لا عَداها غائلُ(٥) الرَّمَدِ
جَعَلتُ، لا مِن قِلىً منِّي، أزُورُكُمُ آنًا، وأهجُرُكُم بَعضًا مِنَ الأبَدِ(٦)

***

«ولما اتَّصَل بالشَّريف العلاَّمة أبي محمد الحسين بن الحسن(٧) العلوي الغُرَيفي*، وسَألَهُ(٨) عَرضَ شَيءٍ مِن شعرِهِ عليه؛ أنشده هذين البيتين، وقال: إنه ضمَّنهما(٩) معنى بَيتَي {الشاعر} الحماسي(١٠):

(١) تخريج البيتين في الأعيان مجـ ١٥٨/٤، والهاشمي ص: ٤٢، وأ ص: ٧٠، وب ص: ١١٥، وج ص: ٨٣، وأنوار البدرين ص: ٢٩٣ – ٢٩٤.

(٢) في أ وب وج: وأثبته، والمثبت هنا بتصرف.

(٣) في الهاشمي سنة ٩٩٢.

(٤) ما بين المعقوفين من أ.

(٥) في الهاشمي وج: غايل، وفي حاشية ب: عاثر.

(٦) في الأعيان: عن، مكان مِن، والقِلى شدَّة البغض، وفي أ وأنوار البدرين، مكانها: قلا.

(٧) في ج: الحسين بن الحسين.

(٨) في أ: وستاله.

(٩) في أ: ضمنها، وفي ب: ضمتهما، بتاء مثناة.

(١٠) في ج: لكاسي، ويقصد بالحماسي: أنه من شعراء حماسة أبي تمام*، وقائل البيتين هو عبد الله* بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان (رض) بن العاص بن أمية، يُلقَّبُ بالعرجي لسكنه عرج الطائف، وهو من شعراء قريش* ممن اشتهر بالغزل، تابع طريقة عمر بن أبي ربيعة المخزومي*، وتشبه به حتى قيل إن جارية رؤيت تبكي، وتلطم وجهها، عند موت بن أبي ربيعة*، وهي تقول: من لمكة*، وذكر شعابها ونسائها؟ فأنشدوها هذين البيتين للعرجي، فمسحت دمعها، ورفعت رأسها إلى السماء قائلةً: الحمد لله الذي لم يضيع حرمه. نشب خلاف بينه وبين محمد بن هشام والي مكة فشبب بأمه، فسجنه، ومات بالسجن سنة ١٣٠هـ. راجع: ==

وَلَمَّــا رَأَيتُ الكَاشِـحِينَ تَتَبَّـعُـوا هَوانا، وأبدَوا دُونَنا نَظراً شَـزرا[١]
جَعَلتُ، وَما بِي من صُدُود ولا قِلىً، أَزُورُكُمُ يومًـا، وأهجُـرُكُم شَـهـرا[٢]

قال له: إنَّ بَيتيكَ خَيرٌ من هذين البَيتين، كما إن التِّبرَ خَيرٌ من الصُّفر[٣] وإن كان له فَضلُ السَّبق».

* * *

== أمالي القالي جـ ١/٢٢٢، ومحاضرات الأدباء، مجـ ٢/٧٢، وخزانة الأدب جـ ٩/٣٥٣، والأغاني جـ ١/ ٣٨٣، و٤١٧، وجـ٢/ ٢٧٠، و تاريخ الأدب العربي جـ ١/ ٦٨٠، و جـ ٢/٦٧، والشعر والشعراء، ص: ٣٨٦، والعرجي وشعر الغزل في العصر الأموي ص: ١٠٨، و١٢٣، ٢٩٩، و٥٠١.

(١) الكاشحين، جمع كاشح: العدو المبطن للعداوة، والشزر: النظر بمؤخر العين بكراهية وبغض.

(٢) القلى: شدة البغض، وفي أ مكانها: قلا، وأورد القالي في أماليه لبعض شواعر العرب:

ولو نظروا بين الجـوانح والحـشـا رأوا من كتاب الحب في كبدي سطرا
ولو جربوا مـا قـد لقـيت من الهـوى إذاً عـذروني أو جـعلت لهم عـذرا
صددت، ومـا بي من صـدود ولا قلىً أزورهمـو يومًـا، وأهجـرهم شـهـرا

أما البيتان المجاريان فهما في حماسة أبي تمام* منسوبين للعرجي*، وفي محاضرات الأدباء غير منسوبين، وفي فهرست القوافي بخزانة الأدب نسب الثاني منهما لابن مَيَّادة*، وفي المتن غير منسوب.

(٣) التبر: الخالص من الذهب، والصفر: نوع من النحاس تصنع منه الأواني.

الأرواح (١)

وقال في هذه السَّنة (٢) وهو بالقطيف* (٣):

وشَــادِنٍ ثَمِلِ الأعـضـا كَـأنَّ بِه، مِن نَشوَةِ التِّيهِ، أرواحًا تُحَرِّكُهُ (٤)
يُدمي القُلُوبَ بألحَـاظٍ (٥) مُـجَـرَّدَةٍ قـد وُكِّلَت بِدَمِ العُـشَّـاقِ تَسـفِكُهُ
كَتَمتُ سِرَّ هَواهُ ما استَطَعتُ فَما أفـادَ كِـتـمَـانُهُ (٦)، والدَّمعُ يَهتِكُهُ
ملَّكتُـهُ في الهَـوَى قَلبِي فَـصَـارَ لَهُ عَبداً مُطِيعًا، وفي ما شَاءَ يُسلِكُهُ (٧)
ثُمَّ انثَنَى مُعـرِضًا والقَلبُ في يَدِهِ هَلاَّ (٨) جَفَـانِي وقَلبِي كُنتُ أملِكُهُ؟

«هذا (٩) من قول سيف الدولة بن حمدان* (رحمه الله تعالى) (١٠):

---

(١) تخريجها في الهاشمي ص: ٨٥، وأ ص: ٧٠، وب ص: ١١٥ - ١١٦، وج ص: ٨٣ - ٨٤، والبيت الثالث والخامس في الأعيان مج ٤/١٥٨.

(٢) سنة ٩٩٩هـ. راجع تاريخ البيتين السابقين الذين جارى بهما بيتي العرجي* ص: ٣٣٩.

(٣) زاد في ج: والله أعلم، وأحكم في جميع الأمور.

(٤) الشادن: ولد الظبية، وفي ب وج: وشاذن، بالذال المعجمة، مكان وشادن، بالدال المهملة، وفي الهاشمي وج: الاعضاء كان، مكان الأعضا كأنَّ، وفي أ: الاعطاف كان، وفي ج ومتن ب: اغصانا، مكان أرواحًا، والمعنى أخذه من قول محمد بن وهيب الحِميَري:

وكـــأنه روحٌ تدبِّرنا حركاته، وكأننا جسدُ

معاهد التنصيص: جـ ١/٢٢٦.

(٥) في الهاشمي: بارواح.

(٦) في أ: كتمان.

(٧) يسلكه: يدخله، يريد يجريه حيثما أراد.

(٨) في الهاشمي وأ: هل لا.

(٩) من هنا إلى آخر الفقرة إضافة من حاشية ب، وأظنها من صنع أحد متملكيها، لاختلاف خطه عن خط ناسخها.

(١٠) هو: علي بن أبي الهيجاء، عبد الله بن حمدان، أمير، وفارس، وشاعر، وأديب، ولد في ١٧ ذي الحجة سنة: ٣٠٣هـ، أو قبل ذلك بقليل في ميافارقين* «ديار بكر*»، أو الموصل*، أشهر أمراء الدولة الحمدانية*، استولى سنة ٣٣٣هـ على حلب* من الإخشيديين، وخاض معهم، ومع البيزنطيين* والقرامطة* وقبائل البادية، حروباً مشتهرة، في أيامه ازدهر الأدب العربي، وأصبح بلاطه محجة للأدباء، والشعراء لشغفه بالأدب، والشعر، من أشهر شعرائه أبو الطيب المتنبي* صاحب الفضل في خلود ذكر هذا الأمير العربي، توفي سنة ٣٥٦هـ، ودفن في ميافارقين*، والأبيات في يتيمة الدهر، ووفيات الأعيان، وسيف الدولة الحمداني أو مملكة السيف والقلم، وهي في أعيان الشيعة أربعة أبيات أولها: ==

تجنّى عليَّ الذَّنبَ والذَّنبُ ذَنبُـهُ   وعاتَبَني ظُلمًا وفي شقِّه[1] العَتَبُ

إذا بَرِمَ المَولَى بِخِـدمَـةِ عَـبـدِهِ   تَجنَّى لَهُ ذَنبًا، وإن لم يَكُن ذَنبُ

وأعـرَضَ لَمَّـا صـارَ قَلبِي بِكَفِّـهِ   فَهَلاَّ جَفَاني حِينَ كَانَ لِيَ القَلبُ

والمَقصُودُ البَيتُ الثالث، وهو المأخوذ منه المعنى، قال ابن خلكان: وأنشد إبراهيم الصوفي[2] دو بيت[3] في معنى البيت الثالث:

قومٌ نَقَضُوا عُهُودَنا بالشِّعبِ   مِن غَيرِ جِنايَةٍ، ولا عَن ذَنبِ

صَدُّوا، وتَعَتَّبُوا وقَد هِمتُ بِهِم   هَلاَّ هَجَروا وكان قَلبي قَلبي؟

انتهى {كلام} ابن خلكان».

* * *

== مُقيمٌ على هَجري كأنّيَ مُذنِبٌ   فَما نَفَعَ الشَّكوى اليه ولا العَتَبُ

وأشك في أن يكون هذا البيت منها لأن معناه تكرار لمعنى البيت الذي يليه، والأهم أن في تكرار القافية في البيتين إيطاءً لا أظنه يجوز على بصر سيف الدولة* بعيوب القافية، أما في أنوار الربيع فقد قدم البيت الثالث على الثاني ولعله الأصوب. راجع: المنجد في الأعلام، ودائرة المعارف الإسلامية جـ ١٢/٤٧٦، وتاريخ الأدب العربي لفروخ جـ ٢/٤٨٣، وتاريخ آداب اللغة العربية جـ ١/٥٣٧، وبروكلمان جـ ٢/٨١، وأنوار الربيع جـ ٤/٧٩، وأعيان الشيعة مجـ ٨/٢٦٩ - ٢٨١، ووفيات الأعيان جـ ٣/٤٠١ - ٤٠٦، ويتيمة الدهر جـ ١/٣٧ - ٥٦، وسيف الدولة الحمداني أو مملكة السيف والقلم، كاملاً.

(١) شرحه محقِّق يتيمة الدهر: «فمه»، ولعله اشتباه من الشارح، إذ الأقرب إلى قصد الشاعر: جانبه، فهو يقول: ادعى عليَّ الذنبَ وهو المذنب، وعاتبني والعتاب في جانبه، فهو أولى بأن يُعاتَب.

(٢) الذي في وفيات الأعيان جـ ٣/٤٠٣ - ٤٠٤: «وأنشدني الفقير أيدمر الصوفي المسمى إبراهيم لنفسه دوبيت في معنى البيت الثالث»، وقد كرر ذكره في جـ ٧/٨٨، دون تعريف، و لم أقف على خبر هذا الصوفي، ويحتمل أنه فخر الدين أيدمر المحيوي التركي. كان مملوكًا لمحيي الدين بن محمد بن محمد بن سعيد بن ندى المجزري فأعتقه، توفي بمصر* حوالي سنة ٦٥٠هـ، له شعر عربي جيد، وموشحات، ويوصف بسعة المعرفة بعلوم عصره، طبع مختار من شعره بالقاهرة سنة ١٣٥٠هـ. راجع: فوات الوفيات جـ ١/٢٠٨، وتاريخ الأدب العربي لفروخ جـ ٣/٥٦٥، ومعجم المؤلفين جـ٣/٢٨، وبروكلمان جـ ٥/١٧، وكشف الظنون جـ ١/٧٧٧، وأنوار الربيع جـ ٥/ ٢٥٦.

(٣) الدوبيت كلمة مركَّبة من كلمتين؛ الأولى: «دو»، وهي فارسية معناها: اثنان، والثانية عربية معناها: بيت، وهو وزن من أوزان الشعر الفارسي، له خمسة أنواع يهمُّنا منها النوع الذي استخدمه الشاعر، وهو الرباعي المعرَّج، ويتكوَّن من بيتين في أربعة أشطر، تتَّفق فيه قوافي الشطر الأول والثاني والرابع، وتختلف قافية الشطر الثالث، ووزنه: «فعلن/متفاعلن/فعولن/فعلن»، ويسمى أيضًا الرباعي. راجع: ميزان الذهب في صناعة شعر العرب ص: ١٤٥، والمعجم الذهبي، ورباعيات عمر الخيام ترجمة: Peter Avery و John heat stubbs، وموسوعة المورد جـ ٨/ ١٧١، وللتوسع دائرة المعارف الإسلامية جـ ١٠/ ٣٠ - ٣٢.

فرشت خدودي(١)

وقال، أيضًا، وهو في القَطِيف* في هذه السنة(٢):

أهدَى لَنا طَيفَهُ بَعدَ الهُدُوءِ(٣) عِشا ... فَكانَ منَّا قِراهُ مُهجَةً، وحَشا
ظَبيٌ فَرَشتُ خُدُودِي، إذ ألِمَّ بِهِ، ... أرضًا، فَلَو شاءَ يَمشِي فوقَها لَمَشَى(٤)

---

(١) تخريجها في الهاشمي ص: ٧٠، وأ ص: ٧١، وب ص: ١١٦، وج ص: ٨٤، والبيتان الأخيران في أعيان الشيعة مج ١٥٨/٤.

(٢) سنة ٩٩٩هـ. راجع مقدمة مجاراته للعرجي* ص: ٣٣٩، ومقدمة المقطوعة التي تليها ص: ٣٤١.

(٣) الهدوء من الليل: أوّله، أو الهزيع الأوّل منه، وفي الهاشمي: الغدو، وفي أ وب وج: الهدو، ولعل الصواب ما أثبتناه، والبيت يقارب أن يكون مجاراة لقول البحتري*:

إذا ما الكرى أهدى اليَّ خيالَه ... شفى قربُه التبريحَ أو نقع الصدى

وقول العتابي*: فأهدى إلينا الليلُ شخصًا تناسبت ... إلى الحسن منه صورةٌ، وشمائلُ
فباتت غمامات النعيم تجودنا ... لها دِيَمٌ، حتى الصباح، ووابل

وقول أحمد بن طاهر:

فبت بها ضيفًا مقيمًا برحله ... وباتت بنا طيفًا تقيم ولا تدري

ديوان البحتري ج ١٥٣/١، وطيف الخيال ص: ٤٥، و٢٥٣، ومحاضرات الأدباء مج ١٢٦/٢.

(٤) في ج: ضبيٌ، بالضاد أخت الصاد، مكان ظبي، وفي أ: لمشا، مكان لمشى، وقد أخذ المعنى من قول عبد الله بن المعتز*: فقمت أفرش خدي في الطريق له ... ذلاً، وأسحب أذيالي على الأثر

من قصيدة مطلعها:

سقى المطيرةَ ذاتَ الظل والشجر ... ودَيرَ عبدون هطالٌ من المطر

ومن أبياتها:

كم فيهم من مليح الوجه مكتحل ... بالسحر يطبق جفنيه على حَوَر
لاحظته بالهوى حتى استقاد له ... طوعًا، وأسلفَني الميعاد بالنظر(*)
وجاءني، في قميص الليل، مستترًا ... يستعجل الخطوَ من خوفٍ، ومن حذر
فقمت أفرش خدي في الطريق له ... ذلاً وأسحب أذياليَ على الأثر
ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا ... مثلَ القُلامَةِ قد قُدَّت من الظُفُر
وكان ما كان مما لست أذكره ... فظُنَّ خيرًا، ولا تسأل عن الخبر

راجع: ديوانه ص: ٢٤٦ - ٢٤٧، وأنوار الربيع ج ٩٢/٤ - ٩٣، وتاريخ الأدب العربي لفروخ ج ٣٨٠/٢، ووفيات الأعيان ج ٧٨/٣، ومحاضرات الأدباء مج ١١٢/٢.

(*) في أنوار الربيع: استطاب، مكان استقاد، وأسلفته، مكان وأسلفني.

كَــأَنَّهُ غُــصنُ بَـانٍ تَحتَ بَدرِ دُجىً   على نَقًا مِن رِمَـالِ الأبرَقَينِ* نَشَـا (١)
بِتنا، وَبَاتَ يُعَــاطِينا مُــروَّقَــةً   مِن رِيقِهِ لَو حَساها المَيتُ لانتَعَشا (٢)

* * *

هذا ما أثبَتَهُ من شِعرِهِ بالقطيف* في باب الغَزَل، ثم هاجَرَ إلى البحرين* في هذه السنة.

* * *

(١) النقا: الكثيب، والقطعة المحدودبة من الرمل، وفي ب وج والأعيان: نقى، مكان نقا، والبيت ينظر إلى قول ديك الجن*:
دعصٌ يقلُّ قضيبَ بان فوقه   شمس النهار تقلُّ ليلاً مظلما
ديوانه ص: ١٨٩.

(٢) مروَّقة: مصفَّاة، وفي ب وج: مروقه، بهاء مهملة، والمعنى متداول. قال المتنبي*:
فذقت ماء حياةٍ من مقبَّلها   لو صاب تربًا لأحيا سالف الأمم
وقال جميل بثينة*: ولو قام داع منكَ يدعو جنازتي   وكنت على أيدي الرجال حييت
وقال الأخطل، وليس في ديوانه:
حديث لو انَّ الميت نوجي ببعضه   لأصبح حيًا بعدما ضمَّه القبر
ولعل أول من سبق اليه الأعشى* في قوله:
لو أسندت ميتًا إلى صدرها   عاش، ولم ينقل إلى قابر
ديوان المتنبي ص: ٣٦، وديوان جميل ص: ٩٧، وأمالي القالي جـ ١/٨٤، وديوان الأعشى ص: ٩٢.

أجنحة القلوب[1]

وقال في سنة ألف[2]:

أمـا لِفِـراقِنا هذا اجـتِـمـاعُ ؟ ولا لِمَـدَى تَقَـاطُعِنا انقِطاعُ ؟[3]
حَـمَلنا ، بَعـدَكُم يا أهلَ نجـدٍ* ، من الأشـواقِ ، مـالا يُستَطاعُ[4]
مَنَنتُم ، آنِفًـا ، بالقُـربِ مِنكُم فَـهَل لِزَمـانِ وصلِكُمُ ارتِجـاعُ ؟
رَحَلتُم بالنُّفُـوسِ فَلَيتَ شِـعـرِي أكـانَ لَكُم ، بأنفُـسِنا ، انتِفَـاعُ ؟
وَخَلَّفـتُم جُـسُـومًـا بالِيـاتٍ على جَمرِ الغَـرامِ لها اضطِجاعُ
وأكـبَـاداً ، وأفـئِـدَةً * مِـراضًـا بِهـا مِن لاعِجِ الشَّـوقِ انصِداعُ
{وألسِـنَةً خَـرِسنَ ، فـلا كَـلامٌ وآذنًا صَـمِمنَ ، فلا استِمـاعُ}[5]
وأجـفَـانًا دَوامِيَ سَـاهِراتٍ[6] لَهـا عن خاطِبِ الغَمضِ امتِناعُ
كَـأنَّ قُلوبَنا ، يَومَ اسـتَـقَلَّت رَكائِبُكُم* ، ضُحىً ، ودَنا الوَدَاعُ[7]
فِـراخُ قَطًا تَخطَّـفَـهـا بُزَاةٌ وعُـرجُ ظِبًـا تَعَـاوَرَها سِـبـاعُ[8]

---

(١)تخريجها في الهاشمي ص: ٧٤ - ٧٥، وفي أ ص: ٧١ - ٧٢، وفي ب ص: ١١٦ - ١١٧، وج ص: ٨٤ - ٨٥، وأعيان الشيعة مج ١٥٨/٤.

(٢)في أ وب وج: فقال، والمثبت بتصرف، وزاد في أ: والله تعالى أعلم.

(٣)ينظر إلى قول عوف بن محلم:

أفي كلِّ عـام غـربة ونزوح؟ أمـا للنوى من ونيـة فـتـريح؟

ولمهيار الديلمي*: هل بعد مفترق الأظعان مجتمع؟ أم هل زمان بهم قد فات مرتجع؟

ديوان مهيار جـ ١٨١/٢، والمدهش ص: ٣٧٢، وأمالي القالي جـ ١٣٠/١.

(٤)ينظر إلى قول مهيار الديلمي*:

تحمَّلوا تسع البـيـداء ركـبـهم ويحمل القلب، فيهم، فوق ما يسع

ديوانه جـ ١٨١/٢.

(٥)البيت ليس في الهاشمي ولا الأعيان، وإضافته من أ وب وج.

(٦)في أ: مؤرقة دوام، وفي ب: مؤرقة دواما، وفي ج: مأرقة دواما.

(٧)الركائب جمع ركاب: الرواحل، وهي الإبل تستعمل للركوب، ودنا: قرُب، وفي أ وج: دنى، بالمقصورة، وفي ب: دني، بياء مثناة تحتية.

(٨)القطا، جمع قطاة: طائر في حجم الحمام، صوته: قطا، قطا، وهو نوعان: جوني، وكدري لونه أغبر، والبزاة جمع بازي: ضرب من الصقور، وهو أشد الجوارح تكبراً، وأضيقها خلقًا. يُتَّخذ للصيد، والظبا أصلها الظباء سُهِّلت ==

أهيمُ بِكُم أسىً، وأضيقُ وجداً ... ومـــا بَيني وبَينَكُمُ ذِراعُ
فَكَيفَ وبَينَنا آذِيُّ بَحـرٍ؟ ... وبِيدٌ في مَفاوِزِها اتِّساعُ؟(١)
ألا حَيَّا الحَيا أحياءَ قَومٍ ... أراعُوا بالفِراقِ، ولمِ يُراعُوا(٢)

== همزتها، جمع ظبية: أنثى الغزال، وفي أ وب وج مكانها: ظبي، وتعاورها: تداولها، وفي ب وج مكانها: تغاورها، بغين معجمة مكان العين المهملة، ومعنى البيت والذي قبله متداول، قال قيس بن الملوح* أو نصيب بن رباح:

كأن القلبَ ليلةَ قِيل يُغدى ... بليلى العامرية، أو يراح
قطاةٌ عزَّها شَرَكٌ، فباتت ... تجاذبه، وقد علق الجناح

ولقيس بن ذَريح:

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما ... أهاج بليلى طائراً كان في صدري

ولعروة بن حزام: لقد تركت عفراء قلبي كأنه ... جناحُ غراب دائم الخفقان

وله أيضًا: كأنَّ قطاة عُلِّقت بجناحها، ... على كبدي، من شدَّة الخفقان

وقال ديك الجن*: كأن قلبي، إذا تذكَّرها، ... فريسةٌ بين ساعدَي أسد

وقال أيضًا: كأن على قلبي قطاةً تذكرت، ... على ظمأ، ورِداً، فهزت جناحها

وقال بشار*: إن قلبي مثلُ الجناح إلى مَن ... بات يدعو وأنت غير مجيب

وقال أيضًا: كأن فؤادَه كُرةٌ تنزَّى ... حذارَ البين، لو نفع الحذار

وقال آخر: ذكر الحبيبُ حبيبَهُ، ففؤاده ... مثل الجناح، من الصبابة، يخفق

ولعدي بن الرقاع*: ألا من لقلب لا يزال كأنَّه ... يدا لاعب، أو طائر، يتصرَّف

وإبراهيم الموصلي: ومَن كبدي تهفو إذا ذكر اسمه ... كهَفو جناحٍ ينفض الطلَّ طائره
له خفقانٌ يرفع الجيب كالشجا ... يُقَطِّع أزرارَ الجربَّان ثائره

ولورد بن ورد الجعدي:

كأن فؤادي، كلَّما خفت روعةً ... من البين، باز، ما يزال، ضروب
سما بالخوافي، واستمر بساقه، ... على الصبر، سيرٌ بالأكف نشوب

وينسب إلى يحي بن طالب الحنفي:

كأنَّ فؤادي، كلما مرَّ راكب، ... جناحُ غرابٍ رام نهضًا إلى ركب

محاضرات الأدباء مج ٢/٥٤ - ٨٥، وأنوار الربيع ج ٤/ ٥٠، والأغاني ج ٢/٢٢ - ٤٨، وج ٢٤/١٥٨، والحيوان في الأدب العربي ج ٣/١٤٩ - ١٦٣، وتاريخ الأدب العربي، فروخ: ج ١/٢٩٩ - ٤٦٨، وديوان ديك الجن ص: ١٦٣ - ١٦٤، وديوان مجنون ليلى ص: ٧٣، ٧٤، ١٢٤، وديوان قيس بن ذريح ص: ٧٣، ٩٣، وديوان بشار بن برد ص: ١٠٩، و٧٩، وحماسة أبي تمام ج ٢/١٠٩، وأمالي القالي ج ٢/١٣، وذيله ص: ١٦٤، وشرح ديوان المتنبي ج ٢/٢٥٧.

(١) الآذي: الموج، والبيد، جمع بيداء: الفلاة، والمفاوز، جمع مفازة: الفلاة لا ماء فيها، وقد مرَّ معنى البيت في قوله ج ١/١٦٥:

مالي بهجرهمُ، والدار جامعةٌ، ... يدٌ، فكيف بنأيٍ بعد هجران؟

وسوف يكرره بقوله ج ١/٤١٤:

من لا يطيق فراق يوم واحد ... لكمُ فكيف يكون بعد شهور؟

وهو من المعاني المتداولة، وقد أثبتنا في الهامش «٨» ج ١/١٦٥ أبياتًا في المعنى.

(٢) الحيا: المطر، والأحياء، جمع حي: المحلة، وأراعوا: أفزعوا، وأزعَجوا، وفي ب مكانها: أذاعوا، بذال معجمة، وفي ج: أزاعوا، بزاي معجمة.

وظَبيٍ، مِن ظِباءِ الأنسِ، حَالٍ[1] يَرُوعُ القَانِصِينَ، ولا يُراعُ
يُبَارِزُنِي بألحَاظٍ مِراضٍ فَتَصرَعُني لَهُ وأنا الشُّجاعُ[2]
ذَكَرتُ جَمالَهُ والخَيلُ حَسرَى عَوابِسُ قد أضَرَّ بِها القِراعُ[3]
وسُمرُ الخَطِّ* مَركَزُها التَّراقِي وبِيضُ الهِندِ* مَغمَدُها النُّخاعُ[4]

---

(١) حالٍ: متزين بالحليّ، وفي ب وج: خال، بخاء معجمة، مكان الحاء المهملة.

(٢) سيكرر المعنى في قوله جـ ١/٣٥٠:

ما لها تحمل أعباء دمي وهي لا تستطيع من ضعف قياما؟

وقوله جـ ٢/١٢٤: ولكنّي مُنيتُ بدهر سوءٍ له حكم الضعيف على القويّ

وهو معنى متداول، فمنه قول كثير عزّة*، وليس في ديوانه:

ضعائف يقتلن الرجال بلا دم فيا عجبًا للقاتلات الضعائف

وقول جرير*: يصرعن ذا اللب حتى لا حراك له وهنّ أضعف خلق الله إنسانا

ولعلي التنوخي: فكلّما ازدادت قوى أجفانها ضعفًا تقوّين على ضعف القوى

ولابن الطثريّة*: فلا تحملي ذنبي وأنت ضعيفة فحمل دمي يوم الحساب ثقيل

محاضرات الأدباء جـ ٤/٤٢، وديوان جرير ص: ٥٩٣، وأمالي القالي جـ ١/٣٢، وحماسة أبي تمام جـ ٢/١٠٤، و١٢٦.

(٣) حسرى: مجهدة متعبة، والقِراع: الضرب، وفي ج مكانها: التراع.

(٤) سُمرُ الخطِّ: الرِّماح المنسوبة للخط*، وهي القطيف*، بلد الشاعر، والتراقي جمع ترقوة: عظمٌ يصل بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين، وبيض الهند: السيوف المصنوعة في الهند*، أو من حديد مجلوب منها، ومَغمَدُها: الموضع الذي تُغمَدُ فيه، وفي ب وج مكانها: مغمزها، والنخاع: الخيط الأبيض في جوف الفقار، ينحدر من الدماغ، ويتشعّب في الجسم، وفي البيت نظر إلى قول عنترة بن شداد العبسي*:

ولقد ذكرتك والرماح نواهلٌ منّي وبيضُ الهند تقطر من دمي
فوددتُ تقبيل السيوف لأنّها لمعت كبارق ثغرك المتبسّم

ولمجنون ليلى*: ذكرتك والحجيج لهم ضجيج بمكّةَ والقلوب لها وجيب

ولمصعب بن زرارة: ولقد ذكرتك والمنيّة بيننا تحت الخوافقِ والقلوب خوافقُ

وقد تداول الشعراء هذا المعنى كثيراً، فمن ذلك قول أبي عطاء السندي، أفلح بن سيّار:

ذكرتك والخطيُّ يخطر بيننا وقد نهلت مني المثقّفة السمر
فوالله ما أدري، وإنّي لصادقٌ، أداءٌ عراني، أم خيالك، أم سحرُ؟

أبو الثناء محمود: ولقد ذكرتك والسيوف لوامعٌ والموت يرقب تحت حصن المرقَب

والصفي الحلي*: ولقد ذكرتك والجماجم وُقّعٌ تحت السنابك، والأكفُّ تطير
والهامُ، في أفق العجاجة، حُوَّمٌ فكأنّها، فوق النسور، نسور
فاعتادني من طيب نشرك نشوةٌ وبدت عليَّ بشاشةٌ، وسرورُ

وقوله: ولقد ذكرتك والعجاج كأنه مَطلُ الغَنِيِّ وسُوء عيش المعسر
والشوس بين مُجدَّلٍ في جندلٍ منا وبين مُعَفَّر في مِغفَر
فظننت أني في صباحٍ مشرقٍ، بضياء وجهك، أو مساءٍ مُقمِر

وقوله: ولقد ذكرتك والذي أنا عبده والسيف عند ذؤابتي مسلول ==

فما لِيثَ[1] الخِمار على مُحَيًا   كَغُرَّتِه، ولا عُقِدَ القِناعُ

* * *

== وقوله، وينسب لمجير الدين بن تميم، وهو في ديوان صفي الدين الحلي*:

ولقد ذكرتك حين أنكرت الظبى   أغمادها وتعارفت في الهام
والنبل من خَلل العجاج كأنه   وبلٌ تتابع من فروج غمام
فاستصغرت عيناي أفواج العدى   وتتابُعَ الأقدام في الأقدام

ولمحمد بن القُبطُرنة: ذكرت سليمى وحَرُّ الوغى   بقلبي ساعةَ فارقتها
فشبَّهتُ سُمر القنا قدَّها   وقد مِلنَ نحوي فعانقتُها

وينسب للشريف البياضي، وابن رشيق* وهو في ديوان ابن رشيق*:

ولقد ذكرتك في السفينة والرَّدى   متوقَّعٌ بتلاطم الأمواج
والجو يهطل، والرياح عواصفٌ   والليل مسودُ الذوائب داج
وعلى السواحل للأعادي عسكرٌ   يَتَوقَّعون لغارة، وهياج
وعلت لأصحاب السفينة ضجَّةٌ   وأنا وذكرك في ألذِّ تناجي

ومنه قول أبي علي؛ محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي:

لقد ذكرتك والبحر الخِضَمُّ طغت   أمواجه، والورى منه على حذر
في ليلة أسدَلت جلباب ظلمتها   وغار كوكبها في أعين البشر
والماء تحتي، وفوقي المزن واكفةٌ   والبرق يستل أسيافًا من الشرر

ونسب ابنُ حجلة، خطأ، للشريف الرضي* بيتين من نظم ابن رشيق القيرواني*، كما في ديوانه، وفي تزيين الأسواق، ومعهما بيت ثالث وقع فيه اختلاف طفيف:

ولقد ذكرتك والطبيب مُعبِّسٌ   والجرح منغمسٌ به المسبارُ
وأديم وجهي قد فَراه حديدُه   ويمينه، حذراً عليَّ، يَسارُ
فشغلتني عمَّا لقيت، وإنَّه   لتضيقُ عنه، برحبها، الأقطارُ

ولمحمد الخَلّي: ولقد ذكرتك والنجوم سَواهِمٌ   والجوُّ، من نقع السلاهب، مُظلمُ
والحرب تسعر، بالحرور، كماتُها   والبيض تنثُر، والعوالي تنظِمِ
وكأنما خضر الدروع مَجرَّةٌ   وسنا المغافر في سناها أنجم
فغدوت أقتحم المعامعَ إذ حكت   معنىً لحسنك أبلجًا يتبسَّمُ

ولأبي طالب الرقي: ولقد ذكرتك والظلام كأنه   يوم النوى، وفؤاد من لم يعشق

ولعطية السلمي: ولقد ذكرتك والرماح تنوشني   عند الإمام وساعدي مغلول

ولابن مطروح: ذكرتكم والعوالي في الطلى ترد   في موقف فيه ينسى الوالدَ الولدُ
وما نسيتك والأرواح سائلةٌ   على السيوف ونار الحرب تتَّقد

وله أيضًا: ولقد ذكرتك والصوارم لُمَّعٌ   من حولنا، والسَّمهَريَّةُ شُرَّعُ
وعلى مكافحة السيوف ففي الحشا   شوقٌ إليك تضيق عنه الأضلع

وفي ديوان الصبابة وتزيين الأسواق من هذا كثير. راجع: ديوان عنترة ص: ٢٠٩، ومحاضرات الأدباء مج ٢/٥٦، وديوان الصبابة ص: ١٢٤ - ١٢٦، وتاريخ الأدب العربي، فروخ جـ ٢/٧٨، وتزيين الأسواق: ٤٦٢، وديوان ابن رشيق القيرواني ص: ٧٣ - ٧٤، ونفحة الريحانة جـ ٤/٢٤٢ - ٢٤٤، وديوان مجنون ليلى ص: ٢٦، وديوان صفي الدين الحلي ص: ٤٠٧ - ٤٠٨، وديوان ابن رشيق القيرواني ص: ٤٨ - ٤٩.

(١) لِيثَ، بالبناء للمجهول: لُفَّ، وعُقِدَ، وفي الهاشمي ليس.

عدوى الحب[1]

وسُئل إجازَةَ هذين البيتين {وهو يومئذ غلام}[2]:

لما رَأيتُ سُلُوّي غيرَ مُتَّجِهٍ[3] وأن جُندَ اصطِباري عاد مَفلُولا
دَخَلتُ، بِالرَّغمِ مِنّي، تَحتَ طاعَتِكُم ﴿لِيَقضِيَ اللَّهُ أمراً كانَ مَفعُولا﴾[4]

فقال قُدِّس سِرُّهُ، ونوِّر ضَريحَهُ:

وَشَادِنٍ مَرِضَت أجفانُهُ فَغَدا قلبي لَها عَائداً* فانصَاعَ مَعلُولا[5]
فَماتَ قَلبي، وما مَاتت لَواحِظُهُ ﴿لِيَقضِيَ اللَّهُ أمراً كَانَ مَفعُولا﴾

* * *

(١)تخريجهما في الهاشمي ص: ٩٣، وأ ص: ٨٢، وب ص: ١٣٢. وج ص: ٩٥، وأعيان الشيعة مج ١٥٩/٤.

(٢)ساقطة من أ.

(٣)غير متَّجه: غير مقبل، أي مدبر، وفي أ: غير منجية.

(٤)اقتباس للآيتين ٤٢، و٤٤ من سُورَةِ الأنفال، وقائل هذين البيتين هو أبو غالب بن بشران الواسطي، وله في مثل هذا الإقتباس أيضاً:

ما زلت أزجُرُ قلبي عنكُمُ ثِقَةً بأن عَقدَكُمُ ما كان محلولا
فحَلَّ بي منكُمُ ما كنت أحذرُهُ ﴿لِيَقضِيَ اللَّهُ أمراً كانَ مَفعُولا﴾

وذكر علي بن حسن الباخرزي أن أباه سبق لهذا الإقتباس بقوله:

وشَاغلٍ بالنَّوى قلبي ليجرَحَهُ أمسى جَريحاً بِنَزعِ الروحِ مَشغُولا
مشى برجليه عمداً نحو مصرعِهِ ﴿لِيَقضِيَ اللَّهُ أمراً كانَ مَفعُولا﴾

وأورد المحبي* في نفحته، بيتين غير منسوبين، وهما:

علمت أن العيون السودَ قاتلتي وأنَّ عاشقها لا زال مقتولا
وقد تعشقتها طفلاً على خطأ ﴿لِيَقضِيَ اللَّهُ أمراً كانَ مَفعُولا﴾

ووجدت في مُدوَّناتي شيئاً من هذا الإقتباس، لكن فاتني ذكر المصادر، فمنه لابن الوردي:

«وكان ما كان مما لست أذكره» ﴿لِيَقضِيَ اللَّهُ أمراً كانَ مَفعُولا﴾

ولجعفر الخراساني:

فرُبَّ ضيق ترى، والخيرُ أوَّلُهُ ﴿لِيَقضِيَ اللَّهُ أمراً كانَ مَفعُولا﴾

ولأبي الصوفي، سعيد بن سالم المجيزي العماني من مخمسة:

قد قادني كلفاً ما في محبتكم وزادني أسفاً فقدان إلفتكم
واليومَ إذ صرت مأسوراً برؤيتكم دخلت بالرغم مني في محبتكم
﴿لِيَقضِيَ اللَّهُ أمراً كانَ مَفعُولا﴾

راجع: دمية القصر وعصرة أهل العصر جـ ٣٣٧/١ - ٣٣٨، ونفحة الريحانة جـ ٥٧٦/١.

(٥)الشادن: ولد الظبية. يرمز به للشاب الجميل، والعائد: الذي يزور المريض، وانصاع هنا: رجع.

الحيُّ الميت[1]

وقال أيضاً للسنة الخامسة بعد الألف:

ياخَليلَيَّ احبِسا الرَّكبَ إذا ما ... جِئتُما عَن أيمَنِ الحَيِّ الخِيَاما [2]
وابلِغا سُعدَى*، عَن الصَّبِّ الذي ... غَادَرَتهُ، غَرَضَ السُّقمِ، السلاما [3]
واسألاها [4]، وارفِقا جُهدَكُما ... عَجبًا، واستَفهِماها، لا مَلاما
مَالَها تَحمِلُ أعبَاءَ دَمِي ... وَهيَ لا تَسطيعُ، من ضُعفٍ، قياما [5]
وبَريقٍ لاحَ، وهنًا، بَعدَ ما ... هَدأَ الطائرُ*، في الوَكرِ، وناما [6]
في كَثيفَاتِ الحَواشي دُلَّجٌ ... يَتَجاوَبنَ فيُشبِهنَ السُّواما [7]
بِتُّ أرنُوهُ بِعَينٍ ثَرَّةٍ ... تَكِفُ [8] الدَّمعَ فُرادَى، وتُؤاما [9]

---

(١) تخريجها في أعيان الشيعة مج ١٥٨/٤، والهاشمي ص: ١١٠، وأ ص: ٧٢ - ٧٣، ومكرَّرة فيها ص: ٩٥ - ٩٦، وب ص: ١١٨ - ١١٩، وج ص: ٨٥ - ٨٦.

(٢) في أ: جئينا، مكان جئتما، وفي ج: خياما، مكان الخياما.

(٣) في الأعيان: ابلغا، مكان وابلغا، وفي أ ص ٧٢: عادرته عرض، مكان غادرته غرض، وفي ص ٩٥: غادرته عرض.

(٤) في أ وب ج: واسئلاها، ويبدو في البيت شيءٌ من المعاضلة، ووعوثة النسج، يقول: اسألاها واستفهماها استغرابًا لا ملامًا وعتابًا.

(٥) في الأعيان تستطيع، مكان تسطيع، وقد مرَّ المعنى في قوله جـ ٢٤٧/١:

يبارزني بألحاظٍ مِراضٍ ... فتصرعني له، وأنا الشجاع

وسيكرره في قوله جـ ١٢٤/٢:

ولكني مُنيتُ بدهر سوءٍ ... له حكم الضعيف على القويِّ

وقد أوردت في جـ ٢٤٧/١ أبياتًا في المعنى لبعض الشعراء.

(٦) في أ والأعيان: فناما.

(٧) كثيفات الحواشي: الشجر الملتف، ودُلَّج: مقيمة في المدلجة، وهي كنس الوحش، استعارها للغصون، والسُّوام بضم السين: نوع من الطيور.

(٨) تكِفُ: تقطر.

وَهوَ يَفْـرِي(١) حُلَلَ اللَّيلِ كَـمـا   جَرَّدَ الفَارِسُ، في الحَربِ، حُساما
وَصَبًا هَبَّت سُحَيراً، فَرَوَت   خَبَراً أوقَعَ في القَلبِ كِلاما (٢)
حَدَّثَت أنَّ عُرَيبًا بِاللِّوَى   نَقَضُوا العَهدَ، ولَم يَرعَوا ذِماما (٣)
واستَحَلُّوا مِن دَمِ الصَّبِّ، وَلَم   يَرقُبوا إلاًّ، وَلَم يَخشَوا أثاما (٤)
يا عُرَيبًا حَلَّلوا سَفكَ دَمِي   إنَّما حَلَّلتُمُ شَيئًا حَراما
نِمتُمُ عَن سَهَري لَيلاً بِكُم   ومَنَعتُم جَفنَ عَيني أن يَناما (٥)
ما لَكُم بدَّلتُمُوني، سَادَتِي،   بالرِّضا سُخطًا، وبالوَصل انصراما؟(٦)
{فارحَمُوا مُضنىً لَهُ، بَعدَكُمُ،   كَبِدٌ حَرَّى، وصَبًّا مُستَهاما}(٧)
{لا يَلَذُّ العَيشَ في يَقظَتِهِ   لا، ولا يَألَفُ باللَّيلِ المَناما}(٨)
كُلَّما عَنَّ لَهُ ذِكرُكُمُ   أسبَلَت أجفانُهُ الدَّمعَ سِجاما (٩)

---

(٩) التؤام جمع توأم: المولود مع غيره في بطن من اثنين فأكثر، وفي الأعيان سحا وانسجاما، وفي باقي الأصول: تواما، بدون همزة الواو.

(١) يفري: يقطع.

(٢) الصبا: ريح رخيَّة: تهب من الشرق، والكِلام، جمع كَلم: الجراح.

(٣) عُريب، مصغَّراً: العرب، وحي من اليمن، واللوى: مسترقُّ الرمل، وما التوى منه، ومن البلاد ناحيتها، والذمام: الحق، والحرمة.

(٤) الإلُّ: العهد، والأثام: العقوبة.

(٥) ينظر إلى قول ينسبه علي بن عبد العزيز الجرجاني للبحتري* وليس في ديوانه:

ليلٌ يصادفني ومرهفة الحشا   ضدين أسهره لها وتنامه

وقول المتنبي*:   بئس الليالي سهدت من طرب   شوقًا إلى من يبيت يرقدها

وقول العباس بن الأحنف*:

أبكي الذين أذاقوني مودَّتهم   حتى اذا أيقظوني للهوى رقدوا

دلائل الإعجاز ص: ٢٧٤، وديوان المتنبي ص: ٨، وديوان العباس بن الأحنف ص: ١٠٤، وأنوار الربيع: ج ٥٥/٤، والعقد الفريد ج ٢٢٣/٦.

(٦) في أ وب وج: بالرضى، ونصُّ البيت في الأعيان:

ما لكم بدلتموني بالرضا   منكم سخطًا، وبالوصل انصراما

(٧) إضافة من الأعيان.

(٨) البيت ليس في الهاشمي، وفي أ وب وج: يقضته، بضاد أخت الصاد مكان الظاء المشالة، وترتيبه في الأصول قبل الأخير، وأثبته هنا مراعاة للسياق.

(٩) عنَّ، بتشديد النون: عرض، وظهر، وأسبلت الدمع: أرسلته، وسجاما: صبًا.

وإذا غَنَّت حَـمـامـاتُ الحِـمَى   حَـمَت النَّومَ، وأهدَته الحِـمَامـا[1]
فَـهـوَ بَينَ اليَـأسِ منِكُم، والرَّجـا   مَـيِّتٌ حَيٌّ، فَـداوُوهُ لِمَـامـا[2]

* * *

(١) الحِمى: ما حُمي من شيء، ويراد به الحي يحميه ساكنوه، وفي أ مكانها: الحما، وحمت: منعت، والحِمام: الموت.
(٢) لماما: غبًّا، يريد زيارة متقطِّعة من وقت لآخر.

لقاء الورود[1]

وقال وهو بمحروسة شيراز* للسنة العاشرة بعد الألف:

وليلٍ أشَبنا طُرَّتَيه بأوجُهٍ ... يُريكَ سَناهُنَّ الأهِلَّةَ سُودا[2]
وُجُوهٍ لو استَجلَى الأهِلَّة أكمَهٌ ... ثَنَى الطَّرفَ مَكشُوفَ الغِطاءِ حَديدا[3]
تلألأنَ حتى لم تَكَد لِضِيائها* ... تَسُومُ اليهِنَّ العُيونُ صُعُودا[4]
تأنَّقَ ربُّ الحُسنِ فيها فلم يَكُن ... ليَترُكَ منها، ما يَزيدُ، مَزيدا[5]
وَيَومٍ ثَنَينا طُرَّتَيه* على صَفًا ... يُعيدُ لِمَعدُومِ الحَياةِ[6] وُجُودا
تَكَنَّفَنا فيه قِيانٌ كأنَّما ... ضَربنَ لأيَّامِ السُّرُورِ وُعُودا[7]
بَسَمنَ، وأسبَلنَ[8] العُقُودَ فَقابَلَت ... عُقُودُ ثَناياها العِذابِ عُقُودا
وحَلَّينَ، بالوَردِ، الخُدُودَ وإنَّما ... ولِعنَ بأن تَلقَى الوُرُودُ وُرُودا

(١)تخريجها في الهاشمي ص: ٤١ - ٤٢، وأ ص: ٧٤ -٧٥، وب ص: ١٢١ - ١٢٢، وج ص: ٨٧ - ٨٨، والأبيات الأول والثاني والأخير منها في أعيان الشيعة مج ١٥٩/٤.

(٢)أشبنا: خلطنا، والكلمة حروفها غير معجمة في ج، والطُرَّتان مثنًى طرة: طرف كلِّ شيءٍ، وحَرفُه، وقَطع كالعلم في ناصية الجارية تحت التاج، وفي أ وب وج: تريك، مكان يريك.

(٣)في أ والهاشمي: وجوه، مكان وجوهًا، واستجلى: استكشف، والأكمَهُ: الأعمى، أو الأعشى، وفي ج: الغطا، بدون همزة، مكان الغطاء، وحديد: حاد، وفي أ وب وج مكانها: جديدا، بجيم معجمة مكان الحاء المهملة.

(٤)في أ وب وج: نكد، بنون موحدة مكان تكد، بالتاء المثناة، وتسوم: هنا بمعنى تمتد، أو تحاول، وفي أ، مكانها: نسوم، بنون موحدة، مكان التاء المثناة.

(٥)في أ: تكن، مكان يكن، وفي الهاشمي وأ: يريد، بزاء مهملة مكان يزيد، بالزاي المعجمة.

(٦)في أ وب وج: الحيوة، وهي صورة التفخيم، أي الإمالة إلى مخرج الواو، الأ إذا أضيفت، لكنَّهم أصبحوا يكتبونها الآن بالألف مطلقًا، كما في الهاشمي.

(٧)تكنَّفنا: أحاط بنا، والقيان، جمع قينة: الأمة المغنية.

(٨)أسبلن: أرسلن، وأرخين، وفي الهاشمي: فاسبلن.

وغـشـينَ بالـوَشي الجُـسُـومَ، وإنَّـمـا سَنَنَّ على ذَوبِ الـنُّـضـار بُـرُودا[1]
فـيـا لَكَ يومًـا لَو أشـارَ بيُـمنهِ لأيَّامِ عَـادٍ لانقَلَبنَ سُـعُـودا ![2]

* * *

(١) سَنَنَّ : صببن، من سن عليه الماء : أرسله إرسالاً، يريد أسدلن، وفي الهاشمي : سدلن، وفي ج : سترن، والنضار : الذهب، أو الفضة، والجوهر، والخالص من التبر.

(٢) عاد : أمَّةٌ قديمة من العرب البائدة، عاشت بعد زمن نوح* (ع) مباشرة. كانت ذات بأس، وقوة، واستكبار، عصت النبيَّ هوداً (ع)، واضطهدته، فأهلكها الله بريح صرصر عاتية، يقال إنها سكنت أعالي الحجاز* قريباً من ثمود. كما يذهب شبرنكر إلى أن عاداً هي : « Oadites » التي سكنت الشمال الغربي من جزيرة العرب*، وخلط بعضهم بينها وبين إرم، والصحيح هو ما أشارت اليه الآية الكريمة « ٢١ » من سورة الأحقاف، قال جل شأنه : ﴿ وَاذكُر أخَا عَادٍ إذ أنذَرَ قَومَهُ بِالأحقَافِ، وَقَد خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَمِن خَلفِه، ألاَّ تَعبُدُوا إلاَّ اللَّهَ إنِّي أخاف عَلَيكُم عَذَابَ يَومٍ عَظِيمٍ ﴾، والأحقاف : واد في حضرموت* فيه قبر النبي هود* (ع)، أو هو واد، أو رمال مشرفة على البحر بالشحر* في اليمن* بين عمان* وحضرموت*. راجع : المنجد في الأعلام، ودائرة المعارف الإسلامية جـ ٤٥٢/١٥، وصفة جزيرة العرب ص : ١٧٠، ومعجم البلدان جـ ١١٥/١.

الحب غيابيًّا[1]

وقال أيضًا، ونحا فيها[2] منحى[3] الرقة، وتساهل في النظم لغرض في نفسه، وإلاّ فمذهبه في النظم على خلاف هذا، وذلك في السنة الخامسة بعد الألف[4]:

قُل لِمَن فَاقَت البُدُورَ كَمَالا ... واستَطَالَت على الغُصُونِ اعتِدالا
وأعارَت مَهَا الفَلا النَظَرَ الفا ... ترَ، والجِيدَ أتحَفَتهُ الغَزالا[5]
وأفادَت سُلافَةَ الخَمرِ لَونًا ... عَندَمِيًّا[6]، ومَرشَفًا سَلسَالا
{بِخُدُودٍ تَنُوبُ عَن حُمرَةِ الوَر ... دِ، وريقٍ يُنسِي البَرُودَ الزُّلالا}[7]
وقَضَى حُسنُها، الذي فَتَنَ العا ... لَمَ، ألاَّ يَروا لَها أمثَالا[8]
إنَّنِي، بالذي يُنادَى[9] بيا رَ ... بُّ، ابتِهالاً، سُبحَانَهُ وَتَعالى،
لَمَشُوقٌ اليكِ شَوقًا يُذِيبُ الـ ... حَجَرَ الصَّلدَ، أو يَهُدُّ الجِبالا

---

(١) تخريجها في أ ص: ٨٠ - ٨١، وب ص: ١٢٩ - ١٣٠، وج ص: ٩٣ - ٩٤، ومنها في الهاشمي ص: ٩٩ «١١» بيتًا، ومثلها في أعيان الشيعة مج ٤/١٥٧ - ١٥٨.

(٢) في ج: في.

(٣) في أ: منحا.

(٤) في أ: والألف.

(٥) المها، جمع مهاة: بقر الوحش تشبّه بها المرأة لجمال عينيها، وفي أ وب مكانها: مهى، والفلا، جمع فلاة: الصحراء الواسعة، وقد مرتْ أبيات لغيره ج ١٥٨/١ مع قوله في نفس المعنى:

ريمٌ أعارَ مها الصريمِ لواحظًا ... نجلاً، وآرام الحمى أجيادا

(٦) العندمي، منسوب إلى العندم، ويعرف بدم الأخوين، أو البقم، وهو خشب شجر ساقه أحمر يصبغ بطبيخه، والعندم أيضًا دم الغزال يطبخ مع لحاء الأرطا حتى ينعقد، فتخضب به الجواري، وفي ب وج مكانها: عنه ميا.

(٧) البيت ليس في الهاشمي، ولا الأعيان.

(٨) في الهاشمي والأعيان: الناس، مكان العالم، وفي أ وب وج: ان لا، مكان ألاَّ، وفي الهاشمي والأعيان: بان لا، والمثبت بتصرف، وفي أ وب وج: ترى، مكان يروا.

(٩) في أ وب وج والأعيان: ينادي، بياء مثناة.

أقطَعُ اللَّيلَ سَاهِراً، لا أرى الغَمـ ـضَ، ولا بـالنَّهـــارِ أنعَمُ بَالا
{عَـشِقَ النَّاسُ مَن رَأوهُ، وأحـبَـبـ ـتُك، دَهراً، لَم ألفَ مِنكِ خَيالا}[1]
{غيرَ بِدعٍ، والنَّاسُ ما أبصَرُوا الحُو رَ، وقـد عَلَّقُـوا بهـا الآمـالا}[2]
{فـانعِشي رُوحَ هائمٍ* تَلِفَت فِـيـ ـكِ غـرامًـا، وعلِّليـهِ وِصَـالا}[3]
لا تُسيئي، يا أحسَنَ النَّاسِ وَجهًا، لِفَـتىً أسـوأ[4] البَـرِيَّةِ حَـالا
يا عَـذُولَيَّ، لا تَلومـا على الحُـ ـبِّ امـرءاً لا يُطاوِعُ العُـذَّالا[5]
وابلِغـا رَبَّةَ المَلاحَـةِ أنِّي في هَواها لا أسـمَعُ الأقـوالا
كَيفَ أمسَى وَصلِي الحَلالُ حَرامًا عِندَها، والدَّمُ الحَرامُ حَـلالا ؟[6]
{أمِنَ العَـدلِ أن بَذَلتُ لهـا رُو حِي، وما سَوَّغَت جُفُونِي مَنالا ؟[7]
وأثـابَت على الدُّنُـوِّ بِعـاداً وجَـزَتنِي[8] على الحُنُوِّ مَـلالا
وَرَمـتنِي من هَجـرِها بِشُـواظٍ[9] مُـحـرِقٍ أوسَعَ الفُـؤادَ اشتِـعالا

(١) في أ: رءاوه، مكان رأوه، وفي ج: وأحبك، مكان وأحببتك، والبيت ليس في الهاشمي، ولا الأعيان.

(٢) البيت ليس في الهاشمي ولا الأعيان.

(٣) البيت ليس في الهاشمي ولا الأعيان.

(٤) في أ وج: اسوء، وفي ب: اسؤ.

(٥) في الهاشمي والأعيان: يا خليلي، مكان يا عذولي، وفي ب وج: امرء، مكان امرءاً، وهذا المعنى متداول. قال الحسن بن وهب: إذا عذلتني العاذلات على الهوى أبت كبدٌ، عما يقلن، صريع
وكيف أطيع العاذلات وحبها يؤرِّقني، والعاذلات هجوع
وقال أبو نواس*: فاعذر أخاك فإنه رجل مرنت مسامعه على العذل
وقال علي بن عاصم العنبري:
كم تعذلوني؟ قد حشوت مسامعي فسددتها عن نغمة العذال
ولإحدى الشواعر: يعنِّفني العذَّال فيهن والهوى يحذرني من أن أطيع ذوي العذل
محاضرات الأدباء مج ٢/١٠٢، وطبقات ابن المعتز ص: ٣٥٤، والأغاني جـ ٢٣/٢٩، وديوان أبي نواس ص: ٤٣، وزهر الآداب جـ ٤/٥٠٦، وأمالي القالي جـ ٢/٢٩١.

(٦) نص البيت في أ وب وج: واسألاها اتستحلُّ الدم الحر م، وتستحرم الوصال الحلالا

(٧) هذا البيت والأبيات التي بعده إلى آخر القصيدة ليست في الهاشمي ولا في الأعيان.

(٨) في ج ومتن ب: وحبتني.

(٩) الشواظ: الفَلْقة، ولهب لا دخان فيه.

الايامِيَ الذّواهِبِ عَودٌ   بَعدَ إزماعِهِنَّ عَنِّي ارتِحالا ؟[1]
حَيثُ كُنتُ امرَءًا أرُوحُ وأغدُو   فارِغَ البَالِ لا أرَى الأشغالا[2]
لابِسًا حُلَّةَ الخَلاعَةِ لا أصـ   ـحَبُ إلاَّ الخَلِيعَ، والبَطَّالا[3]
طامِحًا في جَهَالَتي، لا أرَى الرُّشـ   ـدَ صَلاحًا، ولا الفَسَادَ ضَلالا
ما لِدَهرِي عَلَيَّ حُكمٌ فأُعطِيـ   ـهِ[4] يَدِي طَاعَةً، ولا استِذلالا
أيّ غُبنٍ تَراهُ لِي غَيرَ نَدبِي   طِيبَ عَيشٍ، قَبلَ الثَّلاثِينَ، زَالا؟

* * *

---

(١) في ب وج: الذوايب، مكان الذواهب، وفيهما، أيضًا، كما في أ: عوداً، مكان عَودٌ، ولعل الصواب ما أثبتناه، وفي ب وج: عنا، مكان عني.

(٢) في أ: امرء.

(٣) سيعيد معنى البيت والذي قبله في قوله جـ ٢/٦٩:

يومَ حظِّي من المسرَّة وافٍ   وشرابي صافٍ، وعيشي رغيد

وقد أخذه من قول مجنون ليلى:

ليالِيَ أعطيت البطالةَ مقودي   تَمُرُّ الليالي، والشُّهُورُ، ولا أدري

ديوانه ص: ١٠٥، وزهر الآداب ج ٣/ ٧٤٠.

(٤) في أ: فاغطيه، بغين معجمة، مكان العين المهملة.

ليس غير الهوى[1]

وكتب إلى بعض الأحباب[2] يشكو هواه، ويذكر جواه، للسنة الخامسة بعد الألف:

لو تَمرَضُونَ، وحُوشِيتُم، لعُدتُكُمُ
سَعيًا، فما لي، مَريضًا، لم تَعُودُوني؟[3]
إن لَم ترَونِيَ أهلاً أن أزارَ فَمِن
إحسانِكم شَرِّفُوا قَدري، وَزُورُونِي
ما بِي ، وحَقِّكُمُ، حُمَّى، ولا مَرَضٌ
بل مِن هَوىً في صَمِيمِ القَلبِ مَكنُونِ[4]
لَو أنَّ بالرَّاسِياتِ الشُّمِّ أيسَرَهُ
ذابَت، فَكَيفَ بِشَخصٍ صِيغَ مِن طِينِ؟[5]

* * *

(١) تخريجها في أ ص: ٧٢، وب ص: ١١٨، وج ص: ٨٥، والهاشمي ص: ١١٨، وأعيان الشيعة مج ٤/١٥٨.
(٢) في ج: الاخبار.
(٣) في الهاشمي: سبعًا، مكان سعيًا، وفي الهاشمي وب وج: لا، مكان لم.
(٤) في أ: مالي، مكان ما بي، وفيها، أيضًا، حما، مكان حُمَّى.
(٥) الراسيات، جمع راسية، من الجبال: الثابتة، الراسخة، والشُّمُّ، جمع أشم، وشميم: العالية.

بائع القند(١)

وقال، وقد اجتاز ببعض حوانيت شيراز*، فرأى غلامًا يبيع القند(٢)، فطالبه الأدبُ بالقول فيه، فقال:

ألا تَستَخبِرِ العلِقَ النَّفِيسا؟ ومَن أهدَى لِكُلِّ حَشًا(٣) رَسِيسا
ومَن سُمِّي بِعِيسى، وَهوَ مِمَّن أماتَ مِنَ النُّفُوسِ بِضِدِّ عِيسى(٤)
أإفلاسٌ عَراهُ فَصارَ مِمَّن يَبِيعُ القَندَ يَجتَلِبُ الفُلُوسَا؟(٥)
لِيَترُك بَيعَ ذلكَ، وليَبِعنا لَمَاهُ، وَنَحنُ نُنقِدُهُ النُّفُوسَا(٦)

* * *

(١) تخريجها في أعيان الشيعة مج ٤/١٥٩، و أ ص: ٨٠، وج س: ٩٢، والثلاثة الأولى منها في متن ب ص: ١٢٨ - ١٢٩، والرابع في حاشيتها، والبيت الأول والثاني والرابع في الهاشمي ص: ٧٠.

(٢) القند: عصارة قصب السكر إذا جُمِّد، منه ما يعمل في شكل مخروط، أو مكعبات صغيرة، أو هو السكَّر مطلقًا، والكلمة فصيحة، أو معربة، وردت في الشعر العربي، قال تميم بن أُبَيّ بن مقبل:

أشاقك ربعٌ ذو بنات، ونسوة بكرمانَ يُسقَّين السويق المقنَّدا

ديوانه ص: ٢٦، وراجع: اللسان، والتاج، وفيهما ركب من، بدل ربع ذو، ويعتفن، بدل يسقين، وراجع أيضًا: محيط المحيط.

(٣) العِلقُ: النفيس من كلِّ شيء، والحشا: ما انضمَّت عليه الضلوع كالقلب، والكبد، ومكانها في أ: حشى.

(٤) يريد بعيسى الثانية النبي (ع)، وآية نبوته إحياء الموتى بإذن الله.

(٥) في أ: «افلاس، مكان أإفلاس، وفي ب وج: ا«فلاس، ولعل الصواب ما أثبتناه، وعراه: أصابه، وفي أ: تحتلب، بحاء مهملة، مكان يجتلب، بالجيم المعجمة.

(٦) في الهاشمي والأعيان: قند، مكان ذلك، واللَّما، مثلثة اللام: سُمرَةٌ مُحَبَّبَة في باطن الشفة.

زفرة النار[1]

ووقف على بيت من شعر أبي تمام*
فأعجبه، وهو هذا:

لو أنَّ بالعيس ما بي يومَ فُرقَتِهم
أعيَت على السائق الحادي، ولم تَسِرِ[2]

فذيَّله، وقال قدس سره:

هَوىً يَفُضُّ حَـيـازِيمَ الحَـشـا، وهَوىً يُوَكِّلُ العَينَ، طُولَ اللَّيلِ، بالسَّـهَـرِ[3]
ومُـقلَةٌ في نَجِيعِ الدَّمعِ عَـائمـةٌ* تَهـمِي بِمُنبَـعِقِ الخَـدَّينِ مُنهَـمِـرِ[4]
وزَفـرَةٌ كَـشُـواظِ النَّارِ مُـحـرِقَـةٌ تَذكُو فَترمِي حَوَاشِي القَلبِ بالشَّرَرِ[5]

***

(١)تخريجها في أ ص: ٨٢ - ٨٣، وب ص: ١٣٢، وج ص: ٩٥، وأهملها الهاشمي.

(٢)العيس، جمع أعيس، وعيساء: الإبل البيض يخالط بياضَها شُقرة، والبيت لم يرد في ديوان أبي تمام*، وإنما أورده الراغب الإصبهاني مع بيت آخر بهذا النص:

لو تعلم العيس ما بي يوم بينهمُ أبت على السائق الحادي فلم تَسِر
كأن أيدي مطاياهم، إذا وخذت، يقعن في حُرِّ وجهي، أو على بصري

أما القالي* فأورده مع خمسة أبيات أخرى نسبها عن ابن دريد لإعرابي، وعن غيره لأبي تمام، وهي:

لو كان في البين إذ بانوا لهم دعةٌ لكان بَينُهمُ من أعظم الضـرر
فكيف والبين موصـول به تعبٌ يكلّفُ البيـد في الإدلاج والبكر
لو أن ما تبـتليني الحادثات به يكون بالماء لم يُشرب من الكدر
أو كان بالعيس ما بي يومَ فرقتهم أعيت على السائق الحادي، ولم يسر
كـأنَّ أيدي مطاياهم إذا وخـذت يقعن في حُرِّ وجهي، أو على بصري

وذات الأبيات نسبها ابن داود الأصبهاني، في الزهرة، لأبي تمام*، وعنده: رحلتهم، مكان فرقتهم. راجع: محاضرات الأدباء مج ٢/٦٢ - ٦٣، وأمالي القالي جـ١/١٦٦.

(٣)يفضُّ: يكسر، وفي أ مكانها: يغض، بغين مكان الفاء، وفي ج يعض، بعين مهملة، والحيازيم، جمع حيزوم: الصدر، أو وسطه، وما استدار بالظهر والبطن، أو ضلع الفؤاد، وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر، والحشا: ما انضمت عليه الضلوع كالقلب والكبد، وفي أ: الحشى.

(٤)منبعق: منبعج بالمطر، وفي ب مكانها: بمنعبق، وفي ج: بمنعتق.

(٥)الشواظ: الغلة، واللهب لا دخان فيه، وتذكو: تتَّقد، ويشتد لهيبها، وفي ب وج مكانها: تزكوا.

هذا دمعي[1]

ومما يلحق بالغزل؛ ما قاله بشيراز*
للسنة الثانية[2] عشرة بعد الألف:

يا وَردَتَي خَـدَّيه، مـا لَكُمـا تَتَكلَّلانِ[3] بِراشحِ العَــرَقِ؟
أوَ لَيسَ لِلوَردِ الجَنِيِّ غِنىً[4] عَن مَـائِه بِأريجِـه العَـبِقِ؟
إن كُنتُمـا تَستَشـرِفـانِ إلى مَـاءٍ يَرُشُّكُمـا[5]، فَمِن حَـدَقِي

* * *

(١)تخريجها في الهاشمي ص: ٧٨، وأ ص: ١٢٣، وب ص: ١٨٥- ١٨٦، والبيت الأول والثالث في ج ص: ١٣٢
(٢)في الهاشمي: ١٠١٤، والمثبت من أ وب وج.
(٣)في الهاشمي وب وج: تتكلان.
(٤)في ب: غنا.
(٥)في ج: مائرشكما.

المساجلات

سَمِيُّ الخليل[1]

وجلس في بعض الليالي المُقمِرَة في دهليز[2] المشهد ذي المنارتين* [3] من البحرين* في فتيانٍ من أهل بلده[4] لهم أنسٌ بالأدب، فاجتاز بهم غلام راكب، حين طَرَّ[5] شاربُه، اسمه إبراهيم، فقالوا: قُل في هذا المعنى شيئًا. فقال:

جَـاءَ[6] سَـمِيُّ الخَليلِ راكِب   كَـأَنَّهُ البَـدرُ في الكَواكِب[7]
وَيلاهُ مِن آس عَـارِضَـيـهِ   والوَيـلُ مِن خُضـرَةِ الشَّـوارِب

فقال بعضُ الفتيان أيضًا:

لا يَحذَرُ اللَّهَ في اختِلاسِ الـ   ـنُفوسِ، ظُلمًا، ولا[8] يُراقِب

فقال هو أيضًا:

(١) تخريجها في أ ص: ٧٣ - ٧٤، وب ص: ١١٩- ١٢٠، وج ص: ٨٦ - ٨٧، وأعيان الشيعة مجـ ١٥٨/٤، وفي الهاشمي ص: ٩ أثبتت أبيات ابي البحر وحدها.

(٢) الدهليز: معبر ما بين الباب والدار، والممر الطويل، مسقوف، عادةً، فارسية معرَّبة. راجع: المعجم الذهبي.

(٣) المشهد ذو المنارتين*: يعرف الآن بمسجد الخميس*، نسبةً إلى سوق الخميس* التي كانت تقام بجواره بقرية الخميس* الواقعة غرب البلاد القديم*، جنوب غرب المنامة*، يُظنُّ أن بناءَه كان على أيام الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز*: ٩٩- ١٠١هـ، وبه حجر يشير النقش الذي عليه إلى أن الذي بناه هو أبو سنان محمد بن فضل الله العيوني*، ما زال هذا المسجد موجوداً إلى اليوم. راجع: جزر البحرين ص: ٢٥٤، وعقد اللآل ص: ٣١، وخارطة البحرين نشر وزارة الإعلام بدولة البحرين.

(٤) يفهم من قوله: «من أهل بلده»: أن أولئك الفتيان هم من أهل القطيف*.

(٥) طرَّ الشارب: ظهر.

(٦) في الأعيان: مر.

(٧) في أ وج وحاشية ب: في المواكب.

(٨) في ب وج: ولم.

كـــأنّمــــا قَــدُّهُ قَـــضِـــيبٌ   وسُــودُ ألحَــاظِه قَــواضِب[1]
تَــفْـــعَـلُ أصـــداغِـــه بِقَلبِي   أضعَافَ ما تَفعَلُ العَقَارِب[2]

فقال الفتى :

فـإن دَنا[3] فـالسُّرُورُ دَانٍ   وإن نَأى فالعَذابُ واصِب[4]

* * *

(١)القضيب : الغصن إذا قطع، والقواضب جمع قاضب : السيوف القواطع.

(٢)الأصداغ، جمع صدغ : ما بين العين والأذن، والشعر المتدلى على هذا الموضع، وقد نقل المعنى من قول مهذّب الدين القطيفي* :

أفعال ألحاظه المرضى الصحاح بنا   أضعافُ ما يفعل الصمصامة الذكر

معجم الأدباء مجـ ٦ جـ ١١/١٥١ - ١٥٣، وفوات الوفيات جـ ٢/٢٧ - ٢٨.

(٣)دنا : قَرُب، وفي أ وب وج : دنى.

(٤)واصب : دائم.

حظ العاشق(١)

واقترح عليه الشريف العلأمة ماجد بن هاشم* عمل بيتين في أيِّ مقام كان ليُجيزَهما {له}(٢)، فقال في السنة الخامسة بعد الألف:

سَوادُ فَرعِ التي هَامَ الفُؤادُ بِها ... وحَظُّ عاشِقِها في اللَّونِ سِيَّانِ(٣)
لِيلانِ ضَاعَ صَباحُ الوَصلِ بَينَهُما ... فايأس إذا اكتَنَفَ الإصباحَ لَيلانِ(٤)

فأجازَه الشريف* للوقت قائلاً*(٥):

حَسناءُ ساءَت صَنيعًا في مُتَيَّمِها ... يالَيتَها شَفَعَت حُسنًا بإحسانِ(٦)
دَنَت إلينا، وما أدنَت مَودَّتَها ... فما انتِفاعُ امرئٍ(٧) بالبَاخِلِ الدَّانِي؟

* * *

(١) تخريجها في أ ص: ٧٤، وب ص: ١٢٠، وج ص: ٨٧، وفي الهاشمي ص: ١١٨ بيتا أبي البحر وحدهما.
(٢) زيادة من «أ».
(٣) سيَّان: مثلان، وفي أ: سؤان، وشبيه به قول الشيخ تاج الدين الكندي:

والله لو ملكت كفِّي مسالمةً ... من الليالي التي حظي يحاكيها

وقول العكوّك*: شكوت إلى الحبيبة سوءَ حظِّي ... وما ألقاه من ألم البعاد
فقالت: أنت حظك مثلُ عيني ... فقلت نعم، ولكن في السواد

وللملك الأفضل علي بن صلاح الدين الأيوبي:

يا من يسوِّد شعرَه بخضابه ... لعساه من أهل الشبيبة يحصل
ها فاختضب بسواد حظي مرّةً ... ولك الأمانُ بأنه لا ينصُلُ

وقول آخر: يا من سَقامي من سَقام جفونه ... وسواد حظي من سواد عيونه

وصدر البيت الأخير لعبد الله بن محمد الفرضي، قاضي بلنسية وصلته:

إن الذي أصبحتُ طوعَ يمينه ... إن لم يكن قمَراً فليس بدُونه
ذُلّي له في الحبِّ من سُلطانه ... وسَقامي جسمي من سَقام جفونه

المستطرف جـ ٢/٤١٧، وفوات الوفيات جـ ١/٢٢٧، وأنوار الربيع جـ ١/٣٨٨، ومعاهد التنصيص جـ ٣/٢٢٣، وتزيين الأسواق جـ ٢/٤٣٤، وثمرات الأوراق ص: ٢٣، ونفح الطيب جـ ٢/٣٣٤، ووفيات الأعيان جـ ٣/١٠٦.
(٤) في الهاشمي: فياس، مكان فايأس، وفي أ وج: فايئس، وفي ب: فايس، والمثبت هنا بتصرف، واكتنفه: أحاط به يمنة ويسرة.
(٥) زاد في ج: «شعراً».
(٦) في أ: سائت، مكان ساءت.
(٧) في الأصول: امرء، والمثبت بتصرُّف.

بلا وداع[1]

وقال أيضاً:

يَا سَادَةً أبعَدَت أيدِي النَّوى[2] بِهِمِ عَنِّي لَذاذَةَ أيَّامِي كَمَا بَعِدوا
بِنتُم فَمَا عَطَفَت لي بالوَدَاعِ يَدٌ مِنكُم، ولا بُلَّ بالتَّسويفِ لي كَبِدُ[3]

فذيَّلهما الشريف*[4] المشار اليه قائلاً:

هَلاَّ[5] أعدَتُم لَيالِيَّ التي سَلَفَت بالمَأزِمَينِ، وإلاَّ تَفعَلُوا فَعِدُوا[6]
إنِّي لأقنَعُ مِنكُم بالوُعُودِ، وإن ألفيتُها، كَسَرَابِ القَاعِ[7]، تَطَّرِدُ
ما ذَاكَ إلاَّ لأنَّ[8] الوعدَ يُعقِبُهُ ذِكرُ الوِصَالِ فَيَقوى، عِندَهُ، الجَلَدُ

* * *

---

(١) تخريجها في أ ص: ٧٤، وب ص: ١٢٠ - ١٢١، وج ص: ٨٧، و لم يُثبِت الهاشمي ص: ٣٤ إلاَّ بيتي أبي البحر وحدهما.

(٢) النوى: البعد.

(٣) بنتم: فارقتم، وفي ج ومتن ب: في الوداع، وبُلَّ، على المجهول: نُدِّيَ وبُرِّد من حرقته، والتسويف: المماطلة، من قولك، المرة بعد الأخرى، سوف أفعل، وسوف يكرِّر المعنى في قوله جـ ١/ ٤٢٣:

فارقتهم لم ألوِ من جيدٍ لتو ديعٍ، ولم أعطف يداً لعناق

وقد توارد في هذا المعنى مع السيد ماجد الصادقي* في قوله جـ ١/ ٣٧٠:

لا ضمُّ صدر إلى صدر يبلُّ صدى قلبٍ، ولا ليُّ أيدٍ فوقَ أعناق

ولا أعلم أيهما أسبق إليه، والظاهر أنهما أخذاه من قول الشريف الرضي*:

وأفجعُ الناس من ولَّى حبائبه ولا عناقٌ، ولا ضمٌّ، ولا قُبَل

ولمحمد بن داود الظاهري:

فلم أر في الذي لاقيت شيئاً أمرّ من الفراق بلا وداع

ديوان الشريف الرضي ٢/ ١٧٩، ومحاضرات الأدباء مج ٢/ ٦١، وديوان محمد بن داود الظاهري.

(٤) هو سميره، ورفيقه ماجد بن هاشم الصادقي العريضي*. راجع: ترجمته في الملحق «٢»، جـ٢ / ٣٢٣.

(٥) في الأصول: هل لا، والمثبت بتصرف.

(٦) المأزمان: موضع بمكة بين المشعر «مزدلفة» وعرفة، أو هما مأزما منى، وهو شعب بين جبلين يفضي آخره إلى بطن عرفة. راجع: معجم البلدان جـ ٥/ ٤٠، ومعجم ما استعجم جـ ٤/ ١١٧٣.

(٧) القاع: أرض سهلة بين الجبال أو الآكام.

(٨) في ج ومتن ب: لئن.

نجوى(١)

ولما قَفَل راجعًا من شيراز* في هذه السفرة؛ هو والإمام العلأمة الشريف ماجد بن هاشم الحسيني* ، قُدِّس سرُّه، وقد فارق فيها بعضَ العلائِق* (٢) التي عَزَّ عليه فراقُها، قال الشـريف* ، على لسانه، هذه الأبيات، وضمَّنَها حكاية الوداع فقال:

قَالَت: تَرَحَّلتَ عَنَّا! قُلتُ: طَيفُكُمُ — عندِي، وقَلبِي لَدَيكُم غيرُ مُنساقِ(٣)

ما فَرَّقَ الدَّهرُ بَينَ اثنَينِ قَد عَلِقَت — يَمِينُ كُلٍّ مِنَ الثَّـانِي بِمِيـثَـاقِ

لِلَّهِ وَقـفَـةُ تَوديعٍ شَـدَدتُ بِهَـا — أزِمَّـةً مِن حِبَالِ الوَصلِ أخلاقِي(٤)

جَزَت بِهَا حَدَقُ الحَسناءِ مِن حَدَقِي — رَمـزًا بِرَمـزٍ، وإطراقًـا بِإطراقِ

---

(١)تخريجها في أ ص: ٨٧ – ٨٨، وب ص: ١٣٨ – ١٣٩، وج ص: ٩٩ – ١٠٠، وفي الهاشمي ص: ٧٩ أثبت الأبيات الثلاثة الأخيرة من مقطوعة الشريف السيد ماجد* هذه، ونسبها إلى أبي البحر سهواً.

(٢)العلائق، جمع علاقة: الحب اللازم للقلب.

(٣)في أ: ترخلت، بخاء معجمة مكان الحاء المهملة، وفي ج: عنها، مكان عنا، وفيه تواردٌ مع قول أبي البحر جـ ٢/ ٨٣:

يا من ترَحَّل عن أوطانهم بَدَني — كُرهًا وأصبح قلبي عندهم باقي

والمعنى متداول، فمنه قول أبي تمام*:

مـقـيم الظن عندك، والأمـاني — وإن قَلِقَت ركـابي في البـلاد

وقول المتنبي*: وإنّي عنك بعـد غـد لغـادٍ — وقلبي عن فنائك غـيـرُ غـاد

وقوله أيضًا: فجد لي بقلبٍ إن رحلت فإنني — أُخلّف قلبي عند من فضله عندي

وقول الخبز أرزي*: أنا غائبٌ، والقلب عندك حاضر — سـافـرتُ عـنـك، وما الفؤاد مسافر

وقول محمد بن أمية:

إنَّ نفسي بالشام* إذ أنت فيها — ليس نفسي نفسي التي بالعراق*

وقول آخر: وإن يرتحل جسمي مع الركب مُكرهًا — يقم عنده قلبي، وأمضي بلا قلب

ديوان أبي تمام ص: ٧٢، وديوان المتنبي ص: ٨٨، و ٥٢٦، ومحاضرات الأدباء مج ٢/٦٣، ٦٤، و٦٦.

(٤)الأزِمَّة، جمع زمام: خطام البعير. وفي ب وج مكانها: برمة، وفي أ: بزمة، ولعل الصواب ما أثبتناه، والأخلاق، جمع خَلَق: بفتح الأول والثاني: الثياب البالية، وفي الأصول مكانها: اخلاق، ولعل الصواب ما أثبتناه.

لا ضَمّ صَدرٍ إلى صَدرٍ يبُلُّ صَدَى — قلبٍ، ولا لَيُّ أيدٍ فَـوقَ أعنَاقِ[1]
ثُمَّ انصـرَفتُ وقَلبِي ثَمَّ أكـثَـرُهُ — وقَد تَشَـبَّثَ فَخُّ[2] الحُبِّ بِالبَاقِي
كَـأنَّمـا لعِبَت أيدِي السُّـقـاةِ بِهِ — الأَ عَقَابِيلُ[3] لَم يَذهَب بِها السَّاقِي
تَقطَّعَت مِنكِ أسبَابُ الوِصَالِ سِوَى — طَيفٍ عَلى عُـدَواءِ الدَّارِ طَرَّاقِ[4]

فلما أنشَدَهُ إيَّاها أتَمَّها هو قائلاً* :

تَقُـولُ، والدَّمعُ قَـد ظَلَّت بَوادِرُهُ — تَبُلُّ مَـا بَينَ أذيالِي، وأزياقِي[5]:
لا تَبكِ، وانتظِرِ العُـقـبَى فَـرُبَّـمـا — ضَحِكتَ يَومَ التِفافِ السَّاقِ بالسَّاقِ[6]

---

(١)اللي : الثني ، والعطف ، وفيه نظر ، أو توارد مع أبي البحر في قوله جـ ١/ ٣٦٨ :
بنتم فما عطفت لي بالوداع يدٌ — منكم ولا بل بالتسويف لي كبد
وجـ ١/ ٤٢٣ : فـارقـتـهم لم ألو من جيد لتـو — ديعٍ، ولم أعـطـف يداً لعـنـاق
وهناك أوردنا بيتين لغيرهما في هذا المعنى.
(٢)الفخ : آلة من خشب، أو حديد ، لصيد الطيور، والحيوان.
(٣)العقابيل، جمع عقبول، وعقبولة : بقايا العشق.
(٤)العُدَواء : البعد ، والطَرَّاق : الذي يزور ليلاً ، وفي البيت نظر إلى قول البحتري* :
فلا وصلَ إلاَّ أن يطيف خيالها — بنا تحت جؤشوش(*) من الليل أسفع
ديوانه جـ ١/١٠٣.
(٥)في أ : يقول، مكان تقول، وبوادره : أوائله، والأذيال ،جمع ذيل، من الثوب : طرفه السفلي، والأزياق، جمع زِيق من القميص : ما أحاط بالعُنُق.
(٦)العقبى : الآخرة، ويوم التفاف الساق بالساق : يوم القيامة، وفيه تورية، فمراده : أنك ربما ظفرت بمرادك منها يومًا ما ، فورَّى ملمِّحًا إلى قوله تعالى : {والتفت الساقُ بالساق}، الآية ٢٨ من سورة القيامة، وسوف يكرر المعنى في قوله جـ ٢/٨٣ :
كيف العزاء ، وميعاد اللقاء بكم — أدناه يوم التفاف الساق بالساق
والمعنى متدوال، فمنه قول يزيد بن الطثرية* :
وإن كـان يومَ الوعـد أدنى لقـائنا — فـلا تعذليني أن أقول متى الوعد
وللأحوص* : إذا رمت عنهـا سُلوةً قـال شـافعٌ — من الحُبِّ مـيـعـاد السلو المقـابرُ
وقوله أيضًا : سيبقى لها في مضمر القلب والحشا — سـريرةُ ودٍّ يوم تُبلى السـرائر
وقال قيس بن الملوح* :
وإن يكُ لا ليلى، ولا نجد ، فاعترف — بهجر إلى يوم القيامة، والوعد ؟
وقال آخر : ولأطلبنّك في القـيـامـة جـاهداً — بين الخـلائق والعـبـاد نشـور
العقد الفريد : جـ ٦/٢٥٨ ، وأمالي القالي جـ ١/٥٥، وجـ ٢/١٦٦، وديوان قيس بن الملوح ص : ٧١.
(*) الجؤشوش، من الليل : صدره، أو هزيع منه.

فـإن من جـمعَ الزّوجَين قَـبلَكَ لا   يَعـيَـا[1] بإلـفَـتِنا بَعـد التّـفـرّاق[2]

«يُرِيدُ بالزَّوجَين: آدمَ*، وحواء(ع)[3] عندَ هُبُوطِهِمـا من الجَنَّة إلى الأرض مُتفرِّقين؛ كُلٌّ منهُما في جِهَةٍ، فَجَمعَ اللّهُ بَينَهُما بِجَبَلِ عَرَفات* بمَكَّةَ*، وبِهِ سُمِّيَ عَرَفات لِتَعارُفِهما بِهِ».

* * *

(١)لا يعيا: لا يعجز، وفي أ: لا يعبئ بإلفتنا، وفي ب: لا يعيا بالفهما.

(٢)التِّفرّاق بكسر الأول والثاني، وتشديد الثالث: التفرُّق. قال تأبط شراً:

يا عيدُ، ما لك من شوقٍ وإبراق   ومــرِّ طيفٍ على الأهوال طرّاق

طيف ابنة الحرِّ إذ كنّا نواصلها   ثم اجتننت بها بعد التـفـرّاق

ديوانه، شرح علي ذو الفقار شاكر، ص: ١٢٧، وشرح اختيارات المفضل جـ ١/٩٥.

(٣)في الأصول: حوى، والمثبت بتصرف.

بين الغي والرشاد[1]

وسايَرَ الشريف العلامة * ، فتَجارَيا في استغراب[2] وصف الشريف المشار اليه في صفة امرأة، وهي قارئة القرآن[3]:

مَن عَذيري[4] مِن غادةٍ فتَنَتني ... وَهيَ تَتلو جُزءاً مِنَ القُرآنِ

بلِسانٍ يَدعو إلى طَاعةِ اللّـ ... ـهِ، وَوَجهٍ[5] يَدعو إلى الشَّيطانِ

فقال أبو البحر: دعنا نقل، الآن، في نحو[6] هذا ثم نَقصرُ ذلك على {الصَّوت}[7] لَهجَةً ومَعنًى، فقال أبو البحر:

وَقارئٍ يُوقِرُ الأسماعَ مَنطِقُهُ ... إذا تَلا جَرَّعَ اللَّذّاتِ، والغُصَصا[8]

إذا أطاعَ لِمَعنى مَا[9] يَفُوهُ بِهِ ... قَلبٌ أهابَت[10] بِهِ ألحانُهُ فَعَصَى

فأنشد[11] الشريف* تِلوَهُ إجازةً[12]:

---

(١) تخريجها في أ ص: ٩٧ - ٩٨، وب ص: ١٥١ - ١٥٢، وج ص: ١٠٨ - ١٠٩، وفرّق الهاشمي أبيات أبي البحر وحدها في ص: ٣٢، و٧٠ بحسب ترتيبه الهجائي، وورد بيتا السيد ماجد الأخيران في أنوار البدرين ص: ٩٠، وفي سلافة العصر ص: ٥٠٣، ونفحة الريحانة ج ٢٠٢/٣، وروضات الجنات ج ٧٦/٦، ويفهم مما نقله في الروضات عن مقامات السيد نعمة الله الجزائري عن تلميذه الشيخ حسين البحراني أنهما ارتجلا المساجلة في شيراز* حينما كانا خارجين من المسجد الجامع، وسمعا صوت جارية تقرأ القرآن بصوت رخيم.

(٢) الإستغراب هنا: الإستحسان.

(٣) في أ: قارية القرين، وفي ب وج: قارية القران، والمثبت هنا بتصرف.

(٤) من يعذرني.

(٥) في ب وج: وقلب.

(٦) في أ: في نحو من هذا.

(٧) ساقطة من ج.

(٨) يوقر: يثقل ويصمّ، وفي أ: اذا تلى، مكان تلا.

(٩) في الهاشمي: لا.

(١٠) في أ وب وج: اهاب.

(١١) في أ وب: فانشده.

(١٢) زاد في ب و ج: فقال.

وتالٍ لآيِ الذِّكرِ قد وَقفت بنا   تِلاوتُه بَينَ الضَّلالَة، والرُّشـد[1]
بِلفظٍ يَسُوقُ المُتَّقينَ إلى الخَنا   وَمَعنىً يَسُوقُ الفاسقِينَ إلى الزُّهد[2]

فقال الغنوي* : لما انتَهَت إليَّ هذه المجاراة[3]، واتَّصَلَت بي هذه المُباراة؛ أحبَبتُ أن أكُون سكِّيتَ حَلبَتِهما[4]، وشارِبَ فَضلَتِهما، وأنَّى يُدرِكُ الضَّالِعُ[5] شأوَ الضَّلِيع، ويُنبِتُ الخَرِيفُ زَهرَ الرَّبيع، فأخَذَ أبو البحر في العَود بَعدَ البَدو[6]، وأخذتُ أنا في هذا النَّحوِ، فَصَدَرنا[7]، معًا، بَعدَ الوُرُود، فَجئتُ* بالعطر[8]، وجاء بالوُرُود، فَقُلتُ:

وقارٍ يَحُطُّ العُصمَ من شَعَفَاتِها[9]   يَزِيدُ على حُسنِ التِّلاوَة حُسنُهُ
تَقَسَّمَ قَلبِي حينَ غَـرَّدَ قـارِئًا *   فَلِلرُّشـد مَـعناهُ، ولِلغَيِّ لَحنُهُ

وقال[10] أبو البحر، فكانَ كأنَّما يُوَسوِسُ في صَدرِي، ويُملِي من فِكرِي:

وأغربُ ما مَرَّ في مَسـمَعِي   وأوقَـعَنِي بَينَ غَيٍّ وَرُشـدِ
قِـراءَةُ قَـارٍ دَعـا[11] إذ تَلا[12]   بِصَوتٍ لِفُسقٍ، وَمَعنىً لِزُهدِ[13]

* * *

(١) في السلافة: وقار، والمثبت من روضات الجنات وأنوار البدرين، وفي أ: قراءته، وفي ب وج: قرأته: مكان تلاوته، وفي الروضات: الغواية مكان الضلالة.

(٢) في أنوار البدرين ونفحة الريحانة والسلافة: الزاهدين، مكان المتقين، وفي أنوار البدرين ونفحة الريحانة: يشوق، مكان يسوق، وفي الروضات: لسوق، وفي السلافة ونفحة الريحانة: العاشقين، مكان الفاسقين.

(٣) في أ وب وج: انتهيت الى، والمثبت بتصرف، وفي أ: المجارات، مكان المجاراة.

(٤) السكِّيت: آخر خيول السباق، والحلبة: الدفعة من خيل السباق، وتوسع فيها إلى ميدان السباق، وفي ج: شكيت حلبتها.

(٥) الضالع: من الضلَع، وهو اعوجاج في المشية، والضليع: القوي.

(٦) البدو: لغة في البدء، وفي ج: البدء.

(٧) فصدرنا: فرجعنا، وفي أ وب: فاصدرنا، وفي ج: فاصدرتا، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٨) في الأصول: القطر، ولعل مراده أنَّ أبا البحر جاء بالأصل، وأنه جاء بالأثر، فيكون الأولى ما أثبتناه.

(٩) العصم جمع أعصم: الغربان الحمر، حمراء الأرجل والمناقير، أو التي في أجنحتها ريشة بيضاء، ومن الظباء والخيل: ما كان بقوائمه بياض، والشعفات، جمع شعفة: رؤوس الجبال، وفي أ: شنفعاتها، وفي ج: شنفعاتها.

(١٠) في ب وج: فقال.

(١١) في الهاشمي وأ: دعى.

(١٢) في أ وب وج: تلى.

(١٣) عجزه في الأصول: ....   بصوت ومعنى لفسق وزهد
ولعل الصواب ما أثبتناه.

خُذهُ اليك(١)

وقال أبو البحر: سمرتُ عند الشريف العلاّمة * ، فيما كنت أسمر معه، فبينما نحن كذلك إذ طلع البدر(٢)، فقلت بديهةً(٣):

خُذهُ إليكَ كَصفحَةِ المِرآةِ(٤) ... بَدراً يُكَشِّفُ حَالِكَ الظُّلماتِ(٥)

فأجازَهُ الشريف قائلاً:

وَكَأَنَّهُ وجهُ المليحَةِ حَسَّرَت ... عَنهُ ذَوائبَ فَرعِها الفَحِماتِ(٦)

وَكَأَنَّهُ، والشُّهبُ مُحدِقَةٌ بِهِ، ... مَلِكٌ أطافَ بِهِ الجُنُودُ، ثُباتِ(٧)

(١)تخريجها في أ ص: ١٠٠، وب ص: ١٥٤، وج ص: ١١٠، وأنوار البدرين ص: ٢٩٢ - ٢٩٣، وأثبت الهاشمي في ص: ١٧ أبيات أبي البحر وحدها.

(٢)في أنوار البدرين: الفجر.

(٣)زاد في أ: والله أعلم.

(٤)في أ: المرءات، مكان المرآة، وفي الهاشمي: المرآت، وفي ج: المراة.

(٥)نقله من قول ابن طباطبا * في الشمس:

متى أبصَرتَ شمساً تحت غيمٍ ... ترَ المرآةَ في كفِّ الحسود

وقول الشهاب التلعفري:

ولاحت الشمسُ تحكي عند مطلعها ... مرآةَ تِبرٍ بَدَت في كفِّ مُرتعِشِ

وقول آخر اختلف في نسبته بين الشماخ، أو ابن أخته، أو أبي النجم الراجز، أو عبد الله بن المعتز *:

صبَّ عليه قانصٌ لما غفل ... والشمس كالمرآة في كفِّ الأشل

محاضرات الأدباء جـ ٥٣٨/٤، وديوان المعاني جـ ٣٥٩/١، ومعاهد التنصيص جـ ٣٢/٢ - ٣٣.

(٦)الفحمات جمع فحمة: الفاحمة السواد.

(٧)في البيت نظر إلى قول سهل بن المرزبان:

شُبِّهتُ بدرَ سمائها لما دَنت ... فيه الثريا في قميصٍ سُندسي

مَلِكًا مَهيبًا قاعداً في روضةٍ ... حيَّاه بعضُ الزائرينَ بنرجس

وقول أبي الحسن الكرخي:

كأن الهلال المستنير وقد بدا ... ونجم الثريَّا واقف فوق هالته

مليكٌ على أعلاه تاجٌ مرصَّع ... ويزهى على من دونَه بجلالته

وقول عبد الله بن المعتز *:

وهلالُ شوَّالٍ يلوح ضياؤه ... وبناتُ نعشٍ وقَّفت بإزائه

كبنانَة (*) من مُخلصٍ لَّما بدا ... وجه الوزير دعا بطول بقائه

معاهد التنصيص جـ ١٨/٢، و٢٣، وديوان عبد الله بن المعتز س: ٢٠.

(*) البنانة: الأصبع، والجمع بنان. يشبه الهلال ببنانة يحركها رجُل مخلص يدعو للوزير، وفي ديوانه: كبنانه.

فقال أبو البحر {نوّر ضريحه}:

وَكَــأنَّهُ الدِّينارُ بُثَّت حَــولَهُ بيضُ الدَّراهِمِ غيرَ مُجتَمِعاتِ(١)
وَكَـأنَّهُ، والنَّقصُ يأخُذُ بَعضَـهُ، قُـرصُ اللُّجَينِ مُـثَلَّمُ الجَنَبـاتِ(٢)
وَكَـأنَّهُ، والمَحــوُ في أرجَـائِهِ، وَجهُ الفَتاةِ مُجَدَّرُ الصَّفَحَاتِ(٣)

(١) في البيت نظر إلى قول منسوب لعبد الله بن المعتز*، وليس في ديوانه:

قد أصبح الجوُ مثل منتقدٍ في كــفِّــه درهمٌ ودينارُ

وقول عبد الواحد بن علي بن أحمد بن سهل:

كأنّ السماءَ روضةٌ قد تفتَّقت أكمَّتُها، والبدر في الأفق درهم

وقول ظافر الحداد: كأن أنجُمَها في الليل زاهرةً دَراهمٌ، والثريَّا كفُّ مُنتَـقِـدِ

وقول أبي عثمان الخالدي*: كـــأنما نجـــومـــهـــا في مــغــرب ومــشــرق
دراهمٌ قـــد نُثِـــرت على بســــــاطٍ أزرقِ

وقول ادريس العبدي: وكـــأنَّ النجمَ حين بدا درهمٌ في كفِّ منتَـقـد

معاهد التنصيص جـ ٢/٢٣-٢٤، وديوان الخالديين ص: ١٤٤، ومحاضرات الأدباء مجـ ٤/٥٤٠، و٥٤٢، وأحسن ما سمعت ص: ٧٩.

(٢) في ب وج: قرض، بضاد معجمة، مكان الصاد المهملة، وفي أنوار البدرين: بيض، واللجين مصغَّراً: الفضَّة، ولابن طباطبا* ما يقارب هذا المعنى في قوله:

كـأن الذي أبقى لنا منه أفـقـه قَصيص(*) سوار، أو قُراضة دينار

ومنه أيضاً قول يحيى بن علي بن المهلب:

ترى الفلك الدوَّارَ زُهراً نجومه كـقـبَّـة ياقـوتٍ بتـبـرٍ مـدثَّرا

ديوان المعاني جـ ١/٣٤٠، ومحاضرات الأدباء جـ ٤/٥٤٢.

(٣) المحو: السواد في هالة القمر، وفي أ: الفتات، مكان اللفتات، والبيت ينظر إلى قول الأكرم بن هبيرة:

وكـــأنَّ هذا البـــدرَ حين تظلُّه سحبٌ، فيخفى، تارةً، ويؤوب
حسناء تبدو من خلال سجوفها طوراً، وننظُر نحـوها فـتـغـيـب

ومثله قول ابن عون الدين:

إذا تطلع هذا البــدر من فُــرجٍ من السحاب، وغارت حوله الشهب
تخــاله في رقـــيقٍ من مُــلاءَته خرقاء تسفر، أحيانًا، وتحتجب

وقول مفلح: كـأنما البـدر حين يبـدو لنا، ويستحجب السحابا
خـــريدة من بني هلالٍ لاثت على وجهها نقابا

وينسب للشريف الرضي*، وليس في ديوانه:

يا من بغـرَّته الهـلال، أمـا ترى ضوءَ الهلال وقد بدا في المشرق
كظريفـة نظرت إلى عشَّـاقـهـا فـتنقَّـبت خَـجـلاً بكمٍّ أزرق

وقول نصر بن يسار الهروي:

وبدا لنا بدر الدجى والليل قـد شـمل الأنام بفـاضل الجلبـاب
غطَّى الكسـوف عليـه إلاّ لمعـة فكأنه حـسناءُ تحت نقـاب

وفي هذا المعنى، ومعنى بيت السيد المتقدم، شَبَه بقول ابن طباطبا* في وصف الشمس: ==

كؤوس وشموس[1]

قال أبو البحر: وسَمَرتُ، أيضًا، عند الشريف العلاَّمة* [2] ليلةً، والسماء دكناء[3] الجلبابِ[4]، كاسية السحاب، فأخذنا {في}[5] باب الأدب فقلت:

تَوَشَّحَتِ السَّماءُ بِبُردِ غَيمٍ فَأَجمِل بالمُوَشَّحِ، والوِشَاحِ

فأجازَهُ الشريف العلاَّمة* قائلاً*:

فَقُم، وانهَض إلى فُرَصِ[6] التَّصابي فَلَيسَ عَلَيكَ، فيها، مِن جُناحِ

فقال أبو البحر:

أَمِط فُدُمَ البَرَانِي، واجلُ منها بآفاقِ الكُؤوسِ شُمُوسَ راحِ[7]

== وشمس تجلّت في رداء معصفر كأسماءَ إذ مدّت عليها إزارها

ولأبي هلال العسكري*:

والشمس واضحة الجبين كأنها وجه المليحة في الخمار الأزرق

ولغيره فيها: والشمس تؤذن بالشروق كأنها خَـوذٌ تلاحظ من وراء حجاب

قول على قول جـ ٧/٣٢٢، وديوان المعاني جـ ١/٣٦٠، ومحاضرت الأدباء جـ ٤/٥٣٩، ومعاهد التنصيص جـ ١/١٠٨.

(*) قَصِيص، فعيل: مَقصوص.

---

(١) تخريجها في أ ص: ١٠٠ - ١٠١، وب ص: ١٥٤ - ١٥٥، وج ص: ١١٠ - ١١١، والهاشمي ص: ٢١، وسلافة العصر ص: ٥٤٤، وأنوار البدرين ص: ٢٩٣، وكشكول البحراني جـ ٣/١٨٢.

(٢) هو السيد ماجد بن هاشم الصادقي* ترجته في الملحق «٢» جـ ٢/٣٢٣.

(٣) دكناء: مائلة للسواد، وفي ب وج: دكنا، بدون همزة.

(٤) الجلباب: ثوب واسع، والقميص، أو هو ما تغطّي به المرأة ثيابها كالرداء.

(٥) ساقطة من ج.

(٦) في أ: قرص، وفي السلافة: فرط، وفي أنوار البدرين: عصر، وفي الكشكول: فرض.

(٧) أمط: نحِّ، وأبعد، والفُدُم: شرحها في الهاشمي: «خرقة توضع على فم الإبريق ليصفى»، ولعل الصواب أنها جمع، مفردها فِدام بكسر الفاء، وفي أ وج والكشكول وأنوار البدرين مكانها: قدم، بقاف مثناة، والبراني، جمع برنية: أوانٍ خزفية كالجرار أو هي القوارير، وفي أنوار البدرين. والكشكول مكانها: التواني، وفي أنوار البدرين: الشموس كؤوس، وفي الهاشمي وب: الكؤس شموس، وفي ج: المؤسى شموس، وفي الكشكول: == ==

فقال الشريف العلاَّمة* نُوِّر ضريحه:

كُمَيتًا إن تُشَب بنَمِيرِ مَاءٍ   يُسَكِّن ما اعتَراها من جِماحِ [1]

فقال أبو البحر:

يُوَلِّدُ فَوقَها حَبَبًا إذا ما   تَغَشَّاها فَتَى الماءِ القَراحِ [2]

فقال الشريف قدس سره:

ويُنزِلُ مِن فَمِ المِبزالِ[3] نَبضًا   كما نَبضُ الدِّماءِ مِنَ الجِراحِ

فقال أبو البحر طاب ثراه:

بِكَفِّ مُخَضَّبِ الكَفَّينِ رَخصٍ   فَسَادِي في مَحبَّتِهِ، صَلاحِي

* * *

الكئوس شموس.

(١)الكُمَيت: الخمرة لونها بين السواد والحمرة، وفي الأصول: كميت، بالرفع، وأثبتها هنا منصوبة للفعل المتقدم «إجلُ»، أو على الحال، وتشب، بالبناء للمجهول: تُمزَج، وتُخلط، والنمير من الماء: الزاكي، والناجع في الري، وفي أنوار البدرين والكشكول مكانها: بغير، والجماح: أن يركب الفرسُ رأسَه، والرجلُ هواه فلا يثنيه أو يرده شيء، وفي الكشكول مكانها: جناح، وعجزه في متن ب: تغشيها، مكان تغشاها، والتصويب من حاشيتها.

(٢)في جميع الأصول ما عدا الهاشمي: تولد، بتاء مثناة فوقية مكان يولد، بالياء المثناة التحتية، وفيها جميعًا: حبب، مكان حببًا، والمثبت بتصرف، و صدر البيت في ب مثبت في حاشيتها، وفي ب وج: تغشيها، مكان تغشَّاها، والقراح: الماء الخالص غير المضاف.

(٣)المبزال، كذا في أ وب وج والهاشمي والسلافة، وفي أنوار البدرين والكشكول: الميزاب، ولعل الصواب: المبزل، وهي المصفاة يبزل بها الشراب أي يصفى؛ لكن الوزن يختل بها؛ فجاء بها هكذا ضرورة.

الأضداد[1]

وقال في الغزل[2]:

حَـسَّنَت غَـيَّــهُ، لَهُ، وفَـســادَه　واستَـباحَـت صَـلاحَـهُ، ورَشَـادَه
وأتاحَت[3] له الـشَّـقَـاوَةَ خَـودٌ[4]　سُمِّيَت، وَهيَ كـاسـمِـها، بسَعَادَه
ذاتُ وَجـه أهدَى[5] سَناهُ إلى البَد　رِ، وفَـرعٍ أعـدَى[6] الظَّلامَ سَـوادَه
فَـهـوَ لَيلٌ أطَلَّ فَـوقَ نَـهـارٍ　وَعَـلا[7] فَـرعَ بَانَـةٍ مَـيَّـادَه
وثَـنـايا كَـأنَّـهـا في انتِظامٍ　ما[8] على صَفحِ جِيدِها من قِلادَه
لم تُناغِ العِشـرينَ، عُمراً، ولم تُر　ضِع جَنينًا، بَل ما دَرَت ما الوِلادَه
قُل لَـهـا يا كِـتـابُ عَنِّي ولا تَـخ　شَ انتِـهـاراً تُـرِيكَهُ، أو زَرادَه[9]
أتَـرى[10] قَـتـلَهُ يَـحِلُّ بِـلا ذَنـ　بٍ ويُنسى إقـرارُهُ بالـشَّـهَـادَه؟
ويُعـاني، ما قـد علِمتِ، من الوَجـ　دِ، ويَـقـضي[11]، ولا يَـنالُ مُـرادَه؟

فأجازَهُ الشريف العلاَّمة* على الرَّويِّ والوزن، فقال:

(١) تخريجها في أ ص: ١٠٦، و ب ص: ١٦١ - ١٦٢، وج ص: ١١٥ - ١١٦، وفي الهاشمي أبيات أبي البحر وحدها ص: ٤٣، وفي أعيان الشيعة مج ١٥٧/٤: «٧» أبيات من قصيدة أبي البحر.

(٢) في الأصول: في الهزل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) في ج: واناحت.

(٤) الخود، بفتح الأول، وسكون الثاني: الشابة الناعمة الحسنة الخَلق.

(٥) في ب: اهدي، بياء مثناة تحتية مكان أهدى، بالمقصورة.

(٦) أعدى: أصاب بالعدوى، ونصب سواده لأنه مفعول ثان لأعدى.

(٧) في أ وب وج: علوا فرع، وفي الهاشمي: علوا فوق، ولا يستقيم بها المعنىّ ولا الوزن، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٨) في الهاشمي: من.

(٩) في أ: با، بباء موحدة مكان يا، بالياء المثناة، وفي الهاشمي: ولم، مكان ولا، والزرادة: الغضب، من زرد عينه، أي غضب، وتجهَّم، وفي الأصول مكانها: وازدرادة، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(١٠) في أ: أتري، بياء مثناة تحتيَّة، مكان أترى بالمقصورة.

(١١) في الهاشمي وب: ويقضى، بالمقصورة مكان ويقضي بالياء المثناة.

مَلَكَت، يَومَ ودَّعَـتـهُ، قِـيـادَه واستَباحَت أخرى اللّيالي فؤادَه[1]
أبرَزَت وَجهَها الذي لو رأى اللّـ ـهُ مَـزِيداً على سَناهُ لزَادَه[2]
وأدارَت لـواحِظًا لـو رآهـا[3] فارسٌ في السِّلاحِ أعطَى المَقادَه
ثُمَّ دلَّت[4]، على التَّجلُّدِ، قَلبًا شَبَّ فِيـه الهَـوى، وأورَى زِنادَه
أنا، يا هذهِ، جَلِيــدٌ ولكـ ـنَّ فُـؤداً تَرمِينَ يأبى الجَـلادَه[5]

* * *

(١) في أ: فراده، وفي ب وج: فواده، والمثبت بتصرف.

(٢) في أ وب: راى، بدون همزة الألف، مكان رأى، وسيرد المعنى في قول أبي البحرجـ ٢/٦٨:

كُلُّ من أعطِيَت من الحسن حظّاً ما عليـه لمسـتـزيدٍ مـزيد

والمعنى مأخوذ من قول البحتري*:

ذات حسن لو استزادت من الحسـ ـنِ اليـه لما أصـابت مـزيدا

ديوانه جـ ٢/٦١.

(٣) في أ: لو رءاها، وفي ب وج: لو راها، والمثبت بتصرف.

(٤) دلَّته: أرشدته، وفي ب وج: ذلت، بذال معجمة مكان الدال المهملة. يقول: إنها تحمل قلبَه على التجلد، وهي لا تعلم بأنه جلد بالفعل، ولكن القلب الذي ترميه بسهامها لا يبقى له جلد.

(٥) الجلادة: الجلَد، والقوة، والصبر على الأمور.

أشراكُ الطَّيف[١]

ولما كانت العلائقُ[٢] العُذريَّةُ {قُيودَ}[٣] الأنفُسِ الإنسانية، لا جَرَمَ {أن}[٤] دُفعَ أبو البحر إلى ما دُفعَ اليه غيرُه، فعَلِقَ بعضَ العلائق التي[٥] غلبه القضاءُ على مفارقتها؛ فذكر له الشريف أبو عبد الله[٦] حسين بن عبد الرؤوف الحسيني*، أنه رأى[٧] في النوم أنه، هو، وأبو البحر يمشيان، فبينما هما كذلك؛ إذ عرَضَت المشار اليها على صُورة هي في المنام أحسنُ منها في اليقَظة[٨]، فصرف الشريفُ وجه أبي[٩] البحر إشفاقًا عليه من النظر إليها، فكأنما دلَّهُ عليها، فلما اتَّصَلَت[١٠] الرُّؤيا بالشريفِ العلاَّمة*[١١] نَظَمَها[١٢] قائلاً على لسان أبي البحر[١٣]:

رأى صاحِبِي، في النَّومِ، طيفَكِ سَائراً * وقد زدتِ حُسنًا فَوقَ ما كُنتُ أعهَدُ
فَحَاوَلَ صَرفي عن طَريقِكِ خِيفَةً على رَمَقِي، إمَّا رأيتُكِ[١٤]، يَنفَدُ
فَلَم يُغنِهِ الكِتمَانُ عنِّي، ودلَّنِي شَذَاكِ[١٥]، وهادٍ من هَواكِ، ومُرشِدُ[١٦]

---

(١) تخريجها في أ ص: ١٠٦ - ١٠٨، وب ص: ١٦٢ - ١٦٥، وج ص: ١١٦ - ١١٨، وفي الهاشمي قصيدة أبي البحر وحدها ص: ٢٦ - ٢٧.

(٢) العلائق، جمع علاقة: الحب يلزم القلب، وفي ب وج: العلايق.

(٣) ساقطة من ب، وفي ج: فرد.

(٤) لا جرم: لا بد، أو لا محالة، وأضفت «أن» تكملة للعبارة.

(٥) في الأصول: الذي، والمثبت هنا بتصرف.

(٦) في الأصول: أبو عبد الرؤف، والصواب أن كنيته: أبو عبد الله، كما في أكثر المواضع.

(٧) في أ: رءاى، وفي ب ج: راى، والمثبت هنا بتصرف.

(٨) في الأصول: في اليقضة، والمثبت هنا بتصرف.

(٩) في أ: ابو.

(١٠) في الأصول: اتصل، والمثبت هنا بتصرف.

(١١) هو السيد ماجد بن هاشم الصادقي*. ترجمته في الملحق «٢» جـ ٢/٣٢٣.

(١٢) في أ وب: نظمه، وفي ج: نضمه، والمثبت بتصرف.

(١٣) زاد في أ: {قدّس سرُّه ونوَّر ضريحَه}.

(١٤) في أ: رءايتك، وفي ب وج: رايتك، والمثبت بتصرف.

(١٥) في أ: شداك، بدال مهملة، وفي ج: شلاك، بلام مكان الذال.

(١٦) هذا المعنى متداول، قال بشار بن برد*:

أقلل من الطيب إذا زرتنا إني أخاف الطيب إن فاحا
لم أدرِ أنَّ الطيب واش بنا إن جاز باب الدار سبَّاحا

==

فـأقـبَلتُ في مَنحَى[1] طَرِيقِكِ عـاثِراً   بِخَطْوي كـمـا يَمـشِي الأسِـيرُ المُقَـيَّدُ
فـأصبَحتُ كـالصَّادِي، وقـد أَمَّ حَاجَةً   فَـعَنَّ لَهُ، أثناءَ مَنحـاهُ، مَـوردُ
فـلا هُوَ أدّى حَـاجَـةً كـانَ أمَّـها   ولا قَلبُـهُ بالبـارِدِ[2] العَـذبِ يَبـرُدُ
وأصبَحتُ مَنزُوفَ[3] الفُؤادِ[4] كأنَّما   سَقَتنِي عُقـاراً، آخِرَ اللَّيلِ، صَرخَدُ[5]

قال أبو البحر، دام ظلُّه: فَشكَرتُ الشريف العلاّمة* على تَقوُّلِه عَلَيَّ، وانخراطه مَعي في كلِّ ما[6] دُفِعتُ إليهِ في جِدِّي وهَزلي، وسَعَتي وأزلي، ثم نَسَجتُ[7] على مِنواله[8]، وحَذَوت على مثاله، حاكيًا لما رآه لي ذلك المولى الأولى، وشاكراً لما سَبَقَت لي به[9] يَدُهُ الطُّولى؛ فَقُلتُ:

لَقلَّدتَنيـهـا مِنَّةً ليس تُجـحَـدُ   وأسـدَيتَـها، عِندي، يَداً، جلَّت اليَدُ
وأغـربتَ في بَثِّي الجـمِـيلَ فَلَم تَزَل   تُعـانُ على إسـدائهِ وتُؤيَّدُ[10]

== وقال أيضًا: وتـوقَ الـطـيـب لـيـلـتـنـا   إنّـه واش إذا سـطـعـا
وقال البحتري*: وكـان العـبـير بهـا واشـيًا   وجرس الحليّ عليـهـا رقـيـبا
وقال أيضًا: وحاولن كتمان الترحل في الدجى   فنمَّ بهن المسكُ حين تضـوَّعـا
وقال المتنبي*: قلق المليحة، وهي مسك، هتكها   ومـسـيـرها بالليل وهي ذكـاء
وقال الطغرائي: فسر بنا في ذمام الليل معتسفًا   فنفحة الطيب تهدينا إلى الحلل
وقال ذو القرنين أبو مطاع بن ناصر الدولة الحمداني:
هب الجبين بفضل الكم تستره   والحليَ تنزعه؛ ما الشأن بالعرق؟

راجع: ديوان بشار بن برد شرح مهدي ناصر الدين ص: ٢٦٩، و٥٥٧، وبشار بن برد « دراسة وشعر» ص: ١٣٥، وديوان البحتري جـ ١/١٠٦ - ٣٣٨، وشرح ديوان المتنبي جـ ١/١٤١ - ١٤٢، وأعيان الشيعة مجـ ٦/ ٤٣٥ - ٤٣٦، وجواهر الأدب جـ ٢/ ٤٤٠.

(١) منحى الطريق: جانبه، وفي الأصول: منحا، ولعل الصواب ما أثبتناه.
(٢) في أ: م البارد، وفي ب: بالبارذ، بذال معجمة مكان المهملة.
(٣) المنزوف هنا: السكران، وفي ب وج: فاصبحت، مكان وأصبحت.
(٤) الكلمة مطموسة في أ، وفي ب وج: الفواد، والمثبت بتصرف.
(٥) العُقار: الخمر، وصرخد: بلد بالشام* مشهورةٌ بخمورها.
(٦) في ب وج: كلما.
(٧) في ب وج: نسخت، بخاء معجمة فوقية مكان الجيم المعجمة التحتية.
(٨) في ج: مناله.
(٩) في ب وج: من.
(١٠) أغربت: أتيت بالغريب، وفي الهاشمي مكانها: وأغريت، بياء مثناة مكان الباء الموحدة، وفي أ وج: واعزبت، بعين مهملة وزاي معجمة، وبثي الجميل: بسطه لي، وكشفه، وفي ب وج مكانها: نثي، بنون موحدة فوقية ==

رايت ولوعِي بالحَـبـيبِ، ولم تَزَل تُعِينُ عليه، ما استَطَعتَ، وتُسعِدُ[1]
فمُذ عَزَّ مَرئِيًا نَصَبتَ لِطَيفِهِ، لَدَى النَّومِ، أشراكَ الكَرى تَتَصيَّدُ[2]
فَقُلتَ: «أراني النَّومُ طَيفَكَ سَائِراً* وإيَّايَ في مـا نَنتَحِيـهِ، ونَقصُدُ[3]
فَبَيـنا كَـذاكَ إذ بَدا من تُحِـبُّهُ وقد زادَ حُسنًا فَوقَ ما كنتَ تَعهَدُ[4]
وقُلتَ: لو انَّ الحُسنَ يُعـبَـدُ ربُّهُ لكانَ، لما فيه من الحُسنِ، يُعبَدُ[5]
مُـحَيًّا يُريكَ اللَّيلَ صُبـحًا، وطُرَّةٌ يَرُوحُ لَها وجهُ الضُّحى وهوَ أسوَدُ[6]

== مكان الباء التحتية، وفي ب وج: يزل، بياء تحتية مكان تزل بالتاء الفوقية.

(١) تسعد: تعين.

(٢) في أ: يتصيد، ومعنى البيت متداول، فمنه قول أبي تمام*:

طبيٌ تقنَّصتـه لما نصبت له، في آخر الليل، أشراكًا من الحلم

وقول الحيص بيص

ما زارني، قطُّ، إلاَّ كي يواقفَني على الرقـاد، فـينفيـه، ويرتحل
وما درى أنَّ نومي حيلةٌ نُصِبت لطيفه حين أعيا اليقظة الحِيَلُ

وقول ابن النقيب: نصبت جفوني للخيال حبائلاً لعلَّ خيالاً في الكرى منه يسنح
وكيف إذا أغمضتهنَّ أصيده ومن عادة الأشراك للصيد تفتح

وقول عمر بن الفارض:

نصبتُ على عيني بتغميض جفنها لزورة زور الطيف حيلة محتال
فما أسعفت بالغمض لكن تعسَّفت عليَّ بدمع دائم الصَّـوب هطَّال

ديوان الحيص بيص ص: ٢٣٧، وديوان الصبابة ص: ٧٣ - ٧٤، ووفيات الأعيان جـ ٦/٧٥، وديوان عمر بن الفارض ص: ١٧١، وتزيين الأسواق ص: ٤١٦.

(٣) ننتحيه: نذهب ناحيته، وفي ب وج: تنتحيه وتقصد، كلتاهما بتاء مثناة مكان النون الموحدة.

(٤) في أ وج: كذلك، مكان كذاك، وفي أ: بدى، مكان بدا، وفي ج: فوقما، مكان فوق ما.

(٥) مرَّ هذا المعنى في قوله جـ ١/ ٢٢٨:

لو عبد الناس غيرَ خالقهم مـا عبـدوا دون عرضهم ربًّا

وسوف يكرره في قوله جـ ٢/٦٨:

فتراءَت لو تعبد الناس وجهًا لم يكن غيرَ وجهها معبود

وقوله جـ ٢/٨٢:

لو سـاغ أن تعبد الناس امرءًا لعليً جـعلتـه، لعـلاه، الدهرَ، معبودي

وهذا المعنى من قول أبي بكر عبد الله بن محمد بن جعفر الأسكي*:

لو جاز أن يعبدَ امرؤٌ أحداً من دون ربِّ الورى إذاً عبدا

يتيمة الدهر جـ ٣/٤٨١ - ٤٨٢، وجـ ٨/٥ - ١١٣.

(٦) المحيًا: الوجه، والطُرَّة: الناصية، وما تعمله المرأة في مقدم ناصيتها كالعلم تحت التاج.

ومجدول قدَ، كالقَضيبِ، مُرنَّحٍ ... يَكادُ، من التَّهييفِ واللّينِ، يُعقَدُ (1)

ومِن بارعِ الحُسنِ البَديعِ رَوائعٌ* ... تَقُومُ لأدناها النُّفُوسُ وتَقعُدُ »

فأفلَيتَني عَنهُ لِعلمكَ أنَّني، ... مَتَى أرَهُ، لم أستَطِع أتَجلَّدُ (2)

فَلَم يُغنِ شَيئًا، ما أردتَ، ودَلَّني ... سَناهُ، ونَشرٌ عِندَهُ المِسكُ يَكسُدُ

وحَرَّكَني شَوقٌ أمالَ إليهِ بي ... كما مَالَ بالهِيمِ الخَوامِسِ مَوردُ (3)

فَعارَضتُهُ أشكُو جَفاهُ بِعَبرَةٍ ... تَمُثُّ بِها دَعوَى الغَرامِ فَتَشهَدُ (4)

وأبتُ كما آبَ امرُؤٌ أمَّ حَاجَةً ... فَرُدَّ، وما بُلَّت بِحاجَتِهِ يَدُ

* * *

(1) مرنَّحٌ: متمايل، وفي أ والهاشمي: مرنحًا، والتهييف: يريد التهيُّف، بفتح الأول والثاني، وهو ضمور البطن، ورقة الخاصرة، والمعنى منقول من قول الشاعر:

ولها بنان لو أردت له ... عقدًا بكفِّك أمكن العقد

من قصيدة تسمَّى الدعدية، أو اليتيمة مطلعها:

هل بالطلول لسائل ردُّ ... أم هل لها بتكلُّم عهد؟

وهي من عيون الشعر، لكنها، على شهرتها، تعدُّ من الشعر التائه، فقد تنازعها أكثر من أربعين شاعرًا يرجِّح بعضهم غلبة ثلاثة عليها، وهم علي بن جبلة اليمني الكندي «العكوَّك*»، وأبو الشيص الخزاعي*، ودوقلة المنبجي. راجع: ديوان العكوك ص: ١١٥، وديوان أبي الشيص وأخباره ص: ١١٧ وما بعدها، وأحلى عشرين قصيدة حب.

(2) أفليتني: صرفتني، أي حلت بيني وبينها، وأصلها من أفلاه: عزله عن الرضاع، ومكانها في الأصول: فالفيتني، وليست، في هذا المورد، بشيء، وفي الأصول: لا، مكان لم، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(3) في الهاشمي: شوقا، مكان شوقٌ، وفيه أيضًا: هام، مكان مال، والهيم، جمع هيماء: العطشى، والخوامس، جمع خامس: إبل ترعى ثلاثة أيام، وترد الماءَ في اليوم الرابع.

(4) في ب وج: اشكوا بزيادة ألف، مكان أشكو، وتمثُّ: ترشح، وفي الهاشمي مكانها: يمت، بياء مثناة تحتية بعدها تاء مثناة فوقية، وفي أ وب: يمث، بياء مثناة تحتية وثاء مثلثة فوقية، وفي ج: تميت، وفي الأصول: فيشهد، مكان فتشهد، ولعل الصواب ما أثبتناه.

أرواح في جسد[١]

قال أبو البحر: سَمَرت ليلةً، فيما كنت أسمُرُه، عند الشريفين أبي علي ماجد بن هاشم العريضي* ،وأبي عبد الله الحسين الموسوي*[٢]، فتطارحنا ذكَرَ الإخلاص والصَّفاء[٣] ، وتجاذبنا[٤] دعوى المروَّة والإخاء[٥]، حتَّى أغرَبنا[٦] في ذِكره، وأعربنا عن أمره، فقلت[٧] بديهةً:

يالَيتَ أرواحَنا الثلاثَ[٨] تَجَـ ـمَّعنَ، جَميعًا، وضَمَّها جَسَدُ!
كَمِثلِ أهوائنا الثَّلاثَةِ قد أَلَّفَها، لاتِّحادِها، كَبِدُ[٩]
أو مِثلِ أجسامِنا الثَّلاثَةِ إذ ضُمِّنَها لإتلافِها* بَلَدُ[١٠]

فأجابَنِي الشَّريفُ العلامة* إجازةً، وتَرتيلاً[١١]:

أو لَيتَ أنَّا أنامِلٌ جُمِعَت في راحَةٍ مَدَّ كفَّها عَضُدُ!

---

(١)تخريجها في أ ص: ١١١ - ١١٢، وب ص: ١٦٩ - ١٧٠، وج ص: ١٢١، وفي الهاشمي أبيات أبي البحر وحدها في ص: ٣٤.

(٢)ابن قاضي القضاة، عبد الرؤوف بن حسين الجدحفصي.

(٣)في ب وج: الصفا، بدون همزة.

(٤)في أ: وتجادبنا، بدال مهملة مكان المعجمة.

(٥)في ب وج: والاخا، بدون الهمزتين.

(٦)أغربنا: أتينا بالغريب، وفي أ: أعزبنا.

(٧)في أ: فقال.

(٨)في ب وج: الثلث.

(٩)في أ وب وج: اهواءنا، مكان أهوائنا، وفي ب وج: الثلثة، مكان الثلاثة، وفي البيت نظر إلى قول محمد بن وهيب الحميري: وكأنه روحٌ تدبِّرنا حركاته، وكأننا جسد
معاهد التنصيص جـ ١/٢٢٦.

(١٠) في ب و ج: الثلثة، مكان الثلاثة، وفي الأصول: لايتلافها، مكان لإتلافها، والمثبت بتصرف.

(١١) في الأصول: فاجابه، مكان فأجابني.

أيَعبَثُ الدَّهرُ بالثَّـلاثةِ والـ ـأناملُ الخمسُ ضَمَّهنَّ يَدُ؟[1]
فلا عَدا مثلَها، إذاً، حَسَدي! فَربَّما أدركَ الفَتى الحَسَدُ[2]

* * *

---

(١) اليد مؤنثة، وذكرها ضرورة.

(٢) في أ: عدى، مكان عدا، وعلق في ب: «هذا ينظر إلى قول ابن طباطبا (*):

خليليَّ (١ *) إنّي للثريا لحاسدٌ وإني على ريبِ(٢ *) الزمان لواجد
أيبقى جميعاً شملها وهي ستة (٣ *) وأفقد من أحببته وهو واحد؟!

وما أوقع المثل المشهور هنا: وأين الثريَّا وأين الثرى! ». انتهى التعليق. أقول: لعله نقل هذا عن الثعالبي*، وهو يضطرب في نسبتهما لابن طباطا*، ولكشاجم*، ولمحمد بن هاشم الخالدي، وللوزير المهلبي، ومعهما بيت ثالث هو: كذلك من لم تخترمه منيَّةٌ يرى عجبًا في ما يرى ويشاهد

راجع: يتيمة الدهر جـ ٤٩٨/١، وجـ ٢١٩/٢ - ٢١٩

(*) - هو أبو القاسم أحمد بن محمد الشعراني بن اسماعيل بن القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا بن اسماعيل بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنَّى بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني الرسي المصري، نقيب الطالبيين في مصر*، ومن أكابر رؤسائها، شاعر غزل، رشيق الديباجة، من مؤلفاته «عيار الشعر»، توفي سنة ٣٤٥هـ وعمره ٦٤سنة. راجع ترجمته في أنوار الربيع جـ ١٥٥/٤، ووفيات الأعيان جـ ١٢٩/١، وكشف الظنون جـ ١١٨١/٢، ويتيمة الدهر جـ ٤٩٧/١، وأعيان الشيعة مجـ ٨٣/٣، وموارد الإتحاف جـ ١٣٦/٢، وعمدة الطالب ص: ٢٠٢، والأعلام جـ ٢٠٠/١، ومعجم المؤلفين جـ ٦٢/٢، وطبقات أعلام الشيعة - القرن الرابع ص: ٤٣، والبيتان في أنوار الربيع، ووفيات الأعيان، ويتيمة الدهر، وأعيان الشيعة، وموارد الإتحاف، والبيت الثالث المذكور آنفًا ورد أيضًا في أعيان الشيعة.

(١ *) - في ب: حليلي، والتصويب من اليتيمة، ووفيات الأعيان، وأعيان الشيعة، وأنوار الربيع، وموارد الإتحاف.

(٢ *) - في اليتيمة وأعيان الشيعة: صرف، والمثبت من ب، وأنوار الربيع، ووفيات الأعيان.

(٣ *) - كذا في ب، ووفيات الأعيان، وموارد الإتحاف، وفي الأعيان وأنوار الربيع واليتيمة: سبعة، ولعله الصحيح، فالثريا هي عدة مئات من النجوم تبعد عنا بنحو ٤٠٠ سنة ضوئية، لكن المشهور منها سبعة ترى ستة منها مضيئة. راجع: لسان العرب «مادة: ثرا»، وموسوعة المورد، وقاموس المورد، و New Webster's Dictionary مادة: «Pleiades».

لا تَتَّهم(١)

وكان عند أخيه الغَنَوي* بقرية سار*(٢) لإملاء هذا الديوان عليه؛ فأبطأ عليه، وكان في شهر رمضان عند بعض علائقه* بالتلِّ من سار*(٣)، فكتب إليه الغنوي يَستَقدمُهُ، وسَلَكَ معه في ذلك، سَبيلَ الظَّرافَةِ، وكان ذلك عادَتَهُ، للسنة التاسعة عشرة بعد الألف:

قُل لأبي البَحرِ، فَقَد رابَني ... لأيِّ ما شأنٍ، بنا، لا تُلِم
أكُلُّ هذا البُطءِ في خَلوَةٍ ... تَغنَمُها من عَرَدٍ مُنثَلِم؟(٤)
لا تَخلُ، في الصَّوم، بِمَعشُوقَةٍ ... وأنتَ عُذرِيُّ الهوى، تَرتَطِم(٥)
{قَد يَجرَحُ النُّسكَ مُعاطاةُ ما ... يَجذِبُكَ الشوقُ لَهُ، فاستَقِم}(٦)
أخافُ، إن بِتَّ على مَشعَرِ الـ ... حَجِّ، إذا ما نِمتَ، أن تَحتَلِم(٧)
وأنتَ غَرثانُ إلى حاجَةٍ ... تَجهَشُ مِثلَ الشَّبَبِ المُغتَلِم(٨)
فَكيفَ إن كَشَّفتَ عن هَضبَةٍ ... بَيضاءَ مِثلَ العانِكِ المُرتَكِم(٩)
وذُقتَ ظَلماً أشِراً مِثلَما ... يَنهَلُّ ذَوبُ البَرَدُ المنسَجِم(١٠)

---

(١) تخريجها في أ ص: ١١٧ - ١١٨، وب ص: ١٧٧ - ١٧٩، وج ص: ١٢٦ - ١٢٧، وفي الهاشمي أثبتت قصيدة أبي البحر وحدها ص: ١٠٤.

(٢) سار: من قرى الناحية الشمالية الغربية من البحرين*، إلى الجنوب من قرية مقابا*، وإلى الشرق من قرية الجنبية*، وإلى الجنوب منها يقع تل سار الأثري.

(٣) يبدو أنه تل سار الأثري الذي تجرى فيه الحفريات الأثرية في العصر الحاضر.

(٤) في الأصول: البطؤ، مكان البطء، والمثبت بتصرف، وفي ب: تمتعها، مكان تغنمها، والعرَد: عضو الذكورة المنتشر، وأصلها: العَرد، بسكون الراء وبكسرها: الشديد الصُّلب.

(٥) ترتطم: تتورَّط، ونصُّ العجُزُ في ج: «وانت عذري الشوق فاستقم»، وهو مضطرب.

(٦) البيت ليس في ج.

(٧) المَشعر: الشَّعرة، وهي شَعَر العانة، وأيضاً المزدلفة؛ من مشاعر الحج، وهذا من التورية.

(٨) الغرثان: الجائع، وفي أ مكانها: عزثان، وتجهش: تنهض، والشَّبَب، من الثيران والغنم: المسن أي الذي انتهى إسنانه، والمغتلم: شديد الشبق، وهو شدَّة الشهوة الجنسية، وفي ج: المعتلم، بعين مهملة.

(٩) العانك: الكثيب المتعقد من الرمل، والمرتكم: المتراكم.

(١٠) الظَّلم: ماء الأسنان، وبريقها، وهو كالسواد داخل عظم السن من شدَّة البياض، وهنا: الريق، على الإستعارة ==

وظَلتَ تَلوِي أَسـوُقًـا نَعـمَـةً ... مِثلَ خَضيدِ العُشَرِ المُنصَرِمِ[1]
فظَلتَ من ذاك أخـا لَوعَـةٍ ... تَقَـاطَرَتْ[2] باللَّهَبِ المُضطَرِمِ
فَـصِـرْ[3] إلينا واجـتَنِب خُطةً ... تُعـقِـبُكَ الإثمَ، ولا تَـسـتَنِمِ

فحينَ نَبَذَها إليه، وجلاها عليه، أجابَ هَازلاً، وقال مُغازلا[4]:

نَصَـحتَ لِلَّه، فـلا تَتَّـهِمِ ... وجِـئتَ بالحِكمَـةِ ياذا الحِكَم
صَـدَقتَ. إنِّي رَجُلٌ رُبَّمـا ... مَـالَ بيَ الوُدُّ لِبَـعضِ الحَـرَم
وإنَّنِي أعـتَـدُّ أنسِي بأد ... ناهُنَّ، عِندي، مِن أجَلِّ النِّعَم[5]
لَكنَّنِي لَو بَرَّحَ الشَّـوقُ بِي ... وأفضَت العَشـقَـةُ[6] بي لِلعَـدَم
ثُمَّ تـوفَّـقتُ لإدراكِ مَن ... تَهُونُ عِندي فِيهِ حُمرُ النَّعَم[7]
لا أتَعَـاطَى مـا يُنافِي التُّـقَى ... في خَلوَتِي. لا، وَحَيـاتِي! قَـسَم!
مـا حَـصَلَت كَـفِّي على رِيبَـةٍ ... إلاَّ وَرَاحَت مِن يَمِـينِي سَلَم[8]
لا غَروَ، فالسَّرحـانُ قَد رُبَّمـا ... عَافَ، لأمرٍ {مَّا}، افتِراسَ الغَنَم[9]
زُمَّت بِتَـقـوَى اللَّهِ نَفـسِي، ومـا ... غَـايَةُ نَفسٍ بالتُّـقَى لا تُزَم؟[10]

== ، والآشِر، بمد الألف والأشِر بدونه، وكسر الشين: المحزّز من الأسنان، وهو من صفة جمال الأسنان، والبرَد بفتح الراء: قطَع صغيرة من الثلج تخالط المطر.

(١) في أ: تاوي، مكان تَلوي، والأسوق، جمع ساق: الأرجل، ونَعمة: ناعمة، وفي أ، مكانها: فعمة، والخضيد من الأغصان: ما قُطع شوكه، وفي أ، مكانها: خصيد، وفي ب وج: حصيد، ولعل الصواب ما أثبتناه، والعُشَر، جمع عُشَرة: شجر من العضاه فيه حُرّاق، وله صمغ، وثمرته كنفاخة القتاد الأصفر تحشى به المخاد.

(٢) في الأصول: تناصرت، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) في ج: مضر.

(٤) نبذها اليه: طرحها أمامه.

(٥) في ب: واني، ونصُّ الصدر في ج: «واني اعدل لنسى بادتاهن»، وهو مضطرب وزنًا، ومبنىً، ومعنى.

(٦) العشقة: امَّا أنّه أراد المرّة من العشق، أو أنه أراد العشق فأنثهُ تساهلاً.

(٧) في أ والهاشمي: توقعت، مكان توفَّقت، وفي ب وج: ترفعت، ولعل الصواب ما أثبتناه، وحمر النَّعم: الجمال الحمر، وهي أشرف الأموال عند العرب.

(٨) السَّلَم: الاسم من سَلِم، وإذا ترك الشيء، كما تقول: أسلمه لأعدائه، إذا تركه، وتخلّى عنه، يريد: براء.

(٩) لا غرو: لا عجب، وفي أ، مكانها: لا عزو، بعين مهملة، وزاي معجمة، والسرحان: الذّئب، والأسد، وما بين المعقوفين ساقطة من ج.

(١٠) عجُزه في متن ب: .... كنت لأخشى غير باري النسم

مـــا رَمَــضـــانٌ بِمُــبِـيــرِي، ومـــا   كُنتُ لأخْـشَى غَـيــرَ بَـاري النَّسَمْ(١)
فَــقَـــوٍّ ظَهـــراً بِي فَـــإنِّي امـــرُؤٌ   أجـــتَنبُ الإثـمَ، وأخـــشَى اللَّمَمْ(٢)
أإن(٣) تـأخَـــرتُ لأمـــرٍ، ومـــــا   زلَّت بـهِ، عِنـدَكَ، منِّـي القَـــــدَم
حَـــــمَلْتَنِي، ظَنًّا، علـى خُطَّـةٍ   شَنعَـــاءَ، تَزَّاوَرُ(٤) عَنهـــا الشِّـيَم
فـــاسْــتَـغْــفِــرِ اللَّهَ لأمـــرٍ جَـرَى   بِهِ عَلَيَّ، اليَــــومَ، مِنـكَ القَـلَم(٥)
ودُم، دَوامَ الدَّهـرِ يـا خَــيـــرَ مَن   يَهجُرُ «لا»، قَولاً، ويَهوَى «نَعَم»(٦)

* * *

(١) مبيري: مهلكي، والباء باء الجر، وفي الأصول: بمبرى، ولا يستقيم بها المعنى، ولعل الصواب ما أثبتناه، وفي أ: عيز، مكان غير، وفي ج: لاختي غير.

(٢) في ج: فقف، مكان فقوِّ، وفي أ وب وج: امرء، مكان امرؤ، واللمم: صغار الذنوب.

(٣) في الهاشمي: أئن، وفي أ: ءان، وفي ب وج: اءن، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٤) تزّاور، مشددة الزاى لإدغام إحدى التاءين في الأخرى: تتجافى، أي تميل، وتنحرف.

(٥) في الهاشمي: العلم.

(٦) في متن ب: يجهر، ويقصد بنعم، هنا، في العطاء كناية عن الكرم، وهذا معنى أكثر الشعراء من تداوله، قال الفرزدق* يمدح علي بن الحسين زين العابدين (ع):

مـــا قـــال لا قط الأ في تشـــهـــده   لو لا التـــشـــهـــد كـــانت لاءَه نعم

وقال حازم القرطاجي:

أدام قـــول نعم حـــتى إذا اطَّردت   نعماءُ، من غير وعدٍ، لم يقل نعما

وقال آخر: كـأنّك في الكتـاب وجـدت «لاءً»   مـــحـــرَّمـــةً عليكَ فـــمـــا تحُلُّ

ومنه قول عزِّ الدين بن علي بن الحسين الموصلي:

ألم تر الجود يجري في يديه؟ ألم   تســمعِ مناســبــة في قــوله نعم؟

وقول إحدى الشواعر: تحلو نعم عنده ســمـــاعًـــا   ولم تدرِ قطُّ «لا» بفـيـــه

وقول داود بن سلم التميمي:

لم يدر ما «لا»، وبلى قد درى   فعافـها، واعتاض عنها «نعم»

وقول المتنبي*:   فإن تقل «ها» فعادات عرفت بها   أو «لا» فإنَّك لا يسخو بها فوكا

وقول أبي العتاهية: وإنَّ الخليفـة من بغض «لا»   اليـــه ليـــبـــغض من قـــالهـــا

وقول علي بن جبلة «العكوَّك*» وليس في ديوانه:

ما خط «لا» كاتباه في صحيفته   كما تُخطَّط «لا» في سائر الكتب

وقول أبي محمد الخازن يمدح الصاحب بن عباد*:

نعم، تجنَّب لا يوم اللقاء كما   تجنَّب ابنُ عطاء لثـــغـــة الراء

العقد الفريد جـ ٣٨/٤، وديوان الفرزدق جـ ١٧٩/٢، وأنوار الربيع جـ ٣٦٧/٣ - ٣٦٨، وذيل الأمالي ص: ١٣٠، وديوان المتنبي ص: ٦٢، وشرحه جـ ١١٩/٣، ووفيات الأعيان جـ ٨/٦ - ٩، وديوان حازم القرطاجي.

الدوبيت

رَدِّي الماضي(١)

وقال في بحر الدوبيت(٢)، وهو وزن خارج عن أوزان العربية، وأظنه من موضوعات العجَم، وهو مما تُمتَحن(٣) بنَظمه النفس، لأنّه لا يكون الأ بيتين، فما ذا عساه يَسَعُ من المعاني التي(٤) يُكتَفى {بها}(٥)، ويُسكَتُ عندها، بحيث لا تَتُوق النفس بعدهما لشيء، وقد تَقَدَّم من المتأخرين ناسٌ مثلُ الصفي الحلي*(٦)، والحاجري(٧)، وغيرُهما في هذا الباب، وذلك للسنة الحادية بعد الألف:

يا مَن جَرَحَت حُشَاشَةَ المُشتاقِ ظُلمًا بِشَبا صَوارِمِ الأحداقَ(٨)
لَم يُبقِ هَواكَ فيَّ إلاّ رمَقًا رُدِّي الماضي، أو اذهَبي بالبَاقي(٩)

---

(١) تخريجه في أ ص: ٨١ – ٨٢، وب ص: ١٣٠ – ١٣١، وج ص: ٩٤، والهاشمي ص: ٧٩، وأعيان الشيعة مجـ ١٥٨/٤.

(٢) عن الدوبيت؛ انظر جـ ٣٤٢/١.

(٣) في الأصول يمتحن، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٤) في أ: الذي يكتفي، وفي ب وج: الذي يكتفى، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٥) ساقطة من أ.

(٦) الصفي الحلي هو: صفي الدين بن عبد العزيز بن سرايا، يتَّصل نسبه بعبد الله بن العريض السنبسي الحلي الطائي، يُعد أشهر شعراء العصر المنغولي، عرف، إلى جانب أدبه، بالشجاعة والبأس، ولد في الحِلّة* بالعراق* سنة ٦٧٧هـ، ونشأ فيها، شارك في الحروب التي وقعت بين أهل هولاكو في نزاعهم على السلطة، قال عنه ابن شاكر: «شاعر عصرنا على الإطلاق»، رحل إلى ديار بكر* فمدح ملوكها الأرتقيين، ونال حظوة عندهم، ثم اتصل بالسلطان المؤيد اسماعيل بن أيوب، ومدحه، ورحل إلى مصر*، ومدح سلطانها الملك الناصر، وجُمع ديوانه في مصر* بأمر من ناصر الدين محمد بن قلاوون رئيس وزراء السلطان الناصر*، ثم عاد إلى ماردين، وتوفّي في بغداد سنة ٧٥٠ هـ أو ٧٥٢. راجع: مقدمة ديوانه، وتاريخ الأدب العربي لفروخ جـ ٥٢٦/٣، وفوات الوفيات جـ ٣٣٥/٢، وتاريخ آداب اللغة العربية جـ ١٣٥/٢، ومعجم المؤلفين جـ ٢٤٧/٥، وروضات الجنات جـ ٨٠/٥ – ٨٣، وأعيان الشيعة مجـ ١٩/٨، والأعلام جـ ٤١/٤.

(٧) الحاجري: هو عيسى بن سنجر بن بهرام بن جبريل بن خمارتكين بن طاشتكين الإربلي، ولد في أربيل* سنة ٥٨٢ هـ، أديب وشاعر، كان جنديًا من أولاد الجنود الترك، اعتقل في قلعة خفتيد، ثم نقل منها إلى قلعة اربيل، وعندما خرج من معتقله بعد سنة ٦٢٦هـ؛ التحق بخدمة الملك مظفر الدين أبي سعيد كوكبوري صاحب اربيل، وغير لباسه، وتزيًا بزي الصوفية، وبعد وفاة مظفر الدين* غادر اربيل*، ثم عاد إليها، وكان فيها من يترصَّده، فوثب عليه، وقتله سنة ٦٣٢هـ. راجع: تاريخ الأدب العربي لفروخ جـ ٥٢٦/٣، ووفيات الأعيان جـ ٥٠١/٣، وبروكلمان جـ ١٧/٥، ومعجم المؤلفين جـ ٢٥/٨، والأعلام جـ ٢٨٧/٥.

(٨) الحُشاشة: روح القلب، وبقيَّة الروح في المريض والجريح، ورمق من حياة النفس، والشبا، جمع شباة: حدُّ ما يقطع من السيف، والصوارم، جمع صارم: صفة للسيوف القاطعة أقيمت مقام الموصوف.

(٩) الرمق: بقيَّة الروح، ونصُّ العجز في الهاشمي:

.... ردي لي الماضي، أو اذهبي بالباقي ==

رُدَّني للعدم(1)

وكرَّر المعنى طاب ثراه:

يا مَن بهَواهُ سِيطَ(2) لَحمِي، ودَمِي　　لا نالَكَ مـــا تَراهُ بِي من ألمِ
إن لم تَهَب الحَياةَ، في وَصلِكَ، لِي　　فـامنُن، كَـرَمًا، ورُدَّني لِلعَدَم(3)

* * *

== وفي متن ب: .... ردي الماضي، أو اسمحي بالباقي
وفي ج: .... ردي الماضي، واسمحي بالباقي
وسوف يكرر المعنى في قوله من الدوبيت التالي جـ ١/٣٩٢:
إن لم تهب الحياة في وصلك لي　　فـامنن، كـرمًا، وردَّني للعـدَم
وقوله شعراً جـ ١/٤١٩:
ردُّوه أحيَ بردِّه، أو فالحقوا　　كلّي به. فالحيُّ لا يتبعَّض
وفي البيت نظر إلى قول المظفَّر بن كيغلغ:
عبدك أمرضته فعده　　أتلِفه إن لم تكن ترده
و قريب منه قول إبراهيم بن المهدي:
ما زلت مذ كلفِت نفسي بحبكم　　كلّي بكلّك مشغول ومرتهن
أمالي القالي جـ ١/٢٢، و ٢٢١، ومعاهد التنصيص جـ ٣/٢٩.

(١) تخريجه في أ ص: ٨٢، وب ص: ١٣٢، وج: ٩٤، والهاشمي ص: ١٠٩، وأعيان الشيعة مجـ ٤/١٥٨.

(٢) سيط: بالبناء للمجهول: خلط.

(٣) في الهاشمي وأ وب وج: الحيوة، مكان الحياة، وهي صورة التنخيم، أي الإمالة إلى مخرج الواو، الا إذا أضيفت، لكنَّهم أصبحوا يكتبونها الآن بالألف مطلقًا؛ فأثبتها هنا من الأعيان جريًا على الإستعمال الشائع، وقد مر معنى البيت في قوله جـ ١/٣٩١:
لم يُبقِ هواكِ فيَّ إلاَّ رمَقًا　　ردِّي الماضي أو اذهبي بالباقي
وسيعيده في قوله شعراً ص ٤١٩:
ردُّوه أحيَ بردِّه أو فالحقوا　　كلّي به فالحي لا يتبعَّض
وفي البيت نظر إلى قول المظفَّر بن كيغلغ:
عبدك أمرضته فعده　　أتلِفه إن لم تكن ترده
و قريب منه قول إبراهيم بن المهدي:
ما زلت مذ كلفِت نفسي بحبكم　　كلّي بكلّك مشغول، ومرتهن
أمالي القالي جـ ١/٢٢، و ٢٢١، ومعاهد التنصيص جـ ٣/٢٩.

خطأ أم عمد؟[1]

وقال، أيضًا، طاب ثراه[2]:

يا مُـحـرِقَ مُـهـجَـتي بِنَـارِ الصَّـدِّ   هَل عن خَطأً[3] قَتلُكَ لي، أم عَمدِ؟
إن كُنتَ أَمِنتَ مِن دَمي طالِبَــهُ   فــاللّهُ[4] مُطالِبٌ بِثــأرِ العَــبـدِ

* * *

(١) تخريجه في أ ص: ٨٢، وب ص: ١٣٢، وج: ٩٤، والهاشمي س: ٣١، وأعيان الشيعة مج ١٥٨/٤.
(٢) زاد في أ: هذه الأبيات يقول.
(٣) في أ وج: خطا، ألفها بلا همزة.
(٤) في ج: قامة، مكان فالله.

إعدل ولا تعذل[1]

وقال، أيضاً، طاب ثراه:

لا بُورِكَ في العَذُولِ! مالي ولَهُ؟   كم يَعذِلُني؟ ألهاهُ عَنِّي الوَلَهُ؟[2]
لو يَعــذُرُني لَسَــاغَ أن أبدلَهُ   ما أعدلَهُ! مَكانَ ما أعذلَهُ![3]

* * *

(١)تخريجه في أ ص: ٨٢، وب ص: ١٣١ - ١٣٢، وج ص: ٩٤، والهاشمي ص: ٩٤.
(٢)العذول: كثير الملامة، وفي ج: لم، مكان كم، والوَلَه: شدّة الحزن. يدعو على العذول بأن يبتلى بالوله فيلهيه عن عذله.
(٣)ما أعدله: ما أكثر عدله أي إنصافه، وما أعذله ما أكثر ملامته، وكلتاهما في أ بدال مهملة.

أيَّام أمِّ الحصم(١)

ومما يلحق بالمجون ما قاله في بحر الدوبيت* يصف مجلساً مرَّ له بأم الحصم(٢) من أوال* من البحرين* للسنة السابعة بعد الألف(٣):

لا يَومَ كَيَومِنا بأمِّ الحَصَمِ حَيثُ(٤) التَفَتَت لنا وُجُوهُ النِّعَمِ
والقَهوةُ تَسعَى مِن يَمينٍ لِفَمِ في طائفَةٍ* غُذُوا بِحُسنِ الشِّيَمِ(٥)

* * *

(١) تخريجه في أ ص: ١٢٣ - ١٢٤، وب ص: ١٨٦، وج ص: ١٣٢، والهاشمي ص: ١٠٥.

(٢) الحصم، والفصيح الحصيم: صغار الحصى، وأم الحصم: قرية من قرى البحرين* في طرف الساحل الجنوبي الشرقي من جزيرة أوال*، غرب الغريفة، وجنوب شرق الماحوز، هي الآن من أحياء المنامة*. راجع: عقد اللآل ص: ٣٠، وخارطة البحرين نشر وزارة الإعلام بدولة البحرين.

(٣) زاد في أ: فقال.

(٤) في ب وج: حين.

(٥) في الأصول: لفمي، مكان لفم، ولعل الصواب ما أثبتناه، وفي أ: بطايفة، مكان في طائفة، وفي الهاشمي وج: غدوا، بدال مهملة مكان غذوا، بالذال المعجمة، وفي ج: بحر، مكان بحسن.

سبب الحزن(١)

وقال يَصِفُ مجلساً مرَّ له بالمنامة* (٢):

يالَيلَةَ أنسِنا بأعلَى القَـصـرِ(٣) سَقـيًا لكِ مِن بَينِ لَيـالي الدَّهرِ(٤)
العُـمـرُ، سِـواكِ، ضَـاعَ منِّي هَدَراً لولاكِ لما أحـزَنَ(٥) فَـوتُ العُـمـرِ

* * *

(١)تخريجه في أ ص: ١٢٤، وب ص: ١٨٦، وج ص: ١٣٢، والهاشمي ص: ٦٦.

(٢)المنامة*، ولعل أصلها المنعَّمة، بقرينة بعض الأسر فيها تعرف بآل المنعمي، نسبة إليها، لكن العجم* حرفوها لعدم وجود حرف العين في لسانهم، ثم غلب هذا التحريف عند العرب* أيضاً: مدينة تقع في أقصى الشمال الشرقي من جزيرة أوال*؛ كبرى أرخبيل جزر البحرين*، عاصمة مملكة البحرين* في العصر الحاضر. أنظر خارطة البحرين، نشر وزارة الإعلام بدولة البحرين.

(٣)في ج: القص.

(٤)في الهاشمي: القدر.

(٥)في ب وج: احرت.

الشوقُ والحنين

كفى حزنًا(١)

وكان سببُ اتِّصاله بمحروسة شيراز*؛ أنّه بعد أن فتح الأمير الكبير كمال(٢) الدين بن يحيى الكردي الفيروزأبادي*(٣)، بلَّ ثراه، البحرين*، وكشف عنها من كان فيها من الإفرنج*(٤)، ومن انضمَّ إليهم من الأعراب*(٥)، وقَفَل الأمير راجعًا؛ عرض من أهل البحرين* رفعُ ما جرى من الأمور التي ينغِّص ذكرُها، إلى الجهة الخانية*(٦)، فتوجَّه الشريف أبو عبد الله الحسين بن عبد الرؤوف*، {هو}(٧)، والمشار إليه صحبة ذلك الأمير حتى شيراز*، وعرضوا على الحضرة الخانية* ذلك، فبلَّغهم السول، وأنالهم المأمول(٨)، وتوجه الشريف إلى ناحية الدورق*، وتأخر أبو البحر، فتشوَّق إلى سكنه، وتَرِحَ(٩) إلى وطنه، فقال:

سَلامٌ يُغادِي جوَّكُم، ويُراوِحُه ... ونَشرُ ثَناءٍ تَنتَحِيكُم رَوائحُه* (١٠)

---

(١) تخريجها في أ ص: ٧٥ - ٧٦، وب ص: ١٢٢ - ١٢٥، وج ص: ٨٨ - ٩٠، والهاشمي ص: ٢٢ - ٢٣، وسلافة العصر ص: ٥٣٩، ومنها في أعيان الشيعة مج ٤/١٦٦« ٢١ » بيتًا، ولم تذكر هذه المصادر تاريخ القصيدة إلاّ أنّ نصًا ورد في مقدمة قصيدة مؤرَّخة في سنة ١٠١٢هـ تلي هذه القصيدة يقول: «وقال في قابل تلك السنة، وهي الثانية عشرة بعد الألف»، واستنادًا إلى هذا النص يمكن اعتماد سنة ١٠١١هـ تاريخًا لهذه القصيدة، يضاف إلى ذلك أن المصادر الغربية تذكر قيام الشاه عباس الصفوي* بطرد البرتغاليين* من البحرين* سنة ١٦٠٢م، وهذه السنة تصادف سنة ١٠١١هـ. راجع: الخليج، ويلسن ص: ٢٤٤.

(٢) في ب وج: جمال الدين.

(٣) لم أقف له على ترجمة.

(٤) يقصد بالإفرنج: البرتغاليين*.

(٥) تكشف هذه العبارة عن مساندة بعض البدو* للبرتغاليين* في احتلالهم الخليج*، وخصوصًا البحرين*.

(٦) يريد بالجهة الخانية: الخان، وهو لقب تشريف، وهنا رتبة حاكم الولاية، ويفهم من هذه الإشارة أن المقصود مسؤول في رتبة «خان»، وهو في تلك الفترة إمام قلي خان* والي مقاطعة فارس* في عهد الشاه عباس الأول الصفوي* الملقب بالكبير، قاد الحملة ضد البرتغاليين* في هرمز* سنة ١٦٢٢م، وتغلَّب عليهم، وخاض ضدهم عددًا من الحروب في البصرة* عند لجوئهم إليها، بعد خسارتهم هرمز*، وتحالفهم مع الأتراك*، ومن مآثره مدرسة للعلوم الدينية في شيراز* تعرف بمدرسة الخان*، ويتبعها بعض المرافق الموقوفة عليها، وقد حرر وثيقة وقفها السيد ماجد بن هاشم الصادقي*. راجع: الخليج العربي. ويلسن ص: ٢٥٢ وما بعدها، وأربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص: ١٣١ - ١٣٣، وأنوار البدرين ص: ٨٧.

(٧) في أ: وهو المشار إليه، وفي ج: والمشار إليه، والمثبت من ب.

(٨) السول: لغة في السؤال، وفي ج: فبلغهم السؤال، وانالهم المطلوب.

(٩) ترحَ: غَمَّ، وحزِنَ لفراقه، في ب وج: إلى سلنه، وترنح إلى وطنه.

(١٠) في أ: حركم، مكان جوكم، ويغادي: يباكر، أي يأتي غدوةً، والغدوة ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس، ويراوحه: يأتيه رواحًا، أي عشاءً، والنشر: الريح الطيبة، وتنتحيكم: تتجه ناحيتكم، وفي ج مكانها: ينتحيكم.

ولا زالَ مَرفُوعُ الدُّعاءِ يؤمُّكُم[1] على كاهلِ البَرقِ الشَّمالِيِّ صَالحُه
أأحبابَنا، والمرءُ يا رُبَّما دَعا أخا النَّأيِ إن ضَاقَت عليه مَنادحُه[2]
هَل الدَّهرُ مُدنيني إليكُم، فبردُ لَهيبَ اشتياقٍ يُرمِضُ[3] القَلبَ لافحُه ؟
ومُحمَرُّ دَمعٍ كلَّما هَتَفَت به دَواعِي هَواكُم أقرَحَ الجَفنَ سَافحُه[4]
كَفى حَزَنًا أنِّي بشِيرازَ* مُفرَدٌ أباكِرُ ما يُضنِي الحَشا، وأراوِحُه[5]
وفَرطَ هُمُومٍ لو تَضَيَّفنَ يَذبُلاً تَضاءَلَ، واستَعلَت عليه أباطحُه[6]
وشَوقًا لو استَجلَى سَناهُ أخُو الدُّجَى لأغناهُ عَن ضَوءِ المَصَابيحِ قَادحُه[7]
{وعَينًا يُرينِي جَفنُها في اختِلاجِه مِن الضُّرِّ ما يَستَرحِلُ الصَّبرَ فادحُه}[8]
وأشياءَ ضَاقَ النَّظمُ عنها، وبَعضُها يَلُوذُ بظلِّ الإستِقالَةِ شَارحُه[9]
غدا[10]، وَهوَ عُنوانُ الحَوادثِ، فاستَوَى لَدَيه، به، خَافِي البَلاءِ، وَواضِحُه
أحِنُّ فَلا ألقَى سِوَى هاتفِ الضُّحَى يُطَارِحُنِي شَكوَى النَّوَى، وأطارِحُه[11]

---

(١) في الهاشمي: يأمكم، وفي ج: يامكم.

(٢) في أ: ءأحبابنا، مكان أأحبابنا، وفي ب وج والهاشمي: ءاحبابنا، وفي الهاشمي والسلافة: دعى، مكان دعا، وفي أ: دعي، بياء مثناة بدل المقصورة، والمنادح، جمع مندوحة: السعة والفسحة، وفي أ مكانها: مفادحه.

(٣) يُرمض: يحرق.

(٤) في أ وب وج والهاشمي والأعيان: ومجمد، مكان ومحمر، وفي السلافة: ومجمع، ولعل الصواب ما أثبتناه، وفي الهاشمي: لاقحه، بقاف مثناة مكان لافحه، بالفاء الموحدة.

(٥) في الهاشمي: حزن، مكان حزنًا، وأراوِحُه: آتيه رواحًا، أي عشاءً، وفي ج مكانها: ارواحه، بتقديم الواو على الألف، وفي السلافة: أرايحه.

(٦) في الهاشمي وأ: وفرد، مكان وفَرط، وفي الأعيان: وحلف، وتَضَيَّفنَه: نَزلنَ به، كضِفنَه، وفي أ مكانها: نصيفن، وفي الهاشمي: يضيفن، وفي السلافة: تضيفون، والمثبت من باقي الأصول، ويذبل: جبل مشهور بنجد* بالجزيرة العربية* قريب من البحرين*، والأباطح، جمع بطيح وبطحاء وأبطَح: سيل واسع فيه رمل، وحصى دقيق. راجع: معجم البلدان، وصفة جزيرة العرب ص: ٢٩٤، وديوان امرئ القيس ص: ٢٦.

(٧) في السلافة: ثناه، مكان سناه، وفي الهاشمي وأ: الدجا، مكان الدجى، وفي ب وج: ضوّ، بتشديد الواو، وحذف الهمزة، مكان ضوء، وفي السلافة: المصابيخ، بخاء معجمة مكان المصابيح، بالحاء المهملة.

(٨) البيت محذوف من الأعيان والسلافة، وفي باقي الأصول: تريني، مكان يريني، والمثبت هنا بتصرف، وفي أوب وج: الصبر، بصاد مهملة وباء موحدة تحتية، مكان الضر، ويسترحله: يحمله على الرحيل.

(٩) الإستقالة: طلب الإقالة، وهي في الأصل فسخ البيع، وهنا الإستعفاء، وترتيب البيت في الأصول «١١»، وقدمته هنا مراعاة للسياق.

(١٠) في أ: ندا.

(١١) في الهاشمي والسلافة والأعيان: ألفي، مكان ألقى.

يُقَطِّع آناء[1] النَّهَـــارِ بِنَوحِهِ | إلى أن يَرى وجهَ الظَّلامِ يُصافِحُه
وإنَّ لَهُ، بَعْــدَ الهُــدُوءِ، لَعَـولَةً | وأخرى، وأشجى، النَّوحِ ما لَجَّ نائحُه[2]
شَكا وَحشَتَي سِجنٍ، ونَأي، فأجهَشَت | لَه، رِقَّــةً مِـمَّــا تُجِنُّ، جَــوارِحُــه[3]
يَكادُ، إذا هَزَّ الجَناحَ فَـــخَــــانَهُ، | تُقَضُّ، بِتَرجِيعِ الحَنِينِ، جَوانِحُـه[4]
خَــلا أنَّهُ ذُو رِقَّــةٍ فَـمَــتَى دَعــا | تُجِبهُ، على قُربِ المَكانِ، صَوادِحُه[5]
وإنِّي، إذا ما اشتُقتُكُم، حَالَ دُونَكُم | وَدُونِيَ غِيطانُ الفَلا، وصَحاصِحُه[6]
ومُلتَطِمُ الأمـواجِ مـا عَـبِـثَت بِه | يَدُ الرِّيحِ الاَّ وامتَطَى[7] النَّجمَ طافِحُه
على أنَّهُ في السِّجنِ أرغَدُ عِيشَةً | ولا يَستَوِي دَانِي القَرِينِ ونازِحُه[8]
يَشُنُّ عَلَيَّ البُـعـدُ غـاراتِ جَـورِهِ | وتَهتِفُ بِي مِن كُلِّ فَجٍّ صَوائِحُه* [9]
لَه الغَلبُ. فَلَيثنِ الأعِنَّةَ مُـبـقِـيًا | عَلَيَّ، فَما عِندي جُنُودٌ تُكافِحُه [10]
ولا المُفـرَدُ العَـانِي يَهُـزُّ رِمَـاحَـهُ | لِطَعنٍ، ولا تُنضَى لِضَربٍ صَفَائِحُه* [11]

---

(١) آناء النهار: ساعاته، وفي أ: «اناء».

(٢) الهدوء: الهُدء، وهو من الليل أوّله إلى الثلث، وفي الأصول مكانها: الهدو، والعولة: العويل، وفي السلافة: أجزى مكان أخرى، والمثبت من باقي الأصول، ولجَّ: ألحَّ وتمادى، وفي أ وب وج والسلافة مكانها: لح.

(٣) في أ: شكى وحشتا، مكان شكا وحشتَي، وفي ب وج: شجن، بشين معجمة مكان سجن، بالسين المهملة، وأجهَشَت بالبكاء: همَّت به، وتهيأت له، وفي السلافة مكانها: أجرشت، وتجن: تخفي، وتستر، وفي أ مكانها: تحن، وفي الأعيان والسلافة والهاشمي وب وج: يحن.

(٤) في السلافة: الى، وتُقضُّ بالبناء للمجهول: تُدقُّ، وتحطم، وفي الهاشمي وأ مكانها: تقص، بالصاد المهملة، وفي ب وج: تنفض، بالفاء الموحدة، والضاد المعجمة، وفي السلافة: تغص، بغين معجمة، وصاد مهملة، والجوانح، جمع جانحة: الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر.

(٥) في أ وب وج والسلافة: رفقة، مكان رقَّة، وفي الأعيان: رفعة، وفي الهاشمي وأ: دعى، مكان دعا.

(٦) الغيطان، جمع غائط: المطمئن - المنخفض - الواسع من الأرض، وفي السلافة مكانها: غيلان، والفلا، جمع فلاة: الصحراء المقفرة لا ماء فيها، والصحاصح، جمع صحصح، وصحصاح، وصحصحان: الأرض الجرداء المستوية، ذات حصى صغار ليس بها شجر، ولا قرار للماء.

(٧) امتطى: ركب، وفي أ: امتطا.

(٨) في الهاشمي وب وج: عيشه، بهاء مهملة، مكان عيشة، وفي الهاشمي: نأى القرين، مكان داني القرين، وفي ب وج: داني القريب.

(٩) في ج: عارات، بعين مهملة مكان غارات، بالغين المعجمة، والفجُّ: الطريق الواسع الواضح بين جبلين، وفي ب مكانها: جو، وفي ج: حق.

(١٠) الغَلب، بفتح أوّله، وسكون ثانيه: الغَلَبة، والنصر، والأعنَّة، جمع عِنان: سير اللجام الذي تربط به الدابة.

(١١) العاني: الأسير، وفي ج مكانها: الغاتي، بغين معجمة مكان العين المهملة، وتاء مثناة مكان النون المفردة، وفي الهاشمي: بطعن، مكان لطعن، وتنضى تسلُّ، وفي الهاشمي مكانها تنظى، بظاء مشالة، مكان الضاد، وفي ==

سَقَى جُدَّحَفصٍ* الغَيثُ سَحًا، وَلَو سَما لَها الدَّمعُ أغناها، عَن الغَيث، راشِحُه[1]
ولا زَالَ خَـفَّـاقُ النَّسِـيمِ، إذا سَـرَى عَليـلاً، يُمَـاسِي جَـوَّها[2]، ويُصـابِحُـه
بِلادٌ أقـامَ القَلبُ فِـيـهـا فَلَم يَـزلْ وإن طَمَحَت بـالجِسمِ عنها طَـوامِحُه[3]
هل اللّهُ مُـسـتَـبقٍ ذَمـايَ بِعَـودَةٍ إليها تُرِيني العَيشَ قد هَشَّ كالِحُه[4]
ويُصبحُ هذا البُعدُ[5] قد رِيضَ صَعبُهُ وأمكَنَ مِن فَـضلِ المَقَـادَةِ جَـامِـحُـه

* * *

قال: لمَّا أنشَدتُ[6] الشريف العلاَّمة* هذه القصيدة أعجبَ بها، وألحقها بشعر أبي عبادة[7]؛ الوليد بن عُبَيد البحتري*[8]. قلت: وليست هذه القصيدة مما يُفرِّق بينها وبين أشعاره العاديةِ، وليس أحدٌ في عصرنا من يَشُقُّ غُبار أبي البحر في جَودة السَّبك، وجزالة اللفظ، وبَكارة المعنى، وسلامة النظم.

* * *

== السلافة: تنضي، بياء مثناة، وفي أ: نتضي، النون مقدمة على التاء، وفي ب وج: ينضى، ولعل الصواب ما أثبتناه، والصفائح جمع صفيحة: السيف العريض، وفي السلافة: الضروب صفائحه، مكان لضربِ صفائحه، وفي الهاشمي وب وج: لضرب صفايحه.

(١) الجدُّ، في الأصل: البئر، وحفص علم أضيف إليها، وهي عند الهاشمي*: «قرية من قرى البحرين* تبعد عن المنامة* - العاصمة اليوم - خمسة أميال». راجع: الهاشمي ص: ٨. كانت، قديمًا، عاصمة البحرين*، وهي، في الوقت الراهن، غربي المنامة*، ومن أحيائها، إلى الشمال منها قرية مروزان، وإلى الجنوب قرية المصلى*، وإلى الشرق قرية عين الدار. راجع: المنجد في الأعلام، وعقد اللآل ص: ٢٤، وخارطة البحرين، نشر وزارة الإعلام بدولة البحرين، وسحًا: صبًا، وسما: شخَصَ، أي ذهب، أو رجع، ولعلَّه يريد لو بلغها دمعه لأغناها عن المطر.

(٢) في أ: حرها.

(٣) طمحت به: ذهبت، والطوامح، جمع طامح: النافرة الجامحة، وهنا طمحات الدهر، أي شدائده، ونص العجز في الأعيان: وإن طوَّحت بالجسم، عنها، طوائحه ....

(٤) الذَّماء: بقية الروح، وفي الهاشمي والسلافة والأعيان: ذمامي، مكان ذماي، وفي أ وب وج والسلافة والهاشمي: يريني الدمع، مكان تريني الدهر، والمثبت بتصرف، وهش، تبسَّم، والكالح: المفرط في العبوس.

(٥) في الهاشمي: النبض.

(٦) في ج: انشد.

(٧) في ب وج: ابن أبي عبيدة.

(٨) ابن يحي بن عبيد بن شملال الطائي، أديب، وشاعر مشهور، فصيح، ولد سنة ٢٠٦ هـ ٨٢١ م بمنبج* من أعمال حلب، وبها نشأ، وقال الشعر، إتصل بأبي تمَّام في حمص؛ فعرض عليه شعره، فأعجب به، وأوصى به أشراف المعرَّة فأكرموه، ثم قدم بغداد، فمدح جعفراً المتوكل، ونال حظوة لديه، ثم عاد، في خلافة المعتز، إلى منبج، وبها مات بالسكتة سنة ٢٨٤هـ ٨٩٧ م، له ديوان شعر في جزئين، وله الحماسة، ومعاني الشعر. راجع: وفيات الأعيان ج ٢١/٦، ومعجم الأدباء ج ٢٤٨/١٩، وشذرات الذهب ج ٨٦/١، وبروكلمان ج ٤٨/٢، وأدباء العرب ج ٢١٢/٢، وتاريخ الأدب العربي لفروخ ج ٣٥٧/٢، والزيَّات ص: ٢٩٤، وطه حسين ج ٢/ ٣٥٤، وللتوسع راجع: عبث الوليد، والموازنة بين أبي تمام والبحتري، وللمراجع: معجم المؤلفين ج ١٣/ ١٧٠.

شرف الألقاب(١)

وقال، وهو بشيراز* من قابل تلك السنة، وهي الثانية عشرة بعد الألف، حين عاد متوجّهًا إلى خراسان*(٢)، وبعث بها إلى أهله بالبحرين*، قُدِّس سرُّه ونوِّر ضريحه:

يا مَن نَأت بِهِمِ الدِّيارُ فأصبَحُوا — مُستَوطِنِينَ، على النَّوى، الألبابا
إن تُكسِبِ الألقابُ مَن يُدعَى بِها — شَرَفًا؛ فَقَد شَرَّفتُمُ الألقابا(٣)
فارَقتُكُم، فَجَعَلتُ زَقُّومَ الأسَى — زاداً، وغَسَّاقَ الدُّمُوعِ شَرابا(٤)
أكذاكَ كُلُّ مُفارِقٍ؟ أم لَم يَكُن — قَبلِي مُحِبٌّ فارَقَ الأحبابا؟
يا مُنتَهَى الآرابِ، هذي مُهجَتِي — قد قُطِّعَت، مِن بَعدِكُم، آرابا(٥)

(١) تخريجها في أ ص: ٧٧ - ٧٨، وب ص: ١٢٥ - ١٢٦، وج ص: ٩٠ - ٩١، والهاشمي ص: ٧ - ٨، ومنها في أعيان الشيعة مج ١٦٦/٤ - ١٦٧ «١٣» بيتًا.

(٢) خراسان: ومعناها بالفارسية: مشرق الشمس، أو بلاد الشمس المشرقة، تقع في آسيا*، بين نهر أمودريا، في الشرق والجنوب، وجبال هندوكوش «Paropmisus» جنوبيًا، وإقليم فارس* غربًا، وتمتدُّ إلى بلاد ما وراء النهر: «Transoxiana». كانت قديمًا بلاداً شاسعة الرقعة إلى الجنوب الشرقي من إيران*، تشمل الأراضي الواقعة جنوب نهر جيحون، وإلى الشمال من هندوكوش، ويتبعها من الناحية السياسية بلاد ما وراء انهر، وسجستان، أهمُّ مدنها نيسابور، ومرو*، وهراة*، وبلخ*، ومشهد، وهي في الوقت الراهن مقسمة بين ايران*: «مشهد، ونيسابور»، وأفغانستان: «بلخ* وهراة»*، وتركمانستان «مرو*»، راجع: معجم البلدان، ودائرة المعارف الإسلامية جـ ٢٨٢/٨، والمنجد في الأعلام، وموسوعة المورد جـ ٥١/٦، وأطلس التاريخ الإسلامي خ: ١٢٠، و١٦٧، والمعجم الذهبي.

(٣) في ب وج: يدعي، بياء مثناة، مكان يدعى، بالمقصورة، وفي البيت نظر إلى قول عامر بن الطفيل:

فما سوَّدتني عامرٌ عن قرابةٍ — أبى الله أن أسمو بأم ولا أبِ

وقول المتنبي: ما بقومي شرفت بل شرفوا بي — وبنفسي فخرت لا بجدودي

ديوان عامر بن الطفيل ص: ١٣، وديوان أبي الطيب المتنبي ص: ٢١.

(٤) الزقُّوم: شجرة في جهنَّم منها طعام أهل النار، وكلُّ طعام يقتل، وشجرة غبراء صغيرة الورق مدوَّرته، ذفرة مُرَّة، لا شوك فيها، من أخبث الشجر المرُّ، والغسَّاق: المنتن البارد الذي يحرق من شدَّة برده، وصديد أهل النار.

(٥) الآراب، جمع إرب: الأولى بمعنى: حاجات، والثانية: أعضاء، يريد: قطعت قطعًا.

وتَأسُّــفِي أنِّي غَــداةَ فِــراقِكُم لَـم أقـضِ مـن تَـوديـعِـكُـم آرابـا[1]
إنِّي لأعـجَبُ مِن مُـراجَـعَـةِ النَّوَى عَن رَبعِكُم لِيَ جِـيـئَـةً[2]، وذَهابا
مــا ذُقتُ عَـذبَ القُـربِ إلاَّ رَدَّهُ وشكُ التَّـفـرُّقِ والبِـعـادِ عَـذابا[3]
قـد جَـرَّدَ التَّـفـريقُ سَـيـفًـا بَينَنا أفَـمـا يُتِـيحُ لَه اللِّقَـاءُ قِـرابا ؟[4]
يا هَل تَـرَونَ لِنازِحٍ قَـــذَفَت بِـهِ أيدِي البِـعـادِ، لِجُـدِّحَـفص*، إيابا

(١) في أ: غدات، مكان غداة، وفي الأعيان: وداعكم، مكان فراقكم، والآراب، جمع إرب: الحاجات، والمعنى قريب من قول الخبزأرزي*:

أستودع الله أحبابًا فجعت بهم — بانوا ومـا زوَّدوني غـيـر تعـذيب
بانوا ولم أقض من توديعهم وطراً — وما انقضت حاجة في نفس يعقوب

أنوار الربيع جـ ٤/٢٦٧.

(٢) في الهاشمي وأ: جيَّة بدون همزة.

(٣) هذا المعنى متداول، فمنه قول أبي الطيب المتنبي*:

فما جلست حتى انثنت توسع الخطى — كـفـاطمـة، عن دَرِّها، قـبـل تـرضعَ

وقوله، وهو في هامش ديوانه منسوب للحسين بن الضحاك، أو لأبي مطاع بن ناصر الدولة*:

بأبي من وددته فـافـتـرقنا — وقضى الله، بعد ذاك، اجتماعا
فافترقنا، حولاً، فلما اجتمعنا — كـان تـسليـمُـه علي وداعـا

وينسب للعباس بن الأحنف*، وليس في ديوانه:

سـألونا عن حـالنا: كيف أنتم؟ — فـقـرنَّا وداعنا بالســؤال
مـا أنخنا حتى ارتحلنا فمـا نفـ — ـرق بين الـنزول والإرتحــال

وقول محمد بن أمية*: حين حطَّت ركـابنا لتـلاقٍ — زُمَّت العيس منهم لفراقِ
وقول ابن الرومي*: بينا استمـاعي هديلَ هادلِها — إذ راع قلبي نعيقُ ناعِـقِـهـا
وقول كشاجم*: لم أستتمَّ عناقَه لقدومه — حـتى بدأت عناقه لوداعـه
وقول آخر: كـــفـى حـــزنًا أنَّ زوَّارنا — لوقت الرواح أرادوا الغروبا
وقول العكوك*: رصـد الغفلة حتى أمكنت — ورعى السـامـر حتى هجَـعـا
ركـب الأهـوال في زورتـه — ثمَّ مـا سلَّم حـتى ودَّعـا
وقول ابن الضحاك*: بينمـا أضحك مـسـروراً به — إذ تقطَّعت عليـه كـمـدا
وقول آخر: زار يُهدي السلام، لم أرَ فصلاً — بين توديعــه وبين الســـلام
وقول محمد الخالدي*: زارنـا حـــتى إذا مــــا — ســـرَّنا بالقـــرب زالا
وقول أبي الشيص*: يا حَـبَّـذا الزور الذي زارا — كــأنَّه مــقــتــبسٌ نـارا
نفـسي فـداءٌ لك من زائرٍ — ما حلَّ حتى قيل قد سـارا

زهر الآداب جـ ٣/٧٩٩ - ٨٠٠، ومحاضرات الأدباء مجـ ٢/٦٤، و٦٦، وديوان المتنبي ص: ٧، و٣٠، وديوان المعاني جـ ١/٢٧٣، ومعجم الأدباء جـ ١١/١٢٠، وديوان ابن الرومي جـ ٤/٢٧٦، وديوان أبي الشيص: ص: ٥٧، وديوان علي بن جبلة «العكوك» ص: ٧٦، وديوان الخالديين ص: ٨٢، ومعاهد التنصيص جـ ٤/٥٤ - ٥٥، وديوان كشاجم ص: ٢٦٧.

(٤) القراب: غِمد السيف، أو جفنه، وهو وعاء يحفظ فيه السيف، وغمده، وحِمالته.

لَو أنَّ ذا القَرنَينِ* أصبَحَ مُوقِداً زُبَرَ الحَديدِ بِحَرِّها لأذابا(١)
لا تَحسَبِ البَحرَينُ* أنّي بَعدَها مُستَوطِنٌ(٢) داراً، ولا أصحابا
ما أصبَحَت شيرازُ*، وهيَ حَبيبَةٌ عِندي، بِأبهَجَ مِن أوالَ * جَنابا
ما كُنتُ بِالمُبتاعِ دارَ سُرورِها يَوماً بِفارانٍ*، ولا بِمَقابا *(٣)
فأما وجائلَةِ* النُّسوعِ تَخالُها لِلضُّمرِ، مما أهذَبَت، هُدّابا(٤)
تَتَبادَرُ الحَرَمَ القَصيَّ بِفِتيَةٍ يَثنُونَ نازِلَةَ القَضاءِ غِلابا
لَئِن اقتَعَدتُ مَطا البِعادِ، وعَزَّني وَشكُ التَّلاقي والدُّنُوِّ طِلابا(٥)
لأسَيِّرَنَّ لَكُم، وإن طالَ المَدَى ما رَقَّ مِن مَحضِ الثَّناءِ وطابا

* * *

(١) ذو القرنين: لقب لأربعة أشخاص، والمقصود هنا هو الإسكندر الكبير، ويسميه العرب الرومي، وهو الوارد ذكره في القرآن الكريم، وهو الذي بنى السد على يأجوج ومأجوج، وهم أقوام مخرّبون عاثوا في الأرض فساداً. فبنى ذو القرنين عليهم سداً، فنجا الناس من شرهم، قصته معهم مبسوطة في القرآن الكريم سورة الكهف، الآية «٨٣» وما بعدها، والزُبَر، جمع زُبرة: القطعة من الحديد والسندان. راجع: دائرة المعارف الإسلاميَّة ج ٩/ ٤٠٣، والقاموس، ولسان العرب.

(٢) في الأعيان: متبوَّئ.

(٣) في أ والهاشمي: دارة سروها، والمثبت من ج وب، وفاران: أهملها التاجر، وذكر الهاشمي أنها جبل بالبحرين*، ولعله اشتباه منه، فالذي يفهم من البيت أنها قرية، عدها عبد الله بن أحمد العرب من قرى الجانب الغربي للبحرين*، وذكر أن بها آثار مدرسة ما تزال موجودة، وعند محمد علي الناصري من قرى البحرين* المندثرة، ونقل لي الأديب حسن الفسرة الجمري عن الخطيب ملا محمد علي الناصري أنها من قرى الساحل الغربي في المنطقة الشمالية، غربي القُرَيَّة الشمالية، وجنوب البديع، وشمال الجنبية، ومن الغرب الساحل، وهي الآن ضمن أملاك للشيخ محمد آل خليفة. أما مقابا: أو «مقابة» فهي قرية من قرى البحرين*، تقع في الشمال الغربي من جزيرة أوال*، بين قرية مرخ وقرية الشاخورة. راجع: أنوار البدرين؛ ذيل ص: ٢٢١، ومن تراث البحرين، ص: ١٥٩، وخارطة البحرين نشر وزارة الإعلام بدولة البحرين.

(٤) النسوع جمع نسع: سيور أو حبال عريضة تشدُّ بها الأحمال على الجمال، وجائلة النسوع: الناقة تدور نسوعها لشدة ضمور بطنها، والضُمر، الهزال وخفَّة اللحم، وأهذبت: أسرعت، وفي أ والهاشمي مكانها: أهدبت، بدال مهملة مكان المعجمة، والهدَّاب: سعف النخل، وكلُّ ورق ليس له عُرض كورق السرو، وفي أ وب وج مكانها: هذابا، بذال معجمة بدل الدال المهملة.

(٥) المطا: الطول، ومَطا البعاد: طوله، وفي ب وج مكانها: مطى، وعزَّني: عزَّ عليَّ، أي تعذَّر، وفي الهاشمي وب مكانها: وغرَّني، وفي ج: وعزتي.

تبًّا للنوى(١)

وقال: لمَّا(٢) أنشَدتُ الشريف العلأمة* هذه القصيدة استَرَقَّ(٣) نظمها، وأنشأ قصيدة، وبعث بها إلى أهلِه، وكانت جزلة(٤)، فقلتُ أنا أيضًا، وبعثتُ بها إلى القطيف*، {وهذه هي القصيدة}(٥):

يا سَاكِني الخَطِّ *،في قَلبِي لَكُم خُطَطٌ … مَعمُورَةٌ، بِمَعانِيكُم، مَغانِيها(٦)
يا جَادَ أرضًا تَبَوَّأتُم مَعالِمَها … وَطفَاءُ يَنحَلَّ مِن دَمعِي عَزالِيها(٧)
يا هل تَرَونَ لِمَحنِيِّ الضُلُوعِ، على … ذِكرِ الدِّيارِ، وُقُوفًا في مَحانِيها(٨)
يَبُلُّ نَفسًا إذا استَسقَتهُ وصلَكُمُ … وَعَزَّ؛ ظَلَّ بِكأسِ اليَأسِ يَسقِيها(٩)
كادَت تُقِيمُ على أرجَاءِ مَصرَعِها … لَو لَم تَجِدهُ، بِلُقيَاكُم، يُرَجِّيها
لَم يُولِكُم، مُذ تَوَلَّى عَنكُمُ، مَلَلاً … لِوِجهَةٍ هُوَ، عَن قَصدٍ، مُوَلِّيها

(١) تخريجها في أ ص: ٧٨ - ٧٩، وب ص: ١٢٦ - ١٢٨، وج ص: ٩١ - ٩٢، والهاشمي ص: ١٢٣ - ١٢٤، ومنها في أعيان الشيعة مج ٤/١٦٦ - ١٦٧ «١٩» بيتًا، وفي «سلوة الغريب» ص: ١٣٦- ١٣٧ «٦» أبيات: ١١ - ١٦، وفي أنوار الربيع ج ٤/٢٣٨ الأبيات: ١١، ١٢، ١٦، وفي ص: ٢٥٦ الأبيات: ٥، ٩، ١٣، ١٤، والقصيدة غير مؤرخة، لكن المقدمة تدل على أنها كتبت في اثر القصيدة السابقة المؤرخة في سنة ١٠١٢هـ.

(٢) في أ: ولما.

(٣) يريد القصيدة السابقة، جـ ١/ ٤٠٣: ، واسترق نظمها: وجده رقيقًا، وفي ب وج مكانها: اسرق نظمها.

(٤) القصيدة التي نظمها السيد مطلعها:

ياساكني جدَّحفصٍ لا تخطَّفكم … ريب المنون، ولا نالتكم المحن

راجعها في ترجمته في الملحق «٢» جـ ٢/٣٢٥.

(٥) ما بين المعقوفين إضافة من أ، والمقدمة بكاملها في الأصول في ذيل القصيدة السابقة، وأثبتها هنا لاختصاصها بهذه القصيدة.

(٦) الخطط، جمع خطَّة: الأمور العظيمة، والمعاني: ما للإنسان من الصفات، الحميدة؛ كالعلم، والتقوى، والخلق الحسن، والكرَم، يقال: فلان حسن المعاني، والمغاني، جمع مغنى: المنازل.

(٧) يا: نداء، والمنادى محذوف مقدَّر، وجادت السحابة: كانت جَوداً، أي غزيرة المطر، والوطفاء: السحابة المتدلَّية لكثرة مائها، أو هي التي طال مطرها، والعَزالي، جمع عزلاء: مصب الماء من الراوية، يقال: أنزلت السماء عزاليها، كناية عن شدَّة المطر.

(٨) يا: نداء، مناداه محذوف مقدَّر، وفي ج: مجني، بجيم معجمة، مكان محني، بالحاء المهملة، والمحاني، جمع محناة ومحنية: منعطف الوادي، ومنعرجه.

(٩) في أ وب وج: تبل، مكان يبل، وفي الهاشمي: وصلا، مكان نفسًا.

إن سَــاقَ عَن رَبعِكُم أنضَــاءَهُ فَكَفَى | لَهُ بأشـيـاءَ ، مِن وَجـدٍ ، يُقَـاسِيـهـا [(١)]
حَـشًـا لَـو انَّكَ تَسـتَـمـلِي صَـبابَتَـهـا | أكـدَى، وَلاذَ بِظِـلِّ العَـجـزِ مُملِيـهـا [(٢)]
وَزَفـرَةٌ لَـو ثَوَى، اليَـومَ، الخَلِيلُ* بِهَـا | أودَى، وَلَم يُغنِ عَنهُ بَـردُهُ فِـيـهـا [(٣)]
لَو سِيمَ وَبلُ الحَـيَـا إطفَـاءَ وَقـدَتِهـا | لَم تَلفَـهُ، ومِـيـاهُ الأرضِ، يُطفِـيـهـا [(٤)]
وعَـبـرَةٌ لَو دُعِي نُوحٌ* لِيَـسلُكَهَـا | بِفُلكِه قَالَ: ﴿ بِاسمِ اللَّهِ مُجرِيهَا ﴾ [(٥)]
ومُـقلَةٌ ألِفَت فَـرطَ السُّـهَـادِ فَلَو | رُدَّ الرُّقَـادُ عَلَيـهـا كَـادَ يُؤذِيهـا [(٦)]
مَاذا على الطَّيرِ، إذ أبلَى الضَّنَى جَسَدِي | فَـخَفَّ، لَو حَـمَلَتنِي في خَـوَافِـيـهـا [(٧)]

(١)الأنضاء، جمع نضو : المهزول من الإبل، وفي أ : أفضاؤه.

(٢)الحشا : ما انضمت عليه الضلوع ؛ كالقلب، والكبد ، وفي أ مكانها : حشى، وتستملي : تسأل السقيا ، أي تطلب أن يملأ لها من الماء ، وأكدى : بلغ، في حَفره، الكدية ، وهي الصفاة العظيمة الشديدة، يريد : عجز، يقول: إن هذه الحشا إذا استسقيت، أي سألت أن تُسقى من صبابتها ، فسوف يعجز المملي، أي الساقي، وفي أ: لاد ، بدال مهملة مكان لاذ ، بالذال المعجمة.

(٣)أودى : هلك، وفي ب : أودي، بياء مثناة، مكان المقصورة، وفي أ : أوذى، بذال معجمة، مكان الدال المهملة، ومن هنا يبدأ الشاعر في غلو غير محمود في هذه القصيدة.

(٤)سيمَ بالبناء للمجهول : كُلِّف، والوبل : المطر الشديد يكون قطره ضخمًا ، والحيا : المطر، ومن مبالغات الشعراء المشابهة قول ابن الجوزي* :

ردُّوا المطايا ، وإلاّ ردَّها نفَسي | وأدمعي، فهما سيلٌ، ونيران

المدهش ص : ٣٧٠ .

(٥)في الهاشمي وب وج : دعى، بالمقصورة مكان دُعي، وفي سلوة الغريب : ليركبها ، مكان ليسلكها ، والفُلك : السفينة، يريد بها سفينة نوح (ع) التي ركبها ومن معه في الطوفان الذي أغرق قومه فنجا ، ويقال إنها استقرت على جبل أرارات شرقي تركيا*، وفي القرآن الكريم أنها استوت على الجودي، وهو جبل على مقربة من الموصل، راجع : موسوعة المورد جـ ١٣٦/٧ ، وفي أ وب ج : مرسيها ، مكان مجريها ، وهو تضمين لقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ اركَبُوا فِيهَا بِاسمِ اللَّهِ مَجرَيهَا وَمُرسَهَا ﴾ الآية : ٤١ هود ، وفي البيت نظر إلى قول عبد الله بن المعتز* ، وليس في ديوانه :

مررت على الفرات وليس تجري | سـفـائنه لنقـصـان الفـرات
فلمَّـا أن ذكـرتُكِ فـاض دمـعي | فـأجـراهنَّ جـري العـاصـفـات

محاضرات الأدباء مجـ ٧٨/٢ .

(٦)في الأعيان : إليها كان، مكان عليها كاد ، وفي الهاشمي : يوديها ، مكان يؤذيها ، وفي ب وج : يوذيها ، وفي البيت نظر إلى قول ابن نباتة السعدي* :

فـتى يتـجافى قلَّةَ النوم جفـنُه | كأنَّ لذيذ النوم في جفنه قذى

محاضرات الأدباء مجـ ٩٨/٤ .

(٧)الضنى : المرض، والهزال، وسوء الحال، وفي ب والهاشمي والأعيان وأنوار الربيع مكانها : الضنا ، وفي ج : الصبا ، والخوافي جمع خافية : صغار الريش في جناح الطائر، والمعنى أخذه من قول ابن الدمينة* :

أو ليت كُدر القطا حلَّقن بي وبها | دون السماء، فعشنا في خوافيها !

الشعر والشعراء ص : ٤٩٢ .

إن يَقعُدِ الطَّيرُ عَن حَملِي لَكُم، وسَرَت	ريحُ الصَّبا، فاطلُبوني في مَساريها[1]
تَلقَوا بِها جَسَداً لَو أنَّ عِلَّتَه	يُدعى المَسيحُ * لَها ما كادَ يُبريها[2]
لَقَد تَضاءَلَ حَتَّى لَو قَذَفتُ بِهِ	في مُقلَةٍ ما أحسَّتهُ مآقيها[3]
ومُستَريحٍ إلى تَرجيعِ نَغمَتِهِ	أضحَى يُبُثُّ صَباباتي، ويُبديها
فَما تَثَنَّت بِهِ أعطافُ بانَتِهِ	الأَ ثَنى وَجهَ سُلواني تَثَنّيها[4]

---

(١) الطير للجمع وللواحد، وفي الهاشمي: لو يقعد، وفي أنوار الربيع: ان تقعد، وهذا المعنى متداول؛ فمنه قول ديك الجن*:

ألست ترى الضنى لم يبق مني — سوى شبحٍ يطير بكلِّ ريحِ؟

وقول مجنون ليلى*:

ألا إنّما غادرتِ يا أمَّ مالكٍ — صدىً أينما تذهب به الريحُ يذهبِ

وقول ماني الموسوس، «محمد بن القاسم»، ويروى لِسلم جارية لم:

ها أنا ذا يستقطني للبلى — عن فُرُشي أنفاس عُوّادي

وقول ابن عبد ربه* «صاحب العقد الفريد»:

وتلقى العاشقين لهم جسوم — براها الشوقُ لو نُفخوا لطاروا

وقول كشاجم*: سُررتُ بأن ذَبُلتُ وذُبتُ شوقًا — لعلَّ الريحَ تسفي بي إليه

محاضرات الأدباء مج ٢/ ٩١، وديوان ديك الجن ص: ١٦٢، والأغاني جـ ٢/ ١٩، والعقد الفريد جـ ٦/ ٢٥٠ - ٢٥١، وأنوار الربيع جـ ٤/ ٢٢٤، والوساطة ص: ٤٢٠، وديوان كشاجم ص: ٤٩٩، والظرف والظرفاء، ص: ٣٢٩، وللمزيد من هذا الإغراق انظر جـ ١/ ٤٣٢ - ٤٣٣.

(٢) في الأصول: تلقي لكم؛ وفيه لحنٌ صوابه حذف الياء لأنه جواب لفعل الشرط اطلبوا في البيت السابق، فسياق الجملة متصل، لذا صوبته مجتهداً، وفي ب وج: جسدي، مكان جسداً، والبيت فيه من شطحات أبي الطيب المتنبي* من مثل قوله:

لو كان صادف رأسَ عازرَ سيفُه — في يوم معركة لأعيا عيسى*

أو كان لجُّ البحرِ مثلَ يمينه — ما انشقَّ حتى جازَ فيه موسى*

ديوانه ص: ٥٩.

(٣) المآقي جمع مأق، ومؤق: طرف العين مما يلي الأنف، وهو مجرى الدمع، وفي الهاشمي: مئاقيها، وفي أ وب: أماقيها، وفي ج: أماقها، وهذا النوع من الغلو كثير، فمنه قول ابن العميد محمد بن الحسين البويهي*:

لو أنَّ ما أبقيت من جسمي قذىً — في العين لم تمنع من الإغفاء

وقول أبي عثمان سعيد بن هاشم الخالدي*:

وأنحلني بالهجر حتى لو انني — قذىً بين جفنَي أرمدٍ ما توجَّعا

وقول الخبزأرزي*: وذبت حتى صرت لو زُجَّ بي — في مقلة النائم لم ينتبه

وقول المتنبي*: ولو قلمٌ أُلقيتُ في شقِّ رأسه — من السُّقم ما غيَّرتُ من خط كاتب

وقول ابن دريد*: إني امرؤ أبقيت من جسمه، — يا متلف الصب، ولم يشعر

صبابةً لو أنها قطرةٌ — تجول في عينك لم تقطر

يتيمة الدهر جـ ٢/ ٢٣٩، وجـ ٣/ ٢٠٢ - ٢٠٤، وأنوار الربيع جـ ٤/ ٢٣٨ - ٢٤٥، وديوان المتنبي ص: ٢٢٥، والوساطة ص: ٤٢٠، ومحاضرات الأدباء مج ٢/ ٩١، ومعاهد التنصيص جـ ٣/ ٣٠.

(٤) تثنَّت: انعطفت، وتمايلت، والأعطاف، جمع عِطف من الرجل: جانباه من لدنْ رأسه إلى وركيه، والبانة: ==

ومُستَطِيرٍ كَأنَّ الرِّيحَ تلهَبُهُ	إذا استَمَرَّ عَلَيهِ خَفقُ سَارِيها
أشِيمُهُ خُلَّبًا، والعَينُ تُبصِرُهُ	بعَبرَةٍ سَالَ حتى غصَّ واديها[1]
ومُستَمِيتُ السُّرَى لو مرَّ نَاسِمُهُ	بشَعرَةٍ؛ لَم يَكد مَسراهُ يثنِيها[2]
سَرَى فأسرَى الكَرَى عنّي، وأنزَلَ بي	صَبابَةً بتُّ تُخفِيني، وأخفِيها[3]
يا وَيحَ نَفسي ما شَيءٌ يَعِنُّ لَها	إلاَّ وظَلَّ، لِبَلواها، يُعَنِّيها[4]
إن أومَضَ البَرقُ أشجَاها، وإن هَتَفَت	وُرقُ الحِمَى بَاتَ حَرُّ الشَّوقِ يُحمِيها[4]
وإن تَنَسَّمَ عُلويُّ الرِّيَاحِ لَها	ألفَيتُه[5] لقَصيِّ الوجدِ يُدنِيها
لَقَد مُنِيتُ بِما اختَرتُ المَنُونَ لَهُ	يا قَومُ، لو أعطِيَت نَفسٌ أمانِيها
يَا قَطَّعَ اللَّهُ أسبَابَ النَّوَى، ورَمَى	حُجبَ البِعَادِ بما يُبلي حَواشِيها

* * *

== شجرة سَبطة القوام لَيِّنة، يضرب بها المثل في الإعتدال.

(١) أشيمه: أتطلع إليه، من شام البرقَ: نظر إليه أين يقصد، وأين يمطر، وفي أ مكانها: هشيمه، والخُلَّب: السحاب لا مطر فيه، والبرق المطمع المخلف.

(٢) السُّرَى في الأصل: سير الليل، استعاره لمرّ النسيم، والناسم: اسم فاعل أقامه مقام الإسم، أراد به النسيم، وقد أخذ هذا المعنى من قول الأعشى*، وليس في ديوانه:

ولو أن ما أبقيت مني معلَّقٌ بعود ثمام ما تأود عودها

(٣) في أ وب وج: أما، مكان ما، والمعنى تداوله عددٌ من الشعراء. قال أبو الطيب المتنبي*:

روح تردَّد في مثل الخلال إذا أطارت الريح عنه الثوبَ لم يبن
كفى بجسمي نحولاً أنَّني رجلٌ لو لا مخاطبتي إيَّاك لم ترني

وقال ديك الجن*: ولو أنَّ أحداثَ الزمان أردنَني بخير وشر ما عرفن مكاني

وقال كشاجم*: قد ذبت حتى صرت إن أنا زرتها أمنت عليها أن يرى أهلها شخصي

وقال أبو نواس*: فلو تسأل الأيام عني ما درت وأين مكاني؟ ما عرفن مكاني

وقال المظفَّر بن كيغلغ*: عبدك أمرضته فعُدْهُ أتلفه إن لم تكن ترده
ذاب فلو فتَّشت عليه كفُّك في الفرش لم تجده

وقال لسان الدين بن الخطيب:

ولو شئت في طيِّ الكتاب لزرتكم ولم تدر عنِّي أحرفٌ وسطور

ديوان أبي نواس ص: ٤٦٩، وديوان المتنبي ص: ٧، وديوان ديك الجن ص: ١٩٣، ومحاضرات الأدباء مج ٢/ ٩٢، وزهر الآداب جـ ٤/ ١١٣٥، و١١٦٠، ومعاهد التنصيص جـ ٣/ ٢٨ - ٢٩، وديوان لسان الدين بن الخطيب.

(٤) الوُرق، جمع ورقاء: الحمام الضارب لونه إلى الخضرة، والحمى: ما حُمي من شيء، وهنا: الحي لأنهم يحمونه، وفي ج: حمامةٌ، مكان ورق الحمى، ويحميها، أصلها يُحمِّيها، بتشديد الميم: يسخِّنها تسخيناً شديداً، وخففها تساهلاً لإقامة الوزن.

(٥) تنسَّم: تنفَّس، وفي الهاشمي مكانها: تبسم، وألفيته: وجدته.

جلباب الهجر(١)

وقال بشيراز*، أيضًا، وضمَّنها
قول {علي*} عليه السلام(٢): «من
أحبنا(٣) - أهل البيت - فليستعِدَّ(٤)
للفقر جلبابا»(٥)

إنِّي لأعــجَبُ مِن هَوايَ وجَــعلِكُم — هَجري، على عَكسِ القَضيَّةِ، دابا(٦)
وكَـــأنَّكُم قُلتُم: ألا مَن حَـــبَّنا — فليَـستَـعِـدَّ لِهَـجرِنا جِلبـابا(٧)

* * *

(١) تخريجهما في أ ص: ٨٠، وب ص: ١٢٨، وج ص: ٩٢، والهاشمي ص: ٧، وأنوار الربيع جـ ٢/٢٥٨.
(٢) ليست في ج، وأضفتها من أ وب.
(٣) في أ: من حبنا.
(٤) في مجمع البحرين: «فليتخذ»، وفي سفينة النجاة: «فليعد» عن أنوار الربيع.
(٥) فسَّر محمود بن الحسين «كشاجم*» هذا الحديث تفسيراً لطيفًا في قوله:

زعـمـوا أن من أحبَّ عليّـا — ظلَّ للفـقـر لابسًـا جلبـابا
كـذبوا. كم أحبَّه من فـقـيرٍ — فـتـحلَّى من الغنى أثوابا؟
حـرَّفـوا منطقَ الوصي* بمعنى — خـالفـوا، إذ تأوَّلوه، الصَّـوَابا
إنَّما قوله: ارفضوا عنكم الدُّنـ — ـيـا إذا كنتمُ لنا أحـبـابا

ديوانه ص: ٣٦.
(٦) الدأب: العادة، والديدن.
(٧) الجلباب: الخمار، والقميص، وثوب واسع للمرأة، أو هو ما تغطي به المرأة ثيابها من فوق كالملحفة.

أغنية شوق لبوري[١]

وقال أيضًا:

عُج بالمَطِيِّ عَلَى مَعالِمِ بُورِي* … بِمَحِلِّ لَذَّاتِي، ورَبعِ سُرُورِي[٢]
وأطِل بِها، عَنِّي، الوُقُوفَ فما أرَى … شَوقًا يُحَرِّكُنِي، لَها، بِقَصِيرِ[٣]
واستَنشِ رَيَّاها، فَفِي عَرَصَاتِها، … عِندَ العُبُورِ بِهِنَّ، نَشرُ عَبِيرِ[٤]
واستَوصِ نَشرَ عَبِيرِها بِيَ إنَّهُ … قَمِنٌ[٥] بِنَشرِ عَبِيرِيَ المَقبُورِ
لَم تَجعَلِ العَبَراتُ خَدِّيَ مَعبَراً[٦] … إلاَّ عَلَى مَرِّي بِها، وعُبُورِي
لا أمطَرَت دِيَمُ الرَّبِيعِ[٧] بِساحَتِي … إن لَم أحُلَّ بِرَبعِها المَمطُورِ
هَل لِي إلى تِلكَ المَنازِلِ عَودَةٌ … يَهدا بِها نَفَسِي، وفَرطُ زَفِيرِي[٨]
فَتَكُفَّ مِن فَيضِ الدُّمُوعِ فَذا وذا … مَحَوا سَوادَي مُقلَتِي، وضَمِيرِي
إن يُصبِنِي ذِكرُ الدِّيارِ فَإنَّهُ … لإناثِ أصبِيَةٍ، بِها، وذُكُورِ[٩]
وَجدِي الصَّغِيرُ، بِها، لأصغَرِ صِبيَتِي … وكَبِيرُ أشواقِي، بِها، لِكَبِيرِي

---

(١) تخريجها في أ ص: ٨٤ - ٨٧، وب ص: ١٢٤ - ١٢٨، وج ص: ٩٦ - ٩٩، والهاشمي ص: ٥١ - ٥٢، ومنها في أعيان الشيعة مج ٤/١٦٧ - ١٦٨ «٣٧» بيتًا، ولم يدون للقصيدة تاريخ، ولا مقدمة، وربما استدل من مجيئها تُلوَ قصيدة نظمها سنة ١٠٢٣هـ يتشوق لبستان القميعيات*، وكذلك من القصيدة التالية على أنه نظم هذه القصائد في نفس السنة في شيراز* أثناء استقراره فيها. انظر ج ١/٤١٧، وج ٢/١٦.

(٢) عُج، على الطلب: قف، أو مل، واعطف، والمَطِيُّ، جمع مَطِيَّة: النِّياق، وبوري*، كما في الهاشمي: «قرية من قرى البحرين* تقع غربي قرية عالي»، والظاهر أنها إلى الجنوب الغربي منها، شرقي قرية الهملة، وجنوبي تل سار*. انظر: عقد اللآل ص: ٤٠، وخارطة البحرين نشر وزارة الإعلام بدولة البحرين، والربع: الدار، والمحلة، والمنزل.

(٣) في أ: شوق، مكان شوقًا، وفي ب وج: بقصيري، مكان بقصير.

(٤) استنش، مجزوم للطلب: شُمَّ، وفي الأعيان مكانها: واستنس، والريًا: الريح الطيبة، والعرصات، جمع عرصة: البقاع الواسعة بين الدور ليس فيها بناء.

(٥) قَمِن: خليق، أو جدير، وفي ب وج: فمن، بفاء موحدة، مكان القاف المثناة.

(٦) المعبر: مكان العبور، أو الممر، وفي أ: مقبراً، بقاف مثناة، مكان العين المهملة.

(٧) الديَم، جمع دِيمة: الأمطار الساكنة تدوم أيامًا وليس فيها رعد. وفي ج: ديم الريع، حذفت الباء من الربيع.

(٨) أصلها يهدأ، أي يسكن، وسُهِّلت الهمزة لإقامة الوزن، وفي أ: تهدئ، وفي ب وج: تهدي، وفي الهاشمي: يهدى، وفي الأعيان: يخبو، والمثبت بتصرف، وفي الأعيان: وجدي، مكان نفَسي.

(٩) في ج: دكر، بدال مهملة مكان ذكر، بالذال المعجمة، وأصبية، جمع صبي: الغلمان، أقامها مقام الإناث،

وكَـــرِيمَةِ الطَّرَفَينِ جُــرَّ على التُّــقَى | والدِّين فَــاضِلُ ذَيلِهــا(1) المَجـرُورِ
وَمُـــهَـــفْـــهَفٍ زُرَّت غَــلائِلُهُ* على | غُصُنٍ، يَمِيلُ بِهِ النَّسِيمُ، نَضِيـرِ(2)
رَشَــأٍ جِــراحَــاتِي جُــبَــارٌ عِندَهُ | أبَداً، وكَـســرِي لَيسَ بِالمَجـبُـورِ(3)
صَـــاحِي الجَـبِينِ، وإنَّهُ لَيُــرِيكَ مِن | تَحتِ الخِمـارِ شَمَـائِلَ* المَخـمُـورِ(4)
أنا أســعَــدُ الثَّــقَلَينِ إن أدنَاهُمُ | مِنِّي رَواحِي، نَحــوَهُم، وبُكُورِي(5)
فَــأمــا وَفَـتــلاءِ المَرافِقِ جَـســرَةٍ | تَخدِي بِمَشـبُـوحِ الذِّراعِ جَسُـورِ(6)
إن يَعيَ عِـيــدِيُّ النِّجــارِ بِكُورِهِ | نَهَـضَت، فَطَارَ بِهـا جَنَاحُ الكُورِ(7)
يَرمِي بِهـا المِيقَـاتَ غَـيرَ مُقَـصِّرٍ | حَـتى يُتِمَّ النُّسكَ بالتَّـقـصِـيرِ(8)
لأجَـشِّـمَنَّ الناجِـيَــاتِ إليــهِمُ | والسُّــفنَ قَطعَ مَـفَــاوِزٍ، وبُحُـورِ(9)
ولألقَـــيَنَّ بِحُــرِّ وجـــهِي نَحـــوَهُم | حَـرَّينِ حَـرَّ هَوىً(10)، وحَـرَّ هَجِيـرِ
فَـعَسَى ابتِذالُ الصَّونِ يُفضِي بِي إلى | مَن صِينَ تَحتَ أكِلَّةٍ، وسُــتُــورِ(11)

---

(1) في ج : ديلها، بدال مهملة مكان الذال المعجمة.

(2) المهفهف : ضامر البطن، دقيق الخصر، والغلائل، جمع غُلالة : شعار يلبس تحت الثوب..

(3) في ج : جراحات، مكان جرحاتي، وجبار، بضم أوله : لا قَوَد فيها، أي لا يطالب بديتها.

(4) صاحي : مشرق، وفي ب مكانها : ضاحي، بضاد معجمة مكان الصاد المهملة.

(5) الرواح : العشي، والبكور : الصباح.

(6) الجسرة، مؤنث الجسر : الناقة العظيمة، وفي متن ب : جرة، وفي ج : حرة، ومشبوح الذراع : عريضُه، يريد القاصد لبيت الله الحرام.

(7) يعي، بحذف المقصور للجزم بإن : يَعجَزُ، ويَكلُّ، وفي الهاشمي : ان يعيى عبدى، والمثبت من أ وب وج، والعِيدي : الفحل النجيب. يقول : إذا عجز الفحل النجيب عن النهوض؛ صيَّرت تلك الناقة من كورها جناحًا يطير بها، والنِّجار : الأصل، والحسب، واللون، والكور : الرحل بأدواته، وهو للبعير كالسرج للفرس.

(8) الميقات هنا : الموضع الذي يحرم منه الحاج بنزع المخيط، ولبس الإحرام، والنسك : الأصل فيها العبادة، وشاعت في الحج، يريد مناسك الحج، والتقصير : قص الحاج شيئًا من شعر رأسه، وهو من فروض الحج.

(9) أجشمنَّها : أكلِّفنَّها المشقة، والناجيات، جمع ناجية : الناقة السريعة تنجو براكبها، والمفاوز، جمع مفازة : الصحراء الواسعة لا ماء فيها.

(10) حرُّ الوجه : أكرم موضع فيه، وأحسنه، وفي الهاشمي : جوى، مكان هوى.

(11) الصون : الحفظ، يريد صون ماء الوجه، وفي الهاشمي مكانها : الصوت، بتاء مثناة مكان النون الموحدة، ويفضي : يوصل، وفي ج مكانها : يفضى، بالمقصورة، ويلحظ فيها عبث صيَّرها : «يفضى يدا»، وصين، بالبناء للمجهول : حفظ، والأكِلَّة خطأ صوابه : كلل وكلات، والمفرد كلَّة : ستر رقيق، وغشاء يخاط حول المنام وقاية من البعوض، يسميه العامة الناموسية.

فـأبيتُ قـد ألقَيتُ أعـبـاءَ السُّـرَى — وأرَحتُ ظَهـرَ مَطيَّـتي، وبَعِـيـري[1]
إن كـانَ ذاكَ؛ فَـيـا سَـعَـادَةَ طَالِعِي — ونَجـاحَ آمـالِي، ويُمنَ طُيُـوري[2]
إنِّـي إذا هَـابَ الـزِّيـارَةَ وامِـقٌ — يُدلي بِدَعـوىً، في المحَـبَّـةِ، زُور[3]
خَـاطَرتُ بِالنَّفسِ الخَطِيـرَةِ في هَوى — ظَبيٍ كَلِفتُ بِـهِ، هُناكَ، غَـرِيـر[4]
إن عَـاقَنِي التَّـفـتِـيـرُ عَنهُ فَـلا رُمِي — قَلبِي بِسَـهمٍ رِيشَ بِالتَّـفـتِـيـر[5]

---

(١) السرى: السير بالليل، وأعباؤه: أحماله، وأثقاله.

(٢) في أ: هل، مكان إن، والطالع: عند أهل الفأل: ما يُتفاءل به من السعد والنحس بطلوع الكواكب، ويمن طيوري: كونها مباركة، فقد كانوا يزجرون الطيور، فإذا طارت يمينًا فهي السانحة، وهذا فأل سعد، وإذا طارت شمالاً فهي البارحة، وهذا فأل نحس.

(٣) الوامق: المحب، وفي الأعيان: مدع.

(٤) الخطيرة: الشريفة، ذات القدر والخطر، وفي الأعيان، مكانها: النفيسة، وكلفت به: شغفت، وأولعت، والغرير: الشاب الغرُّ الذي لا تجربة له، وفي البيت، والذي قبله، نظر إلى قول عمر بن أبي ربيعة*:

ومن كـان لا يعدو هواه لسـانه — فقد حلَّ في قلبي هواك، وخيَّما

ديوانه ص: ٣٩٠.

(٥) التفتير الأولى: الفتور، والضعف، وفي ج، مكانها: التقتير، بقاف مثناة، مكان الفاء الموحدة، وفي الأصول: فلا رمى، بصيغة المعلوم، والمثبت بتصرف، والتفتير الأخيرة: فتور الطرف، وانكساره، وهو من صفات الجمال، يقول: إن عاقني الضعف، والفتور، أي التراخي عنه، فلا متِّعت بلقائه، والنظر إلى طرفه الفاتر، ومعنى البيت، والذي يليه، متداول؛ فمنه قول ديك الجن*:

عـذَّبني الله بالصـدود، ولا — فـــرَّج عنِّي همٌ بلوائي
إن كنتَ أحببت حبكم أحدًا — أو كـان ذاك الكلام من رائي

وفي ديوانه، وينسب لعبد الصمد بن المعذل:

لا أتاح الله لي فـرجًـا — يوم أدعـو منك بالفـرج

وأورد أبو هلال العسكري* لعبد الله بن المعتز*، وليس في ديوانه:

لا فرَّج الله عن عيني برؤيته — إن كنتَ أبصرت شيئًا بعده حسنا

ولأبي نواس*: لا فـرَّجَ الله عنِّي إن مَـدَدتُ يدي — إليـه أسـأله من حُـبِّكَ الفـرَجـا

وله، أيضًا: قالت: كذبتَ على طيفي! فقلت لها: — إذن فَـعـاديت، يا مُنُونُ، خَـمَّـارا
ولا نَقلت إلى حـانوته قـدمًـا — ولا نبـذت إليـه النقد فـاختـارا
ولا رأى شَـفـةً منه على شـفـتي — إطباق عينيك، بالأشفـار، أشفـارا

ولبعضهم: لا فـرَّج اللهُ عنِّي برؤيتـه — إن كنت أبصرت غيره حسنا

ولآخر: حرمت الرضى إن كنت خنتك في الهوى — وعوقبت بالهجران إن كنت كـاذبا

ولصفي الدين الحلي*:

حُـرِمتَ الرضى إن لـم أزرك على النَّوى — وأحـمـلُ أثقـال الصـبـابة والجـوى

ولمعدان بن مضرب الكندي:

إن كـان مـا بلغت عني فـلامني — صديقي، وشلَّت من يدي الأنامل
وكفِّنت، وحدي، منذرًا في ردائه — وصادف حوطًا من أعاديَّ قاتل ==

أو حَارَ[1] دُونَ لِقَائِه عَزمِي فَلا ... مُتِّعتُ منهُ بالعُيُونِ الحُورِ
يا مَن أسَيِّرُ، كُلَّ يَومٍ، نَحوَهُم ... كُتُبي إذا أعيا عَليَّ مَسيري[2]
وأقُولُ، مُعتَذراً، إذا سَيَّرتُها ... لا يَسقُطُ[3] الميسُورُ بالمعسُورِ
لا تَحسَبُوها أنَّها كُتِبَت لَكُم ... بِسَوادِ حِبري؛ بَل سَوادِ نَظيري[4]
مَن لا يُطيقُ فِراقَ يَومٍ واحِدٍ، ... لَكُم، فَكَيفَ يَكُونُ بَعدَ شُهُورِ[5]
آه! وقَلَّ عَلَى أوَانَ* تَأوُّهِي ... فإذا جُنِنتُ بِها فَغَيرُ كَثيرِ
مَا كُنتُ مُبتَاعًا أزِقَّةَ فَارِسٍ ... بالفِيحِ من عَرَصاتِها، والدُّورِ[6]

== ولأحمد بن حكيم الكاتب:

أيضحك سني أو تجف مدامعي ... وأصبو إلى لهوٍ وأنت عليل؟
ثكلت، إذاً، نفسي، وقامت قيامتي ... وغال حياتي عند ذلك غول

ولذي الرمة*: لقد حلفَت بالله ميَّةُ ما الذي ... أحدِّثها الأ الذي أنا كاذبه
إذاً فرماني الله من حيث لا أرى ... ولا زال في أرضي عدوٌّ أحاربه

ولسمنون المحب:

رميت ببين منك إن كنت كاذبًا ... وإن كنت في الدنيا بغيرك أفرح

ولعلي بن الساعاتي: إن كُنت خنتك في الهوى ... ما بين يوم نوىً ونَبوَه
فَبُليتُ منك بكل ما ... أخشاه من صَدٍّ وجَفوَه

ولبوري الأيوبي: لا فرج الله عن قلبي الكئيب به ... إن كنت أدعو لقلبي منه بالفرج

ديوان ديك الجن ص: ١٤٨، و١٦١، وديوان أبي نواس ص: ١٢٣، وأنوار الربيع جـ ٢١٩/٣، وأمالي القالي جـ ٨٦/١، ١٨٩، ١٩٠، وذيله ص: ١٢٥، وكشكول البهائي جـ ٢٩٣/١، وديوان ذي الرمة ص: ١٢، وديوان المعاني ص: ٢٧٨، وديوان صفي الدين الحلي ص: ٤١١، وكشكول البهائي جـ٧٢/١، ومصارع العشاق جـ ٢/ ٥٠، وتزيين الأسواق ص: ٤٦، وفيه سحنون، مكان سمنون، وبدائع البدائه، والبديع في البديع، والإيضاح في علوم البلاغة.

(١)حار: نقص، أو ضعف، وفتر، وفي الأعيان: إن حر، وفي أ وب: أو جاز، وفي ج: اوجان.

(٢)أعيا عليَّ: أتعبني، وأعجزني، وفي الهاشمي مكانها: اعي علي.

(٣)في الهاشمي: لا يترك.

(٤)في الهاشمي: كتب، مكان كتبت، و نظيري: مثلي، ونديِّ، ومراده: ناظري، فخانه التوفيق لضرورة القافية.

(٥)مرَّ هذا المعنى في قوله جـ ١٦٥/١:

مالي بهجرهمُ، والدار جامعةٌ ... يدٌ، فكيف بنأيٍ بعد هجران؟

وقوله جـ ٣٤٦/١: أهيم بكم أسىً، وأضيق وجداً ... ومـا بيني وبينكمُ ذراع
فكيف وبيننا آذيُّ بحرٍ ... وبيدٌ في مفاوزها اتساع؟!

وهومتداول، وقد أوردت نماذج منه في جـ ١٦٥/١.

(٦)الأزقّة، جمع زقاق: الطريق الضيقة بين المنازل، وفارس*: مقاطعة في ايران* تقع في الطرف الغربي منها، مطلة على الخليج*، قاعدتها شيراز*، والفيح، جمع فيحاء: الواسعة من الدور، والعرصات، جمع عرصة ساحات الدور، وهي البقاع الواسعة بينها ليس فيها بناء.

هَيهَاتَ ما شيرازُ* وافِيَةٌ بِما ... في تلكَ لي من نِعمَةٍ وحُبُورِ
بَلَدٌ تَعادَلَ صَيفُها، وشِتاؤُها ... في الطِّيبِ لِلمَقرُورِ، والمَحرُورِ[1]
فَوَفَت بِبَردِ حُشاشَةِ المَحرُورِ ... عَدلاً، ودِفء[2] مَضاجِعِ المَقرُورِ
يَتَكَأدُ[3] الرِّزقَ العِبادُ، وإنَّهُ ... فيها على باغِيهِ غَيرُ عَسِيرِ
سِيَّانِ عيشَةُ كادِحٍ، ومُرَفَّهٍ[4] ... فيها، ونِعمَةُ مُوسِرٍ، وفَقِيرِ
إن طَبَّقَ المَحلُ البِلادَ فَإنَّنا ... في رَوضَةٍ من خِصبِها، وغَدِيرِ
إن أنسَ لا أنسَ الرَّبيعَ، بِها، وما ... يَجلُوهُ مِن نَوَّارِهِ، والنُّورِ[5]
رَوضٌ يَرِفُّ عَلَيهِ ناجِمُ زَهرِهِ ... كالصُّحفِ بَينَ نَواصِفٍ وعُشُورِ[6]
يُلقِي[7] لِمُجتازِ النَّسِيمِ، كَرامَةً[8]، ... أنماطَ دِيباجٍ، وفُرشَ حَرِيرِ
أملى السَّحابُ عليهِ من إنشائِهِ ... فَأتاكَ بالمَنظُومِ، والمَنثُورِ
والماءُ مِنهُ مُطلَقٌ، ومُقَيَّدٌ ... يَلقاكَ بالمَمدُودِ، والمَقصُورِ
يَستَوقِفُ الأسماعَ بَينَ تَدَفُّقٍ،[9] ... كَرَجِيعِ قَهقَهَةٍ، وبَينَ خَرِيرِ
تَتلُو بَلابِلُهُ عَلَيكَ، ووُرقُهُ ... أسفارَ إنجِيلٍ، وصُحفَ زَبُورِ[10]
إن بَثَّ ذاكَ عَلَيكَ أعلاقَ[11] الأسَى، ... بِصَفِيرِهِ، ثَنَّاهُ ذا بِهَدِيرِ

---

(١) في ج: بلل، مكان بلد، والمقرور: من أصابه القرُّ، أي البرد، والمحرور: من أصابه الحر.
(٢) في الأصول: دفئ، ولعل الصواب ما أثبتناه.
(٣) يتكأدونه: يكابدونه مكابدة، وفي ج: تيكاد.
(٤) في الهاشمي: وترفه.
(٥) في أ وج: لا أنسى، مكان لا أنس، والمثبت من الهاشمي وب والأعيان، وفي ب وج: تجلوه، مكان يجلوه.
(٦) في الأصول: يرق، بقاف مثناة، مكان يرف، بالفاء الموحدة، والناجم: الطالع، وفي ج، مكانها: تاجم، بتاء مثناة، مكان النون الموحدة، والنواصف، جمع ناصفة: مجاري المياه، أي السواقي، وفي الأصول مكانها: فواصل، ولعل الصواب ما أثبتناه، والعشور، أصلها: العُشُر، جمع عُشَرَة، فلعله قصد جمع كثرة: شجر كبار فيه حُرَّاق، عريض الورق، نَوره يشبه الدفلى، مشرب، مشرق، حسن المنظر، وله ثمر كنفَّاخة القتاد تُحشى به المخدات، ويخرج من زهره وشُعبه سكّر فيه مرارة.
(٧) في ب وج: تلقي.
(٨) كرامةً، هنا، مصدر بمعنى: كرمًا.
(٩) في الهاشمي: مدفق.
(١٠) في الهاشمي وأ وب وج: تتلوا، بزيادة ألف، مكان تتلو، والوُرق جمع ورقاء: الحمام الضارب لونه إلى الخضرة.
(١١) الأعلاق، جمع عِلق: النفيس من كلّ شيء.

حتى تَظَلَّ بِذا وذا مُستغنِيًا، أبداً، عَن المِزمارِ، والطُّنبورِ[١]
فَكَأَنَّما اطَّرَحَ الغِناءَ عَلَيهِما قَيسٌ، وقد غَنَّى بِشِعرِ جَريرِ[٢]
(لا شَيءَ أبهَجُ مَنظَراً مِن صَحوِهِ والشَّمسُ فيهِ) كَدارَةِ البِلَّورِ[٣]
(ومَتَى أغامَ أراكَ) خَيمَةَ سُندُسٍ غَشَّى سَماوَتَها دُخانُ بَخُورِ[٤]
لا عَيبَ فيها غَيرَ أنَّ حِياضَها شُرَعٌ لِوِردِ الكَلبِ، والخِنزيرِ[٥]
هِيَ جَنَّةٌ لو مَيَّزَت نَعماؤُها[٦] ما بَينَ عَبدٍ مُؤمِنٍ، وكَفُورِ
هذي مَزاياها، وكَم عَلِقَت يَدِي فيها بِذِمَّةِ صاحِبٍ، وعَشيرِ[٧]
هذا على سِرِّي الأمينُ، وذاكَ، إن خَذَلَ النَّصيرُ، على الخُطوبِ نَصيري
يا جادَها الهَتِنُ المُلِثُّ، وأصبَحَت غَرَضًا لِمَحلُولِ النِّطاقِ غَزيرِ[٨]
وأقَرَّ إخواني بِها، وأباتَني مَعَهُم بِطَرفٍ بِالدُّنُوِّ قَريرِ[٩]

* * *

---

(١) في ج: يدا، مكان بذا، والمزمار: من آلات الموسيقى يزمر فيها، معروفة، والطنبور: من آلات الطرب ذات عنق طويل، وأوتار نحاسية، فارسية.

(٢) في ج: قائما، مكان فكأنما، واطّرح عليهما: طرحه أي وضعه، أراد المطارحة، وفي ج: حرير، مكان جرير.

(٣) ما بين الأهلة في هذا البيت، والذي بعده، سيكرره في قصيدته في وصف دولاب القميعيات جـ ١٧/٢.

(٤) صدره يشبه قول القاضي التنوخي:

وكأنَّ السماء خيمةُ وشيٍ وكأن الجوزاء فيها شراع

معاهد التنصيص جـ ١٠/٢.

(٥) الشُّرَع، جمع شرعة: الطريق إلى الماء، وهذا عند أهل البديع تأكيد المدح في صورة الذم، وقد مر المعنى في قوله جـ ٣٣٥/١: أنا الخل الذي لا عيبَ فيه سوى ودِّي وهذا العيبُ مجزي

وقد أثبتنا هناك أبياتًا في هذا المعنى.

(٦) في أ: نعمائها.

(٧) العشير: الصاحب المعاشر، وفي الأعيان: وعشيري.

(٨) يا: نداء، مناداه محذوف مقدَّر، وجادها: صار جَوداً عليها، أي سقاها، والهتن: المطر الخفيف يدوم أيامًا، وغرضًا: هدفًا، وفي الأصول: عرضًا، بعين مهملة، مكان الغين المعجمة، ولعل الصواب ما أثبتناه، والنطاق: أصله ما شد به الوسط، والماء ينصف الشجر، استعاره للغمام تشبيهاً بالقِرَب فُتحت نُطَقُها، أي أوكيتها.

(٩) في الأعيان: أحزاني، مكان إخواني، وفي ج: ابانني، مكان أباتني، وفي الأصول: في الدنو، مكان بالدنو، والمثبت بتصرف.

الرحيل[1]

وقال، أيضًا، {وهو} بشيراز*،
وبعث بها إلى أهله بالبحرين*
(طاب ثراه):

خُذ في البُكَا إنَّ الخَليطَ مُقَوِّضُ ... فمُصَرِّحٌ بفِراقِهِم[2]، ومُعَرِّض
وأذِب فُؤادَكَ، فالنَّصيرُ على النَّوَى ... عَينٌ تَفيضُ، ومُهجَةٌ تَتَفَضَّضُ[3]
هاتِيكَ أحداجٌ تُشَدُّ، وهذهِ ... أطنابُ أخبِيَةٍ تُحَلُّ، وتُنقَضُ[4]
وَوَراءَ عِيسِهِم، المُناخَةِ عُصبَةٌ ... أكبادُهُم، وهُمُ وُقُوفٌ، تَركُضُ[5]
وقَفُوا، وأحشاءُ الضَّمائرِ بالأسَى ... تُحشَى، وأوعِيَةُ المَدامعِ تُنفَضُ
يَتَخافَتُونَ ضَنىً[6]؛ فَمُطلِقٌ أنَّةً ... ومُطامِنٌ من زَفرَةٍ، ومُخَفِّضُ
قَبَضُوا بأيديهِم على أكبادِهِم ... والشَّوقُ يَنزَعُ مِن يَدٍ ما تَقبِضُ[7]

(١) تخريجها في أ ص: ٨٨ - ٩٠، وب ص: ١٣٩ - ١٤١، وج ص: ١٠٠ -١٠١، والهاشمي ص: ٧١ - ٧٢، ومنها في أعيان الشيعة مج ١٥٩/٤: «٧» أبيات، وفي ص: ١٦٨ «٨» أبيات، وفي أنوار البدرين ص: ٢٩٤ «٥» أبيات متفرقة.

(٢) في أنوار البدرين: جد بالبكاء، مكان خذ في البكاء، وفي الأعيان وج: خذ بالبكاء، والخليط: القوم الذين أمرُهم واحد، وهنا: الأهل، والرفقة المخالطون، ومقوض: آخذ في نزع الأطناب، أي شارع في الرحيل، وبفراقهم: أي بالجزع، والحزن من أجلهم، وفي أنوار البدرين مكانها: بشكاتهم.

(٣) تتفضض: كتتقضض أي تتمزّق، وفي الأعيان: تتقضض، وفي ج: تتفضفض.

(٤) الأحداج، جمع حِدج: مراكب للنساء كالمحفَّة تشدُّ على الجمال، والأطناب، جمع طُنُب: حبال طويلة تشدُّ بها الخيام، والأخبية، جمع خباء: بيوت الشعر، وتنقض: تحلُّ.

(٥) العيس، جمع عيساء، وأعيس: الإبل البيض، والمناخة: المبركة مهيَّأةً لشد الأحمال عليها، وفي الأعيان: المثارة، وما في غيره أنسب لقوله: وهمُ وقوف.

(٦) في أ: ضنا.

(٧) هذا المعنى متداول فمنه قول أبي الطيب المتنبي*:

ظلت بها تنطوي على كبد ... نضيجة فوق خلبها يدها

وقول آخر: لما رأوهم لم يُحسُّوا مدركًا ... وضعوا أناملهم على الأكباد

ولابن الدمينة*: ليهنك إمساكي بكفي على الحشا ... ورقراق عيني رهبةً من زِيالكِ

ديوان المتنبي ص: ٨، وحماسة أبي تمام جـ ١٠٦/٢، والوساطة ص: ٢٤٢، والتذكرة السعدية ص: ٣٠٣.

فـــإذا هُمُ أمِنُوا المُراقِبَ عَــرَّضُــوا بشكاتِهِم، وإن استَـرابُوا أعرَضُوا[١]

رَحَـلُـوا، وآراءُ الـبُـكَـاةِ وراءَهُـم[٢] شَـتَّى، فَـسَـافحُ عَـبـرةٍ، ومُـغَـيِّضُ

أتبَـعـتُـهُم نَفَـسًـا، ودَمـعًـا، نارُ ذا تَشـوِي الرِّيـاضَ، ومَـاءُ ذاكَ يُرَوِّضُ[٣]

مَن نـاشِـدٌ لي بـالعَـقِـيقِ* حُـشـاشَـةً طاحَت وراءَ الرَّكبِ سَاعَةَ قَوَّضُوا ؟[٤]

لَم تَلوِ راجِــعَـــةً، ولم تَلحَق بِهِم حَـتَّى وهَت مِـمَّــا تَطِيحُ[٥]، وتَنـهَضُ

أتَـرى رُمــــاتَـهُمُ دَرَوا مَن أوغَلُوا في قَلبِهِ تلكَ السِّهامَ، وخَضخَضُوا ؟[٦]

يا قَـد رَضِـيتُ بما أراقُـوا مِن دَمِي عَمداً، على سُخطِ القَبِيلِ، فَهَل رَضُوا؟[٧]

فَــهَـناهُمُ صَــفْــوُ الزُّلالِ، وإن هُمُ بالرِّيقِ، يومَ وَداعِهِم، لِيَ أجرَضُوا[٨]

بَاتُوا أصــحَّــاءَ القُلُوبِ، وعِندَنا مِنهُم، على النأيِ ، المُمِضُّ المُمرِضُ[٩]

يا صَاحِ، أنتَ المُستَـشَـارُ لِمَـا عَـرا مِن حَـادِثِ الأيَّامِ، والمُسـتَنهَضُ[١٠]

---

(١) في الأعيان: صرحوا، مكان عرَّضوا، وفي السلافة: وإذا، مكان وإن، وفي الأعيان: عرضوا، مكان أعرضوا.

(٢) في السلافة والهاشمي: وارآء البكاة وراءهم، وفي أ: وارآء البكات وراهم، وفي ب وج: وارآء البكاة ورآءَهم، والمثبت بتصرف.

(٣) في السلافة: نادرا، مكان نار ذا، وفي أ وب وج: يشوي، مكان تشوي، ويروِّض: ينبت روضًا، وفي الهاشمي مكانها: تروض.

(٤) العقيق: الوادي، وكلُّ مسيل شقَّه السيل فوسَّعه، والعقيق: أماكن في بلاد العرب منها عقيق عارض اليمامة، وهو واد واسع فيه شعاب العارض، وعيون عذبة الماء، ومنها عقيق بناحية المدينة، فيه عيون، ونخل، وكان قد اتخذ متنزَّهًا بالشتاء، وهو اكثر ما يعنيه الشعراء في شعرهم. راجع: ياقوت جـ ١٣٨/٤، والبكري جـ ٩٥٢/٣، والمنجد في الأعلام، ومع الشعراء ص: ١٩٤، وصدر البيت في الأعيان:

لي بالعقيق سقى العقيق حشاشة ....

(٥) تطيح: تسقط، وفي أنوار البدرين مكانها بياض.

(٦) أوغلوا: أدخلوا، وخضخضوا: حرَّكوا.

(٧) يا: نداء مناداه محذوف مقدَّر، وفي السلافة: أنا قد، وفي الأعيان: إني، والقبيل: الأهل، والجماعة، وفي الهاشمي والسلافة، مكانها: القتيل.

(٨) في السلافة: الزمان، مكان الزلال، وأجرضوا: أغصُّوا، من الجرَض، بفتح الأوَّل والثاني: الريق الذي يُغصُّ به، وفي أ: أخرضوا.

(٩) في الأعيان: الجسوم، مكان القلوب، والنأيُ: البعد، وفي ج مكانها: النائ، وفي أ: الناي، وهمزتها فوق النون، وفي الأعيان: المصح، مكان الممض، وفي أ وب وج: المعل.

(١٠) المستثار: المستنجد به، والمستعان، وفي ب وج والهاشمي والسلافة: المستشار، بشين مكان الثاء، وعرا: ألَمَّ، وأصاب، وعَرَض، وفي الهاشمي، وأ وب وج: عرى، بالمقصورة، والمثبت بتصرف.

أشكُو[1] إليكَ صَبًّا تُعِينُ على دَمِي بَرقًا تألَّقَ، بَعدَ وَهنٍ، يُومِضُ
فَمَنِ المُذِمُّ على المَحَاجِرِ من سَنا بَرقٍ كَصِلِّ الرَّملِ حِينَ يُنَضنِضُ[2]
قَلِقِ الوَمِيضِ، فلا[3] يُغَمِّضُ طَرفَهُ لَيلاً، ولا يَدَعُ المحاجِرَ تُغمِضُ
نُشِرَت لَهُ لَيلاً عَلَى عَذَبِ الحِمَى حُلَلٌ تُذَهَّبُ تَارَةً، وتُفَضَّضُ[4]
أحيَى الدُّجَى نَبضًا، وأفنَاني[5]، فما أجلَى سَنَاهُ وفِيَّ عِرقٌ يَنبِضُ
وبِمُنحَنَى الجَرعاءِ* حَيٌّ ثَوَّرُوا بالقَلبِ سَائِرَةَ* الظُّعُونِ، وأربَضُوا[6]
وَلَقَد دَعَوتُ، وَوَجهُ شَوقِي مُقبِلٌ بِهِم، وَوَجهُ الصَّبرِ عَنِّي مُعرِضُ[7]
رُدُّوهُ أحيَ بِرَدِّهِ أو فالحَقُوا كُلِّي بِهِ فالحَيُّ لا يَتَبَعَّضُ[8]

---

(١)في الهاشمي وب وج: أشكوا.

(٢)المذَمُّ: المجير، والصلُّ: حية صفراء لا تفيد في لذغتها رقية، وينضنض: يتحرك، أو يحرك لسانه، وفي البيت نظر إلى قول امرئ القيس*:

أعنِّي على برق أرى، ووميض يضيء عجيبًا في شمارخ بيض

ويروى: أعنِّي على برق أراه وميض يضيء حبيًّا في شماريخ بيض

ديوانه ص ٧٢، وأمالي القالي جـ ١/ ١٠.

(٣)في الهاشمي: فلم، وفي السلافة: فليس.

(٤)العَذَب، جمع عَذَبَة: الأطراف، والنواحي، وفي السلافة مكانها: كثب، والحمى: ما حمي من شيء، أو الحي لأنهم يحمونه، وفي أ وب وج مكانها: الحما.

(٥)في الهاشمي: احيا الدجا، مكان أحيى الدجى، وفي ب: احي الدجي، وفي متن ج: احي الدجا، وفي السلافة: واحياني، مكان وأفناني.

(٦)المنحنى: المنعطف، وفي أ مكانها: وبمنحنا، وفي السلافة: وبمنحني، وفي السلافة: ثايرة، والظعون، جمع ظعن، وظعينة: الهوادج، أو الجمال المتَّخذة لحملها، وفي الهاشمي وأ مكانها: الضمون، وأربضوا: أبركوا، وأناخوا.

(٧)في السلافة: ووجد، مكان ووجه، والمعنى أخذه من قول البحتري*:

أحنو اليك وفي فؤادي لوعةٌ وأصدُّ عنك ووجه ودِّي مقبل

ديوانه جـ ١/ ٣٠.

(٨)في السلافة: احيا، مكان أحيَ، وفي الهاشمي: احى، وفي ج: احيي، وهذا من كلام المناطقة، وقد مر المعنى في قوله من الدوبيت جـ ١/ ٣٩١:

لم يُبقِ هواك فيَّ إلاَّ رمقًا ردِّي الماضي، أو اذهبي بالباقي

وقوله جـ ١/ ٣٩٢:

إن لم تهب الحياة في وصلك لي فامنن كرمًا وردَّني للعدَم

وهو مأخوذ من قول المظفَّر بن كيغلغ*:

عبدك أمرضته فعده أتلِفه إن لم تكن تُرده

و قريب منه قول إبراهيم بن المهدي*:

ما زلت مذ كلفت نفسي بحبكم كلِّي بكلِّك مشغول، ومرتهن ==

نَفَسُوا بِرَدِّهِمِ[1] النَّفِيسَ، وعَوَّضُوا	عَنهُ الأسَى. بُعداً لما قَد عَوَّضُوا!
لَم يألَفُوا كنَفَ العَقيقِ*، وإنَّما	شَتَّوا بأرباعِ الضَّمِيرِ، وقَيَّضُوا[2]
يا صَاحِ، هَل يَهَبُ التَّجَلُّدَ واهِبٌ؟	أو يُقرِضُ السُّلوانَ، عَنهُ، مُقرِضُ؟[3]
وأبي! لَقَد عَزَّ العَزاءُ، وما بَقِي	بِيَدَيَّ مِن سَيفِ التَّجَلُّدِ مَقبِضُ
أنفَضتُ[4] مِن زادِ السُّلُوِّ؛ وما عسى	يُبقِي، عَقِيبَ نَفَادِ زادٍ، مُنفِضُ؟

* * *

== أمالي القالي جـ ٢٢/١، و٢٢١، ومعاهد التنصيص جـ ٢٩/٣.

(١) في أ: بزدهم، بزاي معجمة، مكان الراء المهملة.

(٢) الكنف: الناحية، والظل، والأرباع: الربوع، وهي جمع ربع: المحلة، والمنزل، وقيَّضوا: أقاموا على الماء؛ كناية عن الخصب، من قيَّضت البئر: كثر ماؤها، وفي ب تعليق هذا نصه: «كأنه أراد بقوله: قيضوا، من القيظ الذي هو صميم الصيف بقرينة قوله: شتوا، وهو بالظاء المشالة لا بالضاد أخت الصاد المهملة كما ظنه الناظم، وأمَّا القيض بالضاد المعجمة فله معان أخر لا تناسب المقام، ومعانيه مذكورة في القاموس فلتراجع». أقول: هذا اشتباه من كاتب التعليق، فمراد الشاعر القيض، كما سَلَفَ، وليس القيظ الذي هو شدَّة الصيف.

(٣) يا صاح: مرخم يا صاحبي، والمعنى متداول، فمنه قول الحسين بن مطير*، أو ابن الدمينة*:

ولي كبد مقروحةٌ من يبيعني	بها كبِداً ليست بذات قروح

وقول الحسين بن مطير*:

فيا ليتني أقرضت، جَلداً، صبابتي	وأقرضني، صبراً على الشوق، مقرض!

وقول العباس بن الأحنف*:

من ذا يعيرك عينه تبكي بها	أرأيت عيناً للبكاء تعار؟

وقول عبد الله بن عنبة:

ولما عصاني القلب أظهرت عولةً	وقلت ألا قلبٌ بقلبي أبادله؟

ومثله لآخر:

فهل من معير طرف عينٍ خليَّة	فإنسان عين العامريِّ كليم؟

ومثله قول نسبه الراغب الإصفهاني* لمليح الهذلي:

ولتلتمس عيناً سوى العين التي	ذهبت بجاري دمعك المترقرق

محاضرات الأدباء مجـ ٧٩/٢ - ٨٠، وأنوار الربيع جـ ٢٧٦/٦، وأمالي القالي جـ ٢٢/١، وجـ ٢٨/٢، وأمالي المرتضى جـ ٤٣٦/١ - ٤٣٧، والأغاني جـ ٢١٠/٥ - ٢١١، و ٢٣٣، والعقد الفريد جـ ٧٦/٧، ومعجم البلدان جـ ٣٤٦/٥، وديوان العباس بن الأحنف ص: ١٣٩.

(٤) أنفضت من الزاد: أفنيت ما عندي منه، مستعار من نفض المزادة لتنظيفها.

شفاعة[١]

وقال، أيضًا، بشيراز*، وبعث
بها إلى أهله بالبحرين*

مَـا لي ومـا لِصَـوادحِ الأوراقِ ؟ يُكثِـرنَ من قَلَقِي[٢]، ومن إقـلاقِي
مَـلأت حَشـايَ أسىً لما أملَتـهُ مِن قِـصَصِ الغَـرَامِ عليَّ، والأشـواقِ[٣]
وأتَت[٤] بِشَـفعِ غنائها فَتَشَـفَّعَت لِحَـبِـيسِ دَمعِ العَينِ فِي الإطلاقِ
أنزَلـنَ بي أحـزانَ يَعـقُـوبَ لِمـا أسـمَـعنَنيـهِ مِن غنا إسـحَـاقِ[٥]
عَمـرِي[٦] لَكَذَّبتُنَّ ما ادَّعَت الوَرَى قِـدمًـا لَكُنَّ من الغَـرامِ البَـاقِي
لو كـان عن حُزنٍ بُكاؤكِ لانبَرَت، عِندَ البُكاءِ، مَـدامِعُ الآمـاقِ[٧]

---

(١)تخريجها في الهاشمي ص: ٧٨ - ٧٩، وأ ص: ٩٠ - ٩١، وب ص: ١٤١ - ١٤٣، وج ص: ١٠٢، ومنها في أعيان الشيعة مج ١٦٧/٤ «٨» أبيات.

(٢)قلقي: انزعاجي، واضطرابي، وإقلاقي مثلها، ومكانها في الأعيان: جنح الليل.

(٣)أملته: ردّدته، وتغنت به، وفي الهاشمي مكانها: املينه.

(٤)في ج: رانت.

(٥)هو اسحاق بن إبراهيم الموصلي، ممن اشتهروا بالغناء في العصر العباسي الأول، انقطع إلى الرشيد*، والبرامكة*، اشتهر بظرفه، وأدبه، وله مؤلفات في الغناء. راجع: المنجد في الأعلام.

(٦)عمري، قَسَمٌ معناه: أقسم بديني، والشائع: لعمري، وحذف اللام ضرورة.

(٧)الآماق، جمع موق: مضيق العين المقارب للأنف، وهو مجرى الدمع، وفي الهاشمي: الاماق، بغير مدٌ، وفي أ: الأماق، بهمزة، ومعنى البيت متداول، فمنه قول علي بن عميرة الجرمي:

جزوع، جمود العين، دائمةُ البكا وكيف بكا ذي مقلة وجمودها

وقول محيي الدين بن عبد الظاهر:

نسب الناس للحمامة حُزنًا وأراها في الحزن ليست هنالك
خضبت كفها، وطوّقت الجيـ ـدَ، وغنّت، وما الحزين كذلك

وقول محمد بن سنان الخفاجي:

وهاتفة، في البان، تملي غرامها علينا، وتتلو من صبابتها صُحفا
عجبت لها تشكو الفراق جهالةً وقد جاوبت من كلّ ناحية إلفا
ولو صدقت في ما تقول من الأسى لما لبست طوقًا، ولا خضبت كفًا

وقول جهم بن خلف:

هتوف تبكّي ساق حُرّ* ولا ترى لها دمعةً يومًا على خدّها تجري ==

ولما خَضَبْتُنَّ الأكُفَّ، وزُيِّنَت أعناقُكُنَّ بحِليَةِ الأطواقِ
ولما افتَرَشْتُنَّ، الغَداةَ، نَواعِمَ الـ ـأغصانِ، وارتشتُنَّ بالأوراقِ[1]
أنا مَن إذا ما الدَّمعُ قلَّ عَلى امرئٍ رفَعَ السُّؤالَ لَدَمعِيَ المُهراقِ[2]
وإذا أوَت، لَيلاً، إلى أفراخِها وَرقاءُ[3]، بَعدَ السَّعيِ في الآفاقِ،
ألقَت عَصا تَطوافِها، واستَوعَبَت كأسَ الكَرى شُرباً إلى الإشراقِ[4]
أو إن أتَى اللَّيلُ الطَّويلُ لِمُقلَةٍ شَتَّ الكَرَى، ومَشَى إلى إقلاقِي[5]

== وقوله أيضاً: فلم أرَ باكيةً مثلها تبكي ودمعتها لا ترى
وقول مجنون ليلى*:
تداعين فاستبكين من كان ذا هوىً نوائح لا تجري لهنَّ دموع
وقوله أيضاً: فلم تر عيني مثلهنَّ حمائمًا بكين ولم تدمع لهن عيون
وقول ديك الجن*:
حمائم وُرق في حمى وَرَقٍ خضرٍ لها مُقَلٌ تُجري الدموع، ولا تجري
تكلَّفن إسعاد القرينة إن بكت وإن كنَّ لا يدرين كيف جوى الصدر
وقول أحمد بن عبد ربه الأندلسي*:
لك الويل، كم هيَّجت شجواً بلا جوىً وشكوى بلا شكوى، وكرباً بلا كرب
وأسكبت دمعًا من جفونٍ مسهَّدٍ وما رُقرِقت منك المدامعُ بالسكب
وقول عوف بن محلِّم*:
على أنها ناحت، ولم تذر دمعةً ونحتُ وأسراب الدموع سفوحُ
وناحت وفرخاها بحيث تراهما ومن دون أفراخي مهامهُ فيحُ
قول على قول جـ ٨/١١٢ - ١١٣، والحيوان في الأدب العربي جـ ١/٣٤٠، و٣٥٠، و٣٥١، و٣٦٣، والعقد الفريد جـ ٦/٢٦٣، وديوان ديك الجن ص: ١٦٧، وديوان مجنون ليلى ص: ١٥١، و٢١١، وقيس ولبنى ص: ١١٤، وأمالي القالي جـ ١/١٣٧.
(*) ساق حر: ذكر الحمام.
(١) في أ: الغدات، مكان الغداة، وارتشتنَّ: اكتسيتنَّ إما بالريش، وهو كسوة الطائر، أو من الرياش وهو اللباس الفاخر، والخصب، والمعاش.
(٢) في أ وب وج: امرء، مكان امرئ.
(٣) الورقاء: الحمامة الضارب لونها إلى الخضرة.
(٤) في الأصول: عصى، مكان عصا، واستوعبته: شربته كلّه، واستوفته، وفي أ مكانها: استوعنت، وعجز البيت في متن ب: .... كأس الكري، والى حشى إقلاق
والمثبت من حاشيتها و أ والهاشمي.
(٥) شتَّه: شتَّته: أي أبعده، وفرَّقه، ونص البيت في الهاشمي:
او ان اتى الليل الطويل لمقلة شتى الكرى، والى حشى اقلاق
وفي أ: او اني الليل الطويل لمقلة شتى الكرى والى حشى اقلاق
وب وج: او ان لليل الطويل لمقلة شت الكرى والى حشى اقلاق ==

وَتَذكُّـرٍ يَرمِي الحَشـا بأسـاوِدٍ   ما مَن نَهَشنَ يُفيدُ فيهِ الرَّاقي[1]
شَـوقًـا إلى القَـومِ الذينَ مَـحلُّهُم   قَلبِي، وإن بَعُـدُوا على أحداقي[2]
فـارَقـتُـهُم لم ألوِ من جِـيـدٍ لِتَو   ديعٍ، ولَـم أعطِـف يَـداً لِعِنَاقِ[3]
قَـد كَـانَت الأيَّامُ تُعـجِلُ رِحلَتي   عَن واصِلٍ، وتَجُدُّ عَنهُ[4] سِيَـاقِي
فاليومَ تَحسِدُنِي على مَن لم يَصِلِ   وتُغـصُّني مِن قَـبلِ حين مَـذاقي[5]
وأبي ! لَئِن قُسِمَ الدُّنُوُّ لِمَـعشَـرٍ   رِزقًـا، فَلَم يُرمَـوا بِسَـهمِ فِراقِ؛
فَلَقَد خُصِصتُ مِن التَّباعُدِ والنَّوى،   عَـمَّن[6] أُحِبُّ، بِأوفَـرِ الأرزاقِ

* * *

== والبيت بهذه الصور مضطرب معنى، ومبنى، وإملاءً، وحاولت تجبيره بتصرف، والله أعلم.

(١)الحشا: ما انضمت عليه الضلوع كالقلب والكبد، وفي ب وأ مكانها: الحشى، والأساود، جمع أسود: العظيم من الحيَّات فيه سواد، وفي ب وأ: نهسن، بسين مهملة، مكان نهشن، بالشين المعجمة، وفي ج: نهن، والراقي، اسم فاعل: من يصنع الرقية، وهي العوذة يستشفى بها، وفي أ، مكانها: الابراق.

(٢)في الأعيان: شوق، مكان شوقًا، والأحداق، جمع حَدَقة: سواد العين، وفي متن ب، مكانها: أحاقي، وفي ج: أحداق.

(٣)مرَّ هذا المعنى في قوله جـ ٣٦٨/١:

بنتم فما عطفت لي بالوداع يدٌ   منكم، ولا بُلَّ بالتسويف لي كبد

وهناك ذكرت أبياتًا من توارده في المعنى مع السيد ماجد الصادقي* ، والشريف الرضي، وغيرهما.

(٤)في الهاشمي: عن.

(٥)في أ: من لا، مكان لم.

(٦)في الأصول: عن من، والمثبت بتصرف.

نغصٌ بالماء (١)

وقال، أيضًا، {وهو} بشيراز*،
وبعث بها إلى أهله بالبحرين*:

حَمَامَاتِ شِيرازَ * رِفقًا بِنا　　لَهِجتُنَّ، بالنَّوحِ، ما عِندَنا
وذَكَّرتِنا اليَومَ ما لَم تَكُن　　صُرُوفُ النَّوى، أمسِ، أنسَينَنا
أراكُنَّ، إمَّا طَعِمنا الكَرى،　　أخَذتُنَّ بالنَّوحِ تُوقِظنَنا (٢)
عَلامَ؟ وأنتُنَّ عِندَ القَريـ　　ـنِ في بَارِدِ الظِّلِّ، داني الجَنَى
تُغَازِلنَ (٣) فَاكِهَةً غَضَّةً　　وآونةً غُصُنًا لَيِّنا
نَنوحُ (٤)، اشتِياقًا، وتَغرِيدُكُـ　　ـنَّ غِناءٌ، فَشَتَّانِ ما بَينَنا
فإنَّ بُكانا على مَن نَأى　　خِلافُ بُكاكِ على مَن دَنا
لَحَا (٥) اللَّهُ أبطَلَنا في الغَرا　　مِ، دَعوَى، وأكذَبَنا ألسُنا
وأكثَرَنا عِندَ آلافِهِ،　　مَبِيتًا، وأجمَدَنا أعيُنا (٦)

---

(١) تخريجها في أ ص: ٩١ - ٩٢، وب ص: ١٤٣ - ١٤٥، وج ص: ١٠٢ - ١٠٤، والهاشمي ص: ١١٩ - ١٢١، ومنها في أعيان الشيعة مج ١٦٧/٤: «١٨» بيتًا.

(٢) البيت ليس في الأعيان، وفي باقي الأصول: توقضننا، بضاد أخت الصاد، والمثبت بتصرف.

(٣) في الأعيان: تجاورن، والمثبت من باقي الأصول.

(٤) في أ وج: تنوح، بتاء مثناة.

(٥) لحا: قبح، ولعن.

(٦) ورد معنى هذا البيت، والأبيات التي سبقته، في كثير من الشعر العربي، فمنه قول جهم بن خلف*:

وقد شاقني نَوحُ قُمرِيَّةٍ　　طروبِ العَشيِّ، هَتوفِ الضحى
من الوُرق، نوَّاحةٍ باكرت　　عَسيبَ أشاءٍ (*) بذات الغضا
تغنَّت عليه بلحنٍ لها　　يهيِّج للصب ما قد مضى

وقول عوف بن محلِّم*:

ألا يا حمامَ الأيك إلفُكَ حاضرٌ　　وغصنك ميَّادٌ فكيف تنوح؟
أفق لا تنح من غير شيءٍ فإنني　　بكيت زمانًا، والفؤاد صحيح

وقول عبد الله بن الدمينة، أو مجنون ليلى*: ==

ألا قُل لِسُكَّانِ وادي المحـ ... ـلِّ؛ هَل وَرَدُوا، في الهَوَى، ورِدنا

فإنَّا نَغَصُّ بماءِ الجَفا ... وَهُم يَستَسيغُونَ وِردَ الهَنا

فَمَن لِعَليلٍ[1] أبى أن يُبـ ... ـلَّ، بِغَيرِكُم، داءَهُ المُزمِنا

==

أإن هتفت ورقاءُ في رونَق الضحى ... على فنن غضّ النبات من الرند

بكيتَ كما يبكي الوليد، ولم تكن ... جليداً، وأبديت الذي لم تكن تبدي؟

وقول ابن دريد الأزدي*:

ليهنكما أن لم تراها بفرقة ... وما دبَّ في تشتيت شملكما الدهر

وقول أبو الأسود الدؤلي*:

وساجعٍ في فروع الأيك هيجني ... لم أدرِ لِم ناح، مما بي، ولم سجعا

أباكيًا إلفَه من بعد فرقته؟ ... أم جازعًا للنوى من قبل أن تقعا

يدعو حمامته، والطير هاجعةٌ ... فما هجعتُ له، ليلاً، ولا هجعا

وقول محمد بن سنان الخفاجي*:

عجبت لها تشكو الغرام جهالةً ... وقد جاوبت من كلّ ناحية إلفا

ولو صدقت في ما تقول من الأسى ... لما لبست طوقًا، ولا خضبت كفًّا

وقول أبي فراس الحمداني:

معاذ الهوى ماذقت طارقة النوى ... ولا خطرت منك الهموم ببال

أتحمل محزونَ الفؤاد قوادمٌ ... على غُصُنٍ نائي المسافةِ عال؟

أيضحك مأسورٌ، وتبكي طليقة ... ويسكت محزونٌ، ويندب سالي؟

وقول حميد بن ثور الهلالي*:

وما هاج هذا الشوق إلاّ حمامةٌ ... دَعَت ساقَ حُرٍّ(*) فرحةً وترنُّما

من الورق حمَّاءُ العلاطين باكرت ... عسيب أشاءٍ مطلع الشمس أسحما (*1)

إذا هزهزته الريحُ، أو لعبت به ... أرنَّت عليه مائلاً، ومقوَّما

تباري حمام الجهلتين، وترعوي ... إلى ابن ثلاثٍ، بين عودين، أعجما

وقول أحمد بن عبد ربه الأندلسي*:

لقد سجعت، في جنح ليل، حمامةٌ ... فأيّ أسىً هاجت على الهائم الصبِّ؟

لك الويل كم هيجت شجواً بلا جوىً ... وشكوى بلا شكوى وكربًا بلا كرب

وأسكبت دمعًا من جفونِ مسهَّد ... وما رُقرِقت منك المدامع بالسكب

وقول غيره: ياويح قمريَّةٍ غنَّت بنا هزجًا ... مما تغنِّي بنظم جُدِّ متَّزن

قد كنت واقعةً دهراً على فَنَنٍ ... فصرت في جوف منحوت من القنَن

فخبِّرينا، وما ألفاك مخبرةً، ... أتسجعينَ للهوِ منك، أم شجن؟

العقد الفريد جـ ٦/ ٢٦١ - ٢٦٣، وقول على قول جـ ٨/ ١١٢، ومحاضرات الأدباء مجـ ٢/ ٥٩، والحيوان في الأدب العربي جـ ١/ ٢٤٠، ٢٤٣، ٣٤٥، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٥٩، وديوان مجنون ليلى ص: ٨٩.

(*) - ساق حر: ذكر الحمام.

(*1) - الوُرق، جمع ورقاء: الحمام الضارب لونه إلى الخضرة، وحماء: سوداء، والعلاطان: الرقمتان في عنق الحمامة، والعسيب: الجزء الذي ليس به خوص من جريدة النخل، والأشاء: صغار النخل، وأسحم: أسود.

(١) في ب وج: لغليل، بغين معجمة.

تَمَرَّضَ حَتَّى استَعَاذَ السِّقا   مُ من جِسمِهِ، واستَقالَ[1] الضَّنَى
عَجِبتُ لَكُم، واللَّيالِي أَبَى   لَها خُلُقُ السُّوءِ أن تُحسِنا؛
تَبِيتُونَ أكرَى الوَرَى مُقلَةً   ونَسهَرُ، والثَّأرُ فِيكُم لَنا[2]
أضِيقُ المَجالِ عَلَى مَن جُنِي   عَلَيهِ الأذَى، أم عَلَى مَن جَنَى؟[3]
فَيا هَل عَلِمتُم، وأنتُم هُنا   كَ، ما عِندَنا مِنكُمُ ها هُنا
يَمِينًا بِكُلِّ أمُونِ العِثا   رِ أقصَى مُنَى مَن عَلَيها مِنَى*[4]
لَسُكَّانُ ظَهرِ «مَنِي» مِن أوَا   لَ* أوَّلُ مَطلَبِنا، والمُنَى[5]
فَيا صَاحِبِي، والفَتَى رُبَّما   أحالَ عَلَى خِلِّهِ ما عَنَى
سَأَلتُكَ ألاَّ طَرَقتَ الخِيا   مَ، وقُلتَ لِسُكَّانِها مُعلِنا[6]:
أأنتُم عَلَى حِفظِ تِلكَ العُهو   دِ؟ أم نَقَضَ البُعدُ ذاكَ البِنا؟
ألا رُبَّ قَومٍ أباحُوا لَنا   مِنَ الوَصلِ أطيَبَ ما يُجتَنَى
وفِيهِم، مِنَ الحُسنِ، ما فِيهِمُ   فَلَم نَرَ ذلكَ مُستَحسَنا
يُرِيدُونَ سُلوانَنا عَنكُمُ   ولَكِنَّ ذلكَ لَم يُسلِنا[7]

---

(١)استقال: طلب الإقالة، أي استعفى، وأصلها فسخ العقد.
(٢)أكرى: أكثر كرىً، أي أكثر نومًا.
(٣)في أ وب وج: جنا، بألف ممدودة مكان جنى، والبيت ليس في الأعيان.
(٤)الأمون: المطية المأمونة، والعثار: الزلل، والسقوط، ومُنى. بضم الميم، جمع أمنيَّة: البغية، والمراد، ومِنى* بكسرها: موضع في مكة*، وهو أحد مشاعر الحج، يقع في درج الوادي الذي ينزله الحاج، ويرمي فيه الجمار، وتذبح الأضاحي.
(٥)مَني، بفتح الميم وكسر النون، ثم ياء، وفي الأصول؛ منى، بالمقصورة: قرية صغيرة بالبحرين* تقع على الساحل الشمالي من جزيرة أوال* جنوب غربي النعيم، هي اليوم من ضواحي المنامة* الغربية الشمالية، إلى الشمال الشرقي منها البرهامة، وإلى الشمال الغربي منها قرية سنابس. راجع: عقد اللآل في تاريخ أوال ص: ٣٤، وخارطة البحرين منشورات وزارة الإعلام بدولة البحرين.
(٦)ألاَّ، بفتح الأول، وتشديد الثاني مفتوحًا: حرف تحضيض يفيد الطلب بحثٍّ، وإزعاج، وطرقت الخيامَ: أتيتها ليلاً.
(٧)في الأصول: ولو كان، مكان ولكنَّ، ولعل الصواب ما أثبتناه، وفي البيت، والبيتين اللذين سبقاه، معنى قول كُثير عزَّة*:
إذا ما أرادت خُلَّة أن تزيلنا   أبينا، وقلنا الحاجبيَّةُ أوَّل
ويروى: إذا واصلتنا خُلَّة كي تزيلنا   عرضنا، وقلنا الحاجبيَّةُ أوَّل
ومنه أخذ أبو تمّام* قوله:
نقِّل فؤادك، حيث شئتَ، من الهوى   ما الحبُّ إلاَّ للحبيب الأوَّل   ==

فَـــلا تُنكِرُنَّ عَلَينا الرَّحِـــيـ ـلَ غَـداةَ نَأى الرَّكبُ عَنكُم بِنا
فَـبِـالـرَّغمِ أن يَسـتَـقِلَّ المحِـ ـبُّ، عَـمَّن يُحِبُّ، وأن يَظعَنا
فـإن تَرَنِي مُـشـئِـمًـا تارَةً، وآونَةً تَـرَنِي مُـعـمِـنا[1]
لأعـتَـاضَ مِن خُلَّةٍ خُلَّةً وأبدِلَ من مَـسكَنٍ مَـسكَنا
فَـمـا ذَاكَ إلاَّ لأن أسـتَـقِـ ـرَّ، عِـنـدكَـمُ، ولأن أسـكُـنـا

* * *

== ديوان كثير عزّة ص: ٢٢٥، ودلائل الإعجاز ص: ٣٧٩، ومحاضرات الأدباء مج ٢/ ٥٠، و٥١، والشعر والشعراء ص: ٣٤٤، وديوان أبي تمام ص: ٤٠٧.

(١) مشئم: قاصدٌ الشام، ومعمن: قاصدٌ عُمان.

أقيلوني[1]

وقال، أيضًا، وبعث بها إلى أهله بالبحرين*:

(يا نُزُولاً بَينَ أجراعِ الحِمَى) بُعدُكُم عَن عَينِيَ النَّومَ حَمَى[2]
هل تُعِيرُونَ جُفُونِي هَجعةً؟ أم تَرَونَ النَّومَ شَيئًا حُرِّمَا؟
أرسَلَت مِن دَمعِهَا فِي حُبِّكُم عَارِضًا يَهمِي، وتيَّاراً طَمَا[3]
وأسَالَت ذَاكَ مُبيَضًّا فَإن طالَ هذا البُعدُ أجرَتهُ دَمَا[4]
إنَّ عَينًا لا تَراكُم لا تَرى الـ فَرقَ[5] ما بَينَ هُداها والعَمَى

(١) تخريجها في أ ص: ٩٢ - ٩٣، وب ص: ١٤٥ - ١٤٦، وج ص: ١٠٤، والهاشمي ص: ١٠٩، وأعيان الشيعة مج ٤/١٦٧.

(٢) الأجراع، جمع جَرع كالجرعاء: أرضٌ ذات حزونة تشاكل الرمل، أو هي الرملة السهلة المستوية، والدعص، والرملة الطيبة النبت لا وعوثة فيها، وحماه: منعه، وسوف يكرر صدر البيت في قوله جـ ١/٤٣١:
يا نزولاً بين أجراع الحمى وفؤادي حيثما حلّوا يحلّ

(٣) العارض: السحاب المعترض، والمعنى من قول ابن الحاجب:
كأنّ السحابَ الغُرَّ حشو جفونه إذا انهملت من عينه عبراتها
وقول دعبل الخزاعي*:
لا أبتغي سقيا السحاب لها في مقلتي خَلَفٌ عن السقيا
ديوانه ص: ٩٩، ومحاضرات الأدباء جـ ٢/٧٨، وأمالي القالي جـ ١/٢١٢، وفيها سقي، وعوض، مكان سقيا، وخلف.

(٤) من قول الأعشى*، وليس في ديوانه:
وكأنّ الدمعَ درٌّ جامدٌ والدمَ الجاري عقيقٌ قد جمد
وقول كشاجم*: مُزجت دموع العين مـ ـني يوم بانوا بالدماء
أو لعله نقله من قول ينسب للمتنبي* وليس في ديوانه:
جرت عبرات في الخدود بإثمد فعاد به الورد الجنيُّ شقائقا
وقوله أيضًا: فكأنها، والدمع يقطر فوقها، ذهب بسمطي لؤلؤ قد رُصِّعا
محاضرات الأدباء مج ٢/٧٦، و٧٩، وديوان كشاجم ص: ١٠، وديوان المتنبي ص: ١١٧.

(٥) في الأعيان: فرق.

وكَـذاكَ السَّـمعُ يَشكُو بَعـدَكُم عَـارِضَ الوَقـرِ بهِ، والصَّـمـمـا
سَادَتي، أسلَمتُ، في الحُبِّ، لَكُم أفيَنجُو، سَالِماً، من أسلما ؟[1]
إن أكُن[2] أذنَبتُ في حُـبِّكُمُ فـأقِـيلُوني ذُنُوبي كَـرَمـا[3]

* * *

(١) أسلمت: انقدت، وأطعت.

(٢) في أ وب وج والهاشمي: ان يكن.

(٣) أقيلوني ذنوبي: اعفوني منها.

الحبيب الأول[1]

وقال، أيضًا، وبعث بها إلى أهله بالبحرين*:

يا مَن نأى، فجعلتُ بعدَ فراقِهِ — أسِمُ[2] الوُجوهَ بنَظرةِ المُستبدلِ[3]
فارتَدَّ سَرحُ اللَّحظِ أعجفَ سائمًا — إذ كانَ مَرتَعُهُ بوادٍ مُمحِلِ[4]
ما إن وَجَدتُ لقُربِ غيرِكَ لذَّةً — إلاَّ وكُنتَ، على البِعادِ، ألَذَّ لي[5]
سأقولُ، والأمثالُ يُرسِلُها الفتى، — في ما يَشاءُ، مَقالةَ المُتَمَثِّلِ:
(نَقِّل فؤادكَ حَيثُ شِئتَ منَ الهوى — ما الحُبُّ إلاَّ للحَبيبِ الأوَّلِ[6]
كَم مَنزِلٍ في الأرضِ يألفُهُ الفتى — وحَنينُهُ، أبداً، لأوَّلِ مَنزِلِ)

* * *

(١) تخريجها في أ ص: ٩٣، وب ص: ١٤٦، وج ص: ١٠٤ - ١٠٥، والهاشمي ص: ٨٦، ومنها في أعيان الشيعة مج ١٦٧/٤ «٥» أبيات.

(٢) أسِمُها: أحدِثُ فيها سمةً من كثرة التفرُّس فيها.

(٣) المستبدل: من يطلب استبدال شيءٍ بغيره، وفي الهاشمي وب وج: المتبدل.

(٤) السَّرح: المال السائم، أي الماشية، وفي الهاشمي: الحظ، مكان اللحظ، وأعجف: هزيل، والسائم: واحد السوائم، وهي الماشية المُطلَقة في المرعى غير مربوطة، وفي الأصول: سائم، مكان سائمًا، ومرتعه: المكان الذي يرتع فيه، أي يأكل ويشرب، وترتيب البيت في الهاشمي الثالث.

(٥) ينظر إلى قول اسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه الحمدوي* «الحمدوني ؟»:

كيف أسلو بلذَّة عنك واللـ — ـذات يحدثن لي اليك اشتياقا؟

العقد الفريد جـ ١٩٢/٦.

(٦) البيت، والذي يليه، لأبي تمّام*، وفي الأصول: فإنه، مكان من الهوى، والمثبت من ديوان أبي تمام*، والمعنى مأخوذ من قول كُثير عزَّة*:

إذا واصلتنا خلَّةٌ كي تزيلها — أبينا، وقلنا الحاجبيَّة* أوَّل

ويروى: إذا واصلتنا خلَّة كي تزيلنا — عرضنا، وقلنا الحاجبيَّة* أوَّل

والمعنى في كلا البيتين مأخوذ من قول مجنون ليلى*، أو ديك الجن*، أو يزيد بن الطثريَّة*:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى — فصادف قلبًا خاليًا فتمكَّنا

ديوان أبي تمّام ص: ٤٠٧، وديوان مجنون ليلى ص: ٢١٩، وديوان ديك الجن ص: ١٩٤، ومحاضرات الأدباء مج ٥٠/٢، وديوان كثير ص: ٢٢٥، وفيه: ما أرادت، مكان واصلتنا.

أقوى من الدفاتر(١)

وقال، أيضًا، وبعث بها إلى
أهله بالبحرين* :

صَاحِ، مـا وَجـدِي بِسُكَّانِ المَحَلِّ ... بالَّذي تَحـويهِ أرقـامُ السِّجِلِّ
فـأرِح جَـارِيَةَ الأقـلامِ مِن ... خُطَطٍ(٢) مَن يَبـتَـدِرهُنَّ يَكِلِّ
غَـيـرَ أنِّي أبعَثُ الرِّيحَ لَهُم ... بِسَـلامٍ، إن تُعِـدهُ، لا يُمَلِّ(٣)
عَـبِقٍ، يَنـفُضُ رَيَّاهُ على ... كُلِّ حَـزنٍ، يَتَـخَطَّاهُ، وسَـهلِ(٤)
وكَـلامٍ يَسـتَـمِلُّ الوَجـدَ مِن ... خَـاطِرٍ مَـلآنَ مِن ذَاكَ، ويُملِي(٥)
(يا نُزُولاً بَينَ أجـرَاعِ الحِـمَى)(٦) ... وَفُـؤادِي حَـيـثُـمـا حَلُّوا يَحُلِّ
وأبِي العُـشَّـاقِ لو لا حَـسَـدِي ... كُلَّ مَن يَأتِيكُمُ بالكُتبِ قَـبلِي(٧)

---

(١) تخريجها في أ ص: ٩٣ - ٩٥، وب ص: ١٤٦ - ١٤٨، وج ص: ١٠٥ - ١٠٦، والهاشمي ص: ٨٧ - ٨٨، ومنها في أعيان الشيعة مج ٤/١٦٧ «١٢» بيتًا.

(٢) الخطط: الأمور المشكلة، ويبتدرهن: يبادر إليهن، وفي ب وج: يبتذرهن، بذال معجمة.

(٣) ينظر إلى قول البحتري*:

ألا يا نسيم الريح بلغ رسالتي ... سليمى، وعرِّض بي كأنك مازح

وقوله: حجبوها عن الرياح لأنّي ... قلت للريح بلّغيها السلاما

وقوله: وقلت لها: أدِّي إليهم تحيّتي ... ولا تخلطيها، طال سعدك، بالترب

وهذه الأبيات ليست في ديوانه، راجع: محاضرات الأدباء مج ٤/١١٠.

(٤) الحَزن: ما غلظ، أو ارتفع من الأرض، والسهل خلافه، وهو ما انبسط منها.

(٥) يستملُّ هنا: يستملي، يريد أن ذلك الكلام يستقي الوجد من خاطر ممتلئ بالوجد؛ فهو يمليه لغيره.

(٦) مرَّ هذا الصدر مطلعًا لقصيدة سابقة في قوله جـ ١/٤٢٨:

يا نزولاً بين أجـراع الحـمى ... بُعدُكم عن عينيَ النومَ حمى

(٧) للشعراء في باب غيرة العاشق من رسوله نفائس طريفة، منها قول الخليفة العباسي المأمون* بن هارون الرشيد:

بعـثـتك مـرتادًا فـفـزت بنظرة ... وأغـفلتني حـتى أسـأت بك الظنّا
وناجـيـت من أهوى وكنت مـقـرَّبًا ... فيا ليت شعري عن دنوِّك ما أغنى!
ونزَّهتَ طرفًا في محـاسن وجـهـها ... ومـتَّعت باستظراف نغمـتـها أذنا ==

لَغَـدا أكـثَـرُ مـا في الأرضِ مِن ... وَرَقٍ كُـتـبِي لَكُم، والخَلَقُ رُسْلِي
يا شَـوَى قَلبِي لَظَى البُـعـدِ فَـهَل ... مِن لِقَـا يُعـدِي على ذاك وَوَصل[1]
وغَـزانِي عَـسكَرُ الشَّـوقِ فلَم ... يَكُ عَن شَيءٍ سِـوَى قَـتلِي يُخَلِّ[2]
إنَّ مَن أمطَرَهُ البُـعـدُ وبا ... لاً، ألا يُنعِـشُـهُ القُـربُ بِوَبل؟[3]
كُلَّمـا أعطَشَنِي اليَـأسُ بِهَـيـ ... ـهـاتِ مِن وَصلٍ، تَعَلَّلتُ بِعلِّي[4]
كُنتُ والأرضُ إذا صَـافَـحَـهـا ... قَـدَمِي أثقَلَهـا أعظَمَ ثِقلِ[5]

== أرى أثراً منهـا بعـينيك لم يكن ... لقد سرقت عيناك من وجهها حسنا
فـيا ليـتني كنتُ الرسـولَ، وكنتني ... وكنتَ الذي يُقصى، وكنتُ أنا المُدنى!

وقول محمد بن أميّة*:

إن تشقَ عيني بها فقد سعدت ... عين رسـولي، وفـزتُ بالخـبـر

وللحسن بن وهب*: بعثت رسولاً فـأضحى خليلاً ... على الرغم مني فصبراً جميلا

ونقض المتنبي* هذه الغيرة بضدها في قوله:

كُلَّما عـاد من بعـثتُ إليـهـا ... غار، مني وخانَ في ما يقول

محاضرات الأدباء، مج ٢/ ١١٠، و١١١، والعقد الفريد جـ ٨/ ١١٤، وأنوار الربيع جـ ٦/ ٣٠٤، وديوان المتنبي ص: ٤٢٩.

(١) يا: نداء مناداه محذوف مقدَّر تقديره: حبيبي، وشوى: أحرق، وفي الهاشمي وب وج: على، مكان لظى، ويعدي: يعين.

(٢) في أ وج وحاشية ب: يحل، ونص العجز في متن ب: «يك شيءٌ بسوى قلبي يحل».

(٣) في الأصول: أفلا، بزيادة الفاء، مكان ألا، بدونها، والوبال: الشر، والضُّر، والوخامة، والوبل: المطر الشديد؛ قطرُه ضخم.

(٤) في باقي الأصول: الوصل، مكان وصل، و بعل، مكان بعلّي، والمثبت من الأعيان، وفي البيت نظر إلى قول عبد الله بن الدمينة*: رضيت بسعي الوهم بيني وبينه ... وإن لم يكن في الوصل منه نَصيب

محاضرات الأدباء، مج ٤/ ١٢٣.

(٥) في هذا البيت، والثلاثة التي تليه، إغراق، وإحالة، ومثله كثير في الشعر العربي، فمنه قول بشار بن برد*:

خذي بيدي، ثم ارفعي الثوبَ فانظري ... ضنى جسدي؛ لكنني أتستر

وقوله: إنَّ في بردَيَّ جسمًا ناحلاً ... لو توكَّأت عليـه لانهـدم

وقول آخر: لا تسـألي كيف حالي بعد فرقتكم ... ها فـانظري وأجيلي طرف ممتحنِ

ترَي ضنى لم يدع مني سوى شبحي ... لو لم أقل ها أنا، للناس، لم أبن

وقول غيره: فـانظر إلى رجلٍ أضرَّ به الأسى ... لو لا تقلُّب طرفـه دفنوه

ولخالد الكاتب: هذا محبك نضوٌ لا حراك به ... لم يبقَ من جسمه إلاّ توهُّمه

وقول المتنبي: بجسمي من برته فلو أصارت ... وشاحي ثقبَ لؤلؤة لجالا

وقوله: دون التعانق ناحلين كشكلتي ... نَصب، أطالهمـا ودقَّ الكاتب

وقوله: روح تردَّد في مثل الخلال إذا ... أطارت الريح عنه الثوبَ لم يبِن

كفى بجسمي نحولاً أنني رجلٌ ... لو لا مخاطبتي إيَّاك لم ترني ==

أصــــبَـــــحَت أثقَلَ منِّي نَملَةٌ ... فَـزنُوا بِي بَعـضَـهـا يَـرجَح بِكُلِّي[1]

ثمَّ لو قَـــد حَـــمَلَتنِي بَقَّــةٌ، ... مُـــدَّةَ الأيَّامِ، لَم تَـعيَ بِحَـــملِي

واســتَـشـفَّـتنِي يَدُ الشَّــوقِ فَلَو ... قُمتُ في الشَّمسِ لما أبصَرتُ ظِلِّي[2]

فــإن اســتَـحلَلتُمُ قَـتلِي فــأنـتُم ... أبَدًا في سَـــعَــــةٍ منه، وَحِلِّ[3]

غَـيــرَ مَنشُــودِينَ عن ذاك، فــإن ... يَقـتُلِ العَـبــدَ مَــوالِيــه يُطَلِّ

أينَ مَن يُسلِفُنِي دَمــعًـا فَـقَــد ... غَـاضَ مـا أبكِي بِهِ غَـيــرَ الأقَلِّ[4]

== ومثله لغيره: ها فانظروني سقيمًا بعد فرقتكم ... لو لم أقل ها أنا للناس لم أبن

لو أنَّ إبرةَ رفَّـاء أكلِّفُـهـا ... جريتُ في ثقبها من دقَّة البدن

وقول النجّار - التمّار - الواسطي، أو الخبزأرزي*:

قـد كان لي قبل الهوى خاتم ... والآن لو شـئت تمنطقتُ به

وقول العباس بن الأحنف*:

لـو لا الكلام لما اهتـــدت ... عين الجليس إلى مكاني

وقول لسان الدين بن الخطيب*:

ولو شئت في طيِّ الكتاب لزرتكم ... ولم تدر عني أحـرف وسطور

وقول المظفَّر بن كيغلغ*: ذاب فلو فتَّشت عليه ... كفُّك في الفرش لم تجده

وقول ابن حجة الحموي:

وقد تجاوز جسمي حدَّ كلِّ ضنىً ... وها أنا اليوم في الأوهام تخييلُ

وقول نصر السفاقسي:

أذابه الحبُّ حتَّى لو تمثَّله ... بالوهم خلقٌ لأعياهم توهُّمه

لو لا الأنين ولوعاتٌ تحرِّكه ... لم يدره بعيانٍ من يكلِّمه

وقول ابن الفارض*:

كأني هلال الشك لو لا تأوُّهي ... خفيت فلم تهدَ العيون لرؤيتي

ولابن عبد ربه الأندلسي*: قد رقَّ حتى ما يرى ... بل ذاب حتى ما يحس

محاضرات الإدباء مجـ ٢/ ٩٠، و٩١، والعقد الفريد جـ ٦/ ٢٥٠، و٢٥١، وأنوار الربيع جـ ٤/ ٢٣٧، وديوان بشَّار بن برد ص: ٢١٢، والظرف والظرفاء ص: ٣٢٩، وقد أوردت بعضًا من هذا الإغراق والإحالة في هوامش الصفحات: ٤٠٧ - ٤٠٩.

(١) في الهاشمي: يثقل، مكان يرجح، والبيت من كلام المناطقة.

(٢) ترتيب البيت في الأصول الثامن عشر، وأثبته هنا مراعاة للسياق، والمعنى مأخوذ من قول ديك الجن*:

بانوا، وأضحى الجسم من بعدهم ... لا تصنع الشمس له فيًّا

ديوانه ص: ١٣٨.

(٣) نصُّه في الأعيان: فان استحللتم قتلي فما ... انتم في سعة منه وحل

(٤) في أ: يسلقني، بقاف مثناة، مكان يسلفني، بالفاء الموحدة، والبيت ينظر إلى قول العباس بن الأحنف*:

نزف البكاءُ دموعَ عينك فاستعر ... عينًا لغيرك دمعها مدرار

وقول آخر: فهل من معير طرف عين خليَّة ... فإنسان عين العامريِّ كليم

ولمجنون ليلى*: خليليَّ إلاَّ تبكيا ليَ ألتمس ... خليلاً، إذا أنزفت دمعي، بكى ليا ==

وجَرَى ذاكَ دَمًا ؛ فَاحتَاجَ مِن ... سَاكِب الدَّمعِ لِتَطهِيرٍ، وغَسلِ
يا نَسِيمًا هَبَّ من نَحوِهِمِ ... هَاتِ باللّهِ، عَن الحَيِّ، فَقُل لِي
أعَلَى العَهدِ هُمُ ؟ أم ضَيَّعُوا ... مَا لَنا من ذِمَّةٍ، فِيهِم، وإلِّ ؟[1]
أنضَجُوا أكبَادَنا، حَرّاً، وهُم ... - وهَناهُم ذَاكَ - في[2] بَردٍ وظِلّ
لَيتَهُم، إذ مَلَّكُونا كلَّنا، ... مَلَّكُونا عَنهُمُ بَعضَ التَسَلِّي !
كَيفَ نَسلُو ؟ والتَسَلِّي عَنهُمُ ... كُلفَةٌ، تَحدُثُ، والوَجدُ جِبِلِّي[3]
مَا تَسلَّينا بِشَيءٍ حَسَنٍ، ... عَن هَواهُم، فَرَأينا ذَاكَ يُسلِي[4]
قُل لِسُكَّانِ الحِمَى عَن نَازحٍ ... قَذَفَ الدَّهرُ بِهِ نَائِي المَحَلِّ[5]
ورَمِيٍّ، كلَّما أفرَقَ مِن ... تَبلِهِ أنكَسَهُ الشَّوقُ بِتَبلِ[6]
مَا على المُثرِي مِن الصَّبرِ إذا ... جَادَ مِنهُ بِقَلِيلٍ لِلمُقِلِّ[7]

== وقول مليح الهذلي*:

ولتلتمس عينًا سوى العين التي ... ذهبت بجاري دمعك المترقرق

محاضرات الأدباء مج ٢/٧٩-٨٠، وأمالي المرتضى جـ ٤٣٦/١، وديوان العباس بن الأحنف ص: ١٣٩، وديوان قيس بن الملوح ص: ٢٣٥.

(١) في الهاشمي: هل على، مكان أعلى، والإلُّ: العهد، وفي الأعيان: وآل، وفي باقي الأصول: وال.

(٢) في ب وج: من.

(٣) في البيت نظر إلى قول العباس بن الأحنف*:

لا تحسبيني ماذقًا في الهوى ... إنّي على حبِّكِ مطبوع

ديوانه ص: ١٩٦.

(٤) ينظر إلى قول قيس بن الملوح*، وينسب إلى كُثير عزة*، وليس في ديوانه:

تسلى بأخرى غيرها فإذا التي ... تسلَّى بها تغري بليلى، ولا تسلي

وقول البحتري* وليس في ديوانه:

وقالوا تجنَّبها تفق! فاجتنبتها ... زمانًا فما أسلى فؤادي التجنُّبُ

ديوان قيس بن الملوح، عكاوي، ص: ١٧٩، ومحاضرات الأدباء مج ١٢٨/٢.

(٥) ترتيبه في الأصول الثاني والثلاثون، وأثبته هنا مراعاة للسياق.

(٦) ترتيب البيت في الأصول: ٣٤، وقدمته مراعاة للسياق، والرميُّ: الذي رُمي بالنبل، وفي الهاشمي وحاشية ب مكانها: ورماني، وفي ج: ورمتني، والتصويب من أ ومتن ب، وأفرَق: أبل وشفي، والتبل: السقم الحادث من الحب، ونص العجز في الهاشمي وأ:

.... تبله أسقمه الشوق بتبل

(٧) ينظر إلى قول أحمد بن فنن*:

لئن ظل من وجده مثريًا ... لقد ظلَّ من صبره مفلسا

محاضرات الأدباء مج ١٢٨/٢.

إنَّ شَخصًا أشخَصتهُ عَنهُمُ ... نيَّةٌ تُفضِي لِعِزٍّ بَعدَ ذُلِّ
وتُؤدِّيهِ إلى ما[1] يَشتَهِي ... مِن شَرابٍ، وَفِقَ ما شَاءَ، وأكلِ
فأنامَتهُ[2] على فُرشِ الهَنا ... بَينَ عَلٍّ، مِن أمانيهِ، ونَهلِ[3]
وأجَازَتهُ السَّماواتِ عُلاً ... وصُعُوداً، وهوَ في أسفَلِ سُفلِ[4]
إن تَرامَى البُعدُ بي عَنكُم فلَم ... أركُم إلاَّ بكُتبٍ، أو بِرُسلِ[5]
واستَقلَّ الرَّكبُ بِي عَنكُم وَقَلـ ... ـبِي لَكُم، والجِسمُ عِندَ المُستَقِلِّ[6]
فَلأنتُم نُصبُ عَينِي أينَما ... كُنتُ مَجمُوعًا بِكُم، في البعدِ، شَملِي

* * *

(١) في الهاشمي: من.

(٢) في ب وج: فانامنه.

(٣) العَلُّ: الشرب الثاني يأتي بعد الأوّل، وهو النهل، وترتيب البيت في الهاشمي الحادي والثلاثون، وترتيبه هنا من باقي الأصول.

(٤) البيت ليس في الأعيان، وترتيبه في الهاشمي الثلاثون، وترتيبه هنا من باقي الأصول، وفيها: فهو، مكان وهو، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٥) في الأعيان: أراكم، مكان أركم، وترتيب البيت في الأصول الثالث والثلاثون، وأثبته هنا مراعاة للسياق.

(٦) استقلَّ: ارتحل، والمستقل: المرتحل الذاهب، ومعنى البيت مأخوذ من قول الخبزأرزي*:

أنا غائب والقلب عندك حاضر ... سافرت عنك وما الفؤاد مسافر

وقول آخر: وإن يرتحل جسمي مع الركب مكرهًا ... يقم عنده قلبي، وأمضي بلا قلب

وقول المتنبي*: فجد لي بقلب، إن رحلتَ، فإنَّني ... أخلِّف قلبي عند من فضله عندي

محاضرات الأدباء جـ ٢/٦٤.

الفهرس

الديوان

المدح

الرِّثاء

الغزل

مساجلات

الدوبيت

شوقٌ وحنين

* * *

وبعد مسيرة شاقة مضنية، لكنها رائعة. صدر إلى النور هذا الديوان الذي بين أناملكم لتقرَّ به أعين منتظريه. وهم في الحقيقة ليسوا قلَّة، وأولهم المرحوم السيد علي السيد باقر العوامي الذي وافاه الأجل فجْرَ الثلاثاء ١٤ ذي الحجة سنة ١٤٢٢ هـ الموافق ٦ فبراير ٢٢٠٠م. فرحل قبل أن تقر عينه بهذا الإصدار. لكنه قرير العين، إن شاء الله. ومعروف أن السيد علي هو الرفيق والداعم المعنوي لهكذا مشاريع ثقافية وإبداعية. وكما لا يخفى فإنه الرفيق والصديق لعدنان في النضال، والنبل المشترك . فحقًا إن غيابه ينغص إتمام فرحة الصدور.

ولربما اضطر المحقق لتخطي الزمن الذي حدده لملحقات الديوان إلا أنَّ هذا لم يكن إلا لتوفير مزيد من الفائدة للباحث والمؤرخ، فأغلبه تصحيح لأخطاء وهمَ فيها بعض المؤلفين، أو سها عنها بعض آخر، وحسبه أنه بذل ما في وسعه من جهد.

هذا الديوان

في ماضي القرون كانت القطيف وشقيقتاها الأحساء والبحرين مزدهرة بالأدب والأدباء، والعلم والعلماء. كانت أرضًا خصيبةً معطاءً منجبة، تصدِّر الرجال إلى ما وراء الحدود والبحار، منهم المتأخر كالشيخ حسنعلي البدر: (١٢٧٨ - ١٣٣٤ هـ)، أحد قادة ثورة العشرين في العراق، التي أنهت الإحتلال البريطاني، وصاحب الدور المشهود في استنكار اعتداء الطليان على ليبيا، والسياسي الصحفي البارع سلمان الصفواني، الوزير في العراق في حقبة الستينات، وعبد الحسين الفارس القطيفي، مندوب العراق لدى الأمم المتحدة، ومنهم المتقدم؛ كالصحابي الجليل رُشَيد الهجري، ومنهم راوي الحديث كإبراهيم الهجري، أبي عمر، وخلاس بن عمرو الهجري، وكالفقيه الجدلي الشيخ إبراهيم بن سليمان القطيفي (ت ٩٥٠هـ)، أحد أكبر فقهاء الإمامية في القرن العاشر الهجري، وأصلب المعارضين للشيخ علي الكركي؛ شيخ الإسلام في دولة الشاه طهماسب الصفوي، ومنهم العلامة المحدث السيد ماجد الصادقي ت (١٠٢٨ هـ)، ناشر علم الحديث في ايران، وكذلك الفيلسوف الشهير الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (١١٦٦- ١٢٤٢ هـ) الذي وصلت إسهاماته وتأثير مدرسته إلى فارس وكرمان.

وصاحب هذا الديوان؛ أبو البحر الشيخ جعفر الخطي، غيض من فيض زاخر بالأفذاذ، فلم يَقصُر دوره على سموق القامة في آفاق الأدب والشعر، أو الإكتفاء بتبوُّء المراتب العليَّة بين شعراء الضاد في فترة الإحتلال البرتغالي للخليج العربي، بل نراه متقدمًا حركَة النضال الوطني مع الثوار لتحرير وطنه من الإستبداد التركي بزعامة الشيخ عبد الله بن ناصر بن مقلد في القطيف، وفي البحرين يبدو دوره في تخليصها من الإحتلال البرتغالي أكثر وضوحًا بمعاضدة السيد حسين بن عبد الرؤوف الحسيني الجدحفصي، وسيطًا ومباحثًا الشيخ البهائي. ومع كل هذا لم ينشغل عن نبض القافية، ونغم الحرف حتى لفت إليه أنظار النقاد والدارسين وكتاب السير، قدماء ومحدثين؛ فكتبت عنه البحوث والدراسات المستفيضة في عموم شعره، فضلاً عن القراءات المتفرقة، هنا وهناك، إن في بعض ظواهر شعره، كالوطنية، والمساجلات، مثلا، أو في قصيدة بعينها كقصيدة (السبيطية) ، أو تلك التي هزئ فيها من أدعياء الشعر.